خزانة الأدب

ولب لباب لسان العرب

تأليف

عبد القادر بن عمر البغدادي

١٠٣٠ - ١٠٩٣ هـ

قدم له ووضع هوامشه وفهارسه

د. محمد نبيل طريفي

إشراف

د. اميل بديع يعقوب

الجزء الرابع

الطبعة الأولى

١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

العنوان : رمل الظريف، شارع البحتري، بناية ملكارت

تلفون وفاكس : ٣٦٤٣٩٨ - ٣٦٦١٣٥ - ٦٠٢١٣٣ (١ ٩٦١) ٠٠

صندوق بريد: ٩٤٢٤ - ١١ بيروت - لبنان

DAR al-KOTOB al-ILMIYAH

Beirut - Lebanon

Address : Ramel al-Zarif, Bohtory st., Melkart bldg., 1st Floore.

Tel. & Fax : 00 (961 1) 60.21.33 - 36.61.35 - 36.43.98

P.O.Box : 11 - 9424 Beirut - Lebanon

بسم الله الرحمن الرحيم

باب خبر كان وأخواتها

أنشد فيه ، وهو الشاهد السادس والأربعون بعد المائتين[1] : (الطويل)

٢٤٦- وكانَ طَوَى كَشْحاً على مُسْتَكِنَّةٍ

هذا صدر عجزه :

* فَلا هُوَ أبْداها ولَمْ يَتَقَدَّمِ *

على أن خبر « كان » يجوز أن يجيء ماضياً بدون تقدير قد .

وهذا البيت من معلقة زُهير بن أبي سُلمى ، وقبله[2] :

لَعَمري لِنعْم الحيُّ جرَّ عليهمُ	بِمَا لا يُؤاتِيهمْ حُصَيْنُ بنُ ضَمضَمِ
وكانَ طَوَى كَشْحاً	. . . . البيت

« جرَّ » من الجريرة ، وهي الجناية . و« يؤاتيهم » : يوافقهم . « حصين بن ضمضم» هو ابنُ عمِّ النابغة الذُّبياني[3] ، وجنايته أنَّه لما اصطلحت قبيلة ذبيان مع قبيلة عبس ، امتنع حُصين بن ضمضم من الصُّلح واستتر منهما ، ثم عدا على رجل من بني

---

(١) البيت لزهير بن أبي سلمى من معلقته المشهورة ، وهو في ديوانه بشرح الأعلم ص٢٠ ؛ وديوانه بشرح ثعلب ص٢٩ ؛ والأزهية ص١٥٨ ؛ وشرح أبيات المغني ١٣٥/٣ ؛ وشرح القصائد العشر للخطيب ص١٨٧ ؛ ولسان العرب (طوى) .

ورواية عجزه في ديوانه بشرح الأعلم :

* فلا هو أبداها و لم يتجمجم *

(٢) البيت في ديوان زهير بشرح الأعلم ص٢٠ ؛ وديوانه بشرح ثعلب ص٢٩ ؛ وشرح أبيات المغني للبغدادي ١٣٥/٣ ؛ وشرح القصائد العشر للخطيب التبريزي ص١٨٧ .

(٣) راجع نسبه في جمهرة أنساب العرب ص٢٥٣ .

عبس فقتله . وإنّما مدحَ حيَّ ذبيان لتحملهم الديات إصلاحاً لذات البين .

وضمير « كان » و« طوى » لحصين بن ضَمْضَم . و« الكشح » الخاصرة ، يقال: طَوَى كشحَه عن فَعْلةٍ ، إذا أضمرَها في نفسه . و« المستكِنّة » : المستترة ، أي: أضمر على غدرة مستترة ؛ لأنّه كان قد أضمر قتل وَرْد بن حابس فإنّه كان قتلَ أخاه هَرِمَ بن ضَمْضَم .

وقوله :«فلا هو أبداها.. الخ» المعنى : فلم يظهرها و لم يتقدّم فيها قبل مكانها .

ويروى[1] : « و لم يتجمجم » بجيمين ، أي : لم يَتَنهْنهْ عمّا أراد ممّا كتم. وتكون لا مع الماضي بمنزلة لم مع المضارع في المعنى ، كقوله تعالى[2] : « فَلا اقْتَحَمَ العقَبَةَ » أي : لَمْ يقتحمها . وقال أميَّة بن أبي الصَّلت[3] : (الرجز)

إنْ تَغْفِرِ اللَّهمَّ تَغفِرْ جَمَّا وأيُّ عَبدٍ لَكَ لا أَلمَّا

أي : لم يلمَّ بالذنب . وقوله : « وكانَ طَوى » هو عند المبرّد بإضمار قد ، أي: قد طوَى .

قال : لأنَّ كان فعل ماض فلا يُخبر [عنه[4]] إلاَّ باسم أو بما ضارعه . قال : ولا يجوز كان زيد قام ، لأنَّ زيد قام يغنيك عن كان . وخالفه أصحابه فقالوا: الماضي قد ضارع الاسم أيضاً فهو يقع خبراً لكان ، كما يقع الاسم والفعل المستقبل ،

---

(١) هي رواية ديوانه بشرح الأعلم ص٢٠ ؛ وهي رواية مذكورة في شرح القصائد العشر للخطيب التبريزي ص١٨٧ .

(٢) سورة البلد : ١١/٩٠ .

(٣) هو الإنشاد الواحد بعد الأربعمائة في شرح أبيات المغني للبغدادي .

والرجز لأبي خراش في الأزهية ص١٥٨ ؛ وتاج العروس (جمم) ؛ وشرح أشعار الهذليين ١٣٤٦/٣ ؛ وشرح شواهد المغني ص٦٢٥ ؛ ولسان العرب (جمم) ؛ والمقاصد النحوية ٢١٦/٤ . ولأمية بن أبي الصلت في الأغاني ١٣١/٤ ، ١٣٥ ؛ وتاج العروس (لمم) ؛ وتهذيب اللغة ٣٤٧/١٥ ، ٤٢٠ ؛ وشرح أبيات المغني للبغدادي ٣٩٧/٤ ؛ وكتاب العين ٣٥٠/٨ ؛ ولسان العرب (لمم) . ولأمية أو لأبي خراش في لسان العرب (لمم) . وهو بلا نسبة في الإنصاف ص٧٦ ؛ وتاج العروس (لا) ؛ وجمهرة اللغة ص٩٢ ؛ والجنى الداني ص٢٩٨ ؛ وديوان الأدب ١٦٦/٣ ؛ وكتاب العين ٣٢١/٨ ؛ ولسان العرب (لا) ؛ ومغني اللبيب ٢٤٤/١ .

(٤) زيادة يقتضيها السياق من الطبعة السلفية ٣/٤ ؛ نقلاً عن النسخة الشنقيطية . وفي شرح القصائد العشر للخطيب التبريزي ص١٨٨ : " .. عنها إلا باسم .." .

وأمّا قولك كان زيد قام ، فإنّما جيء بكان لتؤكّد أن الفعل لِما مضى .

وقد تقدَّم في الشاهد السادس والخمسين بعد المائة أول باب الاشتغال[1] شرح هذين البيتين مع أبياتٍ كثيرة من هذه المعلقة ، وذكرنا سبب نظمها بما لا مزيد عليه إن شاء الله تعالى .

وتقدم أيضاً ترجمة زهير بن أبي سلمى في الشاهد الثامن والثلاثين بعد المائة[2] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع والأربعون بعد المائتين[3] : (البسيط)

٢٤٧- أضْحَتْ خَلاءً وأضْحَى أهْلُها احتَمَلوا
أخنَى عليْها الذِي أَخْنَى علَى لُبَدِ

على أن خبر « أضحى » يجوز أن يكون فعلاً ماضياً بدون قد ، فأهلُها اسمُ أضحى ، وجملة احتملوا في محل نصب على أنها خبر أضحى ، ولا تقدَّر قد كما ذهب إليه ابن مالك ، خلافاً للمبرّد كما تقدّم بيانه[4] .

وهذا البيت من قصيدةٍ للنّابغة الذُّبيانيّ مدح بها النُّعمان بن المنذر ، واعتذر إليه مما بلغه عنه ؛ وهي من الاعتذاريّات ، وقد ألحقوها لجودتها بالمعلّقات السبع . وهذا أوّلها[5]:

يا دارَ ميَّةَ بالعَلَياءِ فالسَّنَدِ أقْوَتْ وطالَ عليها سَالفُ الأَبَدِ[6]

---

(١) الخزانة الجزء الثالث ص٣-١٨ .

(٢) الخزانة الجزء الثاني ص ٢٩٣ .

(٣) البيت للنابغة الذبياني من معلقته المشهورة هي في ديوانه للأعلم ص١٦ ؛ وديوانه صنعة ابن السكيت ص٥ ؛ وجمهرة اللغة ص١٠٥٧ ؛ والدرر ٥٧/٢ ؛ وشرح القصائد العشر للخطيب التبريزي ص٤٤٩ ؛ ولسان العرب (لبد) . وهو بلا نسبة في شرح الأشموني ١١١/١ ؛ وشرح عمدة الحافظ ص٢١٠ ؛ وشرح قطر الندى ص١٣٤ ؛ وهمع الهوامع ١١٤/١ .

(٤) في أواخر الشاهد السابق .

(٥) الأبيات مطلع معلقة النابغة الذبياني في ديوانه للأعلم ص١٤ ؛ وديوانه صنعة ابن السكيت ص٢ ؛ والقصائد العشر ص٤٤٦ وما بعدها .

(٦) البيت مطلع معلقة النابغة وهو في الأغاني ٣١/١١ ؛والدرر ٢٤٧/١،٣٢٦/٦ ؛ وشرح أبيات سيبويه ٥٤/٢ =

وَقَفْتُ فيها أُصيلاً كي أُسَائِلَها ... عَيَّتْ جَواباً وما بالرَّبعِ منْ أحَدِ
إلاَّ أواريَّ لأياً ما أبيِّنُها ... والنؤْيُ كالحوضِ بالمظلومةِ الجَلَدِ[1]
ردَّتْ عليهِ أقاصِيه ولبَّدهُ ... ضَربُ الوَليدَة بالمِسْحاةِ في الثَّأَدِ[2]
خلَّتْ سبيلَ أتِيٍّ كانَ يحبسهُ ... ورفَّعتْهُ إلى السَّجْفَين فالنَّضَدِ[3]
أضحَتْ خَلاءً وأضحَى أهلُها احتملوا ... . البيت

قوله : « يا دارَ ميَّة الخ » قال الأصبهانيّ في « الأغاني »[4] : قال الأصمعيّ: يريد يا أهل دار ميَّة[5] . وقال الفراء : نادَى الديار[6] لا أهلَها ، أسفاً عليها وتشوُّقاً إليها[7] . وقال : أقوتْ و لم يقل أقويتِ ، لأنَّ من شأن العرب أن يخاطبوا الشيء ثم يتركوه ويكنُون عنه[8] . اهـ .

« العَلياء » بالفتح والمد : المكانُ المرتفِع من الأرض . قال ابن السكِّيت[9] : قال بالعلياء فجاء بالياء لأنَّه بناها على علِيت بالكسر . و« السَّنَد » : سند الوادي في الجبل ، وهو ارتفاعه حيث يُسنَد فيه ، أي : يصعد . و« أقوت » : خلَت من أهلها .

= وشرح أبيات المغني ٦٢/٢ ؛ والصاحبي في فقه اللغة ص٢١٥ ؛ والكتاب ٣٢١/٢ ؛ والمحتسب ٢٥١/١ ؛ والمقاصد النحوية ٣١٥/٤ . وهو بلا نسبة في أوضح المسالك ٩٢/٤ ؛ ورصف المباني ص٤٥٢ ؛ وشرح الأشموني ٤٩٣/٢ ؛ وشرح التصريح ١٤٠/١ ؛ ولسان العرب (سند ، قصد ، جرا ، يا) .

(١) البيت للنابغة الذبياني في الأزهية ص٨٠ ؛ وإصلاح المنطق ص٤٧ ؛ والأغاني ٢٧/١١ ؛ والإنصاف ٢٦٩/١ ؛ وجمهرة اللغة ص٩٣٤ ؛ والدرر ١٥٩/٣ ، ٢٥٧/٦ ؛ وشرح أبيات سيبويه ٥٤/٢ ؛ والكتاب ٣٢١/٢ ؛ ولسان العرب (جلد ، ظلم ، ين) ؛ والمقاصد النحوية ٣١٥/٤ ، ٥٧٨ ؛ والمقتضب ٤١٤/٤ . وهو بلا نسبة في شرح المفصل ١٢٩/٨ .

(٢) البيت بلا نسبة في كتاب العين ٥٦/٨ ؛ والمقتضب ٢١/٤ .

(٣) البيت للنابغة الذبياني في أساس البلاغة (رفع) ؛ وتاج العروس (نضد ، رفع ، سجف) ؛وتهذيب اللغة ٣٥٩/٢، ٣/١٢ ، وجمهرة اللغة ص٦٥٩ ، ١٠٣٣ ؛ وكتاب العين ٢٣/٧ ، ١٤٦/٨ ؛ ولسان العرب (نضد ، رفع ، سجف) ؛ ومقاييس اللغة ٥٢/١ ، ٤٣٩/٥ .

(٤) الأغاني ٣١/١١ نقلاً عن شرح ديوانه ص٢ .

(٥) في النسخة الشنقيطية : " يا دار ميّة " .

(٦) في الأغاني : " إنما نادى الدار " . بالإفراد ، وهو الوجه .

(٧) في الأغاني : " وتشوقاً إلى أهلها " .

(٨) في الأغاني : " ويكفوا عنه " . وهو خطأ .

(٩) شرح القصائد العشر للتبريزي ص٤٤٦-٤٤٧ .

و« السالف » : الماضي . و« الأبد » : الدَّهر . ويـأتي الكـلام على هـذا البيـت إن شاء اللّه تعالى بأكثر من هذا في الفاء من حروف العطف[1] .

قوله : « وقفت فيها » الخ ، الأصيل ما بعد الظُّهر إلى الغُروب ، ورُوي أصَيلاناً مصغر أُصلان ، وهو جمع أصيل ، كرغيف ورُغفان ، وقيل هو مفرد كغُفران ؛ وهـو الصَّحيح لأنّ جمعَ الكثرة إذا صُغِّرَ رُدَّ إلى مفرده[2] . ورُوي : « وقفت فيها طَويلاً» ، أي : وقوفاً طويلاً .

وقوله : « عيَّتْ » ، يقال : عييتُ بـالأمر ، إذا لم تعـرف وجهـه. وجواباً قيـل منصوب على المصدر ، أي : عيَّتْ أن تجيب ، [وما بها أحدٌ][3] . و«الرَّبع» : المـنزل في الربيع ، ثم كثر حتَّى قيل كل منزل رَبع .

وقوله : « إلاَّ أواريَّ » ، بالنصب لأنّه استثناء منقطع[4] . و« النُّؤْي » معطوف عليه . ورُوي : « إلاَّ أواريُّ » ، بالرفع على أنَّه بـدل مـن موضـع قولـه : مـن أحـد الواقع فاعلاً للظرف ، والأَواريّ هي الأواخيّ جمع آريّ وآخيَّة بالمد والتشديد فيهما . والآريُّ : مَحْبِس الدَّابة ، والآخيَّة قطعة من حبل يُدفَن طرفـاه في الأرض وفيـه عُصيَّـة أو حَجَر ، فتظهر منه مثلُ عُروة تُشَدُّ إليه الدَّابَّة ، وقد تسمَّى الآخيَّـة آريَّـاً ؛ وفعلهمـا آريت الدابَّة وأخيَّتها بتشديد الثاني . واللأْي ، بفتح اللام وسـكون الهمـزةُ : البطء ، يقال : فعل كذا بعد لأي ، أي : بعد شِدَّة . ولأى لأْياً والْتـأَى ، أي : أبطأ إبطـاءً . والمعنى : بعد بطء تعرُّفتها .

والنُّؤْي بضم النون وسكون الهمـزة : حفـيرة حَـوْل الخبـاء والبيـت يجعـل ترابُهـا حاجزاً حولَهما لئلاَّ يَصل إليهما ماء المطر . والمظلومة : الأرض التي قد حُفـر فيهـا في غير موضع الحَفر . و« الجَلَد » ، بفتح الجيم واللام : الأرض الغليظة الصُّلبـة مـن غـير حجارة ، وإنَّما قصدَ [إلى][5] الجَلَد لأنَّ الحفرَ فيها يصعُب، فيكون ذلـك أشبهَ شـيءٍ بالنؤي .

(١) في الشاهد رقم /٨٨٩/ من شواهد الخزانة .

(٢) في شرح القصائد العشر للتبريزي ص٤٤٧ : " وهذا القول الصحيح ، والأول خطأ ، لأن أصلاناً لا يجوز أن يصغر ، إلا أن يرد إلى أقل العدد ، وهو حكم كل جمع كثير " .

(٣) زيادة يقتضيها السياق من شرح القصائد العشر للتبريزي ص٤٤٧ .

(٤) في شرح القصائد العشر ص٤٤٧ : " والنصب أجود " .

(٥) زيادة يقتضيها السياق من شرح القصائد العشر ص٤٤٨ .

قال ابن السِّكِّيت : إنّما قال بالمظلومة لأنَهم مرُّوا في تربةٍ فحفروا فيها، حَوضاً وليست بموضع حَوض ، فجُعِل الشيءُ في غير موضعه .

وهذا البيت يأتي الكلام عليه أيضاً إن شاء اللّه في خبر ما ولا[1] .

وقوله : « رُدَّت عليه أقاصيه » الخ ، أقاصيه نائب فاعل رُدَّت ، والضمير للنّؤي. و« الأقاصي » : الأطراف وما بعُد منه ، أي : والأقصى على الأدنَى ليرتبع . و«لبَّده» : سكَّنه ، أي : سكَّنه حفر الوَليدة ، وهي الأمَة[2] . و« الثَّأد » - بفتح المثلثة والهمزة - : الموضع النديُّ الترابِ ، أي : في موضع الثأد .

وقوله : « خلّت سبيلَ أتيّ » الخ ، « الأتيّ » : السَّيل الذي يأتي ، ويقال للنهر الصغير . يقول : لما انسدَّ سبيلُ السَّيل سَهَّلَتْ له طريقاً حتَّى جرَى ، أي : تركت الأمَةُ سبيلَ الماء في الأتيّ ، ورفَّعته ، أي : قدَّمت الحفر إلى موضع السَّجْفين وأوصلته إليهما . وليس الترفيع هنا من ارتفاع العلوّ ، بل هو من قولهم : ارتفعَ القوم إلى السلطان . و« السَّجْفان » : سِتران رَقيقان يكونان في مقدَّم البيت . و« النَّضد » - بفتح النون والضاد المعجمة - : ما نُضِدَ من متاع البيت .

وقوله : « أضحت خَلاء » الخ ، أي : أضحت الدار . و« الخَلاء » بالفتح والمد: المكان الذي لا شيءَ به . و« احتملوا » : حمَّلوا جمالهم وارتحلوا . قال في «الصحاح»: وأخنى عليه الدَّهر : أتى عليه وأهلكه . ومنه قول النّابغة :

* أخنَى عليها الذي أخنَى على لُبَدِ *

ولُبَد : آخر نسور لقمان بن عاد ، وهو منصرف لأنّه ليس بمعدول ، وفي المثل[3]: « أعْمَرُ من لبَد » . قال الزّمخشريّ : وهو نَسْر لقمان العاديِّ ، سمَّاه لبداً معتقداً فيه أنه أبدٌ فلا يموت ولا يذهب ، ويزعمون أنه حينَ كبر قال له : انهض ، لُبَدُ فأنت نَسْر الأبدَ .

---

(١) في الشاهد رقم /٢٧٢/ من شواهد الخزانة .

(٢) الوليدة : الأمة الشابة . والمسحاة : مجرفة من حديد .

(٣) ويقال في المثل أيضاً : " أتى - أوْ طال- أبدٌ على لبدٍ .

والمثل في ثمار القلوب ص٤٧٦ ؛ وجمهرة الأمثال ١٢٦/١ ؛ والدرة الفاخرة ٣١٥/١ ، ٣٦٧/٢ ؛ وزهر الأكم ٥٩/١ ؛ والعقد الفريد ١٢٠/٣ ؛ وفصل المقال ص٤٦٢ ؛ وكتاب الأمثال ص٣٣٦ ؛ وكتاب الأمثال لمجهول ص٢٩ ؛ والمستقصى ٣٦/١ ؛ ومجمع الميداني ٥٠/٢ ، ١٧٠ ، ٤٣٠ .

قال في « الصحاح » : وتزعم العرب أنّ لقمان هو الذي بعثته عادٌ في وفدها إلى الحرم يستسقي لها ، فلما أُهلِكوا خُيِّر لقمان بين بقاء سبع بَعَرات سُمْرٍ[1] ، من أظبٍ[2] عُفْرٍ ، في جبَلٍ وعرٍ ، لا يمسُّها القَطْر ؛ أو بقاء سبعة أنسرٍ كلما هلكَ نسر ، خَلف بعده نَسر ؛ فاختارَ النُسور ، فكان آخر نسوره يسمَّى لُبَداً[3] ، وقد ذكرته الشعراء ، قال النابغة :

أضحَتْ خَلاءً وأضحَى أهلُها احتملوا . . . البيت

ولقمان هو ممن آمن بهودٍ عليه السلام ، وهلكَ قومُهُ لكفرهم به – عليه السلام– فأهلكهم الله تعالى بالرِّيح[4] « سَبْعَ لَيالٍ وثمانِيَةَ أيّامٍ حُسُوما » فلم تَدَعْ منهم أحداً وسَلِم هودٌ ومَن آمن معه . وأرسلت عليهم يومَ الأربعاء فلم تَدَرِ الأربعاءُ وعلى الأرض منهم حيٌّ .

وأما لقمان المذكور في القرآن فهو غيره ، قال صاحب الكشَّاف : هو لقمان بن باعوراء ، ابن أخت أيُّوب أو ابن خالته ، وقيل : كانَ من أولادِ آزر وعاش ألف سنة وأدركَ داودَ عليه السلام وأخذ منه العلم ، وكان يفتي قبل مبعث داود فلمّا بُعث قَطع الفتوى فقيل له ، فقال : ألا أكتفي إذا كُفيت ؟ وقيل : كان قاضياً في بني إسرائيل . وأكثر الأقاويل أنه كان حكيماً ولم يكن نبياً .

---

(١) الصحاح (لبد) . وفي طبعة بولاق والنسخة الشنقيطية : " بقرات " . وهو تصحيف صوابه بالعين المهملة كما ورد في الصحاح : " بعرات " .

(٢) أظبٍ : جمع ظبي .

(٣) خبر لقمان ولبد في المراثي ص١٢٨–١٢٩ برواية أخرى جاء في المراثي : ".. أبو سعد أحد وفد عاد ، الذين قدموا إلى مكة يستسقون ، فنزلوا على معاوية بن بكر العمليقي ، فأقاموا شهراً ، يشربون ، وتغنيهم الجرادتان – وهما جاريتاه قينتاه ، ثم مضوا إلى الكعبة ، فقال لهم أبو سعد : إنكم لن تسقوا حتى تؤمنوا بهود صلى الله عليه ، وكان أبو سعد يكتم دينه وإيمانه ، فقالوا لمعاوية بن بكر : احبس عنا أبا سعد ، فإنه قد صبأ إلى هودٍ ، فتبعهم ، فلما استسقوا نودوا : أنِ اختاروا . ونشأت ثلاث سحائب : بيضاء وحمراء وسوداء . فقالوا : أما الحمراء فإنه لا شيء فيها ، وأما البيضاء فربما أخلفت ، ولكن السوداء . فنودوا : اخترتم رماداً رمدداً ، لا تبقي من عادٍ أحداً ، لا والداً ولا ولدا . فتمنوا لأنفسكم . فقال قيل : أتمنى أن يصيبني ما يصيب قومي ، وقال لقمان بن عاد : أتمنى عمر سبعة أنسرٍ ، فأعطي ذلك ، وأما قيل فصبّ عليه حجر فقتله . وأما أبو سعد فتمنى الصدق والوفاء فأعطيهما ، فمات مؤمناً " .

(٤) سورة الحاقة : ٦٩/٧ .

وعن ابن عبَّاس رضي اللّه عنهما : لقمان لم يكن نبياً ولا ملكاً ؛ ولكن كان راعياً أسود فرزقهُ اللّهُ العتقَ ورضيَ قولَه ووصيَّته ، فقصَّ أمرهُ في القرآن ليتمسَّكوا بوصيته .

وقال عكرمة والشَّعبي : كان نبيًّا. وقيل : خُيِّر بين النُّبوَّة والحكمَة[1] . وعن ابن المسيَّب : كان أسودَ ، من سُودَان مِصْر، خياطاً . وعن مجاهد : كان عبداً أسود غليظ الشَّفتين متشقق القدمين . وقيل: كان نجاراً ؛ وقيلَ كان راعياً ؛ وقيل : كان يحتطبُ لمولاه كلّ يوم حزمة[2]. اهـ .

وهو متأخِّر عن لقمان العاديّ ؛ لأن هوداً متقدّم على أيوب وداود ، يقال للعاديّ : « لقمان صاحب النسور » .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثامن والأربعون بعد المائتين ، وهو من شواهد سيبويه[3] : (البسيط)

٢٤٨- قَدْ قِيلَ ذَلِكَ إنْ حَقًّا وإنْ كَذِباً
فَما اعْتِذارُكَ مِنْ شَيءٍ إذا قِيلا

على أنّ « كان » تحذف مع اسمها بعد إن الشرطيَّة ، أي : إنْ كان ذلكَ حقاً ، [وإن كان كذباً][4] جعله صاحب « اللباب » من قبيل : « النَّاسُ مَجزِيُّونَ بأعمالهم: إن خيراً فخير ، وإن شرًّا فشرّ » في الوجوه الأربعَة .

---

(١) في حاشية طبعة هارون ٩/٤ : " بعده في الكشاف : فاختار الحكمة " .

(٢) الذي في الكشاف : " وقيل كان راعياً وكان يحتطب لمولاه كل يوم حزمة " .

(٣) هو الإنشاد الثالث والثمانون في شرح أبيات المغني للبغدادي .

والبيت للنعمان بن المنذر في الأغاني ٣٦٦/١٥ ؛ وأمالي المرتضى ١٩٣/١ ؛ والدرر ٨٢/٢ ؛ وشرح أبيات سيبويه ٣٥٢/١ ؛ وشرح أبيات المغني ٨/٢ ؛ وشرح شواهد المغني ١٨٨/١ ؛ والكتاب ٢٦٠/١ ؛ والمقاصد النحوية ٦٦/٢ . وهو بلا نسبة في شرح الأشموني ١١٨/١ ؛ وشرح ابن عقيل ص١٤٨ ؛ وشرح المفصل ٩٧/٢ ؛ ومغني اللبيب ٦١/١ ؛ وهمع الهوامع ١٢١/١ . وروايته في شرح أبيات المغني :

* قد قيل ما قيل إن حقاً وإن كذباً *

(٤) زيادة يقتضيها السياق من شرح أبيات المغني للبغدادي ٨/٢ .

قال شارحه الفالي[1] : يجوز فيه أربعة أوجه : رفعهما ، ونصبهما ، ورفع الأوّل ونصب الثاني ، وبالعكس . وتقدير الرفع فيهما : إنْ وقع حقٌ وإن وقعَ كذبٌ ، أو إن كان فيهِ - أي : في المقول - حقٌ وإن كان فيهِ كذب . ونصبهما على أنّهما خبر كان ، والتقدير : إن كان المقول حقّاً وإن كان المقول كذباً . وأما رفعُ أحدهما ونصب الآخر فيظهر من بيان نصبهما ورفعهما . وإنّما قال : « منه[2] » لأن الوجوه الأربعة كانت في الشرط والجزاء ، وهو إن خيراً فخير ، وفي البيت الوجوه في الشرطين ، وهما إنْ حقاً وإن كذباً .

وقوله : « قيل ذلك » المشار إليه البرَص الذي في استه .

وهذا البيت من قصيدةٍ للنُّعمان بن المنذر أوّلها[3] :

شَرِّدْ برَحْلِكَ عنّي حَيثُ شِئتَ ولا ... تُكثِرْ عليَّ ودَعْ عَنكَ الأَقَاوِيلا
فَقَدْ رُمِيتَ بدَاءٍ لستَ غَاسِلَهُ ... ماجَاوَرَ السَّيْلُ أهلَ الشّامِ والنِّيْلا[4]
فَمَا انْتفَاؤُكَ منهُ بَعْدَ ما قَطعَتْ ... هُوجُ المَطِيِّ بهِ أكنَافَ شِمْلِيْلا
قدْ قِيْلَ ذلِك إنْ حَقاً وإنْ كَذِباً ... فَمَا اعتِذَارُكَ مِنْ شيءٍ إذا قِيْلا
فالْحَقْ بحَيْثُ رأيتَ الأرضَ وَاسِعَةً ... وانشُرْ بهَا الطَّرْفَ إنْ عَرْضاً وإنْ طُولا

قوله : « شردّ برحلك » أي : أبعده وارتحلْ عني . وقوله : « فقد رُميت » روي بدله :

* فقد ذُكرتَ بهِ والرَّكبُ حامله *

وضمير به وحامله للبرص المذكور . وقوله : « شمليلا » قال البكريّ في «معجم

---

(١) في النسخة الشنقيطية : " شارحه القالي " . بالقاف وهو تصحيف .

(٢) في أصل طبعة بولاق والنسخة الشنقيطية : " ومنه " . وفي حاشية الطبعة السلفية ٤/٧ : " الصواب حذف الواو - والمصنف يريد العبارة السابقة وهي : أما رفع أحدهما ونصب الآخر فيظهر من بيان وهي : أما رفع أحدهما ونصب الآخر فيظهر من بيان نصبهما ورفعهما " . وفي حاشية طبعة هارون ٤/١٠ : " ... والوجه حذف الواو " .

(٣) الأبيات للنعمان بن المنذر في الأغاني ١٥/٣٦٦ ؛ وشرح أبيات المغني ٢/٨ .

(٤) البيت للنعمان بن المنذر في الأغاني ١٥/٣٦٦ ؛ وتاج العروس (نال) ؛ والفاخر ص١٧٣ . وهو للبيد بن ربيعة في تهذيب اللغة ١٥/٣٧٣ ؛ وشرح القصائد السبع الطوال ص٥٠٩ ؛ ولسان العرب (نيل) . ولم أقع عليه في ديوانه.

ما استعجم »[١] : هو بكسر أوله وإسكان ثانيه بعده لام مكسورة على وزن فِعليل بلد، وأنشد هذا البيت . ومن العجائب تفسير العَينِي[٢] إيّاه بالناقة الخفيفة ؛ وكأنّه يكتب من غير أن يتصوَّر المعنى .

والسبب في هذه الأبيات هو ما رواه أبو الحسن الطوسيّ في [٣]« شرح ديوان لبيد » والمفضَّل بن سلَمة في « الفاخر » وابن خلَف في « شرح أبيات سيبويه » - وقد تداخل كلامُ كلٍّ منهم في الآخر - أنَّ وفد بني عامر منهم طُفيل بن مالك ، وعامر بن مالك ، أتَوا النُّعمانَ بنَ المنذر أولَ ما ملك ، في أُسارى من بني عامر يشترونهم منه ، ومعهم ناس من بني جعفَر ، ومعهم لبيدٌ ، وهو غلامٌ صغير فخلَّفوه في رحالهم ودخلوا على النُّعمان فوجدوا عنده الربيعَ بن زياد العبسيّ ، وكان نديمَ النعمان قد غلب على حديثه ومجلسه ، فجعل الربيع يهزأ بهم ويسخر منهم لعداوة غَطفَان وهوازن ، فغاظهم ذلك ، فرجَعوا بحال سيِّئة ، فقال لهم لبيد : إنّكم تنطلقون بحال حسنة ، ثم ترجعون وقد ذهبَ ذاك وتغير . قالوا : خالك - وكانت أُمّ لبيد عبسيَّة - كلَّما أقبلَ علينا بوجهه صَدّهُ عنّا بلسانٍ بليغ مطاع .

فقال لهم لبيد : فما يمنعكم من معارضته ؟ قالوا : لحسن منزلته عند النُّعمان . قال : فانطلقوا بي معكم . فأزمعوا أن يذهبوا به ، وحلقوا رأسَه وألبسوه حُلَّةً وغدا معهم ، فانتهوا إلى النُّعمان وربيعٌ معه وهما يأكلان طَعاماً ، وقيلَ تمراً وزُبداً ، فقال لبيد : أبيت اللعن ، إنْ رأيت أن تأذنَ لي في الكلام . فأذن له ، فأنشد[٤] : (الرجز)

مَهْلاً أَبَيْتَ اللَّعْنَ لا تأكُلْ مَعَهْ ... إنَّ اسْتَهُ مِنْ بَرَصٍ مُلَمَّعَهْ[٥]
وإنَّهُ يُدْخِلُ فيها إصْبَعَهْ ... يُدْخِلُها حتَّى يُوَارِي أَشْجَعَهْ[٦]

---

(١) معجم ما استعجم ٨٠٩/٣ .

(٢) المقاصد النحوية ٧٠/٢ .

(٣) ديوان لبيد بن ربيعة ص٣٤٠ . وفي شرح أبيات المغني للبغدادي ٩/٢ . رواها الشريف في أماليه . انظر ما أورده الشريف في أماليه ١٣٤/١ ففيه تفصيل جيد أيضاً .

(٤) أشطر الرجز للبيد بن ربيعة في ديوانه ص٣٤٣ ؛ وشرح أبيات المغني للبغدادي ١١/٢ .

(٥) الرجز للبيد في أساس البلاغة (لمع) ؛ وتاج العروس (لمع) ؛ ولسان العرب (لمع) .
والملمع : الذي يكون في جسده بقع تخالف سائر لونه .

(٦) الرجز للبيد في تاج العروس (شجع) ؛ ولسان العرب (شجع) . وهو بلا نسبة في المخصص ٦/٢ .
الأشجع : أصول الأصابع التي تتصل بعصب ظاهر الكف .

كـأنّمـا يَطْـلُبُ شَـيئـاً ضَيَّعَـهْ

وسيأتي شرح هذه الأبيات إن شاء اللّه تعالى في رُبَّ من حروف الجرّ[١] .

فرفع النُّعمان يدَهُ وأفّفَ وقال : كُفَّ ويلك يا ربيع ، إني أحسَبك كما ذكر . فقال الرَّبيع : إنَّ الغلام لكاذب . فتركَ النُّعمان مؤاكلته وقال : عُدْ إلى قومكَ . فمضَى الرَّبيع لوقته وتجرَّدَ وأحضرَ من شاهد بدنه وأنه ليسَ فيه سُوء ، ولحق بأهلهِ ، وأرسل إلى النُّعمان بأبيات ، منها[٢] : (البسيط)

لَئِنْ رَحَلْتُ رِكابي لا إلى سَعَةٍ ... ما مِثْلُها سَعَةٌ عَرْضاً ولا طُولا
ولَوْ جَمَعْتَ بني لَخْمٍ بأُسرَتها ... لَمْ يَعْدِلُوا رِيشَةً منْ رِيشِ قَتميلا

– وروى : شمويلا[٣] – فأجابه النُّعمان :

شرّدْ برحْلِكَ عنّي حيثُ شئتَ ولا ... تُكْثـر عليَّ ودَعْ عَنْكَ الأَقَاوِيْلا

الأبيات :

والنُّعمان بن المنذر هو آخر ملوك الحيرة تقدَّمت ترجمته في الشاهد الخامس والخمسين بعد المائة[٤] .

وأمَّا « **الرَّبيع** » فهو الرَّبيع بن زياد العبسيّ ، قال الزَّمخشريّ[٥] « في مستقصَى الأمثال » : « أنجب من بنت الخَرْشَب » هي فاطمة الأنماريَّة ، ولَدت لزياد العبسيّ الكَمَلَةَ : ربيعاً الكامل ، وعُمارَة الوهَّاب ، وقيسَ الحِفاظ ، وأَنس الفوارس .

وقيل لها: أيُّ بنيك أفضلُ ؟ فقالت : « ربيع ، بل عُمارة ، بل قيس ، بل أنَس ، ثكلتهم إنْ كنتُ أعلم أيّهم أفضل ، واللّه إنّهم لكالحلقة المفْرَغَة لا يُدرى أين طرفَاها».

* * *

---

(١) في الشاهد السادس والتسعين بعد السبعمائة .

(٢) البيتان للربيع بن زياد في الأغاني ١٥/٣٦٥-٣٦٦ . والبيت الأول له في لسان العرب (سمل) .

(٣) هي رواية الفاخر ص١٧٣ ؛ واللسان (سمل) .

(٤) الخزانة الجزء الثاني ص٣٩٧ وما بعدها .

(٥) المثل في تمثال الأمثال ١/٣٢٠ ؛ وجمهرة الأمثال ٢/٣٢٥ ؛ والدرة الفاخرة ٢/٤١٠ ؛ والمستقصى ١/٣٨٣ .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التاسع والأربعون بعد المائتين ، وهو من شواهد س[١] : (البسيط)

٢٤٩- أَبَا خُرَاشَةَ أَمَّا أَنْتَ ذَا نَفَرٍ فَإِنَّ قَوْمِيَ لَمْ تَأْكُلْهُمُ الضَّبُعُ

على أن أصل « أما أنت » : لأنْ كنتَ . كما شرحه الشارح المحقق وبيَّنَ مختاره، وسيأتي في الشاهد الذي يليه ذكرُ من وافقه .

وهذا البيت ونحوه اختلفَ في تخريجه أهل البلدين ، قال أبو عليّ في «البغداديّات»[٢] : قال سيبويه : سألته - يعني الخليلَ - عن قوله : أما أنت منطلقاً أنطلقُ معك ، فرفع ، وهو قول أبي عَمرو ، حدّثنا به يونس ، يريد أنَّه رفعَ أنطلقُ و لم يجزمه على أنَّه جزاء . وحكَى أبو عُمر الجَرْميّ[٣] عن الأصمعيّ فيما أظنّ المجازاة بأمّا المفتوحَة الهمزة وزعمَ أنَّه لم يَحكِه غيره . وهذا الذي حكَاه أبو عُمَر يقوّيه الذي ذكرنا وهو :

* أبا خُرَاشَةَ أمَّا أنتَ ذَا نَفَرٍ *

(١) هو الإنشاد الثالث والأربعون في شرح أبيات المغني للبغدادي .

والبيت للعباس بن مرداس في ديوانه ص١٠٦ ؛ والأشباه والنظائر ١١٣/٢ ؛ والاشتقاق ص٣١٣ ؛ والدرر ٩١/٢ ؛ وشرح أبيات المغني للبغدادي ١٧٣/١ ؛ وشرح شذور الذهب ص٢٤٢ ؛ وشرح شواهد الإيضاح ص٤٧٩ ؛ وشرح شواهد المغني ١١٦/١ ، ١٧٩ ؛ وشرح قطر الندى ص١٤٠ . ولجرير في ديوانه ٣٤٩/١ ؛ والخصائص ٣٨١/٢ ؛ وشرح المفصل ٩٩/٢ ، ١٣٢/٨ ؛ والشعر والشعراء ٣٤١/١ ؛ والكتاب ٢٩٣/١ ؛ ولسان العرب (خرش ، ضبع) ؛ والمقاصد النحوية ٥٥/٢ . وهو بلا نسبة في الأزهية ص١٤٧ ؛ وأمالي ابن الحاجب ٤١١/١ ، ٤٤٢ ؛ والإنصاف ٧١/١ ؛ وأوضح المسالك ٢٦٥/١ ؛ وتاج العروس (ما) ؛ وتخليص الشواهد ص٢٦٠ ؛ والجنى الداني ص٥٢٨ ؛ وجواهر الأدب ص١٩٨ ، ٤١٦ ، ٤٢١ ؛ ورصف المباني ص٩٩ ، ١٠١ ؛ وشرح الأشموني ١١٩/١ ؛ وشرح ابن عقيل ص١٤٩ ؛ ولسان العرب (أما) ؛ ومغني اللبيب ٣٥/١ ؛ والمنصف ١١٦/٣ ؛ وهمع الهوامع ٢٣/١ .

(٢) النص بحرفيته في شرح أبيات المغني للبغدادي ١٧٣/١ .

(٣) في طبعة بولاق والنسخة الشنقيطية والطبعة السلفية وشرح أبيات المغني : " أبو عمرو الجرمي " . وهو تصحيف صوابه ما أثبتناه نقلاً عن طبعة هارون ١٣/٤ .

وهو أبو عمر ، صالح بن إسحاق ، أخذ النحو عن الأخفش ويونس بن حبيب ، واللغة عن الأصمعي وأبي عبيدة ، توفي سنة ٢٢٥هـ (إنباه الرواة ٨١/٢ ؛ ومراتب النحويين ص١٢٢) .

لأنه ليسَ في البيت ما يُحمل عليه أن فيتعلّق به ، كما أنها في قولهم أما أنت منطلقاً أنطلق معك متعلق بأنطلق معك .

فإنْ قلتَ : يكون متعلقاً بفعل مضمر يفسّره ما بعده ، فالجواب ما يكون تفسيراً[1] لا يعطف به على المفسَّر ، ألا ترَى أنّك تقول : إنْ زيداً ضربته ، ولا يجوز، إنْ زيداً فضربته ، فإذا لم يجز ، كانت الفاء في « فإنّ قومي » جوابَ شرط وأنت مرتفع بفعل مضمر .

فإن قلت : قد تزاد الفاء كما حكَى أبو الحسن : « أخوكَ فوجد » ، فاحملْها في البيت على هذا ليصحَّ إضمار الفعل المفسَّر ، وفي حملِ البيت عليه تقويةٌ لما ذهب إليه سيبويه من أن « أمّا » في البيت إنّما هيَ أنْ الناصبَة ضمَّت إليها ما ، إلاّ أن القول بزيادتها ليس من مذهبي اهـ .

وقال ابن الحاجب في « أماليه » : دخول الفاء هنا في المعنى كدخولها في جواب الشرط ، لأنّ قولك لأنْ كنتَ منطلقاً انطلقتُ ، بمعنى قولك : إنْ كنتَ منطلقاً انطلقتُ ، لأن الأول سببٌ للثاني في المعنى ، فلمّا كان كذلك دخلت دلالةً على السَّببيَّة كما تدخل في جواب الشرط ، فلهذا المعنى جاءت الفاء بعد الشرط المحقّق والتعليل ، وهي لهما جميعاً في المعنى . اهـ .

وقال ابن خلَف : قال عليُّ بن عبد الرَّحمن : عندي فيه وجهٌ آخر ، وهو أن تجعلَ الفاء جواباً لما دلّ عليه حرف النّداء المقدَّر ، من التنبيه والإيقاظ ، كأنّه قال : تنبَّهْ وتَيقَّظ . فإنَّ قومي لم تأكلهم الضَّبع . وفيه نظر .

وقال بعض فضلاء العجم « في شرح أبيات المفصل » : الفاء لتعليل « لم أذلَّ » المقدَّر ، والمعنى : لكونكَ ذا نَفر لم أذلَّ ، فإنّ قومي . كذا في الإقليد .

ويجوز «أن» أن تكون الفاء جزاء الشرط في قوله : أمَّا أنت ، بناءً على مذهب الكوفيِّين : من أنّ أصلَ أنْ في هذا إنْ المكسورة التي للجزاء وأنّها إنّما تفتح إذا دخلَت عليها ما ، ليليها الاسم. ويجيزون أمَّا زيد قائماً أقم معه بفتح الهمزة اهـ .

وقال عليّ بن عبد الرَّحمن : وفي البيت عندي حذف يقوم من بقّيته الدَّلالة

---

(١) في النسخة الشنقيطية والطبعة السلفية وشرح أبيات المغني للبغدادي : " فالجواب ما يكون تفسيراً لا يعطف به على المفسر " .

عليه، وهو بَطِرْتَ أو بغَيْتَ أو فخَرْتَ ، وبه يتعلّق الجارّ ، ثمّ استأنفَ فقال : إنْ قومي الخ .

وقوله : «أبا خُراشة» بضم الخاء [المعجمة] منادى بحذف حرف النّداء المقدَّر[١].

وأبو خراشة كنيةٌ ، واسمه خُفاف بن نَدْبة بضمّ الخاء [المعجمة] وتخفيف الفاء . ونَدْبة بفتح النون وسكون الدال بعدها موحّدة ، وهي اسم أمِّه اشتهر بها .

و« **خُفاف** »[٢] صحابيّ شهدَ فتح مكّة مع النّبي صلّى اللّه عليه وسلم ومعه لواء بني سُليم ، وشهد حنيناً والطائف أيضاً ، وهو ممن ثبتَ على إسلامِهِ في الرِّدَّة ، وهو أحد فرسان قيس وشعرائها . وكان أسودَ حالكاً ، وهو أحد أغربة العرب الثلاثة[٣] ، وهو ابن عمّ الخنساء الصَّحابيَّة الشَّاعرة ، وتأتي له ترجمة أبسطُ ممّا هنا في محله إن شاء اللّه تعالى[٤] .

و« أنت » اسم لكان المحذوفة ، و« ذا نفَر » خبرها . وعند ابن جنّي هما معمولان لما الواقعَة عوضاً من الفعل[٥] ، ومُصلحَةً للّفظ لتزول مباشرةُ « أنْ » الاسم وهذه عبارته « في الخصائص »[٦] : فإن قلت : بم ارتفع وانتصب : أنت منطلقاً ؟ قيل بما ، لأنّها عاقبَت الفعلَ الرافعَ النّاصبَ ، فعملَت عملَه من الرفع والنّصب ؛ وهذه طَريقَة أبي عليّ وحِلَّة[٧] أصحابنا ، من قِبَل أنّ الشيء إذا عاقب الشيءَ وليَ من الأمر

(١) في طبعة بولاق : " بحذف النداء المقدر " . وفي النسخة الشنقيطية تحت كلمة " بحذف " كلمة " حرف " . بخط الناسخ .

(٢) انظر في أخباره وترجمته الأغاني ٧٣/١٨ ؛ والشعر والشعراء ص٢٥٨ ؛ وشرح أبيات المغني ١٧٤/١ .

(٣) اختلف العلماء حول عدد الأغربة وأسمائهم . فهم خمسة عند البغدادي نفسه في الشاهد ٤١١ كما سيأتي لاحقاً ؛ وهم : عنترة بن شداد ، والسليك بن السلكة ، وأبو عمرو بن الحباب ، وخفاف بن ندبة ، وهشام بن عقبة بن أبي معيط . وكذلك فعل صاحب اللسان (غرب) . ويعلق الأستاذ عبد السلام هارون في حاشيته على الخزانة ١٦/٤ : " فلعل صواب ما هنا : الثلاثة عشر . فقد عدّ صاحب اللسان ثمانية أغربة آخرين من الإسلاميين فانظره " .

(٤) في الشاهد ٤١١ ؛ وهو قول خفاف بن ندبة :

فقلتُ له والرمح يأطر متنه تأمل خفافاً إنني أنا ذلكا

(٥) في شرح أبيات المغني ١٧٥/١ : " .. عوضاً عن كان " .

(٦) الخصائص ٣٨١/٢ .

(٧) كذا في الخصائص . أما في شرح أبيات المغني : " وجملة أصحابنا " .

ما كان المحذوف يليه ؛ من ذلك الظرفُ إذا تعلّق بالمحذوف ، فإنّه يتضمَّن الضمير الذي كان فيه ، ويعمل ما كان يعمله[١] : من نصبه الحال والظرف ، وعلى ذلك صار قوله : « فاه إلى فيَّ » من قوله : « كلمته فاه إلى فيَّ » ، ضامناً [للضمير][٢] الذي كان في جاعلاً لمّا عاقبه . اهـ .

قال ابن خلَف : وعلى هذا يُلغَز فيقال : هل تعرف « ما » في كلام العرب رافعةً للاسم وناصبة للخبر ، وليست بالنافية التي يُعملها أهل الحجاز ، بل هي موجبةٌ لا نافية ؟ .

وروى أبو حنيفَة الدِّينَوريّ « في كتاب النبات » وتبعه ابن دُريد في «الجمهرة»[٣] :

* أبَا خُراشَة أما كنت ذَا نَفَرٍ *

وعليها فلا شاهد في البيت ، وما زائدة . وهذه الرواية تؤيِّد قول الكوفيِّين القائلين إنّ « أنْ » المفتوحَة شرطيَّةٌ يجازى بها .

ومن الغرائب ما نقله صاحب « نفحات الأَرَج ، في شرح أبيات الحجج » عن الأصمعيّ أنَّ العرب تجازي بأنت فتقول : ما أنت منطلق أنطلقْ معك . وهذا نادر ولا يعتبر ، فإن المجازاة لا تقع إلاّ على الفعل ، وأمَّا الأسماء فإنَّها لا يصحّ عليها المجازاة. كذا في « شرح أبيات الموشح » .

و« النفر » قال الفرَّاء[٤] : نفرُ الرجل : رهطه ، ويقال لعدَّة من الرِّجال من ثلاثة إلى عشرة ، وهذا هو المشهور . و« الضَّبُع » قال حمزة الأصبهانيّ في « أمثاله » التي على وزن أفعَل عند قوله[٥] : « أفسَد من الضَّبُع » : إنَّها إذا وقعَت في الغنم عاثت[٦] و لم تكتفِ بما يكتفي به الذئب . ومن إفسادهَا وإسرافها فيه استعارت العرب اسمَها للسنة المجدبة ، فقالوا : أكلتنا الضبُع .

---

(١) أي ما كان يعمله المتعلق المحذوف .

(٢) زيادة يقتضيها السياق من الخصائص وشرح أبيات المغني ١/١٧٥ .

(٣) الجمهرة ١/٣٠٢ . برواية : " إما كنت ..." بكسر همزة إما في البيت .

(٤) النص بحرفيته في شرح أبيات المغني ١/١٧٦ .

(٥) المثل في جمهرة الأمثال ٢/١٠٤ ؛ والدرة الفاخرة ١/٣٢٨ ؛ والمستقصى ١/٢٧١ ؛ ومجمع الأمثال ٢/٨٤ .

(٦) عاثت : أفسدت .

وقال ابن الأعرابيّ : ليس يريدون بالضَّبع السنة ، وإنّما هو أنَّ النـاس إذا أجدبـوا ضعفُوا عن الانتصار ، وسقطت قُواهم ، فعاثت فيهم الضباع والذّئاب ، فأكلتْهم[١] ، ومنه قوله :

أبـا خـُراشـــة أمـا أنـت ذا نَفَـر . . . . البيت

أي : إنّ قومي ليسـوا بضعـافٍ تَعيـث فيهـم الضبـاع والذّئـاب[٢] . وإذا اجتمـع الذّئب والضبع في الغنم سلمت الغنم ، ومنه قولهم اللهمَّ ذئباً وضبعـاً ، أي : اجمعهمـا في الغنم ؛ لأنّ كلاًّ منهما يمنع صاحبه اهـ .

وهذا البيت من أبيات للعبَّاس بن مِرْدَاس السُّلَميّ ، لا للهُـذَليّ كمـا زعـمَ بعض شرَّاح أبيات المفصل .

وبعده[٣] :

السّـلمُ تَأْخُـذُ مِنْها مـا رَضِيْـتَ بِـهِ والحَرْبُ يَكْفِيْكَ مِنْ أَنْفَاسِهَا جُرَعُ

وهذا البيت استشهَد بـه البيضـاوي[٤] عنـد قولـه تعـالى[٥] : « ادخلُـوا في السِّلْم كافَّةً» على أنّ السِّلمَ تؤنث كالحرب . قال صـاحـب « الصحـاح » : السـلم الصلح تفتح وتكسر وتذكّر وتؤنث .

وكذلك استشـهدَ بـه ابـن السِّكِّيت «في إصـلاح المنطـق[٦]» قـال التّبريزيّ «في إيضاح الإصلاح» : « الجُرَع » : جمع جُرْعة ، وهي ملء الفم . يخبره أنَّ السـلم هـو

(١) في شرح أبيات المغني : " ومنه قولهم : اللهم ذئباً وضبعاً . أي : اجمعهما في الغنم ، لأن كلاً منهما يمنع صاحبه" .

(٢) في حاشية طبعة هـارون ١٨/٤ : " أما الذئاب فستأكل أحياءهم ، وأما الضباع فتصيب موتاهم . والمراد وقوعهما في القوم متفرقين . أما اجتماعهما فإن معه السلامة للأقوام ، لاشتغال كل واحد منهما بصاحبه ، ومنه قول الشاعر ، كما في اللسان (ضبع) :

تفرقت غنمي يومـاً فقلت لهـا يا رب سلط عليها الذئاب والضبعا "

(٣) البيت للعباس بن مرداس – من قصيدة أخرى في ديوانه – ص١٠٣ ؛ وأساس البلاغة (جرع) ؛ وتاج العروس (أبس) ؛ وشرح أبيات المغني للبغدادي ١٧٤/١ ؛ ولسان العرب (أبس) . وهو بلا نسبة في المخصص ٧٤/١٥ .

(٤) ٢٣٠/١ .

(٥) سورة البقرة : ٢٠٨/٢ .

(٦) إصلاح المنطق ص٣٦١ .

فيها وادع[1] ينال من مطالبه ما يريد ، فإذا جاءت الحرب قطَعْته عن لذّاته وشغلته بنفسه اهـ .

وهذا تحريضٌ على الصلح وتثْبيط عن الحرب . وأراد بأنفاسها أوائلَها ، و«من» في الموضعين[2] ابتدائية .

والعباس بن مرداس صحابيّ أسلم قبل فتح مكة بيسير ، وهو ممن حرَّم الخمر على نفسه في الجاهلية ، وقد تقدَّمت ترجمته في الشاهد السابع عشر من أوائل الكتاب[3].

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الخمسون بعد المائتين[4] : (البسيط)

٢٥٠- إمَّا أقَمْتَ وأمَّا أنْتَ مُرْتَحِلاً
فاللَّهُ يَكْلأُ ما تَأْتِي وما تَذَرُ

على أنه يدل لصحة قول الكوفيين : كونَ « أنْ » المفتوحة الهمزة أداةَ شرط ، مجيءُ الفاء في جوابها مع عطف « أما أنت » على « إما أقمت » بكسر الهمزة .

قد صوَّب ابن هشام أيضاً في « المغني » رأي الكوفيين ، كما صوَّب الشارح المحقّق ، واستدلَّ لهم بعينِ ما استدلَّ به الشارح ، وهذا من توافق الخاطر[5] كما يقال

---

(١) في طبعة بولاق : " رادع " . وهو تصحيف صوابه من شرح أبيات المغني ١/١٧٧ . وكذلك في النسخة الشنقيطية .

(٢) في طبعة بولاق : " وهي في الموضعين ابتدائية " . وهو تصحيف صوابه من الطبعة السلفية نقلاً عن النسخة الشنقيطية . والموضعان : هما منها ، ومن أنفاسها .

(٣) الخزانة الجزء الأول ص١٦١ وما بعدها .

(٤) هو الإنشاد الرابع والأربعون في شرح أبيات المغني للبغدادي .

والبيت بلا نسبة في أمالي ابن الحاجب ١/٤١٠ ، ٤١١ ؛ وشرح أبيات المغني ١/١٧٨ ؛ وشرح شواهد المغني ١/١١٨ ؛ وشرح المفصل ٢/٩٨ ؛ ولسان العرب (أما) ؛ ومغني اللبيب ١/٣٧ .

(٥) في حاشية الطبعة السلفية ٤/١٤ : " حياة ابن هشام ما بين سنتي ٧٠٨ ، ٧٦١ وأكمل الرضي شرح الكافية سنة ٦٨٦ على التحقيق أي قبل مولد ابن هشام . والبغدادي يشير بقوله -: " وهذا من توافق الخواطر "- إلى أن ابن هشام مع تأخره عن الرضي لم يطلع على كتابه (شرح الكافية) . والعلة في ذلك أن هذا الشرح لم ينقل من بلاد العجم إلى الديار المصرية إلا بعد أبي حيان وابن هشام . انظر نص البقاعي في الجزء الأول من الخزانة ص٣٨ ".

« قد يقع الحافر موضع الحافر » . وهذه عبارته :

ويرجح مذهب الكوفيِّين عندي أمور : أحدها توارد إن المفتوحة والمكسورة على المحلّ الواحد والأصل التوافق ، وقرئ بالوجهين في قوله تعالى[1] : « أن تَضِلَّ إحداهما » ، و« ولا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآن قَوْمٍ أنْ صَدُّوكُمْ[2] » ، « أَفَنَضْرِبُ عَنْكُمُ الذِّكْرَ صَفْحاً أن كُنْتُمْ قَوْماً مُسْرِفِين[3] » . ورُوِيَ بالوجهين قوله[4] : (الطويل)

* أتغْضَبُ إنْ أُذْنا قُتَيبةَ حُزَّتا *

الثاني مجيء الفاء بعدها كثيراً كقوله :

أبا خراشة أما أنت ذا نفَر . . . . البيت

الثالث عطفها على أن المكسورة في قوله :

إما أقمت وأما أنت مرتحلا . . . . البيت

الرواية بكسر « إنْ » الأولى وفتح الثانية . فلو كانت المفتوحة مصدريَّة لزم عطف المفرد على الجملة . وتعسَّفَ ابنُ الحاجب في توجيه ذلك فقال : لما كان معنى

(١) سورة البقرة ٢/٢٨٢ .

وفي حاشية طبعة هارون ٤/٢٠ : " وقرأ بكسر الهمزة في " ان " حمزة والأعمش ، والباقون بفتحها . تفسير أبي حيان ٣: ٤٢٢ .

(٢) سورة المائدة : ٥/٢ .

وفي حاشية طبعة هارون ٤/٢٠ : " وقرأ بكسر همزة " ان " أبو عمرو وابن كثير ، والباقون بفتحها . تفسير أبي حيان ٣: ٤٢٢ .

(٣) سورة الزخرف : ٤٣/٥ .

وفي حاشية طبعة هارون ٤/٢٠ : " وقد قرأ نافع والأخوان بكسر الهمزة وقرأ الجمهور " أن " بفتحها ، وزيد بن علي : " إذ كنتم " . تفسير أبي حيان ٦:٨ .

(٤) صدر بيت للفرزدق في ديوانه ص٨٥٥ . وعجزه :

* جهاراً و لم تغضب لقتل ابن حازم *

والبيت هو الإنشاد التاسع والعشرون في شرح أبيات المغني للبغدادي .

والبيت للفرزدق في الأزهية ص٧٣ ؛ والدرر ٤/٥٨ ؛ وشرح أبيات المغني ١/١١٧ ؛ وشرح شواهد المغني ١/٨٦ ؛ والكتاب ٣/١٦١ ؛ ومراتب النحويين ص٣٦ . وهو بلا نسبة في أمالي ابن الحاجب ١/٢١٨ ؛ والجنى الداني ص٢٢٤ ؛ وجواهر الأدب ص٢٠٤ ؛ ومغني اللبيب ١/٢٦ ؛ وهمع الهوامع ٢/١٩ .

قولك إنْ جئتني أكرمتك ، وقولك أكرمك لإتيانكَ إيَّاي واحداً ، صحّ عطف التعليل على الشرط في البيت . وكذلك تقول : إن جئتني وأحسنت إليَّ أكرمتك ، ثم تقول : إن جئتني ولإحسانك إليّ أكرمتك ، وتجعل الجواب لهما اهـ .

وما أظنّ أنَّ العرب فاهت بذلك يوماً . انتهى كلام ابن هشام .

وكلام ابن الحاجب الذي نقله هو في « الإيضاح شرح المفصل » ، وقد اختصر كلامَه ، وهذه عبارته :

وقد روي قوله :

إمَّا أقمتَ وأما أنت مرتحلا . . . . البيت

بكسر الأول وفتح الثاني : أمَّا كسر الأوَّل فلأنَّه شرط فوجب كسره ، ودخول ما عليه كدخولها في قولك : إمَّا تكرمْني أكرمْك . وفتح الثاني واجب لأنَّه مثل قولك: أما أنت منطلقاً . وقد تقدَّم ذكره .

وقوله : « فاللّه يكلأ ما تأتي الخ » فجواب الشرط معلَّل بقوله : أمَّا أنت مرتحلا. وصحَّ أن يكون لهما جميعاً من حيث كان الشرط والعلَّة في معنًى واحد ، ألا ترى أن قولك إن أتيتني أكرمتك بمعنى قولك : أكرمتك ، لأجل إتيانك ؟ فإذا ثبت أنَّ الشرط والتَّعليلَ بمعنى واحدٍ صحَّ أن تعطف أحدَهما على الآخر ، وتجعَل الجواب لهما جميعاً في المعنى ، فصار مثل قولك : إن أكرمتني وأحسنتَ إليَّ ، أكرمتك ، إلاَّ أنَّه وضع موضع أحسنت إليَّ لفظ التعليل ، فصار كأنك قلت : إنْ أكرمتني فلأجل إتيانك ، فأنا أكرمك . وذلك سائغ[1] . هذا كلامه

وقد ناقش الدَّمامينيُّ كلام ابن هشام في الأدلَّة الثلاثة بالتعسّف كما لا يخفى على من تأمله . و« الكلاءة » بالفتح والمدّ : الحفظ ، و« ما » موصُولة والعائد محذوف ، أي : ما تأتيه وما تذره . و« تذر » بمعنى تترك ، وقد أماتوا ماضيه ، ومصدره ، واسمَ فاعله ، واسمَ مفعوله كيدع .

وهذا البيت مع استفاضته في كتب النحو لم أظفر بقائله ولا بتتمته واللّه أعلم به.

* * *

(١) المقطع بحرفيته في شرح أبيات المغني للبغدادي ١/١٨٠ .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الحادي والخمسون بعد المائتين ، وهو من شواهد سيبويه[1] : (الطويل)

٢٥١- ومِنْ عِضَةٍ ما يَنْبُتَنَّ شَكِيْرُها

على أن زيادة « ما » للتأكيد بمنزلة اللام ، ولأجلها جاز تأكيد الفعل بالنون . وسيأتي نقل كلام سيبويه في آخر الشاهد السابع والأربعين بعد التسعمائة[2] في نون التوكيد .

قال الصاغانيّ – تبعاً لصاحب الصحاح وغيره – : الشكير : ما ينبت حول الشجرة من أصلها ، قال :

إذا مَاتَ مِنْهُمْ مَيِّتٌ سُرِقَ ابنُهُ ... ومِنْ عِضَةٍ ما يَنْبُتَنَّ شَكِيرُها

يريد أنَّ الابن يشبه أباه ، فمن رأى هذا ظنّه هذا فكأن الابن مسروق .

وفي فعله يقال : شكِرت الشجرة تَشكَر شَكَراً ، من باب فرح ، أي : خرج منها الشَّكير . وهذا التفسير منقول من « تهذيب الأزهري » .

وأورد الزمخشريّ المصراع الثاني في « أمثاله »[3] وقال : و« العِضَة » بالهاء والتاء جميعاً . و« الشَّكير » : الورَق .

ويروَى : « في عِضَةٍ ما ينبت العود » ، يضرب في مشابهةِ الرجل أباه اهـ .

وكذلك اقتصر ابن هشام في « حواشي التسهيل » عليه ، لكنّه قال : هذا مثلٌ

---

(١) هو الإنشاد السادس والخمسون بعد الخمسمائة في شرح أبيات المغني للبغدادي .

وهو عجز بيت بدون نسبة ؛ وصدره :

* إذا مات منهم ميت سرق ابنه *

والبيت بلا نسبة في أوضح المسالك ١٠٣/٤ ؛ وشرح الأشموني ٤٩٧/٢ ؛ وشرح التصريح ٢٠٥/٢ ؛ وشرح ديوان الحماسة للمرزوقي ص١٦٤٣ ؛ وشرح أبيات المغني ٤٤/٦ ؛ وشرح شواهد المغني ٧٦١/٢ ؛ والكتاب ٥١٧/٣ ؛ ولسان العرب (شكر ، عضه) ؛ ومغني اللبيب ٣٤٠/٢ .

(٢) في جميع طبعات الخزانة : " آخر الشاهد السادس والأربعين ..." . وهو سهو من البغدادي . والصواب بعد آخر الشاهد السابع والأربعين بعد التسعمائة حيث يكرر هذا الشاهد الحادي والخمسون بعد المائتين لمناسبة تأكيد الفعل المستقبل – ينبتن – في غير الشرط .

(٣) المثل في جمهرة الأمثال ٣٣٢/٢ ؛ وفصل المقال ص٢٢٠ ؛ واللسان (عضه) ؛ والمستقصى ٣٨٢/٢ .

لمن أظهرَ خلاف ما أبطن . و« العضة » : شجرة ، و« شكيرها » : شوكها ، وقيل صغار ورقها . يعني أنَّ كبار الورق إنَّما تنبت من صغارها ، أي : ما ظهرَ من الصغار يدلُّ على الكبار اهـ .

وهذا التفسير مبنيّ على قطع النظر عن المصراع الأوَّل .

وقوله : « سُرق ابنه »[1] اختُلف في ضبطه ، فالجمهور على أنَّه بالبناء للمفعول بتقدير سُرق منه ، وضبطَه الخطيب التّبريزيّ بالبناء للفاعل ، على تقدير سَرقَ ابنهُ صورته وشَمائله .

وضبطه بعضهم : « شَرُفَ ابنُه » بالمعجمة والفاء والبناء للمعلوم، من الشرف وهو المجد ، ولا يخفى ركاكته . و« العضة » : واحدة العِضَاه عِضاهة وعِضْهَة بكسر فسكون ، وعِضَة ، بحذف الهاء الأصلية ، كما حذف من الشَّفة اهـ . وعلى هذا فالعضة [في المثل] بالتاء لا بالهاء .

وروى [الأسود] أبو محمد الأعرابيّ هذا البيت في كتاب « السَّلة والسَّرِقة » على ما تقدَّم ، وقال : ومَثَلٌ آخر[2] :

ومِنْ عِضَةٍ ما يَنْبُتَنَّ شَكِيرُها ... قَديماً ويُقْتَطُّ الزِّنَادُ مِنَ الزَّنْدِ

ولم يورد شرَّاح أبيات سيبويه هذا المصراع في شواهده .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثاني والخمسون بعد المائتين ، وهو من شواهد سيبويه[3] : (الرجز)

---

(١) المقطع بكامله في شرح أبيات المغني للبغدادي ٦/٤٥ .

(٢) هي رواية ثانية للشاهد السابق .

(٣) هو الإنشاد الخامس والستون بعد الستمائة في شرح أبيات المغني للبغدادي .

والرجز بلا نسبة في شرح أبيات المغني ٦/٢٨٧ ؛ وشرح المفصل ٤/١٠١ ، ٨/٣٥ ؛ والكتاب ١/٢٦٤ ؛ ولسان العرب (لدن) ؛ ومغني اللبيب ٢/٤٢٢ ؛ والمقاصد النحوية ٢/٥١ ؛ وهمع الهوامع ١/١٢٢ .

وفي حاشية شرح أبيات المغني للبغدادي ٦/٢٨٧ : " قال الأعلم : الشاهد فيه نصب شول على إضمار كان لوقوعها في مثل هذا كثيراً ، والتقدير عنده : من لد أن كانت شولاً .. ويجوز جرّ الشول على تقديرين : أحدهما أن يريد الزمان ، فكأنه قال : من لدن زمان شولها ، أي : ارتفاع لبنها ، ثم يحذف الزمان ويقام الشول مقامه ، –

٢٥٢- مِنْ لَـدُ شَـوْلاً فإلَـى إتْلائِـهـا

على أنّ « كان » قد تحذف بعد « لَدُ » كما هنـا ، والتقدير : من لَدُ كانت شولاً .

قد ذكر الشارح في الظروف أنّ « لَدن » بجميع لغاتها معناها أوّل غاية زمان أو مكان ، وقلّما يفارقها مِنْ ، فإذا أضيفت إلى الجملة تمحَّضت للزمان ، لأنَّ ظروف المكان لا يضاف منها إلى الجملة إلاّ حيث .

ويجوز تصدير الجملة بحرفٍ مصدريّ لما لم يتمحَّض لدن في الأصل للزمان ؛ فنَصب هنا « شولاً » لأنّه أراد بلَدُ الزّمانَ ، ولَدُ إنّما يضاف إلى ما بعده من زمان يتّصل به أو مكان إذا اقترنت به إلى ، والشَّولُ لا يكون زماناً ولا مكاناً ، فلما لم يجز أن يُضاف « لَدُ » إليها نصبَهَا على أنّها خبر لكان المقدَّرة .

و« الشَّوْل » بفتح الشين المعجمة وسكون الواو : اسم جمع شائلة بالناء ، وهي الناقة التي ارتفع لبنها وجفَّ ضرعها وأتى عليها من نتاجها سبعة أشهر وثمانية . واسم كان المقدّرة ضمير النوق في كلامٍ تقدَّم قبله ، وأضمِرت كان هنا لوقوعها في مثله كثيراً ، وحُذفت نون لدن لكثرة الاستعمال .

وقيل « شَولاً » هنا مصدر شالت الناقة بذنَبها ، أي : رفعته للضِّراب ، فهي شائلٍ بغير تاء ، والجمع شُوَّل ، كراكع ورُكّع ، فيكون التقدير : من لدن شالت شَولاً ، فليس فيه حذفُ كان مع اسمها بل هو من باب حذف عامل المصدر المؤكّد . والمصادر تستعمل في معنى الأزمنة ، كجئتك صلاةَ العصر .

قال أبو عليّ : الأشبه أن يكون المصدر في نحو هذا على فَعلان ، فلذلك لم يقوّه سيبويه .

قال ابنِ هشام في « شرح شواهده » : وقد يرجّح كونه من باب حذف عامل المصدر المؤكد ، ورُدَّ[1] بأنه روي من لَدُ شولٍ بالخفض ولا يقال من لَدُ النُّوق فإلى إتلائِها .

- والتقدير الثاني : من لدن كون شولها ووقوعها في إتلائها ، فتحذف الكون وتقيم الشول مقامه . والنون محذوفة من لدن لكثرة الاستعمال " .

(١) كلمة : " وردّ " ساقطة من النسخة الشنقيطية .

ويجاب بأن التقدير من لدن شَوَلان شَوْل أو زمان شَول أو كون شول ، فحذف المضاف . والتقدير الأخير أولَى ليتّحد المعنى في الروايتين ولكن يحتاج على هذا التقدير إلى الخبر، أي : موجودةً . فإنْ قُدّر الكون مصدرَ كان التامَّة ، لم يحتج إلى ذلك ، ولكن لا يقع التوفيق بين الروايتين في التقدير . وقد يرجَّح الثاني برواية الجرْمي « من لَدُ شَوْلاً » بغير تنوين على أنّ أصله شولاء بالمد فقصره للضرورة ، ولكن هذه الرواية تقتضى أن المحدَّث عنه ناقة واحدة .

ومن الغريب أنَّ بعضهم زعم أن انتصاب شولاً بعد لَدُ على التمييز أو التشبيه بالمفعول به ، كانتصاب غدوة بعدها في قولهم لدن غدوةً وأنه لا تقدير في هذا البيت. وهذا مردود باتفاقهم على اختصاص هذا الحكم بغُدْوَة وأنه لم يسمع غُدْوة مع حذف النون من لدن اهـ .

وتقدير الشارح المحقّق كان بدون أنّ المصدرية هو الصَّواب خلافاً لسيبويه فإنّه قال : التقدير من لد أنْ كانت شَولاً .

قال ابن الدهَّان : الحامل له على هذا التقدير أنَّ لدن لا تضاف عنده إلى الجمل ، ورُدَّ هذا الحامل بلزوم أن يقدّر سيبويه أنْ في قوله[1] : (الطويل)

* لَدُنْ شَبَّ حتَّى شابَ سُودُ الذّوائِبِ *

ونحوه ، وهو كثير ، وذلك بعيد .

واختلف في تقدير سيبويه : قال الشاطبيّ في « شرح الألفيَّة » فقيل هو تقديرٌ معنوي لا إعرابيّ ، لأنّ شولاً يصير على ذلك التقدير من صلة أنْ ، والموصول لا يحذف ويبقَى بعض الصلة ، نصَّ عليه سيبويه في باب الاستثناء في قوله[2] : « إلاَّ

(١) هو الإنشاد الثامن والخمسون بعد المائتين في شرح أبيات المغني للبغدادي .

وهو عجز بيت للقطامي في ديوانه ص٤٤ ؛ وصدره :

* صريعُ غوانٍ راقهن ورقنه *

والبيت للقطامي في الدرر ١٣٧/٣ ؛ وسمط اللآلئ ص١٣٢ ؛ وشرح أبيات المغني ٣٩١/٣ ؛ وشرح التصريح ٤٦/٢ ؛ وشرح شواهد المغني ص٤٥٥ ؛ ومعاهد التنصيص ١٨١/١ ؛ والمقاصد النحوية ٤٢٧/٣ . وهو بلا نسبة في الأشباه والنظائر ٤٧/٤ ؛ وأوضح المسالك ١٤٥/٣ ؛ وتخليص الشواهد ص٢٦٣ ؛ وشرح الأشموني ٣١٨/٢ ؛ ومغني اللبيب ص١٥٧ ؛ وهمع الهوامع ٢١٥/١ .

(٢) قطعة من بيت لعمرو بن معديكرب ، أو حضرمي بن عامر . انظر الخزانة الجزء الثالث ص٣٩٠ .

الفرقدان » وإنّما التقدير : من لدُ كانت ، أي : من لد كونها شولاً ، لأن الجملة تقدَّر بالمصدر إذا أضيف إليها الظرف . هذا مأخذ ابن خروف وابن الضَّائع وابن عصفور ، وهو رأي الناظم .

وظاهر السِّيرافيّ وجماعة أنَّه تقديرٌ إعرابيٌّ لأنَّه قدَّرها بأنْ كما قدَّرها سيبويه : من لد أنْ كانت شولاً . قال : والمصادر تستعمل في معنى الأزمنة نحو مقدمَ الحاج ، وخلافة المقتدر ، وصلاةَ العصر . وهذا رأي الشَّلَوبين وابن أبي غالب ، قال ابن مالك : وعندي أن تقدير أنْ مستغنًى عنها كما يستغنَى عنها بعد مُذ اهـ .

وفي القول الثاني نظر ، فإنَّ الإشكَال باقٍ بحالهِ و لم يجيبوا عنه . فتأمّل .

وقوله : « فإلى إتلائها » بكسر الهمزة هو مصدر أتْلَت الناقة إذا تَلاها ولدها أي: تبعها فهي مُتْلِيَة ، والولد تِلْو ، بكسر فسكون ، والأنثى تِلْوة ، والجمع أتلاء بالفتح .

وهذا البيت من الرجز المشطَّر[1] ، وهو من الشواهد الخمسين التي لا يعرف قائلها ولا تتمتها . واللَّه أعلم .

* * *

(١) جعلها الشنقيطي في نسخته : " المشطور " .

باب المنصوب بلا التي لنفي الجنس

أنشد فيه ، وهو الشاهد الثالث والخمسون بعد المائتين[1] : (البسيط)

٢٥٣- أَوْدَى الشَّبَابُ الذي مَجْدٌ عَوَاقِبُهُ فيهِ نَلَذُّ ولا لَذَّاتَ للشَّيْبِ

على أن جمع المؤنث السالم يبنى على الفتح مع لا ، بدون تنوين ، كلذَّاتَ في البيت ، فإنّه مبنيٌّ مع لا على الفتح ، ورواه شرَّاح الألفيَّة بالفتح والكسر ، كما يجوز مثله في الجمع المؤنث السالم المبنيّ مع لا .

وهذا البيت من قصيدة لسَلَامَة بن جَندلٍ السَّعديّ عدَّتها اثنان وثلاثون بيتاً ، وهي مسطورة في المفضَّليَّات أوّلها[2] :

أَوْدَى الشَّبَابُ حَميداً ذُو التَّعاجيبِ أَوْدَى وذلِكَ شَأْوٌ غيْرُ مَطْلُوبِ[3]

وَلَّى حَثِيثاً وهذا الشَّيبُ يَطْلُبُهُ لَوْ كانَ يُدرِكُهُ رَكْضُ اليَعَاقِيبِ[4]

أَوْدَى الشَّبَابُ الذي مجدٌ عَوَاقبهُ . . . . البيت

يومانِ يَومُ مَقَاماتٍ وأَنْدِيَةٍ ويَومُ سَيْرٍ إلى الأعداءِ تأْوِيبِ[5]

(١) البيت لسلامة بن جندل في ديوانه ص٩٣ ؛ وتخليص الشواهد ص٤٠٠ ؛ والدرر ٢٢٤/٢ ؛ وشرح التصريح ٢٣٨/١ ؛ والشعر والشعراء ١٩٣ ؛ والمفضليات ص١٢٠ ؛ والمقاصد النحوية ٣٢٦/٢ . وهو بلا نسبة في أوضح المسالك ٩/٢ ؛ وشرح شذور الذهب ص١١١ ؛ وشرح ابن عقيل ص٢٠١ ؛ وهمع الهوامع ١٤٦/١ .

(٢) هي في ديوانه في واحد وثلاثين بيتاً ؛ وهي في المفضليات في تسعة وثلاثين بيتاً . فلعل البغدادي سهى .

(٣) البيت لسلامة بن جندل في شرح اختيارات المفضل ص٥٦٦ ؛ والشعر والشعراء ص١٩٢ ؛ والمخصص ١٤٧/١٢ .

(٤) البيت لسلامة بن جندل في تاج العروس (عقب ، ركض) ؛ وتهذيب اللغة ٢٧٨/١ ، ٣٩/١٠ ؛ وديوان الأدب ١١٧/٢؛ والشعر والشعراء ص١٩٣ ؛ وشرح اختيارات المفضل ص٥٦٦ ؛ وكتاب العين ١٨١/١ ؛ ولسان العرب (عقب ، ركض) ؛ ومقاييس اللغة ٢٩/٢ ؛ والمخصص ١١٣/١٦ . وهو بلا نسبة في المخصص ١٣٨/٨ .

(٥) البيت لسلامة في سر صناعة الإعراب ص٦٢١ ؛ وشرح اختيارات المفضل ٥٧٠/٢ ؛ ولسان العرب (أوب) ؛ والمقاصد النحوية ٣٢٦/٢ . وهو بلا نسبة في المقتضب ٨٢/٣ .

قوله : « أودَى » ، أي : ذهب واضمحلّ ، و« حميداً » حالٌ من الشباب ، أي: محموداً . وكرّر أوْدَى للتأكيد ، والمراد به التّحسّر والتفجّع لا الإخبَار المجرَّد . قال ابن الأنباريّ : التعاجيب العَجَب ، يقال : إنّه جمع لا واحدَ له .

وروى : « ذو الأعاجيب » جمع أعجوبة ، والمعنى : كان الشباب كثير العجَب، يُعجَب النّاظرينَ إليه ويروقهم . واسم الإشارة لمصدر أودَى . والشّأو مهموز الوسَط: الطَّلَق . يقال : جرَى الفرس شأواً أو شأوين ، أي : طَلَقاً أو طَلَقَين ، ويأتي بمعنى السَّبْق أيضاً ، يقال شأوته ، أي : سبقته . يقول : وذلك الإبداء شأوه سابق قد مضى لا يُدرك ولا يُطلب . وروى بدل أودَى « ولّى » .

وقوله : « ولّى حثيثاً الخ » ، أي : ذهب الشباب وأدبر حثيثاً سريعاً . وجواب لو محذوف ، أي : لطلبته ولكنه لا يُدرك . و« اليعاقيب » جمع يعقوب ، وهو ذكر الحجل وخصّ اليعقوب لسرعته .

قال ابن الأنباريّ : وقال عُمارة : اليعاقيب يعنى به ذوات العَقْب من الخيل . و«العَقْب » أن يجيء جريٌ بعد جري .

وروى أبو عمرو : « ركضَ اليعَاقيب » بالنصب . يقول : لو أدركَ طالب الشباب شبابه بركضٍ كركضِ اليعاقيب لطلبه ، ولكنّ الشباب إذا ولّى لم يُدرَك . ويقال : إن معناه ولّى الشباب حَثيثاً ركض اليعاقيب وهذا الشّيب يتبعه . ويروى : «جريَ اليعاقيب » .

وقوله : « أودَى الشباب . . الخ » قال ابن الأنباريّ : يقول : ذهبَ الشباب الذي إذا تُعقّبت أموره وُجد في عواقبه الخير إمّا بغزو أو رحلة أو وِفادَة إلى ملك . وعواقبه : أواخره .

وقال أحمد : قوله « مجدٌ عواقبه » ، أي : آخرَ الشباب محمود ممجَّد إذا حلَّ الشيب وذُكر الشباب ، فحمد الشباب لذمِّه ، والمجد : كرم الفعل وكثرة العطاء . يقال في مثل[١] : « في كلّ شجرٍ نارٌ ، واستمجد المَرْخُ والعَفار » أي : كثُرت ناراهما. وإنّما يمجُد الرَّجل بفعله ، وإنّما يمكنهُ الفَعال وهو شابٌّ قويٌّ نشيط .

---

(١) المثل في جمهرة الأمثال ١٧٣/١ ، ٩٢/٢ ؛ والحيوان ٤٦٦/٤ ؛ والعقد الفريد ١٠٠/٣ ؛ وفصل المقال ص٢٠٢؛ وكتاب الأمثال ص١٣٦ ؛ وكتاب الأمثال لمجهول ص٨٠ ؛ واللسان (مرخ ، مجد ، عفر) ؛ والمستقصى ١٨٣/٢ ؛ ومجمع الأمثال ٧٤/٢ .

وقوله: « فيه نلَذٌّ » بفتح اللام ، أي : إنَّما تكون اللَّذاذة والطِّيب في الشباب ، والجملة استئنافٌ بيانيّ . و« الشِّيب » بالكسر : جمع أشيب ، وهو الذي ابيضَّت لحيته ، يريد ليس في الشَّيب ما يُنتفع به ، إنَّما فيه الهرَم والعِلَل . وإنَّما جمع اللَّذّة لأنه أراد أنواعَ اللَّذائذ .

وروي أيضاً : « ذاك الشباب الذي مجدٌ عواقبه » . ولم يرو أحدٌ « إنّ الشَّباب» بدل « أودَى » فيما رأينا . وزعم ابن هشام في شرح شواهده أن الرواية بإنّ ، وأن ابن الناظم حرّفه فرواه « أودَى الشَّباب » قال : ولولا « أنّ » لبقي قوله « فيه نلذ » غير مرتبط بشيء . وهذا كما ترى عسفٌ في الرواية وتخطئة للمصيب .

وقوله : « يومان يوم الخ » ، قال ابن الأنباريّ عن الرستَميّ : فسَّر العواقب بقوله : يومان وبما بعده في البيتين فقال : يومٌ في المجالس خطيباً ويومُ سير إلى الأعداء، والكبير يعجز عن هذا . و« المقامة » بالفتح : المجلس ، وروى أبو عمرو بالضم بمعنى الإقامَة . و« الأندية » : الأفنية . والنديّ والنَّادي : المجلس .

قال أحمد : أراد به اللَّهو والتنعُّم . و« تأويب » : صفة سير ، وهو السُّرعة في السير والإمعانُ فيه ، يقال : أوّب الرجل في سفره تأويباً ، إذا أمعن . وقال أحمد : أوَّب : وصل الليل بالنهار مع الإمعان .

وفي هذه القصيدة أبيات من شواهد أدب الكاتب وغيره .

و« **سلامة** »[1] هذا قال يعقوب بن السِّكِّيت : هو سَلامَة بن جندل بن عبد[2] عمرو بن عبيد بن الحارث بن مُقاعس بن عمرو بن كعب بن سعد بن زيد مَناةَ بن تميم ، قال : وكان من فُرسان العرب المعدودين وأشِدّائهم المذكورين اهـ .

وقال ابن قتيبة في « كتاب الشعراء »[3] : « سلامة بن جندل جاهليّ قديم ، وهو من فرسان تميم المعدودين ، وأخوه أحمر بن جندَل من الشعراء والفرسان ، وكان عمرو بن كلثوم أغارَ على حيٍّ من بني سعد [بن زيد مناة][4] فأصابَ فيهم ، وكان

(١) شاعر جاهلي قديم محكم مقلّ ، جعله ابن سلام في الطبقة السابعة من فحول الجاهليين .انظر في ترجمته الشعر والشعراء ص١٩٢ ؛ وطبقات فحول الشعراء ص١٥٥ ؛ والمؤتلف والمختلف ص٤٢ .

(٢) في طبقات فحول الشعراء : " بن جندل بن عبد الرحمن بن عبد عمرو " .

(٣) الشعر والشعراء ص١٩٢ .

(٤) زيادة يقتضيها السياق من الشعر والشعراء ص١٩٢ .

فيمن أصاب الأحمر بن جندل . وكان سلامَة أحدَ نُعَّات الخيل ، وأجود شعره قصيدته التي أوّلها :

أَوْدَى الشَّبابُ حميداً ذُو التَّعاجيبِ أَوْدَى وذلِكَ شَأْوٌ غيرُ مَطلُوبِ»

انتهى .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الرابع والخمسون بعد المائتين[1] : (البسيط)

٢٥٤- لَوْ لَمْ تكُنْ غطَفانٌ لا ذُنُوبَ لهَا
إذن لَلامَ ذَوُو أحسَابِها عُمَرا

على أنّ « لا » هنا زائدة مع أنّ النكرة بعدها مبنيّة معها على الفتح . قال ابن عصفور في « المقرَّب » : أنشد أبو الحسن الأخفش :

لَوْ لَم تكن غَطفَان . . . . البيت

والمعنى لها ذنوب إليّ . وعمل لا الزائدة شاذّ .

وقد تكلّم أبو عليّ الفارسيّ في « المسائل المنثورة » على هذا البيت بكلام فيه قلاقة وهو قوله : يعترض في هذا البيت معترضٌ فيقول : الكلام إيجاب ، ومعناها أنّ لغطفَان ذنوباً ، فكان الكلام إيجاباً ، و« لا » لا تدخل على الإيجاب . فوجه ما قاله أنه لم يردْ هذا ، وإنّما أراد بقوله لا ذنوب لها أنّ الكلام الأوّل قد تمّ وتقضَّى ، فأتى بالجملة الثانية وهي الجحد ، فجعلها خبراً للنكرة حيث كانت جملة .

ومثل ذلك في الجحد قد قالت العرب : كان زيد يقوم أبوه ، فقد جعل يقوم أبوه جملة في موضع الخبر وإن كانَ جحداً فكذلك جاز له أن يجعل[2] النفي في موضع خبر الإيجاب وإن كان إيجاباً. ولا يلزم تأويل من تأوَّل هذا فقال : إن المعنى ذلك لأنه

---

(١) البيت للفرزدق في ديوانه ٢٨٣ ؛ والدرر ٢٢٦/٢ ؛ وشرح التصريح ٢٣٧/١ ؛ وشرح أبيات المغني ٢٢/٥ ؛ والمقاصد النحوية ٣٢٢/٢ . وهو بلا نسبة في أوضح المسالك ٣/٢ ؛ والخصائص ٣٦/٢ ؛ ولسان العرب (غطف)؛ وهمع الهوامع ١٤٧/١ . ورواية الديوان :

* إليّ لامَ ذَوو أحلامِهِمْ عُمَرا *

(٢) في طبعة بولاق : " أن يحصل " . وهو تصحيف صوابه من النسخة الشنقيطية .

وجه من القياس ، وهو ما ذكرنا ، فلا يلزمه التأويل لأن التأويل أيضاً ينساغ على ذلك فيجعل إيجاباً ، لأنّ الإيجاب والنفي جميعاً إخبارٌ ، فلكَ أن تجعل كل واحد خبراً عن الآخر من حيث كان ذلك في الجحد . هذا كلامه .

وهذا البيت من قصيدة للفرزدق هجا بها عُمر بن هبيرَة الفَزاريّ أوّلها[1] :

يا أيُّها النّابِحُ العاوِي لشِقْوتِهِ إليكَ أُخبرْكَ عمَّا تَجْهلُ الخبَرا
لَوْ لَم تكن غَطفَان . . . . البيت

إلى أن قال :

جَهِّزْ فإنّكَ مُمْتارٌ ومُنْتَجِعٌ إلى فَزارَةَ عِيْراً تَحْمِلُ الكَمَرا
إنَّ الفَزاريَّ ما يَشْفِيْهِ من قَرَمٍ أطَايِبُ العَيرِ حتّى يَنْهَشَ الذَّكَرا
إنَّ الفَزاريَّ لَوْ يَعْمَى فيُطْعِمُهُ أَيْرَ الحمَارِ طَبيْبٌ أَبْرأَ البَصَرا

« النابح والعاوي » ، من نبح الكلب وعوى بمعنى صوَّت . و« إليك » اسم فعل وأصل معناه : ضمَّ رحلك وثِقْلك إليك واذهب عني . و« أخبرْك » جزم في جوابه ، والخبر مفعول أخبرك ، و« عمّا » متعلّق بما بعده .

وقوله : « لو لم تكن غطفَان الخ » لا من حيث المعنى زائدة ، وأصل الكلام لو لم تكن ذنوبٌ لغطفَان ، وجملة « لا ذنوب لها » خبر الكون .

و« غطفَان » أبو قبيلة ممنوع من الصرف للعلميّة والزيادة ، وصرفه هنا للضرورة. وهو غطفان بن سعد بن قيس بن عيلان ، وهو الجدّ الأعلَى لفَزارَة ، لأنّ فزارة هو فَزارة بن ذبيان بن بَغيض بن ريث بن غطفَان . وفَزارة اسمه عمرو ، ضربه أخٌ له ففزَرهُ فسمِّي فزارة .

وأراد بالذّنب الإساءة ، أي : لو كانت غطفَان غير مسيئة إليَّ لَلام أشرافُها عمر ابن هبيرة في تعرّضه إليّ ومنعوه عنّي . وعمر عامل من عمّال سليمان بن عبد الملك من بني أميَّة . وقوله : « إذن لَلامَ الخ » جواب لو الشرطيّة ، وكثيراً ما يُصدَّر جوابها بإذن ، واللام للتأكيد ، و« اللّوم » التعنيف .

وروى أيضاً[2] :

---

(١) الأبيات في ديوانه ص٢٨٣-٢٨٤ .

(٢) هي رواية ديوانه ص٢٨٣ .

* إليّ لامَ ذوو أحسَابها عمرًا *

و« ذوو » فاعل لام جمع ذو بمعنى صاحب . و« الأحساب » : جمع حسَب ، وهو ما يُعَدُّ من المآثر ؛ وهو مصدر حَسُب على وزن كرم .

قال ابن السِّكِّيت : الحسب والكرم يكونان في الإنسان وإن لم يكن لآبائه شرَف. ورجل حسيب : كريم بنفسه . قال : وأمّا المجد والشرف فلا يُوصَفُ بهما الشخص إلاّ إذا كان فيهِ وفي آبائه . وقال الأزهريّ : الحسب الشرف الثابت لهُ ولآبائه . و« عمر » مفعول لام والألف للإطلاق .

وقوله : « جهّزْ فإنّك الخ » « الممتَار » : اسم فاعل من امتارَ المِيرَة لنفسه بالكسر ، وهي الطعام . ومارَهم ميراً من باب باع ، إذا أتاهم بالمِيرَة . و« منتجع » بمعنى منتفع ، وأصله من انتجعَ القومُ إذا ذهبوا لطلب الكلأ في موضعه ، وإلى متعلقة بجهِّزْ ، و« عِيراً » مفعول جهِّز ، وهو بكسر المهملة : القافلة ، قالوا : وأصل العِير الإبل التي تحمل المِيرة ثم غلب على كل قافلة : و« الكمَر » بفتح الكاف والميم : جمع كَمرة .

قال صاحب « المصباح » الكمرة الحشَفة وزناً ومعنًى وربَّما أُطلقَت الكمرة على جملَة الذكر مجازاً .

والقَرم بفتحتين مصدر قرِم اللَّحمَ[1] من باب فرح ، إذا اشتدّت شهوته له . و«مِنْ» للتعليل ، و« أطايب » : فاعل يشفيه ، جمع أطيب . و« العَير » بفتح المهملة: الحمار الوحشي . وحتّى بمعنى إلاّ . و« النَّهسُ » مصدر نَهَست اللَّحم من بابي ضرب ونفع ، إذا أخذته بمقدَّم الأسنان ، والمعروف بالسين المهملة ، وروي بالمعجمة أيضاً .

وبنو فزارة يُرمَون بأكلِ أير الحمار ، وبسرقَة الجار ، وبنيك الإبل ، كما قال سالم بن دارة[2] : (الرجز)

إنَّ بَنِي فَزارةَ بنِ ذُبْيَانْ قَدْ غلَبُوا النَّاسَ بأكْلِ الجُرْدَانْ
وسَرِقِ الجَارِ ونيْكِ البُعْرَانْ

(١) في اللسان (قرم) : " يقال قرمت إلى اللحم ، وحكى بعضهم فيه قرمته " .

(٢) الرجز في شرح أبيات المغني ٦/٣٢٠-٣٢١ ؛ وشرح الحماسة للتبريزي ١/٢٠٥ ؛ واللسان (حدب ، أبن) .

و« الجُردَان » بضم الجيم : وعاء قضيب الحمار . وسيأتي إن شاء اللّه شرح هذا مفصَّلاً في باب المثنى[١] .

وترجمة الفرزدق قد تقدَّمت في الشاهد الثلاثين[٢] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الخامس والخمسون بعد المائتين وهو من شواهد س[٣]: (الطويل)

٢٥٥- بَكَتْ جزَعاً واسْتَرْجَعتْ ثُمَّ آذَنَتْ
رَكَائِبُهَا أَنْ لا إلَيْنا رُجُوعُهَا

على أن « لا » يجوز عدم تكريرها مع المفصول عند المبرّد وابن كيسان كما في البيت ، وعند غيرهما شاذّ .

وقد أنشده سيبويه ومن تبعه على عدم تكرير « لا » مع المعرفة ، وهو الوجه .

قال أبو عليّ في « المسائل المنثورة » : إذا كانَ بعد « لا » معرفةٌ ارتفعت المعرفةُ بالابتداء ، وهو قولك : لا أبوك ، فيرتفع بالابتداء ويكون خبره مضمراً وتكون لا جواباً ، كأنّه قال : هل أبي ، فقال : لا أبوك . فنفَى أن يكون أباه .

وأما قول الشاعر : « بكَت جزَعاً واسْتَرجعَتْ » . البيت ، فرفع « رجوعُها » بالابتداء وأضمر الخبر كأنّه قال : موجود أو واقع ، وجعل « إلينا » تبييناً مثل قوله سبحانه[٤] « إنِّي لَكُمَا لمن النَّاصحين » اهـ .

وزعم صدر الأفاضل في « التحبير » ، كما نقله عنه بعض فضلاء العجم في «شرح أبيات المفصَّل » ، وبعضٌ آخر في « شرح أبيات الموشح » ، أنّ « لا » هنا ليست بالنافية للجنس إنّما هي التي تدخل على الفعل المضارع . و« رجوعها »

---

(١) في الشاهد السبعين بعد الخمسمائة .

(٢) الخزانة الجزء الأول ص٢١٨ .

(٣) البيت بلا نسبة في الدرر ٢/٢٣٣ ؛ ورصف المباني ص٢٦١ ؛ وشرح الأشموني ١/١٥٥ ؛ وشرح المفصل ٢/١١٢ ؛ والكتاب ٢/٢٩٨ ؛ والمقتضب ٤/٣٦١ ؛ والمقرب ١/١٨٩ ؛ وهمع الهوامع ١/١٤٨ .

(٤) سورة الأعراف : ٧/٢١ .

مرفوع على أنه فاعل فعل مضمر ، تقديره ألاّ يقع رجوعها . ألا ترى أنّه لو لم تضمر فيه الوقوع لـلزم التنـاقض ، وهـذا لأنَّ الإيـذان يقتضـي ألاّ يكـون الرجـوع في الحـال متحقّقاً كما يقال : هذه العارضة تؤْذن بالاستسقاء ، إذا لم يكن واقعاً ، ولو لم يضمر الفعل فيه لاقتضت لا أن يكون انتفاء الرجوع في الحال متحقّقاً اهـ .

ولا يخفى أن هذا ليـس مـن المواضـع الـتي يُحـذف فيهـا الفعـل ويبقـى الفـاعل . ويندفع ما عدَّه تناقضاً بجعل خبر رجوعها اسم فاعل من الوقوع . فتأمّل .

وقوله : « بكَت جَزعاً » هو مفعول مطلَق نوعيٌّ ، أي : بكَاء جزَع ، ويجوز أن يكون مفعولاً لأجله . وروى : « قضَـت وطـراً واسـترجعت » وفي الاسـترجاع هنـا قولان :

أحدهما : أنّه من الاسـترجاع عنـد المصيبـة[1] وهـو قـول[2] « إنّـا للّـهِ وَإنّـا إليـهِ راجِعُونَ » .

وثانيهما : أنه طلَب الرّجوع من الرَّحيل لكراهة فراق الأحبَّة .

وقوله[3] : « ثم آذنت الخ » ، « ركائبها » فاعل آذنت ، جمـع رَكوبـة ، وهـي الراحلة التي تُركَب . و« آذَنتْ » بمعنى أشعرت وأعلمَت . جعلَ تهيُّؤ الإبل لِلرّكوبِ عليها كأنّه إعلامٌ منها بالفراق . وفي إسناد الإيذان للرّكائب دون الحبيبة أمرٌ لطيف لا يخفَى حسنه . وقـال بعضهـم : فيـه حـذف مضـاف ، أي : أصحـاب ركائبهـا أو حُداتها. وهذا كالثّوب المغسول لا طراوة له ولا رونق .

وقوله : « أنْ لا إلينا الخ » ، « أنْ » هنا مفسِّرة للإيذان ، وهي الواقعَة بعد جملَة فيها معنى القول دون حروفه . وقال شرّاح أبيات المفصَّل إنّما هي المخفّفة من الثقيلة، قالوا : والأصل بأنه ، والضمير للشأن .

والبيت ظاهره إخبارٌ ومعناه : تأسُّف وتحسُّر . وهو من أبيات سيبويه الخمسين التي لايعرف قائلها . واللّه أعلم .

* * *

---

(١) في طبعة بولاق : " أنه استرجاع عند المصيبة " . وقد أثبتنا ما في النسخة الشنقيطية .

(٢) سورة البقرة : ١٥٦/٢ .

(٣) في طبعة بولاق : " وهو قوله " بزيادة " وهو " . وقد أثبتنا ما في النسخة الشنقيطية .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السادس والخمسون بعد المائتين ، وهو من شواهد س[1] : (الطويل)

٢٥٦- وأَنْتَ امْرُؤٌ مِنّا خُلِقْتَ لِغَيرِنا
حَيَاتُكَ لا نفْعٌ ومَوْتُكَ فاجِعُ

على أنّ « لا » يجوز عدم تكريرها مع المنكّر غير المفصول مع إلغائها عند المبرّد وابن كيسان ، وعند غيرهما شاذّ .

قال الأعلم : وسوّغ الإفرادَ هنا أنّ ما بعده يقوم مقام التكرير في المعنى ، لأنّ قوله وموتك فاجع دلَّ على أنَّ حياته لا تضرّ . يقول : هو منّا في النسب إلاّ أن نفعه لغيرِنا ، فحياته لا تنفعنا لعدمِ مشاركته لنا ، وموته يفجُعنا لأنّه أحدنا اهـ .

وقوله : « لا نفعٌ » هو مبتدأ ، وخبره محذوف ، أي : فيها ، والجملة خبر قوله « حياتك » . وأكثر الرواية على إسقاطِ الواو أوَّله على أنه مخروم[2] وهو الصواب ، لأنّه لم يتقدّمه شيء حتى تكون الواو عاطفة .

وهذا البيت نسبه شرَّاح أبيات الكتاب لرجل من بني سَلُول ، ونسبه العسكريّ في « كتاب التّصحيف » والأديب إبراهيمِ الحُصْريّ في « زهر الآداب » للضحَّاك بن هنّام[3] الرقَاشيّ .

---

(١) البيت للضحاك بن همام في الاشتقاق ص٣٥٠ ؛ وشرح أبيات سيبويه ٥٢١/١ ؛ ولأبي الدبية الطائي في حماسة البحتري ص٤٣٩ ؛ ولرجل من سلول في الكتاب ٣٠٥/٢ . وهو بلا نسبة في الأزهية ص١٦٢ ؛ والدرر ٢٣٥/٢؛ وشرح الأشموني ١٥٤/١ ؛ وشرح المفصل ١١٢/٢ ؛ والمقتضب ٣٦٠/٤ ؛ وهمع الهوامع ١٤٨/١ .

(٢) في طبعة بولاق : " مخزوم " بالزاي المعجمة ، وكذلك في النسخة الشنقيطية : " مجزوم " . وصححها الشنقيطي كما أثبتناه .

وفرق بين الخزم والخرم . فالخرم ذهاب أول حركة من الوتد الأول في البيت . وأجاز العلماء أن يقع في مبدأ الجزء الثاني من البيت كما وقع لامرئ القيس في ديوانه رواية السكري :

لقد أنكرتني بعلبك وأهلها ... وابن جريح كان في حمص أنكرا

وأما الخزم بالمعجمة فهو زيادة في أول البيت لا يعتد بها في التقطيع ، من حرف إلى أربعة كقول الشاعر وهو من الهزج :

اشدد حيازيمك للموت ... فإن الموت لاقيكا
ولا تجزع من الموت ... إذا حلّ بواديكا

(٣) في زهر الآداب ٧٠٧/٣ : " الضحاك بن همام " . وهو تصحيف .

وزاد الحصريّ بعده بيتين وهما[١] : (الطويل)

وأنتَ على ما كانَ منْكَ ابنُ حُـرَّةٍ أبيٌّ لـما يَرضَـى بهِ الخَصْمُ مَانــعُ
وفيكَ خِصـالٌ صَالـحَاتٌ يَشِـينُها لدَيكَ جَفَـاءٌ عِنْـدهُ الـوُدُّ ضَـائِعُ

قوله : « وأنت على ما كانَ الخ » ، أي : أنت مع ما كان منك إلينا من سوء المعاملة ، ابنُ حرَّة أبيّ ذو حميَّة ، مانعٌ لما يرضى به الخصم .

قال بعض فضلاء العجم في « شرح أبيات المفصّل » : المقول فيه هذا الشعر هو الحضين[٢] بن المنذر ، وقائله الضحّاك بن هَنّام اهـ .

وضبطَ العسكريّ ابن هَنَّام بفتح الهاء والنون المشدَّدة ، وقد وقعَ في بعض كتب الأدب مصحفاً بهمّام بالميم بدل النون .

وشذّ ياقوت الحمويّ فنسبه في « مختصر جمهرة الأنساب » إلى حنَفَ بن مالك ابن الحارث بن ثعلبَة ، وينتهي نسبه إلى قُضاعَة إحدى قبائل اليمن .

وضبط العسكريّ في « كتاب التصحيف[٣] » المتعلق بعلم الحديث الحضين بن المنذر بقوله :

حُضَين الحاء مضمومة غيرُ معجمة والضاد معجمة مفتوحَة ونون ، هو حُضَين ابن المنذر أبو سَاسَان الرَّقاشيّ ، من سادات ربيعَة ، وكان صاحب راية أمير المؤمنين عليّ يومَ صِفِّين ، وفيه يقول أمير المؤمنين رضيَ اللّه عنه[٤] : (الطويل)

لـمنْ رَايَـةٌ سَـوداءُ يَـخفـقُ ظِـلُّهـا إذا قِـيْـلَ قـدِّمْهـا حُضَـيْنُ تَقَـدَّمـا

ثم ولاّه إصطَخر ، وكان يُبخّل ، وفيه يقول زياد الأعجَم[٥] : (الطويل)

يسُـدُّ حُضَيـنٌ بـابَـهُ خِشْيَةَ القِرى بإصْطخَـر والشّـاةُ السَّمين بدرهـمِ

---

(١) البيتان في زهر الآداب ٣/٧٠٧ بخلاف يسير في الرواية .

(٢) في طبعة بولاق : " الحصين " . بالصاد المهملة ؛ وهو تصحيف صوابه من المؤتلف والمختلف ص١٢٢ ؛ ومن النسخة الشنقيطية .

(٣) كذا في النسخة الشنقيطية . وفي طبعة بولاق : " كتابه التصحيف " .

(٤) البيت لعلي بن أبي طالب في مجموع ديوانه ص١٧٠ ؛ وتاج العروس (قسم) ؛ وزهر الآداب ١/٤٥ ؛ ولسان العرب (غيظ ، حضن ، دمي) .

(٥) البيت لزياد الأعجم في تاج العروس (حضن) . ولم أقع عليه في ديوانه .

وفيه يقول الضحَّاك بن هنَّام[١] : (الطويل)

وأنتَ امْرُؤٌ مِنّا خُلِقْتَ لِغيرِنا   حَيَاتُكَ لا نَفْعٌ ومَوْتُكَ فَاجِعُ

وروى الحديث عن عثمان وعليّ ، وعن مجاشع بن مسعود ، والمهاجر بن قنفذ .

وروى عنه الحسن ؛ وعبد اللّه بن الداناج ، وعبد العزيز بن مَعْمَر ، وعليّ بن سُويد بن مَنجوف .

ولا أعرف من يُسمَّى حُضيناً بالضاد المعجمة غيرَه ، وغير من ينسب إليه من ولده . ومن أولاده : يحيى بن حضين ، وساسَان بن حُضَين ، وعياض بن حُضين . وفي يحيى يقول الفرزدق[٢] : (مجزوء الرمل)

واصْرِفِ الكأسَ عَنْ الفَا   تِرِ يَحْيى بنِ حُضَيْنِ

انتهى ما أورده العسكريّ .

* * *

وأنشد بعده[٣] :

مَن صَدَّ عنْ نيرانهَا   فأنا ابنُ قيس لا بَرَاحُ

على أن « لا » هنا بمعنى ليس ولهذا لم تكرَّر . قال الشارح المحقّق : قد تقدَّم أنه لم يثبت عملُ « لا » عملَ ليس .

وهذا مخالف لقول أبي عليّ في « المسائل المنثورة » إنّ لا في هذا البيت أُريدَ بها ليس والخبر محذوف ، أي : لنا ، وكذلك قوله في الجحيم حين لا مُستصرخ ، أراد لنا اهـ .

وهذا البيت قد تقدَّم الكلام عليه في الشاهد الحادي والثمانين في اسم ما ولا المشبهتين بليس .

* * *

(١) هو الشاهد السابق .

(٢) البيت للفرزدق في لسان العرب (أبى) . ولم أقع عليه في ديوانه .

(٣) هو الشاهد الحادي والثمانون من شواهد الخزانة . وقد سبق في الجزء الأول ص٤٤٥ .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع والخمسون بعد المائتين وهو من أبيات سيبويه[1] : (البسيط)

٢٥٧- تَركْتَني حينَ لا مالٍ أعِيشُ بهِ
وحينَ جُنَّ زَمانُ النَّاسِ أوْ كَلِبَا

على أنّ عدم تكرّر « لا » في مثل هذا شاذ .

وأنشده **س** على إضافة حين إلى المال وإلغاء لا وزيادتها في اللفظ[2] . وهذه عبارة **س** : اعلم أنّ لا قد تكون في بعض المواضع هي والمضاف إليه بمنزلة اسم واحد، وذلك قولهم : أخذتْه بلا ذنب ، وغضبتَ من لا شيء ، وذهبتَ بلا عتاد، والمعنى ذهبت بغير عَتاد . وتقول إذا قلّلتَ الشيء : ما كان إلاّ كلاشيء ، وإنّك ولا شيئاً سَوَاءٌ . ومن هذا النحو قول الشاعر :

تَركتَني حينَ لا مال أعيشُ بهِ . . . . البيت

انتهى

وجوّز أبو عليّ الفارسيّ في « المسائل المنثورة » الحركاتِ الثلاث في مال ، قال: الجرُّ على الإضافة ، والرفع على أن تضيف حين إلى الجمل و« لا » عاملةٌ عملَ ليس، والنصب تجعله كما كان مبنيّاً و« لا » تعمل الإضافة ، كما تقول جئت بخمسة عشر فلا تعمل الباء . انتهى .

و« جُنَّ » بضمّ الجيم من الجنون يقال : أجنّه اللّه بالألف فجُنَّ بالبناء للمفعول فهو مجنون .و« كَلِبا » الكَلَب : مصدر كَلِب كَلَباً فهو كَلِبٌ ، من باب تعب ، وهو داءٌ يشبه الجنون يأخذه فيعقِر الناس . ويقال لمن يعقره كَلِب أيضاً . وكَلَبُ الزمان : شدَّته : وضرَب الجنونَ والكلَب مثلاً لشدَّة الزَّمان .

وهذا البيت [من قصيدةٍ[3]] لأبي الطفيل عامر بن واثلة الصحابيّ ، رثى بها ابنه طُفيلاً .

---

(١) البيت لأبي الطفيل عامر بن واثلة في الأغاني ١٥/١٥٣ ؛ والدرر ٣/١٤٨ ؛ والكتاب ٢/٣٠٣ . وهو بلا نسبة في همع الهوامع ١/٢١٨ .

وفي الطبعة السلفية ضبطت كلمة : " مالٌ " . بالرفع و لم أجد ذلك في المصادر السالفة الذكر .

(٢) كذا في النسخة الشنقيطية . وفي طبعة بولاق : " وإلغاء " لا " لا زيادتها في اللفظ " .

(٣) زيادة يقتضيها السياق .

وهذه أبيات منها[1] :

خلّى طُفَيْلٌ عَليَّ الهمَّ فانْشعَبا ... وهَدَّ ذلكَ رُكْنِي هِدَّةً عَجَبا
وابنَي سُمَيَّةَ لا أنساهُما أبَداً ... فِيمَنْ نَسِيْتُ وكُلٌّ كانَ لي وَصَبا
فامْلكْ عَزاءَكَ إنْ رُزْءٌ نُكِبْتَ بهِ ... فلَنْ يَرُدَّ بُكاءُ المرْءِ ما ذَهَبا
وليْسَ يَشْفِي حَزيناً منْ تذكُّرِهِ ... إلاّ البُكاءُ إذا ما نَاحَ وانْتَحَبا
فإنْ سلكْتَ سَبيلاً كنْتَ سَالكَها ... ولا مَحالَةَ أنْ يأتِي الذي كُتِبَا
فَمَا لفظَتُكَ منْ ريّ ولا شِبَعٍ ... ولا ظَلِلْتُ بباقي العيشِ مرتقبا[2]
فَارقتني حينَ لا مالَ أعيشُ بهِ ... . البيت

روى الأصبهَانيّ بسنده في « الأغاني »[3] أنّ أبا الطُّفيل دُعي إلى مأدبة فغنّت فيها قينَة بهذا الشعر ، فبكَى أبو الطُّفيل حتّى كاد يموت . وفي رواية أخرى : فجعلَ ينشِج ويقول : هاهْ هاهْ طُفيل - ويبكي - حتّى سقط على وجهه ميتاً .

وأرادَ بابنَي سُميَّة عبّاداً وعُبيد اللّه ابنَي زياد بن سُميَّة . و« الوصب » : المرض . و« العزَاء » بالمدّ : الصبر .

وقوله : « فما لفظَتُكَ من رِيّ الخ » ، أي : ما رميتكَ في القبر لأجلِ أكلكَ وشربكَ بخلاً .

و« **أبو الطُّفيل** » هو عامر بن واثلة بن عبد اللّه بن عُمير[4] بن جابر بن حميس ابن جُدَيّ بن سعد بن ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مُضَر بن نزار . وغلبت عليه كنيته . ومولده عامَ أُحُد ، وأدرك من حياة النبيّ صلى اللّه عليه وسلم ثمانيَ سنين ، ومات سنة مائة وهو آخر من مات ممّن رأى النبيّ صلى اللّه عليه وسلم . وقد روي عنه نحو أربعة أحاديث ، وكان محبّاً في علي

(١) الأبيات لأبي الطفيل في الأغاني ١٥/١٥٣ .

(٢) في الأغاني ١٥/١٥٣ روي البيت بكثير من التحريف :

فما لبطنك من ريّ ولا شبع ... ولا ظللت بنا في العيش مرتغبا

(٣) الأغاني ١٥/١٤٧ .

(٤) كذا في الأغاني ؛ وجمهرة أنساب العرب ص١٨٣ . وفي حاشية طبعة هارون ٤/٤١ : " في الأغاني ١٣: ١٠٩؛ والإصابة ٦٧٠ من قسم الكنى : " عمرو " " . و لم أجد ذلك في الأغاني ١٥/١٥٣ (طبعة دار الكتب) . الذي وجدته في نسبه موافق مع طبعة بولاق والنسخة الشنقيطية فلعل المحقق سها عنه .

رضي اللّه عنهما ، وكان من أصحابه في مشاهده وكان ثقةً مأموناً يعترف بفضل الشَّيخين ، إلاّ أنّه كان يقدِّم عليًّا . توفي سنة مائة من الهجرة . ولما قتل علي رضي اللّه عنه انصرفَ إلى مكّة فأقام بها حتّى مات ، وقيل أقام بالكوفة ومات بها ؛ والأوّل أصحّ .

وقد ذكره ابن أبي خيثَمَة في شعراء الصَّحابَة . وكانَ فاضلاً عاقلاً ، حاضر الجواب فصيحاً . وكان يتشيَّع في عليّ ويفضلهُ ، وهو شاعر مُحسن ، وهو القائل[1]: (الطويل)

أيَدعُونَني شَيخاً وقدْ عِشْتُ حِقبَةً وهُنَّ منَ الأزواجِ نحوي نَوَازِعُ
ومَا شَابَ رَأْسي من سِنينَ تَتَابَعَتْ عليَّ ولكنْ شيَّبَتِني الوقائِعُ

هذا ما ذكره صاحب الاستيعاب .

وقال صاحب « الأغاني »[2] : كان أبو الطفيل مع أمير المؤمنين عليّ رضي اللّه عنه؛ وروى عنه . وكان من وجوه شيعته ، وله منه محلٌّ خاص يُستغنَى بشهرته عن ذكره .

ثم خرجَ طالباً بدم الحسين – رضي اللّه عنه – مع المختار [بن أبي عبيد][3] ، وكان معه حتى قتل المختار . ولمّا استقامَ لمعاوية أمرُهُ لم يكن شيءٌ أحبَّ إليه من لقاء أبي الطفيل ، فلم يزل يكاتبه ويُلطِف له حتّى أتاه ؛ فلما قدِم عليه جعلَ يكلّمه ، ودخل عليه عمرو بن العاص ومعه نفر ، فقال لهم معاوية : أما تعرفون هذا ؟ هذا فارس صِفِّينَ وشاعرها ، خليلُ أبي الحسن . ثم أنشد من شعره .

قالوا : نَعَمْ هو أفحش شاعر وألأم جليس ! فقال معاوية : يا أبا الطفيل أتعرفهم؟ قال : ما أعرفهم بخير ، ولا أُبعِدهم من شَرّ ! ثم قال له معاوية : ما بلغ من حبِّك لعليّ ؟ قال : حبُّ أمِّ موسى لموسى ! قال : فما بلغ من بكائك عليه ؟ قال : بكاء العجوز الثّكلَى والشَّيخ الرَّقُوب؛ وإلى اللّه أشكو التقصير ! قال معاوية : لكنّ أصحابي هؤلاء لو كانوا سُئلوا عنّي ما قالوا فيّ ما قلتَ في صاحبك . قالوا : إذاً واللّه ما نقول الباطل ؛ فقال لهم معاوية : لا واللّه ولا الحقَّ تقولون ! .

---

(١) البيتان لأبي الطفيل في الأغاني ١٤٦/١٥ .

(٢) الأغاني ١٤٧/١٥ .

(٣) زيادة يقتضيها السياق من الأغاني .

ولمّا[١] رجعَ محمَّد بن الحنفية من الشام حبسه ابنُ الزّبير في سجن عارم ، فخرج إليه جيش من الكوفة ، عليهم أبو الطفيل ، حتّى أتَوا السجن فكسروه وأخرجوه ؛ وكتب ابنُ الزّبير إلى أخيه مصعب أن يسيِّر نساء كلِّ مَن خرجَ لذلك ، فأخرج مُصعَبٌ مع النساء أمَّ الطفيل امرأةَ أبي الطفيل ، وابناً له صغيراً يقال له يحيى ؛ فقال في ذلك[٢] : (المتقارب)

إنْ يَكُ سَيَّرهَا مُصعَبُ ... فإنّي إلى مُصْعَب مُذنِبُ
أقودُ الكَتيبَةَ مستلئِمًا ... كأنّي أخو عُرَّة أجرَبُ[٣]
عَليَّ دِلاصٌ تخيَّرتُها ... وفي الكَفِّ ذُو رَونَق مِقْضَبُ[٤]
فلَو أنَّ يَحيى بهِ قوةٌ ... فيغزُو مع القَومِ أو يركَبُ !
ولكنَّ يحَيى كفَرخِ العُقَا ... ب في الوَكرِ مستضعَفٌ أزْغَبُ

ولما دخل عبد اللّه بن صفوان على عبد اللّه بن الزُّبير بمكة . قال : أصبحت كما قال الشاعر[٥] :

فإنْ تُصِبْكَ منَ الأيَّامِ جائحَةٌ ... لا أبْكِ منكَ على دنيا ولا دِيْنِ

قال[٦] : وما ذاك يا أعرج ؟ قال :هذا عبد اللّه بن عباس يفقّه الناس ، وعبيد اللّه أخوهُ يُطعم الناس فما بَقيًا لك . فأحفَظَه ذلك فأرسل صاحبَ شرطته عبد اللّه بن مُطيع ، فقال : انطلقْ إلى ابنَيْ عبَّاسٍ فقل لهما : أعَمَدْتما إلى راية تُرابيَّة[٧] قد وضَعَها اللّه فنصبتماها ؟ بدِّدا عنّي جموعكماً ومن ضَوَى[٨] إليكما من ضُلاّل أهلِ العراقِ ،

---

(١) الأغاني ١٥/١٥٠-١٥١ .

(٢) الأبيات لأبي الطفيل في الأغاني ١٥/١٥٠-١٥١ .

(٣) العرة - بالضم - : الجرب .

(٤) الدلاص : الدرع الملساء اللينة . وذو رونق ، أي سيف ذو رونق ؛ ورونق السيف : ماؤه وحسنه وصفاؤه . والمقضب : القاطع .

(٥) البيت في الأغاني لذي الإصبع ١٥/١٥١ . وفي حاشيتي الطبعة السلفية ٤/٣٢ ؛ وطبعة هارون ٤/٤٣ ما يشير إلى نسبة هذا البيت لذي الإصبع العدواني في أمالي القالي والمفضليات . وبالعودة إليهما وجدت قصيدة لذي الإصبع على نفس الروي والوزن لكن لم أعثر على هذا البيت فيهما .

(٦) المقطع في الأغاني ١٥/١٥٢ .

(٧) ترابية : منسوبة إلى أبي تراب ، وهي كنية علي بن أبي طالب .

(٨) ضوى إليه : أوى وانضم .

وإلاَّ فعلتُ وفعلت !! فقال له ابن عبَّاس : قل لابن الزُّبير : يقول لك ابن عبَّاس : ثكِلتكَ أمُّك ، واللّه ما يأتينا من النَّاس إلاَّ رجلان : طالب فِقه ، أو طالبُ فضل ، فأيَّ هذين نمنع ؟ فقال أبو الطفيل عامر بن واثلة(١) : (البسيط)

لا دَرَّ دَرُّ اللَّيالي كيفَ تُضحِكنَا ... منهَا خُطوبٌ أعاجيْبٌ وتُبْكِينا
ومثلُ ما تحدثُ الأيَّامُ منْ غِيَرٍ ... يابنَ الزُّبير عنِ الدُّنيا تُسلِّينا(٢)
كنَّا نَجيءُ ابنَ عبَّاس فيُقبسنَا ... علماً ويُكسبُنَا أجراً ويَهدِينَا
ولا يزَالُ عبيدُ اللّهِ مترَعَةً ... جفانُهُ مطعِماً ضَيفاً ومسكِينا
فالبرُّ والدِّينُ والدُّنيا بدَارِهما ... ننَالُ منْهَا الذي نَبغِي إذا شِيْنَا
إنَّ النَّبي هو النُّور الذي كُشفَتْ ... به عَمَاياتُ باقِينَا ومَاضِينَا
ورهطُهُ عصمَةٌ في دينِنا ولهم ... فضلٌ علَينَا وحَقٌّ وَاجب فِينَا
ولستَ -فاعلَمْه- أولانا بهمْ رِحْماً ... يا ابنَ الزُّبير ولا أولَى بهِ دِينا
ففيمَ تمنعُهمْ منَّا وتَمنَعنَا ... منهمْ وتؤذيهُمْ فِينَا وتؤذِينَا
لَنْ يؤتيَ اللّهُ مَنْ أخزَى ببغضِهمُ ... في الدِّينِ عِزّاً ولا في الأرض تَمكِينَا

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثامن والخمسون بعد المائتين ، وهو من شواهد س(٣) : (الرجز)

٢٥٨- حَنَّتْ قَلوصي حينَ لا حِيْنَ مَحَنْ

على أنّ الشاعر أضاف حينَ الأول إلى الجملة ، كما تقول : حين لا رجلَ في الدار ، أي : حينَ لا حين حنينٌ حاصل .

قال الأعلم : الشاهد فيه نصب حين بلا التبرئة(٤) [وإضافة حين إلى الجملة(٥)]

(١) الأبيات لأبي الطفيل في الأغاني ١٥/١٥٢ .

(٢) في طبعة بولاق : " بابن الزبير " . وهو تصحيف صوابه من الأغاني ١٥/١٥٢ ؛ والنسخة الشنقيطية .

(٣) الرجز بلا نسبة في الكتاب ١/٣٥٨ ؛ والمقتضب ٤/٣٥٨ . ونسبه محقق طبعة هارون إلى العجاج و لم أقع عليه في ديوانه .

(٤) في النسخة الشنقيطية : " نصب حين بالتبرئة " .

(٥) زيادة يقتضيها السياق من شرح الأعلم للكتاب ١/٣٥٨ .

وخبر لا محذوف والتقدير حين لا حين محنٍّ لها ، أي : حنّت في غير وقت الحنين . ولو جررتَ الحين على إلغاء لا جاز . و« القَلوص » : النّاقة الشّابّة بمنزلة الجارية من الأناسيّ . و« حنينُها » : صوتُها شوقاً إلى أصحابها . والمعنى أنّها حنّت إليها على بُعدٍ منها ، ولا سبيل لها إليها . انتهى .

وقدّر ابنُ الشجريّ الخبر لنا ، بالنون[1] ، والصواب ما قبله .

وجوّز أبو علي في « المسائل المنثورة » الحركات الثلاث في حين الثاني : النصب على إعمال لا عمل إنّ ، والرفع على إعمالها عمل ليس ، والجرّ على إلغائها وإضافة حين الأوّل إلى الثاني .

وقال أبو عليّ في « التّذكِرة القصْريّة » لا يقدّر للا هذه في رواية النصب خبر ، فإنه قال عند الكلام على قولهم : ألا ماء بارد : قال المازنيّ : يرفع بارد على أنه خبر ويجوز على قياس قوله ، أن يرتفع لأنّه صفة ماء ويضمر الخبر .

ويجوز نصبه على قوله أيضاً على أنه صفة والخبر مضمر ، ويجوز على قياس سيبويه ومن عدا المازني ألا ماء بارد بلا تنوين ، إلاّ أنّك لا تضمر لها خبراً لأنها مع معمولها الآن بمنزلة اللفظة الواحدَة ، كقولهم : جئت بلا مال وغضبت من لا شيء ، أي : بفتحهما ، فلا يلزمك إضمارُ الخبر في هذه المسألة .

ومثله قوله :

* حنّت قَلوصي حينَ لا حِينَ محنْ *

أضاف حين إليها كما تضيفه إلى المفرد . وقد يحتمل هذا عندي أنْ يكون إضافة إلى جملة والخبر محذوف ، كما يضاف أسماء الزمان إلى الجمل ، وذلك لأنّ حنّت ماض ، فحين بمعنى إذْ ، وهي مما يضاف إلى المبتدأ والخبر . فأما قوله حين لا حين فالثاني غير الأوّل ، لأنّ الحينَ يقع على الكبير واليسير من الزمان[2] ، قال[3] : (الطويل)

---

(١) في حاشية طبعة هارون ٤/٤٥ : " الذي في أمالي ابن الشجري ١: ٢٣٩ : " لها " بالهاء لا بالنون : واللقة تقتضي عزو هذا الخطأ إلى النسخة لا إلى المؤلف " .

(٢) في النسخة الشنقيطية : " يقع على الجزء اليسير من الزمان " .

(٣) عجز بيت للنابغة الذبياني في ديوانه ص٣٤ ؛ وصدره :

* تناذرها الراقون من سوء سمعها *

* تطلّقهُ حِيناً وحِيناً تراجع *

ولا زائدة ، ولا تكون غير زائدة لما في ذلك من النقض . وقالوا في قوله تعالى[١]: « تُؤْتِي أُكلَهَا كُلَّ حِينٍ » : ستّة أشهر ، فيكون على هذا حين حين من إضافة البعض إلى الكلّ نحو : حلْقة فضّة ، وعيد السَّنة ، وسبت الأسبوع ، فلا يكون إضافة الشيء إلى نفسه . ومثله قول الفرزدق[٢] : (الوافر)

ولَوْلا يَومُ يَومٍ ما أردنَا ... جزاءَكَ والقُرُوضُ لَها جَزَاءُ

فيومٌ الأوّلُ وضحُ النّهار ، والثاني البرهَة كالتي في قوله[٣] : « ومَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ» « والأمرُ يَوْمَئِذٍ[٤] للّٰه » .

وأنشد أبو عمرو : (مجزوء الكامل)

حبَّذا العَرْصَاتُ يوْماً ... في لَيالٍ مقْمِرَاتِ[٥]

فقال يوماً في ليال ، أراد المرّة دون العاقب لليل . انتهى .

وهذا البيت من أبيات سيبويه الخمسين التي لا يُعرف قائلها ولا تتمة لها . واللّٰه أعلم بحقيقة الحال .

* * *

- والبيت للنابغة في أساس البلاغة (نذر) (طلق) ؛ وتاج العروس (عدد ، طور ، نذر) ؛ والتنبيه والإيضاح ٢١٢/٢؛ وتهذيب اللغة ٨٩/١ ، ١٦/٢ ، ٢٥٥/٥ ، ٢٩٣/٩ ، ٤٢١/١٤ ، ٢٦١/١٦ ؛ وجمهرة اللغة ص٩٢٢ ؛ وشرح شواهد الإيضاح ص١٢٦ ، ١٥٢ ؛ ولسان العرب (عدد ، طور ، نذر ، طلق ، حين) . وهو بلانسبة في المخصص ١١٣/٨ ، ٦٥/٩ ؛ والمعاني الكبير ص٦٦٣ ؛ ومقاييس اللغة ٤٢١/٣ .

(١) سورة إبراهيم : ٢٥/١٤ .

(٢) البيت للفرزدق في ديوانه ص٩ ؛ والكتاب ٣٠٣/٣ . وهو بلا نسبة في الدرر ٨٣/٣ ؛ وشرح شذور الذهب ص١٠٠ ؛ وهمع الهوامع ١٩٧/١ .

(٣) سورة الأنفال : ١٦/٨ .

(٤) سورة الانفطار : ١٩/٨٢

(٥) البيت بلا نسبة في لسان العرب (قمر) .

وفي حاشية الطبعة السلفية ٣٥/٤ : " فتح عين الكلمة في مثل هذا الجمع لازم ، فإسكان الراء ضرورة شعرية مثلها إسكان الفاء من (زفرات) في قول عروة بن حزام (أمالي القالي ٣: ١٦٠) :

وحملت زفْرات الضحى فأطقتها ... ومالي بزفرات العشي يدان "

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التاسع والخمسون بعد المائتين ، وهو من أبيات سيبويه[1] : (البسيط)

٢٥٩- ما بَالُ جَهْلِكَ بعْدَ الحِلْمِ والدِّين
وقَدْ عَلاكَ مَشيبٌ حينَ لا حِينِ

على أنّ الأَولى أنْ[2] تكون لا فيه زائدة لفظاً ومعنى .

قال سيبويه : إنّما أراد حين حين ، ولا بمنزلة ما إذا ألغيت .

قال الأعلم : وإنّما أضاف الحين إلى الحين لأنّه قدرَ أحدهما[3] بمعنى التوقيت ، فكأنه قال : حين وقت حدوثه ووجوبه ، هذا تفسير سيبويه . ويجوز أن يكون المعنى: ما بالُ جهلك بعد الحلم والدين ، حين لا حين جهلٍ وصِبا ، فتكون لا لغواً في اللفظ دون المعنى انتهى .

و لم يتنبَّه ابنُ الشَّجريّ في « أماليه » لمراد سيبويه بعد نقل عبارته ، ففهم أنَّ لا زائدة لفظاً فقط فقال : حين الأوّل مضاف إلى الثاني ؛ وفصلت لا بين الخافض والمخفوض كفصلهما في جئت بلا شيء ، كأنه قال : حين لا حينِ لهو فيه ولعب ، أو نحو ذلك من الإضمار ، لأنّ المشِيب يمنع من اللهو واللعب . هذا كلامه ، وقد أوردهُ في معرضِ الشرح لكلام سيبويه .

وقد طبّق المفصّل أبو عليّ الفارسيّ في « الحجة » في الكلام على آخر سورة الفاتحة ، قال : لا فيه زائدة ، والتقدير : وقد علاك مشيبٌ حين حين ، وإنّما كانت زائدة لأنّك إن قلتَ : علاكَ مشيبٌ حيناً فقد أثبتّ حيناً علاه فيه المشيب . فلو جعلتَ لا غير زائدة لوجبَ أن تكون نافية على حدِّها في قولهم : جئت بلا مال . فنفيت ما أثبت من حيث كان النفي بلا عاماً منتظماً لجميع الجنس ، فلمّا لم يستقم حملهُ على النفي للتدافع العارض في ذلك ، حكمتَ بزيادتها ، فصار التقدير : حين حين .

(١) البيت مطلع قصيدة لجرير يهجو فيها الفرزدق في ديوانه ص٥٥٧ ؛ والدرر ٨٣/٣ ؛ وشرح أبيات سيبويه ١٣٠/٢ ؛ وشرح أبيات المغني ٨٤/٥ ، ١٢١/٦ ؛ والكتاب ٣٠٥/٢ . وهو بلا نسبة في همع الهوامع ١٩٧/١ .

(٢) في طبعة بولاق والنسخة الشنقيطية : " قد " . وهو تصحيف لا وجه له .

(٣) في حاشية الطبعة السلفية ٣٥/٤ : " في شرح الأعلم " قد رأى أحدهما " والعبارتان مؤداهما واحد وإن كان ما هنا أشبه " .

وهذه الإضافة من باب حلقة فضة : لأنَّ الحين يقع على الزمان القليل كالساعة ونحوها ، يدلّ على ذلك قوله(١) :

* تطلّقهُ حِيناً وحِيناً تُراجع *

ويقع على الزمان الطويل كقوله تعالى(٢) : « هَلْ أَتَى عَلَى الإِنْسَانِ حِيْنٌ مِن الدَّهر » ، وعلى ما هو أقصر من ذلك كقوله تعالى(٣) : « تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ » ، فصار حين حين كقول الآخر(٤) :

وَلَوْلا يَومِ يَومٍ ما أردنَا جَزَاءَك والقُروضُ لَها جَزَاءُ

وليس هذا كقوله :

* حنَّتْ قَلوصي حينَ لا حِينَ مَحَنْ *

لأنَّه في قوله لا حين محن ، نافٍ حِيناً مخصوصاً لا ينتفي بنفيه جميعُ الأحيان ، كما كان ينتفي بالنفي العامِّ جميعها ؛ فلم يلزم أن تكون لا زائدة في هذا البيت كما لزمَ لزيادتها في حين لا حين . فهذا الحرف يدخل في النّكرة على وجهين : أحدهما أن يكون زائداً كما مرّ في بيت جرير ، والآخر أن يكون غير زائد . فإذا لم يكن زائداً كان على ضربين :

أحدهما : أن تكون لا مع الاسم بمنزلة اسم واحد نحو خمسة عشر [و] نحو غضبت من لا شيء فلا مع الاسم المنكور في موضع جرّ بمنزلة خمسة عشر ، ولا ينبغي أن يكون من هذا الباب قوله :

* حنّتْ قَلوصي حينَ لا حِيْنَ محنْ *

لأن حين هنا منصوب نصباً صحيحاً ، لإضافته ، ولا يجوز بناء المضاف مع لا كما جاز بناء المفرد معها ؛ وإنّما حين في البيت مضافة إلى جملة كما أنها في قوله تعالى(٥) : « حينَ لا يَكفُّونَ عَنْ وُجُوهِهِمُ النَّار » ، إلاَّ أنّ الخبر محذوف وخبر لا

---

(١) عجز بيت للنابغة خرجناه في هذا الشاهد .

(٢) سورة الإنسان : ١/٧٦ .

(٣) سورة إبراهيم : ٢٥/١٤ .

(٤) البيت للفرزدق في ديوانه ص٩ .

(٥) سورة الأنبياء : ٣٩/٢١ .

يحذف كثيراً . ونظير هذا في حذف الخبر من الجملة المضافِ إليها ظرفُ الزمان قولهم: كان هذا إذْ ذاك .

و« الآخر » أن لا تعمل في اللفظ ويراد بها معنى النفي ، فتكون صورتها صورة الزيادة ومعنى النفي فيه مع هذا صحيح ، كقول النابغة[١] :(البسيط)

* أمْسَى بِبَلْدةٍ لا عَمٌّ ولا خَالِ *

وقال الشمَّاخ[٢] : (الوافر)

إذا ما أدلَجَتْ وصَفَتْ يداها   لَهَا إدْلاجُ لَيْلَةٍ لا هُجُوعِ

وقال رؤبة[٣] : (الرجز)

* وقَدْ عرفْتُ حِيْنَ لا اعْتِرافِ *

وبيت الكتاب[٤] .

تَركتني حينَ لا مالٍ أعيشُ به (البيت)

وهذا الوجه عكسُ ما جاءَ فيما أنشده أبو الحسن من قول الشاعر[٥] :

لَوْ لَمْ تكُنْ غطفَان لا ذنُوبَ لها   إليَّ لامتْ ذَوُو أحسَابِها عُمَرا

ألا ترَى أنّ لا في المعنى زائدة وقد عمِلت ، وفي قوله : ليلة لا هجوع ، وبابه ، معنى النفي فيه صحيحٌ و لم تعمل انتهى كلام أبي عليّ .

(١) عجز بيت للنابغة الذبياني من مقطوعة يرثي بها أخاه صحارا وهو في ديوانه ص١٨٨ ؛ وتمامه :

* بعد ابن عاتكة الثاوي على أَبَوَي *

والبيت للنابغة في الأشباه والنظائر ١٦٦/٢ ؛ وبغية الوعاة ٨٨/١ ، ٨٩ ؛ وتاج العروس (بوو ، أبى) . وهو بلا نسبة في لسان العرب (لا) .

وعاتكة : هي أم النابغة . وأبوي : موضع أو جبل بالشام .

(٢) البيت للشماخ في ديوانه ٢٢٦ ؛ وأسا البلاغة (وصف) ؛ وتاج العروس (وصف ، لا) ؛ ولسان العرب (وصف، لا) . وهو بلا نسبة في تهذيب اللغة ٤١٨/١٥ .

(٣) الرجز لرؤبة في ديوانه ص١٠٠ ؛ وتاج العروس (لا) ؛ وتهذيب اللغة ٤١٩/١٥ ؛ ولسان العرب (لا) .

(٤) هو الشاهد السابع والخمسون بعد المائتين .

(٥) هو الشاهد الرابع والخمسون بعد المائتين .

وهذا البيت مطلعُ قصيدة لجرير بن الخطفَى هجا بها الفرزدق ، وبعده[1] : (البسيط)

للغَانيَاتِ وِصَالٌ لستُ قَاطِعَهُ ... على مَواعِيْدَ من خُلْفٍ وتَلْوِيْنِ
إنِّي لأرْهَبُ تَصْدِيقَ الوُشَاةِ بنَا ... وأنْ يَقُولَ غَوِيٌّ للنَّوَى بِيْنِي
ماذا يَهِيجُكَ منْ دَارٍ تُباكِرُها ... أروَاحُ مُخْتَرَقٍ هُوجِ الأفانِيْنِ

وجرير قد تقدمت ترجمته في الشاهد الرابع من أول الكتاب[2] والخطاب لنفسه. وقد التزمَ الإتيانَ بالحال بعد ما بالُ ، فجملة « وقد علاك مشيبٌ » حال والظرف الأول متعلق بجهلك ، والثاني متعلق بقوله عَلاَك .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السِّتون بعد المائتين[3] : (الرجز)

٢٦٠- في بِئْرِ لا حُورٍ سَرَى وَما شَعَرْ

على أنّ « لا » فيه زائدة لفظاً ومعنى ، أوّلُ من قال بزيادتها في هذا البيت أبو عبيدة ، وتبعه جماعة منهم ابن دريد في « الجمهرة » قال فيها : ومن أمثالهم[4] : «حُورٌ في محارة » يُضرب للرجل الذي لا يعرف وجه أمره ، وأنشد هذا البيت وقال: لا هنا لغو . ومنهم أبو منصور الأزهريّ في « التهذيب » إلاّ أنّه قال : حُور أصله حُؤُور مهموز ، فخففه الشاعر بحذفِ الهمزة .

ومنهم صاحب « الصحاح » قال فيه : حارَ يحورُ حَوراً وحُؤُوراً : رجع . يقال حارَ بعدما كارَ ، ونعوذ باللّه من الحَوْر بعد الكَوْر ، أي : من النُّقصان بعد الزيادة .

---

(١) الأبيات في ديوانه ص٥٥٧ ؛ والبيتان ١ ، ٣ في شرح أبيات المغني ٨٤/٥ .

(٢) الخزانة الجزء الأول ص٩٠ .

(٣) الرجز للعجاج في ديوانه ٢٠/١ ؛ والأزهية ص١٥٤ ؛ والأشباه والنظائر ١٦٤/٢ ؛ وتاج العروس (حور ، لا)؛ وتهذيب اللغة ٢٨٨/٥ ، ٤١٨/١٥ ؛ وشرح المفصل ١٣٦/٨ ؛ ولسان العرب (حور) . وهو بلا نسبة في جمهرة اللغة ص٥٢٥ ؛ والخصائص ٤٧٧/٢ ؛ ومجمل اللغة ١٢٠/٢ .

(٤) المثل في جمهرة الأمثال ٣٤٧/١ ؛ وجمهرة اللغة ص٥٢٥ ؛ وزهر الأكم ١٤٤/٢ ؛ وفصل المقال ص١٧٥ ؛ وكتاب الأمثال ص١١٨ ؛ وكتاب الأمثال لمجهول ص٥٨ ؛ ولسان العرب (حور) ؛ والمستقصى ٦٨/٢ ؛ ومجمع الميداني ١٩٥/١ .

وكذلك الحُور بالضم .

وفي المثل : « حُورٌ في مَحارةٍ » أي : نقصان في نقصان ، يضرب للرجل إذا كان أمره يُدْبر . و« الحُور » أيضاً : الاسم من قولك طحنت الطَّاحنةُ فما أحارَت شيئاً ، أي : ما ردَّت شيئاً من الدَّقيق . والحُور أيضاً : الهلَكة .

قال الرَّاجز :

* في بئْر لا حُورٍ سَرَى وما شَعَرْ *

ولا زائدة .

ومنهم صاحب « العباب » ونقل كلام الصحاح برمَّته وزاد في المثل قولهم : «حُور في مَحارة » ، هذا خلافُ ما روى ابنُ الأعرابيّ أنّه بفتحِ الحاء ، قال ابنُ الأعرابيّ : يقال : فلانٌ حَور في مَحارة هكذا سمعته بفتح الحاء ؛ يضرب مثلاً للشيءِ الذي لا يصلح أو كان صالحاً ففسد .

ومنهم الزّمخشريّ « في تفسيره ، وفي مفصله » قال : لا في سورة القيامة في قوله تعالى[1] : « لا أُقْسِم » زائدة كما زيدت في هذا البيت . ومنهم ابنُ الشجريّ في «أماليه » قال :

ومما زيدت فيهِ قولُ العجَّاج :

* في بئْر لا حُور سَرَى وما شَعَرْ *

معناه في بئر حُورٍ ، أي : في بئر هلاك .

وذهب جماعةٌ إلى أنّ لا هنا نافية لا زائدة أوّلُهم الفرّاء قال في « آخر سورة الفاتحة من تفسيرِه » : إذا كانت غير في معنى سوى لم يجز أن تكرَّ عليها لا ، ألا ترَى أنّه لا يجوز عنديَ سوى عبد اللّه ولا زيد .

وقد قال بعض من لا يعرف العربيّة إنّ معنى غير في الحمد معنى سوى وإنَّ لا صلةٌ في الكلام ، واحتجّ بقول الشاعر:

* في بئر لا حُورٍ سَرَى وما شَعَرْ *

---

(١) سورة القيامة : ١/٧٥ ؛ سورة البلد : ١/٩٠ .

وهذا غير جائز لأن المعنى وقع على ما لا يتبيَّن فيه عمله فهو جَحدٌ محض ، وإنّما يجوز أن تجعل لا صلة إذا اتّصلت بجحد قبلها[1] وأراد في بئر لا حور ، فلا هي الصحيحة في الجحد ، لأنّه أراد في بئر ماء لا يُحير عليه شيئاً ، كأنّك قلتَ إلى غير رشْد توجَّهَ وما درى ، والعرب تقول : طَحنت الطَّاحنةُ فما أحارَت شيئاً ، أي : لم يتبيَّن لها أثرُ عمل . انتهى .

وتبعه ابن الأعرابيّ في نوادره .

ومنهم ابن جنّي قال في « الخصائص » قال ابن الأعرابيّ في قوله :

* في بئرٍ لا حُورٍ سَرَى وما شَعَرْ *

أراد حؤُور ، أي : في بئر لا حؤُور ولا رجوع ، قال : فأسكنت الواو الأولى وحذفت لسكونها وسكون الثانية بعدها .

ورأيت في « شرح شواهد الموشّح والمفصَّل » قال صدر الأفاضل : الحُور هنا : جمع حائر ، من حار إذا هلكَ . ونظيره - على ما حكاهُ الغُورِيّ - قُتْل : جمع قاتل، وبُزْل جمع بازل ، وقُرْح جمع قارح . ويحتمل أن يكون اسم جمع حائر ، أي : هُلّك ، وقيل هي بئر سكنها الجنّ . انتهى .

وهذا البيت من أرجوزة طويلة للعجَّاج ، وهي نحو مائتي بيت مدح بها عُمَر بن عبيد اللّه بن مَعمَر ، وكان عبد الملك بن مروان قد وجّهه لقتال أبي فُديك الحَرَورِيّ فأوقعَ به وبأصحابه ومطلعُها[2] : (الرجز)

قَدْ جَبَرَ الدّينَ الإلهُ فجبَرْ   وعَوَّرَ الرَّحمنُ مَنْ ولّى العَورْ
فالحمدُ للّهِ الذي أعطَى الشَّبَرْ   مواليَ الحقِّ أنِ المَوْلَى شَكَرْ

إلى أن قال :

واخْتَارَ في الدّين الحَرَوريُّ البَطَرْ   في بئْر لا حُورٍ سَرَى وما شَعَرْ

(١) في حاشية طبعة هارون ٥٣/٤ : " بعده في معاني القرآن ١ : ٨ : " مثل قوله :

ما كان يرضى رسول الله دينهم   والطيبان أبو بكر ولا عمر "

(٢) الرجز للعجاج في ديوانه ٢/١ ؛ وأساس البلاغة (حبر) ؛ وتاج العروس (حبر ، وصل ، عور) ؛ وتهذيب اللغة ٦٠/١١ ، ١٧١/٣ ؛ وكتاب العين ١١٦/٦ ، ٢٣٧/٢ ؛ ولسان العرب (حبر ، وصل ، عور) . وهو بلا نسبة في جمهرة اللغة ص٢٦٥ ؛ وديوان الأدب ١٠٧/٢ ؛ ومقاييس اللغة ٥٠١/١ ، ١٨٦/٤ .

بإفْكــهِ حتّى رأى الصُّبْحَ جَشَـرْ

« الجبْر » : أن تغنيَ الرجل من فقره ، أو تصلح عَظمه من كسر ، يقال : جَبَر العظمَ جبرا ، وجبرَ العظمُ بنفسه جبُوراً ، أي : انجبرَ ، وقد جمعهما العجَّاج . و«عوَّرَ» بفتح المهملة وتشديد الواو ، أي : أفسد اللّه من ولاّه الفساد . و« الشَّبَرَ »: بفتح الشين المعجمة والموحّدة الخير ، ويُروَى « الحَبر » : بفتح المهملة والموحّدة ، وهو السرور . ومَوَاليَ الخير ، بفتح الميم ، يريد العبيد ، وهو مفعول ثان لأعطَى ؛ وروي مُوالي بضم الميم ، فيكون من صفة اللّه ، ونصبه على المدح . و« المولى » بالفتح : العبد . و« الحَرَوريُّ » ، أراد بِهِ أبا فُديك ، بالتصغير الخارجيّ .

قال في «الصحاح» : وحَرَوراء : اسم قرية يمد ويقصر[1] نسبت إليها الحَروريّة من الخوارج ، كان أوّل مجتمعهم بها وتحكيمهم منها .

وقوله : « بإفكهِ الخ » الباء سببية متعلقة بقوله سرى ، و« الإفْك » الكذب ، مأخوذ من أفكته ، إذا صرفتَه . وكلُّ أمرٍ صُرف عن وجهه فقد أُفِك . و« جَشَر الصُّبح » ، بالجيم والشين المعجمة يجشُر حشوراً إذا انفلقَ وأضاءَ .

وروى :

* حتّى إذا الصُّبحُ جَشَرْ *

وملخّص هذه القصّة كما في « نهاية الأرب في فنون الأدب ، للنُّويريّ » أنّ أبا فُدَيك وهو من الخوارج ، واسمه عبد اللّه بن ثَور بن قيس بن ثعلبَة بن تغلب ، غلب على البحرين في سنة اثنتين وسبعين من الهجرة ، فبعث خالد بن عبد اللّه القَسْريّ أميرُ البصرَة أخاهُ أمية بنَ عبد اللّه في جُندٍ كثيف ، فهزمه أبو فُديك وأخذ جارية له فاتّخذها لنفسه ، فكتب خالد إلى عبد الملك بذلك ، فأمر عبد الملك عُمر بن عُبيد اللّه بن مَعْمر أن ينذُب النّاسَ مع أهل الكوفَة والبصرة ويسير إلى قتالِهِ ، فانتدبَ عشْرة آلافٍ وسار بهم .

وجعل أهلَ الكوفة على الميمنة وعليهم محمّد بن موسى بن طلحَة بن عُبيد اللّه ؛ وأهلَ البصرة على الميسرة وعليهم عمر بن موسى بن عُبيد اللّه بن مَعْمَر – وهو ابن أخي عُمر – وجعلَ خيلهُ في القَلب ، وساروا حتّى انتهوا إلى البحرَين فاصطفّوا

(١) ضبطه ياقوت في معجم البلدان بفتح الراء الأولى . وضبطه صاحب القاموس كجلولاء .

للقتال. فحمل أبو فُديك وأصحابه حملةَ رجل واحدٍ فكشفوا ميسرةَ عمر حتّى أبعدوا إلاّ المغيرةَ بن المهلّب وفرسانَ الناس فإنّهم مالوا إلى صفّ أهل الكوفة بالميمنة ، ثم رجعَ أهلِ الميسرة وقاتلوا واشتدّ قتالهم حتّى دخلوا عسكر الخوارج ، وحمل أهل الميمنة حتى استباحُوا عسكر الخوارج وقتلوا أبا فُديك وحصروا أصحابه ، حتّى نزلوا على الحُكم ، فقتلِ منهم نحو ستّة آلاف وأسر ثمانمائة . ووجدوا جارية أميّة بن عبد اللّه حُبلَى من أبي فُديك وعادوا إلى البصرة ، وذلك في سنة ثلاث وسبعين من الهجرة اهـ .

وبما ذكرنا يطبّق المفصِلُ ويُصابُ المحزّ .

ولّما لم يقف شُرّاح الشواهد على ما مرّ قالوا بالتخمين ورَجموا بالظنون ، منهم بعض فضلاء العجم قال في « شرح أبيات المفصل » وتبعه في «شرح شواهد الموشّح»: قيل يصف فاسقاً أو كافراً .

والمعنى على الأوّل أنّ الفاسق سرَى بأفكِه وأباطيله في بئر المهلكة من المعاصي وما علم لفرطِ غفلتهِ إذا صارَ فيها ، حتّى إذا انفلقَ الصُّبح ، وأضاءَ الحقُّ ، وانكشفَ ظلمات الشّبه ، واطلعَ عِلمَ معايَنة[1] لكنْ لم ينفعه ذلك العلم .

وعلى الثاني : أن الكافر سرى بإفكِه وبُطلانِه في ورطَة الهلاك من كفره وما شعَر بذلك لإعراضه عن الآخرة ، حتّى إذا قامت القيامة علم أنه كان خابطاً في ظلمات الكفر ، ولكنّه لا ينجيه منِ عذاب اللّه . هذا محصول ما قيل فيه ، ولا يبعد أن يكون هذا وصفاً لرجل جريء خوّاض في المهالك سالك في مسالك الجنّ[2] . وهذا ممّا تتمدَّح بهِ العرب ، وأشعارُهم ناطقة بذلك .

ومعنى قوله : بإفكه ، أنه يكذب نفسَه إذا حدّثَها بشيء ولا يصدقها فيه ، ويقول لها : إن الشيء الذي تطلبينه بعيد ، لتزداد جِدًّا في طلبهِ ، ولا تتوانَى فيه ، ولذلك قال لَبيد[3] : (الرمل)

---

(١) في النسخة الشنقيطية : " على معانيه " .

(٢) في حاشية طبعة هارون ٥٦/٤ : " جعلها الشنقيطي في نسخته " في مساكن الجن " .

(٣) البيت للبيد بن ربيعة في ديوانه ص١٨٠ ؛ وتاج العروس (كذب ، خزا) ؛ وجمهرة اللغة ص٥٩٦ ؛ وجمهرة الأمثال ٥١/١ ؛ وفصل المقال ص١٧٣ ؛ وكتاب الأمثال ص١١٦ ؛ وكتاب الأمثال لمجهول ص٢٢ ؛ ولسان العرب (كذب ، خزا) ؛ ومجمع الأمثال ١٣٩/٢ ؛ والمستقصى ٢٨٩/١ .

اكْـذِبِ النَّفْـسَ إذا حـدَّثْتَـهـا ... إنَّ صِدْقَ النَّفْس يُزْري بالأمَـلْ

والمعنى : سارَ ليلاً هـذا الرجلُ ، لجرأتـهِ وجَلادتـه ، في مهـاوي الهلاك أو في المواضع الخالية التي يسكنها الجنّ ، حتّى أضاء الصُّبح وما شعَر به ذلك[1] الـذي ألقَى بيده في المهالك وهو غافل عن ذلك لعدم مبالاته . وهذا المعنى أشبه بمذهب العـرب . هذا كلامه .

وترجمة العجّاج تقدَّمت في الشاهد الحادي والعشرين من أوائل الكتاب[2] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشـاهد الحـادي والستون بعـد المـائتين ، وهـو مـن شـواهد سيبويه[3] : (الرجز)

٢٦١- لا هَيْثَـمَ اللَّيلَـةَ للمَطِـيُّ

على أن « لا » النافية للجنس لا تدخـل علـى العلَـم ، وهـذا مـؤوّل إمّـا بتقديـر مضاف وهو مِثل ، وإمّا بتأويل العلم باسم الجنس . وقد بيَّنهما الشارح المحقّق .

وقد أوردهُ صاحبُ الكشّاف عند قوله تعالى[4] : « فَلَنْ يُقْبَـلَ مِـنْ أَحَدِهِـم مِـلْءُ الأرضِ ذَهَباً » على أنّه على تقدير مثلُ ملء الأرض ، فحذف مثل كما حُذفت من لا هيثم اللّيلة .

قال الفاضل اليمنيّ : وقد اعتُرضَ هذا بوجهين :

أحدهما : التزامُ العرب تجرُّدَ الاسم المستعمل ذلك الاستعمالَ عن الألف واللام ، ولم يجوِّزوا قضية ولا أبا الحسن ، كما جوّزوا ولا أبا حسن ، ولو كانت إضافـة مثـل منويَّة لم يحتج إلى ذلك .

---

(١) في طبعة بولاق : " وما شعر بذلك " . وفي النسخة الشنقيطية : " وما شعر به ذلك " . وهو الوجه الأصح .

(٢) الخزانة الجزء الأول ص١٧٦ .

(٣) الرجز لبعض بني دبير في الدرر ٢١٣/٢ . وهو بلا نسبة في أسرار العربية ص٢٥٠ ؛ والأشباه والنظائر ٨٢/٣، ٩٨/٨ ؛ وتخليص الشواهد ص١٧٩ ؛ ورصف المباني ص٢٦٠ ؛ وسر صناعة الإعراب ٥٩/١ ؛ وشرح الأشموني ١٤٩/١ ؛ وشرح شواهد الإيضاح ص١٠٥ ؛ وشرح المفصل ١٠٢/٢ ، ١٢٣/٤ ؛ والكتاب ٢٩٦/٢ ؛ والمقتضب ٣٦٢/٤ ؛ وهمع الهوامع ١٤٥/١ .

(٤) سورة آل عمران : ٩١/٣ .

والثاني : إخبار العرب عن المستعمَل ذلك الاستعمال بمثل ، كقول الشاعر[١] : (الطويل)

تبكّي على زيدٍ ولا زيدَ مثلُه   بريءٌ منَ الحمَّى سليمُ الجوانِحِ

ولو كانت إضافة مثل منويَّة لكان التقدير : ولا مثل زيد مثله ، وهو فاسد . انتهى .

« أقول » : لا يضر هذا الالتزام فإنّه واردٌ على أحدِ الجائزين ، فإنّ « أل » لِلمح الأصل ، والغالب عدم ذكرها ، مع أنّها علامة لفظيَّة للتعريف . وتعريف العَلميّة وإن كان أقوى منها إلاّ أنّه معنويّ ، فلو وجدت مع « لا » لكان القبح ظاهراً .

ثم رأيت في « تذكرة أبي حيّان » ما نصّه : قال الفرّاء من قال قضيّة ولا أبا حسن لها لا يقول ولا أبا الحسن لها ، بالألف واللام ، لأنّها[٢] تمحّض التعريف في ذا المعنى وتبطل مذهب التنكير . وقال : إنّما أجزنا لا عبدَ اللّهِ لكَ بالنصب ، لأنّه حرف مستعمل ، يقال لكلّ أحد عبدَ اللّه ، ولا نجيز لا عبد الرحمن ولا عبد الرحيم ، لأن استعمال لم يلزم هذين كلزومه الأولَ . وكان الكسائيّ يقيس عبد الرحمن وعبد العزيز على عبد اللّه ، وما لذلك صحّة اهـ .

وأما جعلهُ بتأويل اسم الجنس فقد قال سيبويه : وقالوا قضية ولا أبا حسن لها ، قال الخليل : نجعلهُ نكرة . فقلت : كيفَ يكون هذا وإنّما أرادوا عليّاً عليه السلام ؟ فقال : لأنّه لا يجوز لكَ أن تُعمل لا إلاّ في نكرة ، فإذا جعلت أبا حسن نكرة حسُن لكَ أن تعمل لا ، وعلم المخاطَب أنّه قد دخلَ في هؤلاء المنكورين .

و« هيثم » اسم رجل كان حسَن الحُداء للإبل ، وقيل كان جيّد الرَّعية ، والسياقُ يدلُّ للأوّل كما يظهر . وكذلك قال بعض شرَّاح أبيات المفصَّل : المراد هيثم بن الأشتَر ، وكان مشهوراً بين العرب بحسن الصوت في حدائه الإبلَ وكان أعرف أهلِ زمانهِ بالبَيداء والفلَوات وسَوق الإبل . و« للمَطِيِّ » خبر لا وهو ظرف مستقرّ عامل في اللّيلَة ، وبعده :

* ولا فَتَى مثلُ ابنُ خَيْبَريٍّ *

---

(١) البيت بلا نسبة في تخليص الشواهد ص١٦٦ ، ٤٠٢ ؛ وتذكرة النحاة ص٥٢٩ ، ٥٣٨ ؛ وحاشية يس ٢٣٦/١ ؛ والدرر ٢١٥/٢ ؛ والمقرب ١٨٩/١ ؛ وهمع الهوامع ١٤٥/١ .

(٢) في النسخة الشنقيطية : " لازماً تمحّض " ؛ أو : " لان ما " . هكذا ورد رسمها في الشنقيطية .

قال الصَّاغانيّ في « العباب » : ذِكر مِثل هنا يعيِّن أن يكون ما قبله بتقدير لا مثل هيثم ، وابنُ خيبريّ : قال ابنُ الكلبيّ في « جمهرة نسب عُذرة » : فمن بني ضُبيس جَميل بن عبد اللّه بن مَعْمَر بن الحارث بن خَيبَريّ بن ظَبيان اهـ .

وجميل هذا هو صاحبُ بُثينَة المشهور ، وهو المراد بابن خَيبَريّ : فيكون نسب إلى أحد أجداده . ومدحه بالفتوَّة لأنَّه كان شجيعاً يحمي أدبار المطيّ من الأعداءِ .

وقال بعضهم : المراد بابن خَيبريّ عليّ رضي اللّه عنه ، والإضافة للملابسة . وهذا لا أصل له . وقيل : أراد به مَرْحبا ، وهو الذي بارزه عليٌّ رضي اللّه عنه يوم خيبر فقتله .

وهذا الشاهد[1] من أبيات سيبويه الخمسين التي لم يعيَّن قائلها . وقد أورد هذين البيتين أبو عُبيد في الغريب المصنَّف مع أبيات قبلهما ، وهي[2] : (الرجز)

قَدْ حَشَّها اللّيْلُ بِعَصْلبيِّ ... مُهَاجِرٍ ليسَ بأعرابيِّ
أَرْوَعَ خَرَّاجٍ مِنَ الدَّوِّيِّ ... عمَرَّسٍ كالمَرَسِ المَلويِّ
لا هيثَمَ اللَّيلَةَ للمَطِيِّ ... ولا فتًى مثلُ ابنِ خَيبَريِّ

قال الصاغانيّ في « العباب » : « العَصلبيّ » ، بفتح العين وسكون الصاد المهملتين : الشديد الباقي على المشي والعمل . وأنشدَ الأبياتَ عن الفرّاء في «نوادره» لبعض بني دُبير بضم الدال وفتح الموحدة مصغراً ، وهي قبيلة من بني أسد .

وقال شارح « شواهد الغريب » ابنُ السِّيرافيّ : يقال حشَّ النّار يحُشُّها حشّاً ، إذا بالغَ في إيقَادها وإحمائها . وإنّما يريد أنّ الإبل قد رُميت برجُل عَصْلَبيٍّ يُسرع سَوقها ولا يدعها تَفتُر كما تُحَشُّ النّار . وحَشّ بحاء مهملة وشين معجمة .

ويروَى[3] :

(١) في طبعة بولاق : " وهذا الثاني من ... " . وهو تصحيف صوابه من الطبعة السلفية ٤٣/٤ نقلاً عن النسخة الشنقيطية .

(٢) الرجز بلا نسبة في البيان والتبيين ٣٠٨/٢ ؛ - وساقه ضمن خطبة الحجاج في الكوفة - وتاج العروس (عصلب، حشش) ؛ وتهذيب اللغة ٣٣٥/٣ ، ٣٩٢ ؛ وجمهرة اللغة ص١١٢٦ ؛ وديوان الأدب ٣٣/٢ ؛ والكامل في اللغة ٢٢٤/١ ؛ وكتاب الجيم ٣٢٢/٢ ؛ ولسان العرب (عرب ، عصلب ، حشش) .

(٣) هي رواية البيان والتبيين والكامل في اللغة .

* قد لفّها اللّيل *

أي : الليل جعلَ هذا الرّجل ملتفاً بها . وإنّما نسب الفعلَ إلى اللّيل لأنّ الليل حملهُ على الجدِّ في السير . وجعله مهاجراً ، والمهاجر الذي هاجرَ إلى الأمصار من البادية فأقام بها وصار من أهلها ، ليكون سيره أشدّ . و[خصّ المهاجر] لأنه من أهل المصر الذي يقصده ، فله بالمصر ما يدعوه إلى إسراع السير ؛ ويجوز أن يكون خصّ المهاجر لأنّه أعلم بالأمور من الأعرابيّ وأبصر بما يُحتاج إليه .

و« الأروع » : الحديد الفؤاد . و« الدّوّيّ » : جمع دَوِّيَّة ، يريد أنّه ذو هِداية وبَصر بقطع الفلوات والخروج منها . و« العمرَّس » : الشديد ، بفتح العين والميم وتشديد الراء وبالسين المهملات . و«المَرَس» : الحبل ، واحد الأمراس . و«المَلويّ» : المفتول انتهى كلامه .

و« الدّوّيّ » بتشديد الواو والياء قال في « الصحاح » : الدوّ والدوّيّ : المفازة وكذلك الدوّيّة ، لأنّها مفازة مثلها ، فنسبت إليها ؛ كقولهم دهرٌ دوّار ودوّاريّ . وعُرف بهذا السِّياق أنّه مدحٌ لهيثم في جَودة حُدائه المنشط للإبل في سيرها ، وأنّه لا يقوم أحدٌ مقامه ، ولا يسدّ مسدَّه في حُدائها . وظهر منه أيضاً أن المراد لا مثل هيثم ، لا تأويله باسم الجنس لشهرته في صفة الحداء . فتأمّل .

وزعم بعض فضلاء العجم في « شرح أبيات المفصّل » أنّ هذا الكلام تأسُّف وتحسُّر عليهما . وكأنّه فَهِم أنهما ماتا والشعر مرثيَة فيهما . أو هما غائبان عن المطيّ في تلكَ اللّيلَة .

﴿ تتمة ﴾

قال أبو حيّان في « تذكِرته » : قال الكسائيّ في قول العرب لا أبا حمزَة لك : أبا حمزة نكرة ؛ ولم ينصب حمزة لأنه معرفة . لكنّهم قدّروا أنّه آخر الاسم المنصوب بلا فنصب الآخر ، كما تفتح اللام في لا رجل . وقال : سمعت العرب تقول : لا أبا زَيد لك ، ولا أبا محمد عندك ، فعلّة نصبهم محمدًا وزيداً ، أنّهم جعلوا أبا محمد وأبا زيد اسماً واحداً ، وألزموا آخرَه نصبَ النّكرة . انتهى .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثاني والسِّتُّون بعد المائتين ، وهو من شـواهد س[١]: (الوافر)

٢٦٢- أَرَى الحَاجَـاتِ عنْـدَ أبي خُبَيْبٍ
نُكِـدْنَ ولا أُمَيَّـةَ في البِـلادِ

على أن التقدير إمَّا : ولا أمثال أميّة في البلاد ، وإمَّا : ولا أجواد في البـلاد ، لأنّ بني أُميَّة قد اشتهروا بالجود . فأوّلَ العَلَم باسم الجنس لشهرته بصفة الجود .

وهذا البيت من أبيات لعبد اللّه بن الزَّبير الأسديّ ، قالها في عبد اللّه بن الزُّبير بـن العوّام وكان شديد البخل ، قال الحصريّ في[٢] « زهر الآداب » قال أبو عُبيدة : وفد عبد اللّه بن الزَّبير الأسديّ على عبد اللّه بن الزُّبير بن العَوَّام ، فقال : يا أمير المؤمنين ، إنَّ بيني وبينكَ رَحماً من قبل فلانة الكاهليّة ؛ وهـي عمّتنـا وقـد ولدتكـم[٣] فقـال ابـن الزُّبير: هذا كما وصفت ، وإنْ فكرت[٤] في هذا ، وجدت النّاس كلّهـم يرجعـونَ إلى أب واحد وإلى أمّ واحدة .

فقال : يا أمير المؤمنين ، إنّ نَفَقتي قد ذهبت . قال : مـا كنـت ضمنـتُ لأهلـكَ أنّها تكفيكَ إلى أن ترجعَ إليهم . قال : يا أمير المؤمنين إنّ ناقتي قد نقِبت ودَبِـرت[٥] . قال [له] : أَنجِدْ بها يَبردْ خفُّها ، وارقَعهـا بسِبتٍ واخصفهـا بهُلْـب[٦] ، وسِـرْ عليهـا البَرْدَين ، تصحّ . قال : إنّما جئتك مستحملاً ولم آتـكَ مستوصفاً ، فلعـنَ اللّـه ناقـة حملتني إليك ! قال ابن الزُّبير : إنّ وراكبَها . فخرج وهو يقول[٧] :

---

(١) البيت لعبد الله بن الزبير في ملحـق ديوانه ص١٤٧ ؛ والـدرر ٢١١/٢ ؛ وشرح المفصل ١٠٢/٢ ، ١٠٤ ؛ والكتاب ٢٩٧/٢ ؛ ولفضالة بن شريك في الأغاني ١٦/١ ، ٧١/١٢ ؛ وشرح أبيات سيبويه ٥٦٩/١ . وهـو بـلا نسبة في رصف المباني ص٢٦١ ؛ وشرح الأشموني ١٤٩/١ ؛ وشرح شـذور الذهـب ص٢٧٣ ؛ والمقتضـب ٣٦٢/٤؛ والمقرب ١٨٩/١ .

(٢) زهر الآداب ٥٢٠/٢ .

(٣) في زهر الآداب ٥٢٠/٢ : " هي أختنا ، وقد ولدتكم ، وأنا ابن فلان ؛ ففلانة عمتي " .

(٤) في طبعة بولاق : "نكرت" . وهو تصحيف صوابه من النسخة الشنقيطية ؛ وتاريخ الخلفاء للسيوطي ص٨٣.

(٥) نقبت : رقّ خفها . ودبرت : أصابتها قرحة .

(٦) السبت : الجلد المدبوغ . والهلب : الشعر ، أو شعر الخنزير خاصة .

(٧) الأبيات لفضالة بن شريك في الأغاني ٧١/١٢-٧٢ ؛ ولعبد الله بن الزبير في زهر الآداب ٥٢٠/٢ .

أَرَى الحاجَاتِ عِنْدَ أبي خُبيبٍ نَكِدْنَ ولا أُميَّةَ في البِلادِ
من الأعْيَاصِ أو منْ آلِ حَرْبٍ أَغَرُّ كغُرَّةِ الفَرَسِ الجَوَادِ
ومَالِي حيْنَ أَقْطَعُ ذاتَ عِرْقٍ إلى ابنِ الكَاهليَّةِ مِنْ مَعَادِ
وقلْتُ لِصُحْبتِي : أَدنُوا رِكابي أُفارِقْ بَطْنَ مكّة في سَوادِ[1]

فبلغ شعرهُ هذا عبدَ اللّه بن الزُّبير فقال : لو علمَ أنَّ لي أمَّاً أخسَّ[2] من عمّته الكاهليّة لنسبني إليها . وكان ابن الزُّبير يكنى أبا بكر وأبا خبيب .

قال الصُّوليّ[3] : أخذ المعتصم من محمّد بن عبد الملك الزيات فرسا أشهب[4] كان عنده مكيناً ، و[كان] به ضَنِيناً ؛ فقال [يرثيه] : (الكامل)

قالُوا جَزِعْتَ فقُلْتُ إنَّ مُصِيبَةً [جَلّت] رزيَّتُها وضَاقَ المَذْهَبُ[5]

قال أبو بكر الصُّوليّ : هكذا[6] أنشدنيه ابن المعتز على أنّ« إنّ » بمعنى نعم ؛ وأنشد النَّحويون : (الكامل)

قالُوا كَبِرْتَ فقُلْتُ إنَّ ، ورُبَّما ذَكَرَ الكَبيرُ شَبَابَهُ فَتَطَرَّبا

انتهى كلام الحُصْريّ .

وكذا نقل السّيوطيّ في تاريخ الخلفاء . وهذه الحكاية عن تاريخ ابن عساكر من طريق أبي عُبيدة .

وقوله : « إنّ ناقتي قد نقبت » ، في « الصحاح » : ونقِبَ البعير بالكسر : إذا رقّت أخفافه . ودبر البعير بالكسر وأدبره القَتَبُ ، إذا جرحه ، وهي الدَّبَرة بفتحات . وأنجَدَ ، إذا أخذ في بلاد نجد . وهو من بلاد العرب ، وهو خلافُ الغَوْر وتِهامَة وكلّ ما ارتفع من تهامة إلى أرض العراق فهو نجد . ونجد موصوف بالبرد . و« السِّبت »

(١) في طبعة بولاق والنسخة الشنقيطية : " عن سواد " . وهو تصحيف صوابه من الأغاني وزهر الآداب .

(٢) في الأغاني ١٦/١ : " علم أنها شر أمهاتي فعيرني بها وهي خير عماته " .

(٣) الحديث منقول عن زهر الآداب ٥٢١/٢ .

(٤) في زهر الآداب : " أشهب أحم " .

(٥) كلمة : " جلت " ساقطة من طبعة بولاق والنسخة الشنقيطية ، وما بين معقوفين من زهر الآداب والزيادات من زهر الآداب .

(٦) في طبعة بولاق والنسخة الشنقيطية : " هذا " . وما أثبتناه نقلاً عن زهر الآداب ٥٢١/٢ .

بكسر السين وسكون الموحدة : جلود البقر المدبوغة بالقرَظ تُحذَى منه النِّعالَ السِّبْتيّة. و« الهُلب » ، بضم الهاء : شعَر الخنزير الذي يُخرز بهِ ، الواحد هُلْبة ، وكذلك ما غلظ مِن شعرِ الذنَب وغيره . و« البَرْدان » : العصران ، وكذلك الأبردان وهما الغداة والعشيّ ؛ ويقال ظلاّهما . ومستحمِلاً ، أي : طالباً أن تحملني على دابة.

وأبو خُبيب ، بضم الخاء المعجمة وفتح الموحدة الأولى كنية عبد اللّه بن الزُّبير كني بأكبر أولاده ؛ قال الثّعالبيّ في « لطائف المعارف » : كان له ثلاث كُنًى : أبو خُبيب ، وأبو بكر ، وأبو عبد الرحمن ، وكان إذا هجي كني بأبي خُبيب .

ونكِدن من نَكِد نَكَداً من باب تعب ، فهو نكِد ، إذا تعسّر . ونكِد العيشُ نكَداً، إذا اشتدّ . و« أميَّة » : أبو قبيلَة من قريش ، وهما أميَّتان : الأكبر والأصغر ، ابنا عبد شمس بن عبد مناف أولاد عَلّة ؛ فمن أميّة الكبرى أبو سُفيان بن حرب ، والعنابس ، والأعياص . وأميّة الصغرى هم ثلاثة إخوةٍ لأمٍّ اسمها عبلة يقال لهم العبَلات بالتحريك .

و« الأعياص » بإهمال الأوّل والآخر ، هم من قريش أولاد أميّة ابن عبد شمس الأكبر ؛ وهم أربعة[1] : العاص ، وأبو العاص ، والعِيص ، وأبو العيص. و«ذات عرق» ، بالكسر : ميقات أهل العراق ، وهو من مكّة نحو مرحلتين ، ويقال هو من نجد الحجاز . والصُّحبَة أراد به الأصحاب ، وهو في الأصل مصدر . وأدنُوا بفتح الهمزة : أمر مسند لجماعة الذكور ، من الإدنَاء ، و« رِكابي »: إبلي . وأفارقْ مجزوم في جواب الأمر . وعبد اللّه بن الزَّبير بفتح الزاي وكسر الموحدة ، قد تقدَّمت ترجمته في الشاهد الرابع والعشرين بعد المائة[2] .

وروى الأصبَهانيُّ في « الأغاني »[3] هذه الأبياتَ لعبد اللّه بن فَضالة بن شريك ابن سليمان بن خُويلِد ، وأنهى نسبهُ إلى أسد بن خزيمة بن مُدركة بن إلياس بن مُضَر.

---

(١) في جمهرة أنساب العرب ص٧٨ : " ولد أمية الأكبر بن عبد شمس اثنا عشر ذكراً ، وهم العاصي ؛ وأبو العاصي ؛ والعِيص ؛ وأبو العيص ؛ والعويص ؛ وأبو عمرو ، هؤلاء هم الأعياص أعقبوا كلهم " .

(٢) في جميع أصول الخزانة وطبعاتها : " الثاني والعشرون " . وهو تصحيف صوابه " الرابع والعشرون بعد المائة ". وفي حاشيتي طبعتي السلفية وهارون إشارة إلى هذا التصحيف . انظر في ذلك الخزانة الجزء الثاني ص٢٣٢ .

(٣) الأغاني ١٢/٧١ .

قال : وعبد اللّه بن فَضَالة هو الوافد على ابن الزُّبير ، والقائل له : إنّ ناقتي قد نقبَت . وذكرَ القصّة بعينها ، إلى قوله فقال له ابن الزُّبير : إنّ وراكبَها . فانصرف وهو يقول[١]:

أقولُ لغِلمَتي شُدُّوا رِكابي ... أجاوزْ بطنَ مَرٌّ في سَوَادِ
فَمَالي حينَ أقطعُ ذاتَ عِرْق ... إلى ابنِ الكَاهليَّة من مَعَادِ
سيُبعِدُ بيننا نصُّ المَطَايا ... وتعليقُ الأدَاوى والمزَادِ
وكُلُّ معبَّد قدْ أعلمتهُ ... مناسمُهُنَّ طُلاَّعَ النِّجادِ
أرَى الحَاجاتِ عند أبي خُبيب ... . (البيتين)

ثم قال الأصبَهانيّ : وذكر ابن حبيب أنّ هذا الشعر لأبيه فَضالة مع ابن الزُّبير ، وزاد فيها[٢] :

شكَوتُ إليهِ أنْ نقِبتْ قلُوصي ... فردَّ جَوابَ مَشْدُودِ الصِّفَادِ
يَضِنُّ بنَاقةٍ ويَرومُ مُلكَا ... مُحَالٌ ذَاكُم غيرُ السَّدادِ[٣]
وَليتَ إمَارةً وبخلتَ لمَّا ... وليتَهُمُ بملكٍ مُستفَادِ
فإن وَليتْ أميَّةُ أبدَلوكُم ... بكلِّ سَمَيدَعٍ واري الزِّنادِ
منَ الأعيَاصِ أو مِنْ آلِ حَرْبٍ ... أغرُّ كغرَّةِ الفَرسِ الجَوَادِ
إذا لَمْ ألقَهُمْ بمنًى فإنِّي ... بجوٌ لا يهَشّ له فؤادي[٤]
سيُدْنِيني لهم نصُّ المطَايا ... وتعليقُ الأدَاوَى والمزادِ
وظَهرُ معبَّد قَدْ أعْلمته ... مناسمُهُنَّ طُلاَّعَ النِّجادِ

مع أبيات ثلاثة أخر . قال ابن حبيب : فلمّا ولي عبدُ الملك بعث إلى فضالة يطلُبه، فوجده قد مات ، فأمر لورثته بمائة ناقة تحمَّل أوقارها بُرًّا وتمراً .

قال : والكاهليَّة التي ذكرها هي بنت جبيرة من بني كاهل بن أسد ، وهي أم

---

(١) الأبيات في الأغاني ٧١/١٢ .

(٢) الأبيات وخبرها في الأغاني ٧٧/١٢-٧٨ .

(٣) في النسخة الشنقيطية : " فضن " . وما في طبعة بولاق يطابق رواية الأغاني .

(٤) في طبعة بولاق والنسخة الشنقيطية : " إذا لم ألقهم عني " . ولقد صححها الشنقيطي بما يوافق ما أثبتناه نقلاً عن الأغاني .

خويلد بن أسد بن عبد العزّى . هذا ما أورده الأصبَهانيّ .

وزعم بعض فضلاء العجم في « شرح أبيات المفصَّل » أنّ الكاهليّة هي أم عبد اللّه بن الزُّبير ، وهذا لا أَصل له . وزعم أيضاً أن ابن الزِّبير صاحب هذه الأبيات اسمه عبد اللّه بن فَضالة ، ونقله عن صدر الأفاضل .

وقوله : « أقول لغِلمتي » ، هو بكسر المعجمة : جمع غُلام . و« بطن مَرّ » ، بفتح الميم : موضع بقرب مكّة شرَّفها اللّه . وقوله : « في سواد » ، أي : في ظلام اللّيل . و« نصُّ المطَايا » : مصدر مضاف إلى مفعوله ، من نَصصت الدَّابَّةَ : استحثثتها واستخرجتُ ما عندها من السَّير . و« الأداوَى » بفتح الواو : جمع إداوة بالكسر ، وهي المِطْهرة . و« المَزاد » بالفتح : جمع مَزَادة ، وهي شَطر الرّاوية ، والقياس كسر الميم لأنّها آلة يستقَى فيها ، وهي مَفْعَلة من الزّاد لأنّه يتزوَّد فيها الماء . والطريق المعبَّد، من التّعبيد ، وهو التذليل .

و« المناسم » : جمع مَنسِم كمجلس : طرَف خفّ الإبل . و« طُلاَّع » حال من ضمير المطايا جمع طالعة . و« النِّجاد » ، بكسر النون بعدها جيم : جمع نجد ، ككلب وكلاب ، وهو ما ارتفع من الأرض . و« الصِّفاد » بكسر الصاد : ما يوثَق به الأسير من قِدٍّ وقَيد وغُلّ ، أي : أجابني بجوابِ عاجز مقيَّد لا يقدر على شيء . و« السَّميدع » ، بفتح السين : السيّد الذي يَسهُل الوصول إليه. و« جوّ » ، بفتح الجيم وتشديد الواو : اسم موضع .

و« **فَضالة بن شُريك** »[1] الأسدي بفتح الفاء ، أورده ابن حجر في « الإصابة » من المخضرمين الذين أدركوا النبيَّ صلّى اللّه عليه وسلم و لم يُعلَم اجتماعهم به .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثالث والستون بعد المائتين ، وهو من شواهد سيبويه[2] : (الطويل)

---

(١) شاعر جاهلي مخضرم ، أدرك الإسلام ؛ كوفي المنشأ وشعره حجة . انظر في أخباره وترجمته في الأغاني ٧١/١٢ ؛ والإصابة ٧٠٢١ ؛ ولسان العرب (فضل) ؛ ومعجم الشعراء ص٣٠٨ .

(٢) البيت لرجل من عبد مناة بن كنانة في تخليص الشواهد ص٤١٣ ، ٤١٤ ؛ وشرح التصريح ٢٤٣/١ ؛ وشرح شواهد الإيضاح ص٢٠٧ ؛ والمقاصد النحوية ٣٥٥/٢ ؛ وله أو للفرزدق في الدرر ١٧٢/٦ . وهو بلا نسبة في أمالي ابن الحاجب ٤١٩/١ ، ٥٩٣/٢ ، ٨٤٧ ؛ وأوضح المسالك ٢٢/٢ ؛ وجواهر الأدب ص٢٤١ ؛ وشرح =

٢٦٣- فَلا أبَ وابناً مِثْلُ مروانَ وابنِهِ

هذا صدرٌ وعجزه :

* إذا هُو بالـمَجْدِ ارتدَى وتأزَّرا *

على أنّه عطف الابنَ بالنصب على لفظ اسم لا المبني ، ويجوز رفع المعطوف باعتبار محلّ لا واسمها ، فإنّهما في محلّ رفع على الابتداء . وإنّما جاز الرفع لأنّ لا إذا لم تتكرَّر في المعطوف وجبَ فتح الأوّل وجاز في الثاني النصب والرفع .

قال أبو عليّ في « المسائل البصْرية » : « مِثل » يحتمل أن يكون صفة وأن يكون خبراً . فإن جعلته صفةً احتمل أمرين : يجوز أن تنصبه على اللفظ ، لأنّ اللفظ منصوب فتحمله عليه ، وإن حملته على الموضع هنا كان أقبح منه في غير هذا الموضع؛ وذاك أنّك لما عطفتَ بالنصب فقد أنبأت أنّه منصوب ، فإذا رفعته بعد ذلك كان قبيحاً ، لأنّك كأنّك حكمتَ برفعه بعد ما حكمتَ بنصبه .

وهذا عندي أقبح من أن تحمَل الأسماء المبهمة على المعنى ثم تُرْجَعَ إلى اللفظ ، لأنّ الاسم كما يعلم منه الإفراد فقد يعلم منه الجمع ، فتكون دلالته على ذا كدلالته على ذا ، ولا يعلم من الرفع النصبُ ولا من النّصب الرفع ؛ فلهذا يُستحسَن حمل الصفة هنا على اللفظ . فإن قلت: فصفةُ أيِّ الاسمين هو ؟ فإنّا لا نقول صفة أحدهما، ولكن صفتهما جميعاً ؛ ألا ترى أنّه قد أضيف إلى مروان وعطف ابن عليه ، فكأنه قال مثلهما ؛ ألا ترى أنّ العطف بالواو نظير التثنية ؛ فكما أنّ مِثْلُهُمْ في قوله تعالى[1] : « إنَّكُمْ إذاً مِثْلُهُمْ » خبر عن جميع الأسماء حيث كان مضافاً إلى ضمير الجمع ، كذلك يكون مثل وصفاً للاسمين جميعاً وتضمر الخبر إذا جعلته صفة .

فإن جعلتَ مثْلاً الخبر رفعتَ لا غير و لم تضمر شيئاً ؛ ومثل ذلك[2] : (البسيط)

= الأشموني ١٥٣/١ ؛ وشرح قطر الندى ص١٦٨ ؛ وشرح المفصل ١٠١/٢ ، ١١٠ ؛ والكتاب ٢٨٥/٢ ؛ واللامات ص١٠٥ ؛ واللمع ص١٣٠ ؛ والمقتضب ٣٧٢/٤ ؛ وهمع الهوامع ١٤٣/٢ .

(١) سورة النساء : ١٤٠/٤ .

(٢) عجز بيت لحاتم بن عبد الله الطائي ؛ وصدره :

* وردَّ جازِرُهُمْ حَرْفاً مصرمةً *

والبيت في ملحق ديوانه ص٢٩٤ ؛ وشرح أبيات سيبويه ٥٧٣/١ ؛ ولأبي ذؤيب الهذلي في ملحق أشعار الهذليين ص١٣٠٧ ؛ وشرح شواهد الإيضاح ص٢٠٥ ؛ وشرح المفصل ١٠٧/١ ؛ ولرجل جاهلي من بني النبيت في =

* ولا كَريمَ منَ الوِلْدانِ مَصْبُوح *

وقد يستقيم أن تجعله هنا وصفاً على الموضع وتضمر ، ولا يقبح من حيث قُبِح في قوله : فلا أب وابنا . فأما : إذا هو بالمجد ارتدَى ، فالعامل في إذا معنى المماثلة ، جعلته خبراً أو وصفاً . وإن شئت جعلتَ العامل في إذا الخبر إذا أضمرت . انتهى كلام أبي علي .

وقال ابن هشام في « شرح شواهده » :

وروى ابنُ الأنباريّ :

* إذا ما ارتدَى بالمجد ثم تأزّرا *

ورواية سيبويه أولَى ، لأن الائتزار قبل الارتداء . والواو لا ترتيب فيها بخلاف ثمّ. و« المجد » : العزّ والشَّرف ؛ ورجل ماجد : كريم شريف . و« ارتدى » : لبس الرداء . و« تأزَّر » : لبس الإزار ، والإزارُ : الثّوب الذي يستر النصف الأسفل ، و«الرداء » : ما يستر النصف الأعلى .

قال الأعلم : مدح مرْوانَ بن الحكم وابنَه عبد الملك بن مروان ، وجعلهما لشهرة مجدهما كاللابسين له المرتديَين به ، وجعلَ الخبر عن أحدهما وهو يعنيهما اختصاراً ، لعلم السامع اهـ .

ولقد كذبَ الشاعر في هذا المدح فإنّ النبيّ صلّى اللّه عليه وسلم قال في حقّ مروان[1] : « الوَزَغ بن الوزَغ » .

وهذا البيت من أبيات سيبويه الخمسين التي لا يعرف لها قائل .

وقال ابن هشام في « شواهده » : إنّه لرجل من عبد مَنَاة بن كنانة ، واللّه أعلم.

* * *

= المقاصد النحوية ٢/٣٦٨ ، ٣٦٩ . وهو بلا نسبة في تخليص الشواهد ص٤٢٢ ؛ ورصف المباني ص٢٦٦ ، ٢٦٧ ؛ وشرح الأشموني ١/١٥٤ ؛ وشرح ابن عقيل ص٢٠٩ ؛ والكتاب ٢/٢٩٩ ؛ ولسان العرب (صرر) ؛ والمقتضب ٤/٣٧٠ .

(١) في النسخة الشنقيطية : " بن الوزغة " . وهو تصحيف .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الرابع والستون بعد المائتين ، وهو من شواهد سيبويه[1] : (البسيط)

٢٦٤- أَلا طِعَانَ إلاَّ فُرْسَانَ عادِيَةٍ
إلاَّ تجَشُّؤُكُمْ حَولَ التَّنانِيْرِ

على أن « لا » إذا تقدّمها همزة الاستفهام تعمل كعملها مجردةً منها .

قال سيبويه : واعلم أنَّ « لا » في الاستفهام تعمل فيما بعدها كما تعمل فيه إذا كانت في الخبر ، فمن ذلك قوله : ألا طعانَ .. البيت .

وقال ابن هشام في « المغني » ألا تأتي للتوبيخ والإنكار كقوله :

* ألا طعان ألا فرسانَ . . . البيت *

وللتمني كقوله[2] : (الطويل)

ألا عُمْرَ وَلّى مُستَطَاعٌ رجُوعُهُ فيَرْأبَ ما أَثْأَتْ يَدُ الغَفَلاتِ

ولهذا نصب « يرأب » لأنّه جواب تمنٍّ مقرون بالفاء . وللاستفهام عن النفي كقوله[3]: (البسيط)

---

(١) هو الإنشاد التاسع والتسعون في شرح أبيات المغني للبغدادي .
والبيت لحسان بن ثابت في ديوانه ص١٧٩ (الحاشية) ؛ وتخليص الشواهد ص٤١٤ ؛ والجنى الداني ص٣٨٤ ؛ وشرح أبيات المغني للبغدادي ٨٠/٢ ؛ وشرح شواهد المغني ٢١٠/١ ؛ والكتاب ٣٠٦/٢ ؛ والمقاصد النحوية ٦٣٢/٢ ؛ ولخداش بن زهير في ديوانه ص٧٥ ؛ وشرح أبيات سيبويه ٥٨٨/١ ؛ ولحسان أو لخداش في الدرر ٢٣٠/٢ . وهو بلا نسبة في رصف المباني ص٨٠ ؛ وشرح الأشموني ١٥٣/١ ؛ وشرح عمدة الحافظ ص٣١٨ ؛ ومغني اللبيب ٦٨/١ ، ٣٥٠/٢ ؛ وهمع الهوامع ١٤٧/١ . وروايته في ديوان خداش :

ألا طعان ولا فرسان عادية ...... عند التنانير

(٢) هو الإنشاد الواحد بعد المائة في شرح أبيات المغني للبغدادي .
والبيت بلا نسبة في أوضح المسالك ٢٦/٢ ؛ وتخليص الشواهد ص٤١٥ ؛ والجنى الداني ص٣٨٤ ؛ وشرح أبيات المغني للبغدادي ٩٢/٢ ؛ وشرح الأشموني ١٥٣/١ ؛ وشرح التصريح ٢٤٥/١ ؛ وشرح شواهد المغني ص٨٠٠ ؛ وشرح ابن عقيل ص٢٠٨ ؛ وشرح عمدة الحافظ ص٣١٨ ؛ ومغني اللبيب ص٦٩ ، ٣٨١ ؛ والمقاصد النحوية ٣٦١/٢ .

(٣) صدر بيت للمجنون ؛ وعجزه :

* ألا اصْطِبارَ لِسَلْمَى أمْ لَهَا جَلَدٌ *

وفي هذا البيت ردٌّ على من أنكر وجودَ هذا القِسم وهو الشَّلَوبين . وهذه الأقسام الثلاثة مختصَّة بالدخول على الجملة الاسميَّة وتعمل عمل لا التبرئة ، ولكن تختصّ التي للتمنّي بأنها لا خبر لها لفظاً ولا تقديراً ، وبأنها لا يجوز مراعاة محلّها مع اسمها ، وبأنّها لا يجوز إلغاؤها ولو تكررت .

أمّا الأوَّل فلأنّها بمعنى أتمنّى ، وأتمنّى لا خبر له ، وأمّا الأخيران فلأنّهما بمنزلة ليت . وهذا كلُّه قول سيبويه ومن وافقه اهـ باختصار .

وزعم الزجاجيّ في « الجُمَل » أنّ ألاَ في هذا البيت للتمنّي . وليس كذلك لأنّ البيت من الهجو ، ولو كان تمنّياً لما كان ذمًّا .

وهذا البيت من أبيات لحسّان بن ثابت الصَّحابيّ رضيَ اللّه عنه ، هجَا بها بني الحارث بن كعب المذحجيّ ، جعلهم أهلَ أكل وشرب ، لا أهل غارة وحرب ، يقول : لا خيلَ تعدُون بها على الأقران ، ولا طعانَ لكم في نحور الشُّجعان ، إلاّ الأكل والجُشاء عند التنانير ، فليس لكم رغبةٌ في طلب المعالي ، وإنّما فعلُكم فعلُ البهائم .

كما قال الآخر[1] : (الكامل)

إنِّي رأيْتُ مِنَ المَكارِمِ حَسْبَكُمْ ... أن تَلْبَسُوا خُرَّ الثِّيابِ وتَشْبَعُوا

فإذا تُذُوكِرَتِ المكَارِمُ مَرَّةً ... في مَجْلِسٍ أنْتُمْ بهِ فَتَقَنَّعُوا

---

* إذا ألاقي الذي لاقاه أمثالي *

وهو الإنشاد العاشر في شرح أبيات المغني للبغدادي .

والبيت لقيس بن الملوح في ديوانه ١٧٨ ؛ وجواهر الأدب ص٢٤٥ ؛ والدرر ٢٢٩/٢ ؛ وشرح التصريح ٢٤٤/١؛ وشرح أبيات المغني ٤٧/١ ؛ وشرح شواهد المغني ٤٢/١ ، ٢١٣ ؛ والمقاصد النحوية ٣٥٨/٢ . وهو بلا نسبة في أوضح المسالك ٢٤/٢ ؛ وتاج العروس (ألا) ؛ وتخليص الشواهد ص٤١٥ ؛ والجنى الداني ص٣٨٤ ؛ وشرح الأشموني ١٥٣/١ ؛ وشرح ابن عقيل ص٢٠٧ ؛ وشرح عمدة الحافظ ص٣٢٠ ، ٣٨٤ ؛ ومغني اللبيب ١٥/١ ؛ وهمع الهوامع ١٤٧/١ .

(١) البيتان بلا نسبة في شرح أبيات المغني للبغدادي . والبيت الأول لعبد الرحمن بن حسان بن ثابت في الدرر ٦٠/٤؛ والكتاب ١٥٣/٣ ؛ ولسعيد بن عبد الرحمن بن حسان في شرح أبيات سيبويه ١٦٨/٢ ؛ ولبعض المحدثين في العقد الفريد ٢٠/٣ . وهو بلا نسبة في تخليص الشواهد ص٤١٨ ؛ وهمع الهوامع ٣/٢ .

وزعم اللّخميّ في « [شرح] أبيات الجمل »(١) أنّ الاستفهام هنا للتقرير ، قال: قرَّرَهم على ما علم من أمرهم . فيكون المقرر النفي وما بعده .

و« طِعان » : مصدر طاعن بالرُّمح . و« الفُرسان » : جمع فارس . و« عاديـة» بالمهملة والنصب : صفة لفرسان ، وقيل حـال منـه ، والخبر محذوف ، أي : لكـم ، وهو من عدا عليه بمعنى اعتدى ، والمصدر العُدوان . والعـرب تتمـدَّح بـه باعتبـار مـا يلزمه من الشجاعة . وقيل : هو من العَدْو ، أي : الجـري ، وقيـل هـو بالمعجمـة مـن الغدوّ ، وهو التبكير ، لأنّ العرب تبكر للغارة والحـرب . قـال النحّـاس : وعنـد أبـي الحسن الأول هو الأحسن ، لأنّ العادية تكون بـالغداة وغيرهـا . وروي بـالرفع علـى الروايتين على أنّه صفة لفرسان على الموضع ، وقيل خبر .

وقوله : « إلاّ تجشُّؤكم » بالنصب على الاستثناء المنقطـع ، قيـل : ويجـوز رفعـه على البدل من موضع ألا طعان على لغة تميم . قال النحّاس : هذا غلط والصواب عند أبي الحسن النصب . و« التّجشُّؤ » : خروج نفَس من الفم ينشأ مـن امتـلاء المعـدة ، يقال : تجشَّأ تجشُّؤاً وتَجشئَة مهموز ، والاسم الجُشَاء بضم الجيم وفتـح الشـين . قـال الأصمعيّ : ويقال الجُشاء على فُعال ، كأنّه من باب العطاس والسعال .

قال اللّخميّ: وروي : « إلاّ تَحَشُّؤُكم » بالحاء المهملـة ، مـأخوذ مـن المُحْشَـأ ، وهو الكساء الغليظ الذي يُشتمَل بـه ، فمعنـاه علـى هـذا إنّكـم تشبعون وتلتفّـون في الأكسية ، وتنامون عند التنانير . انتهى .

والمِحشأ على وزن مِفْعَل(٢) والجمع المحاشئ بالهمز على وزن مفاعل .و«التّنانير»: جمع تنّور وهو ما يُخبز فيه [الخبز] .

والأبيات هذه برُمّتها(٣) : (البسيط)

حَارِ بـنِ كَعْـبٍ ألا أحْلامَ تَزْجُرُكُمْ عنّـا وأنـتُمْ منَ الجُـوْفِ الجَمَاخِيْـرِ
لا عَـيْبَ بالقَومِ من طولٍ ولا عِظَمٍ جِسْـمُ البِغَـالِ وأحْـلامُ العَصَافِيْـرِ

(١) زيادة يقتضيها السياق من النسخة الشنقيطية ، وقد أخلت بها طبعة بولاق .

(٢) في النسخة الشنقيطية وشرح أبيات المغني للبغدادي ٨٣/٢ : " على وزن مفعال " .

(٣) الأبيات لحسان بن ثابت في ديوانه ص١٧٨-١٧٩ ؛ وشرح أبيات المغني للبغدادي ٨٤/٢ .
وفي حاشية الطبعة السلفية ٥٣/٤ كتب الميمني : " الأبيات مع خبرها في تهاجي النجاشي وعبد الرحمن في الموفقيات والديوان (ليدن ص٤٨) والحواشي (٧٧) . وفيهما " ألا الأحلام " .

كأنَّهُمْ قَصَبٌ جُوفٌ مكاسِرُهُ مُثَقَّبٌ فِيْهِ أَرْواحُ الأعاصِيْرِ
دَعُوا التَّخاجُؤَ وامْشُوا مِشْيَةً سُجُحا إنَّ الرِّجالَ أُولُو عَصْبٍ وتَذْكِيْرِ
لا ينفعُ الطُّولُ من نُوكِ القُلوبِ ولا يَهْدِي الإلهُ سَبِيْلَ المَعْشَرِ البُورِ
إنِّي سأنْصُرُ عِرْضِي من سَرَاتِكُمُ إنَّ الحِماسَ نَسِيٌّ غَيْرُ مذْكُورِ
ألْفَى أبَاهُ وألفَى جَدَّهُ حُبِسَا بمَعْزِلٍ عنْ مَعالي المَجْدِ والخَيْرِ
ألا طعانَ ألا فرسانَ عاديةٍ . . . . البيت

كذا في شرح أبيات الجمل لابن السيد وغيره ، من رواية محمد بن حبيب لديوان حسَّان .

وقوله : « حار بن كعب » ، هو مرخّم حارث ، وبه استشهد الزَّجاجيّ في «جُمَله » . و« الأحلام » : العقول ، جمع حِلم بالكسر . و« الجوف » ، بضم الجيم: جمع أجوف ، وهو الخالي الجوف . و« الجماخير » : جمع جُمْخور ، بضم الجيم والخاء المعجمة بينهما ميم ساكنة ، وهو العظيم الجسم الخوّار .

وقوله : لا عيب بالقوم ، روي أيضاً : « لا بأس بالقوم » . يريد أنَّ أجسامهم لا تُعاب ، هي طويلة عظيمة ولكنَّها كأجسام البغال لا عقولَ لها . هكذا رواه الناس؛ ورواه الزمخشريّ : « جسم الجمال وأحلام الخ » عند قوله تعالى[1] : « حتّى يَلجَ الجملُ في سَمِّ الخِيَاط» على أنّ الجمل مَثَلٌ في عظم الجِرم[2] ، وهذا مثلُ قول بعضهم[3] : (الوافر)

وقدْ عَظُمَ البَعِيْرُ بِغَيْرِ لُبٍّ فلَمْ يَسْتَغْنِ بالعِظَمِ البَعِيْرُ

وقال آخر[4] : (الطويل)

فأحْلامُهمْ حِلْمُ العَصَافِيْرِ دِقَّةً وأجْسَامُهُمْ جِسْمُ الجَمائِلِ أوْ أجْفَى

(١) سورة الأعراف : ٧/٤٠ .

(٢) الكشاف ٢/٨١ .

(٣) هو العباس بن مرداس السلمي . والبيت في ديوانه ص١٧٣ ؛ وشرح أبيات المغني للبغدادي ٢/٨٨ ؛ وشرح الحماسة للأعلم ٢/٦٦٨ ؛ وشرح الحماسة للتبريزي ٣/٩٠ ؛ وشرح الحماسة للمرزوقي ص١١٥٥ ؛ والحماسة برواية الجواليقي ص٣٣٦ .

(٤) البيت بلا نسبة في شرح أبيات المغني للبغدادي ٢/٨٨ .

وهذان البيتان أوردهما سيبويه على رفع الجسم والأحلام على إضمار مبتدأ لِما أراد من تفسير أحوالهم ، دون القصد إلى الذم .

والتقدير أجسامهم أجسام البغال ، وأحلامهم أحلام العصافير : عِظماً وحقارة . ويجوز أن يريد لا أحلام لهم ، كما أنَّ العصفور لا حِلم له ؛ ولو قصد به الذمَّ فنصبه بإضمار فعل لجاز .

قال ابن خلف : ذكر سيبويه هذا الشعر بعد أبياتٍ أنشدها ، وذكر فيها أسماءً قد نصبت على طريق الشتم والتحقير ، ورفَع قوله جسم البغال وأحلام العصافير .

وقوله: « و لم يرد أن يجعله شتماً » ، يريد أنَّه لم يجعله شتماً من طريق اللفظ ، إنَّما هو شتمٌ من طريق المعنى ، وهو أغلظ من كثير من الشتم . وأفرد الجسم وهو يريد الجمع ضرورة ، كقوله[1] : (الرجز)

* في حَلْقِكُمْ عَظْمٌ وقَدْ شَجِيْنَا *

وقوله : « كأنَّهم قصب الخ » ، هو جمع قصبَة ، و« الجُوف » جمع [أجوف][2] كما مرّ . و« مكاسره » مبتدأ جمع مَكسِر ، أي : محلّ الكسر ، و« مثقّب » خبره ، و« الأرواح » : جمع ريح . و« التّخاجُؤ » ، بعد المثناة الفوقيّة خاء معجمة وبعدها جيم بعدها همزة ، هو مشي فيه تبختر . و« المِشيَةُ السُّجُح » ، بضم السين المهملة والجيم بعدها حاء مهملة : السَّهلة الحسنة . و« أولو عَصْب » : أصحاب شِدَّة خَلق، يقال : رجل معصوب الخلق [، أي : مدمجه . والتذكير : كونهم على خلقة الذكور][3]. و« النُّوك » بضم النون : الحماقة. و« البُور » : جمع بائر ، وهو الهالك. و« الحِماس » بكسر الحاء المهملة ، [بعدها ميم ، فرقة][4] من بني الحارث بن كعب. و« النِّسيُّ »: المنسيّ الخامل الذكر .

---

(١) الرجز للمسيب بن زيد مناة في شرح أبيات سيبويه ٢١٢/١ ؛ ولسان العرب (شجا) ؛ والمحتسب ٨٧/٢ ؛ ولطفيل في جمهرة اللغة ص١٠٤١ ؛ وليس في ديوانه . وهو بلا نسبة في أساس البلاغة (شجو) ؛ وتاج العروس (شجا ، مأى) ؛ وتهذيب اللغة ١٢٥/٢ ، ٣٠٢ ؛ وشرح المفصل ٣٢/٦ ؛ والكتاب ٢٠٩/١ ؛ ولسان العرب (نهر ، سمع ، أمم ، عظم) ؛ والمخصص ٣١/١ ، ٣٠/١٠ ؛ والمقتضب ١٧٢/٢ .

(٢) زيادة يقتضيها السياق من شرح أبيات المغني للبغدادي ٨٩/٢ .

(٣) زيادة يقتضيها السياق من شرح أبيات المغني للبغدادي .

(٤) زيادة يقتضيها السياق من شرح أبيات المغني للبغدادي .

وقوله : «حُبِسا» بالبناء للمفعول ، من الحبس . و«المجد»: الشرف . و«الخِير» بكسر المعجمة : الكرم[١] .

وسبب هجو حسّان بني الحارث أنّ النّجاشيّ [وهو من رهط الحارث بن كعب][٢] هجا بني النّجّار من الأنصار بشعرٍ يقول فيه[٣] : (الطويل)

لَسْتُمْ بَنِي النَّجَّارِ أَكفَاءَ مِثْلِنَا ... فأبْعِدْ بِكُمْ عَنَّا هُنالِكَ أبْعِدِ

فإنْ شِئْتُمُ نَافَرتُكُمْ عَنْ أبِيكُمُ ... إلى مَنْ أرَدْتُمْ مِنْ تِهامٍ ومُنْجِدِ

قال السّكريّ في « ديوان حسّان »[٤] : ذكروا أنّ الأنصار اجتمعوا في مجلسٍ ، فتذاكروا هجاء النّجاشيّ إيّاهم ، فقالوا : منْ له ؟ فقال الحارث بن مُعاذ بن عفراء : حسّانٌ له .

فأعظم ذلك القومُ فتوجّه نحوه - والقوم كلُّهم مُعظِمٌ لذلك - فلمّا دخل عليه كلّمه فقال : أين أنتم عن ابي عبد الرحمن ! قال : إيَّاكَ أردنا ، قد قاوله عبدُ الرَّحمن فلم يصنع شيئاً . فوثب وقال : كنْ وراء الباب واحفظْ ما أُلقِي . فضربتْه [زافرة[٥]] البابِ فشجّته على حاجبه ، فقال : بسم اللّه ؛ ثم قال : اللهم اخلُف فيَّ رسولَك اليوم صلّى اللّه عليه وسلم ! قال الحارث : فعرفت حين قالها ليَغلبنّه . فدخل وهو يقول[٦] : (الكامل)

أبَنِي الحِمَاسِ ألَيْسَ مِنْكُمْ مَاجِدٌ ... إنَّ المُروءَةَ في الحِماسِ قَلِيلُ

---

(١) المقطع بحرفيته في شرح أبيات المغني للبغدادي ٢/٨٩ .

(٢) زيادة يقتضيها السياق من شرح أبيات المغني للبغدادي .

(٣) الأبيات للنجاشي في شرح أبيات المغني للبغدادي ٢/٨٥ .

وفي حاشية الطبعة السلفية ٤/٥٥ قال الميمني : " الأبيات ستة في الموفقيات ، وفيه " فلستم .." من غير خرم و "فأبعدكم عما هنالك " نقول : وفي ش " فأبعدكم هنالك " . ولعل الصواب إن شاء الله " فابعد بكم عما هنالك"." .

وفي طبعة بولاق : " فأبعدكم هنالك " . وكلاهما تصحيف صوابه من شرح أبيات المغني للبغدادي ٢/٨٥ .

(٤) ديوان حسان بن ثابت ص١٧٧ ؛ وشرح أبيات المغني ٢/٨٥ .

(٥) زيادة يقتضيها السياق من شرح أبيات المغني ٢/٨٥ . و لم أجدها في طبعة ديوانه تحقيق سيد حنفي حسنين .

وزافرة الباب : مقدمه وأنفه .

(٦) البيتان من مقطوعة في ديوانه ص١٧٨ ؛ والأول في شرح أبيات المغني ٢/٨٥ .

يـا وَيْـلَ أُمِّكُـمُ وَوَيْـلَ أبِيْكُـمُ وَيْـلاً تَـرَدَّدَ فِيْكُـمُ وعَـوِيْـلُ

إلى أن قال :

فاللُّؤْمُ حَلَّ عَلَى الجِماسِ فمَا لَهُمْ كَهْـلٌ يَسُـودُ وَلا فَـتًى بُهْلُـولُ

ثم مكثَ طويلاً في الباب يقول : واللَّه ما بلغتُ ما أريد[1] . ثم ألقَى عليَّ :

حَارِ بنَ كَعبٍ ألا أحلام تَزْجُرُكُم . . . الأبيات التي تقدَّمت .

ثم قال للحارث : اكتبْها صُكوكا فألقهـا إلى غِلمـان الكُتّـاب ، قـال الحـارث : ففعلت ، فما مرّ بنا بضع وخمسون [ليلـةٌ[2]] حتّـى طرقَـت بنـو عبـد المـدان حسّـان بالنّجاشيّ موثَقـا ، فقـال حسَّـان لبنتـه : نـادِي بأبيـاتِ أُطُـمِ حسَّـان ليـأتيكَ قومُـك فيحضروا . فلم يبق أحدٌ إلاَّ جاءَ ومعه السّلاح .

فلما اجتمعَ النّاسُ وُضِعَ لـه مِنبر ونـزل وفي يـده مِخصـرة ، فقـام عبـد اللَّـه بـن [عبد[3]] المدان فقال : يا ابن الفُريعَة ، جئنَاك بابن أخيك فـاحكمْ فيـهِ برأيـك ، فـأتى بالنّجاشيّ فأُجلِسَ بين يديه واعتذرَ القومُ، فقال حسَّان لابنته: هاتي البقيَّة الـتي بقيت من جائزة معاوية . فأتته بمائة دينار إلاَّ دينارين ، فقال : دونـك هـذه يـا ابـن أخـي . وحمله على بغلةٍ لعبد الرحمن ، فقال له ابن الديَّان[4] : كنَّا نفتخر علـى النَّـاس بـالعظم والطُّول فأفسدته علينا . قال : كلاَّ ، أليس أنا الذي أقول[5] : (الوافر)

وقَـدْ كُنّـا نـقُـولُ إذا رأَيْنَـا لِـذِي جسْـمٍ يُعَـدُّ وذِي بَيَـان
كـأنَّـكَ أيُّهـا المُعْطَـى بيَـانـاً وجِسْماً من بَنـي عَبْـدِ المَدَانِ

انتهى ما أورده السكَّريّ .

وعبد المَدَان : هو ابن الديَّان بن قَطَن بن زياد بن الحارث بن مالك بن ربيعة بـن مالك بن كعب بن الحارث بن كعب بن عمـرو بن عُلة « بضم المهملة وخفّة اللام »

---

(١) في شرح أبيات المغني : " والله ما أبحرت ، أي : لم أبلغ ما أريد ..." .

(٢) كذا في طبعتي السلفية وهارون نقلاً عن ديوانه (البرقوقي) . وفي ديوانه (تحقيق سيد حنفي) : " ... فما مرّت بنا إلا ليالٍ حتى طرقت بنو عبد المدان حسان بن ثابت ..." .

(٣) زيادة يقتضيها السياق من ديوانه ص١٨٠ .

(٤) هو عبد الله بن عبد المدان بن الديان . والمدان : صنم لهم .

(٥) البيتان في ديوان حسان بن ثابت ص١٨٠ ؛ وشرح أبيات المغني للبغدادي ٨٦/٢ .

ابن جَلْد « بفتح الجيم وسكون اللام » ابن مالك بن أُدَد .

وبنو الديَّان ساداتُ بني الحارث بن كعب . وكان بنو الحارث إحدى جَمَرات العرب .

وترجمة حسَّان بن ثابت تقدَّمت في الشاهد الحادي والثلاثين[1] .

و« **النجاشيّ** »[2] اسمه قيس بن عمرو ، من رهط الحارث بن كعب ؛ وكان فيما روي ضعيفَ الدين : ذُكر أنَّه شربَ الخمرَ في رمضان ، وثبتَ [خبره] عند علي عليه السّلام فجلَده مائةَ سَوطٍ ، فلمّا رآه قد زاد على الثمانين صاح به : ما هذه العلاوَة[3] يا أبا الحسن ! فقال عليٌّ رضيَ اللّه عنه : لجراءتك على اللّه في رمضان .

قال ابن هشام اللّخميّ في « شرح أبيات الجمل » : روي أنَّه لما هاجَى النَّجاشيُّ عبدَ الرَّحمن بنَ حسَّان أعانه أبوه بالشعر المذكور .

ورُوي من طريق أخرى أنّه لما مضَت مدَّةٌ لمهاجاة عبد الرحمن بن حسان للنَّجاشيِّ علم بذلك أبوه حسَّان ، فقال له: يا عبد الرحمن ، أرني ما جرَى بينكَ وبينَ الحارثيّ . فأنشده لنفسه وللحارثيّ ، فقال له : يا عبد الرحمن ؛ إنّي أُراه قد أكلك ، فهل تحبُّ أن أعينَك ؟ قال : نعم يا أبتِ . فقال حسَّان الأبياتَ المذكورة .

ثم ذكر بقيَّة القصّة من كِتاف النَّجاشيّ وعَفْو حسَّان عنه . واللّه أعلم أيَّ ذلك كان .

﴿ تتمة ﴾

كونُ البيت الشاهد لحسَّان هو ما رواه السكَّريّ وغيره من جملة الأبيات المذكورة ، إلاَّ ابن السِّيرافيّ والزَّمخْشَريَّ ، فإنَّه رواه في شرح أبيات سيبويه من قصيدة لخِدَاش بن زُهير يخاطب بها بعض بني تَميم ، من أجلِ مسابقةٍ كانت بينهم وبينَ كُرْز ابن ربيعة – وهو من رهط خِداش – وأوّل القصيدة[4] : (البسيط)

---

(١) الخزانة الجزء الأول ص٢٢٧ .

(٢) انظر في ترجمته وأخباره سمط اللآلئ ص٨٩٠ ؛ وشرح أبيات المغني للبغدادي ٨٩/٢ ؛ والشعر والشعراء ص٢٤٦ ؛ ووقعة صفين ص٥١ وما بعدها .

(٣) العلاوة : الشيء الزائد على حمل الدابة .

(٤) الأبيات في ديوان خداش بن زهير ص ٧٥ – ٧٦ ؛ وشرح أبيات المغني للبغدادي ٢/ ٩١ ؛ وفرحة الأديب =

أبلِغْ أَبا كَنَفٍ إمَّا عَرَضْتَ لَهُ ... والأبْجَرَينِ ووَهْباً وابنَ مَنْظُورِ
ألاَ طِعَانَ ألا فُرسَانَ عادِيَةٍ ... إلاّ تَجَشُّؤكُمْ حَولَ التَّنانِيْرِ
ثُمَّ احْضُرونا إذا ما احْمَرَّ أعْيُنُنا ... في كُلِّ يَومٍ يُزيِلُ الهَامَ مَذْكُورِ
تَلْقَوا فَوارسَ لا مِيْلاً ولا عُزُلا ... ولا هَلابِيْجَ روَّاثِيْنَ في الدُّورِ[1]
تَلْقَوا أَسِيداً وعَمْراً وابنَ عَمِّهما ... ورَقْاءَ في النَّفرِ الشُّعْثِ المَغاوِيْرِ
مِنْ آلِ كُرْزٍ غَدَاةَ الرَّوعِ قَدْ عُرِفُوا ... عِنْدَ القِتالِ إلى رُكْنٍ ومَحْبُورِ[2]
يَحْذُونَ أقْرانَهُم في كُلِّ مُعتَركٍ ... طَعْناً وضَرْباً كَشقٍّ بالمَناشِيْرِ

وهي قصيدة تزيد على عشرين بيتاً أوردها أبو محمد الأعرابيّ في « فُرحَة الأديب» ، وقال : كان من قصَّة هذا الشعر أنّ أوّلَ ما هاجَ بين قريش وبين بني عامر ابن صعصعَة أنّ كُرْزَ بن ربيعة بن عمرو بن عامر بن ربيعة بن عامر بن صعصعَة راهنَ أَسيداً وَعمراً وعبدَ اللّه بني العَرقة ، من بني تَيم بن غالب ، وهم تَيمُ الأدرم ، على فرسٍ لهم يقال له البرق ، والسَّبَقُ ثلاثونَ ناقة[3] .

وجعلوا المَدَى والمضمار إلى كُرْز ، فجعل المَدَى ما بين السّجسج[4] إلى ذات الفلج ، وحمل كُرْز على فرسهِ المجالدَ بن زهير بن ربيعة بن عمرو بن عامر ، فجاء سابقاً وهلَك البَرق ، فأخذ السَّبَقَ وناشدوه في ردِّه فأبَى ، فلبثوا قريباً من سنتين ، ثم ركبَ بنو العَرِقة فلقوا أَسِيد بن مالك ، وعمرو بن مالك ، وعثمان بن أَسِيد من بني

= ص٢١١ . وفي ديوانه في تقديم القصيدة : " وقال خداش بن زهير يهجو بني تيم الأدرم " .
وفي شرح أبيات المغني يقول البغدادي بعدها : " وبقي من القصيدة أربعة عشر بيتاً " .

(١) الميل : جمع أميل ، وهو الذي لا سيف معه ، أو الذي لا سيف معه ، أو الذي لا يستوي على السرج . عزل: جمع أعزل ، وهو الذي لا سلاح معه . والهلابيج : جمع هلباجة ، وهو الرجل الأحمق ، وهو الذي جمع كل شرّ .

(٢) في جميع أصول الخزانة وطبعاتها : " من آل كوز " . وهو تصحيف صوابه من ديوانه وفرحة الأديب .
وفي طبعة بولاق : " ركن ومحسور " . وهو تصحيف أيضاً .
وركن ، أي عزّ ومنعة ، وركن الشيء : جانبه الأقوى .

(٣) في فرحة الأديب : " والسَّبَق ثلاثون ، معها مثلها ، ليس فيها حذاء ولا جداء ولا أباء ولا حنفاء ولا ذات عوار" .

(٤) في طبعة بولاق : " السحج " . وفي النسخة الشنقيطية : " السجيج " . وقد أثبتنا ما في فرحة الأديب .

عامر بن ربيعة ، بأسفَل العقيق ، في إبل لهم فيها بَكْرة يقال لها العِنب ، عُشراء ، فطردوا الإبلَ فاستقبلها عثمان بن أسِيد ينفّر فيها بثوبه(١) وبعثَ أَمَةً نحوَ أبيه وعمه مُغْوِثاً(٢) ، فركب أبوه فرساً كبيرة ، وركب عمّه بنتها فرساً صعبَة .

فلمّا لحقَ بالقوم قال عمرو بن مالك : أعلِمونا مَن أنتم ؟ قالوا : قريش. قالوا : وأيُّهم ؟ قالوا : بنو العَرِقة . قالوا : فهل كانَ منّا حدث(٣) ؟ قالوا : لا ، إلاّ يوم البرق. فقال لهم : احبسوا العِنب ، احبسُوا العِنَب ، احبسوا اللِّقْحة ، لِقْحة من لا يغدر(٤)!

فقال لهم عمرو : لا واللّهِ لا ترضع منها قادماً ولا آخراً ! قال : إنّا لا نرضع الإبل ولكن نحتلبُها . وحمل عليه فقتله ، وحمل أسيدُ بن مالك على أسيد بن العَرِقة فقتله ، فقال في ذلك(٥) : (الرجز)

إنّي كَذَاكَ أَضْرِبُ الكَمِيّ ... ولَمْ يَكُنْ يَشْقَى بِيَ السَّمِيّ

فذلك يوم العنب .

وقال خِداش بن زهير في ذلك(٦) : (المتقارب)

نَكُبُّ الكُمَاةَ لأذْقَانِها ... إذا كَانَ يَومٌ طَوِيْلُ الذَّنَبْ
كَذاكَ الزَّمَانُ وتَصْرِيْفُهُ ... وتِلْكَ فَوارسُ يَومِ العِنَبْ

ثم وقع بينهم بعد ذلك التغاور والقتال ، فقال في ذلك خِداش بن زهير القصيدة التي منها :

ألا طعان ألا فرسان عادية (البيت)

---

(١) في طبعة بولاق : " بها بثوبه " . وهو تصحيف صوابه من النسخة الشنقيطية .

(٢) في طبعة بولاق والنسخة الشنقيطية : " مغوياً " . وهو تصحيف صوابه من فرحة الأديب .
والتغويث : الاستغاثة .

(٣) في فرحة الأديب : " كان من حدث " .

(٤) كذا أيضاً في النسخة الشنقيطية ؛ لكن الشنقيطي غيرها بعد ذلك إلى : " يعذر " . وهي في شرح أبيات المغني ٩٠/٢ : " يغدر " .

(٥) البيت وخبره في شرح أبيات المغني للبغدادي ٢/٩٠-٩١ ؛ وفرحة الأديب ص٢١٠ .

(٦) البيتان في ديوان خداش بن زهير ص٦٢ ؛ وشرح أبيات المغني للبغدادي ٩١/٢ ؛ وفرحة الأديب ص٢١٠ .

وخِداش بن زهير شاعر جاهليّ ، وقيل مخضرم كما يأتي في الشاهد الرابع والعشرين بعد الخمسمائة .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الخامس والستون بعد المائتين[1]: (البسيط)

٢٦٥- ألاَ سَبيْلَ إلى خَمْرٍ فأشْرَبَها
أَمْ لا سَبيلَ إلى نَصْرِ بنِ حَجَّاجِ

على أنّ « ألا » فيه للتمني . ولهذا سمِّيت قائلة هذا البيت المتمنّية ، وضرب بها المثل فقيل[2] : « أصَبُّ منَ المُتَمنّيةِ » ، وضُرِبَ به المثل أيضاً فقيل[3] « أدنَف من المتمنّي » كما يجيء شرحه .

قال ابن برِّيّ في « شرح أبيات الإيضاح ، للفارسي » : وقبله[4] :

يا لَيْتَ شِعْريَ عنْ نَفْسِي أزاهِقَةٌ مِنّي ولَمْ أقْضِ ما فِيْها مِنَ الحَاجِ

وأنشده الفارسيّ على أن خبر ليت محذوف . قال ابن برِّيّ : والبيت لفُريعَة بنت همَّام ، وتعرف بالذلفاء وهي أمُّ الحجّاج . انتهى .

وقال حمزة الأصبهانيّ في « الدّرَّة الفاخرَة »[5] : وأما قولهم أصبُّ من المتمنّية فإنَّ هذا المثل من أمثال أهل المدينة ، سارَ في صدر الإسلام . والمتمنّية : امرأة مدنية عشِقَت فتىً من بني سُليم يقال له نصر بن الحجّاج بن عِلاط ، وكان أحسن أهل زمانه صورةً، فضنِيت من أجله ودنِفت من الوجد به ، ثم لهِجت بذكره حتّى صار ذكره هِجِّيراها .

---

(١) البيت للفريعة بنت همام في أمالي الزجاجي ص٢٠٩ ؛ وجمهرة أنساب العرب ص٢٦٢ ؛ ولسان العرب (مني). وهو بلا نسبة في سر صناعة الإعراب ص٢٧١ ؛ وشرح المفصل ٢٧/٧ ؛ ومجمع الأمثال ٥٧٣/٢ .

(٢) المثل في جمهرة الأمثال ٥٨٨/١ ؛ والدرة الفاخرة ٢٧٤/١ ؛ والمستقصى ٢٠٠/١ ؛ ومجمع الأمثال للميداني ٤١٤/١ .

(٣) المثل في جمهرة الأمثال ٤٥٧/١ ، ٥٨٩ ؛ والدرة الفاخرة ٢٠٢/١ ؛ والمستقصى ١١٩/١ ؛ ومجمع الأمثال للميداني ٢٧٤/١ ، ٤١٥ ، ٤١٦ .

(٤) البيت بلا نسبة في شرح شواهد الإيضاح ص٥٢٧ .

(٥) الدرة الفاخرة : ٢٧٤/١ .

فقال أحمد بن أعنم في « الفتوح » كان السبب في ذلك : أنَّ امرأة من أهل المدينة يقال لها الذّلفاء هويَتْ نصر بن الحجَّاج ، فأرسلت إليه ودعتْه إلى نفسها ، فزجرَها و لم يوافقها ، فبينا عمر ذات ليلة يَعُسُّ[1] في بعض سكك المدينة إذْ سمع نشيدَ شعرٍ من دار ، فوقف يسمع ، فإذا الذّلفاء تقول[2] :

ألا سَبيلَ إلى خمر فأشْربَها (البيت)

فلما سمع عمر الشعر أمرَ بالذّلفاء فأُخرجت من منزلها فحبَسَها ، فعلمت الذّلفاء أنَّه قد سمعها وهي تُنشد الشعر ، فكأنها أنفت على نفسها أن يعاقبها ، فكتبت إليه :

قلْ للإمام الذي تُخشَى بَوَادرُه (الأبيات الآتية)

فلما نظر عمر في الأبيات أطلقها من الحبس ، وأرسل إلى نصر فحلق جُمّتَه ، ونفَاه إلى البصرة .

قال حمزة الأصبَهانيّ[3] :

قال النسّابون : هذه المتمنّية هي الفريعة بنت همَّام ، أم الحجَّاج بن يوسف الثَّقَفيّ ، وكانت حين عشقت نصراً تحت المغيرة بن شُعبة ، واحتجُّوا في ذلك بحديث روَوْه ، وهو أنَّ الحجَّاج حضر مجلس عبد الملك يوماً ، وعروةُ بن الزّبير يحدِّثه ويقول: قال أبو بكر كذا ، وسمعت أبا بكر يقول كذا – يعني أخاه عبدَ اللّه بن الزّبير – فقال له الحجّاج : عند أمير المؤمنين تُكنّي أخاك المنافقَ ، لا أُمَّ لك ! فقال له عُروة : يا ابن المتمنِّية ، أَلِيَ تقول لا أُمّ لك ، وأنا ابن إحدى عجائز الجنّة : صفيّة ، وخديجة وأسماء، وعائشة ! .

كذا قال ابن الأثير في « المرصَّع » : ابن المتمنِّية هو الحجّاج بن يوسف الثّقفيّ ، من قول أمِّه :

ألا سَبيلَ إلى خمرٍ فاشربها .... البيت

(١) في النسخة الشنقيطية : " ليلة مطل " .

(٢) في حاشية الطبعة السلفية ٦٠/٤ يقول الميمني : " راجع الخبر في المصارع ٤٠٥ ؛ ومحاسن الجاحظ ٢٢٠ ؛ والبلوي ٢: ٥١٣ " .

(٣) الخبر في مجمع الأمثال للميداني ٥٧٤/١ ؛ وفيه : " قال حمزة : وزعم النسابون ...." .

وقد ذكر خبرَها مع نصر جماعةٌ منهم الجاحظُ في «كتاب المحاسن والمساوي[١]»، وأبو القاسم الزجَّاجيّ في « أماليه الوسطى » ، وأبو الحسن علي بن محمد المدائني في «كتاب المغرَّبين» ، وحمزة الأصبَهانيّ في « أمثاله » ، والسُّهيليّ في «الرَّوض الأنف»، وإسماعيل بن هِبَة اللّه الموصليّ في « كتاب غاية السَّائل[٢] ، إلى معرفة الأوائل » وقد جمعت بين ما اتّفقوا عليه ، وبين ما انفردوا به . وقالوا :

أوَّل من عَسَّ باللّيل في الإسلام عمرُ بن الخطّاب رضيَ اللّه عنه ، فبينا يعسُّ ليلةً سمع امرأةً تقول[٣] :

ألاَ سَبيْلَ إلى خَمْـرٍ فـأشْـربَهـا ... أمْ لا سـبـيلَ إلى نَصْرِ بن حَجّـاجِ
إلى فتًى ماجـدِ الأخْلاَقِ ذِي كَـرَمٍ ... سَهْلِ الـمُحَيَّا كَرِيْمٍ غَيْرِ فَجْفـاجِ

كذا رواهما الجاحظ . وروى المدائنيّ البيت الثاني مع بيتين آخرين لرجل من ولد الحجَّاج بن عِلاط وهما :

تَنْمِيْه أعْـراقُ صِـدْقٍ حِيْـنَ تَنسـبُـهُ ... ذِي نَجَداتٍ عنِ الـمَكْرُوبِ فَـرَّاجِ
سَامِي النَّواظِـرِ مِنْ بَهْـزٍ لَـهُ كَـرَمٌ ... تُضِيءُ سُـنَّتهُ في الحَالِكِ الـدَّاجي[٤]

وروى صاحب الأوائل البيتَ الأوّل :

إلى فَتًـى ماجـدِ الأعْـراقِ مُقتَبـلٍ ... تُضِـيءُ صُورتُه في الحالـكِ الدَّاجِي
نِعْـمَ الفَتَى في سَـوادِ اللَّـيْـلِ نُصْرَتُـهُ ... ليـائِـسٍ أو لـمَلْهُـوفٍ ومُحتـاجِ

وزاد المدائنيّ[٥] :

---

(١) هو كتاب الجاحظ المعروف بالمحاسن والأضداد .

(٢) في النسخة الشنقيطية جاء اسم الكتاب " غاية الوسائل " . و لم نقع على أحد ذكر هذا الكتاب .

(٣) في حاشية الطبعة السلفية ٦١/٤ يقول الميمني : " وفي طبقات الشافعية والمحاسن (غير ملجاج) والبيتان مع الآتيين في الطبقات لتلك المرأة " .

(٤) بهز : حي من بني سُليم بن منصور بن عكرمة . ومنهم الحجاج بن عِلاط بن خالد بن ثويرة . انظر في نسبه جمهرة أنساب العرب ص٢٦٢ .

(٥) في طبعة بولاق والنسخة الشنقيطية : " منها ومن راجي " . وهو تصحيف صوابه بالدال المهملة من الطبعة السلفية ٦١/٤ نقلاً عن طبقات الشافعية .

والداجي ، من المداجاة ، وهي المداراة والمساترة .

يا مُنيــةً لَمْ أُرَبْ فيهــا بضَــائِـرَةٍ   والنَّاسُ منْ صادق فِيْها ومنْ دَاجِي

ثم قال : وقال قومٌ: هذا الشعر مصنوع إلاَّ البيت الأول .

فقال عمر : من هذه المتمنّية ؟ فلزمها هذا الاسم ، واستلبتْه نساءُ المدينـة فضربـن به المثل[١] وقلنَ : « أصَبُّ من المتمنِّية » .

وقال الزَّجاجيّ :

لما أنشدَت :

ألاَ ســبيـل إلى خـمـر فأشـربهـا   . . . . البيت

قالت لها امرأةٌ معها[٢] : مَنْ نصرُ بن حجَّاج ؟ قالت : رجلٌ وددتُ أنَّـه معـي في ليلةٍ من ليالي الخريف في أطول ليلةٍ من ليالي الشتاء وليس معنا أحد ! فدعَـا بهـا عُمـر فضربها بالدِّرَّة ضَرَبَاتٍ ، ثم سأل عنها فلم يُخبَر عنها إلاَّ بخير ؛ فلمـا كـان مـن الغـدِ أرسل إلى نصر بن حجَّاج فأحضره ، وله شعرة[٣] فقال : إنّه ليُتمثّل بكَ ويُغنّي بـك ! وأمر بشَعْرتهِ فحُلقت ، ثم راح إليه بالعشـيِّ فـرآه في الحِـلاق أحسـنَ منـه في الشَّعر، فقال : لا تُساكنّي في بلدة ، فاختــرْ أيَّ البُلـدان شئت ! فكتبـت المـرأة إلى عمـر[٤] : (البسيط)

قُـلْ للإمـامِ الـذي تُخشَى بَــوادِرُهُ   مَالي وللخَمْـرِ أو نصْـرِ بنِ حجَّاجِ

إنِّـي عَنيْتُ أبَـا حَفْـصٍ بغيْـرهمـا   شربَ الحليبَ وطَرفَ قاصِرٍ سَاجِي[٥]

لا تَجعَـــلِ الظَّـنَّ حقّــاً أو تيَقّـنَــهُ   إنَّا السَّبيلَ سَبيلُ الخَائِـفِ الرَّاجِي

إنَّ الهـوَى زَمَّـهُ التَّـقْوى فَخيَّسـهُ   حتّـى أقَـرَّ بإلـجامٍ وإسْــراجِ

فبعث إليها عمر : لم يبلغْنا عنك إلاَّ خير !

---

(١) في النسخة الشنقيطية : " بها المثل " . وهو تصحيف صوابه من طبعة بولاق .

(٢) النص بحرفيته منقول من أخبار أبي القاسم الزجاجي ص٢٠٩-٢١٠ .

(٣) في اللسان (شعر) : " والشعرة : الواحدة من الشعر ، وقد يكنى بالشعرة عن الجميع كما يكنى بالشيبة عن الجنس " .

(٤) الأبيات في أخبار أبي القاسم الزجاجي ص٢١٠ .

(٥) في طبعة بولاق والنسخة الشنقيطية : " حفص بعلهما " . والتصويب من أخبار أبي القاسم الزجاجي ص٢١٠.

وقال حمزة : فلما أصبح عمر أحضر المتمنّى ، فلما رآه بهره جمالُه فقال له : أنت تتمنّاك الغانيات في خدورهنّ[١] ، لا أمَّ لك ، أما واللّه لأُزيلنّ عنك الجَمال ! ثم دعا بحجّام فحلق جُمّته ، ثم تأمَّله فقال : أنت مَحلوقاً أحسنُ ؛ فقال : وأيُّ ذنب لي في ذلك ؟ فقال : صدقتَ ، الذنبُ لي إذا تركتك في دار الهجرة[٢] .

ثم أركبه جملاً وسيّره إلى البصرة وكتب به إلى مجاشع بن مسعود السُّلَميّ : بأنّي قد سيَّرت المتمنّى نصرَ بن حجّاج السُّلَميّ إلى البصرة .

وكما قالوا بالمدينة : أصبُّ من المتمنّية ، قالوا بالبصرة : « أدنَف من المتمنّى » وذلك أن نصر بن حجّاج لما وردَ البصرة أخذ النّاسُ يسألونَ عنه ويقولون : أين المتمنّى الذي سيَّره عمر ؟ فغلب هذا الاسم عليه بالبَصرة ، كما غلبَ ذلك الاسمُ على عاشقته بالمدينة .

ومن حديث هذا المثل الثاني[٣] : أنّ نصراً لما نزل البصرةَ أنزله مُجاشِع بن مسعود منزلَه ، مِن أجلِ قرابته ، وأخدمه امرأته شُميلَة[٤] - وكانت أجمل امرأةٍ بالبَصرة - فَعلِقته وعَلقَها ، وخفيَ على كلٍّ واحد منهما خبر الآخر ، لملازمة مجاشعٍ لضيفه ، وكان مجاشعٌ أمِّيّاً ونصرٌ وشميلةُ كاتبَين ، فعِيلَ صبرُ نصر فكتب على الأرض بحضرة مجاشع : إنِّي أحببتُك حبّاً لو كان فوقكَ لأظلّك ، أو تحتَكِ لأقلّك . فوقّعت تحته غير محتشمة : وأنا كذلك . فقال مجاشع لها : ما الذي كتبَ ؟ فقالت : كتبَ كم تحلُب ناقتكم . فقال : وما الذي كتبتِ ؟ قالت : كتبتُ وأنا . فقال مجاشع : ما هذا لهذا بطبق ! فقالت : أصدُقُك ، إنّه كتبَ كم تُغِلُّ أرضُكم . فقال مجاشع ما بين كلامه وجوابكِ هذا أيضاً قرابة ! ثم كفأ على الكتابة جَفنَة ودعَا بغلام من الكتّاب فقرأه عليه ، فالتفتَ إلى نصر فقال : يا ابن عمّ ما سيَّرَك عمر إلى خَير[٥] ، قمْ فإنَّ وراءكَ أوسعُ لك . فنهض مستحيياً وعدلَ إلى منزل بعض السُّلَميّين[٦] ، ووقَع لجنبه وضَنِي

---

(١) في مجمع الأمثال للميداني ٥٧٤/١ : " أأنت الذي تتمناك الغانيات في خدورهن " .

(٢) في مجمع الأمثال للميداني : " ان تركتك في دار الهجرة " .

(٣) الحديث في أخبار أبي القاسم الزجاجي ص٢١٠ .

(٤) وكذا في مجمع الأمثال للميداني . وفي أخبار أبي القاسم الزجاجي ص٢١٠ : " .. امرأة يقال لها خضراء بني سليم .." .

(٥) في أمثال الميداني : " من خير .

(٦) في طبعة بولاق والنسخة الشنقيطية : " بعض المسلمين " . وهو تصحيف صوابه من أمثال الميداني .

من حُبِّ شُميلَة ودنِف ، حتَّى صار رحمةً[١] ، وانتشر خبره فضـرب نسـاءُ البصـرة بـه المثل فقلن : «أدنَف من المتمنَّى » .

ثم إنَّ مجاشعاً وقف على خبر علَّة نصر فدخل عليه عائداً ، فلحقته رِقَّـة لِمَـا رأى به من الدَّنف فرجع إلى بيته وقال لشُـميلة : عزمـتُ عليـك لَمَّـا أخـذتِ خُبزاً فلبكته بسمن ثمَّ بادرت به إلى نصر . فبادرتْ به إليه فلم يكن به نهوض، فضمّته إلى صدرها وجعلت تُلْقِمه بيدها فعادَت قواه وبرأ كأن لم تكن به قَلبة[٢] ، فقـال بعـض عُـوّاده : قاتل اللَّه الأعشى[٣] حيث قال : (السريع)

لَـوْ أسْـنَدَتْ مَيْتـاً إلى نَحْرِهـا عَـاشَ ولَـمْ يُنقَـلْ إلى قَـابِـرِ!

فلمَّا فارقته عاوده النُّكس ، و لم يزلْ يتردَّد في علّته حتَّى مـاتَ منهـا . كـذا قـال حمزة وصاحب الأوائل .

وقال المدائنيّ : إن عمرَ لما أخرج نصراً من المدينة إلى البَصرة قال نصـر : يـا أمـير المؤمنين أعْلمْهم أنَّك إنَّما أخرجتني لهذا الشِّعر لا لغيره .

وروي عن قَتادة أن نصراً لما أتـى البصـرةَ دخـل مجاشـعُ بـن مسـعود عـائداً لـه ، وعنده شُميلة بنت جُنادة بن أبي أُزَيهر[٤] فجرَى بينهما كلامٌ و لم يفهمْ منه مجاشـعٌ إلاَّ كلمةً واحدة من نصر : قال : وأنا .

فلما خرج نصرٌ قال لها : ما قال لك ؟ قالت : قـال لي : كـم لـبن نـاقتكم هـذه فأخبرته ؛ قال : ما هذا جوابُ كلامه وأرسل إلى نصر فسأله وأعظَم عليـه ، فقـال : قالت لي إنِّي أحبُّك حبًّا شديداً لو كان فوقَـك لأظلّـك ، ولـو كـانَ تحتـكَ لأقلّـك ، فقلتُ : وأنا . قال : فأنزِل لك عنها ؟ قال : أذكِّرك اللَّهَ أن يبلغ هذا عُمَر مع ما فعلَ

---

(١) في أمثال الميداني : " حمة " . والحممة : واحدة الحمم ، وهو بمعنى الجمر .

(٢) في لسان العرب : " ما بالعليل قلبة ، أي ما به شيء ، لا يستعمل إلا في النفي " .

" وما به قلبة " . مثل مشهور ، أي ما به دار . والمثل في جمهرة الأمثال ٢١٤/١ ، ٢٥٧/٢ ؛ ولسان العرب (قلب) ؛ والمستقصى ٣١٨/٢ ؛ ومجمع الأمثال للميداني ٢٧١/٢ .

(٣) البيت من مطولة للأعشى ميمون يهجو فيها علقمة بن علاثة ويمدح عامر بن الطفيل في المنافرة التي جرت بينهما، وهو في ديوانه ص١٨٩ ؛ ومجمع الأمثال للميداني ٥٧٥/١ . وبعده في مجمع الأمثال :

فكأنه شهد منهما النجوى . . . . . .

(٤) في طبعة بولاق : " بن أبي أزهر " .

بي ! وأمّا حديث العامَّة فيقولون : كَتبتْ له في الأرض هذا الكلام ، فقال : وأنا ، فسمعها مجاشع فلما خرج أكبَّ قَعباً على الكتاب ودعَا من قرأه له[1] . انتهى .

وأمَّا الزَّجّاج فإنّه قال بعد ما قرأ خطّها : ثم التفتَ إليه فقال : يا ابن أخي ، إنْ يكنْ الطّلاق ثلاثاً فهي طَالقٌ ألفاً ! فقال : وهي طالِقٌ إنْ جمعني وإيّاها بيتٌ أبداً ! ثمَّ ارتحل إلى فارس .

وقال في امرأة مجاشع : كانت امرأته يقال لها خَضراء بني سليم ، وكانت من أجمل النساء ، وهي أوّل من لبس الشُّفوف .

وحكى السُّهيليّ في « الرَّوض الأُنُف » هذه الحكاية على خلاف ما تقدّم قال : الحجّاج بن عِلاط وهو والد نصر الذي حلق عمرُ رأسَه ونفاه من المدينة ، فأتى الشام فنزل على أبي الأعور السُّلميّ ، فهَوِيَته امرأته وهوِيَها ، وفطِنَ أبو الأعور لذلك بسببٍ يطول ذكره ، فابتنى له قُبّه في أقصى الحيِّ فكان بها ، فاشتدّ ضناه بالمرأة حتّى مات كلَفاً بها ، وسمِّي المضنَى ، وضُربت به الأمثال .

وذكر الأصبَهانيّ في « كتاب الأمثال له » خبرَه بطوله . انتهى .

قال المدائنيُّ وصاحب الأوائل : وبعد أن أقام نصرٌ بالبَصرة حولاً كتب إلى عمر رضيَ اللّه عنه[2] : (الطويل)

لعَمْري لئِنْ سَيَّرتَني أَوْ حَرَمْتَني ... وما نِلْتُ ذَنْباً إنَّ ذَا لحَرَامُ

ومَالِيَ ذَنبٌ غيْرَ ظَنٍّ ظَنَنْتَهُ ... وفي بعضِ تصْديقِ الظُّنون أثَامُ

أَأَن غَنَّتِ الحَوراءُ ليْلاً بمُنيةٍ ... وبَعْضُ أمانيِّ النِّسَاءِ غَرامُ

ظَننتَ بيَ الظَّنَّ الذي ليْس بَعْدَهُ ... بَقَاءٌ ومالِي في النَّدِيِّ كَلامُ

وأصْبَحْتُ مَنْفيّاً على غَيْرِ رِيْبَةٍ ... وَقَدْ كَانَ لي بالمكّتَين مقَامُ

ويَمْنَعني مِمَّا تَظُنُّ تكرُّمي ... وآبَاءُ صِدْقٍ سَالفُونَ كِرَامُ

ويَمْنعُها ممَّا تَمنّتْ صَلاحُها ... وطُولُ قِيَامٍ لَيْلَها وصِيَامُ

فَهاتان حَالانا فهَلْ أنْتَ رَاجِعي ... وقَدْ جُبَّ منِّي كَاهِلٌ وسَنَامُ

(١) في النسخة الشنقيطية : " على الكتابة ودعا من قرأها له " .

(٢) الأبيات ٣-٨ في أخبار أبي القاسم الزجاجي ص٢١٠ .

قال الجاحظ : ردّه عمر بعد هذه الأبيات لما وصف له من عفّته .

وقال صاحب الأوائل : فلما وصلت الأبيات إل عمر ونظر فيها كتب إلى أبي موسى الأشعريّ وأمره بالوَصاة به إنْ أحبّ [أنْ[1]] يقيم بالبصرة ، وإن أحبّ الرّجوع إلى المدينة فذاك إليه . قال : فاختار الفتَى المقام بالبصرة ، فلم يزل مقيماً بها إلى أن خرج أبو موسى إلى محاربة أهل الأهواز ، فخرج معه نصر بن حجّاج في الجيش ، وحضر معه فتح تُستَر . انتهى .

وروى الزجّاجيّ في « أماليه »[2] أن نصراً أرسل هذه الأبياتَ إلى عمر حين نفاه إلى البصرة ، فبعث إليه عمر : أن لا رَجْعة . فارتحل إلى البصرة فنزل على مجاشع إلى آخر الحكاية .

هذا ما اطّلعت عليه ، ولا يخفى ما فيه من الاختلاف من جميع الجهات حتى في البيت الشاهد ، فالرواية المتقدمة هي رواية الجاحظ وحمزةَ الأصبهانيّ والسُّهَيليّ .

وروى المدائنيّ :

هلْ من سبيلٍ إلى خَمرٍ فأشربَها ... أمْ من سبيلٍ إلى نَصر بنِ حجَّاجِ

وروى صاحب الأوائل :

هلْ من سبيل إلى خَمر فأشربَها ... أم هلْ سبيلٌ إلى نصر بن حجَّاج

وهاتان الرّوايتان لا يناسبان تسمية المرأة بالمتمنّية ، وتسمية نصر بالمتمنّى[3] .

وروى الزّجّاجيّ المصراع هكذا :

* أم هلْ سبيل إلى نصر بن حجَّاج *

ورواه أبو عليّ الفارسيّ في « إيضاح الشعر » عن أبي عُبيدة :

* أو لا سبيل إلى نصر بن حجّاج *

---

(١) زيادة من النسخة الشنقيطية ، وهي ساقطة من طبعة بولاق .

(٢) أخبار أبي القاسم الزجاجي ص٢١٠ .

(٣) في حاشية الطبعة السلفية ٦٦/٤ : " هذا عجيب من البغدادي فكيف يخفى عنه أن الاستفهام كثيراً ما يراد به التمني " .

وفي حاشية طبعة هارون ٨٩/٤ : " هذا عجب من البغدادي ، فإن التمني واضح في الشعر بأسلوب الاستفهام " .

على أنّ أو بمعنى الواو . قال : تمنّتهما جميعاً ، وجعله مثل أو في قوله[1] :

وكـانَ سِيَّانِ ألاَّ يُسْرِحُوا غَنمـاً أو يُسْرِحُوهُ بِها واغْبَرَّتِ السُّـوحُ

وأشربَها منصوب بأن مضمرة بعد الفاء في جواب التّمنّي .

* * *

وأنشد بعده[2] : (الوافر)

ألاَ رَجُـلاً جَــزَاهُ اللّــهُ خَيــراً يَــدُلُّ على مـحصِّلــةٍ تَبيْــتُ

على أنّ يونس قال : أصله ألا رجلَ ، فنوَّن للضرورة ، وألا عنده فيه للتّمنّي .

وعند الخليل ليست للتمنّي وإنّما هي للتحضيض ، ورجلاً منصوبٌ بفعل محذوف تقديره : ألا تُروني رَجلاً ، بضم تاء تُرُوني .

وقد تقدم شرح هذا البيت مفصَّلاً في الشاهد الثالث والستين بعد المائة[3] .

وفي هذا البيت تضمين[4] لأن خبر تَبيت في بيت بعده وهو :

---

(١) هو الإنشاد التاسع والثمانون في شرح أبيات المغني للبغدادي .
والبيت لأبي ذؤيب الهـذلي في ديوان الهذليين ١٠٧/١ ؛ وشرح أبيـات المغني للبغـدادي ٣٠/٢ ؛ وشـرح أشعار الهذليين ص١٢٢ ؛ وشرح شواهد الإيضاح ص٢٤٥ ؛ وشرح شـواهد المغـني ص١٩٨ ؛ ولسـان العرب (سوا) . وهو بـلا نسبة في الخصـائص ٣٤٨/١ ، ٤٦٥/٢ ؛ ورصـف المباني ص١٣٢ ، ٤٢٧ ؛ وشرح المفصـل ٩١/٨ ؛ ومغني اللبيب ص٦٣ .

(٢) هو الإنشاد الثاني بعد المائة في شرح أبيات المغني للبغدادي .
والبيت لعمرو بن قعاس المرادي في شرح أبيات المغني ٩٤/٢ ؛ وشرح شواهد المغـني ص٢١٤ ، ٢١٥ ؛ والطرائـف الأدبية ص٧٣ . وهو بلا نسبة في الأزهية ص١٦٤ ؛ وإصلاح المنطق ص٤٣١ ؛ وأمـالي ابن الحـاجب ص١٦٧ ، ٤١٢ ؛ وتخليص الشـواهد ص٤١٥ ؛ وتذكـرة النحـاة ص٤٣ ؛ والجنى الدانـي ٣٨٢ ؛ وجواهـر الأدب ٣٣٧ ؛ ورصـف المبـاني ص٧٩ ؛ وشـرح الأشموني ١٥٤/١ ؛ وشـرح شـواهد المغني ص٦٤١ ؛ وشـرح عمـدة الحـافظ ص٣١٧ ؛ وشرح المفصل ١٠١/٢ ؛ والكتاب ٣٠٨/٢ ؛ ولسان العرب (حصل) ؛ ومغني اللبيب ص٦٩ ، ٢٥٥، ٦٠٠ ؛ والمقاصد النحوية ٣٦٦/٢ ، ٣٥٢/٣ ؛ ونوادر أبي زيد ص٥٦ .

(٣) الخزانة الجزء الثالث ص٥٠ .

(٤) في حاشيتي الطبعة السلفية وهارون : " وخرجه بعضهم على أن " تبيت " مضارع أبـات ، أي : تجعل لي بيتاً أي زوجة ، وعلى هذا التأويل ينتفي التضمين ، وهو توقف البيت على بيت آخر " .

تُـرجِّـلُ لـمّتـي وتَقُـمُّ بَـيْتـي وأُعْطِـيْها الإِتَاوَةَ إنْ رَضِيْتُ[١]

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السادس والستون بعد المائتين ، وهو من شواهد س[٢] : (البسيط)

٢٦٦- وَيْلُمِّـها في هَـوَاءِ الجوِّ طَالِبَـةً
ولا كَهَـذا الـذِي في الأرْضِ مَطْلُـوبُ

على أنَّ قوله : «مطلوبُ» ، عطف بيان لاسم «لا» المضاف : فإن الكاف اسمٌ مضاف لاسم الإشارة في محل نصب بلا على أنه اسمها ؛ وقد تبعه البيان بالرفع باعتبار أنّ «لا» مع اسمها في محلّ رفع على الابتداء والخبر محذوف ، أي : موجود ونحوه . ويجوز أن يكون مطلوب صفة اسم لا ، ولا يضرّ إضافة الكاف إلى اسم الإشارة ، فإنها بمعنى مثل ، وهي لا تتعرَّف بالإضافة إلى المعرفة . هذا محصَّل ما قاله الشارح المحقق .

وفيه أنَّهم قالوا : إنّ البيان يكون في الجوامد ، والصفةُ تكون في المشتقّات ، فكيف لا يكون فرق بين البيان والوصف .

وقد أورد سيبويه هذا البيت من باب الوصف لا غير . قال الأعلم : الشاهد فيه رفع «مطلوب» حملاً على موضع الكاف ، لأنَّها في تأويل مثل وموضعها موضع رفع، وهو بمنزلة لا كزيد رجل . ولو نُصب حملاً على اللفظ أو على التمييز لجاز . انتهى.

ونقل ابن السراج في الأصول عن سيبويه أنّ اسم « لا» في مثل هذا محذوف والكاف حرف ، وهذا كلامه : وتقول لا كزيد رجلٌ ، لأنَّ الآخِر هو الأوّل ولأنّ زيداً رجل ، وصار لا كزيد كأنّك قلت : لا أحدٌ كزيد ثم قلت رجل ، كما تقول

---

(١) البيت في شرح أبيات المغني للبغدادي ٩٧/٢ ؛ ولسان العرب (حصل) عن ابن بري ، وبكسر همزة " أن " . وهو خطأ نبه عليه المصنف في كتابه شرح أبيات المغني للبغدادي .

(٢) البيت لامرئ القيس في ديوانه ص٢٢٧ ؛ وسر صناعة الإعراب ص٢٣٥ ؛ وشرح أبيات المغني للبغدادي ١١٢/٤ ؛ وشرح المفصل ١١٤/٢ ؛ والعمدة في محاسن الشعر ٩٥/١ ؛ والكتاب ٢٩٤/٢ . وهو بلا نسبة في جمهرة اللغة ص٩٩٨ ؛ ورصف المباني ص٤٣ ؛ ولسان العرب (ويا) .

لا مال له قليل ولا كثير على الموضع . وقال امرؤ القيس :

ويْلمّهــا في هــواءِ الجــوِّ طالبــة . . . . البيت

كأنه قــال : ولا شـيء كهـذا ، ورفـع على الموضـع ، وإن شئت نصبت على التفسير كأنه قال : لا أحد كزيد رجلاً .

قال سيبويه : ونظير لا كزيد في حذفهم الاسم قولهم : لا عليك ؛ وإنما يريدون لا بأس عليك ولا شيء عليك ، ولكنه حُذف لكثرة استعمالهم إياه . انتهى .

واعلم أنّه يجوز أن يكون مطلوب مبتدأ مؤخراً واسم « لا» بمعنى ليس والظـرف قبله الخبر . قال النحاس في « شرح أبيات الكتاب » ناقلاً عن أبي الحسن الأخفـش : هذا هو الجيد .

وقولـه : « ويْلُمِّهـا » . الخ ، هـذا في صـورة الدعـاء على الشـيء ، والمـرادُ بـه التعجب ، والضمير المؤنث مفسّر بالتمييز ، أعني طالبةً المراد بها العقـاب ، وهـو تمييز عن النسبة الحاصلة بالإضافة ، وقد أوضحها الشارح المحقق في بـاب التمييـز . ومعنى الكلام : ما أشدَّ طيرانَ هذه العقاب في هواء الجوّ .

وويل إذا أضيفت فالوجه النصب، كقولك ويل زَيد ، لكنها هنا مضمومـة الـلام أو مكسورة والأصل ويلٌ لأمّها .

قد تقدم شرح جميع هـذا مفصَّـلاً في الشـاهد الحـادي عشـر والثـاني عشـر بعـد المائتين[1] .

وهذه رواية النحاة ، وأما الثابت في ديوان امرئ القيس فهو :

لا كالتي في هواء الجوّ طالبة (البيت)

و« الهواء » : الشيء الخالي ، و« الجوّ » : ما بـين السـماء والأرض ، فهـو مـن قبيلِ إضافة الصفة إلى موصوفها . وأراد بالمطلوب الذئب ، فإنه وصـف عقابـاً تبعـت ذئباً لتصيده ، فتعجَّب منها في شدَّة طلبها ، وتعجَّب من الذئب أيضاً في سرعته وشدَّة هَربه منها .

(١) في الأصل : " في الشاهد الثامن والتاسع بعد المائتين " . وانظر لذلـك الخزانـة الجزء الثلث ص٢٥٨ ، ٢٦٣ . وقد نبه على هذا الخطأ محققو الخزانة الطبعة السلفية ٤/٦٨ ؛ وطبعة هارون ٤/٩٢ .

وهذا البيت من قصيدة لامرئ القيس وهي[(١)] : (البسيط)

الخَيرُ ما طَلعَتْ شَمسٌ وما غَرَبَتْ ... مُطَّلَبٌ بنَواصِي الخَيلِ مَعْصُوبُ

قَدْ أشْهدُ الغَارةَ الشَّعْواءَ تحمِلُني ... جَرْدَاءُ مَعْروقَةُ اللَّحْيَينِ سُرْحُوبُ[(٢)]

كأنَّها حِينَ فَاضَ الماءُ واخْتَلَفَتْ ... صَقْعَاءُ لاحَ لها بالسَّرْحَةِ الذِّيبُ[(٣)]

فأبْصرَتْ شَخْصَهُ من دونِ مَرْقَبَةٍ ... ودُونَ موقِعهـا منهُ شَناخِيبُ[(٤)]

فأقْبلَتْ نَحْوَهُ في الرِّيحِ كَاسِرَةً ... يحثُّها من هَواءِ الجَوِّ تَصْويبُ

صُبَّتْ عليهِ ولم تَنْصَبَّ منْ أمَمٍ ... إنَّ الشَّقاءَ علَى الأشْقَينَ مَصبُوبُ

كالدَّلْوِ بُتَّتْ عُراها وهي مُثْقَلَةٌ ... إذْ خَانَها وَذَمٌ مِنْها وتَكْرِيبُ[(٥)]

لا كالتي في هَواءِ الجوِّ طالبَةً ... ولا كَهذا الذي في الأرضِ مَطلُوبُ[(٦)]

كالبَرقِ والرِّيحِ مَرٌّ منهُمَا عَجَبٌ ... ما في اجتهَادٍ عنِ الإسْراحِ تَغبيبُ

فأدْرَكَتْهُ فنَالَتْهُ مَخالِبُها ... فانْسَلَّ منْ تَحتِها والدَّفُّ مَثقُوبُ

وقوله : « الخير ما طلعت الخ » ، « الخير » مبتدأ و« مُطَّلَب » خبره ، ووزنه مفتعل من الطلب فأبدل وأدغم : و« ما » مصدرية ظرفية . و« معصوب » خبر بعد خبر بمعنى مشدود ، والباء متعلقة بما قبلها أو بما بعدها ويضمر لأحدهما ، فهو من التجاذب كقوله تعالى[(٧)] : « لا تَثْرِيبَ عَلَيكُم اليومَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُم » . وهذا يشبه

---

(١) الأبيات لامرئ القيس من قصيدة في ديوانه ص٢٢٥-٢٢٩ ؛ وشرح أبيات المغني ٤/١١١-١١٢ .

(٢) هو الإنشاد التاسع والثمانون بعد المائتين في شرح أبيات المغني للبغدادي .

والبيت لامرئ القيس في سر صناعة الإعراب ص٢١ ؛ وشرح شواهد الإيضاح ص٤٩٧ ؛ والمنصف ١/٢٢٣ ؛ ولامرئ القيس أو لعمران بن إبراهيم الأنصاري في شرح شواهد المغني ٢/٤٩٦ ؛ ولإبراهيم بن عمران في لسان العرب (قصب) . وهو بلا نسبة في الجنى الداني ص٢٥٨ ؛ ولسان العرب (عرق) ؛ ومغني اللبيب ص١٧٤ .

(٣) البيت للراعي النميري في ملحق ديوانه ص٢٩٩ ؛ وتاج العروس (صرح) ؛ ولسان العرب (صرح) ؛ وكتاب العين ٣/١١٥ ؛ ولامرئ القيس في ديوانه ص٢٢٦ ؛ واساس البلاغة (حفل) . وهو بلا نسبة في تاج العروس (صقع) ؛ وتهذيب اللغة ٤/٢٣٩ ؛ ولسان العرب (صقع) .

(٤) البيت بلا نسبة في كتاب العين ٤/٣٢٦ .

(٥) البيت لامرئ القيس في تاج العروس (كرب) ؛ ولسان العرب (كرب) .

(٦) البيت لامرئ القيس في سر صناعة الإعراب ص٢٣٥ ؛ وشرح المفصل ٢/١١٤ ؛ والكتاب ٢/٢٩٤ . وهو بلا نسبة في جمهرة اللغة ص٩٩٨ ؛ ورصف المباني ص٤٣ ؛ ولسان العرب (ويا) .

(٧) سورة يوسف : ١٢/٩٢ .

الحديث وهو : « الخيلُ معقودٌ بنَواصيها الخير إلى يوم القيامة» .

وقوله : « قد أشهد الغارة الخ » ، « قد » هنا للتكثير ، و« أشهد » : أحضُر . و« الشَّعواء » ، بالعين المهملة : المتفرقة الفاشية . و« الجرداء » : الفرس القصيرة الشعر. و« معروقة اللحيين » ، أي : قليلة لحم اللَّحيين بفتح اللام ، وهما العظمان اللذان ينبُت عليهما الأسنان . و« السّرحوب » ، بضم المهملتين : الطويلة الظهر السريعة . وهذا الوصفان مدحٌ في الخيل .

وقوله : « كأنّها حين فاض » ، الضمير للفرس ، أي : كأنها حين عرقت فأملأ عرقُها . واختلفت ، أي : استقت ماءً ، يريد كأنّها استقت ماءً من شدَّة عرقها ، أو معناه تردّدت هنا وهنا ؛ فإنّ الاختلاف يأتي بمعنى التردُّد .

و« صقعاء » خبر كأنّها ، وهي العقاب بيضاء الرأس ، قال في « الصحاح » : والأصقع من الخيل والطير وغيرهما : الذي في وسط رأسه بياض ، يقال : عُقابٌ صقعاء ، والاسم الصُّقعَة انتهى .

و« لاح » : ظهر . و« السَّرحَة » : شجرة . وقيل موضع ، يقول : كانت العقاب واقفة تبصر صيداً ، فلاح لها الذئب .

وقوله : « فأبصرت شخصَه الخ » ، « المَرقَبَة » بالفتح : الموضع العالي الذي يُرقَب فيه العدوّ . وموقع[1] العقاب الموضع الذي هي واقفة عليه . و« الشَّناخيب »: رؤوس الجبال ، أي : بين موقعها من الذئب وبينه رؤُوسُ جبال عالية .

وقوله : « فأقبلت نحوه الخ » ، أي : نحو الذئب . و« كسر الطائر » : إذا صفّ جناحيه . و« التصويب » : الانصباب .

وقوله : « صبَّت عليه الخ » ، « الأَمَم » ، بفتحتين : القُرب ، يقال : أخذتُ ذلك من أَمَم . و« الأَشقَينَ » : جمع أشقَى . وهذا المصراع من إرسال المثل .

وقوله : « كالدلو بُتَّتْ عراها الخ » ، شبّه هُويَّ العُقاب بسرعةِ هُويِّ الدّلو الملأى إذا انقطعَ حبْلها . و« بُتَّتْ » قُطعت ، من البتّ . و« العُرا » : جمع عُرْوَة . و«الوَذَم» ، بفتح الواو والذال المعجمة : السيور التي بين آذان الدلو وأطراف العرَاقيّ، وهي العيدان المصلّبة تشدّ من أسفل الدّلو إلى قدر ذراع أو ذراعين من حبل الدلو مما

(١) في طبعة بولاق : " وموضع " . وصوابه ما أثبتناه من النسخة الشنقيطية .

يلي الدّلو ؛ فإن انقطع حبلها تعلّقت بالوَذَم . و« التّكريب » : شدّ الكَرَب ، بفتحتين، وهو الحبل الذي يشدّ في وسط العَرَاقيّ ، ثمَّ يُثَنّى ثم يثلّث ليكون هو الذي يلي الماء فلا يَعفن الحبل الكبير .

وقوله : « لا كالتي في هواء الجوّ طالبة الخ » قال ابن رشيق في « العمدة »[1] : هذا البيت عند دعبل أشعر بيت قالته العرب ، وبه قدَّمه على الشعراء .

وقوله : « كالبرق والريح الخ » ، يقول : إنّ العقاب والذئب مرُّهما وسرعتُهما كالبرق والريح . و« التغبيب » : الفتور والتقصير ، يقال : غبَّب فلان في الحاجة ، إذا لم يبالغ فيها ، وهو من الغَبّ بالغين المعجمة بعدها موحدة .

وقوله : « فأدركتْه فنالتْه الخ » ، « انسلّ » ، أي : انفلت ، و« الدَّفّ » ، بفتح الدال وتشديد الفاء : الجنب ، يعني أفلت الذئبُ من العُقاب ونجا ، لكن ثقبت جنبَه .

وترجمة امرئ القيس قد تقدّمت في الشاهد التاسع والأربعين[2] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع والستون بعد المائتين ، وهو من شواهد **س**[3]:
(الكامل)

٢٦٧- لا كالعَشِيَّةِ زَائِراً ومَزُورَا

على أنّ « زائراً » قيل منصوب على تقدير فعل ، أي : لا أرى كعشية اليوم زائراً . وإنما لم يجعل الكاف اسماً لـ«لا» مضافاً إلى العشيّة ويكون زائراً عطفَ بيان للكاف تَبعَهُ على اللفظ أو صفةً على طِرْز البيت الذي قبله ، لأنّ الزَّائر غير العشية ، فلما كانَ الثاني غير الأوّل لعدم صحّة الحمل جعلت «لا» نافية للفعل المقدّر دون كونها نافية للجنس .

---

(١) العمدة في محاسن الشعر ١/٩٥ .

(٢) الخزانة الجزء الأول ص٣٢١ .

(٣) البيت لجرير بن عطية بن الخطفى في ديوانه ص٢٢٨ ؛ وشرح أبيات سيبويه ١/٥٥٦ ؛ وشرح المفصل ٢/١١٤؛ والكتاب ٢/٢٩٣ . وهو بلا نسبة في مجالس ثعلب ص٣٢١ ؛ والمقتضب ٢/١٥٢ .

وصاحب هذا القيل هو سيبويه ، وهذا نصُّه :

وأما قول جرير :

* لا كالعشيَّة زائِراً ومَزُورَا *

فلا يكون إلاّ نصباً ، من قِبَل[1] أنّ العشيّة ليست بالزائر ، وإنما أراد لا أرى كالعشيّة زائراً ، كما تقول ما رأيت كاليوم رجلاً ، فكاليوم مثل قولك في اليوم لأنّ الكاف ليست باسم . وفيه معنى التعجّب كما قال تاللّه رجلاً ، وسبحان اللّه رجلاً ، إنّما أراد تاللّه ما رأيت رجلاً وسبحان اللّه ما رأيت رجلاً ؛ ولكنّه يترك إظهار الفعل استغناءً ، لأنّ المخاطبَ يعلم أنّ هذا الموضع إنّما يضمر فيه هذا الفعلُ لكثرة استعمالهم إيّاه انتهى .

قال الأعلم : أصله لا أرى زائِراً ومزوراً كزائر العشيّة ومزُورها ، فحذف اختصاراً للعلم ، كما قالوا : ما رأيت كاليوم رجلاً ، أي : كرجل أراه اليوم . ولا تجيزن[2] في هذا رفع الزائر ، لأنّه غير العشيّة ، وليس بمنزلة لا كزيد رجل ، لأنّ زيداً من الرجال انتهى .

وقد نقل أبو العباس ثعلب في « أماليه » قاعدةً لحذف الفعل مع الظرف الزمانيّ، قال : حكى الكسائيّ نزلنا المنزلَ الذي البارحةَ ، والمنزل الذي آنفا ، والمنزل الذي أمس . فيقولون في كلّ وقت شاهدوه من قرب ، ويحذفون الفعلَ وحده كأنّهم يقولون : نزلنا المنزل الذي نزلنا أمس ، والذي نزلناه اليوم ؛ اكتفوا بالوقت من الفعل، إذْ[3] كان الوقت يدلّ على الفعل وهوقريب . ولا يقولون الذي يومَ الخميس ، ولا الذي يوم الجمعة .

وكذا يقولون : لا كاليوم رجلاً ، ولا كالعشيّة رجلاً ، ولا كالسَّاعة رجلاً ، فيحذفون مع الأوقات التي هم فيها . وأباه الفرَّاء مع العَلَم . وهو جائز وأنشد :

* لا كالعشيّة زائراً ومَزُورَا[4] *

---

(١) في طبعة بولاق والنسخة الشنقيطية : " من قبيل " . وهو تصحيف صوابه من شرح أبيات سيبويه .

(٢) في شرح الأعلم : " ولا يحسن " .

(٣) في طبعة بولاق والنسخة الشنقيطية : " إذا " . وهو تصحيف صوابه من مجالس ثعلب ص٣٢١ .

(٤) جاء بعده في مجالس ثعلب : " لأني أقول لقيتك العام ولا أقول لقيتك السنة " .

وكلّ ما كان فيه الوقت فجائز أن يكون بِحَذْف الفعل معه ، لأنّ الوقت القريب يدلّ على فعلٍ لقربه . انتهى .

وقد قدَّر أبو عليّ الفارسيّ في « المسائل المنثورة » فعلَين ، قال : نصب زَائراً لأنّ الفعل مقدّر ، فكأنَّ تقديره : لا أرى زَائراً ومزُوراً له كرجل أراه العشيّة . فنصبه على الفعل وحذف ذلك لما في الكلام من الدَّلالة عليه .

ويجوز الرفع هاهنا ، وهو قبيح لأنّ الزَّائر ليس هو العشيّة ، ويجوز رفعه كأنّك أردت كصاحب العشيّة ، فحذفت صاحباً وجعلتَ العشيّة إذا رفعتهما دلالة على ما حذفت .

هذا وقد اعترضَ عليهم الشارح المحقّق في إخراجهم «لا» هذه عن الباب مع قولهم إنّ الأصل كزائرِ العشيّة بتقدير المضاف ، قال : مع تقديرهم هذا صار الآخر هو [الأصلِ[1]] الأوّل ، كما في قولك : لا كالعشيَّة عشيّةٌ ، [وعَشيَّةً[2]] ، فيجوز أن يكون زائراً تابعاً على اللفظ . وهذا حقٌّ لا ينبغي العدول عنه و«أل» في العشيَّة للعهد الحضوريّ ، كقوله تعالى[3] : « اليومَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ » .

و« العشيَّة » قال ابن الأنباريّ : مؤنّثة ، وربَّما ذكّرتها العرب على معنى العشيّ.

وقال بعضهم : العشيّة واحدة جمعُها[4] عشيّ ؛ و« العشيّ » قيل : ما بين الزوال إلى الغروب ، ومنه يقال للظهر والعصر صلاتا العشيّ ؛ وقيل هو آخر النهار[5]؛ وقيل من الزَّوال إلى الصَّباح ؛ وقيل العشيِّ والعشاء من صلاة المغرب إلى العَتَمة . كذا في «المصباح» . وأراد بالزَّائر نفسه ، وبالمزور من يهواه .

وهذا المصراع عجز ، وصدره[6] :

---

(١) زيادة يقتضيها السياق من الطبعة السلفية ٧٢/٤ نقلاً عن شرح الرضي ٢٤٣/١ .

(٢) زيادة يقتضيها السياق من شرح الرضي .

(٣) سورة المائدة : ٣/٥ .

(٤) في طبعة بولاق : " جمعها " ، وهو تصحيف صوابه من النسخة الشنقيطية .

(٥) في طبعة بولاق : " آخر الليل " . وهو تصحيف صوابه من النسخة الشنقيطية .

(٦) اشترك معه الشاعر الراعي في هذا الصدر فقال الراعي :

يا صاحبي دنا الرواح فسيرا غلب الفرزدق في الهجاء جريرا =

* يا صاحبيَّ دنَا الصَّباحُ فسِيرا *

والبيتُ من قصيدة لجرير بن الخطفى يهجو بهـا الأخطـل النّصرانـيّ مطلعُهـا[١] : (الكامل)

صَرَم الخَليطُ تبَايُنـا وبُكُـوراً وحسِبت بينَهُـمُ علَيكَ يَسِيـرا

وفيها بيتان من شواهد الكشّاف « أحدهما » : في سورة مريم وهو[٢] :

إنِّي إذا مضَـرٌ علـيَّ تحدَّبَـتْ لاقَيْتَ مَطّلَـع الجبَـال وُعُـورَا

على أنّ اطّلع في قوله تعالى[٣] : « اطّلعَ الغَيْبَ » بمعنى ارتقَى ، مـن قولهـم اطّلـع الجبل . ومُطّلع الجبَل مَصعده ومُرتقاه .

و« وُعُور » : جمع وعر وهو المكان الخشن الصعب ، ونصبه إما على أنه مفعول لاقيتَ ومطّلع الجبال ظرف ، وإما حال من الجبال على أنّ المطّلع مصدر ، أو حـال من المطّلع بتقدير تعدّده لإضافته إلى متعدّد . ورُوي « وَعُورا » بفتح الواو : بمعنى أنه من الفخر بمكان لا يُنال .

و« الثاني » : في الملائكة وهو[٤] :

مَشقَ الهَواجرُ في القِلاص معَ السُّرَى حتّـى ذَهبـنَ كـلاكِـلاً وصُـدُورا

أورده عند قوله تعالى[٥] : « فَـلا تَذْهَـبْ نَفْسُـكَ عَلَيْهِـمْ حَسَرَاتٍ » . والروايـة المعروفة :

مَشَـقَ الـهَواجِرُ لحمهُنّ منَ السُّرَى حتّـى ذَهبـنَ الخ

= انظر في ذلك ديوانه ص١٣٩ ؛ والأغاني ٢٠/٨ .

(١) ديوان جرير ص٢٢٦ .

(٢) البيت لجرير في ديوانه ص٢٢٩ ؛ وأساس البلاغة (طلع) ؛ وتاج العروس (طلع) ؛ وتهذيب اللغة ١٧١/٢ ، ٤٣٠/٤ ؛ ولسان العرب (طلع) .

وتحدبت عليه : حنت وتعطفت . وجاء رسم الكلمة في الطبعة السلفية ٧٣/٤ : " وتحدثت " . وهو تصحيف .

(٣) سورة مريم : ٧٨/١٩ .

(٤) البيت لجرير في ديوانه ص٢٢٧ ؛ وشرح أبيات سيبويه ٢٢٠/١ ؛ والكتاب ١٦٢/١ ؛ والمقاصد النحوية ١٤٤/٣ . وهو بلا نسبة في لسان العرب (كلل)

(٥) سورة فاطر : ٨/٣٥ .

وكذا أنشده سيبويه ، قال الأعلم : الشاهد في نصب كلا كِلاً بقوله ذهبن نصْبَ التمييز ، لا نصبَ التشبيه بالظرف .

وعبر [سيبويه[١]] عما أراد من نصب هذا ونحوه على التّمييز ، بذكره الحال ، لما بين التّمييز والحال من المناسبة بوقوعهما نكرتين بعد تمام الكلام ، وتبيينهما للشيء المقصود من النوع ، تقول ذهب زيد ظَهْراً وصَدْراً ، وتغيَّر وجهاً وجسماً ؛ تريد ذهب ظهره وصدره ، وتغيّر وجهه وجسمه . فعبّر سيبويه عن التّمييز بالحال . وعلى هذا يُجرَى سائرُ الأبيات انتهى .

و« المشق » : الترقيق والإهزال . و« الهواجر » : جمع هاجرة ، وهي نِصف النهار وقتَ اشتداد الحرّ . و« السُّرَى » : سير الليل . و«من» في الرواية الثانية بمعنى مع. و« الكلاكل » : جمع كَلكَل كجعفر ، وهو الصَّدر ، وعطف عليه الصدر للتفسير ، أو أنه أراد بالكلكل أعلى الصدر . وصف رواحلَ أنضاها دُؤُوب السير في الهواجر والليل حتّى ذهب لحوم صدرها .

وترجمة جرير قد تقدمت في الشاهد الرابع في أوّل الكتاب[٢] .

* * *

وأنشد بعده :

* يا تَيمُ تَيمَ عَدِيٍّ *

وهو قطعة من بيت هو[٣] : (البسيط)

---

(١) زيادة يقتضيها السياق من شرح الأعلم ٨١/١ .

(٢) الخزانة الجزء الأول ص٩٠ .

(٣) هو الإنشاد السابع والتسعون بعد الستمائة في شرح أبيات المغني للبغدادي .

والبيت لجرير في ديوانه ص٢١٢ ؛ والأزهية ص٢٣٨ ؛ والأغاني ٣٤٩/٢١ ؛ والخصائص ٣٤٥/١ ؛ والدرر ٢٩/٦ ؛ وشرح أبيات سيبويه ١٤٢/١ ؛ وشرح أبيات المغني ١١/٧ ؛ وشرح شواهد المغني ٨٥٥/٢ ؛ وشرح المفصل ١٠/٢ ؛ والكتاب ٥٣/١ ، ٢٠٥/٢ ؛ واللامات ص١٠١ ؛ ولسان العرب (أبي) ؛ والمقاصد النحوية ٢٤٠/٤ ؛ والمقتضب ٢٢٩/٤ ؛ ونوادر أبي زيد ص١٣٩ . وهو بلا نسبة في الأشباه والنظائر ٢٠٤/٤ ؛ وأمالي ابن الحاجب ٧٢٥/٢ ؛ وجواهر الأدب ص١٩٩ ، ٤٢١ ؛ ورصف المباني ص٢٤٥ ؛ وشرح الأشموني ٤٥٤/٢ ؛ وشرح ابن عقيل ص٥٢٢ ؛ وشرح المفصل ١٠٥/٢ ، ٢١/٣ ؛ومغني اللبيب ٤٥٧/٢ ؛ وهمع الهوامع ١٢٢/٢ .

يا تَيمُ تَيْمَ عَدِيٍّ لا أَبَا لَكُمُ لا يُلْقِيَنَّكُمُ في سَوْءَةٍ عُمَرُ

وقد تقدَّم شرحه مفصَّلاً في الشاهد الثاني والثلاثين بعد المائة[1] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثامن والستون بعد المائتين[2] : (الطويل)

٢٦٨- وقَدْ مَاتَ شَمَّاخٌ ومَاتَ مُزَرِّدٌ
وأيُّ كَرِيمٍ لا أَباكَ مُخَلَّدُ

على أن إضافة « أبا » إلى الضمير بدون اللام شاذّة لا يقاس عليها . قال ابن السرّاج في « الأصول »: والشاعر قد يُضطرٌّ فيحذف اللام ويضيف ، قال الشاعر[3]: (الوافر)

أبالموتِ الذي لا بُدَّ أنّي مُلاقٍ لا أباكِ تخوِّفيني

وقال الآخر :

وقدْ مَاتَ شَمَّاخٌ ومَاتَ مُزَرِّدٌ وأيُّ كَرِيمٍ لا أباكَ مُخَلَّدُ

وكذا أنشدهما المبرد في « الكامل[4] » .

قال أبو عليّ في « التذكرة » قال أبو عثمان : لم يجيء في باب النفي مثل لا أباك مضافاً بغير لام إلاّ هذا وحده . وأنشد البيتين .

ولا يخفى أن هذا البيت من قصيدةٍ عينيّة لمسكين الدَّارميّ ، وليس فيها الضرورة.

---

(١) الخزانة الجزء الثاني ص٢٦١ .

(٢) البيت لمسكين الدارمي في ديوانه ص٣١ ؛ والكتاب ٢٧٩/٢ . وهو بلا نسبة في جواهر الأدب ص٢٤٢ ؛ وشرح المفصل ١٥٠/٢ ؛ وكتاب اللامات ص١٠٣ ؛ ولسان العرب (أبي) ؛ والمقتضب ٣٧٥/٤ .

(٣) البيت لأبي حية النميري في ديوانه ص١٧٧ ؛ والدرر ٢١٩/٢ ؛ وشرح شواهد الإيضاح ص٢١١ ؛ ولسان العرب (حفل ، أبي ، فلا) . وهو بلا نسبة في الأشباه والنظائر ١٣٢/٣ ؛ والخصائص ٣٤٥/١ ؛ وشرح التصريح ٢٦/٢ ؛ وشرح ديوان الحماسة للمرزوقي ص٥٠١ ؛ وشرح شذور الذهب ص٤٢٤ ؛ وشرح المفصل ١٠٥/٢ ؛ والكامل في اللغة ١٦١/٢ ؛ واللامات ص١٠٣ ؛ والمقتضب ٣٧٥/٤ ؛ والمقرب ١٩٧/١ ؛ والمنصف ٣٣٧/٢ ؛ وهمع الهوامع ٣٣٧/١ .

(٤) الكامل في اللغة ١٦١/٢ .

والمصراع هكذا :

* وأيّ كريم لا أبا لكَ يُمنَع *

وهي قصيدة أورد فيها شعراءَ كلٌّ منهم نَسب قبره إلى بلده ، ومسقط رأسه ، وذكر حالَ الشعراء المتقدِّمين ، وأنّهم ذهبوا و لم يبق منهم أحدٌ ، يصغّر أمر الدنيا ويحقّره .

وهذه أبيات منها[1] : (الطويل)

ولستُ بأحيَا منْ رجَالٍ رَأيتُهمْ ... لكلِّ امرئ يوماً حِمَامٌ ومَصرعُ

دَعَا ضَابئاً داعِي المَنايا فجَاءهُ ... ولما دَعوا باسم ابن دَارَة أسمعُوا[2]

وحِصنٌ بصَحرَاءِ الثّويّة بيتهُ ... ألا إنّما الدّنيا متَاعٌ يُمتّع[3]

وأوسُ بن مَغراءَ القُريعيُّ قَدْ ثَوَى ... لَهُ فَوقَ أبياتِ الرِّيَاحِيِّ مَضْجَعُ[4]

ونَابغَةُ الجَعْدِيُّ بالرَّملِ بَيتُهُ ... عليهِ صفيحٌ من رُخَامٍ مُرَصَّعُ[5]

ومَا رَجعَتْ من حِميريٍّ عصَابَةٌ ... إلى ابنِ وَثيلٍ نفسَه حينَ تُنْزَعُ

أرَى ابن جُعيْلٍ بالجزيرَةِ بَيْتُهُ ... وقَدْ تَرَكَ الدُّنيا وما كَانَ يَجْمعُ

بنَجرَان أوصالُ النَّجاشيِّ أصبحَت ... تَلوذُ بهِ طَيرٌ عُكُوفٌ ووُقَّعُ

وقَدْ مَاتَ شَمَّاخٌ ومَاتَ مُزرّدٌ ... وأيُّ عزيزٍ لا أبا لكَ يُمنَعُ

أولئكَ قومٌ قَدْ مَضَوا لسبيلِهمْ ... كمَا مَاتَ لُقمَانُ بنُ عَادٍ وتُبَّعُ

قوله : « ونابغة الجَعْديّ الخ » هذا البيت من شواهد سيبويه ، وأراد بالرمل رمل بني جَعْدة ، وهي رمالٌ وراء الفَلْج من طريق البصرة إلى مكّة . وابن وَثيل هو سُحيم ابن وَثيل بن حِميريّ . وكعب بن جُعيل دفن بجزيرة ابن عُمر لأنّها بلاد بني تغلب ،

---

(١) الأبيات لمسكين الدارمي في ديوانه ص٤٩ ؛ وفرحة الأديب ص١٣٦-١٣٧ .

(٢) في طبعة بولاق والنسخة الشنقيطية : " ضائيا " . وهو تصحيف صوابه ديوانه وفرحة الأديب .

وهو ضابئ بن الحارث البرجمي صاحب عثمان بن عفان . وابن دارة : هو سالم بن دارة .

(٣) هو حصن بن حذيفة بن بدر .

(٤) هو سحيم بن وثيل الرياحي الشاعر المشهور .

(٥) البيت لمسكين الدارمي في تاج العروس (نبغ) ؛ وشرح أبيات سيبويه ٢/٢٢٤ . وهو بلا نسبة في الكتاب ٣/٢٤٤ ؛ ولسان العرب (وسط ، نبغ) ؛ وما ينصرف وما لا ينصرف ص٥٤ .

ودفن النّجاشيّ بنَجرانَ لأنّه من اليمن بلاد بني الحارث بن كعب .

وقوله : « وقد مات شمّاخ وماتَ مزرِّد » هما أخوان لأب وأمّ ، وصحابيان ، وشاعران .

وقد تقدّمت ترجمة الشمّاخ في الشاهد الحادي والتسعين بعد المائة[1] .

واسمه مَعقِل بن ضرار ، والمزرِّد اسمه يزيد بن ضِرار ، وإنّما سمّي مزرِّداً بقوله[2] : (الطويل)

فقلتُ تزرَّدْها عُبيدُ فإنّني ... لدُرْدِ الموالي في السّنين مزرِّدُ

ولهما أخ آخر شقيقهما وهو جَزْء بن ضِرار ، بفتح الجيم وسكون الزاي بعدها همزة. ومات الشمَّاخ وجَزْءٌ متهاجِرَين .

وسبب ذلك على ما روَى الكلبيّ أنَّ الشمَّاخ كان يهوَى امرأةً من قومه يقال لها كلبَة بنت جوَّال ، وكان يتحدّث إليها ويقول فيها الشعر ، فخطبها فأجابته وهمَّت أن تتزوّجه ، ثم خرج إلى سفرٍ له فتزَوَّجها أخوه جَزء ، فآلى الشمّاخ أن لا يكلّمه أبداً ، وهجاه بقصيدته التي يقول فيها : (الطويل)

لَنا صاحبٌ قَدْ خَانَ من أجلِ نظرَةٍ ... سقيمُ فُؤادٍ حبُّ كَلْبَة شاغلُه

فماتا متهاجرين .

وقوله : « لا أبا لكَ » ، جملة اعتراضيّة بين أيُّ عزيز وهو موصوف ، وبين يُمنع وهو صفة لأيّ . وكذلك يخلّد ومخلّد على تلك الرواية .

قال المبرِّد في « الكامل »[3] : « لا أبا لكَ هي كلمة فيها جفاء وغِلظة ، والعرب تستعملها عند الحثّ على أخذ الحقّ والإغراء ، وربّما استعملتها الجفَاةُ من

(١) في طبعة بولاق والشنقيطية وطبعتي السلفية وهارون : " الشاهد التسعين بعد المائة " . وهو تصحيف صوبناه . وانظر الخزانة الجزء الثالث ص١٨٦ .

(٢) البيت لمزرد بن ضرار الغطفاني في أساس البلاغة (زرد) ؛ والاشتقاق ص١٧٤ ؛ والشعر والشعراء ص٢٣٢ ؛ والمؤتلف ص٢٩٢ ؛ ونوادر المخطوطات ٢/٣٠٩ .

وفي طبعة بولاق والنسخة الشنقيطية والطبعة السلفية : " لزرد الموالي " . وهو تصحيف صوابه من المصادر السابقة.

والدرد : جمع أدرد ، وهو الذي سقطت أسنانه .

(٣) الكامل في اللغة ٢/١٥٩-١٦٠ .

الأعراب[1] عند المسألة والطلب ، فيقول القائل للأمير والخليفة : انظر في أمر رعيّتك لا أبا لك .

وسمع سليمان بن عبد الملك رجلاً من الأعراب في سنة مجدبة يقول[2] : (الرجز)

رَبَّ العبَادِ ما لنَا وما لَكَا قَدْ كنتَ تَسقينا فمَا بدَا لَكَا
أنزلْ علَينَا الغَيْث لا أبا لَكَا

فأخرجه سليمانُ أحسنَ مُخرج . فقال : أشهد أنّه لا أبا له ولا ولد ولا صاحبة، [وأشهد أن الخلْقَ جميعاً عباده][3] وهو الأحد الصمد .

وقال رَجلٌ من بني عامر بن صعصَعة ، أَبْعدَ من هذه الكلمة لبعض قومه[4] : (الكامل)

أبني عُقيلٍ لا أبَا لأبيكُمُ أبيٍّ وأيُّ بنِي كِلابٍ أكْرَمُ»

اهـ

وقال ابن هشام في « شرح بانَتْ سعاد » عند قوله[5] : (البسيط)

فقلتُ خلُّوا سَبيلي لا أبا لَكُمُ فكُلُّ مَا قَدَّر الرَّحمنُ مَفعولُ

اعلم أنّ قولهم : لا أبا له ، كلامٌ يستعمل كناية عن المدح والذمّ ، ووجه الأوّلِ أن يراد نفي النّظير الممدوح بنفي أبيه ، ووجه الثاني أن يراد أنّه مجهول النسب . والمعنيان مُحتملان هنا ؛ أمَّا الثاني فواضح لأنّهم لما لم يُغنُوا عنه شيئاً أمرَهم بتخْليَة سبيله ذامًّا لهم ؛ وأمَّا الأوّل فعلى وجه الاستهزاء انتهى .

(١) في طبعة بولاق : " وربما استعملها من الجفاة الأعراب " . وهو تصحيف صوابه الكامل في اللغة ٢/١٦٠ ؛ وفي النسخة الشنقيطية : " ... من الجفاء الأعراب " .

(٢) الرجز وخبره بلا نسبة في رصف المباني ٢٤٥ ؛ والكامل في اللغة والأدب ٢/١٦٠ .

(٣) زيادة يقتضيها السياق من الكامل في اللغة ٢/١٦٠ .

(٤) البيت وخبره في الكامل ٢/١٦٠ .

(٥) البيت من مطولة قالها كعب بن زهير معتذراً فيها للرسول الكريم صلوات الله عليه ، بعدما أهدر الرسول دمه. وهي في ديوانه ص٦ وما بعدها ؛ وطبقات فحول الشعراء ص١٠١ .

وخلى سبيله ، أي : أرسله وتركه . ويعلق محقق الطبقات العلامة محمود محمد شاكر بقوله : " وأرى أن معنى " خلوا سبيلي " هو الاستنكار والاستهزاء والأنفة من التجائه إليهم ، والتحقير لشأنهم .

وزاد عليه شارحها البغداديّ قال : تقول العرب لا أبا لكَ ولا أبَ لك ، يستعمل في التَّفجُّع والتَّعجُّب ، ويقال في المدح والذم ؛ وربَّما قالوا لا أباك وهو نادر. وأمَّا لا أمَّ لك فلا يقال إلاّ في الذمِّ وحده ، دلَّ على ذلك استقراء كلام العرب.

وقال ابن جنّي في « الخصائص[1] » : إن قلتَ إنَّ الألف في لا أبا لك تُؤذِن بالإضافة والتعريف ، واللام تؤذن بالفصل والتنكير ، فقد جمعت على الشيء الواحد في الوقت الواحد معنيين ضدَّين [وهما التعريف والتنكير . وهذا كما ترى متدافعان،][2] قلتُ : الفرق واضح ؛ فإنّه كلام جرَى مجرَى المثل، فإنَّك لا تنفي في الحقيقة أباه وإنما تخرجه مُخرَج الدعاء عليه ، أي : أنت عندي ممّن يستحقّ أن يُدْعَى عليه بفقد أبيه . كذا فسّره أبو عليّ ، وكذلك هو لمتأمِّله ؛ ألا ترى أنه قد أنشد توكيداً لما رآه من هذا المعنى فيه قوله : (الطويل)

* وتترك أخرَى فردةً لا أخا لها *

و لم يقل لا أخت لها ؛ ولكنْ لَمّا جرى هذا الكلام على أفواههم لا أبا لكَ ولا أخا لك ، قيل مع المؤنّث على حدِّ ما يكون عليه مع المذكّر ، فجرى نحواً من قولهم لكلّ أحدٍ : مِنْ ذكَر وأنثَى ، واثنين واثنتين وجماعة : الصَّيفَ ضيَّعْتِ اللبن – على الأنيث ، لأنَّه كذا جرى أوّله[3] .

وأما قوله[4] :

أبالموتِ الذي لا بُدَّ أنّي ملاقٍ لا أباكِ تخوِّفيني

فقد قال شارح أبي عليٍّ الفارسيّ[5] : هو لأبي حيَّة النُّميريّ[6] قاله أبو عمرو ، قال : جلبه أبو عليّ شاهداً على حذف هذه اللام ضرورة ، فثبوت الألف في أبا دليلُ الإضافة والتعريف ، ووجودِ اللام دليل الفصل والتنكير . حذف لامَ الجرّ وهو

---

(١) الخصائص ١/٣٤٣ .

(٢) زيادة يقتضيها السياق من الخصائص .

(٣) إلى هنا ينتهي النقل عن الخصائص ، دون أن ينبه البغدادي على ذلك .

(٤) سبق تخريج البيت في الشاهد الثامن والستين بعد المائتين .

(٥) في حاشية الطبعة السلفية ٧٧/٤ يقول الميمني : " كذا والظاهر " شارح شواهد إيضاح أبي علي الفارسي " . وشراحها عدة تراهم في إقليد الخزانة " .

(٦) في طبعة بولاق : " لأبي حبه النميري " بالباء الموحدة وهو تصحيف صوبناه .

يريدها؛ ولولا أنّها في حكم الثّابت في اللفظ لما عملت لا ، لأنّها لا تعمل إلاّ في نكرة. فأمّا دلالة الألف فيه وحذفِ النون من نحو لا يَدَيْ بها لَكَ على إرادة الإضافة، فلأنّ وجودَ العمل مانعٌ فيها من اللفظ ، فضعف اقتضاء المعنى مع وجود المانع اللفظيّ . فإنَّ هذا مثلٌ لم يُقْصَد به نفي الأب وإنّما قُصِدَ به الذمّ . وكذلك لا يدي لك ، إنّما المراد لا طاقةَ لكَ بها .

وهو قياس من النّحويين على قولهم لا أبا لك . وفي الكتاب : لا أبا فاعلم لك ؛ وفيه دليل على أنّه ليس بمضاف . ويجوز أن تكون الألف لام الكلمة كما قال[1] : (الرجز)

* إنّ أباها وأبا أباها *

فأمّا قوله تخوِّفيني ، فإنّه أراد تخوِّفينَني فحذفَ إحدى النونين : فقيل حذف الأولى كما حُذف الإعراب ، في قول امرئ القيس[2] : (السريع)

* فاليومَ أشربْ غيرَ مستحقِبٍ *

---

(١) الرجز لرؤبة بن العجاج في ملحق ديوانه ص١٦٨ ؛ وله أو لأبي النجم في الدرر ١/١٠٦ ؛ وشرح أبيات المغني ١/١٩٣ ؛ وشرح التصريح ١/٦٥ ؛ وشرح شواهد المغني ١/١٢٧ ؛ والمقاصد النحوية ١/١٣٣ ، ٣/٦٣٦ . وهو بلا نسبة في أسرار العربية ص٤٦ ؛ والإنصاف ص١٨ ؛ وأوضح المسالك ١/٤٦ ؛ وتخليص الشواهد ص٥٨ ؛ ورصف المباني ص٢٤ ، ٢٣٦ ؛ وسر صناعة الإعراب ٢/٧٠٥ ؛ وشرح الأشموني ١/٢٩ ؛ وشرح شذور الذهب ص٦٢ ؛ وشرح شواهد المغني ٢/٥٨٥ ؛ وشرح ابن عقيل ص٣٣ ؛ وشرح المفصل ١/٥٣ ؛ ومغني اللبيب ١/٣٨؛ وهمع الهوامع ١/٣٩ . وبعده :

* قد بلغا من المجد غايتاها *

وهو الإنشاد التاسع والأربعون في شرح أبيات المغني للبغدادي ١/١٩٣ .

(٢) صدر بيت لامرئ القيس ؛ وعجزه :

* إثماً من الله ولا واغلِ *

والبيت في ديوان امرئ القيس ص١٢٢ ؛ وإصلاح المنطق ص٢٤٥ ، ٣٢٢ ؛ والأصمعيات ص١٣٠ ؛ وتاج العروس (وغل) ؛ وجمهرة اللغة ص٩٦٢ ؛ والدرر ١/١٧٥ ؛ ورصف المباني ص٣٢٧ ؛ وشرح أبيات المغني ٦/٦٢؛ وشرح التصريح ١/٨٨ ؛ وشرح ديوان الحماسة للمرزوقي ص٦١٢ ، ١١٧٦ ؛ وشرح شذور الذهب ص٢٧٦ ؛ وشرح شواهد الإيضاح ص٢٥٦ ؛ وشرح المفصل ١/٤٨ ؛ والشعر والشعراء ١/١٢٢ ؛ والكتاب ٤/٢٠٤ ؛ ولسان العرب (حقب ، دلك ، وغل) ؛ والمحتسب ١/١١٠ . وهو بلا نسبة في الأشباه والنظائر ١/٦٦؛ والاشتقاق ص٣٣٧ ؛ والخصائص ١/٧٤ ، ٢/٣١٧ ، ٣٤٠ ، ٣/٩٦ ؛ والمقرب ٢/٢٠٥ ؛ وهمع الهوامع ١/٥٤.

وقال المبرِّد حذف الثانية ، وهو أولى لأنّها إنما زيدَت مع اليـاء لِتقـي الفعـل من الكسرة ، والأولى علامة الرفع انتهى كلامه[1] .

وإذا كانَ الأمر كذلك علم أنّ قولهم لا أبا لك إنّما فيه تعادي ظاهرِهِ ، واجتماعُ صورتي الفصل والوصل والتعريف والتنكير لفظـاً لا معنـى . . . . ونحـن إنّمـا عقدنـا فساد الأمر وصلاحَه على المعنى كأن يكون الشـيء الواحـد في الوقـت الواحـد قليـلاً كثيراً . هذا ما لا يدّعيه مدّع .

ويؤكّد عندك خروجَه مَخرج المثل كثرته في الشعر ، وأنّه يقال لمـن لـه أب ولمـن ليس له أب . وهو دعاء في المعنى لا محالة ، وإن كـانَ في اللفـظ خـبراً ؛ ولـو[2] كـان دعاءً مصرَّحاً وأمراً مَعْنيًّا لما جاز أن يقال لمن لا أب له ؛ لأنّه إذا كان لا أب له لم يجز أن يدْعى عليه بما هو فيه لا محالة ؛ فيُعلم أنّه لا حقيقة لمعناه مطابقة للفظِهِ ، وإنّما هي خارجة مخرج المثل ، قال عَنترة[3] : (الكامل)

فاقْـنَـي حيَـاءَكِ لا أبـا لَكِ واعْلَمي ... أنّـي امرؤٌ سـأموتُ إنْ لَـمْ أُقتَـلِ

وقال[4] : (الكامل)

ألـقِ الصَّحيفَـةَ لا أبـا لـكَ إنَّـهُ ... يُخْشَـى عليـكَ منَ الحِباءِ النِّقْـرِسُ

وقال :

أبالـمـوت الــذي لا بُــدَّ أنّــي ... مــلاقٍ لا أبــاكِ تـخـوِّفِيـنِـي

أراد : لا أبا لك فحذف اللام .

---

(١) في حاشية الطبعة السلفية ٧٨/٤ : " في هذا الموضع من نسخة الشنقيطي هـذه الزيادة : واثـني واثنين وجماعة الصيف ضيعت اللبن على التأنيث لأنه كذا جرى أوله " .

وفي حاشية طبعة هارون ١٠٦/٤ : " بعده في ش ... وصواب " واثنى " و " أنثى " ، وهو تكرار لما سبق في نهاية النص السابق المقتبس من الخصائص . والنص التالي ، هو تكملة من البغـدادي للاقتبـاس السـالف مـن الخصـائص ، وموضعه فيها ص٣٤٣ " .

(٢) كلمة : " ولو " ساقطة من النسخة الشنقيطية .

(٣) البيت لعنترة العبسي في ديوانه ص٢٥٢ ؛ وتاج العروس (قنا) ؛ وكتاب العين ٢١٧/٥ ؛ ولسان العرب (أبي ، قنا) . وهو بلا نسبة في تهذيب اللغة ٣١٤/٩ ؛ ومقاييس اللغة ٢٩/٥ .

(٤) البيت للمتلمس في ديوانه ص١٨٦ ؛ وتاج العروس (نقرس) ؛ وتهذيب اللغة ٣٩٥/٩ ؛ ولسان العرب (نقرس، أبى) .

وقال جرير(١) :

* يا تيم تيم عدِيٍّ لا أبا لكُم *

وهذا أقوَى دليل على كونه مثلاً لا حقيقة . ألا ترَى أنّه لا يجوز أن يكون لتيم كلِّها أبٌ واحد ، ولكنّ معناه كلُّكم أهل للدّعاء عليه والإغلاظِ له .

وقال الحطيئة(٢) : (الطويل)

أقِلُّوا عليهِمْ لا أبا لأبيْكُمُ مِنَ اللَّومِ أو سُدُّوا المكانَ الذي سَدوا

فإن قلتَ : فقد أثبتَ الحطيئة في هذا البيت ما نفيتَه في البيت قبله ، فجعلَ للجماعَة أباً واحداً ، وأنت قلتَ إنّه لا يكون لجماعة تيم أبٌ واحد . قيل : الجواب عنه من وجهين :

أحدهما : أنّه مثلٌ لا يريد حقيقة الأب ، وإنّما غرضه الدّعاء مُرسَلاً ، ففحَّش بذكر الأب .

والآخر : يجوز أن يريد بأبيكم الجمع ، أي : لا أبا لآبائكم ، يريد الدّعاء على آبائهم من حيث ذكرها ، فجاء به جمعاً مصحّحاً على قولك أب وأبون ، قال(٣) : (المتقارب)

فلمَّا تَبَيَّنَّ أصواتَنا بكَينَ وفدَّينَنا بالأَبِيْنا

انتهى كلامه باختصار .

* * *

وأنشد بعده(٤) :

---

(١) صدر بيت لجرير في ديوانه ص٢٨٥ ؛ وعجزه :

* لا يلقينكم في سوءة عمر *

(٢) البيت من قصيدة للحطيئة يمدح بها بني سعد ؛ وهو في ديوانه ص٤٠ .

(٣) البيت لزيادة بن واصل السلمي في شرح أبيات سيبويه ٢/٢٨٤ . وهو بلا نسبة في الأشباه والنظائر ٤/٢٨٦ ؛ والخصائص ١/٣٥٦ ؛ وشرح المفصل ٣/٣٧ ؛ والكتاب ٣/٤٠٦ ؛ ولسان العرب (أبى) ؛ والمحتسب ١/١١٢ ؛ والمقتضب ٢/١٧٤ .

(٤) البيت للنابغة الذبياني في ديوانه ص٨٢ ؛ والإنصاف ١/٣٣٠ ؛ وتذكرة النحاة ص٦٦٥ ؛ والدرر ٣/١٩ ؛ =

* يا بُؤسَ للجَهْلِ ضَرَّاراً لأَقْوَامِ *

هذا عجز وصدره :

* قالَتْ بنو عَامرٍ خالُوا بني أسَدٍ *

وقد تقدّم شرحه مفصلاً في الشاهد الرابع بعد المائة[1] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التاسع والستون بعد المائتين ، وهو من شواهد س[2]: (البسيط)

٢٦٩- كـأنَّ أصـواتَ مِنْ إيْغـالِهـنَّ بنـا
أوَاخِـرِ الـمَيْـسِ إنقَـاضُ الفَـراريـجِ

على أنّه قد فصل لضرورة الشعر ، بالظرف بين المتضايفين . والأصل : كأن أصوات أواخِرِ المَيْس من إيغالهنّ بنا إنقاض الفَراريج .

في الأصول لابن السرَّاج : وقبيح أن تَفصل بين الجارّ والمجرور فتقول لا أخا هذين اليومين لك[3] .

= وسر صناعة الإعراب ٣٣٢/١ ؛ وشرح أبيات سيبويه ٢١٨/٢ ؛ وشرح أبيات المغني للبغدادي ٦٢/٢ ؛ وشرح شواهد الإيضاح ص٤٥٨ ؛ والشعر والشعراء ١٠٦/١ ؛ والكتاب ٢٧٨/٢ ؛ ولسان العرب (خلا) . وهو بلا نسبة في جواهر الأدب ص١١٥ ، ٢٨٨ ؛ والخصائص ١٠٦/٣ ؛ ورصف المباني ص١٦٨ ، ٢٤٥ ؛ وشرح ديوان الحماسة للمرزوقي ص١٤٨٣ ؛ وشرح المفصل ٦٨/٣ ، ١٠٤/٥ ؛ واللامات ص١٠٩ ؛ وهمع الهوامع ١٧٣/١.

(١) الخزانة الجزء الثاني ص١١٤ .

(٢) البيت لذي الرمة في ديوانه ص٧٦ ؛ والإنصاف ص٤٣٣ ؛ والحيوان ٣٤٢/٢ ؛ والخصائص ٤٠٤/٢ ؛ وسر صناعة الإعراب ص١٠ ؛ وشرح أبيات سيبويه ٩٢/١ ؛ والكتاب ١٧٩/١ ، ١٦٦/٢ ، ٢٨٠ ؛ ولسان العرب (نقض) . وهو بلا نسبة في جمهرة اللغة ص٨٦٣ ؛ ورصف المباني ص٦٥ ؛ وشرح ديوان الحماسة للمرزوقي ص١٠٨٣ ؛ وشرح المفصل ١٠٣/١ ، ٧٧/٣ ، ١٣٢/٤ ؛ وكتاب اللامات ص١٠٧ ؛ والمقتضب ٣٧٦/٤ .
والرواية المشهورة في البيت هي :

* أواخر الميس أصوات الفراريج *

في جميع أصول الخزانة : " إنقاض " بكسر الهمزة وفي ديوانه : أنقاض " بفتح الهمزة .

(٣) في حاشية الطبعة السلفية ٨٠/٤ : " قد يقال لا جار ولا مجرور هنا . فالجواب أن اللام في " لك " لتوكيد =

قال سيبويه : هذا[1] يجوز في ضرورة الشعر لأنّ الشاعر إذا اضطرّ فَصل بين المضاف والمضاف إليه . وأنشد هذا البيت .

و« من » للتعليل و« الإيغال » : الإبعاد ، يقال أوغل في الأرض ، إذا أبعَدَ فيها، حكاه ابن دريد قال : وكل داخلٍ في شيءٍ دخول مستعجل فقد أوغلَ فيه .

وقال الأصمعيّ في شرح هذا البيت : « الإيغال » : سرعة الدخول في الشيء ، يقال أوغلَ في الأمر : إذا دخلَ فيه بسرعة . والضمير للإبل في بيت قبله . و«الأواخر» : جمع آخِرة ، بوزن فاعلة ، وهي آخرة الرحل ، وهو العُود الذي في آخر الرحل الذي يَستند إليه الراكب ، ويقال فيه مُؤْخر الرحل .

قال ابن حجر في « فتح الباري » : هو بضمٍّ أوله ثم همزة ساكنة ، وأما الخاء فجزَم أبو عُبيد بكسرها وجوَّز الفتح ، وأنكر ابن قتيبة الفتح ، وعكس ذلك ابن مكّيّ فقال : لا يقال مُقدِم ومُؤْخر بالكسر إلاّ في العين خاصة ، وأمّا في غيرها فيقال بالفتح فقط . ورواه بعضهم بفتح الهمزة وتشديد الخاء . انتهى .

وقال صاحب « الصحاح » : ومُؤْخِر العين ، مثل مؤمن : الذي يلي الصُّدغ ، ومُقْدِمُها : الذي يلي الأنف ، ومُؤْخرة الرحل أيضاً لغة قليلة في آخرة الرحل ، وهي التي يستند الراكب إليها . قال يعقوب : ولا تقل مُؤَخّرة انتهى .

و« المَيْس » : بفتح الميم : شجر يُتّخذ منه الرحال والأقتاب ، وإضافة الأواخر إليه كإضافة خاتَم فضَّة . و« الإنقاض » : مصدرُ أنقَضَت الدّجاجة : إذا صوَّتت - وهو بالنون والقاف والضاد المعجمة - ورُوي بدله : « أصوات الفَراريج » جمع فَرُّوجة ، وهي صغار الدَّجاج . يريد أنّ رحالهم جُدُد وقد طال سيرهم فبعض الرحل يحكّ بعضاً فتصوِّت مثلَ أصوات الفَراريج ، من شدَّة السير واضطراب الرحل .

وهذا البيت من قصيدة لذي الرُّمَّة . ومن أبيات هذه القصيدة قوله[2] : (البسيط)

- إضافة الأخ إلى ضمير المخاطب فهي زائدة . وهذا قول . ويصح في مثل هذا المركب أن تكون اللام أصلية ويكون الظرف في موضع النعت أو الخبر " .

(١) في طبعة بولاق : " وهل " . وفي النسخة الشنقيطية : " وهو " . وكلاهما تصحيف صوابه من كتاب سيبويه ٣٤٧/١ .

(٢) الأبيات في ديوانه ص٧٣-٧٤ .

وراكِدِ الشَّمسِ أجَّاجٍ نَصبتُ لهُ حَواجبَ القومِ بالمَهْرِيَّةِ العُوجِ
إذا تنَازعَ جالا مجْهَلٍ قَذَفٍ أطرافَ مُطَّرِدٍ بالحَرِّ منسوجِ
تَلوِي الثّنايا بأَحْقِيها حَوَاشِيَه لَيَّ المُلاءِ بأَبوابِ التَّفاريجِ[1]

أي : ربَّ يوم راكدِ الشَّمس ، أي : لا تكاد شمسه تزول من طوله . وأراد بالأجّاج أنّ ذلك اليوم له توهّج واشتعال كالأُجّاج بالضم ، وهو اللهب .

وقوله : «نصبت له الخ » ، أي : استقبلته بحواجب القوم . و« المَهْرِيَّة » الإبل المنسوبة إلى مَهْرة . و« العُوج » التي ضَمرت فاعوجَّت .

وقوله : « إذا تنازع الخ » ، « إذا » ظرف لقوله نصبت ، أي : ربّ يوم نصبت له حواجبَ القوم إذا تنازع الخ . وأخطأَ مَن جعلها شرطيَّة وجعل جوابها البيت الذي بعدها .

و« الجالان » ، بالجيم : جانِبا بلدٍ مَجْهَل . و«قَذَف»- بفتح القاف والذال- : البعيد . أراد أن الجالين تنازعا أطراف طريق مطّرد بالحرّ ، أي : كأنّه ماء يجيء ويذهب يتبع بعضه بعضاً ، يعني السَّرابَ ، فإنّه يطّرد كالماء ونسجُه من الحرّ .

وقوله : « تلوي الثّنايا » فعل وفاعل ، و« وحواشيَه » مفعول . و« الثّنايا » : الطُّرُق في الجبال . و« الأحْقى » : جمع حَقْو ، بفتح فسكون : الوسط ، وأصل الحَقو الخَصْر وموضع شدّ الإزار ، والباء بمعنى على . و« الحواشي » : الأطراف والنّواحي . والضمير راجع إلى المطّرد المراد به السَّراب . و« لَيَّ المُلاء » : كَطَيِّها ، وهو مصدر تشبيهي لقوله تلوي . و« المُلاء » بالضم والمدّ : المِلْحفَة إذا كانت من لِفْقة واحدة . و«الأبواب » : جمع باب .

و« التفاريج » كما في « العباب عن ابن الأعرابيّ » : فَتحات الأصابع ، واحدها تِفراج بالكسر وخرُوق الدّرابزين أيضاً . وأنشد هذا البيت وقال : الثنايا الطرق في الجبال . يقول : الثّنايا تلوي حواشيَ السَّراب ، أي : بلغَ السَّرابُ أوساطَ الثّنايا .

و« حواشيه » : أطرافه ، قال شارح الديوان : الثّنايا تَلوِي ، أي : تَلُفّ حواشيَ

(١) البيت لذي الرمة في تاج العروس (حقا) ؛ وتهذيب اللغة ١٢٤/٥ ؛ وجمهرة اللغة ص٥٦٢ ؛ وكتاب العين ٢٥٤/٣ ؛ ولسان العرب (حقا) .

السَّراب بأوساطها كما يُلوى المُلاء بالمصاريع ، وقيل الدّرابِزِين : وما سمعت أنّ المُلاء يلوى بمصاريع الأبواب انتهى .

وجوابه أنّ مراد الشاعر أنّ الستائر تُوضع وتُربط على الدّرابِزِين وأبوابها للتجمُّل كما يفعله الأغنياء .

وهذا البيت أورده صاحب « الكشّاف » عند قوله تعالى[1] : « يُكَوِّرُ اللّيلَ علَى النّهارِ ويُكَوِّرُ النّهارَ على اللّيل » على تشبيه كلٍّ منهما باللباس الذي يُكوّر ويُلفّ على اللابس ؛ فإنّ أحدَهما لّما كان غاشياً للآخر أشبه اللباسَ الملفوف على لابسه في ستره إيّاه واشتماله عليه وتغطّيه به ، كما شبّه ذو الرُّمّة طيّ الهضاب حواشيَ السَّراب بطيٍّ السّتائر بالأبواب[2] .

وقد أخطأ شارح شواهد التفسيرين في قوله : تلوي الثّنايا ، جواب إذا في البيت الذي قبله . فتأمّلْ .

وترجمة ذي الرُّمّة قد تقدّمت في الشاهد الثامن في أوائل الكتاب[3]

* * *

(١) سورة الزمر : ٣٩/٥ .

(٢) في طبعة بولاق والنسخة الشنقيطية : " الساتر بالأبواب " . وهو تصحيف صوابه من الطبعة السلفية ٨٢/٤ .

(٣) الخزانة الجزء الأول ص١١٩ .

باب خبر ما ولا المشبَّهتين بليس

أنشد فيه ، وهو الشاهد السبعون بعد المائتين ، وهو من شواهد س[1] : (الوافر)

٢٧٠- ومـا إنْ طِبُّنـا جُبْنٌ ولَكِنْ
مَنَايانَا ودَوْلَةُ آخَرِينا

على أنّ « ما الحجازيّة » إذا زيد بعدها « إن » لا تعمل عمل ليس ، كما في هذا البيت .

قال الأعلم : « إنْ » كافّة لما عن العمل ، كما كَفَّت « ما » إن عن العمل . والطِّبُّ بالكسر ها هنا بمعنى العلّة والسَّبب ، أي : لم يكن سبب قتلنا الجبن وإنّما كان ما جرَى به القدر من حُضور المنية ، وانتقال الحال عنّا والدُّولة .

وقال في « الصحاح » : تقول ما ذلك بطِبِّي ، أي : دَهرِي وعَادَتي . وأنشد هذا البيت للكميت[2] . وهذه النسبة غير صحيحة كما يأتي بيانه قريباً .

و« الجبن » : ضدُّ الشَّجاعة ، وهو مصدر جبُن جَبناً كقرُب قرباً ، فهو جبَانٌ أي : ضعيف القلب . والجُبْن المأكول فيه ثلاث لغات ، أجودها سكون الباء ، والثانية ضمّ الباء للاتباع ، والثالثة وهي أقلُّها التشديد[3] كذا في « المصباح » . و«المنايا» : جمع منيّة ، وهي الموت ، لأنّها مقدَّرة ، مأخوذة من المَنا بوزن العصا وهو

---

(١) هو الإنشاد الرابع والعشرون في شرح أبيات المغني للبغدادي .

والبيت لفروة بن مسيك في الأزهية ص٥١ ؛ والجنى الداني ص٣٢٧ ؛ والدرر ١٠٠/٢ ؛ والسيرة النبوية ٥٨٢/٢؛ وشرح أبيات سيبويه ١٠٦/٢ ؛ وشرح أبيات المغني ١٠٢/١ ؛ وشرح شواهد المغني ٨١/١ ؛ ولسان العرب (طبب) ؛ ومعجم ما استعجم ص٦٥٠ ؛ وللكميت في شرح المفصل ١٢٩/٨ ؛ وللكميت أو لفروة في تخليص الشواهد ص٢٧٨ . وهو بلا نسبة في جواهر الأدب ص٢٠٧ ؛ والخصائص ١٠٨/٣ ؛ ورصف المباني ص١١٠ ، ٣١١ ؛ وشرح المفصل ١٢٠/٥ ، ١١٣/٨ ؛ والكتاب ١٥٣/٣ ، ٢٢١/٤ ؛ والمحتسب ٩٢/١ ؛ ومغني اللبيب ٢٥/١ ؛ والمقتضب ٥١/١ ، ٣٦٤/٢ ؛ والمنصف ١٢٨/٣ ؛ وهمع الهوامع ١٢٣/١ .

(٢) في الصحاح (طبب) : " قال الشاعر " - بدون تعيين - فلعل البغدادي سهى .

(٣) في حاشية الطبعة السلفية ٨٣/٤ : " أي تشديد النون ".

القدَر ، يقال : مُنِي له ، أي : قُدِّر بالبناء للمفعول فيهما .

روى السيِّد علم الهدى المرتضى في « أماليه »[١] أنّ مُسلماً الخُزاعيّ ثمَّ المصطلقِيَّ قال : شهدتُ رسولَ اللَّه صلَّى اللَّه عليه وسلَّم وقد أنشده منشد قولَ سُويد بن عامر المصطلقِي[٢] : (البسيط)

لا تَأْمَنَنَّ وإنْ أمْسَيْتَ في حَرَمٍ ... إنَّ المنَايا بكفَّيْ كلِّ إنسانِ

واسْلُكْ طَريقَكَ تمشِي غيرَ مختَشِعٍ ... حتَّى يُبَيَّنَ ما يمني لَكَ المَانِي

فكُلُّ ذي صاحبٍ يوماً يفَارِقُه ... وكُلُّ زَادٍ وإنْ أبقيتَهُ فَانِ

والخَيْرُ والشَّرُّ مَقرُونان في قَرَنٍ ... بكلِّ ذلكَ يأتيكَ الجَديدَان

فقال رسول اللَّه صلَّى اللَّه عليه وسلَّم : لو أدركته لأسلم انتهى .

وأنشد في « الصحاح » لهذا المعنى قوله :

* حتَّى تلاقِيَ ما يَمني لكَ المَاني *

وفي حواشيه :

أوّله[٣] :

ولا تقولَنْ لشيءٍ سوفَ أفعلُه ... حتَّى تَبيَّنَ ما يَمني لكَ الخ

قال : والبيت لأبي قِلابة الهُذَليّ . واللَّه أعلم .

و«الدّولة » بالفتح : الغلَبة في الحرْب ، وبالضم تكون في المال ، وقيل هما بمعنًى اسمٌ لقولك تداول القومُ الشيء ، وهو حصولُه في يد هذا تارةً وفي يد هذا أخرى . ودالت الأيّام تَدُول ، كدارت تدور وزناً ومعنى .

وروى ابن هشام في « السيرة »[٤] بدله : « وطُعْمة آخرينا » .

---

(١) أمالي المرتضى ٣٦٨/١ .

(٢) الأبيات لسويد بن عامر المصطلقي في أمالي المرتضى ٣٦٨/١ ؛ والعقد الفريد ٢٧٥/٥ ؛ ومجموعة المعاني ص٣٩ ؛ ولأبي قلابة الهذلي في ديوان الهذليين ٣٦/٣-٣٩ ؛ وأشعار الهذليين ص٧٠٩ . والبيتان ١ ، ٤ لأبي قلابة في حماسة البحتري ص٣٥٣ .

(٣) ديوان الهذليين ٣٩/٣ .

(٤) السيرة النبوية ٥٨٢/٢ .

وفيه مع ذكر الجُبن ما لا يخفى .

وأورد ابن قتيبة في « ترجمة خُفاف بن نَدبة من كتاب الشعراء[١] » قوله : (الوافر)

فلَم يَكُ طِبَّهم جُبنٌ ولكنْ رَمَيناهُمْ بثالثةِ الأثافي

قال : وهذا ممّا يُسأل عنه[٢] .

أقول : ثالثة الأثافيّ هي الجبل ، لأنّه يجعل حجَران إلى جنبه فيكون الثالثَ ؛ فيقول : كانوا شجعاناً ليس فيهم جُبْن ولكن رَميناهم بداهية عظيمة مثلِ الجبل .

وقد روَى أبو عُبيدة البيتَ هكذا :

فلمَّا أنْ أبَوا إلاَّ علَينا رَمَيناهم بثَالثَة الأثَافِي

وهذا البيت من أبياتٍ لفروة بن مُسَيكٍ المُرَاديّ ، رواها أهل السير كابن هشام[٣] والكَلاعيّ وغيرهما ، وهي[٤] :

فإنْ نَغلِب فغَلاَّبُون قِدْماً وإنْ نُغْلَبْ فغَيرُ مغَلَّبينَا
وما إنْ طِبُّنا جُبْنٌ ولكنْ منَايانا وطُعْمَةُ آخرينا
كذاكَ الدَّهرُ دُولته سِجالٌ تَكُرُّ صروفُه حِيناً فَحِينا
فَبَينا ما نُسَرُّ بهِ ونَرْضَى ولَوْ لُبِست غَضَارتُهُ سِنِينَا

---

(١) الشعر والشعراء ص٢٥٩ ؛ وديوانه ص١٣٤ ؛ وتاج العروس (أنف ، ثفا) ؛ وتهذيب اللغة ١٥/١٤٨ ؛ ولسان العرب (ثفا) بخلاف يسير .

(٢) في حاشية الطبعة السلفية ٤/٨٤ يقول الميمني : " هذه الأبيات يسميها قدامى العلماء أبيات المعاني . وقول ابن قتيبة (مما يسأل عنه) لم تكرر في كتابه إلا مرة أخرى واحدة وذلك قبل بيت قاله يحيى بن نوفل في سالم بن المسيب:

فتى قد كان يعمل اصبعيه بنافذة من البيض القصار

قال : يعني الإبرة . يريد أنه كان خياطاً " .

انظر ذلك في ترجمة يحيى بن نوفل في الشعراء ص٦٣٠ .

(٣) السيرة النبوية : ٢/٥٨٢ .

(٤) الأبيات وخبرها في الروض الأنف ٢/٣٤٤ ؛ والسيرة النبوية ٢/٥٨٢ ؛ وشرح أبيات المغني للبغدادي ١/١٠٣.

إذا انْقلبَتْ بِهِ كَرَّاتُ دَهْرٍ ... فألفَيتَ الأُلَى غُبِطوا طَحِينَا
فَمَنْ يُغْبَطْ برَيبِ الدَّهرِ منهم ... يَجِدْ رَيبَ الزّمان لهُ خَؤُونَا
فلَوْ خلَدَ الملُوكُ إذنْ خَلَدْنَا ... ولَوْ بقيَ الكِرَامُ إذنْ بَقِينَا
فأفنَى ذلِكُم سَرَوَاتِ قَومي ... كمَا أفنَى القُرُون الأوّلينا

قوله : « فغير مغلّبينا » ، « المغلّب » المغلوب مراراً . و« السِّجال » بالكسر : مصدر ساجل يساجل بمعنى ناوب ، قال الميدانيّ في « أمثاله » : المساجلة أن تصنع مثلَ صنيع صاحبك من جَرْي أو سَقي ، وأصله من السَّجل وهي الدّلو فيها ماء قلّ أو كثر . وحقيقة السِّجال المغالبَة بالسَّقي بالسَّجل ، ومنه معنى المباراة والمفاخرة والمعارضة .

و« تَكُرُّ » : ترجع . و« الصُّروف »: الحوادث . و« الغَضارة » بالفتح: الخير والخِصب . و« ألفَيت » : وجدت .

و« غُبطوا » بالبناء للمفعول من الغبطة اسم من غبَطْته غَبطاً من باب ضرب ، إذا تمّنيت مثل ما ناله من غير أن تريد زواله عنه، لِمَا أعجبك منه وعظُم عندك . و«ريب الدّهر » : ما يحدث منه . و«الخؤون» بفتح المعجمة : مبالغة الخائن .

وقوله : « فأفنَى ذلكم » ، الإشارة لكَرَّات الدّهر وحوادثه . و« السَّرَوات » جمع سَراة بفتح السين ، وهو مفرد بمعنى الرئيس والشريف ، وليس جمعَ سريّ كما يأتي بيانه في موضع آخر .

و« **فَروةُ بن مُسَيك** »[١] صحابيٌّ أسلم عامَ الفتح ، وذلك [أنه][٢] لما افتتح رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم مكّة ودانت له قريش عرفت العرب أنّهم لا طاقةَ لهم بحَربه فدخلوا في دين اللّه أفواجاً ، فقدمت عليه وفود العرب . وممن قَدِم فروةُ بن مُسَيك المراديّ ، قدم إلى المدينة وكان رجلاً له شرف ، فأنزله سعد بن عبادة عليه ، ثم غدا على رسول اللّه صلّى اللّهُ عليهِ وسلّم وهو جالسٌ في المجلس ، فسلّم عليه ثم قال : يا رسول اللّه ، أنا لِمَنْ ورائي من قومي . قال : أين نزلت يا فروة ؟ قال : على سعد بن عبادة . قال : بارَكَ اللّهُ على سعد بن عُبادة .

---

(١) انظر في ترجمة فروة بن مسيك السيرة النبوية ٥٨١/٢ ؛ وشرح أبيات المغني للبغدادي ١٠٣/١ .

(٢) زيادة يقتضيها السياق من الطبعة السلفية ٨٥/٤ .

وكان يحضر مجلسَ رسول اللّه صلّى اللّهُ عليهِ وسلّم ويتعلّم القرآن وفرائضَ الإسلام .

وكان بينَ مُراد وهَمْدان قُبيلَ الإسلام وقعَةٌ أصابت فيها هَمْدان من مراد - وكان يقال لذلك اليوم يوم الرَّزْم[1] فقال له رسول اللّه صلّى اللّهُ عليه وسلّم : « يا فروة ، هل ساءك ما أصابَ قومك يوم الرَّزْم ؟ » . قال : يا رسول اللّه من ذا يصيب قومه مثلُ ما أصب قومي لا يسوؤه ! فقال رسولُ اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم : « أمَا إنّ ذلكَ لم يزدْ قومَك في الإسلام إلاّ خيراً » .

وفي ذلك اليوم قالَ فَروة هذه الأبيات. واستعمله رسولُ اللّه صلّى اللّهُ عليه وسلّم على مُراد وزُبيد ومذْحِج ، وبعث معه خالدَ بن سعيد بن العاصي على الصدقة، وكتب فيها كتاباً لا يعدُوه إلى غيره ، وكان خالدٌ معه في بلاده حتّى توفّيَ رسولُ اللّهِ صلّى اللّهُ عليه وسلّم[2] . كذا في سيرة ابن هشام والكَلاعيّ .

وذكر الوَاقديّ أنّ عمر بن الخطّاب رضيَ اللّه عنه استعمله أيضاً على صدقات مَذْحِج . وذكر غيره أنه انتقل إلى الكوفة فسكنها .

وأخرج ابن سعد أنّ رسول اللّه [صلي الله عليه وسلم] أجاز فروة باثنتي عشرة أوقيّة ، وحمله على بعير نجيب ، وأعطاه حلّة من نسج عُمان .

وفَروة : بفتح الفاء وسكون الراء بعدها واو ، ومُسيك : بضم الميم وفتح السين [وسكون الياء][3] . ومُراد : قبيلة باليمن .

فإن قلت : كيف اعترف بالانهزام مع ما فيه من العار ؟ قلت : هذا موقوف على سماع قصّته فإن أصحاب المعاني لا يقدرون على فهم مثل هذا إلا بقصّته .

وهي كما رواها أبو محمد الأعرابيّ في « فرحة الأديب »[4] : أنّه كان صنم مرادٍ

(١) كذا في طبعات الخزانة والسيرة النبوية وشرح أبيات المغني .

وفي حاشية الطبعة السلفية ٨٦/٤ يقول الميمني : " تبع البغدادي في هذا التصحيف عامة نسخ السيرة والإصابة . والصواب أنه يوم الرزم (بالراء ثم بالزاي كعلس) كما هو عند البكري وياقوت والبلحرامي وعند السيوطي ٣١ : يوم الرذم مصحفاً " . والتصويب من فرحة الأديب ص٢٠٣ .

(٢) السيرة النبوية ٨٣/٢ ؛ وشرح أبيات المغني ١٠٣/١-١٠٤ .

(٣) زيادتان يقتضيهما السياق من شرح أبيات المغني للبغدادي .

(٤) فرحة الأديب ص٢٠٢ وما بعدها .

في أعلى وأنعَم ، وهما بطنان من مُراد[١] ؛ فقالت أشرافٌ [من] مُراد : [ما بالُ] آلهتِنا لا تكون في عَرانيننا[٢] ! فأرادوا انتزاع الآلهة منهم ، فخرجوا منهم فأتوا بني الحارث فاستجاروا بهم ، وأرسلت مراد إلى بني الحارث : أن أخرجوا إخوتَنا من داركم ، وابعثوا إلينا برجلين منكم لنقتلهما بصاحبنا - وكانت مراد تطلب بني الحارث بدم - فلمّا رأى الحصين بن يزيد بن قَنان أنّ مراداً قد ألحّت في طلب أصحابهم ، هابَهُم وعلم أنه لا طاقة له بهم .

وكانت مراد إذا قُتل منهم رجلٌ قَتَلوا به رجلين ، وكانوا لا يأخذون الديَة إلاّ مضاعفَة - فسار حصين بن يزيد ، وهو رئيس بني الحارث ، إلى عُمير ذي مُرَّان ، فسأله أن يركب معه إلى أرحبَ فيصلح بينه وبينهم ، ويسألهم الحلف على مراد ، لأنه كان بينه وبين أرحب دماء ، فركب معه إليهم فأصلح بينهم وسألهم أن ينصروه ويحالفوه على مراد ، فقال الحصين : يا معشر أرحب ، إني لست بأسعد - بهلاكِ مرادٍ - منكم ، وكانت أرحبُ تُغاور مراداً قبل ذلك ، فحالفته أرحب [وغدوا] ؛ فسار حصين بن يزيد ببني الحارث ، وسارت البادية من همدان وعليهم يزيد بن ثُمامة الأرحبي الأصمّ .

وأقبلت مراد [كأنّهم حَرَّة سوداء يدِفّون دفيفاً][٣] ، وعليهم الحارث بن ظَبيان المثلّم ، وكان يكنى أبا قيس الأنْعَمي .

فاقتتلوا بموضع يقال له الرزم[٤] إلى جنب أياء[٥] قتالاً شديداً ، فتضعضعت بنو

---

(١) وقد تعرض لهما عمرو بن معدي كرب الزبيدي بالهجاء في قوله في مطلع أبيات له :

ألا غدرت بنو أعلى قديماً وأنعُمُ إنها وُدُقُ المزاد

انظر ديوان عمرو ص١١٢ . وفي حاشية ديوان عمرو ص١١٢ : " المعاني الكبير : " قال ابن الكلبي : لا يشرب أحد من مائهم إلا استودق " . أي : استخذى وخضع " .

(٢) في طبعة بولاق : " فقالت أشراف مراد الهنا لا يكون في عرانيننا " . وفي النسخة الشنقيطية : " فقالت أشراف مراد الهنا لا يكون في عرانيننا " . والتصويب من فرحة الأديب ص٢٠٣ . وجميع الزيادات هي منه .

(٣) الدفيف : الدبيب .

(٤) في جميع أصول طبعات الخزانة : " الردم " . وهو تصحيف صوابه من فرحة الأديب ص٢٠٣ . وانظر الحاشية السابقة في ذلك .

(٥) في جميع أصول طبعات الخزانة : " اباء " بالباء الموحدة وهو تصحيف صوابه من فرحة الأديب ص٢٠٣ . وأياء - بالمد والفتح - ناحية يمانية . انظر في ذلك معجم البلدان . وسيأتي الشعر مؤكداً لذلك .

الحارث ، وأقبل عليهم الحصين ، فقال : يا بني الحارث ، واللّه لئن لم تضربوا وجوهَ مرادٍ بالسُّيوف حتّى يُخلوا لكم العَرْصة لأتركنّكم تُنفلون[١] في العرب !

ثم أقبل على بادية همدان فقال : يا معشر همدان الصَّبرَ الصبرَ ، لا تقول مراد إنّا لجأنا إلى عَدَد همدان وعِزّها فلم يُغنوا عنّا !

فاقتتل القوم قتالاً شديداً ، فقُتل الحصين ، وصبر الفريقان جميعاً ، فتهيَّأت بنو الحارث للفِرار وتضعضعت أرحب - وقد كانوا أحضروا النِّساء معهم فجعلوهنّ خلفَ ظهورهم - فلمّا رأت أرحب النساء قد بدت خلاخيلُها للفِرار ؛ عادوا للقتال وقالوا : لا نفرّ [حتّى يَفِرَّ][٢] يغوث ! وصبروا للقوم ، وصبرت بنو الحارث معهم ، فانهزمت مراد ، واستذرع القتلُ فيهم ، وسبَوْا نساءً من نسائهم ، فأدرك الإسلامُ وهُنّ في دُور همدان .

وقُتل[يومئذٍ] المثلّم رئيس مراد ، وعزيز ، وقيس ، ونِمْران ، وسُمَيّ ، المراديون . وقتل في ذلك اليوم الحصين بن يزيد الحارثي .

وقال في ذلك يزيد بن ثُمامة الأرحَبي[٣]: (الطويل)

لقَدْ علمَ الحيُّ المصبّحُ أنّني ... بجَنبِ أياءٍ غيرُ نِكْس مُواكِلِ[٤]

تركتُ عَزيزاً تَحجل الطَّيرُ حولَهُ ... وغشّيت قيساً حدَّ أبيضَ قَاصِلِ[٥]

ونِمْرانَ قَدْ قضّيتُ منهُ حَزازةً ... علَى حنَقٍ يومَ التفافِ القَبائِلِ[٦]

عِكَبٌّ شفيتُ النَّفسَ منهُ وحارثٌ ... بنَافذةٍ في صدرهِ ذي عَوَامِلِ

وأردَتْ سُميًّا في المَكَرِّ رِمَاحُنا ... وصادفَ موتاً عَاجلاً غيرَ آجلِ

---

(١) النافلة : الغنيمة والعطية .

(٢) زيادة يقتضيها السياق من فرحة الأديب .

(٣) الأبيات في فرحة الأديب ص٢٠٤ .

(٤) في جميع أصول طبعات الخزانة : " أباء " . وهو تصحيف صوابه من فرحة الأديب ومعجم البلدان .

(٥) في طبعات الخزانة : " فاصل " . بالفاء المفردة . وهو تصحيف صوابه فرحة الأديب . وقد أشار لهذا التصحيف كل من محققي الطبعة السلفية وطبعة هارون .

وسيف قاصل وقصال : قطّاع .

(٦) في طبعة بولاق : " على حنق منهم " . وهو تصحيف صوابه من فرحة الأديب .

وبهذه القصة[١] يعرف معنى قوله :

* فإنْ نَهزمْ فهزّامون قدما * (البيت)

وذلك أن مراداً لم تدر عليهم دائرة قبل يوم الرّزم[٢] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الحادي والسبعون بعد المائتين[٣] : (البسيط)

٢٧١- بَنِي غُدَانَةَ مَا إِنْ أنتمُ ذَهَباً
ولا صَرِيفاً ولكنْ أَنتمُ الخَزَفُ

على أنه قد جاءت « إن » بعد « ما » غير كافّة . وقد بيّنه الشارح المحقّق .

قال ابن هشام في « شرح شواهده » : النصب رواية يعقوب بن السكّيت ، والرفع رواية الجمهور على أنَّ « إن » كافّة لما عن العمل . قال : وزعم الكوفيّون على رواية النصب أنّ « إن » نافية [مؤكدة][٤] لا كافّة . ويلزمهم أن لا يبطل عملها كما لا يبطل عملُها إذا تكرّرت على الصَّحيح ، بدليل قوله[٥] : (الرجز)

---

(١) في أصول الخزانة : " القصيدة " . والتصويب من فرحة الأديب حتى يستقيم المعنى .

(٢) في أصول الخزانة : " الردم " . وهو تصحيف أشرنا إليه سابقاً .

(٣) هو الإنشاد الخامس والعشرون في شرح أبيات المغني للبغدادي .

والبيت بلا نسبة في الأشباه والنظائر ٣٤٠/٣ ؛ وأوضح المسالك ٢٧٤/١ ؛ وتاج العروس (صرف) ؛ وتخليص الشواهد ص٢٧٧ ؛ والجنى الداني ص٣٢٨ ؛ وجواهر الأدب ص٢٠٧ ، ٢٠٨ ؛ والدرر ١٠١/٢ ؛ وشرح أبيات المغني للبغدادي ١٠٦/١ ؛ وشرح الأشموني ١٢١/١ ؛ وشرح التصريح ١٩٧/١ ؛ وشرح شذور الذهب ص٢٥٢؛ وشرح شواهد المغني ٨٤/١ ؛ وشرح عمدة الحافظ ص٢١٤ ؛ وشرح قطر الندى ص١٤٣ ؛ ولسان العرب (صرف) ؛ ومغني اللبيب ٢٥/١ ؛ والمقاصد النحوية ٩١/٢ ؛ وهمع الهوامع ١٢٣/١ .

والرواية المشهورة في الشاهد :

* ... ولكن أنتم خزف *

وهناك رواية شاذة له وهي :

بني غدانة حقاً لستم ذهباً ولا صريفاً ولكن أنتم خزف

وليس على هذه الرواية شاهد للمسألة .

(٤) زيادة يقتضيها السياق من شرح أبيات المغني للبغدادي .

(٥) الرجز بلا نسبة في تخليص الشواهد ص٢٧٨ ؛ وحاشية يس ١٣٠/٢ ؛ والجنى الداني ص٣٢٨ ؛ والدرر -

لا يُنْسِكَ الأَسَى تَأَسِّياً فَمَا ما مِنْ حِمامٍ أَحَدٌ مُعْتَصِمَا

ومعنى هذا البيت : لا يُنسِكَ ما أصابك من الحزن على من فقدته أن تتأسّى بمن سبقك ممّن فقَد أحبابه ، فليس أحدٌ ممنوعاً من الموت .

ومن زعم أنّ ما إذا تكرّرت يبطل عملها جعل منفيّ ما الأولى محذوفاً ، أي : فما ينفعك الحزن ، وهو تكلّف .

واستشهد شرّاح الألفيّة بهذا البيت - على رواية رفعه - على أنّ إن فيه كافّة . و« بني غُدانَة » منادى بتقدير يا ؛ و« غُدانة » بضم الغين المعجمة : حيٌّ من يربوع من بني تميم . و« الصَّريف » بفتح الصاد والراء المهملتين ، قال ابن السِّكِّيت : هو الفضَّة . وأنشد هذا البيت .

و« الخَزَف » بفتح المعجمتين قال ثعلب في « أماليه »[1]: هو ما عُمِل من طين ، وشُوِي بالنّار حتّى يكون فخّاراً . وأنشد هذا البيت .

ولم أرَ مَنْ نسب هذا البيت لقائله مع كثرة الاستشهاد به في كتب النحو واللّغة ، واللّه أعلم .

* * *

وأنشد بعده، وهو الشاهد الثاني والسبعون بعد المائتين ، وهو من شواهد س[2] : (البسيط)

- ١٠٢/٢ ، ١٠٣ ، ٥٢/٦ ؛ وشرح الأشموني ٤١٠/٢ ؛ والمقاصد النحوية ١١٠/٤ ؛ وهمع الهوامع ١٢٤/١ ، ١٢٥/٢ .

(١) هذا النقل من الزيادات التي لم ترد في نسخة مجالس ثعلب تح هارون . وإنما ألحقت بها نقلاً عن الخزانة .

(٢) صدر بيت للنابغة الذبياني في ديوانه ص١٥ ؛ وعجزه :

* والنُّؤْيُ كالحوضِ بالمظلومةِ الجَلَدِ *

والبيت للنابغة في الأزهية ص٨٠ ؛ وإصلاح المنطق ص٤٧ ؛ والأغاني ٢٧/١١ ؛ والإنصاف ٢٦٩/١ ؛ وجمهرة اللغة ص٩٣٤ ؛ والدرر ١٥٩/٣ ، ٢٥٧/٦ ؛ وشرح أبيات سيبويه ٥٤/٢ ؛ وشرح أبيات المغني ١٠٩/١ ؛ والكتاب ٣٢١/٢ ؛ ولسان العرب (حلد ، ظلم ، بين) ؛ والمقاصد النحوية ٣١٥/٤ ، ٥٧٨ ؛ والمقتضب ٤١٤/٤. وهو بلا نسبة في شرح المفصل ١٢٩/٨ .

ورواية الديوان :

* إلا الأواريَّ لأياً ما أُبيِّنها *

٢٧٢- إلاّ أَوَارِيَّ مَا إنْ لا أبيِّنـهـا

على أنّ الفرّاء أنشده بالجمع بين ثلاثة أحرف نافية ، والرواية[١] : « لأياً ما أبينها».

هذه الرواية أنشدها الفرّاء في « تفسيره المسمَّى بمعاني القرآن في أواخر سورة يونس » عند قوله تعالى[٢] : « فَلولا كانتْ قَرْيَة آمَنَتْ فَنفعَها إيمَانُها إلاَّ قَوْمَ يُونُس ». وهذا نص كلامه : في قراءة أُبَيٍّ « فَهَلاَّ » لأنَّ معناها أنَّهم لم يؤمنوا ، ثم استثنى قوم يونس بالنصب على الانقطاع مما قبله ، ألا ترى أنَّ ما بعد إلاَّ في الجحد يتبع ما قبلها فتقول: ما قام أحدٌ إلاّ أبوك ، وهل قام أحدٌ إلاّ أبوك ، لأنّ الأب من الأحد : فإذا قلت : ما فيها أحد إلاّ كلباً وحماراً ، نصبت لأنّها منقطعةٌ مما قبلَ إلاّ[٣] ، إذ لم يَكنْ[٤] من شكله ولا جنسه : كذلك كان قوم يونس منقطعين من قوم غيره من الأنبياء .

ولو كان الاستثناء هاهنا وقع على طائفة منهم لكانَ رفعاً . وقد يجوز الرفع فيها كما أنّ المختلف في الجنس قد يتبع فيه ما بعد إلاّ ما قبل إلاّ كما قال الشاعر[٥] : (الرجز)

وبَلْدَةٍ ليسَ بِها أنيْسُ ... إلاّ اليَعَافيْرُ وإلاّ العِيْسُ

(١) هي رواية ديوانه ص١٥ .

(٢) سورة يونس : ٩٨/١٠ . وانظر معاني الفراء : ٤٧٩/١ .

(٣) في طبعتي بولاق والسلفية والنسخة الشنقيطية : " لأنهم منقطعون مما قبل إلا .." .
وفي طبعة هارون ١٢١/٤ : " نصبت لأنها منقطعة مما قبل إلا " . وهو الصواب ؛ نقلاً عن معاني الفراء .

(٤) في طبعتي بولاق والسلفية والنسخة الشنقيطية : " لم يكونوا " .
وفي طبعة هارون : " إذ لم يكن " . وهو الصواب نقلاً عن معاني الفراء .

(٥) الرجز لجران العود في ديوانه ص٩٧ ؛ والدرر ١٦٢/٣ ؛ وشرح أبيات سيبويه ١٤٠/٢ ؛ وشرح التصريح ٣٥٣/١ ؛ وشرح المفصل ١١٧/٢ ، ٢٧/٣ ، ٢١/٧ ؛ والمقاصد النحوية ١٠٧/٣ . وهو بلا نسبة في الأشباه والنظائر ٩١/٢ ؛ والإنصاف ٢٧١/١ ؛ وأوضح المسالك ٢٦١/٢ ؛ وتاج العروس (كنس ، ألا ، الواو) ؛ وتهذيب اللغة ٤٢٦/١٥ ؛ والجنى الداني ص١٦٤ ؛ وجواهر الأدب ص١٦٥ ؛ ورصف المباني ص٤١٧ ؛ وشرح الأشموني ٢٢٩/١ ؛ وشرح شذور الذهب ص٣٤٤ ؛ وشرح المفصل ٨٠/٢ ؛ والصاحبي في فقه اللغة ص١٣٦ ؛ والكتاب ٢٦٣/١ ، ٣٢٢/٢ ؛ ولسان العرب (كنس ، ألا) ؛ ومجالس ثعلب ص٤٥٢ ؛ والمقتضب ٣١٩/٢ ، ٣٤٧ ، ٤١٤ ؛ وهمع الهوامع ٢٢٥/١ .

والنّصبُ في قوله تعالى(١) : « ماهمْ بهِ مِنْ عِلْم إلاّ اتباعَ الظّنّ » لأنّ تتبُّع(٢) الظّنّ لا ينسب إلى العلم . وأنشدونا بيت النابغة بالنصب :

. . . . وما بالرّبع مِنْ أحَدِ
إلاّ أوَاريَّ مَا إن لا أبيِّنها(٣) . . . .

قال الفرّاء : جمع هذا البيت بين ثلاثة أحرفٍ من حروف الجحد : لا ، وإن ، وما . والنصب في هذا النوع المختلف من كلام أهل الحجاز ، والاتباعُ من كلام تميم. انتهى كلام الفرّاء .

وأراد اجتماعها على سبيل التوكيد ، لا أنَّ الثاني نافٍ للنفي فيُثبِت ، والثالثَ نافٍ للثاني فيَنْفي .

وقد أورد الفرّاء في « تفسيره » الرواية التي ذكرها الشارح في أواخر سورة النساء عند قوله تعالى(٤) : « لا خَيْر في كَثير مِنْ نجْواهُم إلاّ مَنْ أمَرَ بصَدَقَةٍ » قال : مَنْ في موضع خفضٍ ونصبٍ(٥) : الخفضُ إلاّ فيمن أمَرَ بصدقة .

والنَّجوى هاهنا رجال كما قال تعالى(٦) : « وإذْ هُم نَجْوَى » ومن جعل النَّجوى فِعلاً كما قال تعالى(٧) : « ما يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلاثةٍ » فَمَنْ حينئذ في موضع رفع .

وأما النَّصب فأن تجعل النَّجوى فعلاً فإذا استثنيت الشيء من خلافه كان الوجه النصبَ ، كما قال الشاعر :

. . . . وما بالرّبع مِنْ أحَدِ
إلاّ أواريَّ لأياً ما أبيِّنها والنُّؤْي كالحَوض بالمظلومة الجَلَدِ

(١) سورة النساء : ١٥٧/٤ .

(٢) في المعاني : " لأن اتباع الظن " .

(٣) في طبعتي بولاق والسلفية والشنقيطية : " لا إن ما " . وفي طبعة هارون ١٢٢/٤ : " ما إن لا أبينها " . وفي حاشية طبعة هارون : " صوابه من معاني الفراء ومما سبق " .

(٤) سورة النساء : ١١٤/٤ . وانظر في ذلك معاني الفراء ٢٨٧/١ .

(٥) في حاشية طبعة هارون : وكذا في معاني الفراء ، مع أنه تعرض للرفع فيما بعد " .

(٦) سورة الإسراء : ٤٧/١٧ .

(٧) سورة المجادلة : ٧/٥٨ .

وقد تكون في موضع رفع وإن رُدّت على خلافها ، قال الشاعر[١] :

وبَلــدةٍ لـيــسَ بِهــا أنيــسُ إلاّ اليعافيــرُ وإلاّ العيــسُ

انتهى .

وإنّما سقنَا كلامَه في الموضعين برُمّته للتبرّك ، وليُعلَم طرز تفسيره ، فإنه لقدمه قلّما يطلع عليه أحد[٢] .

وقد أورده الزّجّاجيُّ[٣] بهذه الرواية أيضاً في « تفسيره المعروف بمعاني القرآن » في سورة البقرة عند قوله تعالى[٤] : « إنّكُمْ ظَلَمْتُمْ أنفُسَكمْ باتّخاذِكُمُ العِجْلَ » قال: الظُّلم في اللّغة : وضع الشيء في غير موضعه ، العرب تقول[٥] : « مَنْ أشبَه أباهُ فما ظَلَم » معناه لم يقع الشبهُ غيرَ موقعِهِ ؛ ويقال : ظلم فلان سِقاءه إذا شربَ وسَقى منه قبلَ إدراكه ، وأرض مظلومة ، إذا حُفر فيها و لم يكن حُفِر فيها قبلُ ، وإذا جاء المطر يقربها ويتخطّاها .

قال النّابغة :

إلاّ أواريَّ لأيــاً مــا أبـيِّنهــا والنُّؤيِ كالحوض بالمظلومة الجَلَد

وأورده الزّجّاج أيضاً عند قوله تعالى[٦] : « ولَوْ أنّا كَتَبْنَا عَلَيْهِم أنِ اقْتُلُوا أنفُسَكُمْ أو اخرُجُوا مِنْ دِيارِكم » . قال : وأما رفع « إلاّ قليلٌ منهم » فعلى البدل

---

(١) سبق تخريج الرجز في الشاهد نفسه .

(٢) في حاشية طبعة هارون : " طبع معاني القرآن للفراء بدار الكتب المصرية سنة ١٣٧٤ بتحقيق الأستاذين أحمد يوسف نجاتي ومحمد علي النجار " .

(٣) كذا في جميع أصول طبعات الخزانة . وفي حاشية الطبعة السلفية ٩١/٤ يقول الميمني : " الصواب (الزجاج) . والتفسير المذكور له لا للزجاجي . وهو على الصواب في سائر المظان . انظر إقليد الخزانة " . وكذلك في حاشية طبعة هارون .

(٤) سورة البقرة : ٥٤/٢ .

(٥) المثل في الألفاظ الكتابية ص١٨ ؛ وأمثال أبي عكرمة ص٦٧ ؛ وجمهرة الأمثال ٨٢/٢ ، ٢٤٤ ؛ والحيوان ٣٣٢/١ ؛ والعقد الفريد ١٠٢/٣ ؛ والفاخر ص١٠٣ ، ٢٧٧ ؛ وفصل المقال ص٨٥ ؛ وكتاب الأمثال ص١٤٥ ، ٢٦٠ ؛ وكتاب الأمثال لمجهول ص١٠٦ ؛ ولسان العرب (شبه ، ظلم) ؛ والمستقصى ٣٥٢/٢ ؛ ومجمع الأمثال للميداني ٣٠٠/٢ ؛ والوسيط في الأمثال ص١٥٥ .

(٦) سورة النساء : ٦٦/٤ .

من الواو ، والمعنى ما فعله إلاّ قليل .

والنصب جائز في غير القرآن على معنى ما فعلوه، أستثني قليلاً منهم . وعلى ما فسّرناه في نصب الاستثناء فإن كانَ في النفي نوعان مختلفان فالاختيار النصب ، والبدل جائز ، تقول : ما بالدار أحدٌ إلاّ حِماراً .

قال النّابغة الذّبياني[1] : (البسيط)

وَقَفْتُ فيها أُصَيلالا أُسائِلُها عيَّتْ جَوَاباً وما بالرَّبْعِ مِنْ أَحَدِ
إلاّ أَواريَّ لأياً ما أُبيِّنها .... الخ

فقال : ما بالرَّبع من أحد ، أي : ما بالربع أحدٌ إلاّ أواريَّ . لأنَّ الأواريَّ ليست من الناس . وقد يجوز الرفع على البدل وإن كان من غير جنس الأوّل كما قال الشاعر :

وبلدةٍ ليسَ بِها أَنيسُ إلاّ اليَعَافيرُ وإلاّ العيسُ

فجعل اليعافير والعيس بدلاً من الأنيس . وجائز أن يكون جعل أنيسَ ذلك البلد اليعافير والعيس . انتهى كلامه .

وقد رويا كلاهما إلاّ الأواريَّ معرّفاً ومنكّراً . قال أبو البقاء في « شرح الإيضاح» حكى عبدُ القاهر عن شيخه عبد الوارث ابن أخت أبي عليّ أنه قال : الجيّد أن يروى « إلاّ الأواريّ » بالألف واللام ، ليكون الفتح خالصاً . وإذا نُكّر جاز أن يكون بدلاً من أحد ، ولكن لم يُكْسر لأنه غير منصرف انتهى .

وقوله : « وإذا نُكّر جاز أن يكون بدلاً من أحد » هذا الجواز ممنوع عند البصريين . وقد بيّنه ابن السيِّد في « شرح أبيات الجمل » قال : ويروَى عن الكسائيّ أنّه أجاز خفض الأواريّ علي البدل من لفظ أحد . وهذا عند البصريِّين خطأ ؛ لأنّه يصير التقدير : وما بالرّبع إلاّ من أوراي ؛ فتكون من زائدة في الواجب . ومِنْ لا تزاد

(١) البيت للنابغة الذبياني في ديوانه ص١٤ ؛ والأغاني ٢٧/١١ ؛ والإنصاف ١٧٠/١ ؛ والدرر ١٥٩/٣ ؛ وشرح أبيات سيبويه ٥٤/٢ ؛ وشرح شواهد الإيضاح ص١٩١ ؛ وشرح المفصل ٨٠/٢ ؛ والكتاب ٣٢١/٢ ؛ ولسان العرب (أصل) ؛ واللمع ص١٥١ ؛ والمقتضب ٤١٤/٤ . وهو بلا نسبة في أسرار العربية ص٢٦٠ ؛ والإنصاف ١٧٠/١ ؛ ورصف المباني ص٣٢٤ ؛ وشرح الأشموني ٨٢٠/٣ ؛ ومجالس ثعلب ص٥٠٤ . والرواية هنا هي رواية ديوانه بشرح ابن السكيت ص٢ .

إلاّ في النفي . ولو أنّها مِن التي تدخل على الموجب والمنفيّ لجاز ذلك كقولك : ما أخذت من أحد إلاّ زيدٍ درهماً .

وهذا البيت من قصيدةٍ للنّابغة الذُّبيانيّ مدح بها النُّعمانَ بنَ المنذر ، واعتذر إليه مما بلغه عنه .

وهذا مطلع القصيدة :

يا دَار ميَّـةَ بالعَـلْيَـاءِ فالسَّـندِ أَقْوَتْ وَطَالَ علَيْها سالِفُ الأبَدِ[١]

وقَفْـتُ فِيهـا أُصيـلاناً أَسَـائِلُهـا عَيَّتْ جَوَاباً وما بالرَّبعِ مِنْ أَحَـدِ[٢]

إلاّ الأواريّ لأيـاً . . . . البيت

وقد تقدّم شرح أبيات كثيرة منها في عدّة مواضع[٣] .

وقد أورد سيبويه هذه الأبيات الثلاثة ، قال الأعلم : الشاهد في قوله : إلاّ الأواريَّ بالنصب على الاستثناء المنقطع ، لأنّها من غير جنس الأحَدينَ . والرفع جائز على البدل من الموضع . والتقدير : وما بالرّبع أحد إلاّ الأواريَّ . على أن يُجعل من جنس الأحدِين اتّساعاً ومجازاً انتهى .

قال ابن السيِّد : الرفع على البدل من موضع من أحد . لأنّ مِن زائدة وأحد مرفوعٌ في المعنى وإن كانَ مخفوضاً في اللفظ ؛ وليست ببدل من موضع الجارّ وحده ، ولا من موضع المجرور وحده ، ولكنّها بدل من موضعهما معاً .

والبيت الأوّل يأتي شرحه إن شاء اللّه في الفاء من حروف العطف[٤] .

وقوله : « وقفت فيهـا[٥] » البيتين ، وصف أن دار ميَّة خلت من أهلها ، فسألها

---

(١) البيت في ديوانه ص١٤ ؛ والأغاني ٢٧/١١ ؛ والدرر ٢٧٤/١ ، ٣٢٦/٦ ؛ وشرح أبيات سيبويه ٥٤/٢ ؛ والصاحبي في فقه اللغة ص٢١٥ ؛ والكتاب ٣٢١/٢ ؛ والمحتسب ٢٥١/١ ؛ والمقاصد النحوية ٣١٥/٤ . وهو بلا نسبة في أوضح المسالك ٩٢/٤ ؛ ورصف المباني ص٤٥٢ ؛ وشرح الأشموني ٤٩٣/٢ ؛ وشرح التصريح ١٤٠/١؛ ولسان العرب (سند ، قصد ، جرا ، يا) .

(٢) في النسخة الشنقيطية : " فيها أصيلالا " . وهي رواية ولغة في " أصيلان " بالنون .

(٣) في حاشية الطبعة السلفية ٩٢/٤: " الصواب في موضعين " . انظر الشاهد رقم ٢٣٦ ؛ والشاهد رقم ٢٤٧ .

(٤) وهو الشاهد التاسع والثمانون بعد الثمانمائة .

(٥) في طبعة بولاق : " وقفت بها " . والتصويب من النسخة الشنقيطية .

توجُّعاً وتذكّراً لمن حلّ بها فلم تجبه ؛ إذْ لا مجيب بها ولا أحدَ فيها إلاّ الأواريَّ ؛ وهي محابس الخيل ، واحدها آريّ ؛ وهو من تأرّيت بالمكان : إذا تحبّستَ به . و«اللأي» : البُطء . والمعنى : تبيّنتها بعد بُطء لتغيُّرها . و« النُّؤْي » : حاجز حولَ الخباء يَدفع عنه الماء ويُبعِده ؛ وهو من نأيت إذا بعددت . وشبَّهه في استدارته بالحوض . و«المظلومة » أرض حُفر فيها الحوض لغير إقامة لأنّها في فَلاة فظُلمت بذلك ، وإنّما أراد أنَّ حفر الحوض لم يُعمّق فذلك أشبه للنّؤي ، ولذلك جعلها جَلَداً، وهي الصُّلبة .

هذا ما قاله الأعلم إجمَالاً ، وأما تفصيلاً ، فقوله : « أصيلاناً » منصوب على الظرف وفيه ثلاثة أقوال : الأوّل أنّه مصغّر أَصِيل على غير قياس كأنّه تصغير أُصلان ، قاله ابن السيِّد .

الثاني : أنّه تصغير أُصلان وهو جَمع أصيل كرغفان جمع رغيف . وردَّه أن جمعَ الكثرة لا يصغَّر إلاّ بردِّه إلى المفرد .

الثالث : أنّه مصغّر أُصلان أيضاً ، لكن أُصلاناً اسمٌ مفرد بمعنى الأصيل مثل التُّكْلان والغُفْران . حكى هذين القولين شارحُ الدّيوان واللّخميّ .

وروى أيضاً[1] : «أصيلالا » بإبدال النون لاماً . والأصيل : الوقت بعد العصر إلى المغرب . وروى أيضاً :

* وقفتُ فِيها أُصيلا كي أسَائلَها *

وروى أيضاً :

* وقفت فيها طَويلاً كي أسائلها *

وهو إمَّا بتقدير وقوفاً طويلاً وإمّا بتقدير وقتاً طويلاً . وقوله : « أسائلها » ، الجملة حال : إمّا من تاء وقفتُ فهي جارية على مَن هي له ، وإمّا من ضمير فيها فتكون لغير من هي له .

وإنّما جاز الوجهان لأنّ في أسائلها ضميراً راجعاً إلى السائل وضميراً راجعاً للمسؤول ، واستتر الضمير مع جريان الحال على غير من هي له لأنّ الفعل يستتر فيه ضمير الأجنبيّ وغيره ، لقوّته في الإضمار . فعلى الأوّل تقديره مُسائلَها ، وعلى الثاني

(١) هي رواية ديوانه صنعة ابن السكيت ص٢ .

مُسائلَها أنا ، بإظهار الضمير . ولا يجوز أن تكون الجملة حالاً من الضميرين على حدّ لقيته راكبين ، لاختلاف العاملين ، ولِمَا في ذلك من التناقض . كذا قال ابن السيد .

وقوله : « عيَّتْ » ، استئناف بيانيٌّ ؛ وقيل حال ، بتقدير قد ، من ضمير الدار في أسائلها . يقال : عَيِيت بالأمر بالكسر : إذا لم تعرف وجهه ، وروى أيضاً : «أعيت» بالألف ، أي : عجَزت . و« جواباً » : إمّا تمييز محوّل عن الفاعل ، أي : عيّ[1] جوابُها ، ثم أسندَ الفعل إلى ضمير الدار .

وهذا كقوله[2] :

* وقفتُ برسميها فعيَّ جوابها *

وإمّا منصوب بنزع الخافض ، أي : عيّت بجواب ، ذكرهما ابن السيد .

وقال اللّخميّ : جواباً منصوب على المصدر ، أي : عيَّت أن تجيبَ جواباً . وفيه نظر ظاهر .

وقوله : « وما بالرّبع الخ » ، قال ابن السِّيد : إن شئت جعلتَها لا محلّ لها من الإعراب ، وإن شئت كانت حالاً من ضمير عيَّت المستتر ، أو من ضمير أسائلها ، ويلزم على هذا تقدير ضمير صاحب الحال ، أي : وما بالرّبع منها . وعند الكوفيِّين أل في الرّبع مُعاقبة للضمير ، أي : وما بربعها انتهى .

و« الرَّبع » ، بالفتح : مَحَلَّة القوم ومنزِلهم أينما كان . والمربع ، كجعفر : منزلُهم في الرَّبيع خاصة . و لم يصب اللّخميّ في قوله : الربع المنزلُ في الرّبيع خاصَّة ، ثم كثر في كلامهم حتّى قيل لكل منزل ربع ، وقوله : مِن أحد ، من زائدة ، وأحد فاعل الظرف .

وقوله :

* إلاَّ الأواريَّ لأياً ما أبيِّنها *

---

(١) في طبعة بولاق : " عن جوابها " . وهو تصحيف صوبه الشنقيطي في نسخته .

(٢) صدر بيت لأبي صخر الهذلي في ديوانه ص٩٤ ؛ وعجزه :

* صَدَفْتُ وعيني دَمْعُها سَرِبٌ هَمْرُ *

والبيت لأبي صخر في أمالي القالي ١٤٨/١ .

الأواريّ يقال لها الأواخيُّ أيضاً ، وهما جمع آريَّةً وآخيَّة بمدّ الهمزة وتشديد الياء فيهما ، وهي التي تُحبَس بها الخيل من وتِد وحبْل . واللأي ، قال ابن السيِّد : هو مصدر لم يُستعمل منه فعل إلاَّ بالزيادة ، يقال : التأى ولا يقال : لأى .

والمظلومة فيها أقوال : قيل : هي الأرض حُفر فيها و لم يكن بها حُفرٌ قبل ذلك ، وقيل : هي التي أتاها سيلٌ من أرض أخرى ، وقيل : هي أرض مُطرت في غير وقتها . وشِعْر النابغة يقتضي الأوّل .

وقال ابن السِّكِّيت : إنّما قيل بالمظلومة ، لأنّهم مرُّوا في بريَّة فحفروا فيها حوضاً وليس بموضع حفر ، فجعلوا الشيء في غير موضعه . و« الجَلَد » ، بفتح الجيم واللام: الأرض الصُّلبة من غير حجَارة ، قال ابن السيِّد : وخصَّها بذلك لأنّها إذا كانت صُلبة تعذّر الحفرُ فيها فلم يعمق الحفر فيها ، فهو أولَى لتشبيه النؤي به .

وفي رواية : الأواريُّ والنّؤيُ ، بالرفع على لغة تميم ، بالإبدال من موضع [من[1]] أحد ؛ وذلك على ثلاثة أوجه :

الأوّل : أنّه أراد ما[2] بالرّبع إلاَّ الأواريّ ، فذكر مِن أحدٍ تأكيداً ، وكأنّه في التقدير : ما بالرّبع شيء أحدٌ ، ولا غيرهُ إلاَّ الأواريّ .

والوجه الثاني : أنّه جعلَ الأواريَّ من جنس أحد على المجاز ، كما تقول تحيّتهُ السَّيف ، وما أنت إلاَّ أكلٌ وشرب ؛ فجعلَ التّحية السيفَ ، وجعله الأكل والشرب مجازاً .

والوجه الثالث : أنّه خلطَ من يعقل بما لا يَعقل ، ثم غلَّب من يَعقل فقال : وما بالرّبع من أحد ، وهو يريد من يَعقل وما لا يَعقل ، ثم أبدلَ الأواريّ من لفظٍ اشتملَ عليهِ وعلى غيره .

والقولان الأوَّلان لسيبويه ، والثالث للمازنيّ .

وقوله : « كالحوض » ، قال ابن السيِّد : يحتمل وجهين : إنْ جعلت النؤي مرفوعاً بالابتداء فالظرف خبره ، وإنْ جعلته مرفوعاً بالعطف على الأواريّ فالظرف حال من النؤي - كم نصب النؤي بالعطف على الأواريّ - وعامل الحال إذا نُصب

(١) زيادة يقتضيها السياق من النسخة الشنقيطية .

(٢) سقطت كلمة : " ما " . من طبعة بولاق .

النؤي معنى الاستثناء ، وإذا رفع فمعنى الاستقرار في قوله بالرّبع .

وقوله : « بالمظلومة » ، حال من الحوض والعامل ما في الكاف من معنى التشبيه[١] . فإن قلتَ : أيُّ « مَا » هي في قوله لأيا ما أبينها ؟ قلتُ : هي كالتي في قوله تعالى[٢] : « إنَّ اللَّهَ لا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلاً ما بَعُوضَةً » قال صاحب الكشّاف : وما هذه إبهاميَّة ، وهي التي إذا اقترنت باسم نكرة أبهمته إبهاماً وزادته شياعاً وعُموماً ، كقولك : أعطِني كتاباً ما - تريد أيَّ كتاب كان - أو صلة للتأكيد كالتي في قوله تعالى[٣] : « فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُم » انتهى .

فالمعنى أنّ هذا الربع لخلوّه من الأهل قد سَفت الرِّيح عليه التراب حتّى خفيت الأواريُّ فيه ، فلا تظهر للناظر باديَ بدء ، وإنّما يستبينها ببطء بعد التأمُّل .

فإنْ قلت : رواية الفَراء[٤] تناقض روايةَ الجمهور ؛ فإنّ روايته صريحة في نفي استبانة الأواريّ ، وحينئذ لا معنى لاستثناء الأواريّ . قلتُ : هي بتقدير ما أبينها بسرعةٍ بل ببطء ، فتطابق رواية الجمهور ويصحّ الاستثناء .

فإن قلتَ : هل يصحُّ أن تكون ما في رواية الجمهور نافية ؟ قلتُ : لا ، لأنّ المعنى حينئذ أنّ الأواريّ لم أتبيّنْها ببطء بل بسرعة . وهذا خلاف مراد الشاعر ، فتأمّل . وفي ذكر الأواريّ دلالة على أنّ أهل الرَّبع ذُوُو عزّ وشجاعة لاقتنائهم الخيل . واللّه أعلم .

وترجمة النّابغة الذُّبيانيّ قد تقدّمت في الشاهد الرابع بعد المائة[٥] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثالث والسبعون بعد المائتين[٦] : (الطويل)

---

(١) في طبعة بولاق : " في معنى التشبيه " . والتصويب من النسخة الشنقيطية .

(٢) سورة البقرة : ٢/٢٦ .

(٣) سورة النساء : ٤/٧٧ ؛ وسورة المائدة : ٥/١٣ .

(٤) في حاشية الطبعة السلفية ٤/٩٦ : " للفراء روايتان ، وإنما يريد البغدادي رواية " إلا الأواري لا أن ما أبينها".

(٥) الخزانة الجزء الثاني ص١١٨ .

(٦) هو الإنشاد السابع بعد المائة في شرح أبيات المغني للبغدادي .

والبيت لأحد بني سعد في شرح أبيات المغني ٢/١١٦ ؛ وشرح شواهد المغني ص٢١٩. وهو بلا نسبة في أوضح -

٢٧٣- وما الدَّهْرُ إلاَّ مَنْجَنُوناً بأَهْلِهِ
وَمَا صَاحِبُ الحَاجَاتِ إلاَّ مُعَذَّبَا

على أن يونس استدلَّ به على إعمال « ما » مع انتقاض نفيها بـ« إلاّ » .

وأجيب بأن المضاف محذوف من الأوّل ، أي : [يَدور[1]] دورانَ منجنون ، و«يدور» خبر المبتدأ ، فحذف هو والمصدر وأقيم منجنون مقام المصدر .

وأنّ الثاني أصله وما صاحب الحاجاتِ إلاّ يعذّب معذّباً ، أي : تعذيباً ، فـ «يعذّب» خبر المبتدأ ، فحذف وبقي مصدره . فلا عمل لما في الوضعين .

وخرَّجه صاحب اللب علي أنّه بتقدير[2] : وما الدَّهر إلاّ يُشبه منجنونا ، وما صاحب الحاجاتِ إلاّ يشبه معذَّباً ، فهما منصوبان بالفعل الواقع خبراً ؛ ومعذّب على هذا اسم مفعول ، وهذا أقلّ كُلْفَةً .

وقال شارح اللبّ السيّدُ عبد اللّه : ويجوز أن يكون - أي منجنونا - منصوباً على الحال والخبر محذوف ، أي : وما الدَّهر موجوداً إلاّ مثلَ المنجنون ، لا يستقرُّ في حالة . وعلى هذا تكون عاملة قبل انتقاض نفيها . وكذا يكون التقدير في الثاني ، أي: وما صاحب الحاجات موجوداً إلاّ معذّباً . ولا تقدّر هنا مِثْل ، لأنّ الثاني هو الأوّل .

وقال ابن هشام في « شرح شواهده » : وجوَّز ابن بابْشاذَ[3] أن يكون الأصل : إلاّ كمنجنون ، ثم حذف الجارّ فانتصب المجرور . ومن زعم أن كاف التشبيه لا يتعلق

= المسالك ٢٧٦/١ ؛ وتخليص الشواهد ص٢٧١ ؛ والجنى الداني ص٣٢٥ ؛ والدرر ٩٨/٢ ، ١٧١/٣ ؛ ورصف المباني ص٣١١ ؛ وشرح الأشموني ١٢١/١ ؛ وشرح التصريح ١٩٧/١ ؛ وشرح المفصل ٧٥/٨ ؛ ومغني اللبيب ص٧٣ ؛ والمقاصد النحوية ٩٢/٢ ؛ وهمع الهوامع ١٢٣/١ ، ٢٣٠ .

(١) زيادة يقتضيها السياق من النسخة الشنقيطية .

(٢) النص بحرفيته في شرح أبيات المغني للبغدادي ١١٨/٢ .

(٣) هو طاهر بن بابشاذ المصري الجوهري أبو الحسن (..-٤٦٩ هـ) . إمام عصره في علم النحو ، كان تاجراً في الجوهر . تعلم في العراق . وولي إصلاح ما يصدر من ديوان الإنشاد بمصر ، فكان لا يخرج كتاب حتى يعرض عليه، ثم استعفى ، ولزم بيته بمصر ، إلى أن سقط من سطح جامع عمرو بن العاص ، فمات لساعته . من كتبه : المقدمة في النحو ، وشرح الجمل للزجاجي ، وشرح الأصول لابن السراج . (بغية الوعاة ١٧/٢ ؛ والأعلام ٣١٨/٣) . وفي البغية : بابشاذ : ومعناه الفرح والسرور .

بشيء فهذا التخريج عنده باطل ، إذْ كانَ حقُّه أن يرفع المجرور بعد حذفها ، لأنّه كان في محلِّ رفعٍ على الخبريَّة ، لا في موضع رفع باستقرارٍ مقدَّر ؛ فإذا ذهبَ الجارُّ ظهر ما كان للمحلّ . انتهى .

وعندي أن يكون من قبيل تأويل من قرأ[١] : « ونَحنُ عُصبَةً » بالنصب ، أي : نُرَى عصبة . والظاهر أن هذا أسهل .

ورواية البيت كذا هي الرواية المشهورة ، ورواه ابن جنّي في « المحتسب » عند قراءة ابن مسعود[٢] : « إنْ كُلٌّ إلاّ لَيُوَفِّيَنَّهُمْ » من سورة هود :

أرى الدَّهرَ إلاّ مَنْجَنُوناً بأهلهِ ... وما طالبُ الحاجاتِ إلاّ معلَّلا

قال : معنى هذه القراءة ما كُلٌّ إلاّ واللّهِ ليوفينّهم ، كقولك : ما زيد إلاّ لأضربنّه، أي : ما زيد إلاّ مستحقّ لأن يقال فيه هذا . ويجوز فيه وجه ثان : وهو أن تكون إنْ مخفّفة من الثّقيلة وتجعَل إلاّ زائدة . وقد جاء عنهم ذلك ، قال :

أرَى الدَّهر إلاّ منجنونا ... (البيت)

أي : أرَى الدّهر منجنوناً بأهله يتقلّب بهم ، فتارة يرفعهم ، وتارة يخفضهم[٣] . انتهى .

قال ابن هشام في « المغني » : إنّما المحفوظ : وما الدّهر . ثم إنّ ثبتت روايته فيتخرّج على أنّ أرى جوابٌ لقسم مقدَّر وحذفت لا ، كحذفها في[٤] : « تاللّهِ تَفْتَؤُ تَذْكُر » ، ودلّ على ذلك الاستثناءُ المفرغ . انتهى .

وهذا البيت نسبه ابن جنّي في «كتاب ذا القد[٥]» لبعض العرب . و«المنجنون»: الدولاب الذي يستقَى عليه ؛ وهو مؤنث .

---

(١) سورة يوسف : ١٢/٨ ، ١٤ .

(٢) سورة هود : ١١/١١١ .

(٣) المحتسب ١/٣٢٨ .

(٤) سورة يوسف : ١٢/٨٥ .

(٥) في هامش طبعة بولاق والنسخة الشنقيطية : " ذا القد كتاب جمعه ابن جني من كلام شيخه أبي علي رحمهما الله تعالى " .

وفي حاشية الطبعة السلفية ٤/٩٨ يقول الميمني : " وكذا في نسخة من الأدباء وفي أخرى : ذي القد " .

وانظر معجم الأدباء ١٦/١١٣ حيث قال : " كتاب ذي القد في النحو " .

قال ابن جنّي[١] في « شرح تصريف المازنيّ المسمّى بـالمنصف » : ليس منجنون من ذوات الخمسة ، هذا محال ، لأجل تكرير النون ، وإنما هو مثل حَنْدَقُوق ملحق بَعضْرفوط . ولا يجوز أن تكون الميم زائدة : لأنّا لا نعلم في الكلام مَفْعَلولا .

ولا يجوز أن تكون الميم والنون جميعاً زائدتين ، على أن تكون الكلمة ثلاثيّة من لفظ الجنّ، من جهتين :

إحداهما : أنّكَ كنت تجمع في أول الكلمة زيادتين وليس الكلمة جارية على فعْل مثل منطلق ومستخرج .

والأخرى : أنّا لا نعلم في الكلام مَنْفَعولا فيُحمل هذا عليه . ولا يجوز أيضاً أن تكون النون وحدَها زائدة : لأنها قد ثبتت في الجمع في قولهم : مناجين ، ولو كانت زائدة لقيل مجاجين ، فإذا لم يجز أن تكون الميم وحدها زائدة ، ولا النون وحدَها زائدة، ولا أن يكونا كلتاهما زائدتين ؛ لم يجز إلاّ أن يكونا أصلين وتجعلَ النون لاماً مكرَّرة ، وتكون الكلمة مثل حَنْدَقوق ملحقَة بعَضْرفُوط .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الرابع والسبعون بعد المائتين وهو من شواهد س[٢]: (البسيط)

٢٧٤- فأصْبَحوا قَدْ أعادَ اللّهُ دُولتَهُمْ
إذْ هُمْ قُريشٌ وإذْ ما مِثْلَهُمْ بَشَرُ

---

(١) في شرح أبيات المغني ١١٩/٢ : " قال ابن جني في كتاب " القد " وهو كتاب جمعه من كلام شيخه أبي علي: هذا البيت لبعض العرب " .

(٢) هو الإنشاد الثامن عشر بعد المائة في شرح أبيات المغني للبغدادي .

والبيت للفرزدق في ديوانه ٢٢٣/١ ؛ والأشباه والنظائر ٢٠٩/٢ ، ١٢٢/٣ ؛ وتخليص الشواهد ص٢٨١ ؛ والجنى الداني ص١٨٩ ، ٣٢٤ ، ٤٤٦ ؛ والدرر ١٠٣/٢ ، ١٥٠/٣ ؛ وشرح أبيات سيبويه ١٦٢/١ ؛ وشرح أبيات المغني ١٥٨/٢ ؛ وشرح التصريح ١٩٨/١ ؛ وشرح شواهد المغني ٢٣٧/١ ، ٧٨٢/٢ ؛ والكتاب ٦٠/١ ؛ ومغني اللبيب ص ٣٦٣ ، ٥١٧ ، ٦٠٠ ؛ والمقاصد النحوية ٩٦/٢ ؛ والمقتضب ١٩١/٤ ؛ والهمع ١٢٤/١ . وهو بلا نسبة في أوضح المسالك ٢٨٠/١ ؛ ورصف المباني ٣١٢ ؛ وشرح الأشموني ١٢٢/١ ؛ ومغني اللبيب ص٨٢ ؛ والمقرب ١٠٢/١ .

بأن سيبويه حكى أن بعض الناس ينصب « مثْلَهُمْ » [خبراً لـ «ما» ، و«بشر» اسمها][1] . وهذا لا يكاد يعرف . وقيل : إن خبر ما محذوف ، أي : إذْ ما في الدنيا بشر، ومثلَهم حال من بشر ، وانتصابه عند الكوفيِّين على الظرف ، أي : في مثل حالهم ، وفي مثل مكانهم من الرفعة .

قول سيبويه مبني على إعمال ما ، والقولان بعده مبنيّان على إهمالها . قال سيبويه : وهذا لا يكاد يعرف ، كما أنّ[2] « لاتَ حِينُ مَناص » كذلك . وربَّ شيء هكذا .

قال السّيرافيّ : يعني أنّ نصب مثلَهم بشر على تقديم الخبر قليل ، كما أنّ « لاتَ حينُ مَناص » بالرفع قليل لا يكاد يعرف انتهى .

وقال أبو جعفر النحَّاس[3] : يذهب سيبويه إلى أنّه نصب مثلَهم على أنه خبر وإنْ كان مقدماً ، فكأنه يجيز ما قائماً زيد . أقول : كيف ينصبونه مقدماً ؟ قال النحَّاس : سألت أبا إسحاق عمّا قاله المبرّد فقال : إنّه لعمري من بني تميم . ولكنه مسْلم قد قرأ القرآن ، وقرأ فيه[4] : « ما هذا بشراً » وقرأ[5] : « ما هنَّ أمَّهاتِهم » فرجعَ إلى لغة من ينصب ، فلا معنًى للتشنيع بأنه من بني تميم . انتهى .

أقول : من نصب لا ينصب مع تقدُّم الخبر ، فلا يصحُّ هذا جواباً . وقيل : أراد الفرزدق أن يتكلّم بلغة الحجاز فغلِط ، وهذا باطل[6] ؛ فإن العربيَّ لا يمكن أن يغلَط لسانه ، وإنما الجائز غلطه في المعاني .

وقال الأعلم : والذي حمله عليه سيبويه أصحُّ عندي وإنْ كان الفرزدق تميمياً : لأنّه أرادَ أن يخلّص المعنى من الاشتراك : وذلك أنه لو قال فيه إذ ما مثلهم بشر بالرفع، لجاز أن يُتوهَّم أنه من باب ما مثلُك أحداً ، إذا نفيت عنه الإنسانيّة والمروءة ، فإذا

(١) زيادة يقتضيها السياق من شرح أبيات المغني .

(٢) سورة ص : ٣/٣٨ .

(٣) قيل كلام النحاس جاء في شرح أبيات المغني ١٥٩/٢ : " وقد ردّ المبرد على سيبويه بأن الفرزدق تميمي ، وهم يرفعون الخبر مؤخراً ، فكيف ينصبونه مقدماً ؟! " .

(٤) سورة يوسف : ٣١/١٢ .

(٥) سورة المجادلة : ٢/٥٨ .

وفي حاشية طبعة هارون ١٣٤/٤ : " ويبدو أن في هذا النص سقطاً " . لنظر حاشيتنا السابقة .

(٦) في شرح أبيات المغني ١٥٩/٢ : " .. وهذا كما قيل : الخارج عن لغته لحّان " .

قال: ما مثلَهم بشر بالنصب لم يتوهَّم ذلك وخلص المعنى للمدح دون توهُّم الذمّ . فتأمَّله تجده صحيحاً .

والشعر موضع ضرورة ؛ ويحتمل فيه وضع الشيء في غير موضعه دون إحراز فائدة ، فكيف مع وجود ذلك . وسيبويه ممن يأخذ بتصحيح المعاني وإنْ اختلفت الألفاظ ، فكذلك[1] وجَّهه على هذا وإنْ كان غيره أقرب إلى القياس . انتهى .

يريد بتخليص المدح أنك إذا قلتَ ما مثلك أحداً فنفيت الأحديّة احتمل المدح والذمّ ، فإن نصبت المِثْل ورفعت أحداً تعين المدح . انتهى[2] .

قال ابن هشام في « شرح شواهده » : وفيه نظر ؛ فإنّ السياق يعيِّن الكلام للمدح .

وقال في الردّ على المبرد أحمدُ بنُ محمّد بن ولاّد : إنَّ الرّواة عن الفرزدق وغيره من الشعراء قد تُغَيِّر البيتَ على لغتها ، وترويه على مذاهبها ، مما يوافق لغة الشاعر ويخالفها ، ولذلك كثرت الروايات في البيت الواحد .

ألا ترى أنّ سيبويه قد يستشهد ببيتٍ واحد لوجوهٍ شتّى ؟! وإنّما ذلك على حسب ما غيّرته الرّواة بلغاتها ، لأن لغة الراوي من العرب شاهدٌ ، كما أنّ قول الشاعر شاهد ، إذا كانا فصيحين . فمن ذلك ما أنشده سيبويه[3] : (الطويل)

بَدَا ليَ أنِّي لستُ مدركَ ما مضى ولا سَابقٍ شيئاً إذا كانَ جَائِيَا

(١) في حاشية الطبعة السلفية ٩٩/٤ : " في الأعلم : " فلذلك " . وبه أخذ الشنقيطي فيما غيره بقلمه ، وكلاهما صحيح في العربية " .

(٢) في حاشية الطبعة السلفية : " ليس هذا موضع قوله : " انتهى " وإنما موقعها بعد " للمدح " التالية ، لجريان عادة المصنف أن يرد منها للنقل " .

(٣) هو الإنشاد الثالث والثلاثون بعد المائة في شرح أبيات المغني للبغدادي .

والبيت لزهير بن أبي سلمى في ديوانه ص٢٠٨ ؛ وتخليص الشواهد ص٥١٢ ؛ والدرر ١٦٣/٦ ؛ وشرح أبيات المغني ٢٤٢/٢ ؛ وشرح شواهد المغني ٢٨٢/١ ؛ وشرح المفصل ٥٢/٢ ، ٥٦/٧ ؛ والكتاب ١٦٥/١ ، ٢٩/٣ ، ٥١ ، ١٠٠ ، ١٦٠/٤ ؛ ولسان العرب (نمش) ؛ ومغني اللبيب ٩٦/١ ؛ والمقاصد النحوية ٢٦٧/٢ ، ٣٥١/٣ ؛ وهمع الهوامع ١٤١/٢ ؛ ولصرمة أو لزهير في الإنصاف ١٩١/١ . وهو بلا نسبة في أسرار العربية ص١٥٤ ؛ والأشباه والنظائر ٣٤٧/٢ ؛ وجواهر الأدب ص٥٢ ؛ والخصائص ٣٥٣/٢ ، ٤٢٤ ؛ وشرح الأشموني ٤٣٢/٢ ؛ وشرح المفصل ٦٩/٨ ؛ والكتاب ١٥٥/٢ .

ورواه أيضاً : « ولا سابقاً » في موضع آخر . وكذلك قول الأعور الشَّنِّيِّ[1] : (المتقارب)

فليسَ بآتيكَ مَنْهِيُّها ولا قاصِرٌ عَنْكَ مأمورُها

بالرفع والجر . وهذا كثير جداً . انتهى .

وفيه أنّ بيت[2] الفرزدق ليس على لغة الحجاز ولا على لغة تميم وغيرها فكيف يكون من قبيل لغة الراوي ! فتأمّلْ .

والقول الأوّل من القولين هو للمازنيّ ، وتبعه المبرّد وقال : كأنّ مثلَهم صفةٌ لبشر فلمّا قدّم عليه صار حالاً .

قال السيد عبد اللّه في « شرح اللب » : وفيه نظر لأنّ الحال فضلة يتمُّ الكلام بدونها ، وهاهنا لا يتمّ الكلام بدون مثلهم ، فلا يكون حالاً .

وردّه ابن هشام أيضاً في « شرح شواهده » بأنّ معانيَ الأفعال لا تعمل مضمرة. والكوفيُّون القائلون بنصب مثل على الظرف يقولون : أصله ما بشر في مكانٍ مثل مكانهم ، ثم أنيبت الصفة عن الموصوف ، والمضافُ إليه عن المضاف .

قال ابن هشام: ورُدَّ بأنَّ الصفة إنَّما تخلُف الموصوف إذا اختُصَّت بجنسه ؛ ولهذا جاز رأيت كاتباً ، وامتنع رأيت طويلاً .

وبقي تخريج آخر لم يذكره الشارح المحقق ، وهو أنّ مثلهم خبر ما التميميَّة ؛ لكن بنى مثلَ على الفتح لإضافته إلى مبنيّ ؛ فإنَّ المضاف إذا كان مُبهَماً كغير ، ومثل، ودون ، وأضيف إلى مبنيّ بُنِيَ كقوله تعالى[3] : « إنَّهُ لحَقٌّ مثْلَ ما أنَّكُمْ تَنطِقونَ » فيمن فتح مثل ، أو كقراءة بعضهم[4] : « أنْ يُصِيبَكُمْ مثْل ما أصابَ » بالفتح . وهذا

---

(١) البيت للأعور الشني في الدرر ١٢٩/٢ ؛ وشرح أبيات سيبويه ٢٣٨/١ ؛ وشرح أبيات المغني ٢٧٠/٣ ؛ وشرح شواهد المغني ٤٢٧/١ ، ٨٧٤/٢ ؛ والكتاب ٦٤/١ ؛ ولبشر بن أبي خازم في العقد الفريد . ولم أقع عليه في ديوانه. وهو بلا نسبة في أمالي ابن الحاجب ٦٧٩/٢ ؛ ومغني اللبيب ١٤٦/١ ؛ والمقتضب ١٩٦/٤ ، ٢٠٠ ؛ وهمع الهوامع ١٢٨/١ .

(٢) في طبعة بولاق والنسخة الشنقيطية : " باب " . وصححه الشنقيطي في نسخته إلى : " بيت " .

(٣) سورة الذاريات : ٢٣/٥١ .

(٤) سورة هود : ٩٨/١١ .

وقراءة النصب هي قراءة مجاهد والجحدري وابن أبي إسحاق ،ورويت عن نافع أيضاً .تفسير أبي حيان ٢٥٥/٥ .

أقرب الأقوال[1] .

وزعم ابن مالك أنّ ذلك لا يكون في مِثْل ، لمخالفتها للمبهمات بأن تثنّى وتجمع.

وقوله : « إذْ هُمْ قريش الخ » ، « إذْ » في الموضعين للتعليل . وبه استشهد ابن هشام في هذا البيت في « المغني » .

وهذا البيت من قصيدة للفرزدق يمدح بها عمَر بن عبد العزيز الأموي . وهذه أبيات منها[2] : (البسيط)

تقُولُ لمّا رأتنِي وهي طيِّبَةٌ ... علَى الفراش ومنها الدَّلُّ والخَفَرُ

أَصْدِرْ هُمُومَكَ لا يَقْتُلْكَ وارِدُها ... فكُلُّ وَارِدَةٍ يَوماً لها صَدَرُ

إلى أن قال :

فَعُجْتُها قِبَلَ الأخيَارِ مَنزِلةً ... والطَّيِّبي كلّ ما التاثت بِها الأُزُرُ

إذا رَجَا الرّكبُ تَعريساً ذَكَرت لهُمْ ... عيشاً يكونُ علَى الأيدي لَهُ دِرَرُ

وكَيْفَ تَرْجُونَ تَغميضاً وأهلُكُمُ ... بحيث تَلْحَس عنْ أولادها البَقَرُ

سيرُوا فإنّ ابنَ لَيلَى عن أمامكمُ ... وبادروه فإن العُرفَ يُبْتَدَرُ[3]

إلى أن قال :

وما أُعيدَ لهم حتَّى أتيتَهمُ ... أزمانُ مَروان إذْ في وحشها غِرَرُ

فأصبَحُوا قَدْ أعَادَ اللّهُ دَولَتَهم ... إذْ هُم قريشٌ وإذْ ما مثلَهُمْ بشَرُ

ولَنْ يزالَ إمَامٌ منهُمُ ملكٌ ... إليهِ يَشخَص فوقَ المِنبر البَصَرُ

(١) شرح أبيات المغني للبغدادي : ٢/١٦٠ .

(٢) الأبيات من مطولة للفرزدق يمدح فيها عمر بن عبد العزيز لما كان والياً على المدينة ، وهي في ديوانه ص ١/٢٢٠- ٢٢٤ .

(٣) جاء في حاشية الطبعة السلفية ٤/١٠١ : " وهكذا جاءت الرواية في السيوطي ٨٤ - والرواية في الديوان ١٥ بيروت " من أمامكم " . وفي العيني (٣: ٦٢٦) : " فإن أبا ليلى أمامكم " ولا تصح هذه الرواية فإن الممدوح بهذه القصيدة عمر بن عبد العزيز . وأمه هي ليلى بنت عاصم بن عمر بن الخطاب كما أن أم أبيه عبد العزيز هي ليلى بنت الأصبغ بن زيادة الكلبي . وبعد هذا البيت :

وبادروا بابن ليلى الموت إن له ... كفين ما فيهما بخل ولا حصر "

إنْ عَاقَبُوا فالـمَنَايا مـنْ عقُـوبتهـم وإنْ عفَوْا فَذَوو الأحلامِ إنْ قَـدَرُوا

قوله : « ومنها الدلّ والخفر » ، « الدلّ » بفتح الدال : مصدر دلَّت المرأة مـن بابي ضرب وتعب . وتدلّلت تدلّلاً ؛ والاسم الدَّلال وهو جُرأتها في تكسُّـر وتغنُّـج ، كأنَّها مخالفَة وليس بها خلاف . كذا في « المصباح » . و« الخَفَر » ، بفتح المعجمة ، وهو شدّة الحيَاء .

وقولـه : « أصـدِرْ همومَـك » ، أي : اصرفْهـا عنـك ، يقـال : صـدرَ القـومَ وأصدرناهم إذا صرفتَهم .

وقوله : « فكلّ واردة » ، تعليل لقوله أَصدِرْ .

وقوله : « فَعُجتْها قِبَلَ الأخيار الخ » ، يقال : عجت النَّاقة أعُوجها : إذا عطفتَ رأسها بالزمام ؛ والضمير للناقة .

و« القِبَـل » ، بكسـر القـاف وفتـح الموحَّـدة : الجهـة . و« منزلـة » تمييـز . و«الطيِّبي» : معطوف على الأخيار وهو جمـع مذكَّـر سـالم حذفـت نونـه للإضافـة ، والمفرد طيِّب . و« التاثث » : التفّت ؛ يقـال : لاث عمامتـه يَلُوثهـا ، إذا لفّهـا علـى رأسه . وضمير بها لما الموصولة .

و« الأُزُرُ » : جمع إزار ، وهو ما يستر من السرّة إلى أسفل . و« الـرِّداء » : مـا يستر من المَنْكِب إلى أسفل . وهذا كناية عن وصفهم بالعفّة ؛ والعرب تكـني بالشـيء عمّا يحويه ويشتمل عليه ، كقولهم : ناصح الجيـب ، أي : الفـؤاد . أراد أنّهـم أخيـار ذوو عفّة .

وهذا البيت أورده ابن قاسم في « شرح الألفيَّـة » علـى أنَّ الطيِّبي صفـة مشبّهة مضافة إلى مضاف إلى الموصول .

وقولـه : « إذا رحَـا الرَّكْـبُ الخ » ، « التعريـس » : الـنزول في آخـر الليـل للاستراحة والنوم .

وقوله : « بحيث تلحس الخ » ، أي : في موضع قفر لا نباتَ به ولا ماء .

وابن ليلى هو عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أميّة بـن عبد شمس بن عبد مناف . وليلى هي أمّه ، وهي بنـت عـاصم بـن عمـر بـن الخطّـاب رضي اللّه عنه .

و« العُرف »، بالضم : المعروف .

وقوله : « إذ في وحشها غِرَر » ، الغرر بالكسر : جمع غِرّة ، وهي الغفلة . يريد أن وحشَها لا يَذعرها أحد ، فهي في غرَّة من عيشها ، يقال : هو في غرّة من العيش، إذا كان في عيش ليس فيه كدر ولا خوف.

و« أزمانٌ » : نائب فاعل أُعيد . و« أتيتَهم » : خطابٌ لعمر بن عبد العزيز . وضمير وحشها للمدينة المنوَّرة .

قال ابن خلف : مدح الفرزدق بهذا الشعر عمرَ بن عبد العزيز . وكان قد ولي المدينة . يقول : وما أُعيدَ لأهل المدينة ولمن بها من قريش أزمانٌ مثلُ أزمان مروانَ في الخِصب والسَّعَة ، حتّى وَليت أنتَ عليهم فعاد لهم مثلُ ما كانوا فيه من الخير حين كان مروانُ والياً عليهم ، فأصبحوا بولايتك عليهم قد أعاد اللّه نعمتهم عليهم .

وقال الأعلم : مدح بالشعر بني أميّة فقال : كان مُلكُ العرب في الجاهليّة لغير قريش وسائر مضر ، وكانوا أحقَّ به لفضلهم على البشر ، فقد أصبحوا والإسلام فيهم ، فعاد إليهم ما رجعَ عن غيرهم بما كان واجباً لهم بفضلهم انتهى .

والمعنى هو الأوّل ويدلّ له قوله : قد أعادَ اللّه نعمتهم ، فإنّ نعمتهم كانت منقطعةً بعزل مرْوان وأعيدت إليهم بتولية عمر بن عبد العزيز عليهم ، فإنَّ العَود رُجوع الشيء إلى الشيء بعد انفصاله عنه .

وأما قوله : فعاد إليهم بعد ما خرج عن غيرهم ، فهذا انتقال لا عود .

وقوله : « قد أعاد اللّه نعمتهم » ، هذه الجملة خبر صار .

والعجب من العينيّ في قوله صار من الأفعال الناقصة[1] ، وجعله هذه الجملة حالاً مع أنه لم يعيِّن الخبر .

* * *

(١) في حاشية الطبعة السلفية ١٠٣/٤ : " كتب مصحح المطبوعة الأولى : قوله " صار من الأفعال الناقصة " عبارة العيني : " قوله (فأصبحوا) من الأفعال الناقصة ، ولكنها ها هنا بمعنى صاروا ، وهي جملة من الفعل والفاعل قوله قد أعاد الله نعمتهم جملة وقعت حالاً فتأمل " .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الخامس والسبعون بعد المائتين[1] : (الوافر)

٢٧٥- لوَ انَّك يا حُسينُ خُلِقْتَ حُرًّا
ومَا بالحُرِّ أنْتَ ولا الخَلِيْقِ

على أن فيه دليلاً على جواز تقديم الخبر المنصوب ، إذ الباء لا تدخل إلاّ على الخبر المنصوب .

وعلى هذا بنى أبو عليّ والزمخشريّ امتناعَ دخولها على « ما » التميمية ، وأجازه الأخفش .

قال أبو عليّ في « إيضاح الشعر » : أمّا ما أنشده بعض البغداديين[2] :

أمَا واللَّهِ عَالِمِ كُلِّ غَيْبٍ ... وربِّ الحِجْرِ والبيتِ العَتِيْقِ
لَوَ انَّك يا حُسَينُ خُلِقْتَ حُرًّا ... وما بالحُرِّ أنتَ ولا الخلِيْقِ

فإنّه يكون شاهداً على ما حكاه أبو عَمرو في نصب خبر « ما » مقدَّماً . ومن دفع[3] ذلك أمكن أن يقول إن الباء دخلت علَى المبتدأ ، وحمل « ما » على أنها ما التميمية. ويقوى أن « ما » حجازيّةٌ[4] أنّ « أنت » أخصُّ من الحُرّ ، فهو أولى بأن يكون الاسم ويكون الحرّ الخبر . انتهى .

---

(١) هو الإنشاد الأربعون في شرح أبيات المغني للبغدادي .
والبيت بلا نسبة في الإنصاف ١/١٢١ ؛ والجنى الداني ص٢٢٢ ؛ وجواهر الأدب ص١٩٧ ؛ والدرر ٤/٩٦ ، ٢١٩ ؛ ورصف المباني ص١١٦ ؛ وشرح أبيات المغني للبغدادي ١/١٥٧ ؛ وشرح التصريح ٢/٢٣٣ ؛ وشرح شواهد المغني ١/١١١ ؛ ومغني اللبيب ١/٣٣ ؛ والمقاصد النحوية ٤/٤٠٩ ؛ والمقرب ١/٢٠٥ ؛ وهمع الهوامع ٢/١٨ ، ٤١ .
والرواية المشهورة فيه :
أما والله أن لو كنت حراً ... وما بالحر أنت ولا العتيق
(٢) البيتان بلا نسبة في شرح أبيات المغني ١/١٥٨ .
(٣) في طبعة بولاق والنسخة الشنقيطية : " رفع " . وهو تصحيف صوابه من شرح أبيات المغني للبغدادي ١/١٥٨.
وفي حاشية طبعة هارون : " .. وحورها الشنقيطي إلى " دفع " بالدال " .
(٤) في جميع طبعات الخزانة : " ما الحجازية " . والتصويب من شرح أبيات المغني للبغدادي .

أقول : من يدفع ذلك يقول : إنّ الباء زيدت في خبر « ما » التميمية ، ولا يذهبُ أن مدخولها مبتدأ . والصحيح أنّها تزاد في خبر ما على اللُّغتين ، وهو ظاهر كلام سيبويه في باب الاستثناء في مسألة ما زيد بشيء إلاّ شيء لا يعبأ به .

قال الشاطبيّ في « شرح الألفيّة » : والأصحُّ ما ذهب إليه سيبويه من أوجه :

أحدها : أنّ بني تميم يدخلونها في الخبر ، فيقولون : ما زيد بقائم ، فإذا لم يدخلوها رفعوا .

قال ابن خروف : إنّ بني تميم يرفعون ما بعدها بالابتداء والخبر ، ويدخلون الباء في الخبر لتأكيد النفي . ثم حكى عن الفرّاء أنّه قال : أنشدتني امرأةٌ :

أمـا واللّـهِ أنْ لـو كنتَ حُـرًّا ... ومـا بالحُـرِّ أنـتَ ولا العتِيـقِ

قال : فأدخلت الباء فيما يلي ما . فإن ألغيتها رفعت . انتهى .

وقد أنشد سيبويه للفرزدق وهو تميمي[1] : (الطويل)

لعَمْـرُك ما معـنٌ بتَـارِكِ حقِّـهِ ... ولا مُنْسِئٌ مَعْـنٌ ولا مُتَيَسِّرُ

وهو كثير في أشعارهم لمن بحثَ عنه .

والثاني : أن الباء إنّما دخلت على الخبر بعد « ما » لكونه منفيّاً ، لا لكونه خبراً منصوباً ؛ ولذلك دخلت في خبر لم يكن و لم تدخل في خبر كنت . وإذا ثبت أن المسوّغ لدخولها إنّما هو النفي فلا فرق بين منفيٍّ منصوب المحل ومنفيٍّ مرفوع المحل .

والثالث : أنّه قد ثبتَ دخول الباء مع إبطال العمل ومع أداةٍ لا عملَ لها البتة ، نحو قوله[2] : (المتقارب)

لَعمْـرُك مَـا إنْ أَبُـو مـالـكٍ ... بَـواهٍ ولا بضَعيـفٍ قُـوَاهْ

---

(١) البيت للفرزدق في ديوانه ٣٨٤/١ ؛ والدرر ١٢٩/٢ ؛ وشرح أبيات المغني ٢٧١/٤ ؛ وشرح أبيات سيبويه ١٩٠/١ ؛ والكتاب ٦٣/١ . وهو بلا نسبة في همع الهوامع ١٢٨/١ .

(٢) البيت للمتنخل الهذلي في الأغاني ٢٦٥/٢٣ ؛ وأمالي المرتضى ٣٠٦/١ ؛ والدرر ١٢٣/٢ ؛ وشرح أشعار الهذليين ١٢٧٦/٣ ؛ والشعر والشعراء ٦٦٤/٢ . وهو بلا نسبة في جواهر الأدب ص٥٣ ؛ وشرح الأشموني ١٢٤/١ ؛ وهمع الهوامع ٢٢٧/١ .

وأنشد الفارسيّ في « التّذكِرة » للفرزدق[1] : (الطويل)

يقُولُ إذا اقْلَولَى علَيْها وأَقْـرَدَتْ ألا هَـلْ أخُـو عيْـشٍ لَذيـذٍ بدَائِـمِ

وإنّما دخلت بعد هل لشبهها بحرف النفي ؛ فدخولها بعد النفي المحض وهو ما التميميّة أحقّ .

قال ابن مالك : لأن شبه « ما » بها أكمل من شبه هل بها . ثم ذكر ما حكى الفرّاء عن كثيرٍ من أهل نجد : أنّهم يجرّون الخبر بعدما بالباء وإذا أسقطوا الباء رفعوا .

قال ابن مالك :وهذا دليل واضحٌ على أن دخول الباء جارَّة للخبر بعد «ما» [لا[2]] يلزم منه كون الخبر منصوب المحل ، بل جاز أن يقال هو منصوب المحلّ وأن يقال هو مرفوع المحلّ ، وإنْ كان المتكلم به حجازياً ، فإنَّ الحجازيَّ قد يتكلّم بغير لغته وغيره يتكلّم بلغته . إلاّ أنَّ الظاهر أنّ محلّ المجرور نصبٌ إن كان المتكلّم حجازياً، ورفعٌ إن كان تميميًّا أو نجدياً .

قال : فمن دخول اللغة التميمية في الحجازيّة كسرُ هاء الغائب بعد كسرة أو ياءٍ ساكنة ، وإدغامُ نحو[3] : « ولا يُضارَّ كاتبٌ ولا شَهيدٌ» ورفع اللّه من قوله تعالى[4] : « قلْ لا يَعْلَمُ مَنْ في السَّمواتِ والأرضِ الغَيْبَ إلاَّ اللّهُ» لأنَّ اللغة الحجازيَّة به وفيهُ بالضم ، ولا يضارَرْ بالفكِّ ، وإلاَّ اللّهَ بالنصب لأنَّ الاستثناء منقطع .

قال : وإذا جاز للحجازيّ أن يتكلّم باللغة التميميّة جاز للتميميّ أن يتكلّم باللغة الحجازيّة ، بل التميميُّ بذلك أولى لوجهين :

---

(١) هو الإنشاد السابع والستون بعد الخمسمائة في شرح أبيات المغني للبغدادي .

البيت للفرزدق في ديوانه ص٨٦٣ ؛ والأزهية ص٢١٠ ؛ وتخليص الشواهد ص٢٨٦ ؛ وجمهرة اللغة ص٦٣٦ ؛ والدرر ١٢٦/٢ ؛ وشرح التصريح ٢٠٢/١ ؛ وشرح أبيات المغني ٦٥/٦ ؛ وشرح شواهد المغني ٧٧٢/٢ ؛ ولسان العرب (قلا) ؛ والمقاصد النحوية ١٣٥/٢ ، ١٤٩ . وهو بلانسبة في أساس البلاغة (قرد) ؛ والأشباه والنظائر ١٢٦/٣ ؛ وأوضح المسالك ٢٩٩/١ ؛ والجنى الداني ص٥٥ ؛ وجواهر الأدب ص٥٢ ؛ والدرر ١٣٩/٥ ؛ وشرح الأشموني ١٢٤/١ ؛ ولسان العرب (قرد ، هلل) ؛ والمنصف ٦٧/٣ ؛ وهمع الهوامع ١٢٧/١ ، ٧٧/٢ .

اقلولى : ارتفع – أقردت : لصقت بالأرض وسكنت – .

(٢) زيادة يقتضيها السياق من الطبعة السلفية ١٠٥/٤ .

(٣) سورة البقرة : ٢٨٢/٢ .

(٤) سورة النحل : ٦٥/٢٧ .

أحدهما :أنّ الحجازيّة أفصح ، وانقياد غير الأفصح لموافقة الأفصح أكثر وقوعاً من العكس .

والثاني : أنّ معظمَ القرآن حجازيٌّ والتّميميّون متعبَّدون بتلاوته كما أُنزل ، ولذلك لا يقرأ أحد منهم ما هذا بَشَرٌ[١] إلاّ مَن جهل كونه منزلاً . هذا ما قاله ، وفيه نظر لا يليق بهذا الموضع . انتهى ما أورده الشّاطبي .

وروى الفرّاء هذا البيت في « تفسيره » كذا :

أما واللّه أن لَو كنت حُرًّا وما بالحُرِّ أنتَ ولا العَتيقِ

أنشده في سورة الجنّ عند قوله تعالى[٢] : « وإنْ لَوْ اسْتَقَامُوا علَى الطَّرِيقَة » .

قال : قد احتمع القرّاء على كسر « إنّا » في قوله تعالى[٣] : « فقالوا إنّا سَمِعْنَا قُرآناً عجباً » واختلفوا فيما بعد ذلك فقرؤُوا : وأنا ؛ وإنّا إلى آخر السورة ، فكسروا بعضاً وفتحوا بعضاً . فأمّا الذين فتحوا كلّها فإنّهم ردّوا أنّ على قوله : « فآمَنّا به » وآمنّا بكلِّ ذلك ، ففُتحت أنَّ لوقوع الإيمان عليها .

ويقوّي النصب قوله تعالى : « وأن لو استقَاموا » فينبغي لمن كسر أنْ يحذفَ أنْ من لو ، لأنَّ « إنّ » إذا خفّفت لم تكنِ في حكاية ؛ ألا ترى أنّك تقول : أقول لو فعلتَ لفعلتُ ، ولا تدخل أن .

وأما الذين كسروا كلّها فهم في ذلك يقولون :وأنْ لو استقاموا ؛ فكأنّهم أضمروا يميناً مع لو وقطعوها عن النّسَق ، فقالوا : واللّه أنْ لو استقاموا . والعرب تدخل أن في هذا الموضع مع اليمين وتحذفها ، قال الشاعر[٤] : (الطويل)

* فأقْسِمُ لو شيءٌ أتانا رَسُولُهُ *

---

(١) في طبعة بولاق : " بشراً " . بالنصف وهو تصحيف صوابه من النسخة الشنقيطية .

(٢) سورة الجن : ١٦/٧٢ .

(٣)سورة الجن : ١/٧٢ .

(٤) صدر بيت لامرئ القيس في ديوانه ص٢٤٢ ؛ وعجزه :

* سواك ولكن لم نجد لك مدفعا *

والبيت لامرئ القيس في شرح أبيات المغني للبغدادي ١٥٤/١ . وهو بلا نسبة في شرح المفصل ٧/٩ ، ٩٤ ؛ وكتاب الصناعتين ص١٨٢ ؛ ولسان العرب (وحد) .

وأنشدني آخر :

أمـا واللّــه أنْ لــو كـنـتَ حـرًّا . . . . البيت

ومن كسر كلَّها ونصب « وأنَّ المساجدَ للّه » خصَّه بالوحي ، وجعل وأن لو مضمرة فيها اليمينُ على ما وصفت لك . انتهى .

وكذا أورده ابن هشام في « المغني » في بحث أنْ وجعلها زائدة ، قال : ومن مواضع زيادتها أن تقع بين لو وفعل القسم ، مذكوراً كقوله[1] :

فـأقْسِـمُ أنْ لَوِ التَقَيْنَا وأنـتـم . . . .

أو متروكاً كقوله :

أما واللّه أنْ لَـوْ كـنـتَ حُـرًّا . . . . البيت

وهذا قول سيبويه[2] وغيره . وفي مقرب ابن عصفور : أنّها في ذلك حرف جيء به لربط الجواب بالقسم . ويُبعده أنَّ الأكثر تركها ، والحروف الرابطة ليست كذلك. انتهى .

ونقضه الدّمامينيّ باللام الداخلة على الجواب المنفيّ[3] كقولك[4] : (الوافر)

---

(١) صدر بيت للمسيب بن علس ؛ وعجزه :

* لكان لكم يومٌ من الشر مظلم *

وهو الإنشاد التاسع والثلاثون في شرح أبيات المغني للبغدادي .

والبيت للمسيب بن علس في شرح أبيات سيبويه ١٨٥/٢ ؛ وشرح أبيات المغني للبغدادي ١٥٣/١ ؛ وشرح شواهد المغني ١٠٩/١ . وهو بلا نسبة في أوضح المسالك ١٦٠/٤ ؛ وجواهر الأدب ص١٩٧ ؛ وشرح الأشموني ٥٥٣/٣ ؛ وشرح التصريح ٢٣٣/٢ ؛ وشرح المفصل ٩٤/٩ ؛ والكتاب ١٠٧/٣ ؛ ولسان العرب (ظلم) ؛ ومغني اللبيب ٣٣/١ ؛ والمقاصد النحوية ٤١٨/٤ .

(٢) في حاشية الطبعة السلفية ١٠٧/٤ : " الحق أن سيبويه لا يقول بزيادتها بل يعتبرها موطئة للقسم . انظر الجزء الأول من كتابه والرضي (٢: ٣١٦) والبغدادي (٤: ٢٢٥ بولاق) " . وذلك في الشاهد ٨١٦ .

(٣) كذا في طبعتي بولاق والسلفية . وفي النسخة الشنقيطية وطبعة هارون : " على جواب لو المنفي " .

(٤) صدر بيت غير منسوب ؛ وعجزه :

* ولكن لا خيار مع الليالي *

وهو الإنشاد السادس والثلاثون بعد الأربعمائة في شرح أبيات المغني للبغدادي .

والبيت بلا نسبة في أوضح المسالك ٢٣١/٤ ؛ والدرر ١٠١/٥ ؛ وشرح أبيات المغني ١١١/٥ ؛وشرح الأشموني =

* ولو نُعطَى الخِيَارَ لَما افْتَرَقنَا *

فإنّها حرف رابط ، والأكثر تركها نحو[1] : « ولو شَاءَ ربُّكَ ما فَعَلُوهُ » انتهى.

وأنشده المرادي أيضاً كذا في « شرح الألفيّة » شاهداً على أنّ « أنْ » رابط لجواب القسم .

وقوله :

* أما واللّه عالم كلِّ غيب . . . الخ *

« أمَا » بالتخفيف حرف تنبيه يستفتح به الكلام ، وجواب القسم محذوف أي : لقاومتك ، أو في بيتٍ آخر .

وقوله : « لوَ انَّك » ، يقرأ بنقل فتحة الألف من أنَّك إلى واو لو . والحرُّ من الرجال : الكريم الأصل الذي خلص من الرقّ مطلقاً ، سواء كان رقَّ العبودية أو رقّ النفس ، بأن تستخدمه في الرّذائل .

و« الخليق » : الجدير واللائق ، أي : ولا أنت جدير بأنْ تكون حرّاً . و«العتيق»، على رواية الفرّاء وغيره ، هو الكريم والأصيل. والذي خلص من الرقّ عتيق أيضاً . ولذكرهِ بجنب الحرّ حُسْنُ مَوقع .

وهذان البيتان لم أعرف قائلهما . وقال العينيّ في البيت الشاهد : أنشده سيبويه ، ولم يعزه إلى أحد . أقول : لم ينشده سيبويه ولا وقع في كتابه .وصوابه أنشده الفرَّاء فإنّه أوّل من استشهد به . واللّه أعلم .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السادس والسبعون بعد المائتين[2] : (المتقارب)

= ٦٠٤/٣ ؛ وشرح التصريح ٢٦٠/٢ ؛ وشرح شواهد المغني ٢٦٦٥ ؛ ومغني اللبيب ٢٧١/١ ؛ وهمع الهوامع ٦٦/٢ .

وفي طبعة بولاق : " تعطى " بالتاء وهو تصحيف صوابه من المصادر السابقة .

(١) سورة الأنعام : ١١٢/٦ .

(٢) البيت للمتنخل الهذلي في الأغاني ٢٦٥/٢٣ ؛ وأمالي المرتضى ٣٠٦/١ ؛ والدرر ١٢٣/٢ ؛ وشرح أشعار =

٢٧٦- لَعَمْرُكَ ما إِنْ أَبُو مَالِكٍ
بِوَانٍ ولا بِضَعِيفٍ قُوَاهْ

على أنَّ « الباء » تزاد بعد ما النافية المكفوفة بإنْ اتفاقاً . وهذا يدلُّ على أنّه لا اختصاص لزيادة الباء في خبر ما الحجازيّة .

وهذا البيت أول أبياتٍ للمتنخّل الهُذَليّ يرثي بها أباه ، وبعده[1] :

ولا بألَدَّ لَهُ نازِعٌ ... يُغَارِي أخاهُ إذا ما نَهَاهْ[2]
ولكنَّهُ هيِّنٌ لَيِّنٌ ... كعَالِيَةِ الرُّمْحِ عَرْدٌ نَسَاهْ
إذا سُدْتَهُ سُدْتَ مِطْوَاعَةً ... ومَهْمَا وَكَلْتَ إليهِ كفَاه
ألا مَنْ يُنادي أبَا مالكٍ ... أفي أمرنا هُوَ أمْ في سِوَاه
أبو مالكٍ قاصرٌ فَقْرَه ... علَى نَفْسِه ومُشِيعٌ غِنَاه

وقوله : « لعَمرك ما إنْ الخ » اللام لام الابتداء ، وفائدتها توكيد مضمون الجملة. و « عَمْرك » ، بالفتح ، بمعنى حياتك مبتدأ خبره محذوف ، أي : قسمي . وجملة ما إنْ أبو مالك الخ جواب القسم . و« أبو مالك » هو أبو الشاعر . واسمه عُويمر ، لأنّ المتنخّل اسمه مالك بن عُويمر كما يأتي قريباً .

ولم يصب ابن قتيبة في «كتاب الشعراء »[3] في زعمه أنه يرثي أخاه أبا مالك عُويمراً. « وَانٍ » : اسم فاعل من ونَى في الأمر وَنًى ووَنْياً من بابي تعب ووعد ، بمعنى ضعف وفتر .

وروي بدله « واهٍ » وهو أيضاً اسم فاعل من وهَى من باب وعد، بمعنى ضعف وسقط . و« القُوَى » : جمع قُوَّة خلاف الضعف ، قال في «الصحاح » : ورجل

- الهذليين ١٢٧٦/٣ ؛ والشعر والشعراء ٦٦٤/٢ . وهو بلا نسبة في جواهر الأدب ص٥٣ ؛ وشرح الأشموني ١٢٤/١ ؛ وهمع الهوامع ٢٢٧/١ .

(١) الأبيات للمتنخل الهذلي هي في الأغاني ٢٦٥/٢٣ ؛ وأمالي المرتضى ٣٠٦/١ ؛ وديوان الهذليين ٢٩/٢-٣٠ ؛ والشعر والشعراء ص٥٥٣ . وهي بلا نسبة في زهر الآداب ١١٩/١ .

(٢) في طبعة بولاق : " بغاري " . وهو تصحيف صوابه من المصادر السابقة والنسخة الشنقيطية .

(٣) الشعر والشعراء ص٥٥٣ .

وفي الديوان والأغاني أنه يرثي أباه عويمراً .

شديد القُوى ، أي : شديد أسر الخَلْق . يريد أن أباه كان جلداً شهماً لا يَكِلُ أمرهُ إلى أحد ، ولا يؤخّره لعجزه إلى وقت آخر .

وقوله : « ولا بألدّ الخ » ، « الألدّ » : الشديد الخصومة ، من اللَّدَد بفتحتين وهو شدَّة الخصومة .

قال السكّريّ في «شرح أشعار هذيل» هنا ، وتبعه السيِّد المرتَضى في «أماليه»[1]: ومعنى له نازعٌ ، أي : خُلُق سَوء ينزعه من نفسه - يريد أنه من نَزَعت الشيء من مكانه من باب ضرب بمعنى قلعته - ويجوز أن يكون من قولهم لعلّ له عرقاً نزع ، أي: مال بالشبَه . ويقولون أيضاً : العرق نزّاع . ونزع إلى أبيه ونحوه في الشبَه ، أي : ذهب . وهذا عندي أولى .

وقوله : « يغاري أخاه » ، قال السكّريّ ، وتبعه السيِّد المرتضى : أي : يُلاحي ويشارُّ ، من غاريت بين الشيئين ، إذا واليت بينهما .

قال أبو عُبيدة : وهو من غُري بالشيء يُغْرى به . أقول : كونه من غري فلان إذا تمادَى في غضبه أولى . وروي بدله : « يعادي »من العداوة ضدّ الصّداقة . وهذا وما قبله كلاهما داخلان تحت النفي .

وقوله : « كعالية الرّمح الخ » ، « عالية الرمح» : ما دخلَ في السنان إلى ثلثه ومعنى : كونه ليِّنا كعالية الرّمح ، أنّه إذا دُعِي أجاب بسرعةٍ كعالية الرّمح ، فإنه إذا هُزَّ الرّمح اضطرب وانهزّ للينه ، بخلاف غيره من الأخشاب فإنّه لا يتحرّك طرفها إذا هُزّت لصلابتها ويبسها .

وقوله : « عرد نساه » ، « العَرْد » ، بفتح العين وسكون الراء المهملتين : الشديد . والضمير لأبي مالك . و« النَّسا » ، قال الأصمعيّ : بالفتح مقصور : عرق يخرج من الورك فيستبطن الفخذين ثم يمرّ بالعرقوب حتّى يبلغ الحافر ، فإذا سمنت الدابّة انفلقت فخذاها بلحمتين عظيمتين وجَرَى النَّسا بينهما واستبان . وإذا هزلت الدابّة اضطربت الفخذان وماجت الرَّبْلتان وخفيَ النَّسا .

وإذا قالوا : إنّه لشديدُ النَّسا فإنّما يريدون به النَّسا نفسه ، كذا في « الصحاح». قال السكّري : أراد غليظ موضع النسا .

---

(١) أمالي المرتضى ٣٠٦/١ .

وقوله : « إذا سُدته سدت الخ » قال السيِّد المرتضى : ومعنى سُدْتَه من المساوَدَة التي هي المسارَرَة ، والسِّواد هو السِّرار ، كأنه قال : إذا سارَرتَه طاوعك وساعدك . وقال قوم :هو من السيادة فكأنّه قال : إذا كنتَ فوقه سيِّداً له طاوعك و لم يحسدُك ، وإن وكلت إليه شيئاً كفاك .

وقوم ينشدونه :

* إذا سُسْتَه سُسْتَ مِطواعةً *

و لم أجد ذلك في رواية . انتهى .

وهذه الرواية أثبتها أبو تمام صاحب الحماسة في « مختارأشعار القبائل » . و«سسْته» ، من سسْت الرعيّة سياسة . و« المِطواع » : الكثير الطّوع ، أي : الانقياد ، والتاء لتأكيد المبالغة .

واقتصر السكّريُّ على المعنى الثاني فقال : يقول إذا كان لك السؤدد عليه أطاعك و لم يحسدك . ومهما وكلت إليه ، أي : مهما تركته وإيّاه كفاه . انتهى .

والسِّواد بالكسر كالسِّرار وزناً ومعنى .

وهذا البيت يأتي شرحه إن شاء اللّه في الجوازم[1] . وقوله : «أفي أمرنا هو الخ»، يعني غيبته عنا ألِنفعنا كما كان تعوَّد[2] ، أم لشيء آخر كالموت . وهذا كلام المتولّه الذي حصل له ذهول لعظم ما أصابه .

وقال السكّريّ : هذا منه توجُّع ؛ أراد من ينادي أبا مالك فيسأله أمضَى أم قد ذهب ، وأمره يصير إلينا أم يذهب ؟ وقال الباهليّ: أمرُنا أَمْرُه .

وقوله : « قاصر فقره على نفسه » ، هو من القَصْر وهو الحبس . و« المُشيع » : من الإشاعة ، وهي الإذاعة . يريد أنّه إذا افتقر أخفَى فقره ، وإذا أثْرَى أذاع غناه ليُقصَد من كلِّ جهَة ، وهذا من شرف النفس .

وهذه الأبيات على هذا الترتيب للمتنخّل الهُذَليّ رواها ابن قتيبة في « كتاب الشعراء» ، والسكّريُّ في «أشعار هذيل» ، والسيِّد المرتضَى في «أماليه» والأصبهَانيّ

---

(١) هو الشاهد ٦٨٥ من شواهد الخزانة .

(٢) في النسخة الشنقيطية : " يغزو " .

في « أغانيه » . وروى أبو تمّام في « مختار أشعار القبائل » البيت الشاهد مع بيتين آخرين لذي الإصبعَ العَدْوانيّ هكذا :

وما إن أَسِيدٌ أبو مالكٍ بوَانٍ ولا بضَعيفٍ قُواه
ولكنّهُ هيِّنٌ لَيِّنٌ كعَاليَة الرُّمْح عَرْدٌ نَسَاه
فإن سُسْتَهُ سُسْتَ مِطْوَاعةً ومَهْمَا وَكَلْتَ إليهِ كفَاه

« وأَسِيد » ، بفتح الهمزة وكسر السين المهملة .

و« المتنخّل » ، بكسر الخاء المشددة اسم فاعل من تنخّل ؛ يقال تنخّلته ، أي : تخيَّرته كأنّك صفّيته من نُخالته . والمتنخّل لقبٌ ، واسمه مالك وهو جاهليّ .

ونسبته : مالك بن عُويمر[1] بن عثمان[2] بن خُنيس[3] بن عادية بن صعصعَة بن كعب بن طابخة، أخو بني لِحيان بن هذيل بن مُدرِكة . شاعرٌ محسّن من شعراء هذيل[4] .

قال الآمديّ[5] : والمتنخّل السّعديّ شاعر أيضاً ، لم يقع إليّ من شعره [شيءٌ] . واستشهد الكسائيّ والفرّاء بقوله[6] : (الكامل)

يا زبرقَانُ أخَا بني خَلَفٍ ما أنتَ وَيبَ أبيكِ والفَخرُ

ومن شعر المتنخّل الهذَليّ ، أنشده أبو عُبيد البكريّ في « شرح نوادر القالي » وليس موجوداً في رواية السكّريّ[7] : (البسيط)

---

(١) في الشعر والشعراء ص٥٥٢ ؛ وسمط اللآلئ ص٧٢٤ : " .. بن عمرو .." .

(٢) في الشعر والشعراء ص٥٥٢ ؛ وسمط اللآلئ ص٧٢٤ : " .. بن عثم .." .

(٣) في المؤتلف : " حبيش " . وفي حاشية المؤتلف ص٢٧٢ : " في الأصل : " حبش " . وتحتها : " خنيس " .

(٤) النقل عن المؤتلف انتهى هنا .

(٥) المؤتلف والمختلف ص٢٧٢ ؛ والزيادة منه .

(٦) البيت للمتنخل السعدي في ديوانه ص٢٩٣ ؛ والدرر ١٦٧/٦ ؛ وشرح أبيات سيبويه ٢١١/١ ، ٣٦٢ ؛ وشرح المفصل ٥١/٢ ؛ ولسان العرب (ويل) . وللمتنخل السعدي في المؤتلف والمختلف ص٢٧٢ . وهو بلانسبة في الكتاب ٢٩٩/١ ؛ وهمع الهوامع ١٤٢/٢ .

(٧) البيتان في سمط اللآلئ ص١٣٥ .

وفي حاشية الطبعة السلفية ١١١/٤ يقول العلامة الميمني : " .. والأبيات فيه أربعة . وفيه " لا غابوا ولا جرحوا " . وهو الصواب " .

لا يُنْسِئِ اللّه مِنّا معشراً شَهِدوا يَومَ الأُمَيلِح لا عَاشُوا ولا مَرِحُوا
عَقُّوا بسهمٍ فلم يَشْعُرْ لَهُ أَحَدٌ ثمَّ استفاؤُوا وقالُوا حبَّذا الوَضَحُ

قال البكريّ[١] : هذا من شعر يهجو به ناساً من قومه كانوا مع أبيه حُجّاجاً يوم قُتل . وقوله : « لا ينسئِ اللّه » ، أي : لا يؤخّر اللّه موتهم ؛ من الإنساء وهو التأخير .

قال أبو العبّاس ثعلب : التّعقِيَة : سهم الاعتذار . قال ابن الأعرابيّ : أصل هذا أن يَقتل الرجل رجلاً من قبيلته فيُطلب القاتل بدمه ، فتجتمع جماعةٌ من الرؤساء إلى أولياء المقتول بديةٍ مُكْمَلة ويسألونهم العفو وقَبولَ الدية ؛ فإن كان أولياؤه ذوي قوّة أبَوا ذلك ، وإلاّ قالوا لهم : بيننا وبين خالِقنا علامةٌ للأمر والنّهْي ؛ فيقول الآخرون : ما علامتكم ؟ فيقولون : أن نأخذ سهماً فنرميَ به نحو السماء ، فإنْ رجعَ إلينا مضرَّجاً بالدم فقد نُهينا عن أخذ الديَة ، وإن رجعَ كما صعدَ فقد أُمِرْنا بأخذها . وحينئذ مسحوا لحاهم وصالحوا على الدية . وكان مسح اللّحية علامةً للصُّلح ، قال الأسعر[٢] الجُعفيّ[٣] :

عقُّوْا بسهمٍ ثمَّ قالوا سَالِمُوا ياليتَني في القومِ إذْ مسحُوا اللّحَى

قال ابن الأعرابيّ : ما رجعَ ذلك السَّهمُ قطُّ إلاَّ نقيّاً ، ولكنهم يعتذرون به عند الجهّال . انتهى .

و« عقُّوا » ، بضم القاف وفتحها ، لأنّه جاء من بابين فإنه يقال : عقَّ بالسهم إذا رميَ به نحوِ السماء وذلك السهم يسمَّى عقيقة بقافين ، ويقال له أيضاً : سهم الاعتذار . فعقُّوا بضم القاف . ويقال : عقّى بسهمه تعقية : إذا رماه في الهواء . فعقَّوا بفتح القاف .

(١) في النسخة الشنقيطية : " قال السكري " . وهو تصحيف .

(٢) في طبعة بولاق والنسخة الشنقيطية : " الأشعر " . وهو تصحيف . ونقط الشين حورها الشنقيطي فجعلها سكوناً .

وفي حاشية الطبعة السلفية ٤/١١١ ، يقول الميمني : " والمعروف هو الأسعر لقوله (اللآلئ ٢٥) :

فلا يدعني قومي لسعد بن مالك لئن أنا لم أسعر عليهم وأثقب "

(٣) البيت من أصمعية مشهورة له . وهو في الأصمعيات ص١٤٢ .

وفي حاشية طبعة هارون ٤/١٥١ : " انظر الأصمعيات ١٥٩ .." . وهو خطأ ظاهر .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع والسبعون بعد المائتين[1] : (الوافر)

٢٧٧- نَدِمْتُ علَى لسَانٍ كَانَ منِّي
فلَيْتَ بأنَّهُ في جوْفِ عِكْمِ

على أنَّ « الباء » قد تزاد بعد ليت كما هنا .

قال أبو زيد في « نوادره » : الباء زائدة ، والوجه فليت أنّه[2] .

قال أبو عليّ في « التذكرة القصْريّة » :وجه زيادة الباء في اسم ليت شبهُ ليت لنصبها ورفعها بالفعل ، والفعل يصل تارةً بنفسه وأخرى بالباء ، قال تعالى[3] : « أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى » ، [4]« ويَعلَمُون أنَّ اللَّهَ هُوَ الحقُّ المبين » .

ومثله في أنه لما أشبه الفعل عُدِّي تعديته تارةً بنفسه وأخرى بحرف الجر يا زيدُ ، ويالزيد .

فإنْ قلت : فهل يكون على إضمار اسم ليت كقوله : (الطويل)

أَلا ليْتَ أنِّي يومَ تدنُو منيَّتي شمِمْتُ الذي ما بينَ عَينيك والفَمِ؟

فإنّ ذلك لا يستقيم ، لئلاّ يبتدأ بأنّ مفتوحة .

وسدَّ الظرف في خبر « أنَّ » مسدَّ خبر « ليت» كما سدَّ في قولك علمت أن زيداً في الدارِ مسدَّ المفعول الثاني . وجوازُ حذف الخبر في ليت وأنّ وبابه ، بوقوع الجمل أخباراً لها . انتهى .

وقال في « الحجة » عند قوله تعالى[5] : « ولكنَّ الشَّياطينَ كَفَرُوا » من سورة البقرة : فأما ما أنشده أبو زيد :

---

(١) البيت للحطيئة في ديوانه ص١٢٢ ؛ وتخليص الشواهد ص٢٩٢ ؛ وشرح شواهد الإيضاح ص٥٠٣ ؛ ولسان العرب (عكم ، لسن) ؛ ونوادر أبي زيد ص٣٣ .

ورواية نوادر أبي زيد :

* ... في جوف عكمي *

(٢) في نوادر أبي زيد ص٣٣ : " الباء زائدة ، والوجه فليته " .

(٣) سورة العلق : ١٤/٩٦ .

(٤) سورة النور : ٢٥/٢٤ .

(٥) سورة البقرة : ١٠٢/٢ .

ندمـت علـى لسـانٍ فـاتَ منّـي (البيت)

فيحتمل أمرين : أحدهمـا : أن تكـون البـاء زائـدة وتكـون « أنَّ» مـع الجـارّ في موضع نصب ، ويكون ما جرَى في صلة « أنّ » قد سدّ مسدّ خبر ليـت ، كمـا أنّهـا في ظننت أنّ زيداً منطلق كذلك . ويحتمل أن الهاء مرادَة ودخلَت الباء على المبتدأ كما دخلَت في بحسبك أن تفعل ذلك .

ولا يمتنع هذا من حيث امتنع الابتداء بأنّ ، لمكان الباء ، ألا تـرى أنّ « أنّ » قـد وقعت بعد لولا في نحو قولك : لولا أنّك منطلق ، و لم يجر ذلك الامتنـاع مجرَى أنّـك منطلق بَلغني ، لأنّ المعنى الذي لـه لم يبتـدأ بالمفتوحـة - مع لـولا - معـدوم . انتهـى كلامه .

وروى شارح ديوان الحطيئة[١] : « فليتَ بيَانَه » ، فلا شاهد فيه .

وهذا البيت من أبيات للحطيئة قالها لأبي سهم عوذ بن مالك بن غالب[٢] . وهي أربعة أبيات في ديوانه .

وكذلك قال أبو زيد في « نـوادره » : قـال المفضَّـل لم أسمع غير هـذه الأربعة الأبيات [فيها] ، وهي[٣] :

فيَـا نَدَمي على سَـهْمِ بن عَـوذٍ ... نَدامَـةَ ما سَفِهتُ وضَـلَّ حلمـي
نـدِمْتُ نَـدَامـةَ الكُسَـعيِّ لـمَّـا ... شَـرَيتُ رضـا بنـي سَـهْمٍ برَغمِـي
نَدِمـتُ على لسـانٍ فَـاتَ منّـي ... فلَيـتَ بأنّـه في جَـوفِ عِكْـمِ
هُنَـالِكُمُ تهـدَّمَـتِ الـرَّكَـايـا ... وضُمِّنَتْ الرَّحَـا فهَـوَتْ بـذَمّـي

قوله : « فيـا ندمي » ، قال أبو عُمَر[٤] الجرمي : أراد فيا ندامتاه ، فحـذف الهاء

---

(١) لم نجد هذه الرواية في ديوانه ، رواية ابن حبيب عن ابن الأعرابي وأبي عمرو الشيباني .
رواية الديوان هي : " وددت بأنه في حوف عِكمِ " .

(٢) في النسخة الشنقيطية : " عود بن غالب " بإسقاط مالك .
وفي طبعة بولاق : " عود " . بالمهملة ، وهو تصحيف صوابه ديوانه ونوادر أبي زيد .

(٣) الأبيات في ديوان الحطيئة ص١٢٢ ؛ ونوادر أبي زيد ص٣٣ . وفي الديوان أنه قالها حين ندم على هجاء سهم ابن عوذ في قصيدة له في ديوانه ص١١٨ .

(٤) في طبعة بولاق والنسخة الشنقيطية : " أبو عمرو الجرمي " . وهو تصحيف سبق أن نبهنا عنه .

لما وصل الكلام . ويروَى : « يا ندمي » بإسقاط الفاء . و« ندامَةَ » بالنصب ، وما مصدريّة أي : ندامَة سفَهي ، ويشهد له الرواية الأخرى وهي « نَدامة أنْ سَفِهت »، وقد رواها شارح ديوانه . و« السَّفَه »: طيشٌ وخفَّة عقل . و« الحِلْم » ، بالكسر : العقل .

و« الكسَعِيُّ » : رجلٌ جاهليٌّ كانت لهُ قوس رمى عليها[١] بالليل حميراً من الوحش ، فظنّ أنّه أخطأ - وكان قد أصاب - فغضب فكسرها ، فلمّا أصبحَ رأى الحمير مجدّلَةً فندمَ على كَسْر قوسه . فضُربَ به المثل فقيل[٢] : « أنْدَم منَ الكُسَعِيِّ »، و : « نَدِمتُ نَدامَةَ الكُسَعِيِّ » .

وشرح هذا المثل مفصَّل في أمثال حمزة والمَيدانيّ والزمخشريّ .

وشرَيت هنا بمعنى بعت . يقول : بِعْتُ رضاهم برغمٍ منِّي .

وقوله : « ندمت على لسانٍ الخ » قال شارح الديوان : اللسان هاهنا الكلام فيكون مجازاً أطلق عليه اسم آلته . وقال أبو زيد : اللسان ها هنا المنطق .

وقال ابن الأنباريّ في « شرح المفضّليات » : اللسان ها هنا الرسالة ، أوردَه نظيراً لمطلع قصيدة مرقش الأكبر[٣] : (المتقارب)

أَتَتْني لسانُ بني عامرٍ فجلَّتْ أحاديثُها عَنْ بَصَرْ

وقد تكلّم أبو عليّ في « الإيضاح الشعريّ » على اللسان بكلام مبسوط على قول يزيد بن الحكَم : (الطويل)

لسانُكَ لي أَرْيٌ وعَينكَ عَلْقَمٌ وشَرُّكَ مَبسوطٌ وخَيْرُكَ مُلْتَوي

وقد تقدّم هذا البيت في قصيدته مشروحةً في الشاهد الثمانين بعد المائة[٤] فأحببت أن أورده هنا لحسنه ، قال : ليس يخلو اللسان من أحد المعنيين ، إمّا أن يكون الجارحةَ، أو التي بمعنى الكلام كقوله عزّ وجلّ[٥] : « وما أرسلنَا من رَسُولٍ إلاَّ بلِسانِ

---

(١) جاء في هامش النسخة الشنقيطية : " صوابه - عنها - " . وفي شرح ديوانه : " عليها " .

(٢) المثل في جمهرة الأمثال ٣٢٤/٢ ؛ والدرة الفاخرة ٤٠٧/٢ ؛ والمستقصى ٣٨٦/١ ؛ ومجمع الميداني ٣٤٨/٢ .

(٣) البيت مطلع قطعة للمرقش الأكبر في المفضليات ص٢٣٥ ؛ وشرح اختيارات المفضل ١٠٤٦/٢ .

(٤) الخزانة الجزء الثالث ص١٢٦-١٢٧ .

(٥) سورة إبراهيم : ٤/١٤ .

قَوْمِهِ » كأنّ المعنى : بلغتهم .ومما يقوّي ذلك إفرادُ اللسان حيث أريد به الجارحَة ، قال عزّ وجلّ[١] : « واختِلافُ ألسِنَتِكُم وأَلْوَانِكُمْ » .

وأنشد أبو زيد :

نَدِمتُ على لسانٍ كانَ منّي .... البيت

فبهذا يُعلم أنه لا يريد به الجارحة ، لأنّ النّدم لا يقع على الأعيان ، إنّما يقع على معانٍ فيها . فإن قلت : فقد قال :

* فليت بأنّه في حوفِ عِكم *

إنّما يكون العين . قيل : هذا اتّساع ، وإنّما أراد فلَيتَه كان مطويّاً لم ينشر ؛ كما قال أوس[٢] : (البسيط)

ليسَ الحديثُ بِنُهبَى بينَهُنَّ ولا سرٌّ يحدِّثْنَه في الحيِّ منشُورُ

فليس المنشور هنا كقولك نشرت الثوب الذي هو خلاف طويته ، وإنّما يريد أنه لا يذاع ولا يشاع ، فاتّسع .

وكذلك قوله[٣] : (البسيط)

* إنّي أتَاني لسانٌ لا أسَرُّ بهِ *

انتهى المراد منه .

وتقدّم بقيّة هذا على بيت ابن الحكم هناك . ومراد أبي عليّ بالاتساع الاستخدام، فإنّ اللسان أريد بظاهره معنى وبضميره معنًى آخر ، كقوله[٤] : (الوافر)

---

(١) سورة الروم : ٢٢/٣٠ .

(٢) البيت من مطولة لأوس في ديوانه ص٤٠ .

(٣) صدر بيت لأعشى باهلة ؛ وعجزه :

* مِنْ عَلْوَ لا عَجَبٌ فِيهِ ولا سَخَرُ *

والبيت مطلع مرثية مشهورة لأعشى باهلة في رثاء المنتشر بن وهب الوائلي ؛ وهي من عيون المراثي ؛ وهي في ديوان الأعشين ص٢٦٦-٢٦٨ ؛ والأصمعيات ص٨٨-٩٢ ؛ وأمالي المرتضى ١٠٥/٣-١١٣ ؛ والكامل في الأدب ٦٥/٤-٦٦ ؛ ومختارات ابن الشجري ص٣٢-٤٢ ؛ والمراثي ٥٨-٦٦ .

(٤) البيت لمعود الحكماء - معاوية بن مالك - في لسان العرب (سما) ؛ وللفرزدق في تاج العروس (سما) . وهو بلا نسبة في ديوان الأدب ٤٧/٤ ؛ والمخصص ١٩٥/٧ ، ٣٠/١٦ ؛ ومقاييس اللغة ٩٨/٣ .

إذا نَـزَل السَّـماءُ بأرضِ قَـومٍ رَعينَـاهُ وإنْ كـانُـوا غِضَـابا

وكانَ هنا تامة بمعنى حدث وجرَى ، ويروَى بدله « فـات منّي » . و«العِكْم» بكسرالمهملة : العِدْل ، وقال شارح الديوان : هو مثلُ الجُوالِقِ .

وقوله : « هنا لكم الخ » أي : عند ذلك القول الذي صدر منّي في حقهم . و«الرّكايا» : الآبار ، جمع رَكيّ ، ونائب فاعل ضُمّنت ضمير الرّكايا ، و«الرّجا»: مفعوله الثاني .

قال في « الصحاح » : وكلُّ شيء جعلته في وعاءٍ فقد ضمّنته إياه . والرّجا بالجيم ، قال شارح الديوان :هو جانب البئر من داخل ؛ و« جُولها » بالضم : جوانبها من خارج . و« الرَّجا » : النّاحية من كلّ شيء ، قال أبو زيد : الرّجا هنا بمعنى الأرجاء .

يريد أنّه مفرد معرَّف باللام وقع موقعَ الجمع ، لأنّ البئر لها نَواح . يقول : عندما صدرَ منّي قولٌ في حقّهم كأنّ الآبار تهدّمت وسقطت عليّ بجميع نواحيها بسبب ذمِّي . وروى « بذمٍّ » بالتنكير . قال شارح ديوانه : أي : بذمِّ الرَّكايا.

وقال أبو عليّ في « التذكِرة » : يقول ، كالذي حفر بئراً وهو حين حفرَها لم يقدِّر أنها تقع على فساد ، فلمّا أنْ حفرَها وقع على فساد ، فبناها على ذلك وتهدَّم ما بنى ، وكان قبل ذلك يأمُل التمام لِما يريد . فمثل هذا لمّا أن مدحَ على رجاءِ تمام للمدح فأخلف فهوى بذمّ . انتهى .

ثم رأيت ديوانَ الحطيئة جمع أبي سعيد السكّريّ من رواية محمد بن حبيب وقبل هذه الأبيات قصيدةٌ في ذمِّ بني سَهم بن عوذ[1] بن مالك بن غالب بن قُطيعة بن عَبْس - وهم بنو عمِّه - منها[2] : (الطويل)

ولَو وجَدَتْ سَهمٌ على الغيِّ ناصراً لَقَد حلَبتْ فيـهِ زَمانـاً وصَـرَّتِ
ولكـنَّ سَـهماً أفسدَتْ دَارَ غَالـبٍ كما أَعْدَتِ الجُرْبُ الصِّحاحَ فَعَرَّتِ

(١) في طبعة بولاق والنسخة الشنقيطية : " عود " بالدال المهملة . وهو تصحيف سبق لنا أن صوبناه في مواضع متفرقة .

(٢) البيتان في ديوان الحطيئة ص١٢٠ . لكن عجز البيت الأول جاء برواية مختلفة ففي ديوانه رواية ابن حبيب :

* لقد حلبت فيها نساء وصرَّت *

قال السكّريّ[١] : كان من حديث هذه القصيدة أنّ بني مالك بن غالب - وهم رهط الحطيئة - وبني سهم بن عَوذ بن مالك بن غالب أغاروا ، وفيهم سُمير المخزوميّ ، ورئيسهم قدامَة بن عَلقَمة ، ومعهم المسيّب - على هوازنَ فأصابوا سبياً وإبلاً ؛ فتنازع المسيّب وسمير في الإبل[٢] [التي أصابوا] ، فغلب عليها المسيّب[٣] [فقال لامرأة من السّبي ؛ دليني على أنجب الإبل ؛ فأمرّته بربع منها ، فأخذه فوجد بعدُ أنجب بعير في الناس وهو الرّواح] .

ثم إن سميراً خرجَ بِنَفَر من قومه حتّى أتوا الإبل فأطردوها ؛ [وقال للوليدة : أخبري مولاك أنه قد ذهب بالإبل] فلما أتى المسيّبَ الخبر ركب بأصحابه [فالتقوا] فاقتتلوا قتالاً شديداً فقتل منهم أربعة نفر ، وذهب بها سمير .

وكان قال هذه الأبيات قبل أن يذهب بها سميرٌ ، فلما ذهب بها سمير ، ندم الحطيئة مما قال ، فقال :

فيَا ندمي على سَهْم بن عَوذٍ (الأبيات الأربعة)

قال السكّريّ : أراد باللسان الشعر ، يريد : وددت أنَّ الشعر الذي قلتُ فيهم كان مخبوءاً في جُوالق . و« الرّجا » : مابين رأس البئر إلى أسفلها ؛ فجعله ها هنا أسفلها .

وقوله : «وضمّنت الرّجا» ، يريد أنّها تهدّمت فصار أعلاها في أسفلها . فلذلك جعل أسفلَها تضمّن أعلاها . وهذا مثل . و« هوت بذمّ » : سقطت مذمومة[٤] انتهى كلامه .

وترجمة الحطيئة قد تقدّمت في الشاهد التاسع والأربعين بعد المائة[٥] .

* * *

(١) حديث هذه القصيدة هو في ديوانه ص١٢١ .

(٢) زيادة يقتضيها السياق من شرح ديوان الحطيئة .

(٣) زيادة يقتضيها السياق من شرح ديوانه ص١٢١ . وكذلك بقية الزيادات .

(٤) كذا في شرح ديوانه رواية ابن حبيب . وفي حاشية طبعة هارون ١٥٨/٤ : " الذي عند السكري : وبذم ، هذا مثل . يريد سقطت مذمومة " .

(٥) الخزانة الجزء الثاني ص٣٥٩ .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثامن والسبعون بعد المائتين ، وهو من شواهد س[1]: (الطويل)

٢٧٨- مَشائِيمُ لَيسُوا مُصلِحينَ عَشِيرةً
ولا نَاعِبٍ إلاَّ بِبَيْنٍ غُرابُها

على أن « ناعبٍ » عطف بالجرّ على « مصلحين » المنصوب على كونه خبر ليس لتوهّم الباء ، فإنّها تجوز زيادها في خبر « ليس » ، ويسمَّى هذا في غير القرآن العطف على التوهّم ، وفي القرآن العطف على المعنى .

وأنشده سيبويه في موضعين بروايتين ، الأول أنشده « ولا ناعباً » بالنصب للعطف على مصلحين ؛ استشهد به على نصب « عشيرة » بـ « مصلحين » لأنّ النون فيه بمنزلة التنوين في واحده ، وكلاهما يمنع من الإضافة ويوجب نصب ما بعده، والثاني بجرّ «ناعب» على توهّم الباء في خبر ليس .

ولم يجز المبرّد[2] إلاّ نصب ناعب ، قال : لأنّ حرفَ الجر لا يضمر .

وقد بيَّن سيبويه ضعفَه ، وبُعدَه ، مع أخذه لذلك عن العرب سماعاً ، فلا معنى للردّ عليه .

وأورده صاحب الكشّاف نظيراً لقوله تعالى[3] : « كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْماً كَفَروا

(١) هو الإنشاد السابع والعشرون بعد السبعمائة في شرح أبيات المغني للبغدادي .

والبيت للأخوص (أو الأحوص) الرياحي في الإنصاف ص١٩٣ ؛ والحيوان ٤٣١/٣ ؛ وشرح أبيات سيبويه ٧٤/١، ١٠٥/٢ ؛ وشرح أبيات المغني ٥٦/٧ ؛ وشرح شواهد الإيضاح ص٥٨٩ ؛ وشرح شواهد المغني ص٨٧١ ؛ وشرح المفصل ٥٢/٢ ؛ والكتاب ١٦٥/١ ، ٣٠٦ ؛ ولسان العرب (شأم) ؛ والمؤتلف والمختلف ص٤٩ ؛ وهو للفرزدق في ديوانه ص١٢٣ ؛ والكتاب ٢٩/٣ . وهو بلا نسبة في أسرار العربية ص١٥٥ ؛ والأشباه والنظائر ٣٤٧/٢ ، ٣١٣/٤ ؛ والخصائص ٣٥٤/٢ ؛ وشرح الأشموني ٣٠٢/٢ ؛ وشرح المفصل ٦٨/٥ ، ٥٧/٧ ؛ ومغني اللبيب ص٤٧٨ ؛ والممتع في التصريف ص٥٠ .

(٢) أنشده المبرد في الكامل ٣٤٢/١ كما هنا ، وقال : عطفه على توهم الباء في " مصلحين " .

(٣) سورة آل عمران : ٨٦/٣ .

وفي حاشية الطبعة السلفية ١١٧/٤ : " وكذلك استشهد به عند قوله تعالى في سورة هود : " ومن وراء إسحاق يعقوب " بنصب يعقوب ، وكذا عند قوله تعالى في سورة المؤمن : " إذ الأغلال في أعناقهم والسلاسل " بجر السلاسل .

بَعْدَ إيمَانِهِم وشَهِدُوا أَنَّ الرَّسولَ حَقٌّ » قال: شهدوا معطوف على ما في إيمانهم من معنى الفعل ، فهو من قبيل عطف الفعل على المصدر بتقدير أن ؛ إذ المعنى بعد أن آمنوا وشهدوا ، كما جرّ الشاعر ناعباً بتوهّم الباء في خبر ليس .

وهذا البيت من قصيدةٍ عدّتها ستّة وعشرون بيتاً[١] ، للأخْوَص اليَرْبوعيّ وهذه أبيات منها أنشدها الجاحظ في « كتاب البيان[٢] » :

وليسَ بِيَرْبوع إلى العقْل حَاجَةٌ ... سِوَى دنَسٍ يسودُّ منهُ ثيابُها[٣]

فكيف بنوكى مالكٍ إنْ غَفَرتُم ... لهم هذهِ أمْ كيفَ بَعدُ خِطابُها

مَشائِيم ليسوا مُصلحين عَشيرةً ... . البيت

فإن أنتمُ لم تَقْتُلوا بأخيكُمُ ... فكُونوا بَغايا بالأكُفِّ عِيابُها[٤]

سيُخبِرُ ما أحْدثْتُمُ في أخيكمُ ... رِفَاقٌ منَ الآفاق شتّى إيَابُها

قال أبو محمد الأسود الأعرابيّ في « فُرحة الأديب »[٥] : هذا الشعر لقتال كان بين بني يربوع ، وبين بني دارِم . فأراد بقوله مشائيم بني دارم بن مالك ، لا بني يربوع.

وكان من قصة هذا الشعر ، أنّ ناساً من بني يربوع وبني دارم اجتمعوا على القَرعاء[٦] ، فقُتل بينهم رجلٌ من بني غُدانة يكنَى أبا بدر ؛ فقالت بنو يربوع : واللّه لا نبرَح حتّى ندرك ثأرنا! فقالت بنو دارم : إنّا لا نعرف قاتله ، فأقيموا قَسامةً[٧] نعطيكم حقّكم .

فقالت بنو غُدانة : نحن نفعل . فأخرجوا خمسين فحلفوا كلّهم إلاّ رجلاً : أنّ الذي قتل أبا بدرٍ عُبيدُ بن زُرعَة ؛ فقال الباقي من الخمسين : أليس تدفعون إلينا

(١) في شرح أبيات المغني للبغدادي ٥٦/٧ : " عدتها تسعة وعشرون بيتاً .." .

(٢) البيان والتبيين ٢٦٠/٢-٢٦١ ؛ وشرح أبيات المغني للبغدادي ٥٦/٧ ؛ وفرحة الأديب ص٣٣-٣٤ .

(٣) كذا في طبعة بولاق والنسخة الشنقيطية والطبعة السلفية وشرح أبيات المغني . وقد صححها الشنقيطي : "يسود منها" . ويسود منها هي رواية البيان والتبيين ؛ وفرحة الأديب .

(٤) كذا في النسخة الشنقيطية وشرح أبيات المغني . وفي طبعة بولاق : " لم تعقلوا " .

(٥) فرحة الأديب ص٣٣ .

(٦) القرعاء : مياه بني مالك بن حنظلة . معجم البلدان (قرعاء) .

(٧) القسامة : الحلف .

[عبيداً[١]] إذا أنا أكملت الخمسين ؟ قالوا : لا ، ولكنّا نَدِيه ، لأنّا لا ندري من قتله . فقال الباقي عند ذلك ، وهو أبو بَيْض الغُدانيّ : واللّه لا أكمّلهم أبداً، ولا يفارقنا عُبيد حتّى نقتله !

فقام ضِرار بن القعقاع بن مَعبد بن زُرارة ، وشَيبان بن حنظلة بن بشْر بن عَمرو فكَفّلا بعُبيد ؛ فدفعته بنو غُدانة إليهما ، فلما جنّهم اللّيل قال ضرار وشيبان لعُبيد : انطلقْ حيث شئت .

وغدت بنو غُدانة على بني دارم ؛ فقالوا لهم : إنَّ صاحبكم قد هرب ولكن هذه الدّيةُ ، فاقبلوها من إخوتكم ، ولا تطلبوا غير ذلك ، فتكونوا كجادِعِ أنفه، ولو علمنا مكان صاحبكم قصَدْنا إليه . فلمَّا سمعهم الأخوص يذكرون الدية ، قال : دعوني أتكلّم ، قالوا تكلَّمْ يا أبا خولة . فقال هذه الأبيات من قصيدة[٢].

قوله : « وليس بيربوعٍ إلى العقل الخ » ، يقول : إنّ العقل لا ينفعهم ، بل يضرّهم ويكسبهم عاراً . و« نوكَى » : بالفتح جمع أنوَك ، كأحمق وحمقَى ، وزناً ومعنى ، أي: كيف العِشرة معهم . ويروَى بدل خِطابها « سبابها » بالكسر : مصدر سابَّه ، أي : شاتمه .

و« مشائيم » : جمع مشؤوم كمقصور[٣] ، قال في « الصحاح » وقد شأم فلان قومَه يشأمهم فهو شائم : إذا جرَّ عليهم الشؤم ؛ وقد شُئِم عليهم فهو مشؤوم : إذا صار شؤماً عليهم ، وقوم مشائيم . وأنشد هذا البيت .

وقال السيد المرتضى[٤] رحمه اللّه تعالى : « إنّ العربَ لا تعرف هذا ، وإنّما هو من كلامِ أهل الأمصار .وإنّما تسمّي العربُ مَن لحقه الشّؤم مشؤوماً ، كما في قول علقمَة بن عَبَدة[٥] : (البسيط)

ومَنْ تَعَرَّض للغِرْبانِ يَزْجُرُها علَى سلامتهِ لا بُدَّ مَشْؤُومُ »

---

(١) زيادة يقتضيها السياق من فرحة الأديب ص٣٣ .

(٢) انتهى النقل عن فرحة الأديب ص٣٣ .

(٣) في شرح أبيات المغني ٥٧/٧ : " مشؤوم كمنصور " .

(٤) أمالي المرتضى : ٥٧٨/١ .

(٥) البيت لعلقمة بن عبدة في ديوانه ص٦٧ .

ويزجرها : يتفاءل بها ، ويتطير .

و« عَشيرة » الرجل : بنو أبيه الأدنون . قال الأعلم : نسبهم إلى الشؤم وقلّة الصلاح والخير ، فيقول : لا يصلحون أمر العشيرة إذا فسد ما بينهم ، ولا يأتمرون بخير، فغرابهم لا ينعِبُ إلاّ بالتشتيت والفراق .

وهذا مثل للتعصُّم[1] منهم والتشؤُّم . و«النّعيب» بالعين المهملة : صوت الغراب ومدّه عنقه عند ذلك ؛ ومنه يقال ناقة نعوب : إذا مدَّت عنقَها في السير .

وقال ابن السيرافيّ في « شرح شواهد إصلاح المنطق » : يقال نَعَبَ الغراب : إذا صاح . وهم يتشاءمون بصوت الغراب .

وإنّما ذكر هذا على طريق المثل وإن لم يكن غراب ، كما يقال فلان مشؤوم الطائر ، ويقال طائر اللّه لا طائرك . انتهى .

وقال ابن خلف : وقولهم[2] : « أشأم من غراب البين » فإنّما لزمه هذا الاسم لأنّ الغراب إذا بان أهلُ الدار لنُجعةٍ وقَع في مواضع بيوتهم يتلمس ما يأكله ؛ فتشاءموا به وتطيَّروا منه ، إذ كان لا يعتري منازلهم إلاّ إذا بانوا ، فسمَّوه غرابَ البين.

ثم كرهوا إطلاقَ ذلك الاسم مخافة الزّجر والطيرة ، فعلموا أنّه نافذ البصر صافي العين ، حتى قالوا[3] : « أصفَى من عين الغراب » كما قالوا[4] : « أصفَى من عين الديك» ، فسمَّوه الأعور كنايةً ، كما كَنَوا عن الأعمى فسمَّوه أبا بَصير ، وكما سمَّوا الملدوغ سليماً ، والفيافيَ مَفاوز . وهذا كثير .

ومن أجل تشاؤمهم بالغُراب اشتقّوا من اسمه الغُربة ، والاغتراب ، والغَريب . وليس في الأرض شيء ممّا يتشاءمون به إلاّ والغراب عندهم أنكد منه .

---

(١) في شرح الأعلم ٨٣/١ ، وشرح أبيات المغني ٥٨/٧ : " مثل للتطير .." وفي النسخة الشنقيطية : للتعظيم " . وقد أثبتنا ما في طبعة بولاق .

(٢) المثل في جمهرة الأمثال ٥٥٩/١ ، والدرة الفاخرة ٢٤٩/١ ، وزهر الأكم ٢١٠/٣ ، والمستقصى ١٨٣/١ ، ومجمع الميداني ٣٨٣/١ .

(٣) المثل هو : " أصفى عيناً من غراب " . وهو في الحيوان ٤٢١/٣ .

(٤) المثل في الألفاظ الكتابية ص٢٨٥ ، وتمثال الأمثال ١٩٦/١ ، وثمار القلوب ص٤٧٣ ، وجمهرة الأمثال ٥٣٨/١ ، والحيوان ٣١٥/٢ ، ٣٤٩ ، والدرة الفاخرة ٢٥٠/١ ، ٢٦٣ ، وزهر الأكم ٢٥٤/٣ ، والمستقصى ٢١٠/١ ، ومجمع الميداني ٣٨٣/١ ، ٤١٧ .

وذكر بعض أصحاب المعاني أن نعيب الغراب يُتطيَّر منه ونَغيقه يُتفاءَل به، وأنشد قولَ جرير[1] : (الكامل)

إنَّ الغُـرابَ بِمـا كرِهـتُ مُوَلَّـعٌ بنَوى الأحبَّـة دَائِمُ التَّشْحَاجِ
ليـتَ الغُرابَ غَـداةَ يَنعِب دائبـاً كـانَ الغُـرابُ مقطَّـعَ الأودَاجِ

ثم أنشد في النّغيق : (الوافر)

تـركـتُ الطَّيـرَ عَاكفَـةً عليـهِ وللغِربَـانِ من شِبَعٍ نَغيـقُ

قال : ويقال نغَق الغراب إذا قال : غِيقْ غِيقْ . فيقال عندهـا نغَق بخير . ونعب نعيباً : إذا قال غاق غاق . فيقال عندها نعَب ببين . قال : ومنهم من يقول نغَق ببين. وأنشد في ذلك : (البسيط)

أبقَـى فِراقَهُـم في الـمُقْلتيـن قَـذًى أمسَى بـذاك غرابُ البَيـن قَدْ نَغَقا

قال : وبعض العرب قد يتيمَّن بالغراب فيقال[2] : « هم في خَيرٍ لا يُطار غرابه » أي : يقع الغراب فلا ينفرّ ، لكثرة ما عندهم . فلولا تيمُّنهم به لكانوا ينفرّونه .

وقـال الدافعـون لهـذا القـول : الغراب في هـذا المثـل السـواد ، واحتجـوا بقـول النابغة[3]: (الكامل)

ولـرهْـطِ حـرّابٍ وزيـدٍ سـورةٌ في الـمَجدِ ليسَ غُرَابُها بِـمُطـارِ

أي : من عرض لهم ، لم يمكنه أن ينفرّ سوادهم لعزِّهم وكثرتهم .

وقوله : « فكونوا بَغايا الخ » ، « البغايـا جمـع بَغـيّ ، يقـال : بغـتِ المـرأة بغـاء بالكسر والمد ، أي : زنت فهـي بغـيٌّ . و« العِيـاب » ، بكسـر المهملـة : جمـع عَيبـة بفتحها وهي ما يجعل فيه الثياب .

وقوله : «سيُخبر ما أحدثتم الخ» ، «المآب»: المرجـع ، أي : إذا رجعت الرفاق

---

(١) البيتان في ديوان جرير ص ١/١٣٦ .

(٢) المثل في المصادر القديمة هو : " هم في خير (أو شيء ، أو عيـش) لا يطير غرابـه " . والمثـل في الـدرة الفـاخرة ١/٢٥٣ ؛ وفصل المقال ص٢٧٧ ، ٤٧١ ؛ وكتاب الأمثال ص١٨٦ ؛ ومجمع الميداني ٢/٣٩٣ .

(٣) البيت للنابغة الذبياني في ديوانه ص٥٥ ؛ وأساس البلاغة (غرب) ؛ وتاج العروس (قلد ، سور ، طير) ؛ ولسان العرب (قلد ، سور ، طير) .

تفرَّقت في كل وجه وانتشر فيهم قبح صنيعكم ، ونقله مَن سمعه إلى من لم يسمعه .

والأخوص ، بالخاء المعجمة ، يقال : رجل أخوص بيِّن الخَوَص ، أي : غائر العينين ، وقد خوِص بالكسر ، وأما الأحوص ، بالحاء المهملة ، فليس هذا ، وكثيراً ما يصحف به . والحَوَص : ضيق في مؤخر العين .

قال الآمديّ في « المؤتلف والمختلف »[1] : الأخوص ، بالخاء المعجمة ، اسمه زيد ابن عمرو بن قيس بن عتّاب بن هَرْمِيٍّ بن رياح بن يربوع بن حنظلة بن مالك بن زيد مَنَاة بن تميم ، شاعر فارس .

وهو القائل[2] : (الطويل)

وكنتُ إذا ما بابُ مَلْكٍ قَرعتُه ... قرعتُ بآباءِ ذَوي شرَفٍ ضَخْمِ

بأبنَاءِ عَتّابٍ وكانَ أبوهُمُ ... إلى الشّرفِ الأعلَى بآبائهِ يَنمِي

وهُمْ مَلَكوا الأملاكَ آلَ مُحَرِّقٍ ... وزَادُوا أبا قَابوسَ رُغماً على رَغْمِ

وقادوا بِكَرْهٍ من شِهابٍ وحاجبٍ ... رؤُوسَ مَعَدٍّ في الأَزِمَّةِ والخُطْمِ

أنا ابنُ الذي سادَ الملوكَ حياتَه ... وساسَ الأمورَ بالمُروءَةِ والحِلمِ

وكنّا إذا قومٌ رَمَينَا صفَاتَهُمْ ... تركنَا صدُوعاً بالصَّفاةِ التي نَرمي

حَمينَا حِمَى الأُسْدِ التي لِشبُولِها ... تجرُّ من الأقرانِ لحماً على لَحمِ

ونَرْعَى حِمى الأقْوامِ غيرَ مُحرَّمٍ ... علَينا ولا يُرعَى حمانا الذي نحمي

وله في « كتاب بني يربوع » أشعارٌ جياد مما تنخّلته من قبائلهم[3] . انتهى .

وكتبَ أبو محمد بن عبد اللّه ابن بَرِّيّ النّحوي في « هامشه » أنّ صاحب المؤتلف والمختلف لم يذكر الأخوص الرياحي ، وهو قيس بن زيد بن عمرو بن عتاب ابن رياح . قال :

ومن شعره :

---

(١) المؤتلف والمختلف ص٦٠ .

(٢) الأبيات للأخوص في المؤتلف والمختلف ص٦٠-٦١ ؛ ومعجم البلدان (طخفة) ؛ وهي في النقائض لشريح بن الحارث اليربوعي ص٦٨ .

(٣) إلى هنا ينتهي النقل من المؤتلف .

مشـائيم ليسـوا مُصلحين عَشيرةً . . . . البيت

وفيه أنَّ الأخوص الرِّياحيّ نُسب تـارةً إلى جـدِّه الأدنَى وهـو ريـاح ، وتـارة إلى جدِّه الأعلَى وهو يربوع .

وقدَّم ابن بَرِّيّ بعض الأسماء على بعضها والصواب ما أثبته الآمديّ .

ويؤيده ما قاله ياقوت في « مختصر جمهرة الأنساب » ، فإنّه لما ذكر أولاد هَرْمـيّ ابن رياح قال : ومنهم عتّاب بن هَرْميّ بن رياح ، وهو رِدْف النُّعمان والمنذرِ أبيه .

ومن ولده الأخوص بنُ عمرِو بن قيس بن عتّاب ، والحرُّ بنُ يزيدَ بـن ناجيـة بـن قَعْنَبِ ابن عَتّاب المقتولُ مع الحسين بن علي عليهما السلام . انتهى .

وظهر من هذا أنَّ الأخوص الرِّياحيّ إسلامي[1] . واللّه أعلم .

ثم رأيت في « ضالّة الأديب لأبي محمد الأعرابيّ » شعراً له يتعلق بإبل الصدقـة . فعلم أنّه إسلاميٌّ . وهو معاصر لسُحَيم بن وَثِيل .

* * *

وأنشد بعده[2] : (الوافر)

مُعـاويَ إنّنـا بَشـرٌ فأسْجِحْ فلَسنَا بالجِبالِ ولا الحَدِيدَا

على أنّ قوله « الحَديدا » معطوف علـى محـل قولـه « بالجبـال » ، فإنّـه في محـل نصبٍ ، لأنّه خبر ليس ، والباء زائدة .

---

(١) في حاشية الطبعة السلفية ١٢٢/٤ يقول الميمني : " وفي النقائض ٩١٩ أيضاً أبيات له ، وهي بعينها في الإصابة رقم ٢٩٩٨ " .

(٢) هو الإنشاد السادس والعشرون بعد السبعمائة في شرح أبيات المغني للبغدادي .

والبيت لعقبة أو لعقيبة الأسدي في الإنصـاف ٣٣٢/١ ؛ وسر صناعـة الإعـراب ١٣١/١ ، ٢٩٤ ؛ وسمط اللآلئ ص١٤٨ ، ١٤٩ ؛ وشرح أبيات سيبويه ص٣٠٠ ؛ وشرح أبيات المغني ٥٣/٧ ؛ وشرح شـواهد المغني ٨٧٠/٢ ؛ والكتـاب ٦٧/١ ؛ ولسان العرب (غمز) ؛ ولعمر بن أبي ربيعة في الأزمنة والأمكنـة ٣١٧/٢ . وهـو بـلا نسبة في الأشباه والنظائر ٣١٣/٤ ؛ وأمالي ابن الحاجب ص١٦٠ ؛ ورصـف المبـاني ص١٢٢ ، ١٤٨ ؛ والشعر والشعراء ١٥٠/١ ؛ والكتـاب ٢٩٢/٢ ، ٣٤٤ ، ٩١/٣ ؛ ومغـني اللبيـب ٤٧٧/٢ ؛ والمقتضـب ٣٣٨/٢ ، ١١٢/٤ ، ٣٧١.

و« مُعاويَ » : منادَى مرخّم معاوية بن أبي سفيان . و« أَسْجِحْ » بفتح الهمزة وكسر الجيم : فعل أمر بمعنى ارفُق وسَهِّل .

وقد تقدَّم شرحه مفصَّلاً في الشاهد الرابع والعشرين بعد المائة[1] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التاسع والسبعون بعد المائتين[2] : (المنسرح)

٢٧٩- إنْ هُـو مُسْـتَوْلِيـاً علـى أَحَـدٍ
إلاَّ علَـى أضْعَـفِ المَجَـانيـنِ

على أن المبرد أجاز إعمال « إن » النافية عمل ليس ، واستشهَد بهذا البيت : فهو اسمها ، ومستولياً خبرها .

« وإنْ » كما النافية الحجازية في الحكم ، لا تختص في العمل بنكرةٍ دون معرفة ، بل تعمل فيهما .

قال ابن هشام في « المغني » : أجاز الكسائيّ والمبرِّد إعمال إن عمل ليس ، وقرأ سعيد بن جُبير[3] : « إن الذينَ تَدْعُـون مِـنْ دُون اللَّهِ عِبـاداً أَمْثَـالَكم » بنون خفيفة مكسورة لالتقاء الساكنين ، ونصب عباداً وأمثالَكم .

وسُمِع من أهل العالية : إنْ أحدٌ خيراً من أحد إلاّ بالعافية . وإنْ ذلكَ نافِعَكَ ولا ضارَّكَ . انتهى .

وقال في « شرح شواهده » : كذا خرَّج ابن جنِّي قراءة سعيد بن جبير ، فظَنَّ أبو حيّان أن تخريجها على ذلك يوقع في تناقض القراءتين ، فإنَّ الجماعة يقرؤون بتشديد النون وفتحها ورفع عباد وأمثالكم ، وذلك إثبات ، وقراءة سعيد على هذا

---

(١) الخزانة الجزء الثاني ص٢٢٨ .

(٢) البيت بلا نسبة في الأزهية ص٤٦ ؛ وأوضح المسالك ٢٩١/١ ؛ وتخليص الشواهد ص٣٠٦ ؛ والجنى الداني ص٢٠٩ ؛ وجواهر الأدب ص٢٠٦ ؛ والدرر ١٠٨/٢ ؛ ورصف المباني ص١٠٨ ؛ وشرح الأشموني ١٢٦/١ ؛ وشرح التصريح ٢٠١/١ ؛ وشرح شذور الذهب ص٣٦٠ ؛ وشرح ابن عقيل ص١٦٠ ؛ وشرح عمدة الحافظ ص٢١٦ ؛ والمقاصد النحوية ١١٣/٢ ؛ والمقرب ١٠٥/١ ؛ وهمع الهوامع ١٢٥/١ .

(٣) سورة الأعراف : ١٩٤/٧ .

التخريج نفيٌ . فخرَّجها على أنَّها المؤكدة خففت ونَصبت الجزأين كقوله[1] : (الطويل)

* إنَّ حرَّاسَنا أُسْدًا *

و لم يُثبت الأكثرون إعمالَها النصب في الجزأين وتأوَّلوا ما أوهم ذلك . ثم إن القائلين به لم يَذكروه إلاَّ مع التشديد ، لا مع التخفيف . ثمّ إنّ التناقض الذي توهَّمه مدفوع ، لأنَّهم أمثالهم في أنَّهم مخلوقون وليسوا أمثالَهم في الحياة والنطق .

وقراءة سعيد على هذا التخريج أقوى في التشنيع عليهم من قراءة الجماعة ، ويؤيدها ما بعدها من قوله تعالى[2] : « أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا » . . . الآيات . انتهى .

وقال ابن الشجريّ في « أماليه[3] » : إذا كانت إنْ نافية فسيبويه لا يرى فيها إلاّ رفع الخبر . وإنّما حكم بالرفع لأنَّها حرف جحد يُحدث معنى في الاسم والفعل كألف الاستفهام ، وكما لم تعمل ما التميميَّة ، وهو وفاقٌ للقياس . ولما خالف بعضُ العرب القياسَ فأعملوا ما ، لم يكن لنا أن نتعدَّى القياسَ في غير ما . وغيرُ سيبويه أعمل إنْ على تشبيهها بليس كما استحسن ذلك في ما ، واحتجَّ بأنه لا فرق بين إنْ وما في المعنى ؛ إذ هما لنفي ما في الحال ، وتقع بعدهما جملة الابتداء كما تقع بعد ليس .

وأنشد :

إنْ هو مستولِياً علَى أحدٍ إلاَّ علَى حزبه المَلاعينِ

---

(١) قطعة بيت لعمر بن أبي ربيعة ، وتمامه :

إذا اسودّ جنح الليل فلتأت ولتكن خطاك خفافاً إنّ حراسنا أسدا

وهو الإنشاد السادس والأربعون في شرح أبيات المغني للبغدادي .

والبيت لعمر ربيعة في الجنى الداني ص٣٩٤ ؛ والدرر ١٦٧/٢ ؛ وشرح أبيات المغني ١٨٣/١ ؛ وشرح شواهد المغني ص١٢٢ ؛ و لم أقع عليه في ديوانه . وهو بلا نسبة في شرح الأشموني ١٣٥/١ ؛ ومغني اللبيب ص٣٧ .

وقد نسبه في حاشية الطبعة السلفية ١٢٣/٤ لأبي زبيد و لم أقع عليه في ديوانه .

(٢) سورة الأعراف : ١٩٥/٧ .

(٣) في حاشية طبعة هارون ١٦٧/٤ : " لم أجد هذا النص في نسخة أمالي ابن الشجري المطبوعة ، ومن المعروف أنها ناقصة الآخر في أصلها " .

وهو قول الكسائيّ والمبرِّد . ووافق الفرَّاءُ في قوله سيبويه . انتهى .

ورويَ العجز أيضاً :

* إلاَ علَى حزبهِ المناحيسِ *

قال ابن هشام : وفي البيت شاهد على مسألة أخرى ، وهي أنّ انتقاض النفي بعد الخبر لا يقدح في العمل .

ومثله في ذلك قول الآخر[1] : (الطويل)

إنِ المَرءُ مَيْتاً بانقضَاءِ حياتهِ ولكن بأنْ يُبغَى عليه فيُخْذلاَ

وهذا الشاهد مع كثرة دورانه في كتب النحو لم يعلم له قائل . واللّه أعلم .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثمانون بعد المائتين[2] : (الطويل)

٢٨٠- ولاَتَ سَاعَةَ مَنْدَمِ

على أنّ الفرَّاء قال : لا يختصُّ عمل « لات » بلفظ الحين ، بل تكون مع الأوقات كلِّها . وأنشد هذا الشعر .

أقول : لعلَّ الفرَّاء قال ما نقله الشارح المحقق عنه في غير تفسيره ، وأما في تفسيره فإنّه لم يتعرّض لهذا ولا لغيره أيضاً .

وروي هذا الشعر على أنّ لات فيه حرف جرّ وهذه عبارته في سورة ص ، عند تفسير قوله تعالى[3] : « فَنَادَوْا وَلاَتَ حِينَ مَنَاصٍ »: يقول ليس حين فرار . و«النَّوْص» : التأخُّر . ومن العرب من يضيف لات فيَخفض ، أنشدوني :

(١) البيت بلا نسبة في تخليص الشواهد ص٣٠٧ ؛ والجنى الداني ص٢١٠ ؛ والدرر اللوامع ١٠٩/٢ ؛ وشرح الأشموني ١٢٦/١ ؛ وشرح ابن عقيل ص١٦٠ ؛ وشرح عمدة الحافظ ص٢١٧ ؛ والمقاصد النحوية ١٤٥/٢ ؛ وهمع الهوامع ١٢٥/١ .

(٢) قطعة من بيت ؛ وتمامه :

فلمّا علمت أنني قد قتلته ندمت عليه لات ساعة مندم

والبيت بلا نسبة في تذكرة النحاة ص٧٣٤ ؛ ورصف المباني ص٢٦٣ .

(٣) سورة ص : ٣/٣٨ .

* ولاتَ ساعةَ مَنْدَمِ *

ولا أحفظ صدره . والكلام أن يُنْصب بها في معنى ليس ، أنشدني المفضّل[1] : (الوافر)

تذكّرَ حُبَّ لَيْلى لاتَ حيْنَا وأضحَى الشَّيْبُ قدْ قطعَ القَرِينا

فهذا نصب . وأنشد بعضهم[2] : (الخفيف)

طلَبوا صُلْحَنا ولاتَ أَوانٍ فأَجَبْنا أن ليسَ حينَ بقَاءِ

فخفَض أوانٍ . فهذا خفض . انتهى كلام الفرّاء .

فظهر من كلامه أنّه ليس فيه تقييد معمول لات بزمان ولا غيره .

وقد نقل عنه ابن هشام في « المغني » تبعاً لأبي حيّان في « الارتشاف » خلافَ ما نقله الشارح المحقق ، قال : اختُلفَ في معمولها : فنصَّ الفرّاء على أنها لا تعمل إلاّ في لفظ الحين – وهو ظاهر قول سيبويه – وذهب الفارسيّ وجماعة إلى أنها تعمل في الحين وفيما رادفه . ثم قال بعد هذا : زعم الفرّاء أنّ لاتَ تستعمل حرفَ جارّاً لأسماء الزمان خاصة .

قال الدمامينيّ : بين نقلِ ابن هشام ونقل الرضيّ عن الفرّاء تخالُف . فإنْ قلتَ : هلاَ حملتَ نقل الرّضيَ عن الفرّاء : أنّها تكون مع الأوقات ، على ما إذا كانت عاملة للجرّ كما نقله المصنف هنا ، وحملت حكاية كلام المصنف أوّلاً أنها لا تعمل إلاّ في لفظ الحين على ما إذا كانت عاملة عمل ليس ، فلا يكون بين النقلين تعارض . قلتُ: لاَ ؛ لأنّ الرضيَّ لما ذكر عنه أنّها تعمل في الأوقات[3] أنشد :

---

(١) البيت لعمرو بن شأس في ديوانه ص٧٣ ؛ وتذكرة النحاة ص٧٣٤ . وهو بلا نسبة في الدرر ١٢١/٢ ؛ وهمع الهوامع ١٢٦/١ .

(٢) البيت لأبي زبيد الطائي في ديوانه ص٣٠ ؛ والإنصاف ص١٠٩ ؛ وتخليص الشواهد ص٢٩٥ ؛ وتذكرة النحاة ص٧٣٤ ؛ والدرر ١١٩/٢ ؛ وشرح شواهد المغني ص٦٤٠ ، ٩٦٠ ؛ والمقاصد النحوية ١٥٦/٢ . وهو بلا نسبة في جواهر الأدب ص٢٤٩ ؛ والخصائص ٣٧٠/٢ ؛ ورصف المباني ص١٦٩ ، ٢٦٢ ؛ وسر صناعة الإعراب ص٥٠٩ ؛ وشرح الأشموني ١٢٦/١ ؛ وشرح المفصل ٣٢/٩ ؛ ولسان العرب (أون ، لا ، لات) ؛ ومغني اللبيب ص٢٥٥ ؛ وهمع الهوامع ١٢٦/١ .

(٣) كذا في طبعة بولاق . وفي النسخة الشنقيطية : " أنها لا تعمل في الأوقات " . وهو خلاف ماتقدم .

* ولاتَ ساعةَ مندم *

والرواية فيه بنصب الساعة . فلم يبق إذا للتوفيق مجال . انتهى .

أقول : قد وقع هذا الشعر في كلام الشارح المحقق مجملاً ، لا يعلم هل هو منصوب أو مجرور ، وبان لك من نقلنا لكلام الفرّاء أنّ الرواية عنه عن العرب الجرّ ، فكيف تكون الرواية فيه النصب ؟ نعم رُوي النصب عن غير الفرّاء ، وبه أورده ابن الناظم وابن عقيل في «شرح الألفيّة » فتكون « ساعةَ » خبر « لاتَ » واسمها محذوف .

ويجوز الرفع بقلّة على أنها اسم « لات » والخبر محذوف فيقدَّر في الأوّل : ولات ساعةٌ لك ساعةَ مندم ، أو ولات الساعةُ ساعةَ مندم . وقدر الشارح المحقّق في الآية أي : لات الحينُ حينَ مناص .

فإن قلت : إنّهم قالوا « لات » لا تعمل إلاّ في اسم زمان منكّر ، فكان الظاهر في البيت التقدير الأوّل ، وفي الآية نحو ما قدَّره الشاطبيّ ، وهو ولاتَ حينٌ يُنادَونَ فيه حينَ مناص .

قلتُ : إنّهم قالوا « منهم ابن هشام ، في المغني » : إن لات لا تعمل في معرفة ظاهرة ، فمفهومه أنها تعمل في معرفة مقدَّرة .

ونقلَ ناظر الجيش في «شرح التسهيل» عن شرح الكافية لابنِ مالك : لا بدّ من تقدير المحذوف معرفةً لأنّ المراد نفي كون الحين الحاضر حيناً يَنوصون فيه ، أي : يهربون أو يتأخّرونَ ، وليس المراد نفي جنس حين المناص ، ولذلك كان رفع الحين الموجود شاذّاً لأنّه محوج إلى تكلّفِ مقدرٍ يستقيم به المعنى ، مثل أن يقال معناه ليس حين مناص موجوداً لهم عند تناديهم ونزول ما بهم ، إذْ قد كان لهم قبل ذلك حينُ مناص ؛ فلا يصحُّ نفي جنسه مطلقاً بل مقيّداً .

وقول الشارح المحقق « وتعمل عملَ ليس بكَسع التاء » أي : بلحاقها للات وتبعها إيّاها .

قال الصاغانيّ في « العباب » في فصل الكاف من باب الهمزة : كسأَ القوم وكسعَهم : إذا تبعهم . وهذه عبارة مألوفة للنحاة قديماً وحديثاً . قال ابن مالك في «التسهيل » هنا : وتُكسَع بالتاء فتختصّ بالحين أو مرادفه .

وقول الشاطبيّ : كُسعَت بالتاء ، أي : ضُرِب في عجُزها بها[1] فيه تكلّف للمناسبة . وكذلك قول شارح اللباب : يقال كسعت فلاناً : إذا ضربتَ دبره بيدك أو بصدر قدمك . أو من كسعَتُ الناقة ، إذا ضربت خِلْفَها بالماء البارد ليترادّ اللبن في ضرعها[2] . انتهى .

ويقدَّر في الساعة[3] نحو لات ساعةُ مندم ساعةً لك . وقدَّر الشارح المحقق في الآية تبعاً لأبي عليّ في « المسائل المنثورة » أي : لات حينُ مناص حاصلاً . وفيه أنهم قالوا : إنّ عمل لات مختصٌّ بالحين اسماً وخبراً .

قال ابن مالك : (الرجز)

وما لـلاتَ في سِـوَى حيـنَ عمَـلْ ... وحذفُ ذي الرّفع فَشا والعكس قَلْ

فالظاهر نحو ما قدَّره الشاطبيّ ، أي : ولات حينُ مناص حيناً يُنادون فيه . وقد جاء عمل لات في غير الحين شذوذاً في قول الحماسيّ[4] : (الكامل)

لهفـي عليـكَ لِلهفَـةٍ مـنْ خـائـفٍ ... يبغِي جِـوارَكَ حيـنَ لات مـجيـرُ

ولا ينبغي حمل الآية على هذا .

فإن قلتَ : اجعَلْ حاصلاً صفةَ زمان محذوف ، أي : حيناً حاصلاً ونحوه . قلتُ: شرط هذا اختصاص الصفة بالموصوف ، وما هنا ليس كذلك .

ثم قال الشارح المحقق : « ولا يجوز أن يقال بإضمار اسمها ؛ لأنّ الحروف لا يُضمَر فيها » .

---

(١) كذا في النسخة الشنقيطية وطبعة هارون . وفي طبعة بولاق والسلفية : " أي : ضرب عجزها في عجزها بها".

(٢) كذا في النسخة الشنقيطية . وفي طبعة بولاق : " في ظهرها " .

(٣) كذا في طبعة بولاق . وفي النسخة الشنقيطية : " في الثاني " .

(٤) هو الإنشاد الواحد والستون بعد الثمانمائة في شرح أبيات المغني للبغدادي .

والبيت للشمردل بن عبد الله الليثي في شرح التصريح ٢٠٠/١ ؛ وشرح شواهد المغني ٩٢٧/٢ ؛ والمقاصد النحوية ١٠٣/٢ ؛ وللتيمي في الدرر ٦٣/٢ ؛ وشرح أبيات المغني ٣١٦/٧ ؛ وشرح الحماسة للأعلم ٥٠٨/١ ؛ وشرح الحماسة للتبريزي ٨/٣ ؛ وشرح الحماسة للمرزوقي ص٩٥٠ . وهو بلا نسبة في الأشباه والنظائر ٨٢/٦ ؛ وأوضح المسالك ٢٨٧/١ ؛ وجواهر الأدب ص٢٠٥ ؛ وشرح الأشموني ١٢٦/١ ؛ ومغني اللبيب ٦٣١/٢ ؛ وهمع الهوامع ١١٦/١ .

أقول : يريد الردَّ على المصنف في « الإيضاح » فإنّه عبّر هناك بالإضمار دون الحذف . وهذا شيء قد سبقه سيبويه فيه ، فإنه كثيراً ما يطلق لفظ الإضمار على الحذف .

وكذلك فعل صاحب اللبّ ، قال : واسم لات حينَ محذوف أو مضمر ، لجريها مجرى الفعل في إلحاق التاء عند الخليل وسيبويه .

وقال السيد شارحه : فإنّه لما ألحقت التاء صارت شبيهة بليسَ صورة ومعنى ، فحسن إضمار الاسم فيها كما في ليس .

وحمل ابن خروفٍ كلامَ سيبويه على التجوُّز لا على حقيقة الإضمار ، بناء على أنّها عنده حرف لا فعل ، فإنّهم قد اختلفوا في حقيقتها على ثلاثة مذاهب[1] ، كما اختلفوا في عملها .

فالأول فيه أربعة مذاهب :

« أحدها » : أنها كلمة واحدة فعل ماض ، وفيه قولان : أحدهما أنّها في الأصل بمعنى نقَص ، من قوله تعالى[2] : « لا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئاً » فإنه يقال لاتَ يَلِيت كما يقال أَلَت يأْلِت – وقد قرئ بهما – ثم استعملت للنفي كما أنّ «قلّ» كذلك ؛ قاله أبو ذَرٍّ الخُشَنيّ[3] في شرح كتاب سيبويه ، نقله عنه أبو حيان في «الارتشاف» وابن هشام في « المغني » .

والقول الثاني : أنّ أصلها ليس أبدلت سينها تاء ، كما قالوا سِتّ والأصل سِدْس بدليل التصغير على سُدَيْس والتكسير على أسداس ، فصارت ليت ، ثم انقلبت الياء ألفاً لتحركها في الأصل ، وانفتاح ما قبلها ، إذ أصلها عندهم لَيِس بكسر الياء فصارت لات ، فلمّا تغيرت اختصت بالحين .

---

(١) في حاشية الطبعة السلفية ١٣٧/٤ : " قوله على ثلاثة مذاهب ، هكذا بالأصل . والصواب : أربعة بدليل ما بعده . نعم إن ابن هشام في المغني اقتصر على ثلاثة مذاهب وهي ما عدا الأخير هنا . انتهى عن هامش المطبوعة الأولى " .

(٢) سورة ص : ٣/٣٨ .

(٣) في حاشية الطبعة السلفية ١٢٨/٤ يقول الميمني : " أبو ذر بن أبي ركب الخشني (٥٢٥-٦٠٤) ترجم له ابن الأبار في تكملته رقم ١٠٩٥ وفي معجم أصحاب ابن سكرة رقم ١٣٨ وصاحب البغية ٣٩٢ . وهو صاحب الإملاء المختصر في شرح غريب السير المطبوع بمصر " .

والمذهب « الثاني » أنّها كلمتان : لا النافية ، والتاء لتأنيث اللفظ ، كما شرحه الشارح المحقق – وهذا مذهب الجمهور .

و« الثالث » أنّها حرف مستقلّ ليس أصلُها ليس ولا لا ، نقله الشاطبيّ – في «شرح الألفيَّة» .

« الرابع » أنّها كلمة وبعض كلمة ، وذلك أنّها لا النافية والتاء زائدة في أول الحين . ونسب هذا إلى أبي عُبيد[1] وابن الطّرَاوة .

قال ابن هشام في « المغني » : واستدلّ أبو عُبيد بأنّه وجدها في الإمام –وهو مصحف عثمان بن عفّان – مختلطة بحين في الخطّ . ولا دليل فيه ، فكم في الخطّ من أشياء خارجةٍ عن القياس .

ويشهد للجمهور أنه يُوقف عليها بالتاء والهاء ، ورُسمت منفصلة من الحين ، وأن التاء قد تكسر على أصل حركة التقاء الساكنين .

وهو معنى قول الزمخشريّ : وقرئ بالكسر على البناء كجَيْرِ . انتهى . ولو كان فعلاً ماضياً لم يكن للكسر وجه .

وأما الاختلاف في عملها ففيه أربعة مذاهب أيضاً :

« أحدها » أنّه لا تعمل شيئاً ، فإنْ وليها مرفوع فمبتدأ حذف خبره ، أو منصوب فمفعول بفعل محذوف وهو قول الأخفش ، والتقدير عنده في الآية[2] : « لا أرى حينَ مناص » ، وعلى قراءة الرفع ولا حينُ مناص كائن لهم .

« الثاني » : أنها تعمل لا التبرئة وهو عمل إنّ . وهذا قولٌ آخرُ للأخفش والكوفيِّين .

« الثالث » : أنّها حرف جرّ عند الفرّاء على ما نقل عنه .

« الرابع » : أنّها تعمل عمل ليس ، وهو قول الجمهور . قال أبو حيّان في «الارتشاف » : والعطف على خبر « لات » عند من أعملها إعمال ليس كالعطف على خبر ما الحجازيّة ، لات حين جزع ولات حين طيش ولات حين قلق بل حين

---

(١) انظر تحقيق البغدادي لنسبة هذا القول إلى أبي عبيد في أول الشاهد التالي .

(٢) سورة ص : ٣/٣٨ .

صبر ، تنصب في الأولى وترفع في الثانية كما كان في ما ولا النافية . ثم قال : وقد جاءت لات غير مضاف إليها حين ولا مذكور بعدها حين ولا ما رادفه ، في قول الأفْوه الأوْديّ[١] : (الرمل)

تَـرَكَ النَّـاسُ لنَـا أكنَافَهُـمْ وتـولَّـوا لاتَ لَـمْ يُغْـنِ الفِـرارُ

قال ناظر الجيش في « شرح التسهيل » : وهذا يدلّ على أن «لات » لا تعمل، وإنّما هي في هذا البيت حرف نفي مؤكّد بحرف النفي الذي هو لم . ولو كانت عاملةً لم يجز حذف الجزأين بعدهـا ، كما لا يحذفان بعد ما ولا العاملتين عمل ليس.

والبيت الشاهد الذي قال الفرّاء لا أحفظ صدره ، رواه مع صدره ابن السكّيت في « كتاب الأضداد » ، وهو[٢] :

ولتعْرِفَنَّ خَلائِقاً مَشْمُولَةً ولَتَنْدمَنَّ ولاتَ ساعةَ مَنْدَمِ

قال فيه ، قال ابن الأعرابيّ : يقال : أخلاق مشمولة ، أي : مشؤومة ؛ وأخلاق سَوء .

وأنشد :

ولتعْرِفَنَّ خَلائِقاً مشمولَةً . . . . البيت

ويقال أيضاً رجل مشمول الخَلائق ، أي : كريم الأخلاق . قال : وأنشد أبو عمرو لرجل من بني سعد[٣] : (الطويل)

كَأنْ لَمْ أعِشْ يَوماً بصَهبَاءَ لَذَّةٍ ولم أندُ مشمولاً خَلائقُه مِثْلِي

... انتهى

و« أند » ، بالنون قال أبو حنيفة الدِّينوريّ في « كتاب النبات »: ناديت الرجل

---

(١) البيت للأفوه الأودي في ديوانه ص١٣ ؛ والدرر ١٢٢/٢ ؛ والصاحبي في فقه اللغة ص١٦٨ ؛ وهمع الهوامع ١٢٦/١ . وهو بلا نسبة في تذكرة النحاة ص٥٧٠ ؛ وجواهر الأدب ص٢٥٠ .

(٢) في حاشية الطبعة السلفية ١٢٩/٤ يقول الميمني : " ابن السكيت رقم ٢٩٠ والأصمعي ١٨ وابن الأنباري ١٠٩ في كتب الأضداد " .

(٣) البيت بلا نسبة في أساس البلاغة (شمل) .

مثل نادمت وهو المجالسة ، ولم أندُ : لم أجالس . والنادي منه ، هو المجلس . وأنشد هذا البيت .

وزعم الشاطبيّ أنّ هذا البيت برمّته رواه الفراء عن المفضّل . وهذا لا أصل له ؛ وإنما الذي رواه عن المفضّل البيت الذي بعده كما هو ظاهر من نقل عبارة الفرّاء .

ورأيت ابن عقيل وغيره ذكر للبيت الشاهد روايةً غير ما نقلناه ، جعله صدراً وتمّمه بعجُز كذا[1] : (الكامل)

نَدِمِ البغَاةُ ولاتَ ساعَةَ مَندَمٍ والبَغيُ مرتَعُ مُبتَغيهِ وَخِيْمُ

وقال : هو لرجل من طيئ ، أي : ولات الساعة ساعة مندم . وهذا هو المشهور المتداول في كتب النحو .

وقال العينيّ : قائله محمد بن عيس بن طلحَة بن عبيد اللّه التيميّ ؛ ويقال مهلهل ابن مالك الكنانيّ . واللّه أعلم بحقيقة الحال .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الحادي والثمانون بعد المائتين[2] : (الكامل)

٢٨١- العَاطِفُونَ تحينَ مَا مِنْ عَاطِفٍ
والمطعمُونَ زَمانَ أينَ المُطْعِمُ

على أنّ أبا عُبيد زعم أنّ التاء في قولهم « لات حين مناص » من تمام حين كما في هذا البيت .

---

(١)البيت لمحمد بن عيسى بن طلحة ، أو لمهلهل بن مالك الكناني في المقاصد النحوية ١٤٦/٢ . وهو بلا نسبة في تخليص الشواهد ص٢٩٤ ؛ وجواهر الأدب ص٢٥٠ ؛ والدرر ١١٧/٢ ؛ وشرح الأشموني ١٢٦/١ ؛ وشرح شذور الذهب ص٢٦٠ ؛ وشرح ابن عقيل ص١٦٢ ؛ وهمع الهوامع ١٢٦/١ .

(٢) البيت لأبي وجزة السعدي في الأزهية ص٢٦٤ ؛ والإنصاف ١٠٨/١ ؛ والدرر ١١٥/٢ ، ١١٦ ؛ ولسان العرب (ليت ، عطف ، أين ، حين ، ما) . وهو بلانسبة في الجنى الداني ص٤٨٧ ؛ والدرر ١٢٢/٢ ؛ ورصف المباني ص١٦٣ ، ١٧٣ ؛ وسر صناعة الإعراب ١٦٣/١ ؛ وشرح الأشموني ٨٨٢/٣ ؛ ومجالس ثعلب ٢٧٠/١ ؛ والممتع في التصريف ٢٧٣/١ ؛ وهمع الهوامع ١٢٦/١ .

ولعجز البيت روايات مختلفة . " والمسبغون يداً إذا ما أنعموا " . و " نعم الذّرا في النائبات لنا هُمُ " و " المطعمون زمان ما من مطعم " .

ومثله لصاحب اللب وغيره قال : وعن أبي عبيد : تحين لغة في حين ، ولا لنفي الجنس .

أقول : إنّ أبا عُبيد لم يذهب إلى هذا ، وإنما هو قول للأمويّ[١] نقله عنه في «كتابه في اللغة ، المشهور بالغريب المصنف » وهذه عبارته فيه : وقال الأحمرَ : تالآن في معنى الآن ، وأنشدنا[٢] : (الخفيف)

نَوِّلي قبلَ نأي داري جُمَانا وصِلِينا كما زعمتِ تالآنا

وكذلك قال الأمويّ ، وأنشد لأبي وَجْزة[٣] :

العَاطفونَ تحينَ ما مِنْ عاطفٍ والمُفْضلونَ يداً إذا ما أنعَمُوا[٤]

قال : وإنّما هو حين[٥] ، قال : ومنه قوله تعالى : « ولاَتَ حِيْنَ مناص » معناه لا حينَ مناص . انتهى كلامه .

فعُلم به أنّ القول بكون لات حين هو لا تحين والتاء زائدة ، إنّما هو قول الأمويّ لا أبي عُبيد ، وإن اشتهر النقل عنه . وقد ردَّه الشارح المحقّق ولم يبين موقع التاء في هذا البيت .

وقد رأيت في تخريجه وجهين :

« أحدهما » : ذكره ابن جنّي في « سرّ الصناعة » وسبقه ابن السيرافيّ في «شرح شواهد الغريب المصنف » وأبو عليّ في « المسائل المنثورة » : وهو أنّها في

---

(١) في حاشية الطبعة السلفية ١٣٠/٤ : " الأموي هذا هو أبو محمد عبد الله بن سعيد بن أبان بن سعيد بن العاص، ذكره الزبيدي في الطبقة الثالثة من اللغويين الكوفيين ، قال : وروى عنه أبو عبيد وغيره (البغية ٢٨٢) . قال ابن النديم (في الفهرست ٧٢ رحمانية) : " وليس من الأعراب . لقي العلماء ودخل البادية وأخذ عن الفصحاء من الأعراب . وله من الكتب كتاب النوادر ، كتاب رحل البيت " . وهو شارح قصائد أبي حزام العكلي في الغريب".

(٢) البيت لجميل بثينة في ديوانه ١٩٦ ؛ ولسان العرب (تلن) . وهو بلا نسبة في الإنصاف ص١١٠ ؛ وتذكرة النحاة ص٧٣٥؛ والجنى الداني ص٤٨٧ ؛ ورصف المباني ص١٧٣ ؛ وسر صناعة الإعراب ص١٦٦ ؛ ولسان العرب (أين ، حين) ؛ والممتع في التصريف ٢٧٣/١ .

(٣) في طبعة بولاق : " لأبي وجرة " . وهو تصحيف .

(٤) في النسخة الشنقيطية : " ما اسغبوا " .

(٥) في النسخة الشنقيطية : " تحين " .

الأصل هاء السكت لاحقة لقوله العاطفون ، اضطُرَّ الشاعر إلى تحريكها فأبدلها تاء وفتحها .

قال ابن جنّي : أراد أن يجريه في الوصل على حدِّ ما يكون عليه في الوقف ، وذلك أنه يقال في الوقف هؤلاء مسلمونه وضاربونه ، فتلحق الهاء لبيان حركة النون، كما أنشدوا[١] : (الرجز)

أهكذا يا طِيْبُ تَفعلونَهْ أَعَلَلاً ونحنُ مُنهلُونَهُ

فصار التقدير العاطفونه ، ثم إنّه شبه هاء الوقف بهاء التأنيث ، فلما احتاج لإقامة الوزن إلى حركة الهاء قلبها بتاء ، كما تقول في الوقف : هذا طلحَهْ ، فإذا وصلت صارت الهاء تاء فقلت هذا طلحتنا . وعلى هذا قال العاطفونه .

ويؤنس بصحّة هذا قول الرَّاجز[٢] : (الرجز)

من بعْدِ ما وبعدِ ما وبعدِ مَتْ صارَت نفوسُ القومِ عندَ الغَلْصمَتْ

أراد : وبعد ما ، فأبدل الألف في التقدير هاء ، فصارت بَعْدَمَه ، ثم إنّه أبدل الهاء تاء لتوافق بقيّة القوافي التي تليها ، وشجّعه شبه الهاء المقدرة في قوله وبعدمه بهاء التأنيث في طلحَة وحمزة ولما كان يراهم قد يقولون في الوقف : هذا طلْحَتْ وحمزَتْ قال هو أيضاً وبعدمَت ، فأبدل الهاء المبدلة من الألف تاء .

وليس شيء مما يُضطَرُّون إليه إلاّ وهم يحاولون به وجهاً . فإذا جاز أن تشبّه هاء وبَعْدَمَه بتاء التأنيث حتى يقال فيها وبعدمَتْ جاز أيضاً أن تشبه هاء العاطفونه بهاء التأنيث فيقال العاطفونت ؛ وفتحت التاء كما فتحت في آخر رُبَّتَ وثُمّت . انتهى مختصراً .

قال ابن السيرافيّ : ويجوز أن ينشد «العاطفونَهْ» بإسكان الهاء ، فيكون قد أضمر

(١) الرجز بلا نسبة في تاج العروس (نهل) ؛ ولسان العرب (نهل ، حين) .

(٢) الرجز لأبي النجم في تاج العروس (ما) ؛ والدرر ٢٣٠/٦ ؛ وشرح التصريح ٣٤٤/٢ ؛ ولسان العرب (ما) ؛ ومجالس ثعلب ٣٢٦/١ . وهو بلا نسبة في الأشباه والنظائر ١١٣/١ ؛ وأوضح المسالك ٣٤٨/٤ ؛ والخصائص ٣٠٤/١ ؛ والدرر ٣٠٥/٦ ؛ ورصف المباني ص١٦٢ ؛ وسر صناعة الإعراب ١٦٠/١ ، ١٦٣ ، ٥٦٣/٢ ؛ وشرح الأشموني ٧٥٦/٣ ؛ وشرح شافية ابن الحاجب ٢٨٩/٢ ؛ وشرح قطر الندى ص٣٢٥ ؛ وشرح المفصل ٨٩/٥ ، ٨١/٩ ؛ والمقاصد النحوية ٥٥٩/٤ ؛ وهمع الهوامع ١٥٧/٢ ، ٢٠٩ .

وجعل مستفعلن في موضع متفاعلن . وأظنّ أنّ الرّواة غيَّروه وحرَّكوه طلباً لأن يكون الجزء تاماً على الأصل . انتهى .

والوجه « الثاني » ذكره ابن مالك في « التسهيل » وتبعه شارح اللبّ : وهو أن التاء بقيّة لات ، فحذفت لا وبقيت التاء . قال : وقد يضاف إلى لات حين لفظاً أو تقديراً ، وربّما استغنَى مع التقدير عن لا بالتاء .

ومثّل ابن عقيل للأوّل بقوله[1] : (الوافر)

وذلكَ حينَ لاتَ أوانَ حِلْمٍ ولكنْ قبلَها اجتنبوا أذاتِي

- أي : أذيّتي - ومثّل للثاني بقوله[2] : (الوافر)

تذكّر حبَّ ليلَى لاتَ حِيناً وأمسَى الشَّيبُ قَدْ قَطعَ القَرينا

أي : حين لاتَ حينَ تذكر .

ومثّل للثالث بقوله :

العَاطفون تحينَ ما مِنْ عَاطفٍ . . . . البيت

أي : حين لات حين ما من عاطف ؛ فحذف حين ولا .

هذا كلامهما ولا يخفى تعسّفه . وتخريج هذا البيت على زيادة التاء أسهل وأقل كلفة من هذين التخريجين وإن كان لا يطّرد زيادة التاء في كل موضع فيه لا . وهذه التاء زيادتها غير مطّردة وغير لازمة .

وقد سمع زيادتها مع لفظ الآن أيضاً ، قال أبو زيد في « نوادره » : سمعت من يقول حسبك تالآن ، يريد الآن .

وقال ابن أحمر :

نَوِّلي قبلَ نأي داري جُمانا وصِلِينَا كما زعمتِ تالآنا

أي : كما زعمت الآن . و« نوِّلي » : أمر من النّوال وهو القُبْلة . و« جُمانا »:

---

(١) البيت بلا نسبة في الدرر ١٢١/٢ ؛ وهمع الهوامع ١٢٦/١ .

(٢) البيت لعمرو بن شأس في ديوانه ص٧٣ ؛ وتذكرة النحاة ص٧٣٤ . وهو بلا نسبة في الدرر ١٢١/٢ ؛ وهمع الهوامع ١٢٦/١ .

منادى مرخّم جُمانة بضم الجيم وهو امرأة ، والألف للإطلاق .

وهذا البيت الشاهد من قصيدةٍ لأبي وَجْزَة السَّعْدِيّ مدح بها آل الزّبير بن العوّام؛ لكنّه مركّب من مصراعي بيتين وقع في صحاح الجوهريّ هكذا فتبعه الشارح المحقق وغيره .

والذي في ديوانه كذا : (الكامل)

وإلى ذَرا آل الزُّبير بفضْلهمْ نِعْمَ الذَّرا في النّائبَاتِ لَنَا هُمُ

العاطفونَ تَحينَ ما مِنْ عَاطفٍ والمسبغُونَ يداً إذا ما أنْعَمُوا

واللاّحقونَ جِفَانَهُمْ قمعَ الذُّرا والمطعِمونَ زمانَ أينَ المطْعِمُ

والمانعُونَ من الهضيمةِ جَارَهمْ والحاملُونَ إذا العشيرَةُ تَغْرمُ

و« الذَّرا » بالفتح : كلّ ما استترت به ، يقال : أنا في ظلّ فلان وفي ذَراه ، أي: في كنفه وسِتره . و« النّائبات » : شدائد الدّهر وحوادثه . وفي واللام متعلّقان بالذّرا، لأنّه بمعنى الملتجأ . و« هم » هو المخصوص بالمدح .

و« العطفُ » : الشفقة والتحنّن . و« تَحِينَ » ظرف للعاطفون ، والتاء زائدة أو أنّها متصلة بما قبلها على أنها هاء السكت كما بيّنّاه ؛ وعلى هذين القولين ما نافية وحين مضافة إلى الجملة المنفيّة ، فإن « مِن » زائدة . و« عاطف » مبتدأ خبره محذوف، أي : يوجد ونحوه ؛ أو أنه بقيّة لات ، و« حين » خبر ها واسمها محذوف كما قال ابن مالك . وفيه غرابةٌ ، حيث يحذف العامل ويبقى منه حرف واحد وهو مع ذلك عامل، وهذا لا نظير له .

وينظر على هذا في حين ، هل هي مضافة إلى الجملة المنفيّة ، أو أنَّ ما ليست نافية ؟ فإن كانت نافية انتقض النفي الأوّل بها . وهذا غير مراد الشاعر . وإن كانت غير نافية فينظر من أي أنواع ما هي . وبالجملة : كون التاء بقيّة لات يشكلُ عليه معنى البيت وإعرابه ولا داعيَ إلى هذا كلّه .

وقال ناظر الجيش : وتخريج البيت على ما ذكره المصنّف لا يتعقّل ، لأنّه يكون المعنى هم العاطفون وقت ليس الحين حين ليس ثَمَّ عاطف .

و« المسبغون » : مِن أسبغَ اللّه النعمة : أفاضها وأتمّها . وسَبغت النعمة : اتّسعت .

وروى صاحب الغريب المصنّف : « المُفْضلون » بدل المسبغون من الإفضال وهو الإنعام ؛ والجيّد هو الأوّل . و« اليد » : النعمة .

يقول : هم يعطفون على من سألهم واحتاج إليهم ، إذا اشتدت الأحوال وأجدب الزمان ، ولم يجد المسترفِد رافداً ؛ وإذا أنعموا أوسعوا على المنعَم عليه إفضالاً ونائلاً .

وقوله : « واللاحقون الخ » ، أي : والمُتْبعون ؛ يقال : لحِقته ولحِقت به من باب تعب لَحَاقاً بالفتح : إذا تبعته وأدركته ؛ وألحقتَه بالألف مثله ؛ ولحقه الثمن لُحوقاً : لزمه ؛ فاللحُوق : اللزوم ، واللّحَاق : الإدراك . كذا في المصباح .

و« الجفان » ، بالكسر : جمع جَفنة بالفتح ، وهي القَصْعَة الكبيرة للطعام . و«القَمَع» بفتح القاف والميم : جمع قَمعَة بالتحريك ، وهي رأس السَّنام .

و« الذُّرا » بالضم : جمع ذروة بضم الذال وكسرها : أعلى السنام ؛ وإنّما خصّه لأنّه أطيب لحم الإبل عندهم . و« زمانَ » ظرف للمطعمون ، وهو مضاف للجملة بعده لكن بتقدير مضاف ، أي : زمان سؤال أين المطعم .

ورواه الأمويّ على ما نقله أبو عُبيد في « الغريب المصنّف » :

* والمطعمونَ زمانَ ما مِنْ مطعِمِ *

فيكون في البيت على هذه الرواية إقواء[1] . مَدحهم بأنّهم يطعمون الفقراء أطيبَ اللحم في أيّام القحط والجدب ، وفي الزمان الذي يتساءل الناس عن الكرماء المطعِمين للطعام .

وقوله : « والمانعون الخ » ، « الهضيمة » : المظلمة ، فعلية بمعنى فاعلة ، من هضمت الشيء إذا كسرته . و« الحاملون » : من حمل الدّية . يقول : إنْ وُزِّعت دية قتيلٍ على عشيرته حملها عنهم ودفعها من ماله .

وتركيب بيت من بيتين ونحوه في الاستشهاد شائع عند المصنّفين يفعلونه قصداً ، إما لأنّ المعنى متفرّقاً يكون في أبيات ؛ وإمّا لأنّ في أحد المصراعين قلاقَة معنى أو لغة، فيختصرونه بأخذ مصراعين منه ، كما فعل ابن الشجريّ وابن هشام في « المغني » في

(١) هو اختلاف حركة الروي . وفي العمدة ١٦٥/١ : " هو اختلاف إعراب القوافي " .

قوله[1] : (الطويل)

وَناهِدَةِ الثَّدْيَيْنِ قلتُ لهَا اتّكِي فقالتْ على اسمِ اللّهِ أمرُكَ طاعَة

وهو من شعرٍ لعمر بن أبي ربيعة . وله حكاية ذكرها الجاحظ في « المحاسن والمساوي ».

والأصل هكذا[2] :(الطويل)

وناهِدَةِ الثّديين قلتُ لهَا اتّكي على الرّمل من جَنْبَاته لَم توسَّد
فقالت على اسم اللّه أمرُك طاعةٌ وإنْ كنتُ قد كلّفتُ ما لم أُعوَّدِ[3]

فأخذ منهما مصراعين ، ولم يتنبه لهذا أحد من شرّاح المغني . وكما فعل الزمخشريّ في « المفصَّل » وغيره كابن هشام في « المغني » في قوله[4] : (الكامل)

حَاشَا أبا ثوبَان إنَّ لهُ ضَنّاً على المَلْحَاةِ والشَّتْمِ

وهو من قصيدة مسطورة في المفضليات[5] ؛ والأصل :

حَاشَا أبا ثوبان إنَّ أبا ثوبان ليس ببُكْمَةٍ فَدْمِ
عَمْرَو بن عَبدِ اللّهِ إنَّ بهِ ضَنّاً علَى المَلْحَاةِ والشَّتْمِ

---

(١) البيت في شرح أبيات المغني ٣/٨٨ .

(٢) البيتان في ديوان عمر بن أبي ربيعة ص٤٩٠ ؛ والأغاني ١/١٩٢ ؛ وشرح أبيات المغني للبغدادي ٢/٢١٧ ، و٣/٨٩ .

(٣) في طبعة هارون ٤/١٨١ : " طاعته " . وهو تصحيف صوابه من طبعة بولاق وديوانه .
والبيت لعمر في شرح شواهد المغني ١/٣٢١ ، ٢/٩٢٨ . وهو بلا نسبة في تذكرة النحاة ص٦٠١ ؛ والخصائص ٢/٣٦٢ .

(٤) البيت للجميح الأسدي في الأصمعيات ص٢١٨ ؛ والجنى الداني ص٥٦٢ ؛ والدرر ٣/١٧٦ ؛ وشرح أبيات المغني ٣/٨٩ ؛ وشرح اختيارات المفضل ص١٥٠٨ ؛ وشرح شواهد المغني ١/٣٦٨ ؛ وشرح المفصل ٨/٤٧ ؛ والمقاصد النحوية ٣/١٢٩ ؛ والمفضليات ص٣٦٧ ؛ وله أو لسبرة بن عمرة الأسدي في لسان العرب (حشا) . وهو بلا نسبة في الإنصاف ١/٢٨٠ ؛ وشرح المفصل ٢/٨٤ ؛ ولسان العرب (حشا) ؛ والمحتسب ١/٣٤١ ؛ ومغني اللبيب ١/١٢٢ ؛ وهمع الهوامع ١/٢٣٢ .

(٥) المفضليات ص٣٦٧ ؛ وشرح اختيارات المفضل ١٥٠٧-١٥٠٨ ؛ وشرح المفضليات ص٧١٨ .
والبكمة : الأبكم . وأراد : أي : يضن بنفسه عن الملحاة ؛ وهي مفعلة من : لحوتُ ولحيتُ .

و« **أبو وجزة** » هو بفتح الواو وسكون الجيم بعدها زاي معجمة ، يقال رجل وَجْز ، أي : سريع الحركة ، وامرأة وَجْزة .

وأبو وجزة اسمه يزيد بن عُبيد ، وقيل ابن أبي عبيد . وهو شاعر ومحدث ومقرئ ، كذا قال الصاغانيّ في « العباب » .

وقال ابن قتيبة في « كتاب الشعراء »[١] : هو من بني سعد بن بكر بن هوازن ، أظآرِ النّبيّ صلّى اللّه عليه وسلّم ، وكان شاعراً مُجيداً ؛ وهو الذي روَى الخبر في استسقاء عمر بن الخطّاب رضيَ اللّه عنه : وتوفّي بالمدينة سنة ثلاثين ومائة ، وهو أوّل من شبَّب بعجوز[٢] .

أقول : أبو وجزة إنّما هو من بني سُلَيم بالتصغير ؛ وإنّما نشأ في بني سعد فغلب عليه نسبهم . وقال صاحب « التقريب والتهذيب » : أبو وجزة السعدي المدنيّ الشاعر ثقة ، وذكره ابن سعد في الطبقة الرابعة من التابعين ، ثم ذكر مشايخه وتلاميذه .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثاني والثمانون بعد المائتين[٣] : (الخفيف)

٢٨٢- طَلَبُوا صُلْحَنَا ولاتَ أوان
فأَجَبْنَا أنْ لَيسَ حينَ بَقَاءِ

على أن أصله عند المبرِّد والسيرافيّ : ولات أوانَ طَلبوا ، فحذفت الجملة وبني أوان على السكون أو على الكسر ، ثم أبدل التنوين من المضاف إليه كما في يومئذ .

---

(١) الشعر والشعراء ص٥٩١ .

انظر في ترجمته وأخباره الأغاني ٢٣٩/١٢ ؛ والشعر والشعراء ص٥٩١ .

(٢) في الأغاني والشعر والشعراء عن ابن قتيبة : " وهو أحد من شبَّبَ بعجوز " .

(٣) البيت لأبي زبيد الطائي في ديوانه ص٣٠ ؛ والإنصاف ص١٠٩ ؛ وتخليص الشواهد ص٢٩٥ ؛ وتذكرة النحاة ص٧٣٤ ؛ والدرر ١١٩/٢ ؛ وشرح شواهد المغني ص٦٤٠ ، ٩٦٠ ؛ والمقاصد النحوية ٢٥٦/٢ . وهو بلا نسبة في جواهر الأدب ص٢٤٩ ؛ والخصائص ٣٧٠/٢ ؛ ورصف المباني ص١٦٩ ، ٢٦٢ ؛ وسر صناعة الإعراب ص٥٠٩ ؛ وشرح الأشموني ١٢٦/١ ؛ وشرح المفصل ٣٢/٩ ؛ ولسان العرب (أون ، لا ، لات) ؛ ومغني اللبيب ص٢٥٥ ؛ وهمع الهوامع ١٢٦/١ .

قال ابن هشام في « المغني » : قرئ « ولاتَ حين مناصٍ[١] » ، بخفض الحين ، فزعم الفرَّاء أن لات تستعمل حرفاً جارًّا لأسماء الزمان خاصة ، وأنشد :

* طَلَبُوا صُلحنَا ولاتَ أوانٍ *

وأجيب عن البيت بجوابين :

أحدهما : على إضمارِ من الاستغراقيّة . ونظيره في بقاء عمل الجارّ مع حذفه وزيادته قوله[٢] : (الوافر)

* ألا رجلٍ جَزَاهُ اللَّهُ خيراً *

فيمن رواه بجرّ رجل .

والثاني : أن الأصل : ولات أوانَ صلح ، ثم بنَى المضاف لقطعه عن الإضافة ، وكان بناؤه على الكسر لشبهه بنزالِ وزناً ، ولأنّه قدّر بناءَه على السكون ثم كسر على أصل التقاء الساكنين كأمس ، ونوّن للضرورة ، وقال الزمخشريّ : للتعويض كيومئذ . ولو كان كما زعم لأُعرب ، لأن العوض ينزَّل منزلة المعوَّض منه .

وعن القراءة بالجواب الأوّل - وهو واضح - وبالثاني وتوجيهه : أنّ الأصل حين مناصهم ثم نزَّل قطع المضاف إليه من مناص منزلة قَطعِه من حين ، لاتّحاد المضاف والمضاف إليه ؛ قاله الزمخشريّ . وجعل التنوين عوضاً من المضاف إليه ، ثم بنى الحين لإضافته إلى غير متمكن . انتهى .

---

(١) سورة ص : ٣/٣٨ .

(٢) صدر بيت لعمرو بن قعاس ؛ وتمامه :

* يَدُلُّ على مُحَصِّلَةٍ تَبِيتُ *

وهو الإنشاد الثاني بعد المائة في شرح أبيات المغني للبغدادي .

والبيت لعمرو بن قعاس (أو قنعاس) المرادي في الطرائف الأدبية ص٧٣ ؛ وشرح أبيات المغني للبغدادي ٩٤/٢ ؛ وشرح شواهد المغني ص٢١٤ ، ٢١٥ . وهو بلا نسبة في الأزهية ص١٦٤ ؛ وإصلاح المنطق ص٤٣١ ؛ وأمالي ابن الحاجب ص١٦٧ ، ٤١٢ ؛ وتخليص الشواهد ص٤١٥ ؛ وتذكرة النحاة ص٤٣ ؛ والجنى الداني ص٣٨٢ ؛ وجواهر الأدب ص٣٣٧ ؛ ورصف المباني ص٧٩ ؛ وشرح الأشموني ١٥٤/١ ؛ وشرح شواهد المغني ص٦٤١ ؛ وشرح عمدة الحافظ ص٣١٧ ؛ وشرح المفصل ١٠١/٢ ؛ والكتاب ٣٠٨/٢ ؛ ولسان العرب (حصل) ؛ ومغني اللبيب ص٦٩ ، ٢٥٥ ، ٦٠٠ ؛ والمقاصد النحوية ٣٦٦/٢ ، ٣٥٢/٣ ؛ ونوادر أبي زيد ص ٥٦ .

والأولى أن يقال : إنَّ التنزيل المذكور اقتضى بناء الحين ابتداء ، وإنَّ المناص مُعْرب ، وإن كان قد قطع عن الإضافة بالحقيقة ، لكنه ليس بزمان ، فهو ككل وبعض. انتهى كلام ابن هشام .

« أقول » : تقدير المضاف إليه جملة هو المناسب لتشبيه أوان بيومئذ في البناء ، وفي كون التنوين بدلاً من المضاف إليه ، وأما تقديره مفرداً ثم تعليل بنائه بقطعه عن الإضافة كما صنع ابن هشام تبعاً لغيره ، ففيه أنّ ما ذكره مختص بالظروف النِّسْبيّة ، ويكون بناؤها حينئذ على الضمِّ ، وأما أوان فإنّه ظرف متصرف ، كما يأتي قريباً وليس مضموماً ، كقبل وبعد .

ويجوز أن يقدّر المضاف إليه ولات أوان نصطلح ، فإنّ المنفيّ في الحقيقة هو أوان الصلح ، أو يقدَّر جملة اسمية ، أي : ولات أوانَ صُلحُنا ممكن، فأوان خبر لات وهو منصوب لفظاً أو مبني على الفتحة لإضافته إلى مبنيّ ، واسمها محذوف ، أي : ولات الأوان .

قال أبو عليّ في « المسائل المنثورة » : قال أبو العبَّاس المبرِّد : أوان هنا مبنيّة ؛ لأنّ أوان تضاف إلى المبتدأ والخبر ، فكأنك حذفت منه المبتدأ والخبر ، فنوّنت ليعلم أنّك قد اقتطعت الإضافة منه .

و لم يرتض ابن جنّي في « الخصائص » كون التنوين عوضاً عن الجملة كيومئذ ، وفرَّق بينهما بأن إذْ ظرف ناقص ، وأوان ظرف متصرّف . قال : وتأوّل أبو العبَّاس المبرِّد قول الشاعر :

طلَبُوا صُلحنَا ولات أوانٍ . . . . البيت

على أنه حذف المضاف إليه أوان فعوض التنوين عنه ، على حدِ قول الجماعة في تنوين إذْ . وهذا ليس بالسهل ، وذلك أنَّ التنوين في نحو هذا إنّما دخلَ فيما لا يضاف إلى الواحد ، أي : المفرد ، وأما أوان فمعْرب ويضاف إلى الواحد كقوله[1] : (الطويل)

---

(١) البيت للمتلمس الضبعي في ديوانه ص١٢٣ ؛ والأغاني ٢٦٠/٢٤ ؛ والحماسة برواية الجواليقي ص١٨٦ ؛ وشرح أبيات المغني ٢٦٨/٢ ، ٣١/٥ ؛ وشرح الحماسة للأعلم ٤٣٧/١ ؛ وشرح الحماسة للتبريزي ١٠٤/٢ ؛ وشرح الحماسة للمرزوقي ص٦٦٢ ؛ والشعر والشعراء ص١١٤ .

العرض : وادٍ باليمامة . وحي ذبابه ، أي: حَيِيَ بالخصب وظهر . والزنابير: جمع زنبور . والأزرق : ضرب من =

فهـذا أوانُ العِـرْض حـيٌّ ذبـابُــهُ زَنـابيـرُهُ والأزرقُ المُتلَمِّــسُ

وقد كسَّروه على آونة وتكسيرهم إيّاه يبعده عـن البنـاء ، لأنّـه أخـذٌ بـه في شـقِّ التصريف والتصرُّف .

وكذا قال في « سرِّ الصناعـة » : ذهـب أبـو العبّـاس إلى أن كسـرة أوان ليسـت إعراباً ، ولا هي علَماً للجرّ ، ولا أنَّ التنوين الذي بعدها هو التابع لحركات الإعراب؛ وإنما تقديره عنده أنَّ أوان بمنزلة إذْ ، في أنّ حكمه أن يضاف إلى الجملة نحـو قولـك : جئتـك أوانَ قـام زيـد ، وأَوَان الحجـاجُ أمـير ، أي : إذْ ذاك كذلـك ، فلمَّـا حــذف المضاف إليه أَوَان ، عوِّض من المضاف إليه تنويناً .

والنون عنده كانت في التقدير ساكنة كسكون ذال إذْ ، فلمّا لقيَها التنوينُ ساكِناً كسِرت النون لالتقاء الساكنين . فهذا شرح هذه الكلمة وقوله هذا غير مَرضيٍّ ، لأنّ أواناً قد يضاف إلى الآحاد ، نحو قوله[1]: (الرجز)

* هذا أوانُ الشدِّ فاشتَدِّي زِيَمْ *

وقوله[2] :

* فهذا أوانُ العِرْض *

وغير ذلك . فإن قيل : فإذا كان الأمر كذلك فهلاّ حركوا النون في يومئذ وأوان لسكونها وسكون الذال والنون قبله ، ولم يحرِّكوهما لذلك دونـه ؟ فـالجواب : أنَّهـم لو فعلوا ذلك لوجب أن يقولوا إذْنٍ ، فيشبه التنوين الزائدُ النونَ الأصليّة .

وأيضاً فلو فعلـوا ذلـك في إذْ لمـا أمكنهـم أن يفعلـوه في أوان ، لأنّهـم لـو آثـروا إسكان النون لما قدَروا على ذلك ، لأنّ الألف ساكنة قبلها ، وكان يلزمهم مـن ذلـك أن يكسروا النون لسكونها وسـكون الألـف ، ثم يأتي التنـوين بعدهـا ، فكـان لا بـدّ

= الذباب يألف الرياض . والمتلمس : الطالب العيش ، وبهذا البيت سمي المتلمس .

(١) الرجز لرشـيد أو رويشـد بـن رميـض في الأغـاني ١٥/١٩٩ ؛ والبيـان والتبيـين ٢/٣٠٨ ؛ والتنبيـه والإيضـاح ٢/٢٩؛ والعقد الفريد ٤/١٢٠ ، ٥/١٧ ؛ والكامل في اللغة ١/٢٢٤ ؛ ولسان العرب (شدد) ؛ وللأغلـب العجلـي في الحماسة الشجرية ١/١٤٤ . وهو بـلا نسبة في تـاج العـروس (زيـم) ؛ وجمهـرة اللغـة ص٨٣٠ ؛ وسـر صناعـة الإعراب ٢/٥٠٩ ؛ وشرح المفصل ٩/٣٢ ؛ ولسان العرب (زيم) .

(٢) قطعة من بيت للمتلمس مر قريباً .

أيضاً من أن يقولوا أوان .

فإن قيل : فلعلّ على هذا كسرهم النونَ من أوان إنّما هو لسكونها وسكون الألف قبلها ، دونَ أن يكون كسرهم إياها ، لسكونها وسكون التنوين بعدها ، [فالجواب ما تقدّم ذكره من أنّ كسرهم ذال إذْ لسكونها وسكون التنوين بعدها[1]].

فعلى هذا ينبغي أن يحمل كسر النون من أوان ؛ لئلاّ يختلف الباب ، ولأنّ أوان أيضاً لم ينطقَ به قبل لحاق التنوين لنونه فيُقَدَّرَ مكسورَ النون لسكونها وسكون الألف قبلها ، وإنّما حذف منه المضاف إليه ، وعوِّض منه التنوين عقيب ذلك ، فلم يوجد له زمن يلفظ به بلا تنوين ، فيلزم القضاء بأن نونه إنّما كسرت لكون الألف قبلها ، فاعرف ذلك من مذهب أبي العبَّاس .

وأمّا الجماعة غيرَه وغيرَ أبي الحسن فعندهم أنّ أوان مجرورة بلات ، وأنّ ذلك لغة شاذّة . ورَوينا عن قطرب قال : قراءة عِيسى : « ولات حينِ مناصٍ » بالجر . انتهى كلامه .

وهذا حقٌّ لا شبهة فيه ؛ فالوجه كون « لات» فيه حرف جرّ كما نقله الفرّاء في قوله :

* ولاتَ ساعَةِ مَنْدَمِ *

بجرّ ساعة . وفي هذا البيت أيضاً .

وكذلك نقله أبو عليّ في « المسائل المنثورة » عن أبي عُمَر الجَرْمي . واستشكله أبو عليّ بأنّ حروف الجرّ لا بدّ أن تتعلّق بشيء ، ولات هنا لا تتعلق بشيء - كما بيّنه الشارح - وجوابه : أنَّ لنا حروفَ جرّ لا تتعلّق بشيء ، منها لولا في نحو قوله : لولاي ولولاه ، فليكن هذا منها .

وقول ابن هشام : « وزعم الفرَّاء أن لاتَ تجرّ أسماء الزّمان خاصة » تقدم النّقل عنه قبل هذا بشاهدين ، أنّه لم يقيِّد معمول لاتَ بشيءٍ ، سواءً كانت جارّة ، أو عاملةً عمل ليس .

(١) زيادة يقتضيها السياق من الطبعة السلفية ١٣٨/٤ ؛ وفيها : " عن سر الصناعة - النسخة الخطية المحفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٢٠ لغة - " .

وقوله : « وأجيب عن البيت بجوابين : أحدهما : على إضمارِ من الخ » ، هذا الجواب فاسد ، لأنّ تقدير مِنْ يقتضي أن لايكون لها معمول ، وإذا لم يكن لها معمول اقتضى كونها غير عاملة . والجواب إنّما هو لبيان عملها .

ومِن الغريب قول أبي حيَّان على ما نقله السَّمين في « إعرابه » : إن مِنْ المقدّرةَ ومجرورَها موضعُهما رفع على أنّهما اسم لات . قال : كما تقول ليس من رِجل قائما، والخبر محذوف . هذا كلامه .

وقوله : « وعن القراءة بالجواب الأوّل ». وهذا الجواب لايصحُّ هنا أيضاً لما بيَّنّاه.

وقوله : « وتوجيهه أنّ الأصل حين مناصِهم الخ » وهذا الأصل لا يصحُّ ، لأنّ معمول لات لا يجوز إضافته إلاّ إلى نكرة .

ودعوَى أنّ المضاف وهوحين اكتسب البناء من المضاف إليه ، ففيها أنّ شرط اكتساب البناء بالإضافة في مثله أن يكون المضاف زماناً مبهماً ، والمضاف إليه إما إذْ ، أو فعل ، أو جملة اسمية ؛ ومناص ليس واحداً منها . ثم إنّ البناء إنّما سمع فيما ذكرنا على الفتح لا على الكسر .

ونقل السَّمين في « إعرابه » عن الأخفش أنّه خرّج البيت على حذف مضاف ، أي : ولات حين أوان ، فبقي المضاف إليه مجروراً بعد حذف المضاف . وردّ عليه مكّي بأنّه كان ينبغي أن يقوم المضاف إليه مقام المضاف .

وأجاب عنه السَّمين بأنّ بقاء مثله على الجرّ قليل ، ومنه قراءة من قرأ[1] : « واللَّهُ يُرِيدُ الآخِرةِ » بجرّ الآخرة .

أقول : تقدير هذا المضاف لا قرينة تدلُّ عليه ، وإنْ صحّ إضافة حين إلى أوان بجعل الحين عامّاً والأوان خاصّاً بحمله على أوان الصلح .

ثم قال السمين : وقال الزجّاج : الأصل ولات أواننا ، فحذف المضاف إليه فوجب ألاّ يعرب ، وكسره لالتقاء الساكنين . قال أبو حيّان : ومنه أخذ الزمخشريّ قوله أصله ولا أوان صلح .

---

(١) سورة الأنفال : ٦٧/٨ .

وقراءة الجر هي قراءة سليمان بن جماز المدني . تفسير أبي حيان ٥١٨/٤-٥١٩ .

أقول : عبارة الزجاج في « تفسيره » : ومن خفض جعلها مبنيّة مكسورة لالتقاء السّاكنين ، كما قالوا فداء لك فبنوه على الكسر . ولما قال ولات أوان جعله على معنى ليس حين أواننا ، فلمّا حذف المضاف إليه بنى على الوقف ثم كسر لالتقاء الساكنين . والكسر شاذّ شبيه بالخطأ عند البصريّين . انتهى .

وهذا البيت من قصيدة لأبي زُبيدٍ الطّائيّ النّصرانيّ . سببها ما حكاه أبو عمرو الشيبانيّ وابن الأعرابيّ قالا : نزل رجلٌ من بني شَيبان اسمه المُكّاء[1] برجلٍ من طيّئ ، فأضافه وسقاه ، فلمّا سكر وثب إليه الشّيبانيُّ بالسيف فقتله وخرج هارباً .

وافتخر بنو شَيبان بذلك ، فقال أبو زُبيد هذه القصيدة . وهذه أبيات منها[2] : (الخفيف)

خبّرتنا الرّكبانُ أنْ قَدْ فَرحتمْ ... وفَخرتمْ بضَرْبَةِ المُكّاءِ
ولعَمْري لعَارُها كانَ أدنَى ... لكُمْ مِنْ تُقَى وحُسنِ وفَاءِ
ظَلَّ ضَيفاً أخوكُمُ لأخينَا ... في صَبُوحٍ ونَعمةٍ وشِواءِ[3]
لَمْ يَهب حُرْمَةَ النَّديم -وحقَّتْ- ... يا لَقَومي لِلسَّوءَةِ السَّوْآءِ[4]

---

(١) في حاشية طبقات فحول الشعراء لابن سلام ص٦٠٣ : " قال ابن الكلبي : " إنما قال المكاء للضرورة في الشعر". ونسبه فقال : الممكّا بن هميز بن حندل بن عمرو بن الحارث بن ذهل بن شيبان " . وذكر قصة أخرى غير هذه القصة ..." .

وأورد ابن سلام القصة بتفصيل أوضح ، وهذه هي : " ... أن رجلاً من طيئ من بني حية - جد أبي زبيد الأعلى - نزل به رجلٌ من بني الحارث بن ذهل بن شيبان ، يقال له المكاء ، فذبح له شاةً وسقاه من الخمر . فلما سكر الطائي قال : هلم أفاخرك : أبنو حية أكرم أم بنو شيبان ؟ فقال له الشيباني : حديثٌ حسنٌ ومنادمة كريمة ، أحبّ إلينا من المفاخرة . فقال الطائي : والله ما مدّ رجلٌ قطّ يداً أطول من يدي ، فقال الشيباني : والله لئن أعدتها لأخضبها من كوعها . فرفع الطائي يده ، فخضبها من كوعها . فقال أبو زبيد " .

(٢) الأبيات في ديوان أبي زبيد ص٥٨١-٥٨٥ ؛ وسمط اللآلئ ص١٢٦ ؛ وشرح شواهد المغني ص٦٤٠ ؛ والمقاصد النحوية ٢/١٥٧-١٥٨ .

(٣) البيت لأبي زبيد الطائي في تاج العروس (سوأ) ؛ وتهذيب اللغة ١٣/١٣١ ؛ وطبقات فحول الشعراء ص٦٠٤؛ ولسان العرب (سوأ) ؛ والمعاني الكبير ١/٤٦٢ .

(٤) البيت لأبي زبيد في أساس البلاغة (سوأ) ؛ وتاج العروس (سوأ) ؛ وتهذيب اللغة ١٣/١٣١ ؛ وطبقات فحول الشعراء ص٦٠٤ ؛ ولسان العرب (سوأ) ؛ والمعاني الكبير ص٤٦٣ ؛ ومقاييس اللغة ٣/١١٣ . وهو بلا نسبة في لسان العرب (هيب) .

فاصْدُقوني وقد خَبَرتم وقد ثا بَتْ إليكُمْ حوائِبُ الأنبَاء[١]
هَلْ علمتُم منْ معشَرٍ سَافَهُونَا ثُمَّ عاشُوا صفحاً ذَوي غُلَواءِ
كَمْ أزالَت رمَاحُنا منْ قَتيلٍ قَاتَلُونا بنَكبةٍ وشَقَاءِ
بعثُوا حربَنا إليهم وكانُوا في مقَامٍ لَوْ أبصرُوا ورَخَاءِ
ثُمَّ لمَّا تَشَذَّرَتْ وأنافَتْ وتَصلَّوْا منْها كَرِيْهَ الصِّلاءِ
طلبُوا صُلحَنا ولاتَ أوانٍ فأجَبْنا أنْ لَيسَ حِينَ بَقَاءِ[٢]
ولعَمْري لَقَدْ لَقُوا أهلَ بَأْسٍ يَصْدُقونَ الطِّعانَ عِندَ اللِّقَاءِ
ولقَد قَاتلُوا فمَا جبُنَ القَوْ مُ عَنِ الأُمَّهَاتِ والأبْنَاءِ

إلى أن قال :

فاصْدُقُونِي أسُوقَةٌ أمْ مُلُوكٌ أنْتُمُ والمُلوكُ أهْلُ عَلاءِ
أبدِيءٌ أنْ تقتلُوا إذْ قَتَلْتُمْ أمْ لكُمْ بَسْطَةٌ على الأكْفَاءِ
أمْ طَمِعْتُمْ بأنْ تُريقُوا دِمَانَا ثمّ أنتُمْ بنَجْوَةٍ في السَّماءِ
فلَحَا اللَّهُ طَالِبَ الصُّلْحِ منَّا ما أطَافَ المُبِسُّ بالدَّهناءِ[٣]
إنَّنا مَعْشَرٌ شَمائِلُنا الصَّبْـ ـرُ ودَفْعُ الأسَى بحُسنِ العَزَاءِ
ولَنَا فَوقَ كُلِّ مَجْدٍ لِوَاءٌ فَاضِلٌ في التَّمَامِ كُلَّ لِوَاءِ
فَإذا مَا اسْتَطَعْتُمُ فاقْتُلُونَا مَنْ يُصَبْ يُرْتَهَنْ بِغَيرِ فِدَاءِ

« المُكّاء » ، بضم الميم وتشديد الكاف : اسم الشيبانيّ القاتل . و« عارها » : عار الضَّربة .

وقوله : « لم يهب حرمة النّديم الخ » ، أورده صاحب الكشَّاف عند قوله تعالى[٤] : « كَيْفَ يُوَارِي سَوْءَةَ أخيهِ » على أنَّ السوءَة ما يقبح كشفه . و« السَّوءَة

(١) البيت لأبي زيد في أساس البلاغة (حوب) ؛ وجمهرة اللغة ص١٠١٧ .

(٢) سبق تخريج الشاهد النحوي .

(٣) البيت لأبي زيد في أمالي القالي ٢٣٢/١ ؛ وحماسة البحتري ص١٣١ ؛ وسمط اللآلئ ص٥٢٨ . وهو بلا نسبة في جمهرة اللغة ص٦٩ ؛ ومقاييس اللغة ١٨١/١ .

(٤) سورة المائدة : ٣١/٥ .

السَّوْآءُ » ، على وزن الليلة الليلاء : الخَصْلة القبيحة . و« يَهبْ » : مِن الهَيبة والخوف .

والمعنى : أنه لم يُعْظِمْ حرمة الصاحب ، وحقَّت تلك الحرمة بأن تهاب . ثم نادَى قومه ليعجِّبهم من النظر إلى هذه الفضيحة التي هي هتك حرمَة النديم .

وروي : « ولكن » بدل قوله : « وحقَّت » . وقد وقع العجز شاهداً في الكشَّاف ، قال الطِّيبيّ: إنّي لم أظفر بصدره ولا بقائله .

و« جوائب الأنباء »:جمع جائبة ، من الجَوْب وهو القطع . قال في «الصحاح»: يقال هل جاءكم جائبةُ خبر ، أي : خبر يجوب الأرضَ من بلد إلى بلد .

وقوله : « سافهونا » ، من السَّفَه وهو ضدُّ الحلم . و« صفحاً » : إعراضاً عنهم . و«ذوي»: حال من الواو في عاشُوا . و« الغُلَواء » بضم المعجمة : النشاط ومرح الشباب .

وقوله : « لو أبصروا » ، « لو » للتمنّي . و« رخاء » : معطوف على مقام .

و« تشذَّرت » ، بالشين والذال المعجمتين ، قال في « الصحاح » : يقال : تشذَّر فلان : إذا تهيَّأ للقتال ؛ وتشذَّر القوم في الحرب : أي تطاولوا . و« أنافت » : زادت . و« تَصَلَّوا » : من صَلِيَ بالنار صَلًى ، من باب تعب : وجدَ حرَّها . و«الصِّلاء » كتاب : حرّ النار .

وقوله : « طلبوا صُلحنا الخ » هو جواب لَمَّا . ومن العجائب قول العينيّ : طلبوا فعل وفاعله مستتر فيه ، ولات أوان في محل الحال من الصلح .

وقوله : « فأجبنا » معطوف على طلبوا ؛ وأن مصدريّة يقال : أجابه بكذا . وقال السيوطيّ : هي تفسيريّة. و« حين » خبر ليس أي : ليس الحين حين بقاء . و«البقاء» : اسم من قولهم أبقيت على فلان إبقاء : إذا رحمته وتلطّفت به . والمشهور أنّ الاسم منه البُقيا بالضم ، والبَقْوى بالفتح .

وقال العينيّ وتبعه السّيوطيّ : المعنى بقاء الصلح .

وقوله : « أبديءٌ » ، الهمزة للاستفهام الإنكاريّ ؛ و« بديء » بالهمز كبديع وزناً ومعنى . و« تُقتَلوا » بالبناء للمفعول ، و« قَتَلتم » بالبناء للفاعل .

وقوله : « ثمَّ أنتم بنَجوة الخ » ، « النَّجوة » بفتح النون وسكون الجيم : المكان المرتفع .

وقوله : « فلحا اللّه » ، أي : قبحَ اللّه .

وقوله : « ما أطاف الخ » ، « ما » : مصدرية ظرفيَّة . وأطاف وطاف بمعنى دار حول الشيء . و« المُبسّ »: حادي الإبل ، وهو في الأصل اسم فاعل من أبسَسْتُ الإبل : إذا زجرتَها . و« الدَّهناء » : موضع في بلاد بني تميم .

و« يُصَبْ ويُرْتَهَنْ » كلاهما بالبناء للمفعول .

و« **أبو زُبيد** » اسمه المنذر بن حرملَة[١] من طيّئ . قال أبو حاتم في « كتاب المعمَّرين»[٢] وابن قتيبة في « كتاب الشعراء »[٣] وغيرهما : عاش أبو زُبيد مائة وخمسين سنة ، وكان نصرانيّا ومات على نصرانيّته .

وألحقه الجمحيُّ بالطبقة الخامسة من شعراء الإسلام[٤] وكان أعورَ آدمَ طُوَالاً : طولُه ثلاثةَ عشر شِبراً . وكان من زُوَّار الملوك وخاصَّةً ملوكَ العَجم . واستعمله عمرُ ابن الخطّاب على صدَقات قومهِ و لم يَستعمل نَصرانيَّاً غيرَه . وكان عثمان بن عفّان يُقرِّبُه ويُدني مجلِسَه .

وكان مُغرًى بوصف الأسد بعبارات مهولة تُزعج السّامع ، حتّى كأنّه يُشاهد الأسد في حضوره ؛ فقال له عثمان رضي اللّه عنه ، يوماً : إنّي لأَحْسَبُكَ جَبَاناً . فقال : كلاّ يا أمير المؤمنين ، ولكن رأيت منه منظراً وشَهِدتُ منه مَشْهَداً لا يَبرَحُ ذِكره يتردَّد ويتجدَّد في قلبي ! .

---

(١) في حاشية الطبعة السلفية ١٤٣/٤ يقول الميمني : " تبع البغدادي في هذا ابن قتيبة في الشعراء ١٦٧ والمعمرين ليدن ٩٨ والعيني ٢: ١٥٦ . والمعروف بالعكس – أي حرملة بن المنذر – " .

وهو شاعر مخضرم ، من بني عمرو بن الغوث ، استعمله عمر بن الخطاب على صدقات قومه ، ولم يستعمل نصرانياً غيره . جعله ابن سلام في الطبقة الخامسة من فحول الإسلاميين . مات في خلافة معاوية .

انظر في ترجمته وأخباره مقدمة ديوانه ص٥٦٠ ؛ والأغاني ١٢٧/١٠ ؛ وسمط اللآلئ ص١١٨ ؛ والشعر والشعراء ص٢١٩ ؛ وطبقات فحول الشعراء ص٥٩٣ .

(٢) المعمرون ص١٠٨ .

(٣) الشعر والشعراء ص٢١٩ .

(٤) طبقات فحول الشعراء ص٥٩٣ .

ثمَّ وصَفَ ما شاهد منه - ونَقَل كلامَه برمَّته صاحبُ الأغـاني - إلى أن قـال لـه عثمان رضي اللّه عنه : اسكتْ قَطَع اللّهُ لسانك ، قد أرعبتَ قلوب المؤمنين !

وقال الطّبريُّ[1] : كان أبو زيد في الجاهليّة مقيماً في أخواله بني تغلب بـالجزيرة ، وفي الإسلام منقطعاً إلى الوليد بن عقبة بن أبي مُعَيط في ولاية الجزيرة وولاية الكوفة ، و لم يزل به الوليد حتّى أسلم وحسُن إسلامه .

هذا كلامه ، وهو خلاف ما قال العلماء : أنّه مات على نصرانيّته .

قال صاحب الأغاني : ولّما وفد أبو زُبيد إلى الوليد بن عقبَـة أيـام ولايتـه الكوفـة أنزله دار عقيلٍ بن أبي طالب ، على باب المسجد ، فاستوهبها منه فوهبها له ؛ فكـان ذلك أوّل ما طُعن به على الوليد ، لأنّ أبا زبيد كان يخرج منها إلى الوليد فيسمُر عنده ويشرب معه ، ويشقّ الجامع وهو سكران ؛ فلما شُهِد على الوليد بشرب الخمر عزلـه عثمانُ عن الكوفة وحدَّه في الخَمر .

وقال ابن قتيبة : ولما اعتزلَ الوليدُ بن عقبَة عليّاً[2] ومعاوية صار إلى الرَّقّة ، وكان أبو زبيد ينادمه .

وقال صاحب الأغاني : ومات الوليد قبل أبي زبيد ، فمرَّ أبو زبيد بقـبره فوقـف ثم قال[3] : (الكامل)

يا هَـاجِـرِي إذْ جئـتُ زَائـــرَهُ	ما كـانَ منْ عـادِاتِكَ الـهَجْرُ
يا صاحبَ القبرِ السَّـلامُ علَى	من حَـالَ دونَ لقـائِــهِ القَبْـرُ

ثم انصرف . وكان يجيء إلى قبره ، فيشرب عنده ، ويصبُّ الشـراب علـى قـبره ويبكي. وبقي أبو زُبيد إلى أيام معاوية .

قال أبو حاتم وغيره : كان يجعل له في كل يوم أحد طعامٌ كثير ، ويهيَّأ له شرابٌ كثير ، ويذهب أصحابه يتفرَّقون في البيعة ، ويحملنه النساءُ ، فيضعنه في ذلك المجلس ، فيشرب والنّصارى حوله ؛ فجاءه الموت فقال[4] : (الطويل)

---

(١) تاريخ الطبري ٦٠/٣ . في حوادث سنة ٣٠ هجرية .

(٢) في طبعة بولاق والنسخة الشنقيطية : " علي " . وهو تصحيف صوابه من الأغاني والشعر والشعراء .

(٣) البيتان في ديوانه ص٦١٦ ؛ والأغاني ٣٧/١٢ .

(٤) الأبيات في ديوانه ص٦٦١ ؛ والأغاني ٣٧/١٢ ؛ والشعر والشعراء ص٢٢١ ؛ والمعمرين ص١٠٨ .

إذا جُعِلَ المرءُ الذي كان حَازِماً ... يُحَلُّ بِهِ حَلَّ الحُوارِ ويُحملُ[1]
فليسَ لهُ في العيشِ خيرٌ يُريدُهُ ... وتكفينُه مَيتاً أعفُّ وأجملُ
أتاني رَسُولُ الموتِ يا مَرحباً بِهِ ... لآتيَه وسَوفَ واللَهِ أفعلُ

ثم مات فجاءه أصحابه فوجدوه ميتاً ، فدفن على البُلَيخ ، وهو موضع إلى جانب قبر الوليد بن عقبة . وفي ذلك يقول أشجعُ السُّلَميُّ وقد مرَّ بقبرهما[2] : (الوافر)

مررتُ على عظامِ أبي زُبيدٍ ... وقَدْ لاحَتْ بِبَلْقَعَةٍ صَلودِ
وكانَ لَهُ الوليدُ نديمَ صِدْقٍ ... فنَادمَ قَبرُهُ قبرَ الوَليدِ

* * *

وأنشد بعده :

* ألا رَجُلٍ *

على أنّ رجلاً مجرور بمن المقدّرة . وهو قطعة من بيت ، وهو :

ألا رَجلٍ جَزَاهُ اللّهُ خَيراً ... يدلُّ على محصِّلَةٍ تَبيتُ

وتقدّم شرحه في الشاهد الثالث والستين بعد المائة[3] .

وذكر الشارح المحقّق هناك أن « رجل » يروى « ألا رجلاً » وبالرفع وبالجرّ .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثالث والثمانون بعد المائتين[4] : (الكامل)

---

(١) في طبعة بولاق : " حال الحوار " . وهو تصحيف صوابه من المصادر السابقة الذكر .

(٢) البيتان لأشجع السلمي في ديوانه ص ٢٠٤ ؛ والأغاني ١٤٦/٥ ؛ وأدب الندماء ولطائف الظرفاء لكشاجم ص٥٠ .

(٣) الخزانة الجزء الثالث ص٥٠ .

(٤) هو الإنشاد السابع والعشرون بعد الثمانمائة في شرح أبيات المغني للبغدادي .

والبيت لشبيب بن جعيل في الدرر ٢٤٤/١، ١١٩/٢ ؛ وشرح أبيات المغني ٢٤٧/٧ ؛ وشرح شواهد المغني ص٩١٩ ؛ والمؤتلف والمختلف ص٨٤ ؛ والمقاصد النحوية ٤١٨/١ ؛ ولحجل بن نضلة في الشعر والشعراء ص١٠٢ ؛ =

٢٨٣- حنَّتْ نَـوَارُ ولاتَ هَنَّـا حَنَّـتِ
وبَـدا الـذي كـانَـتْ نَـوَارُ أَجَنَّـتِ

على أنّ « هنّا » في الأصل للمكان ، استعير للزمان ، وهـو مضـاف إلى الجملة الفعلية ، وهو حنت .

يريد أن « لات » مـع « هنّـا » عاملـة عمـل ليس أيضـاً لا مهملـة ، وإلاّ لما احتاج إلى هذا التـأويل في « هنّـا » . واعلـم أنّ « هنّـا » بفتـح الهـاء وكسـرها مـع تشديد النون ، حكاهما السيرافيّ وقال : الكسر رديء .

ووهم العينيّ هنا فضبط الهاء بالضم، وتبعه السيوطيّ في «شرح شواهد المغني» . وهي عند أهل اللغة قاطبة اسم إشارة للقريب ، وعند ابن مالك للبعيد .

قال صاحب الصحاح : هَنّا بالفتح والتشديد معناه هاهنا ، وهَنّاك أي : هُنـاك . قال[1] : (الرجز)

لـمَّـا رأيـتُ مِحمَلَيْهـا هَنَّـا مـحـدّريـن كـدتُ أَنْ أُجَنَّـا

ومنه قولهم : تجمّعوا من هَنّا ومن هَنّا ، أي : من ها هنا ومن ها هنا . انتهى .

ومن لازم اسم الإشارة التعريف ، وعدم إضافته إلى شـيء ، وقـد ورد في الشعر كثيراً لات هَنّا ، فالتزمَ أبو عليّ الفارسيّ وتبعه ابن مالك إهمال لات ، لأنّها لا يصحّ إعمالها في معرفة ومكان ، وقالا : إذا دخلت لات على هنّا كانت مهملة وكانت هَنّا منصوبة على الظرف في موضع رفع على الخبر لمبتدأ بعدها ، سواء كان اسمـاً نحـو[2] : (الخفيف)

* لاتَ هَنّا ذكرَى جُبيرة *

= وهو بلا نسبة في تخليص الشواهد ص١٣٠ ؛ وتذكرة النحاة ص٧٣٤ ؛ والجنى الداني ص٤٨٩ ؛ وجواهر الأدب ص٢٤٩ ؛ وشرح الأشموني ٦٦/١ ، ١٢٦ ؛ ومغني اللبيب ص٥٩٢ ؛ وهمع الهوامع ٧٨/١ ، ١٢٦ .

(١) الرجز للأعور الشني في تاج العروس (بني) ؛ ولسان العرب (سنن ، بني) . وهو بلا نسبة في تاج العروس (هنا)؛ ولسان العرب (هنا) .

(٢) قطعة من بيت للأعشى ؛ وتمامه :

لات هنا ذكرى جبيرة أم من جـاء منهـا بطائف الأهـوال

والبيت في ديوان الأعشى ص٥٣ .

وأورد عليه ابن هشام في « المغني ، وفي شرح شواهده » أنّ فيه الجمع بين معموليها ، وإخراج هنّا عن الظرفيَّة ، وإعمال لات في معرفة ظاهرة ، وفي غير الزمان - وهو الجملة النائبة عن المضاف وحذف المضاف إلى جملة . انتهى .

وذهب بعض شرّاح المفصَّل إلى أنّ هنّا خبر لات واسمها محذوف ، وأنّ هنّا بمعنى الحين ، والتقدير ليس الحين حين حنينها .

وهذا مراد الشارح المحقّق : فقوله : « إنّ هنّا في الأصل للمكان استعير للزمان » قصد به الردُّ على أبي عليّ ومن تبعه ، بأنّ هنّا ليست على أصلها حتّى يلزم المحذور ، بل قد استعيرت للزمان فهي ظرف بمعنى حين ، وكان أصلها الإشارة للمكان ، فتوسِّع فيها فجعلت مجرَّدة للزمان .

والمعنى[1] في جميع ما ورد شاهد له ، فتبقَى لات على ما عهد لها من العمل عند سيبويه ومن تبعه ، والاستعارة هنا بمعنى التوسُّع .

وقوله : « وهو مضاف إلى الجملة » أراد به الردَّ على ابن عصفور : بأنّ هَنّا خبر لات لا اسمها ، وأنّها مضافة إلى الجملة بعدها ، لا أنَّ الجملة خبر لات بتقدير مضاف .

والشارح المحقّق قد أخذ كلامه هذا من الإيضاح لابن الحاجب ، فإنّه قال في فصل إضافة أسماء الزمان إلى الجمل : هَنّا في قوله : ولات هنّا حنّت ، البيت ، محمول على الزمان لأمور :

أحدها : أنّ لا التي لنفي الجنس المكسوعة بالتّاء لا تدخل إلاّ على الأحيان .

والثاني : أنّ المعنى إنكار الحنين بعد الكبر ، وذلك إنّما يتحقّق بالزمان لا بالمكان .

والثالث : أنّه لو جُعل للمكان لم يصحَّ إضافته إلى الفعل ، إذ لم يُضَفْ من أسماء المكان إلى الأفعال إلاّ الظروفُ غير المتمكّنة كحيث . انتهى .

وقد ذهب ابن الخبَّاز أيضاً في « النهاية » إلى أنّ هَنّا مضافَةٌ إلى الجملة بعدها . نقله عنه ابن هشام في « شرح شواهده » ، وردّه بأن اسم الإشارة لا يضاف . وهذا الردُّ غير متّجه ؛ فإنّ من يجعلها مضافة إلى الجملة كالزمخشريّ في « المفصَّل » لم يقل

---

(١) في النسخة الشنقيطية : " والعيني في جميع ..." . وهو تصحيف .

إنّها اسم إشارة مضافة إلى الجملة ، إذ[١] من القواعد أنّ أسماء الإشارة لا تصحّ إضافتها إلى شيء ، وإنّما هي عنده مجرّدة لمعنى الحين .

وبما ذكرنا يسقُط أيضاً توقُّف الدَّماميني في « شرح التسهيل » عندما نقل كلام الشارح هناك وقال : قوله : « وهو مضاف إلى الجملة » إن كان مع التزام أنه اسم إشارة فمشكل ، لأنه لا يضاف ، وإن كان مع ادّعاء التجرّد عنها فيحتاج إلى نقل اهـ.

ومنه تعلم فساد كلام الشاطبيّ أيضاً وجعلِهِ هَنّا اسمَ إشارة للزمان مع إعمال لات ، فإنّه قال : فإن قيل من شرط لات عملُها في زمان منكّر .

وقولُهم ولات هَنّا حنّتِ ونحوُه ، هَنّا فيه معرفة وهي إشارة للمكان .. فالجواب أنّ هَنّا لا تختصُّ بالإشارة إلى المكان ، بل قد يراد بها الزمان ؛ ومن ذلك هذه المواضع؛ فإنّ معناها الإشارة إلى الزمان ، أي : ذكرى جُبَيرة ليس في هذا الزمان ، وحنينها ليس في هذا الوقت . وأمّا عملها في المعرفة فإنّها عند ابن مالك غير عاملة في هذه المواضع اهـ .

فإن قلت : كيف التزم الشارح المحقّق أن تضافَ هَنّا إلى الجملة وقد وقع بعدها المفرد في قول الأعشى[٢] : (الخفيف)

لاتَ هَنّا ذِكْرَى جُبَيرَةَ أم مَنْ ... جَاءَ منها بطَائِفِ الأهوالِ

وفي قول الطِّرِمّاح[٣] : (الخفيف)

لاتَ هَنّا ذِكْرى بُلَهنيةِ الدَّهـ ... ـرِ وأنّي لذِي السِّنينَ المَواضِي

« قلتُ » : ذكرى مفعول مطلق عامله محذوف ، أي : لات هنّا أذكر ذِكرَى جُبَيرة ، فالجملة محذوفة مع بقاء أثرها .

و«الحنين» : الشوق ونزاع النفس إلى الشيء . والتاء من حنّت وأجنّت مكسورة

(١) في النسخة الشنقيطية : " للعلم من القواعد ..." .

(٢) البيت في ديوانه ص٥٣ .

ولات هنا ، أي : ليس وقت ذكرها .

(٣) البيت في ديوان الطرماح ص٨٠ ؛ وجمهرة أشعار العرب ص٧٩٦ .

والبلهنية : الرخاء والنعمة . قال : ليس حين أن تذكر ما مضى من دهرك وما كنت فيه من الرخاء والنعمة .

للوزن . و« نَوَار »: فاعل حنّت مبنيٌّ على الكسر في لغة الجمهور وعند تميم مُعْرب لا ينصرف ، وهو من أسماء النساء مأخوذ من نارت المرأة تَنُور : إذا نفرَت من الريبة ؛ وجمع نَوَار نُور بالضم . وجملة « ولات هنّا حنّت » حال من نوار .

قال ابن هشام : وتكون حالاً إذا وقعت بعد الواو . و« بَدَا » بمعنى ظهر . و«نَوار» الثاني قد وضع موضع الضمير . و« أجنّت » بالجيم : أخفت وسترت .

وبعد هذا البيت بيت ثانٍ لا ثالث له ، وهو[1] : (الكامل)

لما رأت مَاءَ السَّلَى مشرُوباً والفرثُ يُعصَر في الإنَاءِ أرنّتِ

و« السَّلَى » بفتح السين المهملة والقصر ، هي الجلدة الرقيقة التي يكون الولدُ فيها من المواشي ، وهي المشيمَة له .و« الفَرْث » ، بالفتح : السِّرجين ما دام في الكَرِش .

و« أرنّت » من الرَّنّة وهو الصوت ؛ يقال : رنّت تَرِنّ رَنيناً وأرنّت إرناناً : إذا صاحت . وإنما صاحت نَوارِ وبكت لأنّها تيقّنت في تلك المفازة الهلاكَ ، حيث لا ماءَ إلاّ ما يُعصَر من فَرث الإبل ، وما يخرج من المَشِيمة من بطونها .

وهذان البيتان اختُلف في قائلهما :

فقيل : شَبيب بن جُعَيل التَّغْلَبيّ ، وهو جاهليّ . وإليه ذهب الآمديّ في «المؤتلف والمختلف» قال[2] : وشبيب هذا كان بنو قُتيبة[3] الباهليُّون أسروه في حرب كانت بينهم وبين بني تغلِب ، فقال شبيب هذين البيتين لما رأى أمّه نوار أرنّت ، وهي بنت عمرو بن كلثوم .

---

(١) البيت لحجل بن نضلة في الشعر والشعراء ص٣٩-٤٠ ؛ ولسان العرب (سلا) . ولشبيب بن جعيل التغلبي في شرح أبيات المغني ٧/٢٤٧ ؛ والمؤتلف والمختلف ص١١٥ .

(٢) المؤتلف والمختلف ص١١٥ .

(٣) في طبعة بولاق والسلفية والشنقيطية وهارون : " قنينة " بنونين . كذا ضبطها البغدادي ؛ وكذلك في شرح أبيات المغني .

وفي الاشتقاق ص٢٧١ ؛ وجمهرة أنساب العرب ص٢٤٥ ؛ والمؤتلف والمختلف ص١١٥ : " بنو قتيبة " . وهو الصواب . ولم نعثر في كتب الأنساب على بني قنينة ولعل البغدادي سهى ، والله أعلم . وفي الاشتقاق : " وقتيبة تصغير قتب البطن . والأقتاب : الأمعاء " . وهم بنو قتيبة بن معن بن مالك بن أعصر ، وهم باهلة .

وقيل : هو حَجْل بن نَضْلة ؛ وهو جاهليّ أيضاً . وهو قول أبي عُبيد[1] ، وتبعه ابن قُتيبة في « كتاب الشعراء »[2] وأبو عليّ في « المسائل البصرية » قالوا : قالهما في نوار بنت عمرو بن كُلثوم لمّا أسرها يوم طَلْح ، فركب بها الفلاةَ خَوفاً من أن يُلحَق. والله أعلم .

ومنه تعرف أنّه لا وجه لقول ابن الحاجب المتقدِّم هُنا : إنّ معنى البيت إنكار الحنين بعد الكبر ، وذلك إنّما يتحقّق بالزمان لا بالمكان .

قال ابن قتيبة والآمدي[3] : قد نقص حرف من فاصلة البيت الثاني ، وبعض الناس[4] يسمّون هذا إقواء ، لأنه نقص من عروضه قُوّة ، وكان يستوي البيت بأن يقول متشرَّباً .

يقال أقوى فلان الحبلَ : إذا جعل إحدى قواه أغلظ من الأخرى . والمشهور أنَّ الإقواء – كما قال أبو عمرو بن العلاء – هو اختلاف الإعراب في القوافي : وذلك أن تكون قافية مرفوعة ، وأخرى مجرورة . وبعض الناس يسمِّي هذا الاختلاف الإكفاء اهـ .

و« جُعيل » بضم الجيم وفتح العين المهملة . و« التَّغلَبيّ » بالمثنّاة من فوق بعدها غين معجمة . و« قُنَينَة » بضم القاف ونونين[5] .

و« عَمرو بن كلثوم » هو صاحب المعلّقة إحدى المعلقات السبع ، وقد تقدَّمت ترجمته[6] .

---

(١) كذا في جميع أصول طبعات الخزانة : " أبي عبيد " . وهو في شرح أبيات المغني : " أبي عبيدة " .

(٢) الشعر والشعراء ص٣٩ .

(٣) ابن قتيبة في كتابه الشعر والشعراء ص٣٩ ؛ والآمدي في كتابه المؤتلف والمختلف ص١١٥ .

(٤) في حاشية الطبعة السلفية ١٤٩/٤ : " بعض الناس هو أبو عبيد ، ولكن الخليل كان يسميه " المقعد " ، وقد تكلم على هذا العيب بما لا مزيد عليه أبو العلاء في شرح قول الربيع بن زياد العبسي :

أفبعد مقتل مالك بن زهير ترجو النساء عواقب الأطهار "

وفي العمدة ١٤٣/١ : " ومن الترحيف في الأوساط الإقعاد ، وهو أن تذهب مثلاً نون متفاعلن أو مستفعلن في عروضه الضرب الثاني من الكامل ، وتسكن اللام ، فيصير عروضه كضربه : فعلاتن أو مفعولن كما قال الشاعر .. أفبعد مقتل .." .

(٥) لعله سهو من البغدادي ، فلقد بينا آنفاً تصحيف ذلك بالعودة إلى كتب التراجم .

(٦) الخزانة الجزء الثالث ص١٧٤ .

و« حَجْل » بفتح المهملة وسكون الجيم . و« نَضْلة » بفتح النون وسكون الضاد المعجمة .

﴿ تتمة ﴾

قال بعض فضلاء العجم في « شرح شواهد المفصَّل » عند شرح هذا البيت : نوار اسم لابنة عبد شمس ، وكانت قد عشقت ملكاً ، فهمَّ الملك بأن يُوقع بعبد شمس، فشعرَت نوار بذلك وآذنت أباها ، فقال رجل من أقربائها : حنَّت نوار ، أي: اشتاقَت إلى من تحبّه ، وليس الوقت وقتَ الحنين والاشتياق إليه ، لظهور العداوةِ بيننا؛ وظهر الذي كانت هذه المرأة أجنّته وسترته من الاشتياق .

هذا كلامه ، وهو خطأ فاحش ، وما قاله شرحٌ لمثل[1] : وهو « حَنَّت ولات هَنَّت وإنّي لكِ مقروع » .

وقد خبط خبط عشواء أيضاً في بيانه كما يعلم وجهه مما سيأتي .

وهذا المثل أورده الجوهريّ في « مادة ليت ، وفي مادة هنن[2] » وزعم أنه شعر ، وليس كذلك وإنما هو نثر . قال : يقال : هَنَّ يَهِنّ هَنيناً ، أي : حنَّ .

وذكره أبو عُبيد في « أمثاله » ، والرواية عنده حنّت ولات هنّت إلى آخره ، قال: يضرب مثلاً لمن يتّهم في حديثه ولا يصدق .

وأوّل من قاله مازن بن مالك بن عمرو بن تميم ، لابنة أخيه الهَيْجمانة بنت العنبر ابن عمرو بن تميم حين أخبرت أباها أنَّ عبد شمس بن سعد بن زيد مناة يريد أن يغير عليهم ، فاتّهمها مازن ، لأن عبد شمس كان يهواها وكانت تهواه ، فقال مازن هذه المقالة . انتهى كلامه .

وأورده صاحب اللباب للردّ على أبي عُبيد في زعمه أن تاء لا تحين من الحين . قال شارحه الفَالي : وجه الاستدلال أنّ التاء دخلت مع لا على هنّت ، فليس جزءاً من الحين ؛ وهنّت بمعنى حنّت ؛ و« مقروع » : لقب عبد شمس بن سعد ، وفيه

---

(١) المثل في أمثال العرب ص٧٩ ؛ وزهر الأكم ١٤٣/٢ ؛ وفصل المقال ص٣٧ ؛ وكتاب الأمثال ص٤٨ ؛ وكتاب الأمثال لمجهول ص٥٦ ؛ ولسان العرب (قرع ، هنأ) ؛ والمستقصى ٣٨٥/١ ، ٦٦/٢ ؛ ومجمع الأمثال للميداني ١٩٢/١ . وسيذكر البغدادي لاحقاً شرحاً للمثل .

(٢) في جميع طبعات الخزانة : " مادة هنت " . وهو تصحيف والصواب ما أثبتناه .

يقول مازن بن مالك في الهَيْجُمانة بنت العنبر بن تميم .

حنَّت ولات هَنَّت [وأنِّي لكِ مقروعُ[1]] ، وهو مثل ؛ وأصله أنَّ الهَيجُمانة بنت العنبر كانت تعشق عبد شمس – وكان يلقّب بمقروع – فأراد أن يغير على قبيلة الهَيْجُمانة ، وعلمت بذلك فأخبرت أباها ، فقال مازن : « حنَّت ولات هنَّت » ، أي: اشتاقت وليس وقتَ اشتياقها . ثمّ رجعَ من الغيبة إلى الخطاب فقال : « وأنَّي لكِ مَقروع » أي : من أين تظفَرين به . يضرب لمن يحنّ إلى مطلوبه قبل أوانه . انتهى.

وفي هذا المثل شيءٌ لم يُتنبَّه له ، وهو أنّ لاتِ فيه لا اسم لها ولا خبر ، لأنّها دخلت على فعل ماض فتكون مهملة كما تقدَّم .

وقول صاحب القاموس تبعاً لصاحب العباب : لا تكون لات إلاّ مع حين ، وقد تحذف وهي مرادة كقوله : « حنَّت ولات هنَّت وأنَّي لكِ مَقروع » فإن أراد أنَّ الزمان المحذوف معمولها ، فهذا غير صحيح ، لأنه لا يجوز حذف معمولي لات كما لا يجوز جمعهما .

وإنْ أراد أنّها مهملة وأنّ الزمان لا بدَّ منه لتصحيح استعمالها فغير صحيح أيضاً ، لأنّها إذا أهملت دخلت على غير الزمان أيضاً ، كما تقدَّم بيت الأفوه الأوْديّ عن أبي حيّان . واللّه تعالى أعلم .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الرابع والثمانون بعد المائتين[2] : (الطويل)

٢٨٤- أفي أثَرِ الأظْعَانِ عَيْنُكَ تَلْمَحُ
نَعَمْ لاتَ هَنَّا إنَّ قَلْبَكَ مِتْيَحُ

(١) زيادة يقتضيها السياق من النسخة الشنقيطية . وقد أورد ابن منظور في لسان العرب (هنن) المثل مسبوقاً بقوله: قال الشاعر . فهذا يعني أنه جعله شعراً . وهذا يخالف قول البغدادي في هذا السياق .

(٢) البيت للراعي النميري في ديوانه ص٣٤ ؛ وجمهرة اللغة ص ١٠٣٠ ؛ ولسان العرب (هنأ ، تيح ، هنن ، هنا) ؛ ومعجم البلدان (شرف) . وهو بلا نسبة في أدب الكاتب ص٣١٨ ؛ وتذكرة النحاة ص ٧٣٤ ؛ وجمهرة اللغة ص٣٨٧ .

على أنّ « هَنّا » فيه ظرف زمان مقطوع عن الإضافة ، والأصل لات هَنّا تلمح، فحذف تلمح لدلالة ما قبله عليه ؛ فهنّا في موضع نصب على أنّه خبر لات ، واسمها محذوف ، والتقدير ولات الحين حين لمح عينك ، كما حذفت الجملة في قوله[1] :

* لاتَ هَنّا ذكرَى جُبَيرَةَ *

والفرق بينهما : أنّ الجملة حذفت هنا و لم يبق لها أثر ، وفي لات هَنّا ذكرى جُبيرة حذفت الجملة وبقي أثرها ، كما تقدم بيانه في البيت الذي قبل هذا .

فإن قلت : لو كان هَنّا مقطوعة عن الإضافة - كما زعم الشارح المحقّق - لوجب أن يلحقها التنوين عوضاً من المضاف إليه الجُمْليّ ، كما قال هو في باب الإضافة: إنَّ الظروف التي فيها معنى النسبة كقبل وبعد إنْ قطعت عن الإضافة بنيت على الضم ، وإنْ كانت غير ذلك وجب إبدال التنوين عوضاً من المضاف إليه كإذْ وأوانَ .

وقال في شرح بيت لاتَ أوانٍ قبل هذا : ولا يعوَّض التنوين في المبنيات من المضاف إليه إلاّ إذا كان جملة .

قلت : لم يلحق التنوين لأنّ ألف هنّا للتأنيث ، فهو مقدّر فيها .

فإن قلت : أيُّ ضرورة إلى ادّعاء حذف الجملة المضاف إليها هَنّا ، مع أنه لم يقل به أحد ، ولا ابن الحاجب ؟

قلتُ : لّما حقّق أن هَنّا قد تجردت لظرف الزمان ، كان الظرف لا بدَّ له من مظروف ، والنفي في الحقيقة متوجِّه إليه ، ولولا اعتباره لَمَا كان معنًى لقولنا لات هَنّا، إذْ لا فائدة في نفي الظرف .

وهذا المحذوف ملحوظ أيضاً عند من جعلَ هَنّا إشارة للمكان ، فإنّه لا يتم المعنى بدونه ، إذْ لا بدَّ للإشارة من مُشارٍ إليه ؛ فيكون المنفيُّ في الحقيقة هو المشار إليه .

هذا ما أمكنني أن أفهم [في] كلامه في لات هَنّا ، وللّه درُّه ! ما أدقَّ نظره ، وألطف فكره « وفوقَ كلِّ ذي علم عليم » . واللّه أعلم .

---

(١) قطعة من بيت للأعشى في ديوانه ص٥٣ ؛ وتمامه :

لات هنا ذكرى جبيرة أم من جاء منها بطائف الأهوال

وهذا البيت مطلع قصيدةٍ للراعي ، عدَّتها سبعة وخمسون بيتاً ، مدح بها بشرَ بنَ مَرْوان المرْوانيّ .

وبعده[1] :

ظَعَائِنَ مِينَـافٍ إذا مَـلَّ بَلْـدةً   أَقَـامَ الـرِّكـابَ بَـاكِـرٌ متـرَوِّحُ

فقوله : « أفي أثَرِ الأظعَان » الهمزة للاستفهام ، وفي متعلّق بقوله تلمح ، وقدِّم لأنّه هو المستفهَم عنه . و« عينـك » مبتدأ وتلمح خبره . و« الأظعان » : جمع ظَعينَة.

قال ابن الأثير في « النهاية » : الظَّعينة المرأة ؛ وأصل الظَّعينة الرّاحلة الـتي ترحل ويُظْعَن عليها ، أي : يُسار ؛ وقيل للمرأة ظعينة لأنّها تظعَن مع الزوج حيثُما ظعن ؛ أو لأنّها تحمل على الراحلة إذا ظعنت ؛ وقيل الظَّعينة المرأة في الهودَج ، ثمَّ قيل للهودج بلا امرأة ظَعينة ؛ وجمعها ظُعُن ، وظعَائن ، وأظعَان ؛ وظعَن يظعَن ظَعناً بالتحريك : إذا سار . انتهى .

و« اللَّمح » : الإبصار الخفيف ، قال صاحب « الصحاح » : لمحه وألمَحه ، إذا أبصره بنظر خفيف .و« نَعَمْ » : إعلام للمستفهِم السائل . و« المِتْيَح » بكسر الميم وسكون المثنّاة الفوقيَّة وفتح المثنّاة التحتيّة ؛ قال ابن حبيب في « شرح ديوان جران العَود » : المِتيح الذي يأخذ في كلِّ جهة ، وهو مِفْعل ، كأنّه أتيح له إتاحة ، أي : قُدِّر .

وقال ابن دُريد في « الجمهرة » رجل مِتْيح : إذا كان قلبه يميل إلى كلِّ شيء . وكلاهما أنشد هذا البيت .

و« الميناف » ، بكسر الميم بعدها ياء ، أصلها الهمز ؛ قال في « العباب » رجل مئناف أي : سائر في أول النهار ، وقال الأصمعيّ : رجل مئناف : يُرعى مالَه أُنُفَ الكلأ ، يقال : أنَفت الإبلُ أنْفاً : إذا وطئت كلأً أُنُفاً ، بضم الألف والنون ، أي : عُشباً لم يُرعَ و لم يُدَسْ بالأرجل .

و« البلدة » : الأرض . و« أقامه من موضعه » : خلافُ أقعده .و« الرّكاب »: الإبل التي يُسار عليها ، الواحدة راحلَة ، لا واحد لها من لفظها .

(١) ديوان الراعي النميري ص٣٥ ؛ ومعجم البلدان (شرف) .

ومعنى البيت أن الشاعر خاطبَ نفسه لما رآها ملتفتة إلى حبائبها ، ناظرةً إلى آثارها بعد الرحيل ؛ فاستفهمها بهذا الكلام ، ثم أجاب جازماً بأنَّ عينها ناظرة إلى أثرهنّ . وسفَّهها في هذا الفعل بأن اللمح ليس صادراً في وقته ، لأنّ صاحبهنّ ملتزم أسفار ، ومقتحم أخطار ؛ شأنه الذَّهَاب ،وعدم الإياب ؛ فلا ينبغي لها أن تكتسب من النظرة ، شدائد الحسرة .

وقوله : « إنّ قلْبك مِتْيَح » ، استئناف بيانيٌّ وقع جواباً لسؤال عن سببٍ خاص نشأ من الجملة المنفية ، كأنّ نفسه قالت له : هل أنا في هذا الفعل مِتيح ؟ فأجابها بالجملة المؤكدة .

وقوله : « ظعائن ميناف » ، أي : هنّ ظعائن ؛ والجملة الشرطية صفة لميناف . وجملة : « أقام الخ » ، جواب إذا . و« باكرٌ » فاعل أقام أي : سائق باكر ؛ «متروِّح» : أي شأنه سوق الإبل بالغداة والرّواح .

فإن قلتَ : كيف يرتبط الجواب بالشرط مع خلوِّه عن ضمير الميناف ؟

قلتُ : هو بتقدير أقام الركاب بأمره . ثم وصف رحيل الميناف ونزولَه ومنازلَه في أبيات كثيرة .

وترجمة الراعي قد تقدَّمت في الشاهد الثالث والثمانين بعد المائة[1] .

* * *

(١) الخزانة الجزء الثالث ص١٤٢ .

بـاب المـجـرورات

الإضـافـة

أنشد فيها :

* ولَقَدْ أَمُرُّ علَى اللَّئِيمِ يَسُبُّنِي *

على أنّ ذا اللام في أصل الوضع لواحدٍ معين ، وقد يستعمل بلا إشارة إلى معيَّن، كاللئيم ، فإنّ المراد منه لئيمٌ من اللؤماء ، أيَّ لئيمٍ كان .

وتمامه :

* فمضَيتُ ثُمَّتَ قلتُ لا يَعْنيني *

وقد تقدَّم الكلام عليه في الشاهد الخامس والخمسين[1] .

*   *   *

وأنشد بعده : (الطويل)

---

(١) الخزانة الجزء الأول ص٣٤٧ .

والبيت هو الإنشاد الأربعون بعد المائة في شرح أبيات المغني للبغدادي .

والبيت لرجل من سلول في الـدرر ٧٨/١ ؛ وشرح أبيـات المغني للبغـدادي ٢٨٧/٢ ؛ وشرح التصريـح ١١/٢ ؛ وشرح شـواهد المغني ٣١٠/١ ؛ والكتـاب ٢٤/٣ ؛ والمقـاصد النحويـة ٥٨/٤ ؛ ولشـمر بـن عمـرو الحنفـي في الأصمعيات ص١٢٦ ؛ ولعميرة بن جابر الحنفي في حماسة البحتري ص١٧١ . وهو بلا نسبة في الأزهية ص٢٦٣ ؛ والأشباه والنظـائر ٩٠/٣ ؛ والأضـداد ص١٣٢ ؛ وأمـالي ابـن الحـاجب ص٦٣١ ؛ وأوضـح المسـالك ٢٠٦/٣ ؛ وجواهر الأدب ص٣٠٧ ؛ والخصائص ٣٣٨/٢ ، ٣٣٠/٣ ؛ والدرر ١٥٤/٦ ؛ وشرح شواهد الإيضاح ص٢٢١؛ وشرح شواهد المغني ٨٤١/٢ ؛ وشرح ابن عقيل ص٤٧٥ ؛ والصاحبي في فقه اللغة ص٢١٩ ؛ ولسان العرب (ثمم، في) ؛ ومغني اللبيب ١٠٢/١ ، ٤٢٩/٢ ، ٦٤٥ ؛ وهمع الهوامع ٩/١ ، ١٤٠/٢ .

عَلاَ زَيْدُنا يَوْمَ النَّقَا رَأْسَ زَيْدكُمْ بأبيَضَ ماضِي الشَّفْرَتين يَمانِي

على أنَّ العَلَم إذا أضيف نكّر بجعله واحداً مِن جملةِ مَن سُمِّي بذلك اللفظ ، كزيد ، فإنّه معرفة بالعلميّة ولمّا أضيف نكّر واكتسب التعريفَ من الإضافة .

وقد تقدّم الكلام عليه أيضاً في الشاهد الثامن عشر بعد المائة[1] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الخامس والثمانون بعد المائتين[2] : (الكامل)

٢٨٥- إنْ قُلتُ خَيْراً قالَ شَرّاً غَيْرَهُ

على أنّ ابن السَّرّاج نقض به ما قاله ابن السَّريّ - وهو أبو إسحاق إبراهيم بن السَّرِيِّ الشَّهير بالزجّاج - من أن « غير » إذا أضيفت إلى معرَّف له ضدٌّ واحد تعرَّفت ، كقولك : عليك بالحركةِ غيرِ السكون .

ووجه النَّقض : أنّ غيراً في البيت قد أضيفت إلى ضمير الخَيْر - وهو ضدّ الشر - ولم تتعرَّف ، بدليل وقوعها صفة لقوله شرّاً .

ونقض عليه أيضاً بقوله تعالى[3] : « نَعْمَلْ صالحاً غيرَ الذي كُنّا نَعْمَلُ » .

وأجابَ الشارح المحقّق بأنّ غيراً فيهما بدَل لا صفة ؛ ويجوز أن تكون صفةً على الأكثر الأغلب ، وهو عدم تعرّفها بالمضاف إليه . هذا كلامه ؛ وما نسبه إليهما لم أره في كلامهما .

---

(١) الخزانة الجزء الثاني ص١٩٦ .

والبيت هو الإنشاد التاسع والستون في شرح أبيات المغني للبغدادي .

والبيت لرحل من طيئ في شرح أبيات المغني للبغدادي ٣٠٨/١ ؛ وشرح شواهد المغني ١٦٥/١ ؛ والكامل في اللغة ١١٨/٢ ؛ والمقاصد النحوية ٣٧١/٣ . وهو بلا نسبة في الأشباه والنظائر ١٨٩/٣ ، ١٩١ ؛ وجواهر الأدب ص٣١٥ ؛ وسر صناعة الإعراب ٤٥٢/٢ ، ٤٥٦ ؛ وشرح الأشموني ١٨٦/١ ، ٤٤٢/٢ ؛ وشرح التصريح ١٥٣/١ ؛ وشرح المفصل ٤٤/١ ؛ ولسان العرب (زيد) ؛ ومغني اللبيب ٥٢/١ .

(٢) صدر بيت للأسود بن يعفر في ديوانه ص٣٢ ؛ وتمامه :

* أو قلتُ شراً مده بمدادِ *

(٣) سورة فاطر : ٣٥/٣٧ .

أما ابن السَّريّ فهذه عبارته في تفسير الفاتحة : وقوله تعالى(١) : « غيرِ المَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ » فيُخْفَض على ضربين : على البدل من الذين ، كأنّه قال : صراطَ غيرِ المغضوب عليهم ؛ ويستقيم أن يكون غيرِ المغضوب عليهم من صفة الذين ، وإن كان غير إنّما أصله في الكلام أن يكون صفةً للنكرة ، تقول مررت برجلٍ غيرِك ، فغيرك صفة لرجل ، كأنّك قلت : مررت برجل آخر .

ويصلح أن يكون معناه مررت برجل ليس بك ، وأنّما وقع ههنا صفة للذين ، لأنّ الذين ههنا ليس بمقصود قصدهم، فهو بمنزلة قولك إنّي لأمرٌّ بالرجلِ مثلِك فأكرمه . انتهى كلامه .

فعلم منه أن وقوعَ غير صفةً للذين لتأويل الذين بما يَقرب به من النكرة ، وهو كون المعرَّف الجنسيّ قريباً من النكرة ، لا لكونها وقعت بين ضدَّين كما نقل عنه الشارح المحقّق .

وأما ابن السرّاج فقد قال في باب الإضافة من « الأصول » : وأمّا مثل وغير وسوى ، فإنّهنَّ إذا أضفن إلى المعارف لم يتعرّفنَ ، لأنّك إذا قلتَ مثل زيد فمثله كثير: واحدٌ في طوله ، وآخر في علمه ، وآخر في صناعته ، وآخر في حسنه . وهذا يكاد يكون بلا نهاية .

وكذلك غير إذا قلت غير زيد ؛ لأنّ كلّ شيء إلاّ زيد فهو غير زيد. فهذا وما أشبهه لا يتعرَّف بالإضافة . فإن أردت مثل زيد المعروف بشبه زيد كان معرفة . انتهى .

فليس فيه ردٌّ ولا شِعْر .

وقد نسب ابن هشام في « المغني » إلى ابن السرَّاج ما نسبه الشارح المحقّق إلى ابن السريّ .

والمصراع من أبياتٍ أوردها ابن الأعرابيّ في « نوادره » للأسود بن يعفُر ، وهي: (الكامل)

إنَّ امْرأً مَولاهُ أَدْنا دَارِه ... فِيمَا أَلَمَّ وشَرُّهُ لكَ بَادِي(٢)

---

(١) سورة الفاتحة : ١/٧ .

(٢) في طبعة بولاق والنسخة الشنقيطية : " أدني داره ". وهو تصحيف والصواب الألف لأنها مسهلة عن أدنأ .

إنْ قُلـتَ خيـراً قالَ شـرّاً غيـرَه أو قلـتَ شـرّاً مـدَّه بمَـدادِ
فلئـنْ أقمْـتَ لأظعنَـنَّ لبلْـدةٍ ولئـن ظَعنتَ لأُرْسِـيَنْ أوتَـادي
كـانَ التفَـرُّقُ بينَنـا عَنْ مِئْـرَةٍ فاذهَبْ إليـكَ فقَدْ شفيت فُـؤَادي

وقوله : « إن امرأً مولاه الخ » ، « المولى » هنا يجوز أن يكون ابنَ العمِّ ، وأن يكون الناصر ، وأن يكون الجار . و« أدنا » بمعنى أضعف وأذلّ ؛ من الدناءة فسُهِّل. و« في » للسببيَّة ، و« ألمّ » من اللَّمَم ، وهو مقاربة الذنب .

و« بادِي » : ظاهر . و« مولاه » مبتدأ ، وأدنا خبره ، والجملة صفة لاسم إنَّ ، وخبرها الجملة الشرطيّة ، وهو قوله : « إن قلتَ خيراً الخ » . وقلتَ في الموضعين بفتح التاء . وقوله: « مدَّه الخ» أي : زاده بزيادة متصلة .

وقوله : « فلئن أقمتَ الخ » ، هذا التفات من الغيبة إلى الخطاب . وقوله : «لأُرْسِيَنْ » ، النون الخفيفة للتأكيد . و« الإرساء » : الإثبات ؛ يقال رسا الشيء يرسو : إذا ثبت ؛ وأرساه : أثبته . وأراد بأوتاده أوتاد الخيمة . وإرساؤها كناية عن الإقامة .

و« المِئْرة » ، بكسر الميم وسكون الهمزة ، هي العداوة ، قال أبو زيد : مأَرت بين القوم مأْراً وماءَرت مماءرَة ، أي : عاديت بينهم وأفسدت . قال : والاسم المِئْرة. وإليك : اسم فعل بمعنى تنحَّ وابعد .

والأسود بن يَعفُر شاعر جاهليٌّ ، تقدّمت ترجمته في الشاهد الرابع والستين[1] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السادس والثمانون بعد المائتين[2] : (الطويل)

٢٨٦- أَمَـاوِيَّ إنّـي رُبَّ واحِـدِ أُمِّـهِ
أجَـرْتُ فَـلا قَتْـلٌ عَلَيْـهِ ولا أَسْـرُ

على أن « واحد أُمِّه » نكرة لا يتعرّف بالإضافة وإنْ أُضيف إلى المعرفة ، لتوغله

(١) الخزانة الجزء الأول ص٣٨٨ .

(٢) البيت لحاتم الطائي في ديوانه ص٢٠١ ؛ والأغاني ٢٩٥/١٧ ؛ ولسان العرب (وحد) . وهو بلا نسبة في همع الهوامع ٤٧/٢ .

في الإبهام ، إذ لا ينحصر بالنسبة إلى مضاف إليه معيَّن ، إذ بعد الإضافة لا يتعيَّن المضاف أيضاً ، فيه نظير غيرك ومثلك ، ولذلك وقع مجروراً لربّ .

والشارح المحقّق نسب جعلَه منكّراً إلى بعض العرب ، واستدلّ له بدخول ربّ عليه ، فإنّها لا تدخل إلاّ على نكرة . وغيرُه نسبَ التّنكير إلى بعض النّحاة ؛ ويؤيّده قول ابن الأنباريّ في « الزاهر » : إنّ الفرّاء وهشاماً قالا : نَسِيج وَحْدِه وعُيَير وَحْدِه، وواحِدُ أمِّه ، نكرات .

والدليل على هذا أنّ العرب تقول : رُبَّ نسيجِ وحْدِه قد رأيت ، وربّ واحد أُمّه قد أجَرْت .

واحتجّ هشامٌ بقول حاتم :

أمــاوِيَّ إنِّي رُبَّ وَاحــدِ أُمِّــهِ . . . . البيــت

قال شارح اللباب وغيره : والأكثر أن يكون معرفة على قياس الإضافة إلى المعارف ، وأمّا وروده نكرةً فنادر ، إنّما جاء في الشعر .

وقول الشارح المحقّق : « وليس العلّة في تنكيرهما ما قال بعضهم إنّ واحد مضاف إلى أمّ » إلى آخره ، هو كلام عبد القاهر الجرجانيّ ، قال : والضمير المتصل ببَطن وأمّ ، لا يجوز أن يعود إلى نفس واحد وعبد ، لأنّ المضاف يكتسب من المضاف إليه التعريف ؛ فإذا كان تعريف أمّ بإضافتها إلى ضمير الواحد ، كان التماس تعريف الواحدِ منها محالاً ، وكان بمنزلة تعريف الشيء بنفسه ، فوجب أن يعود الضمير إلى شيء غير عبد وواحد ، يجوز أن تقول : زيد عبدُ بطنه ، فيكون تعريف عبد بغير ضميره .

قال : فإذا قلت جاءني واحد أمِّه ، وعبد بطنه ، جاز أن يكون معرفة بأنْ يتقدَّم الذكر ، كأنّك قلت جاءني الكامل النبيل الذي عرفته .

وإذا جعلَ نكرة فعلى أنه يوصف به نكرة محذوفة كما في البيت ، كأنّه قال إنسانٌ واحدُ أُمِّهِ ؛ بمنزلة قولك: ربَّ إنسان عزيز معظَّم ، لأنَّ ربَّ لا تدخل على المعارف . انتهى كلامه .

وقوله : « أماوِيَّ الخ » الهمزة للنداء ، و« ماويَّ » منادى مرخّم ماويَّة ، وهي زوجة حاتم .

والماويّة في اللغة : المرآة التي يُرى فيها الوجه ؛ كأنّها منسوبة إلى الماء ، فإنّ النسبة إلى الماء مائيّ وماويّ . و« رُبَّ » هنا لإنشاء التكثير(١) والعامل في محل مجرورها « أجَرْتُ » بالجيم والراء المهملة ، بمعنى أمّنته مما يخاف ؛ يقال : استجاره أي : طلب منه أن يحفظه فأجاره . وروى بدله : « أخذت » .

قال الزمخشريّ في « أمثاله » عند قوله(٢) « أجْوَد من حاتم » : كان إذا قاتل غلَب، وإذا غَنِم أنهَب ، وإذا سُئِل وهب ، وإذا ضَرَب بالقِدْح سبَق ، وإذا أسر أطلَق، وإذا أثرَى أنفَق . وكان أقسم باللّه لا يقتل واحدَ أمِّه . انتهى .

وروى صاحب اللباب المصراع الثاني هكذا :

* قتلتُ فلا غُرْم عليَّ ولا جَدْلُ *

من جدل عليه : إذا صال عليه بالظُّلم . وليس كذلك ؛ فإنَّ البيت من قصيدة رائيّة وهي(٣) :

أماوِيَّ قَدْ طالَ التَّجنُّبُ والهَجْرُ ... وقَدْ عَذرتْني في طِلابِكُمُ عُذْرُ(٤)

أماويَّ إنَّ المَالَ غادٍ ورائِحٌ ... ويبقَى من المَال الأحاديثُ والذِّكْرُ(٥)

أماويَّ إنِّي لا أقُولُ لسائِلي ... إذا جاءَ يوماً حلَّ في مالنا النَّزْرُ

أماويَّ إمَّا مَانِعٌ فَمُبيِّنٌ ... وإمَّا عَطَاءٌ لا يُنهْنِهُهُ الزَّجْرُ

أماويَّ ما يُغني الثَّراءُ عنِ الفَتَى ... إذا حَشرَجَتْ يوماً وضاقَ بها الصَّدرُ(٦)

---

(١) في طبعتي بولاق والسلفية والنسخة الشنقيطية : " لإنشاء التنكير " .

وفي حاشية طبعة هارون ٢١٢/٤ : " في النسختين : " التنكير " تحريف . قال ابن هشام في المغني : " وليس معناها التقليل دائماً خلافاً للأكثرين ، ولا للتكثير دائماً خلافاً لابن درستويه وجماعة ، بل ترد كثيراً وللتقليل قليلاً " . وانظر في ذلك اللسان (ربب) .

(٢) المثل في الألفاظ الكتابية ص٢٨٣ ؛ وتمثال الأمثال ص١٢٦ ؛ وثمار القلوب ص٩٧ ؛ وجمهرة الأمثال ٣٣٦/١؛ والدرة الفاخرة ١٢٦/١ ؛ والمستقصى ٥٣/١ ؛ ومجمع الميداني ١٨٢/١ ؛ والوسيط في الأمثال ص٦٤ .

(٣) الأبيات في ديوانه ص١٩٨-٢٠٣ . وبعضها في الأغاني ٣٨٤/١٧ ؛ والشعر والشعراء ص١٦٨ .

(٤) البيت لحاتم الطائي في تاج العروس (عذر) ؛ والتنبيه والإيضاح ١٦٦/٢ ؛ وتهذيب اللغة ٣١٠/٢ ؛ ولسان العرب (عذر) ؛ والمخصص ٢٩٧/١٢ ، ٨٢/١٣ .

(٥) البيت لحاتم الطائي في تاج العروس (عذر) ؛ ولسان العرب (عذر) .

(٦) البيت لحاتم في أساس البلاغة (حشر) ؛وجمهرة اللغة ص١٠٣٤ ، ١١٣٣ ؛والدرر ٢١٥/١ ؛ والصاحبي في =

أماويَّ إنْ يُصبِحْ صدايَ بقَفْرَةٍ ... منَ الأرضِ لا ماءٌ لديَّ ولا خَمْرُ
تَرَي أنَّ ما أنفقْتُ لَمْ يَكُ ضَائِري ... وأنَّ يدِي مِمَّا بَخِلتُ بهِ صِفْرُ
أماويّ إنِّي رُبَّ واحدِ أُمِّه ... أخذْتُ فَلا قَتْلٌ عليهِ ولا أَسْرُ[1]
وقد عَلِمَ الأقوامُ لَوْ أنَّ حَاتماً ... أرادَ ثَراءَ المَالِ كانَ لهُ وَفْرُ[2]
أماويَّ إنَّ المَالَ مَالٌ بَذَلتُهُ ... فأوّلُه شُكرٌ وآخره ذِكْرُ
وإنِّيَ لا آلُو بمالِي صَنيعَةً ... فأوَّلُهُ زادٌ وآخِرُهُ ذُخْرُ
يُفَكُّ بِهِ العاني ويُؤْكلُ طَيِّباً ... وما إنْ يُعرِّيهِ القِدَاحُ ولا القَمْرُ
ولا أظلِمُ ابنَ العمِّ إنْ كانَ إخْوتي ... شُهوداً وقدْ أوْدَى بإخوتهِ الدَّهْرُ
غَنِيْنَا زَماناً بالتّصعلُكِ والغِنَى ... وكُلاًّ سَقاناهُ بكأسَيْهِما الدَّهْرُ
فَمَا زادنا بَأْواً على ذي قَرابةٍ ... غِنَانا ولا أزْرَى بأحْسَابِنا الفَقْرُ
وما ضَرَّ جَاراً يا ابنةَ القوْمِ فاعلَمي ... يُجَاوِرُني أنْ لا يكُون لهُ سِتْرُ
بِعَينيَّ عنْ جاراتِ قَومِيَ غَفْلَةٌ ... وفي السَّمعِ منِّي عنْ أحادِيثِها وَقْرُ

قوله : « وقد عذرتني الخ » ، عذرته فيما صنع من باب ضرب : رفعت عنه اللوم ، فهو معذور ، أي : غير ملوم . والاسم العُذر بالضم .

وقوله : « حلّ في مالنا النزر » ، أي : القِلّة . و« نَهنَهَه » : كفّه ومنعه .

وقوله : « إذا حشرجت يوماً الخ » أورد صاحب الكشّاف هذا البيت عند تفسير قوله تعالى[3] : « كلاَّ إذا بَلَغَتِ التَّرَاقي » على إضمار النفس قبل الذكر ، لدلالة الكلام عليه ، كما أضمرها الشاعر في حشرجت .

و«الحشرجة»، أوله حاء مهملة وآخره جيم : الغرغرة عند الموت وتردُّدُ النفس .

= فقه اللغة ص٢٦١ ؛ ولسان العرب (قرن) . وهو بلا نسبة في لسان العرب (حشرج) ؛ وهمع الهوامع ٦٥/١ .

(١) هو الشاهد السادس والثمانون بعد المائتين . ولقد تم تخريجه .

(٢) البيت لحاتم الطائي في أمالي الزجاجي ص٢٠٩ ؛ والدرر ٢٦٤/٢ ؛ ولسان العرب (عذر ، ثرا) ؛ وهمع الهوامع ١٥٤/١ . وهو بلا نسبة في جمهرة اللغة ص٧٨٩ ؛ وشرح الأشموني ١٦١/١ ؛ وشرح شذور الذهب ص٤٧٣ .

(٣) سورة القيامة : ٢٦/٧٥

و« الصَّدَى » : ما يبقَى من الميت في قبره ، قاله المبرد في الكامل[١] عند قول النَّمِر بن تَوْلَب الصحابيِّ[٢] : (الطويل)

أعـاذِلَ إنْ يُصْبِحْ صَـدايَ بقَفْـرَةٍ بَعيـداً نـآني صَـاحِبي وقَريبي[٣]
تَـرَي أنّ مـا أبقَيْتُ لَـمْ أكُ ربَّـهُ وأنَّ الـذي أنفَقْتُ كانَ نَصِيْبِي

وقوله : « لا آلو » ، أي : لا أقصِّر . و« العاني » : الأسير .

وقولـه : « ومـا إنْ يُعرِّيـه » ، أي : يُفنيـه . و« القِـداح » : قِداح الميسـر . و«القَمْر» ، بالفتح : المقامرة .

وقوله : « غنينا » ، غَنِيَ كفرح : عاش ، وغنى بالمكان : أقام بـه . و« البـأو » بالموحدة وسكون الهمزة الكِبْر والفخر ، يقال : بأوت على القوم أبأَى بَاواً .

وسبب هـذه القصيـدة هـو مـا رواه الزجـاجيّ في « أماليـه الوسـطى »[٤] قـال : «أخبرنا ابن دُريد قال : أخبرني عبد الرحمـن عـن عمـه ، وأبـو حـاتم عـن أبي عبيـد قالا[٥]:

كانت امرأةٌ من العرب من بنـات ملـوك اليمـن ذاتُ جمـال وكمـال ، وحسـب ومال ، فآلت أن لا تزوّج نفسها إلاّ من كريم ، ولئـن خطبهـا لئيـم لتَجدَعَـنَّ أنفَـه ، فتحاماها الناسُ حتّى انتدبَ لها زيدُ الخيل ، وحاتمُ بنُ عبد اللّه ، وأوسُ بنُ حارثـة بـن لأم الطائيّون ، فارتحلوا إليها فلمَّا دخلوا عليها قالت : مرحبـاً بكـم ، مـا كنتـم زُوَّاراً فما الذي جاء بكم ؟ قالوا : جئنا زُوَّاراً خُطَّاباً ، قالت : أكفاء كرام .

فأنزلتهم وفرَّقت بينهم وأسبغت لهم القِرى وزادت فيه ؛ فلما كان في اليوم الثاني بعثت بعضَ جواريها متنكرةً في زي سائلة تتعرَّض لهم ، فدفع إليها زيد وأوسٌ شَطرَ

---

(١) الكامل في اللغة والأدب ٢٢١/١ . وتفسير المبرد هنا أحد أوجه ستة ذكرها المبرد في هذا المكان .

(٢) البيتان للنمر بن تولب العكلي في ديوانه ص٣٣٣-٣٣٤ ؛ والأغاني ٢٨١/٢٢ ؛ والبيان والتبيين ٢٨٤/١ ؛ وطبقات فحول الشعراء ص١٦١-١٦٢ ؛ والكامل في اللغة ٢١٩/١ .

(٣) البيت للنمر بن تولب العكلي في تاج العروس (صدى) ؛ وتهذيب اللغة ٢١٥/١٢ ؛ ولسان العرب (صدى) . وهو بلا نسبة في تاج العروس (نأي) ؛ وتهذيب اللغة ٥٤٢/١٥ ؛ ولسان العرب (نأي) .

(٤) أخبار أبي القاسم الزجاجي ص١٥٤ .

(٥) في أخبار الزجاجي ص١٥٤ : " أبي عبيدة قالا .." . والقصة بخلاف في الأغاني ٣٨٤/١٧ ؛ وأمالي القالي ١٥٤/٣ ؛ والشعر والشعراء ص١٦٧-١٦٨ ؛ والمقاصد النحوية ٣٦٩/٢ .

ما حُمل إلى كُلِّ واحدٍ منهما ، فلمَّا صارت إلى رَحْل حاتمٍ دفع إليها جميع ما كانَ من نفقته ، وحمل معها جميع ما حُمِل إليه ، فلمّا كان في اليوم الثالث دخلوا عليها فقالت : ليصفْ كلٌّ واحد منكم نفسَه في شعره ؛ فابتدر زيد وأنشأ يقول[١] : (البسيط)

هَلاَّ سألتِ بني ذُبيانَ ما حَسَبي ... عندَ الطِّعان إذا ما احمرَّت الحَدَقُ[٢]

وجاءَتِ الخَيْلُ مُحْمرّاً بوادرُها ... بالماء يسفَحُ من لَبَّاتها العَلَقُ

والخَيْلُ تعلَم أنّي كنتُ فارسَها ... يومَ الأكسُّ بهِ منْ نجدَةٍ رَوَقُ[٣]

والجَارُ يَعلَمُ أنّي لستُ خاذلَه ... إنْ نابَ دَهرٌ لِعَظْمِ الجارِ مُعتَرِقُ

هذا الثّناءُ فإنْ تَرضَيْ فَراضيَةٌ ... أو تَسخَطي فإلى منْ تُعْطَفِ العُنقُ

وقال أوس بن حارثة : إنَّك لتعلمين أنّا أكرم أَحساباً وأشهر أفعالاً ، من أن نصفَ أنفسنا لك ، أنا الذي يقول فيه الشاعر[٤] : (الوافر)

إلى أَوْسِ بنِ حَارثَةَ بنِ لأمٍ ... ليَقضِيَ حَاجَتي ولَقَدْ قَضاهَا

فَمَا وَطِئَ الحصَى مِثْلُ ابنِ سُعْدَى ... ولا لَبِسَ النِّعَالَ ولا احتذَاها

وأنا الذي عُقَّتْ عقيقته ، وأعتقت عن كلِّ شعرةٍ فيها عَنْهُ نَسَمَةً[٥] .

---

(١) الأبيات في ديوان زيد الخيل ص١٨٧-١٨٩ ؛ وأخبار أبي القاسم الزجاجي ص١٥٥ ؛ والأغاني ٧٠/١٨ ؛ والشعر والشعراء ص١٦٨ ؛ ولزهير بن مسعود الضبي في الحماسة البصرية ٩٧/١ .

(٢) كذا في جميع طبعات الخزانة وفي أخبار أبي القاسم الزجاجي والأغاني والشعر والشعراء : " بني ذبيان " .
وفي حاشية طبعة هارون ٢١٥/٤ : " صوابه " بني نبهان " . كما في أمالي الزجاجي . وسيأتي ذكر نبهان في شعر أوس بن حارثة الذي يذكر فيه زيد الخيل ، وهو زيد الخيل بن مهلهل بن زيد بن منهب بن عبد رضى بن المختلس ابن ثوب بن كنانة بن غوث بن نابل بن نبهان بن عمرو بن الغوث بن طيئ " .
وانظر لذلك جمهرة أنساب العرب ص ٤٠٣ .

(٣) الأكس ، ذو الكسس ، وهو بالتحريك أن يكون الحنك الأعلى أقصر من الأسفل ، فتكون الثنيتان العليبان وراء السفليين . والروق : غشراف الأسنان العليا على السفلى . يصور ما تفعله النخوة والشجاعة في الأبطال ، من تقلص الشفاه وبروز الأسنان في معمعة القتال .

(٤) البيتان لبشر بن أبي خازم الأسدي في ديوانه ص٢٢٢ ؛ وأخبار أبي القاسم الزجاجي ص١٥٥ ؛ وشرح أبيات المغني للبغدادي ٦٧/١ ؛ والكامل في اللغة ١٣٧/١ . وهما بلا نسبة في اللسان (لؤم) .

(٥) في أخبار أبي القاسم الزجاجي ص١٥٥ : ".. عن كل شعرة منها نسمة " .

ثم أنشأ يقول[1]: (الطويل)

فإنْ تَـنْكِحـي ماويَّـةَ الخيْـرِ حاتـماً فمَـا مثلُـه فينا ولا فـي الأعَـاجـمِ
فتًى لا يـزال الدّهـرَ أكبَـرَ هَمِّـهِ فِكَـاكُ أسِـيْـرٍ أو مَعونَـةُ غَـارمِ
وإنْ تنكحي زيـداً ففـارسُ قـومـهِ إذا الحربُ يوماً أقعَدَتْ كُـلَّ قَائمِ
وصاحِبُ نبهَان الذي يُتّقَى بـهِ شَذَا الأمر عنـدَ المُعْظِم المتفَاقِمِ
وإنْ تنكحينِي تَنكحـي غيرَ فَاجـر ولا جَارِفٍ جُـرْفَ العَشيرَةِ هَادِمِ
ولا مُتّقٍ يَومـاً إذا الحربُ شمَّرَت بأنفسهـا نفسي كفعـلِ الأشَائِـمِ
وإن طارقُ الأضيَـافِ لاذَ برحلِـهِ وجدتِ ابنَ سُعْدَى للقِرَى غيرَ عَاتمِ
فأيَّ فتًى أهـدَى لكِ اللّه فَاقبلِـي فـإنّـا كِـرَامٌ منْ رُؤُوسِ أكَـارمِ

وأنشأ حاتم يقول :

أمَـاويَّ قَـدْ طالَ التَّجنُّبُ والهَجْـر وقَـدْ عذَرَتْنِـي في طِلابكُـم عُـذْرُ

إلى أن انتهى إلى آخر القصيدة - وهي مشهورة - فقالت : أما أنت يا زيـد فقـد وَتَرت العـرب ، وبقـاؤك مـع الحـرّة قليـل . وأمّـا أنـتَ يـا أوس فرجـل ذو ضرائـر ، والدخول عليهنَّ شديد . وأمَّا أنت يا حاتم فمرضيّ الخلائق ، محمـود الشيَم ، كريـم النفس ، وقد زوّجتك نفسي» . اهـ ما رواه الزجاجيُّ .

وقد روَى صاحب الأغاني هذا الخبرَ على غير هذا ، قـال : إن معاويـة تذاكـروا عنده ملوك العرب ، حتّى ذكروا الزبّاء وماويَّة ، فقال معاوية : إنّـي لأحِـبُّ أن أسمع حديثَ ماوية وحاتم ، فقال رجل من القوم : أفلا أحدِّثك به ؟ فقال معاويـة : بلى . فقال : إن ماوية كانت ملكة ، وكانت تتزوج من أرادت ، وإنها بعثت يوماً غلمانـاً لها وأمرتهم أن يأتوها بأوسَمِ من يجدونه من الحِيرة ، فجاؤوا بحاتم فأكرمته[2] وبعد أنْ رحلَ عنها دعته نفسه إليها فأتاها يخطبها ، فوجد عندها النابغة ورجـلاً مـن الأنصـار من النبيت ، فقالت : انقلبوا إلى رحـالكم وليقـلْ كـلٌّ منكـم شعراً يذكـر فيـهِ فَعَالَـه ومَنصِبه ، فإنّي أتزوج أكرمَكم وأشعرَكم .

---

(١) الأبيات لأوس بن حارثة في أخبار أبي القاسم الزجاجي ص١٥٥-١٥٦ ؛ وأمـالي الزجـاجي ص١٠٧ ؛ وثمار القلوب ص٩٢ .

(٢) هنا حديث بينه وبين ماوية . انظر في ذلك الأغاني والشعراء وديوان حاتم .

فانصرفوا فنحرَ كلّ واحد منهم جَزوراً ، ولبست ماويّة ثياباً لأمةٍ لها فـأعقبتهم ، فأتت النَّبيتي ، فاستطعمته من جزوره فأطعمها ثِيل جَزوره[١] - أي : وعـاء قضيبه - فأخذته ثم أتت نابغة بني ذبيان فاستطعمته فأطعمهـا ذنبَ جَملـه ، فأخذتـه ثـم أتـت حاتماً وقد نصب قِدره فاستطعمته ، فقال لها : قِرِّي حتى أعطيَك مـا تنتفعين بـه . فأعطاها من العجز والسَّنام ، [ومثلهـا مـن المخدِّش، وهـو عنـد الحارك[٢]] ، ثـم انصرفت فأرسل إليها كلُّ واحدٍ ظهرَ جمله ، وأهدى حاتم إلى جاراتها مثلَ مـا أهـدى إليها .

وصبَّحوها فاستنشدتْهم ، فأنشدها النَّبيتيُّ[٣] : (البسيط)

هَــلاَّ ســألتِ النَّبيتِـيِّينَ ما حَسبي ... عنـدَ الشّتاءِ إذا ما هَبَّت الـرِّيــحُ

وبعده أبيات ثلاثة . ثم قالت : أنشدنا يا نابغة ، فأنشدها[٤] : (البسيط)

هــلاَّ سـألتِ بـني ذُبيـانَ ما حَسـبي ... إذا الدُّخــانُ تَغشَّـى الأَشمَطَ البَرَمـا

وبعده بيتان ، ثم قالت : يا أخا طيِّئ ، أنشِدْنا . فأنشدها :

أمـاويَّ قـدْ طـالَ التَّجنُّبُ والهَجْــرُ ... وقـدْ عذَرتـني في طِلابكُـمُ العُــذْرُ

إلى آخرالقصيدة .

فلمّا فرغ حاتمٌ من إنشاده دعَت بالغَداء ، وكانت قد أمرت إماءها أن يُقدِّمن إلى كلِّ رجل ما كان أطعمها ، فقدَّمن إليهم ما كانت أمرتهنَّ أن يقدِّمنه ، فنكّس النّبيـتيّ والنابغة رأسَيهما ؛ فلما نظر حاتم ذلك رمى بالذي قدَّمتْه إليهما ، وأطعمهما ممّا قُـدِّم إليه ، فتسلَّلا منها .

وقالت : إنَّ حاتماً أكرمكُم وأشعركم . فلما خرجَا قالت : يا حاتم ، خلِّ سَـبيل امرأتِك ، فأبَى ، فزوّدتْه . فلمـا انصرفَ عنهـا مـاتت امرأتـه ، فعـاد إليهـا فتزوَّجهـا فولدت له عَديًّا . وقدكانَ عديّ أسلم وحَسُن إسلامه اهـ مختصراً .

---

(١) في الشعراء ص١٦٧ : " ذنب جزوره " .

(٢) زيادة يقتضيها السياق من الأغاني والشعر والشعراء . والمخدش : كاهل البعير ، لأنه يخدش الفم إذا أكـل بقلة لحمه .

(٣) البيت في الأغاني ٣٨٣/١٧ ؛ والشعر والشعراء ص١٦٨ .

(٤) البيت في الأغاني ٣٨٤/١٧ ؛ والشعر والشعراء ص١٦٨ .

والصَّحيح أن عديًّاً من امرأته نَوَارِ ، لا من مَاويّة . واللّه أعلم .

وترجمة حاتم الطَّائيّ قد تقدَّمت في الشاهد التاسع والسبعين بعد المائة[1] .

* * *

وأنشده بعده :

* ولقَدْ أمُرُّ علَى اللَّئيمِ يَسُبُّني *

تمامه :

* فمضَيت ثُمَّتَ قُلْتُ لايَعْنِيني *

وقد تقدَّم قريباً[2] .

* * *

وأنشد بعده ، هو الشاهد السابع والثمانون بعد المائتين ، وهو من شواهد س[3]:
(الكامل)

٢٨٧- لـمّا أتَى خَبَـرُ الـزُّبَـيْـرِ تـوَاضَعَـتْ
سُـــورُ الـمدينَـةِ والـجِـبَـالُ الـخُشَّـعُ

على أنّ « سُوراً » اكتسب التأنيث من المدينة ، ولهذا أُنّث له الفعل .

قال الأعلم في « شرح شواهد س » : « إنّ السُّورَ ، وإنْ كـان بعـضَ المدينـة لا يسمَّىمدينة ، كما يسمَّى بعضَ السنين سنة ، ولكن الاتّساع فيه متمكن ، لأنَّ معنـى تواضعت المدينةُ وتواضَعَ سُورُ المدينة متقارب » .

---

(١) الخزانة الجزء الثالث ص١٢١ .

(٢) الخزانة الجزء الرابع في أول باب الإضافة .

(٣) البيت لجرير في ديوانه ص٩١٣ ؛ والأشباه والنظائر ١٠٥/٢ ، ٢٢٠ ، ٢٢٥ ؛ وجمهرة اللغة ص٧٢٣ ؛ وشرح أبيات سيبويه ٥٧/١ ؛ وشرح أبيات المغني ١٤٧/١ ؛ ولسان العرب (حرث ، سور ، أفق) ؛ ولجرير أو للفرزدق في سمط اللآلئ ص٣٧٩ ، ٩٢٢ ؛ وليس في ديوان الفرزدق . وهو بلا نسبة في الخصائص ٤١٨/٢ ؛ ورصف المباني ص١٦٩ ؛ والصاحبي في فقه اللغة ص٢٦٧ ؛ والمقتضب ١٩٧/٤ .

وذهب أبو عُبيدة مَعْمَر بن المثنّى إلى أنَّ السُّورَ جمع سُورة ، وهي كلّ ما علا ؛ وبها سمِّي سُور المدينة سوراً . وعلى هذا لا شاهد في البيت .

قال السيرافيّ : والجبال الخُشَّع مبتدأ وخبرٌ عندَ بعضهم ، أي : وصارت الجبال خاشعة متضائلة ؛ لأنّه لا مدح في قولنا تواضعت الجبال المتضائلة ، بل تواضعت الجبال الشامخة ، لكنّه وصفها بما آلت إليه .

وقال بعضهم : هو معطوف على سُور المدينة ، والخُشَّعُ صفة له ؛ ولم يُرد أنّها كانت خُشَّعاً قبلُ ، بل هي خُشَّع لموته الآن .

وأراد : لما أتى خبر قتل الزّبير وتواضعت وقعت إلى الأرض . و« الخُشَّع » : التي قد لطئت بالأرض .

وهذا البيت من قصيدة لجرير[1] ، عدّتها مائة وعشرون بيتاً هجَا بها الفرزدقَ وعدّد فيها معايبَه ، منها أنّ ابن جُرمُوز المُجاشعيَّ – وهو من رهط الفرزدق – قَتَلَ الزُّبيرَ بنَ العوَّام غِيلَةً بعد انصرافه من وقعة الجمل ، فهو ينسُبهم إلى أنّهم غدرُوا به لأنّهم لم يدفعوا عنه .

يقول : لمّا وافى خبر قتل الزّبير إلى مدينة الرسول صلّى اللّه عليه وسلم ، تواضعت هي وجبالُها ، وخشعَت حُزناً له . وهذا مثل ، وإنّما يريد أهلها . وقبل هذا البيت :(الكامل)

إنَّ الرَّزِيَّةَ مَنْ تَضَمَّنَ قَبرَهُ ... وادِي السِّباعِ لِكُلِّ جَنْبٍ مَصْرَعُ

وبعده :

وبكَى الزُّبيرَ بَناتُه في مأتمٍ ... ماذا يرُدُّ بُكَاءُ من لا يَسْمَعُ

ووادي السباع على أربعة فراسخَ من البصرة . ثم إنّ ابنَ جُرمُوز قدِم على أمير المؤمنين علي رضيَ اللّه عنه ، وهنّأه بالفتح وأخبره بقتله الزّبير ، فقال له عليّ : أبشِرْ بالنار ، سمعت رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم يقول : « بَشِّرْ قاتِلَ ابنِ صفِيَّة بالنّار».

(١) القصيدة في ديوان جرير ص٩٠٩-٩١٩ في مائة واثنين وعشرين بيتاً ؛ والنقائض ص٩٦١ .
وفي ديوانه في تقديم القصيدة : " وقال يهجو الفرزدق وجميع الشعراء " .

وفي ذلك قال ابن جُرموز[1] : (المتقارب)

أتيتُ عليًّا برأسِ الزُّبيرِ وقَدْ كنتُ أحسِبها زُلفَه
فَبشَّرَ بالنَّارِ في قتلهِ فبِئْسَ بِشَارَة ذي التُّحفَهْ

ثم إن ابن جرموز جاء إلى مصعب بن الزّبير - وكان والياً على العراق من قِبل أخيه عبد اللّه - فقال : اقتلني بالزُّبير ! فكتبَ في ذلك إلى أخيه ، فكتب إليه عبد اللّه: أنا لا أقتله بالزّبير ولا بشِسْع نعله . فلم يقتله ، ومضى ابن جُرموز من عند مصعب.

وقصّة مقتل الزّبير مفصّلة في التّواريخ .

وترجمة جرير قد تقدّمت في الشاهد الرابع من أول الكتاب[2] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثامن والثمانون بعد المائتين ، وهو من شواهد س[3]: (الوافر)

٢٨٨- إذا بَعْضُ السِّنِينَ تَعَرَّقَتْنا
كَفَى الأَيْتَامَ فَقْدَ أبي اليَتِيمِ

لما تقدَّم قبله ، وهو أنّ « بعضاً » اكتسب التأنيث ممّا بعده بالإضافة ؛ ولهذا قال « تعرّقتنا » بالتأنيث .

قال ابن جنّي في « سرِّ الصناعة » عندما أنشد قول الشاعر[4] : (البسيط)

---

(١) البيت الأول لعمرو بن جرموز في تاج العروس (زلف) ؛ وجمهرة اللغة ص٨٣٠ ؛ والوافي بالوفيات ١٨٣/١٤.

(٢) الخزانة الجزء الأول ص٩٠ .

(٣) البيت لجرير في ديوانه ص٢١٩ ؛ وشرح أبيات سيبويه ٥٦/١ ؛ وشرح أبيات المغني ١٠٦/٧ ؛ والكامل في اللغة ٣٢٣/١ ؛ والكتاب ٥٢/١ ، ٦٤ . وهو بلا نسبة في الأشباه والنظائر ١٩٧/٣ ؛ وشرح المفصل ٩٦/٥ ؛ ولسان العرب (صوت ، عرق) ؛ والمقتضب ١٩٨/٤ .

(٤) عجز بيت لرويشيد بن كثير الطائي ؛ وصدره :

* يا أيها الراكب المزجي مطيته *

والبيت لرويشيد في الدرر ٢٣٩/٦ ؛ وسر صناعة الإعراب ص١١ ؛ وشرح ديوان الحماسة للمرزوقي ص١٦٦ -

* سائِلْ بَني أسَدٍ ما هذهِ الصّوتُ *

إنّما أنّثه لأنّه أراد الاستغاثة . وهذا من قبيح الضرورة ، أعني تأنيثَ المذكّر ؛ لأنَّ التذكير هو الأصل ، بدلالة أنّ الشيء مذكّر وهو يقع على المذكّر والمؤنّث ، فعلمت بهذا عمومَ التذكير وأنّه هو الأصل الذي لا ينكسر . ونظير هذا في الشذوذ قوله – وهو من أبيات الكتاب – :

إذا بعضُ السِّنينَ تعرّقتنَا . . . . البيت

وهذا أسهل من تأنيث الصَّوت قليلاً ، لأنَّ بعض السنين سنة ، وهي مؤنثة ، وهي من لفظ السنين ؛وليس الصَّوتُ بعض الاستغاثة ولا من لفظها . انتهى .

وزادَ المبرِّد في « الكامل »[1] على هذا الوجه وجهاً آخر فقال :

قوله :

* إذا بعضُ السِّنينَ تعرَّقتنا *

يفسَّر على وجهين : أن يكون ذهب إلى أنّ بعض السِّنين يؤنّث لأنّه سنة وسنون[2] . والأجود أن يكون الخبر في المعنى عن المضاف إليه فأَقحَمَ المضافَ إليه توكيداً[3] ، لأنّه [غيرُ[4]] خارجٍ من المعنى .

وفي كتاب اللّه عزَّ وجلّ[5] : « فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَها خَاضِعِين » والخضوعُ بَيِّنٌ في الأعناق ، فأخبر عنهم فأقحم الأعناق توكيداً – وكان أبو زيد الأنصاريّ يقول :

= وشرح المفصل ٩٥/٥ ؛ ولسان العرب (صوت) . وهو بلا نسبة في الأشباه والنظائر ١٠٣/٢ ، ٢٣٧/٥ ؛ والإنصاف ص٧٧٣ ؛ والخصائص ٤١٦/٢ ؛ وتخليص الشواهد ص١٤٨ ؛ وهمع الهوامع ١٥٧/٢ .

(١) الكامل في اللغة ٣٢٤/١ .

(٢) في الكامل في اللغة ٣٢٤/١ : " ... وجهين أحدهما أن يكون ذهب إلى بعض السنين سنون " .

(٣) كذا في الكامل في اللغة . وفي حاشية الطبعة السلفية ١٦٥/٤ : "... وتستقيم العبارة بجعل توكيداً مفعولاً ثانياً" .

وفي حاشية طبعة هارون ٢٢١/٤ : " وكذا في أصول الكامل ، والمراد المضاف ، وهو في بعض الاعتبار مضاف إليه ما بعده . أو المراد أقحم كلمة (بعض) في كلمة السنين لتكون توكيداً . وفي اللسان : " وكل ما أدخلته شيئاً فقد أقحمته إياه وأقحمته فيه " . فتكون توكيداً مفعولاً ثانياً لأقحم " .

(٤) زيادة يقتضيها السياق من الكامل في اللغة ٣٢٤/١ .

(٥) سورة الشعراء : ٤/٢٦ .

أعناقهم : جماعتهم - والأوّل قول عامّة النّحويّين . انتهى المراد منه .

و« بعض » : فاعل فعل محذوف يفسِّره « تعرّقتنا » المذكور ؛ يقال تعرَّقْتُ العظم : إذا أكلتَ ما عليه من اللّحم . يريد أنها أذهبت أموالنا ومَواشيَنا . و«السَّنَة» هنا : القَحط والجَدْب : ضدّ الخِصب والرَّخاء .

و« كفَى » بمعنى أغنَى يتعدَّى إلى مفعولين ، أوّلهما « الأيتام » وثانيهما «فَقْدَ»، ومصدره الكِفاية ، قال تعالى[١] : «وكَفَى اللّهُ المؤْمنِينَ القِتالَ» أي : كفَى الأيتام فقدَ آبائهم ؛ لأنّه أنفق عليهم وأعطاهم ما يحتاجون إليه ، وكان في الكفَاية لهم والحِراسة والتّفقّد لأحوالهم بمنزلة آبائهم .

وأراد أن يقول : كفَى الأيتامَ فقدَ أبائهم فلم يمكنْه فقال : فقد أبي اليتيم ؛ لأنّه ذكر الأيتام أوّلاً ، ولكنّه أفرد حملاً على المعنى ؛ لأنّ الأيتام هنا اسم جنس ، فواحدها ينوب مَنابَ جمعها ، وبالعكس . وكان المقام مَقام الإضمار فأتَى بالاسم الظاهر .

وهذا البيت من قصيدة لجرير مدح بها هشامَ بنَ عبد الملكِ بن مرْوان[٢] :

وأنتَ إذا نظرتَ إلى هشَامٍ عَرَفتَ نِجارَ منْتَخَبٍ كَريمِ
يَرَى للمسلمين عليهِ حَقّاً كفِعْلِ الوالدِ الرَّؤُفِ الرَّحيمِ
إذا بعضُ السِّنينَ تعرَّقتَنا كَفَى الأيتَامَ فقدَ أبي اليَتيمِ

و« النِّجار » ، بكسر النون وبعدها جيم : الأصل .

وقوله: « يرى للمسلمين عليه حقّاً » ، له مثلُه في قوله أيضاً[٣] : (الطويل)

وإنّي لأسْتَحي أخي أَنْ أَرَى لَهُ عليَّ منَ الحقِّ الذي لا يرَى لِيَا

قال المبرِّد في « الكامل »[٤] : هذا بيت يحمله الناس على خلاف معناه ، وإنّما تأويله إنّي لأستحي أخي أن يكون له عليَّ فضلٌ ، ولا يكون لي عليه فضلٌ ومنّي

---

(١) سورة الأحزاب : ٢٥/٣٣ .

(٢) الأبيات في ديوان جرير ص٢١٩ ؛ والكامل في اللغة ٣٢٣/١ . قالها يمدح هشام بن عبد الملك .

(٣) البيت بلا نسبة في لسان العرب (حيا) .

(٤) الكامل في اللغة والأدب ٣٢٢/١ .

إليه[1] مكافأة ، فأستحي أن أرى له عليّ حقّاً بما فعل إليّ ، ولا أفعلَ إليه ما يكون لي به عليه حقّ . وهذا من مذاهب الكِرام .

وأما قول عائدِ الكلبِ الزُّبَيْرِيِّ[2] لعبدِ اللّه ابن حسن بن حسن بن عليّ[3] رضيَ اللّه عنهم : (الوافر)

لَـهُ حـقٌّ وليـسَ عليـهِ حـقٌّ ... ومَهمَـا قـالَ الحَسَـنُ الجميـل

وقدْ كانَ الرّسُـولُ يَرَى حُقـوقـاً ... عليـهِ لغيـرهِ ، وهـو الرَّسُـولُ

فإنّه ذكَره بقلّة الإنصاف فقال : يرى له حقّاً على الناس ولا يرى لهم عليه حقّاً ، من أجل نسَبه بالرّسول صلّى اللّهُ عليه وسلّم .

وقد قيل لعليّ بن الحسين بن عليّ رضيَ اللّه عنهم : ما بالك إذا سافرت كتمتَ نسبَك أهل الرّفقة[4] ؟ فقال : أكره أن آخذ برسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلم ما لا أُعطِي مثله .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التاسع والثمانون بعد المائتين وهو من شواهد **س**[5] : (الرجز)

---

(١) في طبعة بولاق : " عليه " . وهو تصحيف صوابه من الكامل في اللغة ٣٢٢/١ ؛ والنسخة الشنقيطية .

(٢) في طبعة بولاق والنسخة الشنقيطية : " الزبيدي " . وهو تصحيف صوابه من الكامل في اللغة ولقد صححه الشنقيطي في نسخته بالراء .

وعائد الكلب الزبيري هو عبد الله بن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير بن العوام شاعر خطيب ذو عارضة ، وكان ممن خرج مع النفس الزكية ، وسمي عائد الكلب بقوله :

مالي مرضت فلم يعدني عائد ... منكم ويمرض كلبكم فأعود

(٣) البيتان لأبي عاصم محمد بن حمزة الأسلمي في زهر الآداب ١٢٧/١ ؛ ولابن عاصم المديني في العمدة في محاسن الشعر ١٧٢/٢ ؛ ولعائد في الكامل في اللغة ٣٢٢/١ .

وفي زهر الآداب والعمدة أنه : " الحسن بن زيد بن الحسين بن علي " .

(٤) في طبعة بولاق : " أهل الرفعة " . وهو تصحيف صوابه من الكامل ٣٢٢/١ والنسخة الشنقيطية .

(٥) هو الإنشاد الواحد والخمسون بعد السبعمائة في شرح أبيات المغني للبغدادي .

والرجز للأغلب العجلي في الأغاني ٣٠/٢١ ؛ وشرح أبيات المغني للبغدادي ١٠٢/٧ ؛ وشرح أبيات سيبويه ٣٦٦/١ ؛ وشرح التصريح ٣١/٢ ؛ والمعمرين ص١٠٨ ؛ والمقاصد النحوية ٣٩٥/٣ ؛ وله أو للعجاج في شرح -

٢٨٩- مَـرُّ اللَّيـالي أسْـرَعَـتْ في نَقْضـي
أخَـــذْنَ بعْضِـــي وتَـرَكْـــنَ بَعْضِـــي

على أن « مَرُّ » اكتسب التأنيث من المضاف إليه ، ولهذا قال : أخذن .

وسيبويه جعلَ محلّ الشاهد أسرعَتْ ؛ ففي البيت قد اكتسب المذكّر فيه التأنيث بوجهين :

أحدهما : التأنيث فقط - وهو بالنظر إلى قوله أسرعَتْ - .

وثانيهما : التأنيث والجمعيَّة - وهو بالنظر إلى قوله أخذن - وكان المناسب للشارح المحقّق أن يضمَّ هذا البيت مع البيت الذي بعده ، أو يُوافق سيبويه ومَن تبِعه .

ويُروَى : « طُولُ اللّيالي » .

قال ابن خلَف : الشاهد فيه أنّه قال : أسرعَتْ ، فأنّث الضمير الذي هو فاعل أَسرعت . ويجب أن يكون مذكّراً لأنّه ينبغي أن يعود إلى المبتدأ ، والمبتدأ مذكّر وهو الطُّول . وإنّما أنّثه[1] لأنّه أضاف الطُّول إلى اللّيالي ، وليس الطّول شيئاً غيرها ؛ فأخلص الخبرَ لليالي دون الطّول . فقد بان لك أنَّ معنى طول اللّيالي أسرعَت ، والليالي أسرعت سواء . انتهى .

وهذا ناظرٌ إلى الوجه الثاني من وجهَيْ كلامِ المبرّد المنقول عنه في البيت السابق.

وقال أبو عليّ الفارسيّ في « التّذكِرة القَصْرِيَّة » : قول ذي الرُّمَّة[2] : (الطويل)

- شواهد المغني ٨٨١/٢ ؛ وللعجاج في الكتاب ٥٣/١ ؛ ولم أقع عليه في ديوانه ؛ والمخصص ٧٨/١٧ . وهو بلا نسبة في الأشباه والنظائر ١٠٦/٢ ؛ وأوضح المسالك ١٠٣/٣ ؛ والبيان والتبيين ٦٠/٤ ؛ والخصائص ٤١٨/٢ ؛ وشرح الأشموني ٣١٠/٢ ؛ والصاحبي في فقه اللغة ص٢٥٢ ؛ ومغني اللبيب ٥١٢/٢ ؛ والمقتضب ١٩٩/٤ ، ٢٠٠.

(١) في جميع الطبعات : " أنث " . والتصويب من شرح أبيات المغني للبغدادي .

(٢) البيت لذي الرمة في ديوانه ص٧٥٤ ؛ وشرح أبيات سيبويه ٥٨/١ ؛ والكتاب ٥٢/١ ، ٦٥ ؛ والمحتسب ٢٣٧/١ ؛ والمقاصد النحوية ٣٦٧/٣ . وهو بلا نسبة في الأشباه والنظائر ٢٣٩/٥ ؛ والخصائص ٤١٧/٢ ؛ وشرح الأشموني ٣١٠/٢ ؛ وشرح ابن عقيل ص٣٨٠ ؛ وشرح عمدة الحافظ ص٨٣٨ ؛ ولسان العرب (عرد ، صدر ، قبل ، سفه) ؛ والمقتضب ١٩٧/٤ .

مَشَيْنَ كَمَا اهتزَّتْ رِمَاحٌ تسفَّهَتْ أعـالِيَهَا مَـرُّ الـرِّيـاحِ الـنَّواسِـمِ

أحسن من قوله :

* طولُ اللَّيالي أسرعَتْ في نَقْضي *

لأنّ الريح لا تكون ريحاً إلاّ بمرورها ، ومدافعة الهـواء بعضِه بعضـاً ، فحسـن أن تُجعَلِ هي هو . وليس طولُ اللّيالي كذلـك ، لأنّ اللّيـلَ قـد يكـون ليـلاً وإن لم يكـن طويلاً . انتهى .

وفيه نظر : فإنّـه ليـس مـراد الشـاعر أنَّ الليـاليَ الطِّوالَ دون القصارِأسرعت في نقْضه، وإنّما يريد تَكرار الزّمان لياليه وأيَّامه ، طالت اللَّيـالي أو قصُـرت ، والزمـان لا ينفكّ عن التّكرار كما لا تنفكّ الريح عن الهبوب والمرور . وهذا لازم ، فتأمّلْ .

ورُوي البيت :

* إنَّ اللّيـالي أسـرعت *

ورواه الجاحظ أيضاً في البيان[1] :

* أرَى اللّيالي أسرَعَتْ *

وعلى هاتين الرّوايتين لا شاهد فيه .

وروى المصراعَ الثاني هكذا أيضاً :

* نَقَضْنَ كُلّي ونَقَضْنَ بَعْضِي *

و« النقض » : هدم البناء حجراً فحجرا .

وهـذان البيتـان مـن أرجـوزة للأغلـب العِجْليّ ذكرهمـا أبـو حـاتم في « كتـاب المعمَّرين[2] » ، وأورد بعدهما :

حَنيـــنَ طُـولـي وحَنِيْـنَ عَـرْضِـي أقعَـدْنَنـي مِـنْ بعـد طُـولِ نَهْضِـي

وكان الأغلَـب العِجْليّ ممّـن عُمِّـر عمـراً طويـلاً في الجاهليَّـة والإسـلام . أسـلم واستشهد بوقعة نهاوند .

(١) البيان والتبيين ٤/٦٠ .

(٢) كتاب المعمرين ص١٠٨ .

وقد تقدَّمت ترجمته في الشاهد الحادي والعشرين بعد المائة[1] .

وزعم أبو محمد الأعرابيّ في « فُرحة الأديب »[2] أنّ هذا الرجز ليس للأغلب ، وإنّما هو من شوارد الرّجز لا يعرف قائله . ومَن حفظ حجّةٌ على من لم يحفَظ .

وقد رواه للأغلب صاحبُ الأغاني أيضاً ، قال أبو محمّد ، وهو كذا[3] : (الرجز)

أصبَحتُ لا يحملُ بعْضِي بَعْضي ... منفَّهُ أرُوحُ مثلَ النِّقْض[4]

مَرُّ اللَّيالي أسرعَتْ في نَقْضي ... طوَيْنَ طُولي وطَوَينَ عَرْضي

ثمَّ التَحينَ عنْ عِظَامِي نَحضي ... أقعَدْتني منْ بعدِ طول نهْضي

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التسعون بعد المائتين[5] : (الوافر)

٢٩٠- وما حُبُّ الدِّيارِ شَغَفْن قَلبي
ولكنْ حُبُّ مَنْ سَكَنَ الدِّيَارَا

على أنّ المضاف وهو « حُبّ » اكتسب التأنيث والجمعيَّة بإضافته إلى الديار ، وهو جمع دارٍ ، وهو مؤنّثٌ سماعيّ . وهذا واضح .

وقد يكتسب المضاف الجمعية فقط كقوله : (الطويل)

وكَمْ ذُدْتَ عنّي من تَحَامُلِ حَادثٍ ... وسَوْرَةِ أيّامِ حَززْنَ إلى اللَّحمِ

فسَورة اكتسبت الجمعيّة من إضافتها إلى أيّام ، ولهذا أعيد الضمير من حززنَ

(١) الخزانة الجزء الثاني ص٢٠٩ .

(٢) فرحة الأديب ص١٨٢ ؛ وفيه : " ليس هذا الرجز للأغلب ، هو كغيره من شوارد الرجز " .

(٣) الرجز للأغلب العجلي في شرح شواهد المغني ص٨٨١ ؛ وفرحة الأديب ص١٨٢ ؛ والمقاصد النحوية ٣٩٥/٣. وبعضها في شرح أبيات المغني للبغدادي ١٠٢/٧ .

(٤) المنفه : الضعيف . والنقض : البعير أعياه السير وأهزله .

(٥) هو الإنشاد الثاني والخمسون بعد السبعمائة في شرح أبيات المغني للبغدادي .

والبيت للمجنون في ديوانه ص١٣١ ؛ وتزيين الأسواق ص١٧ ؛ وشرح أبيات المغني ١٠٣/٧ . وهو بلا نسبة في رصف المباني ١٦٩ ؛ ومغني اللبيب ٥١٣/٢ .

جميعاً . والفرق بينه وبين وما حبُّ الديار شغفن ، أنّ هذا اكتسب التأنيث بصفته أعني الجمعيّة ، فلم يتمحّض لاكتساب الجمعيّة ، كما في : وسَورة أيام حززن .

وبقي أشياء لم يذكرها الشارح المحقّق مما تُكسِبه الإضافة ، منها تذكير المؤنّث عكس ما ذكره كقوله[1] : (البسيط)

إنَارةُ العَقلِ مكسُوفٌ بطَوعِ هَوًى ... وعَقلُ عاصي الهَوَى يَزداد تَنويرا

ومنها الظرفيَّة ، نحو قوله تعالى[2] : « تُؤْتِي أُكُلَها كُلَّ حِين » . ومنها المصدرية نحو قوله تعالى[3] : « وسَيَعْلَمُ الذينَ ظَلَموا أيَّ مُنْقَلبٍ يَنْقَلِبُونَ » . فأيَّ : مفعول مطلق ناصبُه يَنقلبون ، ويعلَم معلّق عن العمل بالاستفهام . ومنها وجوب التصدُّر نحو: غلامُ مَن عندك ؟ ونحو صبيحةَ أيِّ يوم سفرُك ؟ ونحو : غلام أيِّهم أكرمتَ ؟ ونحوَ : غلامُ أيِّهم أنت أفضل ؟

والبيت الشاهد لمجنون بني عامر .

وقبله[4] :

أمُرُّ على الدِّيارِ ديَارِ لَيْلَى ... أقبِّلُ ذَا الجدارَ وذا الجدَارَا

وهما بيتان لا ثالث لهما .

روي أنّه كان إذا اشتد شوقُه إلى ليلى يمرُّ على آثار المنازل التي كانت تسكنها ، فتارة يقبّلها ، وتارة يلصق بطنَه بكُثبان الرّمل ويتقلّب في حافاتها ، وتارة يَبكي وينشد هذين البيتين .

و« الدّيار » : المنازل ، قال الكرمانيّ في « شرح شواهد الموشّح » : قال أبو

---

(١) هو الإنشاد الخمسون بعد السبعمائة في شرح أبيات المغني للبغدادي .
والبيت لأحد المولدين في شرح أبيات المغني للبغدادي ١٠١/٧ ؛ وشرح شواهد المغني ص٢٩٨ ؛ والمقاصد النحوية ٣٩٦/٣ . وهو بلا نسبة في الأشباه والنظائر ٢٦٣/٥ ؛ وأوضح المسالك ١٠٥/٣ ؛ وشرح الأشموني ٣١٠/٢ ؛ وشرح التصريح ٣٢/٢ ؛ ومغني اللبيب ٥١٢/٢ .

(٢) سورة إبراهيم : ٢٥/١٤ .

(٣) سورة الشعراء : ٢٤٧/٢٦ .

(٤) البيت في ديوان المجنون ص١٣١ ؛ وتزيين الأسواق ص٣٤ ؛ وديوان الصبابة ص١٦ ؛ وشرح أبيات المغني ١٠٣/٧ .

حاتم : الدّيار : العساكر والخيام ، لا البنيان والعمران ؛ وإنّ الدّار العُمران والبنيان ، وعليه قوله تعالى في سورة هود[1] : « فأصبَحُوا في دِيارهم جاثمين » أي : في عساكرهم وخيامهم ؛ وفي سورة الأعراف والعنكبوت[2] : « فأصبَحُوا في دارِهم جاثمين » أي : في مدينتهم المعمورة . ولو أراد غير ما قيل لجمع الدّار . فعُلم من كلامه أنَّ الديار مخصوص بالخيام ؛ انتهى كلامه .

وهذه غفلة عن قول الشاعر : « أقبّل ذا الجدارَ » وهو حائط البيت . ثم قال : ويجوز أن يكون الديار جمع دارَة .

قال محمد بن جعفَر في « كتاب دارات العرب » : اعلم أنّهم يقولون لدار الرحل التي يسكنها دارة ، ويجمعونها دارات ودُور وديار .

وذا اسم إشارة . وشغف الهوى قلبَه شَغْفاً ، من باب نفع ، والاسم الشَّغَف بفتحتين : بلغ شَغافه بالفتح ، وهو غشاؤه .

و« **المجنون** »[3] : اسمه قيس بن مُعاذ ، ويقال قيس بن الملوَّح ، أحد بني جَعْدة ابن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعَة ؛ ويقال بل هو من بني عُقيل « بالتصغير » ابن كَعب بن ربيعة[4] .

وهو من أشعر الناس ، على أنّهم قد نسبوا إليه شعراً كثيراً رقيقاً يشبه شعره[5] ، كقول أبي صخر الهُذَليّ[6] : (الطويل)

فيَا هجرَ ليْلَى قَدْ بلغتَ بِهِ المَدَى وزدتَ على ما لم يكُن بلغَ الهَجْرُ[7]

(١) سورة هود : ١١/٦٧ ، ٩٤ .

(٢) سورة الأعراف : ٧/٧٨ ، ٩١ . والعنكبوت : ٢٩/٣٧ .

(٣) انظر في ترجمته وأخباره الشعر والشعراء ص٤٦٧ ؛ وشرح أبيات المغني ١/٧٣ ؛ والمؤتلف والمختلف ص٢٨٩؛ ومعجم الشعراء ص٤٧٦ .

(٤) في طبعة بولاق : " بن كعب بن سعد " . وهو تصحيف صوابه من النسخة الشنقيطية ومن المصادر السابقة ؛ وسيأتي بعد على الصواب .

(٥) القول في الشعر والشعراء ص٤٦٧ .

(٦) البيتان من مطولة غزلية لأبي صخر الهذلي في ديوانه ص٩٦ ؛ وأمالي القالي ٢/١٤٩ ؛ والشعر والشعراء ص٤٦٨ .

(٧) كذا في طبعات الخزانة : " به المدى " . ولا وجه له في المعنى ، ووجه الرواية : " بي المدى " .

ويا حُبَّها زِدْني جوًى كُلَّ لَيْلَـةٍ ويا سَلْوَةَ العُشَّاقِ موعِدُكِ الحَشـرُ

وقال الجاحظ : ما ترك الناس شعراً مجهولاً لقائل فيه ذكر ليلى إلاّ نسبوه إلى المجنون ، ولا فيه لُبنى إلاّ نسبوه لقيس بن ذَريح .

وفي الأغاني : اختُلف في وجوده : فذهب قومٌ إلى أنه مستعار لا حقيقة له ، وليس له في بني عامر أصل ولا نسب .

وقال الأصمعيّ : رجلان ما عُرفا في الدنيا إلاّ بالاسم : مجنون بني عامر ، وابن القِرِّيَّة ، وإنّما وضعهما الرواة . قيل له : فمن قال هذه الأشعار المنسوبة إليه ؟ قال فتًى من بني مَرْوان ، كان يهوَى امرأةً منهم فقال فيها الشعر ، وخاف الظهور فنسبه إلى المجنون ، وعمل له أخباراً وأضاف إليها ذلك ، فحمله الناس وزادوا فيه .

وقال الذهبيّ في « تاريخ الإسلام » أنكر بعض الناس ليلى والمجنون ؛ وهذا دفعٌ بالصدر ، فليس من لا يعلم حجّة على من يعلم ، ولا المثبت كالنافي .

وعلى القول بوجوده اختلف في اسمه : فقيل مهدي ، وقيل قيس بن مُعاذ ، وقيل غير ذلك .

والأصحّ أنّه قيس بن الملوّح بن مزاحم بن قيس بن عديّ بن ربيعة بن جَعدة بن كعب ابن ربيعة بن عامر بن صعصَعة ؛ وصاحبته ليلى بنت مهديّ ، أم مالك العامريّة.

قال ابن قتيبة[1] : وكان المجنون وليلى [صاحبته] يرعيان البَهْم وهما صبيّان ، فعلِقها عَلاقة الصبيّ[2] وقال : (الطويل)

تعلّقتُ لَيْلَى وهي غِرٌّ صَغيرَةٌ ولم يَبدُ للأترابِ من ثَدْيِها حَجْمُ
صَغِيرَين نَرْعَى البَهْمَ يا ليتَ أنّنا صَغيرَانِ لَمْ نَكْبَرْ ولم تَكْبَرِ البَهْمُ

ثم نشأ وكان يجلس معها ، ويتحدَّث في ناسٍ من قومه ، وكان ظريفاً جميلاً[3] راويةً للشعر حلوَ الحديث ، فكانت تعرض عنه وتُقْبِل بالحديث على غيره ، حتّى شقّ

(١) الشعر والشعراء ص٤٦٨ .

(٢) في الشعر والشعراء ص٤٦٨ : " علاقة الصبا " . والأبيات في ديوان المجنون ص٢٣٨ ؛ والشعر والشعراء ص٤٦٨ .

(٣) في الشعر والشعراء : " وكان جميلاً ظريفاً ، راوية للأشعار .." .

ذلك عليه وعرفته فقالت[١] : (الوافر)

كلانَا مُظْهِرٌ للنَّاس بُغْضاً ... وكُلٌّ عنْدَ صاحبهِ مَكينُ
تبلِّغنَا العُيُونُ بِمَا رأينَا ... وفي القَلبيْنِ ثَمَّ هَوًى دَفينُ

ثم تمادى به الأمر ، حتّى ذهب عقله ، وهام مع الوحش ، وصار لا يلبَس ثوباً إلاّ خرَّقه[٢] ، ولا يَعقِل إلاّ أن تُذكَرَ له ليلى ، فإذا ذُكِرت عقَل وأجاب عن كلٍّ ما يُسأل عنه .

ثم إنَّ قومَ ليلى شكَوا منه للسلطان ، فأهدر دمه ، وترحّل قومُها من تلك الناحية ، فأشرفَ فرأى ديارَهم بلاقعَ ، فقصد منزلَها ، وألصق صدرَه به ، وجعل يمرِّغ خدَّيه على التراب ويقول الأشعار . ثم إنّ أباه قيَّده ؛ فجعل يأكل لحم ذراعيه ، ويضرب نفسَه ، ويَعضُّ لسانه وشفتيه ، فأطلقه .

وروي أنّ نوفَل بن مُساحق[٣] لمّا جاء ساعياً على صدقات بني عامر ، رأى المجنون يلعب بالتّراب وهو عُريان ، فقال لغلام له : خذ ثوباً وألقِهِ عليه . فقالوا له : ألا تعرفه ؟ قال : لا . قالوا : هذا المجنون قيس بن الملوّح ؛ فكلّمه فجعل يُجيبه بغير ما يسأله عنه ؛ فقالوا له : إنْ أردتَ أن يكلِّمَك كلاماً صحيحاً فاذكرْ له ليلى . فقال : أتحبُّ ليلى ؟ فأقبل عليه يحدّثه عنها وينشده شعره فيها ، فقال له : أتحبّ أنْ أزوّجكها؟ قال : وتفعل ذاك[٤] ؟ قال : نعم ، اخرجْ معي حتّى أقدم بك على قومها فأخطبها لك .

فارتحلَ معه[٥] ودعا له بكسوة ، فلبسها وراح معه كأصحِّ أصحابه ، فلمَّا قرُب من قومها تلقَّوه بالسِّلاح ، وقالوا : واللّه [يا ابن مساحق][٦] لا يدخل المجنون لنا بيتاً أو نُقتَلَ عن آخرنا ، وقد أهدر لنا السّلطانُ دمه ! فأقبل بهم وأدبر ، فأبَوا عليه ، فقال

(١) البيت الأول في الشعر والشعراء ص٤٦٩ ؛ والبيت الثاني ساقط فيما يلدو من نسخة الشعراء .

(٢) في طبعة بولاق : " ولا خرقة " . وهو تصحيف صوابه من الشعر والشعراء والنسخة الشنقيطية .

(٣) نوفل بن مساحق ، تابعي ، كان قاضياً على المدينة المنورة ، توفي في أيام عبد الملك بن مروان سنة ٧٤ هـ ، وكان من اشراف قريش . (نسب قريش ص٤٢٧ ؛ وطبقات ابن سعد ٢٤٢/٥) .

(٤) في الشعر والشعراء ص٤٦٩ : " قال : نعم ، وهل إلى ذلك من سبيل ! " .

(٥) في طبعة بولاق : " ارتحل له " . وهو تصحيف صوابه من الشعراء والنسخة الشنقيطية .

(٦) زيادة يقتضيها السياق من الشعر والشعراء .

له : انصرفْ . فقال : أين ما وعدتَ ؟ قال : رجوعك بالخيبَة أهونُ عليَّ من سَفْك الدّماء .

ثمّ هام على وجهه في الفلوات ، وأنِسَ بالوحوش فكان لا يأكل إلاّ ما تنبت الأرض من البقول ، ولا يشرب إلاّ مع الظّباء ، وطال شعر جسده ورأسه ، وألِفته الوحوش ، وكان يَهيم حتّى يبلغَ حدودَ الشام ، فإذا ثاب عقله سأل عن نجد فيقال : وأنّى نَجْد ! فيدلّونه على طريق نجد فيتوجّه نحوه .

وكان أهله يأتونه بالطّعام والشراب ، فربّما أكل منه . وفي بعض الأيّام أتوه بالطّعام فلم يروه ، فانطلقوا يفتّشونه فرأوه ملقًى بين الأحجار ميْتاً ، فاحتملوه إلى الحيّ فغسّلوه ودفنوه ، وكثر بكاء النساء عليه . وكان في مدّة ابن الزُّبير .

وقد أطالَ ترجمته جداً أبو الفرج الأصبَهانيُّ في « الأغاني » .

وكانت ليلى تحبّه أيضاً محبّة شديدة . حكى ابن قتيبة قال[1] : خرجَ رجلٌ من بني مُرَّة إلى ناحية الشام والحجاز ، مما يلي تيماء [والسراة بأرض نجد] ، في بغية له ، فإذا هو بخَيمة قد رُفعت له عظيمةٍ [وقد أصابه المطر] فعدل إليها ، فتنحنح فإذا امرأة قد كلّمته فقالت : انزلْ . فنزل ، وراحت إبلُهم وغنمهم فإذا أمرٌ كثير عظيم ؛ فقالت : سلوا هذا الرّاكب من أين أقبل ؟ فقال : من ناحية نَجد . فقالت : يا عبد اللّه ، وأيَّ بلاد نَجْد وطئتَ ؟ قال : كلّها . قالت : فيمن نزلت منهم ؟ قال : بني عامر .

فتنفّست الصُّعداء ثم قالت : بأيِّ بني عامر ؟ قال : ببني الحَريش . قالت : فهل سمعت بذكرِ فتًى منهم يقال له قيسٌ ويلقّب بالمجنون ؟ قال : إي واللّه ، قد أتيته ، فرأيته يَهيم مع الوحش ، ولا يَعقل شيئاً حتّى تُذكر له ليلى ، فيبكي وينشد أشعاراً يقولها فيها . فرَفعتِ السِّترَ بيني وبينها ، فإذا شِقّة قمرٍ لم تر عيني مثلَها [قط] ، فلم تزل تبكي وتنتحب حتّى ظننت أنّ قلبها قد تصدَّع ، فقلت : يا أمةَ اللّه اتّقي اللّه ، فو اللّه ما قلتُ بأساً ! فمكثَتْ [طويلاً] على تلك الحال من البكاء والنّحيب ، ثم قالت[2] : (الطويل)

ألا لَيْتَ شِعْري والخطُوبُ كثيرَةٌ ... متَى رَحلُ قيسٍ مستقلٌّ فراجعُ

---

(١) الشعر والشعراء ص٤٧٠ . والزيادات منه .

(٢) البيتان والقصة في الشعر والشعراء ص٤٧٠-٤٧١ ؛ ومصارع العشاق ٣٣/١ .

بنفسيَ مَنْ لا يسْتَقلُّ برَحلِهِ ومَنْ هُوَ إنْ لَمْ يحفَظ اللّهُ ضَائِعُ

ثم بكت حتّى غُشيَ عليها ، فلمّا أفاقت قلتُ : من أنت يا أمة اللّه ؟ قالت : أنا ليلى المشؤومةُ عليه غير المواسيَة له . قال : فو اللّه ما رأيتُ مثلَ حزنها عليه ، ولا مثلَ جزعها ، ولا مثلَ وجدها ! [1] .

* * *

وأنشد بعده :

* يا سارقَ اللَّيلَةِ أهلَ الدَّارْ *

قد تقدَّم الكلام عليه في الشاهد الرابع والسبعين بعد المائة[2] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الحادي والتسعون بعد المائتين ، وهو من شواهد س[3] : (الرجز)

٢٩١- رُبَّ ابنِ عَمٍّ لسُلَيْمَى مُشْمَعِلْ
طَبَّاخِ سَاعاتِ الكَرَى زَادَ الكسِلْ

على أنَّ « ساعات » كان في الأصل مفعولاً فيه[4] ، فاتُّسع فيه فأُلحق بالمفعول به وأضيف إليه طبّاخ . فكسرة التاء من ساعات كسرة جرّ ، وزادَ الكَسِلِ منصوب على أنّه مفعول طبَّاخ ، لأنّه معتمد على موصوفه .

قال الأعلم : [الشاهد فيه[5]] إضافة طبّاخ إلى ساعات ، على تشبيهها بالمفعول

---

(١) انتهى النقل عن الشعر والشعراء .

(٢) الخزانة الجزء الثالث ص١٠٤ .

(٣) الرجز للشماخ في ديوانه ص٣٨٩ ؛ والكتاب ١/١٧٧ ؛ ولجبار بن جزء في شرح أبيات سيبويه ١/١٣ ؛ وشرح شواهد الإيضاح ص١٦٧ . وهو بلا نسبة في تهذيب اللغة ٢/٩٥ ؛ وجمهرة اللغة ص١٢٢٠ ؛ وشرح المفصل ٢/٤٦ ؛ والكامل في اللغة ١/١١٦ ؛ ولسان العرب (عسل) ؛ ومجالس ثعلب ١/١٥٢ ؛ والمخصص ٣/٣٧؛ ومقاييس اللغة ١/٣٢٣ .

(٤) في طبعة بولاق : " معمولاً فيه " . وهو تصحيف صوابه من النسخة الشنقيطية .

(٥) زيادة يقتضيها السياق من شرح الأعلم الشنتمري .

به ، لا على أنّها ظرف ، ولا تجوز الإضافة إليها وهي ظرف لأنَّ الظرف يقدَّر فيه حرف الوعاء وهو في ؛ والإضافة إلى الحرف غير جائزة ، وإنما يضاف إلى الاسم . ولما أضاف الطبّاخ إلى الساعات اتّساعاً ومجازاً ، عدَّاه إلى الزاد ، لأنّه المفعول به في الحقيقة . انتهى .

وقول ثعلب في « أماليه »[1] :« إضافة طبَّاخ إلى ساعات لا تجوز إلاّ في الشعر » ممنوع .

وقال ابن بَرِّيّ في « شرح أبيات الإيضاح لأبي عليّ » : لا بدَّ أن تقدَّر الساعاتِ تنزّلت منزلة المفعول به ، حتّى كأنّها مطبوخة ، وإن كان الطّبخ في المعنى إنّما هو للزاد ، كما تصير اللّيلة في قوله :

* يا سارقَ اللَّيلةِ أهلَ الدَّارْ *

بمنزلة المفعول حتّى كأنّها مسروقة . ولما خفض ساعات بإضافة طبّاخ إليها انتصب زادَ على المفعول به ، لأنّه المطبوخ في الحقيقة .

ومن خفض زاد الكسل قدَّر الساعات ظرفاً فاصلاً بين المضاف والمضاف إليه ، على قولهم في الرواية الأخرى :

* يا سارقَ اللَّيلَةَ أهلِ الدَّارْ *

انتهى كلامه .

وأورده الفرّاء في « تفسيره » عند قوله تعالى[2] : « فَلاَ تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَه » قال : أُضيفت مخلف إلى الوعد ، ونصبت الرسلُ على التأويل . وإذا كان الفعل يقع على شيئين مختلفين ، مثل كسوتك الثوب وأدخلتك الدار تبدأ بإضافة الفعل إلى الرجل ، فتقول : هو كاسي عبد اللّه ثوباً ومدخلُه الدار ؛ ويجوز هو كاسي الثّوبِ عبدَ اللّه ومدخل الدار زيداً ؛ جاز ذلك لأنَّ الفعل قد يأخذ الدار كأخذه عبد اللّه .

ومثله قول الشاعر[3] : (الطويل)

---

(١) مجالس ثعلب ص١٥٣ .

(٢) سورة إبراهيم : ٤٧/١٤ .

(٣) البيت بلا نسبة في أمالي المرتضى ٢١٦/١ ؛ والدرر ٣٧/٦ ؛ والكتاب ١٨١/١ ؛ وهمع الهوامع ١٣٢/٢ .

تَرَى الثَّورَ فيها مُدخِلَ الظّلّ رأسَه وسائِرُهُ بَادٍ إلى الشَّمس أجمَعُ

فأضاف مُدخِلِ إلى الظلّ ، وكان الوجه أن يضيف مُدخِلِ إلى الرأس .

ومثله :

ربّ ابنِ عمٍّ لسُلَيْمَى مُشْمَعِلّ . . . . الخ

ومثله قول الآخر :

* يا سارقَ اللَّيلَةِ أهْلَ الدَّارْ *

يريد : يا سارقَ أهلِ الدّار اللَّيلة ، [فأضاف سارقاً إلى اللَّيلة[1]] ونصب أهل الدار . وكان بعض النحويين ينصب الليلة ويخفض أهل الدار . انتهى المراد منه .

وقال ابن الشجريّ في « أماليه » وغيرُه : وروي بجرّ زاد أيضاً ؛ على أنَّ طباخاً قد أضيف إليه وفصلَ بينهما الظرف وهو ساعات ، فتكون الكسرة فيه نائبة عن الفتحة وهو منصوب لا مجرور .

قال : ومثل هذا جائز في الشعر كقوله :

* يا سارقَ اللَّيلَةَ أهْلِ الدَّارْ *

يريد : يا سارق أهلِ الدار الليلةَ . انتهى .

وقال ابن خلف : ويجوز أن يكون زاد الكسل بدل اشتمال من موضع ساعات ، ألا ترى أنّ الزّاد تبيينٌ[2] لما يطبخ في الساعات ، وهي مشتملة على الزاد وغيره ، ويجوز أيضاً نصب زاد بفعل دلَّ عليهِ طبَّاخ ، أي : يطبخ زاد الكسلِ . هذا كلامه فتأمَّله .

وقوله : « مشْمَعل » صفة لمجرور ربّ بعد وصْفِه[3] بقوله لسُليمَى . و«المشمعلُّ» : الجادّ في الأمر الخفيفُ في جميع ما أخذَ فيه من العمل ، وهو مشدّد اللام إلاّ أنّه سكّنها للشعر .

---

(١) زيادة يقتضيها السياق من النسخة الشنقيطية . وما قبل الزيادة ساقط من الشنقيطية ، وموجود في طبعة بولاق.

(٢) في طبعة بولاق والنسخة الشنقيطية : " يتبين " . وهو تصحيف صوابه من الطبعة السلفية ١٧٦/٤ .

(٣) في طبعة بولاق والنسخة الشنقيطية : " بعده وصفه " . وهو تصحيف صوابه من الطبعة السلفية .

قال المبرّد في « الكامل[1] » : أمر مُصعب بن الزّبير رجلاً من بني أسد بن خزيمة بقتل مُرَّة بن مَحْكانَ السعديّ ، فقال مُرَّة[2] : (الطويل)

بني أسدٍ إنْ تَقتلوني تُحاربوا   تَميماً إذا الحربُ العَوَانُ اشْمعَلَّتِ
ولستُ وإنْ كانت إليَّ حَبيبةً   بِبَاكٍ على الدُّنيا إذا ما تَوَلَّتِ

قال المبرّد : واشمعلّت : ثارت فأسرعت .

وأنشد :

* ربَّ ابنِ عمٍّ لسُلَيمَى مُشْمَعلْ *

و« طبّاخ » صفة ثالثة لمجرور ربّ . و« الكَرَى » : النعاس . و« الكَسِل » بفتح الكاف وكسر السين ، بمعنى الكسلان ، إلاّ أنّ في كسلان مبالغة ليست في الكَسِل وهو المتثاقل المتواني . يقول: إذا كسلَ أصحابه عن طبخ الزاد ، عند نزولهم آخر الليل وغلَبَةِ النعاس عليهم ، كفاهم ذلك وشمَّر في خدمتهم . وصفه بالنشاط والمضيِّ في الأمور وقت كسل أصحابه وفتورِهم . والعرب تفتخر بمثل هذا .

وروى المبرّد في « الكامل » هذا الرجز كذا[3] : (الرجز)

ربَّ ابنِ عمٍّ لسُلَيمَى مُشْمَعلْ   أروعَ في السَّفْرِ وفي الحيِّ غَزِلْ
طبَّاخَ ساعات . . . .(إلى آخره)

و« الأروع » : السيد الذي يروعك عَظمتهُ وعِزّته . و« السَّفْر » : جمع سافر ، كصحب جمع صاحب ؛ يقال : سفَرتُ ، أي : خرجت إلى السفر ، فأنا سافر وقوم سَفْر.

و« غَزِل » بفتح الغين وكسر الزاي المعجمتين ، يقال : رجلٌ غزل : أي صاحب غَزَل ، وهو محادثة النساء ومراودتهنّ . [وهذا الإعراب هو مقتضى هذه الرواية ؛ وستأتي الرواية الأصلية[4]] .

---

(١) الكامل في اللغة ١/١١٦ .

(٢) البيتان لمرة بن محكان في الكامل في اللغة ١/١١٦ .

(٣) الكامل في اللغة ١/١١٦ .

(٤) زيادة يقتضيها السياق من النسخة الشنقيطية .

وقد نسب المبرد هذا الرّجز إلى الشمَّاخ بن ضِرار ، وهو من رجز [لجَبَّار بن جَزْء أخي الشمّاخ[١]] يتعلّق بعمّه الشمّاخ . وهذا مدحٌ فيه .

وهو من جملة أرجازٍ لجماعة ، لها حكايةٌ مسطورة في آخر ديوان الشمّاخ ، محصّلها :

أنّ الشمّاخ أقبلَ من مِصْرَ[٢] ومعه أولاد إخوته ، في ناسٍ من قومه ، منهم جندب بن عمرو ، وكان الشمّاخ وأصحابه يُبغضونه لأنّه كانَ يتحدَّث إلى امرأة الشمّاخ ، حتّى إذا كانوا قريباً من تيماء على رأس ماء يقال له ثَجْر « بفتح المثلثة وسكون الجيم » قال الشمّاخ لحسن بن مزرد[٣] : انزِل احْدُ بالقوم –وكانوا كذلك يفعلون : ينزل الرجل فيسوق بأصحابه ويرتجز بهم – وأمره أن يعرِّض بامرأة جندب؛ فقال : (الرجز)

خلِيلُ خَوْدٍ غرَّها شبابُهُ إلى آخرِ الرّجز

فنزل جُندب وحَدَا بالقوم ، وعرَّض بامرأة الشمَّاخ ، وكانت أمَّ صبيٍّ ، واسمُها سليمَى ، فقال[٤] : (الرجز)

* طَيْفُ خيالٍ منْ سُلَيمَى هَائجي *

إلى أن قال[٥] : (الرجز)

يا لَيتني كلَّمتُ غيرَ حَارجِ قبلَ الرّواحِ ذاتَ لون باهجِ[٦]

---

(١) زيادة يقتضيها السياق ؛ وسيأتي ما يؤيد أن الرجز لجبار .

(٢) في حاشية الطبعة السلفية ١٧٧/٤ : " في الديوان : " أقبل نفر من مصر من بني ثعلبة " . فزعم فاضل أن الصواب " من مضر من بني ثعلبة " . مستبعداً أن يكون الشماخ دخل مصر . ونحن ننفي زعمه بقول الشماخ في هذه الأراجيز :

أقبلن من مصر يبارين البرى يشكون قرحاً باللغوف والكلى "

(٣) في حاشية الطبعة السلفية : " في الديوان : قال الشماخ لابن حزء " .

(٤) في طبعة بولاق والنسخة الشنقيطية : " هائج " . وهو تصحيف صوابه من الطبعة السلفية نقلاً عن ديوان الشماخ .

(٥) الرجز في ديوان الشماخ ص١٠٠

(٦) في طبعة بولاق والنسخة الشنقيطية : " خارج " . وهو تصحيف صوابه من الديوان . والشطر الثاني ساقط من نسخة الديوان .

أمَّ صبيٌّ قدْ حبَا أو دارِجِ غرثَى الوِشَاحِ كَزَّةَ الدَّمالِجِ

فغضب الشمّاخ لما عرّض بامرأته ، فنزل وساق بالقوم ، ورجز رجزَين عرَّض فيهما بامرأة جندب إلى أن نزل ، وحَدَا جماعةٌ من طرف هذا وجماعةٌ من قِبل ذاك ، وكلُّ رجل يتعصّب لصاحبه ؛ إلى أن تواثبوا بالسيوف .

وكان معهم رجل من بني أسد ، فاقتحم بينهم فقال : يا قوم نُهِشْتُ نُهِشْت ! فلم يزالوا يَسقونه السّمن واللّبن حتّى لَهُوا عن قتالهم ، فأصبحوا وقد سكنوا . وهذا رجز جبَّار[1] ابن أخي الشمّاخ بتمامه :

قالت سُلَيمَى لستَ بالحَادِي المُدِلْ

ما لَكَ لا تَمْلكُ أعضَادَ الإبِلْ

« المُدِلُّ » : الذي أدلَّ بقوَّةٍ على شدَّة السير . يقول : مالَكَ تتخلّف عن الإبل لا تكون عند أعضادها . وهذا خطاب لجُندب بأنه ضعيف لا جَلَدَ له .

ربَّ ابنِ عمٍّ لسُلَيْمَى مُشْمَعِلْ

يحبُّه القَوْمُ وتَشْنَاه الإبلْ

أراد بابنِ العمِّ زوجها الشمّاخ . ويحبُّه القوم لأنه يعنيهم ويخدُمهم مساعدة . و«تشنؤه الإبل » : أي تبغضه ، لأنّه يسوقها سوقاً عنيفاً بالحُداء . و« يحبُّه » : جواب ربَّ العاملُ في محل مجرورها .

في الشَّولِ وشْواشٌ وفي الحيِّ رِفَل

طبَّاخُ سَاعَات الكَرَى زَادَ الكَسِلْ

أحْوَسُ وَسْطَ القَوْمِ بالرُّمحِ الخَطِلْ

« الشَّول » ، بالفتح : الإبل التي شوَّلت ألبانَها ، أي : رفعته . و« الوَشْوَاش »، بمعجمتين : الخفيف المتسرِّع .

و« الرِّفَل » ، بكسر الراء وفتح الفاء واللام المشدّدة سكّنت للوزن : اللابس الثياب المتجمّل بها . يريد أنه خفيفٌ جلْد في السَّفْر يخدُمها ويُراعيها ، وفي الإقامة في الحيِّ متنعّم متحمِّل . والجملتان اسميتان .

(١) في طبعة بولاق : " خيار " . وهو تصحيف صوابه من النسخة الشنقيطية .

وقد روي بدل هذا البيت ما نقلناه عن المبرّد . وقوله : « طبّاخ » ، بالرفع خبر مبتدأ محذوف ، أي : هو طبّاخ كما هو الظاهر من السِّياق ، بخلاف ما تقدّم . وفي طبّاخ مبالغة دون طابخ .

و«الأحوس »[1] ، بمهملتين : الرجل الشديد الذي لا يبرح عند القتال . و«الخَطِل» ، بفتح الخاء وكسر الطاء ؛ الطويل جداً فوق القَدْر .

عاذلتي أبقِي قَليلاً مِنْ عَذَلْ وإنْ تَقولِي هالِكٌ أَقُلْ أَجَلْ

« عاذلتي »: منادى . و« العذل » : اللوم . و« من » متعلّقة بمحذوف . و«هالك» ، أي : أنت هالك . و« أجلْ » : بمعنى نعم .

قرَّبتُ عَنْساً خُلِقَتْ خَلْقَ الجَمَلْ لا تَشتَكي ما لَقِيَتْ مِن العَمَلْ

« قرَّبت » بالتكلم والبناء للفاعل[2] . و« العنس » ، بالنون : الناقة الصُّلبة .

كأنَّها والنِّسْع عنْها قَدْ فَضَل ونَهَلَ السَّوطُ بِدَفَّيْها وعَلْ

مُوَلَّعٌ يَقْرُو صَرِيماً قَدْ نَقَلْ[3]

يريد : أنّ ناقته ضمُرت فاسترخت نُسوعها أي : سيُورها . ونهلَ السّوط بدَفَّيها أي : بجنبيها . وعَلّ أي : ضُربت بالسوط مرّة بعد مرّة . و« المولّع » ، بصيغة اسم المفعول : الثور الوحشيّ ؛ شبّه ناقته في حال كلالها وتعبها بالثور الوحشيّ في حال ما رأى الصياد وقد أمسى الليل عليه ، فهو يسرع أشدَّ ما يمكن .

و« يقرو » بالقاف ، يقال : قروت البلاد قرواً ، وقريتها ، واستقريتها : إذا تتبّعتها تخرُجُ من أرض إلى أرض . و« الصَّريم » : القاطع[4] ؛ يريد رفيقه الذي صرمه ونقل رجله عنه فسبقه .

---

(١) في طبعة بولاق : " والأحوص " . وهو تصحيف صوابه من النسخة الشنقيطية .

(٢) في طبعة بولاق : " والبناء للمفعول " . وهو تصحيف صوابه من النسخة الشنقيطية .

(٣) في حاشية الطبعة السلفية ١٧٩/٤ يقول الميمني : " في الديوان : صريماً قد بقل . قال العلامة الميمني وهو الصواب ، وقال ابن الأمين : صريماً : رملاً . وقد بقل : قد أنبت البقل " .

(٤) في حاشية الطبعة السلفية : " قال الأستاذ الميمني : هذا غلط صوابه أن الصريم هنا الرمل . وبقل أنبت البقل . أي : يتتبع مواضع الخضرة . وإني لأعجب من تمحله في الكلمتين " .

وفي حاشية طبعة هارون ٢٤٠/٤:" هذا وهم من البغدادي انساق فيه إلى آخر التفسير .وانظر الحاشية السابقة " .

صــبَّ عليــه قــانصٌ لـمَّا غَفَــلْ والشَّمسُ كالمرآة في كَفِّ الأَشَلْ
مَقلَّداتِ القِدِّ يقــرُونَ الدَّعَــلْ[1]

« قانص » : فاعل صَبَّ ؛ أي : أرسل قانصٌ على الثور لمّا غفل كلاباً . وجملة: والشمس كالمرآة ، حال إمّا من قانص ، أو من فاعل غفل أو من ضمير عليه ، وهمـا ضمير الثور ، يريد في حالة أنّ الشمس قد تنكّبت للمغيب . والأشـلُّ : الـذي يبسـت يده فلا يمسكها إلاّ منكّسة .

و« المقلّدات » ، بصيغة اسم المفعول ، يريد كلاباً عليها قلائد من السُّيور ؛ وهو مفعول صَـبّ . و« يقـرون » : يتبعن ويطلبن . و« الدَّعَـل »، بفتـح الـدال والعـين المهملتين ؛ قال ابن الأعرابي : هو الخَتْل ؛ وهو يداعله ، أي : يخاتله .

وقوله : « والشَّمس كالمرآة ، الخ » ، أورده القزويني : في « تلخيـص المفتـاح » في باب التشبيه ، وعدَّه من التشبيه الغريب .

ولم يزد العبّاسيّ شارح شواهد التلخيص على قوله : اختُلف في قائل هذا البيت، فقيل للشمّاخ ، وقيل لأخيه ، وقيل لأبي النّجم ، وقيل لابن المعتز .

وجبّار قائل هذا الرجز هو بفتح الجيم والباء الموحّدة المشـدّدة ومعنـاه ذو الجَبَريّـة والعظمة ، يقال : قوم فيهم جَبَرِيّة ، بفتح الباء ، أي : عظمة وكبر .

ونسبُه تقدّم في ترجمة عمّه الشمّاخ في الشاهد الحادي والتسعين بعد المائة[2] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثاني والتسعون بعد المائتين ، وهو من شواهد س[3]:

(الطويل)

---

(١) في حاشية الطبعة السلفية ١٨٠/٤ : " قال العلامة الميمني : الظاهر كما في الديوان (الدغل) بالغين المعجمة وهو النبت الكثير الملتف . والدعل أراه تصحيفاً ".

(٢) الخزانة الجزء الثالث ص١٨٦ .

(٣) البيت لأبي طالب بن عبد المطلب في ديوان أبي طالب ص١١ ؛ والدرر ٢٧١/٥ ؛ وشرح أبيات سيبويه ٧٠/١ ؛ وشرح التصريح ٦٨/٢ ؛ وشرح شذور الذهب ص٥٠٥ ؛ وشرح المفصل ٧٠/٦ ؛ والكتاب ١١١/١ ؛ والمقاصد النحوية ٥٣٩/٣ . وهو بلا نسبة في أوضح المسالك ٢٢١/٣ ؛ وشرح الأشموني ٣٤٢/٢ ؛ وشرح قطر الندى ص٢٧٥ ؛ والمقتضب ١١٤/٢ ؛ وهمع الهوامع ٩٧/٢ .

٢٩٢- ضَرُوبٌ بِنَصْلِ السَّيفِ سُوقَ سِمَانِها

هذا صدر ، وعجزه :

* إذا عَدِمُوا زَاداً فإنَّك عَاقِرُ *

على أنّ أبنية المبالغة لكونها للاستمرار ، لا لأحد الأزمنة ، عملت . فـ «ضَرُوب» مبالغة ضارب ، وقد عمل النصب في « سوق » على المفعولية .

قال ابن ولّاد : سألت أبا إسحاق الزجّاج : لم صار « ضروبٌ » ونحوه يعمل وهو بمنزلة ما استقرّ وثبت ، وضاربٌ لا يعمل إذا كان كذلك ؟ فقال : لأنك تريد أنّها حالة ملازمة هو فيها ، ولستَ تريد أنّه فَعل مرّةً واحدة وانقضَى الفعل كما تريد في ضارب ، فإذا قلت : هذا ضَرُوبٌ رؤُوسَ الرجال ، فإنّما هي حال كان فيها فنحن نحكيها .

قال ابن عصفور : هذا هو الصحيح ، والدليل على صحّته قول أبي طالب :

* ضَرُوبٌ بِنَصْلِ السَّيف * الخ

لأنّه مدحَ به [أبا] أميّة بنَ المغيرة[1] بما ثبت له واستقرَّ ، وحكى الحال التي كان فيها مِن عَقْر الإبل إذا عُدم الزاد . ولو أراد المضيَّ المحض و لم يرد حكاية حاله ، لما ساغ الإتيان بإذا ، لأنّها للمستقبل .

قال ابن السيد في « شرح أبيات الجمل » : نصل شفرته ، أي : حدّه الذي يقطع به ، فلذلك أضافه إلى السيف . وقد يسمَّى السيف كلّه نصلاً .

و« سُوق » : جمع ساق .و« السِّمان » : جمع سَمينة . والضمير للإبل . وعقر البعير بالسيف عَقْراً: ضرب قوائمه . لا يُطلق العقر في غير القوائم .

وكانوا يَعقرون الناقة إذا أرادوا نحرها: إمّا لتبرُّكَ فيكون أسهلَ لنحرها ؛ أو ليعاجل الرجلُ ذلك فلا تمنعه نفسُه من عقرها فيكون قد عاجلها لئلاّ تأمره بغير ما في نفسه . و« ضروب » : خبر مبتدأ محذوف أي : هو ضروب . فقوله : « فإنّك عاقر» ، التفات .

---

(١) " أمية بن .." كذا في جميع طبعات الخزانة . وفي حاشية الطبعة السلفية ١٨١/٤ : " صوابه أبا أمية وانظر التحقيق الآتي للبغدادي في آخر الصفحة ١٨٢ " . وكذلك في حاشية طبعة هارون ٢٤٢/٤ .

قال بعضهم : ولو قدّر أنت ضروب لكان الالتفات [معدوماً] فيه[1] ، ويكون إنّك عاقر على مقتضى الظاهر . وإذا شرطيّة تَجزم في الشعر . وجملة « عدموا » شرطُها في محلّ جزم وهي العامل في إذا ، والجملة المقرونة بالفاء جوابها .

ولا يجوز أن يكون عاقر عاملاً في إذا ، لأنَّ ما بعد إنَّ لا يعمل فيما قبلها ، لأنّها حرف ، والحرف لا يتقدَّم معمولُه ولا معمول معموله عليه . وقيل إذا هنا شرطيّة غير جازمة .

قال ابن هشام في «المغني» : وفي ناصبها مذهبان :

أحدهما : أنّه شرطها[2] - وهو قول المحقّقين - فتكون بمنزلة متى وحيثما وأيّان. وقول أبي البقاء إنّه مردود بأنّ المضاف إليه لا يعمل في المضاف ؛ غير وارد ، لأنَّ إذا عند هؤلاء غير مضافة كما يقوله الجميع إذا جزمت ، كقوله[3] : (الكامل)

* وإذا تُصبْكَ خَصاصةٌ فتجمَّلِ *

والثاني : أنه ما في جوابها من فعل أو شبهه ، وهو قول الأكثرين . انتهى .

وعلى هذا اقتصر اللَّخميّ في « شرح أبيات الجمل » فقال : العامل في إذا فعل محذوف دلَّ عليه عاقر ، والتقدير : إذا عدموا زاداً عقرتَ . ولا يجوز أن يعمل في إذا عاقر ، لأنّه لا يعمل ما بعد إنَّ فيما قبلها .

---

(١) في جميع طبعات الخزانة : " لكان الالتفات فيه " . وهو تصحيف .
وفي حاشية الطبعة السلفية ١٨١/٤ : " الصواب لما كان الالتفات ، أو لكان الالتفات معدوماً " .

(٢) في طبعة بولاق والنسخة الشنقيطية : " شرطيتها " . وهو تصحيف ؛ وقد صححها الشنقيطي .
وفي حاشية الطبعة السلفية ١٨٢/٤ : " في الأصل شرطيتها والجملة لا تعمل وصوابه من المغني ومن تصحيح الشنقيطي في نسخته " .

(٣) عجز بيت لعبد قيس بن خفاف ، أو لحارثة بن بدر الغداني وصدره :
* استغن ما أغْناكَ ربُّكَ بالغِنى *
وهو الإنشاد الثلاثون بعد المائة في شرح أبيات المغني للبغدادي .
والبيت لعبد قيس بن خفاف البرجمي في الأصمعيات ص٢٣٠ ؛ والدرر ١٠٢/٣ ؛ وشرح أبيات المغني ٢٢٢/٢ ؛ وشرح اختيارات المفضل ص١٥٥٨ ؛ وشرح شواهد المغني ٢٧١/١ ؛ ولسان العرب (كرب) ؛ والمقاصد النحوية ٢٠٣/٢ ؛ ولحارثة بن بدر الغداني في أمالي المرتضى ٣٨٣/١ . وهو بلا نسبة في الأشباه والنظائر ٣٣٥/١ ؛ وشرح الأشموني ٥٨٣/٣ ؛ وشرح عمدة الحافظ ص٣٧٤ ؛ ومغني اللبيب ٩٣/١ ؛ وهمع الهوامع ٢٠٦/١ .

والعجب من العينيّ هنا فإنّه بعد أن ذهب إلى أنّها شرطيّة جازمة ، قال : والعامل فيها فعل محذوف دلَّ عليه عاقر ، أي : عقرت . ولا يخفى تعسُّفه . وقيل إذا هنا ظرفيّة وليست شرطيّة ؛ وعاملها ضَروب . وهذا ركيك والأوَّل هو البليغ .

وهذا البيت من قصيدةٍ لأبي طالبٍ عمّ النّبيّ صلّى اللّه عليه وسلّم ، رثى بها أبا أميَّة بن المغيرة بن عبد اللّه بن عُمر بن مخزوم[1] ، وكان ختنَه ، فخرج تاجراً إلى الشام فمات بموضع يقال له : سَرْو سُحيم ، فرثاه أبو طالب بهذه القصيدة .

كذا في شروح أبيات سيبويه وأبيات الجمل وغيرها ، إلاّ أنَّ في بعض نسخ ما ذكرنا سَقطاً من الكُتّاب ، وهو أنّهم حذفوا المضاف من أبي أميّة ، والصواب إثباته كما يأتي بيانه .

وغلِط بعضهم فزعمَ أنّها مدحٌ في مسافر بن أبي عمرو .

وأفحشُ من هذا القول قولِ ابن الشَّجريّ في « أماليه » إنّها مدحٌ في النّبيّ صلّى اللّه عليه وسلّم .

والقصيدة هذه[2] : (الطويل)

أرقتُ ودَمعُ العينِ في العينِ غائِرُ ... وجَادَتْ بِمَا فيها الشّؤُونُ الأعاوِرُ[3]

كأنَّ فِراشي فَوقَهُ نارُ مُوقِدٍ ... منَ اللّيلِ أو فوقَ الفِراشِ السَّوَاجرُ

على خَير حَافٍ منْ قريشٍ ونَاعلٍ ... إذا الخيرُ يُرجَى أو إذا الشَّرُّ حَاضِرُ[4]

ألا إنَّ زَادَ الرّكبِ غيرُ مُدَافَعٍ ... بسَرْوِ سُحَيمٍ غيّبتْهُ المَقابِرُ

(١) في طبعة بولاق والنسخة الشنقيطية : " عمرو بن مخزوم " . وهو تصحيف .

وفي حاشية طبعة هارون ٢٤٤/٤ : " .. وليس لمخزوم ولد اسمه عمرو ، وإنما هو عمر " .

وفي نسب قريش ص٢٩٩ : " فولد مخزوم بن يقظة : عمر ، وعامراً ... فولد عمر بن مخزوم : عبد الله ؛ وعبيداً..." . وانظر في ذلك الاشتقاق ص٦١ ، ٦٣ ؛ وجمهرة أنساب العرب ص١٤٢ .

(٢) في حاشية الطبعة السلفية ١٨٣/٤ : " قال العلامة الميمني : بعض قصيدة أبي طالب - باختلاف - في الأغاني ٨: ٤٨ ؛ وديوانه رواية ابن جني ١٨: ٢٢٠-٢٣٩ من المجلة الألمانية Z. D. M. G. وابن أبي الحديد ٤: ٢٩٤ والاشتقاق ٩٤ " .

(٣) في طبعة بولاق والنسخة الشنقيطية : " في العين غامر " . وهو تصحيف . وقد صححها الشنقيطي في نسخته وقد أثبتنا تصحيح الشنقيطي .

(٤) لعله يشير إلى قريش الظواهر وقريش البطاح .

بسَرْو سُحَيم عَارفٌ ومُنَاكِرٌ ... وفَارسُ غَارات خَطيبٌ وياسِرُ
تَنادَوا بأن لا سيِّدَ الحيِّ فيهمُ ... وقد فُجعَ الحيَّان كَعبٌ وعَامِرُ
وكانَ إذا يأتي منَ الشام قَافلاً ... تَقَدُّمُه تسعَى إلينا البشَائِرُ
فيصبحُ أهلُ اللَّهِ بيضاً كأنَّما ... كَستْهُمْ حَبيراً رَيدَةٌ ومَعَافِرُ
تَرَى دَارَهُ لا يبرحُ الدَّهرَ عندَها ... مُجَعجعَةٌ كُومٌ سِمَانٌ وبَاقِرُ
إذا أُكلَتْ يَوماً أَتَى الغَدَ مثلَها ... زَوَاهقُ زُهمٌ أو مخَاضٌ بَهَازِرُ
ضَرُوبٌ بنَصْلِ السَّيفِ سُوقَ سِمَانها ... إذا عَدِمُوا زَاداً فإنَّك عَاقِرُ
فإلاَّ يكنْ لَحمٌ غريضٌ فإنَّه ... تُكَبُّ على أفواههنَّ الغَرائرُ
فيا لَكَ من نَاعٍ حُبِيْتَ بألَّةٍ ... شِراعيَّةٍ تصفرُّ منها الأظَافِرُ

« الغائر » : مِن غار الماء في الأرض غوراً : ذهب فيها . و« الشؤون » : جمع شأن وهو عِرْق ينحدر من الرأس إلى الحاجب ثم إلى العين ، ومنه تجيء الدموع . و«الأعاور» : جمع أعْور ؛ من عَورت العينُ من باب تعب : نقصت أو غارت . و«السَّواجر» : جمع ساجر بكسر الجيم ، وهو الموضع الذي يأتي عليه السَّيلُ فيملؤه . يريد كثرة الدموع .

وقوله : « ألا إنَّ زاد الرّكب الخ » ، « زاد الركب » : لقب أبي أُميَّة ، قال الزّبير بن بكّار في « أنساب قريش » : كان أزواد الرّكب من قريش ثلاثة :

أحدهم : مُسافر بن أبي عمرو بن أميَّة بن عبد شمس .

وثانيهم : زَمَعة بن الأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العُزَّى .

وثالثهم : أبو أميَّة بن [المغيرة بن[1]] عبد اللَّه بن عُمر بن مخزوم. وإنّما قيل لهم أزواد الرّكب لأنهم كانوا إذا سافروا لم يتزوَّدْ معهم أحد[2] .

و« سُحيم » بضمّ السين وفتح الحاء المهملتين : موضع ؛ و« سَروه » : أعلاه . كذا قال ابن السيد وغيره .

---

(١) زيادة يقتضيها السياق من النسخة الشنقيطية .

(٢) في حاشية الطبعة السلفية ١٨٤/٤ : " قال العلامة الميمني : راجع الأزواد الركب التبريزي بون ٤٦٤ وبولاق ٣: ٤٢ والثمار ٧٩ والاشتقاق ٨ و ٩٤ والمستقصى والميداني ٢: ٦٢ ، ٦٦ ؛ والعسكري طبعتاه ١٦٣ و ٢: ١٢٩ " .

وليس هذا اللفظ في «معجم ما استعجم» ولا في «معجم البلدان»[1] . والموجود في الأول سُخيم بالخاء المعجمة على وزنه ، قال : هو مِخْلاف من مَخاليف اليمن تنسب إليه الخمور الجيِّدة .

وقال في مادة سرو : والسَّرْو ارتفاعٌ وهبوط بين حَزْن وسهل ، وسروُ حِمْير أعلى بلاد حمير . انتهى .

وزعم العينيّ أن سَرْواً هنا شجرة وليس كذلك .

وقوله : « بسَرْو سحيم عارف الخ » ، « عارف » مبتدأ والظرف قبله خبره ، وما بعده معطوف على عارف ؛ وحذف حرف العطف من خطيب ضرورة . و«العارف» مِنْ عرَف على القوم يَعرُف ، من باب قتل ، عِرافة بالكسر ، فهو عارف أي : مدبِّر أمرهم وقائم بسياستهم .

و« مُناكر » : اسم فاعل من ناكره ، أي : قاتله. وخطيب القوم هو المتكلّم عنهم . و« الياسر » : اللاعب بقِداح الميسر وهو قِمار العرب ، وتسمَّى الأزلام . وكان الميسر منقَبَةً في الجاهليَّة ، يلعبون به في أيّام الجدْب والقَحْط ؛ وكان الغالب يفرّق ما أخذه على الفقراء .

و« القافل » : الرّاجع من السفر . و« البشائر » : جمع بشارة[2] .

وأراد بأهل اللّه قريشاً ؛ وكانت العرب تسمِّيهم أهل اللّه لكونهم أرباب مكّة . و« بيض » : جمع أبيض ؛ والبياض لعزَّته عند العرب لغلبة السمرة عليهم ، يستعيرونه لحسن الحال والجودة . و« الحَبِير » ، بفتح المهملة وكسر الموحدة : ثياب ناعمة كانت تصنع باليمن .

و«رَيْدة» ، بفتح الراء وسكون المثناة التحتية : بلدة من بلاد اليمن . و«معَافِر»، بفتح الميم وكسر الفاء وبينهما عين مهملة : حيٌّ من همْدان في اليمن ، إليهم تنسب الثياب المعافريَّة .

وقوله :«مجعجعة» ، اسم فاعل من جعجعت الإبلُ ، إذا صَوَّتت ؛ و«الجعجعة»:

---

(١) هذا سهو من البغدادي ، فإن ياقوت ذكره في معجمه في (السرو) . وقال في رسم (سحيم) : موضع في بلاد هذيل .

(٢) في حاشية الطبعة السلفية ١٨٥/٤ : " بكسر الباء وضمها " .

أصواتها إذا اجتمعت ؛ وهي حال من كُوم جمع كَوماء كصحراءُ ، وهي الناقة العظيمة السنام .

وقال ابن السيد وغيره من شرّاح الشواهد : المجعجعَة المصروعة ، وعليه فهي اسم مفعول . ومن العجائب قول العينيّ هنا : مجعجعة من الجعجعة وهي صوت الرحَى . و« الباقر » : اسمٌ لجماعة البقر ، كالجامل لجماعة الجِمال .

وقوله : « إذا أكلت يوماً [. . الخ] » الغد منصوب على الظرفيّة ، وهو اليوم الذي يلي يومك . و« مثلَها » : حال من زواهق ، وهي جمع زاهقة ، وهي السّمينة. و« الزُّهم » : الكثيرات الشحم ، جمع زَهِمة بفتحٍ فكسر ، وكلاهما بالزاي المعجمة. و« المخاض » : الحوامل من الإبل ، واحدها خَلِفَة من غير لفظها . و« البَهازر » : جمع بَهزرَة كحيدرة ، وهي العظيمة الجسم .

وقوله : « ضروبٌ بنصل السيف الخ » ، السياق والسباق يمنع أن يكون تقديره أنت ضروب ، كما زعمه بعضهم .

و« الغَريض » ، بإعجام الطرفين : الطّريُّ من اللحم . و« تكبّ » : تصبّ . و« الغرائر » : جمع غرارة ، وهي العِدل ، يكون فيها الدقيق والحِنطة وغيرهما .

وقوله : « فيا لك من ناعٍ الخ » ، هذا تعجُّب . و« النّاعي » : الذي يخبر بموت الإنسان . و« حُبِيت » : خُصِصت ؛ من الحِباء وهو العطيّة[1] . و« الألّة » ، بفتح الهمزة واللام المشددة ، وهي الحَربة .

و« شِراعيّة » بالكسر ، لا بالضم كما ضبطه العينيّ . قال صاحب «الصحاح»: ورمح شِراعيٌّ أي : طويل ؛ وهو منسوب[2] .

وقال ابن السيد وتبعه ابن خلف : الشّراعيّة التي قد أشرعت للطّعن[3] ، أي : صوَّبت وسدَّدت . وقوله : « تصفر منها الخ » أي : تموت منها ، لأنَّ الميت يصفرّ ظفْره ، دعاءٌ على من أخبر بموت أبي أميَّة بالقتل .

---

(١) في جميع طبعات الخزانة : " وهي العطية " . وهو تصحيف . وفي حاشية الطبعة السلفية وطبعة هارون : "والوجه : وهو " .

(٢) في القاموس (شرع) : " وكغراب : رجل كان يعمل الأسنة والرماح " .

(٣) في طبعة بولاق : " أشرعت الطعن " . وهو تصحيف صوابه من النسخة الشنقيطية ، وقد صححها الشنقيطي في نسخته .

و« **أبو أميَّة** » اسمه كنيتهُ ، تقدّم ذكر نسبه قريباً ، مات في الجاهليّة ، وكان زوج أخت أبي طالب ، وهي عاتكة بنت عبد المطّلب بن هاشم عمّة النّبيّ صلّى اللّه عليه وسلّم .

قال الزّبير بن بكّار في « أنساب قريش » : كان عند أبي أمية بن المغيرة ابن عبد اللّه بن عُمر بن مخزوم أربعُ عواتك : عاتكة بنت عبد المطلب ، وهي أمّ زهير وعبد اللّه وهو الذي قال للنبيّ صلّى اللّه عليه وسلم[1] : « لَن نُؤْمِنَ لَكَ حتّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الأرضِ يَنْبُوعا » ، وقريبةَ الكبرى وعاتكة بنت جذْل الطِّعان ، وهي أم أمّ سلمة والمُهاجر . وعاتكة بنتُ عُتْبة[2] بن ربيعة ، وهي أم قريبة الصغرى[3] . وعاتكة التميميّة ، وهي بنت قَيْس بن سعد بن زَمْعة بن نَهشل بن دارم ، وهي أم أبي الحكم - دَرَجَ - وأمّ مسعود قتل يوم بدر كافراً ، وربيعةَ وهشامٍ الأكبر وصفيّة .

وكان زهير بن أبي أميّة من رجال قريش ، وكان عبد اللّه بن أبي أميّة شديدَ الخلاف على المسلمين ، ثم خرجَ مهاجراً من مكّة يريد النبيّ صلّى اللّه عليه وسلّم ، فلقيه بالطُّلوب بين السُّقيا والعَرْج ، هو وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ، فأعرض عنهما رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلم فقالت له أم سلمة : يا رسول اللّه ما جُعِل ابن عمّك وأخي ، ابنُ عمّتك[4] أشقَى الناس بك !

فقال علي بن أبي طالب لأبي سفيان بن الحارث : ائت رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم من قِبَل وجهه وقل له ما قال إخوة يوسف ليوسف[5] : « تا للّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللّهُ علَيْنا وإنْ كُنّا لَخاطِئِين » فإنّه لا يرضي أن يكون أحد أحسن منه قولاً . ففعلِ ذلك أبو سفيان فقال له رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم[6] : « لا تَثْرِيبَ علَيْكُمُ اليومَ يغفِرَ اللّهُ لَكُمْ وهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحمينَ» وقبل منهما وأسلما .

وهو أخو أمِّ سلمة لأبيها ، وشهد مع رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم فتح مكّة

---

(١) سورة الإسراء : ٩٠/١٧ .

(٢) في طبعة بولاق : " عقبة " . وهو تصحيف صوابه من النسخة الشنقيطية والإصابة ٨٨٧ ؛ قسم النساء .

(٣) قريبة هذه - بفتح القاف - وتقال أيضاً بالتصغير ، كما في الإصابة ٨٨٧ من قسم النساء .

(٤) ابن عمه هو أبو سفيان ، وابن عمته عبد الله ، وهو أخو أم سلمة . انظر الإصابة ٤٥٣٤ .

(٥) سورة يوسف : ٩١/١٢ .

(٦) سورة يوسف : ٩٢/١٢ .

وحُنين . وقُتل يوم الطائف شهيداً . وقتل هشام بن أبي أميَّة يوم أُحد كافراً . وأسلم المهاجر وزهير . وولد زهير معبداً ، وقتل يوم الجمل، وعبد اللّه بن زهير . وولدت قريبةُ الكبرى لزَمَعة بن الأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العُزَّى[1] . وولدت قريبة الصغرى عبد اللّه وأمّ حكيم ابني عبد الرحمن بن أبي بكر الصدّيق رضيَ اللّه عنه .

وترجمة أبي طالب عمّ النبيّ صلّى اللّه عليه وسلّم تقدَّمت في الشاهد الحادي والتسعين[2] .

* * *

وأنشد بعده : (الطويل)

* بمُنْجَرِدٍ قَيْدِ الأوَابِدِ هَيْكَلِ *

على أن قيداً بمعنى مقيّد ، فإضافته إلى الأوابد لفظيّة لم تُكسبه تعريفاً ؛ ولهذا وقع نعتاً لمنجرد .

وهذا عجز ، وصدره :

* وقد أغتدي والطَّيرُ في وُكُناتِها *

أي : أخرج غُدوةً للصّيد . و« الوُكنة » : عُشّ الطائر الذي يبيض فيه . و«المنجرد من الخيل » : الماضي في السير . و« الأوابد » : جمع آبدة بالمدّ وهي الوحوش يريد أنّ هذا الفرس من سرعته يلحق الوحوش فيصير لها بمنزلة القيد .

وهذا البيت من معلّقة امرئ القيس ، تقدّم شرحه والكلام على قيد الأوابد بلاغة وإعراباً في الشاهد الخامس والثمانين بعد المائة[3] .

* * *

(١) في حاشية الطبعة السلفية ١٨٧/٤ : " هكذا دون ذكر للمولود . وقد ذكر ابن قدامة المقدسي في كتابه أنساب القرشيين (نسخة فوتوغرافية رقم ١٠٩٥ تاريخ بدار الكتب) من أولادها يزيد بن زمعة وعبد اللـه بن زمعة . ثم ذكر وهباً و لم ينسبه إليها . انظر ص٢٦٩ ، ٢٧٠ منه . وقال العلامة الميمني قد أتعبت خفي وحافري لأرأب الثأي ولكن (اتسع الخرق على الراقع) بعد طول العناء وضياع الاناء . غير أن نسب زمعة صحيح وقد تقدم أن قريبة الكبرى كانت بنت عاتكة بنت عبد المطلب " .

(٢) الخزانة الجزء الثاني ص٦٧ .

(٣) الخزانة الجزء الثالث ص١٥٠-١٥١ .

وأنشد بعده :

* يا سارقَ اللّيلةِ أهلَ الدّارْ *

على أنّ إضافة سارق إلى اللّيلة بمعنى في ، أي : يا سارقا في اللّيلة .

وقد تقدّم الكلام على هذا في الشاهد الرابع والسبعين بعد المائة[١] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثالث والتسعون بعد المائتين[٢] : (الطويل)

٢٩٣- لِحَافِي لِحَافُ الضَّيْفِ والبُرْدُ بُرْدُهُ

على أنّ « أل » في البُرد عند الكوفيّين عوض من المضاف إليه ، والتقدير : وبُردي برده . وهو المناسب لقوله : لحافي لحاف الضّيف .

وقد أورده الشارح في البدل ، وفي المعرّف باللام ، وفي الصفة المشبهة أيضاً .

وهذا صدر وعجزه :

* ولَمْ يُلْهِنِي عنهُ غَزَالٌ مُقَنَّعُ *

وبعده[٣] :

أحدِّثُهُ إنَّ الحديثَ مِنَ القِرَى وتَعلمُ نَفْسي أنّه سَوفَ يَهْجَعُ

وهذان البيتان أوردهما أبو تمّام في باب الأضياف من « الحماسة » لمسكين الدّارِميّ ، إلاّ أنّه روى المصراع الشاهد :

* لحافي لحافَ الضّيف والبيت بيته *

وكذلك رواه جميع من سيُذكر من رواته ، منهم ابن الأثير في « المثل السائر » وقال : الغزال المقنع استعارة للمرأة الحسناء .

---

(١) الخزانة الجزء الثالث ص١٠٤ .

(٢) البيت لطفيل الغنوي في ديوانه ص١٠٣ ؛ ولعروة بن الورد في ديوانه ص١٠١ ؛ ولمسكين الدارمي في ديوانه ص٥١ ؛ ولعتبة بن مسكين الدارمي في الحماسة البصرية ٢٤٧/٢ ؛ ولعتبة بن بجير في شرح ديوان الحماسة للمرزوقي ص١٧١٩ . وهو بلا نسبة في أمالي المرتضى ٤٧٥/١ ؛ ولسان العرب (بصص) .

(٣) البيت لعروة بن الورد في ديوانه ص١٠١ ؛ ولسان العرب (بصص) . وهو بلا نسبة في المخصص ٣٧/٢ .

ومنهم السيّد المرتضى في « أماليه » وقال : ومعنى أحدثه إن الحديثَ من القِرَى، أي : أصبر على حديثه وأعلم أنّه سوف ينام ، ولا أضجر بمحادثته فأكون قد محقت قِراي . والحديث الحسن من تمام القِرَى .

وقال التبريزيّ : أي تعلم نفسي وقت هجوعه فلا أكلّمه . يريد أنّه يحدثه بعد الإطعام كأنّه يسامره ، حتّى تطيب نفسه ؛ فإذا رآه يميل إلى النوم خلاّه .

فإن قيل : كيف يحمد بقوله : إنّ الحديثَ من القرى ، وقد قال غيره في إنزال الضيف[1] : (الطويل)

* ولَمْ أقعدْ إليه أسائله *

قلت : هذا إشارة إلى ابتداء النزول ، وذلك وقت الاشتغال بالضيافة ، وهذا يريد بحديثه بعد الإطعام .

ومنهم الأعلم الشنتمريّ في « حماسته » إلاّ أنّه روى المصراع الأخير[2] :

* وتكلأُ عَيني عينَهُ حينَ يَهْجَعُ *

و« تكلأ » : تحرس ؛ و« الكَلاءة » : الحراسة والحفظ . والعين الأوّل حاسّة البصر ، والثاني بمعنى الذات .

ومنهم أبو زيد في « نوادره[3] » ، ومنهم الجاحظ في « البيان والتبيين[4] » إلاّ أنهما زادا على البيتين قبلهما بيتين آخرين وهما :

أرَى كُلَّ ريحٍ سوفَ تَسكُنُ مرَّةً ... وكُلَّ سَماءٍ ذاتِ دَرٍّ ستُقْلِعُ

(١) هو منصور النمري كما في الحماسة . وتمام البيت :

فقلت له أهلاً وسهلاً ومرحباً ... رشدت ولم أقعد إليه أسائله

والبيت من قطعة للنمري في شرح أبيات المغني ١٦٠/٤ ؛ وشرح الحماسة للأعلم ٩٨٨/٢ ؛ وشرح الحماسة للتبريزي ١١٢/٤ ؛ وشرح الحماسة للمرزوقي ص١٦٩٨ ؛ والحماسة برواية الجواليقي ص٥٥٨ .

(٢) شرح الحماسة للأعلم الشنتمري ١٠٠٩/٢ .

(٣) الأبيات لا يوجد شيء منها في النوادر طبع بيروت . ويقول صاحب الطبعة السلفية : "وهذا دليل على نقص هذه النسخة " .

(٤) البيان والتبيين ١٠/١ ، ٣٥٨/٢ بدون نسبة . وفي الجزء الأول أنشد البيتين الثالث والرابع . وفي الجزء الثاني أنشد البيت الأول مع بيتين آخرين .

فإنَّـكِ والأضيْـافَ في بُـرْدةٍ معـاً إذا ما تَبِضُّ الشَّمسُ ساعةَ تَنْزِعُ
لِحَافِي لِحَافُ الضَّيْـفِ . . . . البيتين

قال أبو زيد : تَبِضُّ ، أي : تجري إلى المغرب ؛ أي : أمرهم لازم لك ، كأنّك أنت وهم في بردة . وهو بالضاد المعجمة ، قال صاحب « الصحاح » : وبضّ الماء يبِضّ بضيضاً ، أي : سال قليلاً قليلاً .

و« تَنزع » : تذهبُ ؛ مِنْ نزع إلى كذا : إذا مال إليه وذهب . وأراد بالسماء السحاب . والدَّرَّ القَطر . و« الإقلاع » : الكفّ عن الشيء ؛ يقال : أقلع عمّا كان عليه .

والكاف من قوله فإنّكِ الخ مكسورة ؛ لأنّه خطاب مع امرأته .

وقوله : « ولم يُلهني » أي : لم يَشغلني . و« المقنّع » : اسم مفعول ، الذي ألبس المِقْنع والمِقْنعة بالكسر ، وهما ما تقنّع به المرأة رأسَها ، أي : تغطّيه . والقِناع أوسع من المِقْنعة . وإنّما لم يقل المُقنّعة بالتأنيث لأنّه جرَى على لفظ الغزال .

وكلّهم روى هذا الشعر لمسكين الدّارميّ - وقد تقدَّمت ترجمته في الشاهد السابع والستين بعد المائة[١] - إلاّ الجاحظ والأعلم الشنتمريّ ، فإنّهما نسباه إلى كعب ابن سعد الغنَويّ .

ونسبه التبريزيّ إلى عُتبة بن بُجير ، وبعضُ شرَّاح الحماسة .

وقد انفرد ابن الشَّجريّ بنسبته إلى عُتبة بن مسكين الدَّارميّ ، فإنه قال : محادثة الضيف من دلائل الكرم ؛ وقد مدحوا [بذلك وتمدّحوا[٢]] به : فمن المدح قول الشمّاخ يمدح عبد الله بن جعفر[٣] :(الرجز)

(١) الخزانة الجزء الثالث ص٦٨ .

(٢) زيادة يقتضيها السياق من النسخة الشنقيطية .

(٣) الرجز للشماخ في ملحق ديوانه ص٤٦٦ ، ٤٦٧ ؛ وشرح شواهد الشافية ص٢٠٢ ؛ والمقاصد النحوية ٥٤٦/٤ . وهو بلا نسبة في أمالي المرتضى ٤٩٣/١ ؛ وشرح الأشموني ٧٤٩/٣ ؛ وشرح الحماسة للأعلم ٩٥٦/٢؛ وشرح الحماسة للتبريزي ١٣٢/٤ ؛ وشرح الحماسة للمرزوقي ص١٧٥٠ ؛ وشرح شافية ابن الحاجب ٢٨٣/٢ ؛ وشرح المفصل ٧٦/٩ .

الطارق : الآتي ليلاً . والسرى : سير الليل ، وهو هنا مصدر في موضع الحال . أي : طرق الحي سارياً إليهم . وقوله : " ما اشتهى " في موضع نعت للحديث ، أي : حديثاً شهياً إليه .

إنَّـكَ يا ابنَ جعفَـرٍ نِعْمَ الفتَـى ونِعْـمَ مَـأوى طـارقٍ إذا أتـى
وربُّ ضيـفٍ طَرَقَ الحيَّ سُـرَى صَادفَ زاداً وحَديثـاً ما اشْتَهى
إنَّ الحـديـث طَـرَفٌ منَ القِـرَى

ومن التمدّح قول عُتبة بن مسكين الدَّارميّ :

لحَافِي لِحَافُ الضَّيفِ والبيتُ بيته . . . . البيتين

وقوله : « وربُّ ضيف » ، هو بفتح الراء وضمّ الباء عطف على نِعْم(١) .

وقد نسب ابن الشَّجريّ مسكينَ الدَّارمي"(٢) إلى البخل ، فإنّه قال قبل ذينك البيتين .

ومن شعره الذي استُدلّ به على بخله قوله يذكر ضيفاً نزل به : (الطويل)

أتَـى يَخبِـطُ الظَّلمَاءَ واللَّيـلُ دَامـسٌ يسَـائِلُ عَنْ غيرِ الذي هُـو آمِـلُ
فقلـتُ لها قُومـي إليـه فيسِّـري طَعَـامـاً فـإنَّ الضَّيـفَ لا بـدَّ نَـازلُ
يقـولُ وقـدْ ألقَـى مَراسِـيْهِ للقِرَى أبنْ لِيَ ما الحَجَّاجُ بالـنّاسِ فَاعِلُ(٣)
فقلـتُ لعَمـري ما لـهـذا طَرقْتَنـا فكُلْ ودَعِ الحَجَّاجَ ماأنتَ آكِـلُ(٤)
أتَانَا ولَـمْ يَعْـدِلْـه سَـحبَانُ وَائـلٍ بَيَاناً وعلماً بالـذي هـو قَـائـلُ(٥)
فَمَا زَالَ عنـهُ اللّقْـم حتّى كـأنَّـهُ مـنَ العِـيّ لـمَّا أن تكلَّـمَ بَـاقِـلُ(٦)

قوله : « ألقَى مَراسيه » ، أي : ألقى أثقالـه وثبـت كـلَّ الثَّبات . وسؤاله عن الحجّاج هو الذي عناه بقوله : « يسائل عن غير الـذي هـو آمـل » . و« طرقتنـا » : أتيتنا ليلاً .

---

(١) في حاشية طبعة هارون ٢٥٤/٤ : " أي : على فاعل نعم . والوجه أن يكون : ربَّ ضيف " .

(٢) في حاشية الطبعة السلفية ١٩٠/٤ : " نبه العلامة الميمني على أن الصواب : مسكيناً الدارمي " .

(٣) البيت لحميد الأرقط في لسان العرب (بقل) .

(٤) البيت لحميد الأرقط في لسان العرب (بقل)

(٥) البيت في البيان والتبيين ٦/١ لحميد بن ثور الهلالي ومعه البيت التالي له .
وفي حاشية البيان ٦/١ : " كذا . والصواب أن صاحب الشعر هو حميد الأرقط ، كما في اللسان (بقل) . وحميد الأرقط شاعر إسلامي من شعراء الدولة الإسلامية . كان معاصراً للحجاج " .

(٦) البيت لحميد الأرقط في تاج العروس (بقل) ؛ وتهذيب اللغة ١٧٢/٩ ؛ ولسان العرب (بقل) .

وقوله : « فما زالَ عنه اللّقْم الخ » ، أراد أنّه امتلأ من الطعام حتّى كسبته الكظّة العيّ ، كقولهم[١] : « البِطْنَة تُذهِبُ الفِطْنَة » . ولمّا بدأه الضيف بالحديث وسأله عن الحجّاج طلباً للاستئناس ، قطع عليه كلامه بقوله : ما لهذا طرقتَنا ، فكُلْ ودَعِ الحجاج . وهذا منه نهايةٌ في البخل ، لأنّ محادثة الضيف من دلائل الكرم[٢] . انتهى كلام ابن الشَّجريّ .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الرابع والتسعون بعد المائتين ، وهو من شواهد س[٣]: (الكامل)

٢٩٤- الواهِبُ المائةِ الهجَانِ وعَبْدِها
[عُوْذاً تُزجّي خَلْفَها أطفالَها[٤]]

على أنه قد يجعل ضمير المعرَّف باللام في التابع مثلَ المعرّف باللام ؛ فإنّ قوله : «عبدِها» بالجرّ معطوف على المائة ، وهو مضاف إلى ما ليس فيه أل . واغتُفر هذا

(١) المثل في جمهرة اللغة ص٣٦١ ، ١١٢٧ ؛ وزهر الأكم ١/١٩٢ ؛ وفصل المقال ص٤٠٩ ؛ وكتاب الأمثال لمجهول ص٣٨ ؛ واللسان (أفن ، بطن) ؛ والمستقصى ١/٣٠٤ ؛ ومجمع الميداني ١/١٠٦ .

(٢) في حاشية الطبعة السلفية ٤/١٩١ : " ومما يدخل في أحوال مسكين ما نقله العلامة الميمني عن كنايات الجرجاني ٥٧ وعن اللآلئ ٤٦ قال : ووقع بينه وبين امرأته سبّ فقال مسكين :

ناري ونار الجار واحدة وإليه قبلي تنزل القدر

فقالت امرأته : القدر للجار فهي تنزل إليه قبل . ثم قال :

ما ضرّ جاراً لي أجاوره أنْ لا يكونَ لبابِهِ سِتْرُ

فقالت : بل يتسور على جارته فلا يحميها سترها منه " .

(٣) البيت للأعشى ميمون في ديوانه ص٧٩ ؛ وأمالي المرتضى ٢/٣٠٣ ؛ والدرر ٥/١٣ ؛ والكتاب ١/١٨٣ ؛ والمقتضب ٤/١٦٣ . وهو بلا نسبة في الأشباه والنظائر ٢/٤٣٩ ؛ وجمهرة اللغة ص٩٢٠ ؛ والدرر ٦/١٥٣ ؛ وشرح ابن عقيل ص٤٢٧ ؛ وشرح عمدة الحافظ ص٦٦٧ ؛ والمقرب ١/١٢٦ ؛ وهمع الهوامع ٢/٤٨ ، ١٣٩ .
ورواية الديوان والمصادر السابقة :

* الواهب المائةَ .... * بفتح المائة .

(٤) زيادة يقتضيها السياق موجودة في النسخة الشنقيطية .
وفي حاشية الطبعة السلفية ٤/١٩١ : " الزيادة للشنقيطي في نسخته ، وهي ضرورية لأن البغدادي فسر عجز البيت.

لكونه تابعاً ؛ والتابع يجوز فيه ما لا يجوز في المتبوع .

قال أبو بكر بن السرَّاج في باب العطف : ومما جاء في العطف لا يجوز في الأوّل قول العرب : كلُّ شاة وسَخْلتِها بدرهم ؛ ولو جعلت السَّخلة تلي كلّ ، لم يستقم .

ومن كلام العرب : هذا الضارب الرجل وزيدٍ ، ولو كان زيد يلي الضارب لم يكن جرّ . وينشدون هذا البيت جرّاً :

* الواهب المائةِ الهِجَانِ وعبدِها *

وكان أبو العبّاس المبرّد يفرق بين عبدها وزيد يقول : إنّ الضمير في عبدها هو المائة ، فكأنه قال : وعبد المائة ؛ ولا يَسْتحسِن ذلك في زيد ولا يجيزه . وأجازه سيبويه والمازنيّ ، ولا أعلمهم قاسوه إلاّ على هذا البيت .

وقال المازنيّ : إنّه من كلام العرب . والذي قاله أبو العبَّاس أولى وأحسن . انتهى .

وقال الأعلم : قد غلط سيبويه في استشهاده بهذا ، لأنّ العبد مضاف إلى ضمير المائة ، وضميرُها بمنزلتها ؛ وهذا جائز بإجماع ، وليس مثل الضارب الرجل وعبد اللّه، لأن عبد اللّه علم كالفرد ، لم يضف إلى ضمير الأوّل فيكون بمنزلته .

وإنّما احتجَّ سيبويه بهذا بعد أن صحَّ عنده بالقياس جواز الجرّ في الاسم المعطوف. وأنشد البيت لُيري ضرباً من المثال في الاسم المعطوف . لأنّه حجّة له ، لا أنّه ليس يجوز فيه غيره . هذا كلامه .

ومعنى البيت أنّ هذا الممدوح يهب المائةَ من الإبل الكريمة ، ويهب راعيَها أيضاً، وهو المراد من العبد . وخصّ الهِجان لأنه أكرمها . و« الهِجان » : البيض ؛ قال الجوهريّ : هو من الإبل الأبيض ، يستوي فيه المذكر والمؤنث والجمع ؛ وقال الأصمعيّ : « الهِجان » : الكرام ، وأصل الهجان البياض ، وهي تكون للواحد والجمع ، وربّما جُمع هجائنَ كما قالوا شمال وشمائل .

و« عوذا » : حال من الهِجان ، وهو جمع عائذ بالعين المهملة والذال المعجمة ؛ وهذا جمع غريب ، ونظيره حائل وحُول وفاره وفرْه .

قال ابن الأثير في « النهاية » : العائذ : الناقة إذا وضعت وبعد ما تضع أيّاماً حتّى يقوى ولدها .

وقال شارح ديوان الأعشى : العوذ : الحديثات النتَاج قبل أن تُوفَى خمس عشرة ليلة ، ثم هي مُطْفِل بعده .

وقال ابن خلف : هي الحديثة النتاج ، كان معها ولد أو لم يكن . قال الأعلم : وسمِّيت عائذاً لأنّ ولدها يعوذُ بها لصغره ، وبُني على فاعل لأنّه على نية النسب لا على ما يوجب التصريف ، كما قالوا عِيشة راضية . و« تزجِّي »[1] : بالزاي المعجمة والجيم ، أي : تسوق ، والتّزجية : السَّوق ، ومثله الإزجاء .

وروي بدله : «ترشّح» والترشيح : التربية ، يعني إذا تخلّفت أولادها وقفت وحنّت حتّى يلحق أولادها بها فتغذّيها وتدفعها[2] ، وكذلك التزجية . وقيل إنّما تكون التزجية من بين يديها . وفاعل تزجِّي ضمير العُوذ ، والجملة صفة لها ، وأطفالها مفعول تزجِّي .

وهذا البيت من قصيدة للأعشى ميمون - وقد تقدّمت ترجمته في الشاهد الثالث والعشرين في أوائل الكتاب[3] - وقد استعمل هذا المعنى في شعره كثيراً ، منها قوله[4]: (الكامل)

الوَاهب المائةِ الهِجانِ وعبدِها قُطُناً تشبِّهها النَّخيلَ المُكْرِعا

القطُنْ والقَطين : أتباع الملك ؛ وهو حال [من العبد[5]] . وتشبِّهها بالخطاب. و« المُكرع » ، بوزن اسم الفاعل : النّخيل التي على جُول الماء[6] .

ومنها قوله[7] : (المتقارب)

هو الواهِبُ المائةَ المصطفَاةَ إمَّا مَخاضاً وإمَّا عِشَارا

---

(١) في حاشية الطبعة السلفية ١٩٣/٤ : " هذا هو الصواب لا كما قاله الأعلم بالبناء للمفعول فإنه يستلزم رفع الروي وحركة روي القصيدة إنما هي الفتح " .

(٢) في النسخة الشنقيطية : " فتقويه وتلفعه " .

(٣) الخزانة الجزء الأول ص١٨١ .

(٤) لم نجد البيت في طبعة ديوانه .

(٥) زيادة يقتضيها السياق من النسخة الشنقيطية .

(٦) في حاشية الطبعة السلفية ١٩٣/٤ : " كذا في ش - أي الشنقيطية - ، وجول البئر جانبها . وفي المطبوعة - حول - بالمهملة " .

(٧) البيت للأعشى في ديوانه ص١٠١ ؛ وتاج العروس (علق) ؛ ولسان العرب (علق) .

وقال أيضاً في قصيدة نونية[1] : (المتقارب)

هــو الواهِــبُ الـمائــةَ الـمُصطفَـا ةَ كالنَّخْــلِ زيَّنـهـا بالـرَّجَــنْ

و« الرَّجن » ، بفتح الراء المهملة وبالجيم ، قال في « الصحاح » : قـال الفـرّاء : رَجَنَت الإبلُ ورجنت أيضاً بالكسـر وهـي راجنـة ؛ وقـد رَجَنتها أنـا وأرجنتهـا : إذا حبستَها لتَعلِفَها و لَم تسرّحْها .

وقد سبقَ الأعشى في هذا المعنى إمّا بشرُ بن أبي خازم ، وإمّـا أوس بـن حجـر ، فإنّهما متعاصران وكانا قبله : قال الأوّل يمدح عمرَو بنَ أم أُنَاس[2] : (الكامل)

والـمَانِـحِ الـمائـةَ الهِجــانَ بأسرها تُـزْجَـى مَطَافِلُهـا كجنَّــةِ يَثْـرِبِ

وقال الثاني يمدح فَضالة[3] : (البسيط)

الوَاهِـبُ الـمِائـةَ المِعْكَـاءَ يَشْـفعُها يـومَ النِّضَـارِ بأخـرى غيـرَ مجهُــودِ

و« المِعكاء »، بكسر الميم وسكون العين المهملة بعدها كاف ، قال ابن الأنبـاريّ في « المقصور والممدود » : يقال أعطاه مائة معْكاء : إذا أعطاه مائةً مــن الإبـل سماناً غلاظاً . وأنشد هذا البيت .

وتلـك القصيـدة يمـدح بهـا الأعشـى قيـسَ بـن مَعْـد يكـربَ الكنــديّ . وهــذا مطلعها[4]: (الكامل)

رَحَلـتْ سُـمَـيَّةُ غُــدوةً أجمَـالَهـا غَضْبَى عليـكَ فمَا تقـولُ بَـدَا لَهَا

هــذا النَّهــارُ بَـدَا لـها مِنْ همِّهــا مـا بالُهــا باللَّيـلِ زَالَ زوالُـهـا[5]

سَفَهاً وهلْ تَدرِي سُـميَّـةُ ويْـحَهـا أنْ رَبَّ غَانيــةٍ قَطَعْـتُ وِصالَهـا

ثم قال :

---

(١) البيت للأعشى في ديوانه ص٧١ .

(٢) البيت لبشر بن أبي خازم الأسدي في ديوانه ص٣٩ .

(٣) البيت لأوس بن حجر في ديوانه ص٢٥ ؛ وتهذيب اللغة ٤١/٣ ؛ ولسان العرب (عكا) .

(٤) القصيدة مطولة في ديوان الأعشى ص٧٧-٨٣ .

(٥) البيت للأعشى في تاج العروس (شول) ؛ ولسان العرب (شول) . وهـو بـلا نسـبة في جمهـرة اللغـة ص٨٨٠ ؛ والمخصص ١٣٤/٩ ؛ ومقاييس اللغة ٢٣٠/٣ .

وسَبِيئَةٍ مِمَّا تُعتِّقُ بابِلٌ ... كدَمِ الذَّبيحِ سلبتُها جِريَالَها[1]
وغريبةٍ تأتي الملوكَ حَكيمةٍ ... قَدْ قُلْتُها ليقالَ مَن ذا قَالها[2]

ثم وصف ناقته فقال مخاطباً لها[3] :

ولَقَدْ نَزلتُ بخيرِ مَنْ وَطِئَ الحَصَى ... قيْسٍ فأثبتَ نَعلَها وقِبالَها
ما النِّيلُ أصبحَ زاخِراً مِنْ مَدِّهِ ... جَادَتْ لهُ ريحُ الصَّبا فجرَى لَها[4]
زَبِداً بمصرٍ يومَ يَسْقِي أهلَها ... وغدَا تُفَجِّرُهُ النَّبيطُ خِلالَها
يوماً بأغْزرَ نَائِلاً منهُ إذا ... نفسُ البَخيلِ تجهَّمَتْ سُؤَّالها
الواهبُ المائةَ الهِجَانَ وعبدِها ... . البيت
والقَارِحِ الأحوَى وكلِّ طِمِرَّةٍ ... ما إنْ تنالُ يدُ الطَّويلِ قَذَالَها

وقال في آخر القصيدة :

وإذا تجيءُ كَتيبَةٌ ملمُومةٌ ... خَرساءُ يَخشَى الذّائدونَ نِهالَها
كنتَ المقدَّمَ غيرَ لابسِ جُنَّةٍ ... بالسَّيفِ تَضْربُ مُعْلِماً أبطالَها
وعرَفْتَ أنَّ النَّفسَ تلقَى حَتفَها ... ما شاءَ خَالِقُها المليكُ قَضَى لَها

قوله : « رحلت سمّية الخ » ، « الأجمال » : هي الجمال ، و« رَحَلْتُها » : حمَّلتها ، و« سمّية » : اسم امرأة .

وقوله : « هذا النهار بدا لها الخ» ؛ قال أبو عليّ في « الإيضاح الشعريّ » رواه أبو الحسن : « هذا النّهارَ » بالنصب ، وكذلك رواه أبو عَمرو الشّيبانيّ ، فأمّا من رفعَ النهار فجعله وصفاً لهذا وحذف الراجع من خبر المبتدأ ، كأنه قال : هذا النّهارُ

---

(١) في طبعة بولاق والنسخة الشنقيطية : " يعتق بابل " . وهو تصحيف صوابه من الديوان .
والبيت للأعشى في أساس البلاغة (جرل) ؛ وتاج العروس (عتق ، جرل) ؛ وتهذيب اللغة ٢١١/١ ؛ وكتاب العين ١٤٦/١ ؛ ولسان العرب (عتق ، جرل) . وهو بلا نسبة في جمهرة اللغة ص١٠٩٩ ؛ والمخصص ٢١٠/١١

(٢) البيت للأعشى في تاج العروس (حكم) ؛ والدرر ٢٦٩/١ ؛ وكتاب العين ٦٧/٣ ؛ ولسان العرب (حكم) . وهو بلا نسبة في شرح شذور الذهب ص١٨٩ ؛ وشرح قطر الندى ص١٠٤ ؛ وهمع الهوامع ٨٤/١ .

(٣) في حاشية طبعة هارون ٢٥٩/٤ : " الحق أن الشعر الآلى إخبار لا خطاب . وانظر القصيدة في الديوان " . والدليل على صحة رأي محقق طبعة هارون ضمير المتكلم " نزلتُ " .

(٤) في طبعة بولاق : " جاءت له ريح الصبا " . ولقد أثبتنا رواية ديوانه والنسخة الشنقيطية .

بدا لها فيه . فأمّا فاعل بدا فيكون ضمير المصدر ، أي : بدا البُداءُ ، وقوله : « من همّها » ، حال من هذا الفاعل ، ويجوز على قول الأخفش بزيادة مِن في الواجب أن يكون مجرورها فاعل بدَا .

ومن استجاز حذف الفاعل ممّن خالف سيبويه أجاز أن يكون مِن همّها صفة للفاعل المحذوف ، كأنه قال : بدا لها بَدَاءٌ[1] من همِّها .ومن نصب النهار ففيه وجهان:

أحدهما : أن يكون على حدّ زيداً مررت به .

والآخر : أن يكون ظرفاً لبدا ، كأنه قال : بدا لها البَداء من همّها في هذا النهار. ويجوز أن يكون قوله : هذا ، فيمن نصب النهار إشارة إلى الارتحال ، كأنه لمّا قال : رحلت قال : هذا الارتحال بدا لها النهار ، فيكون في بدا ذكر يعود إلى المبتدأ الذي هو هذا . وكان المعنى عليه ، لأنّ المعنى هذا الارتحال والمفارقة قد بدا لها في النهار ، فما بالها بالليل يعتادنا خيالُها ، هلاّ فارقَتْنا بالليل كما فارقتنا بالنهار .

فأمّا فاعل زال فيمن نصب زوالَها ، فجائز أن يكون الهمّ ؛ لأنَّ ذكْره قد تقدَّم ، كأنه قال : زال الهمّ زوالَها ، فدعا عليها بأن يزول الهمُّ زوالَها ، أي : زوالُ همِّها معها حيث زالت .

وقد حُكي هذا القول عن أبي عمرو الشيبانيّ . ويجوز أن يكون الفاعل اسم اللّه تعالى كأنه قال : زال اللّه زوالَها ، مِن قوله زلته فلم يزُل ، وعلى هذا قول ذي الرُّمَّة[2] : (الطويل)

وبَيْضاءَ لا تَنْحَاشُ منّا وأمُّها ... إذا ما رأتْنا زِيلَ مِنّا زَوِيلُها

انتهى كلام أبي عليّ ، وكأنه لم يطّلع على ما للعلماء بالشعر في هذا البيت .

---

(١) في طبعتي بولاق والسلفية : " بُدُوٌّ " . وفي طبعة هارون والنسخة الشنقيطية : " بَداءٌ " . وهو ما يقتضيه الشرح الذي سيأتي بعده .

(٢) البيت لذي الرمة في ديوانه ص٥٥٤ ؛ وتاج العروس (رحأ ، حوش ، زول ، وصل) ؛ وتهذيب اللغة ١٤٢/٥؛ وكتاب العين ٣٨٥/٧ ؛ ولسان العرب (حوش ، زول ، زيل ، مني) ؛ والمخصص ٨٦/٨ . وهو بلا نسبة في جمهرة اللغة ص٨٢٧ ؛ ومجمل اللغة ١١٩/٢ ، ٣٣/٣ ؛ ومقاييس اللغة ١١٩/٢ ، ٣٨/٣ .

وأراد بيضاء ، بيضة نعام . يقول : لا تهرب منا وأمها تخافنا ، ويقال للرجل إذا فزع : زيل .

وقد جمعه حمزة بن الحسن في « كتاب التّنبيه على حُدوث التصحيف » قال[١] :
قوله: « هذا النهار بدا » قال الأخفش : النهار ظرف ، أي : في هذا النهار .

وقوله : « من همِّها ما بالها بالليل » قال بعضهم : يقول : هذا الارتحال الذي يرى لنا من همِّها في النهار ، فما بالها بالليل إذا نمنا ألَمّ بنا خيالها .

وقال آخر : يقول : هذا الهمّ بدا لها نهاراً ، والهمّ ما همَّت به من مفارقته وصرمه . وقال آخر : هي بالنهار تخاف العيون وتراقب الوشاة ، فما بالها بالليل أيضاً بمثل تلك الحال لا تزورني وقد زال عنها ما تحاذر .

وقال آخر : إنّما ردّه على آخر البيت الأول ، وهو قوله : فما تقول بدا لها ، ثم قال مفسراً لذلك : بدا لها أن همّت بصرمي نهاراً ، فما بالها بالليل ؛ أي : ما لنا ولَهَا بالليل لَسْنَا نَنَامُه[٢] شوقاً إليها وذكراً لها .

وقوله : « زالَ زوالَها » قال الأصمعيّ : هو دعاء على المرأة ، أي : هذه المرأة لا أكاد أراها بالنهار فإذا جاء الليل إذ أتانِي خيالها[٣] فما بالها ؟ ثم دعا عليها فقال : زال زوالها ، ومعناه لا زال همُّها يزول زوالَها ، أي : يزول معها ، أراد أنّه لا يفارقها. وقال بعضهم : هذا دعاء على الهمِّ ، ومعناه زال الهمُّ معها حيث زالت[٤] . وقال أبو عمرو : هي كلمة يُدعَى بها ، فترَكَها على حالها .

وقال بعضهم : هو دعاء على الخيال ، ومعناه أذهب اللّه خيالَها عنّي كما ذهبت هي فأستريح . وقال الأخفش : هو دعاء على الليل ، ومعناه أزال اللّه الليل الذي نقاسي فيه منه ما نقاسيه مع صَرمها لنا نهاراً كما زالت سُميّة . وهذا كما تقول : هلك فلان ، أي : أهلكه اللّه .

وقال الأخفش : قال بعضهم : زال هنا بمعنى أزال ، وهي لغة قومٍ من العرب ، تقول : زُلت الرجلَ عن مقامه بمعنى أزلته . وعليه قول ذي الرُّمَّة[٥] : (الطويل)

---

(١) التنبيه لحمزة بن الحسن ص٢٠٢-٢٠٧ طبع بغداد عام ١٩٦٧ .

(٢) في التنبيه : " ليست تدعنا ننامه " .

(٣) في طبعة بولاق : " أذاني خيالها " . وفي النسخة الشنقيطية : " أتاني خيالها " . والوجه ما أثبتناه .

(٤) كلمة : " زالت " ساقطة من النسخة الشنقيطية . وفي هامش الشنقيطية كتب ناسخها : " لعله كانت " . وفي طبعة بولاق : " حيث كانت " . ولقد أثبتنا مافي التنبيه .

(٥) قطعة من بيت لذي الرمة مرّ آنفاً . ولقد خرجناه هناك .

* زِيلَ منها زويلها *

فكأنه قال : ما بال هذا الليل أزالها .

ويُحكى هذا القول بعينه عن أبي عُبيدة . وقال الأصمعيّ في بعض الحكايات عنه: هذا مقلوب ، يجب أن يقول زالت زوالَه ، أي : زوال النهار ؛ ثمّ قلبَ الكلام كما قال الشاعر(١) :

. . . . كما كانَ الزناءُ فريضةَ الرَّجْمِ

وقال بعضهم : هو خبرٌ ليس بدعاء ، ومعناه ما بال حظّنا من سميّة بالليل قد زال كما زالت . وإنّما يريد تأخّر الخيال عنه الذي كان يقوم مقامَها فيستريح إليه . وعلّة تأخّر الخيال عنه أنه سهر لفراقها فلم ينم فيبصره .

قال : وقد يجوز أن يكون دعاءً على الليل إذْ فاته حظُّه فيه منها . وقال أبو عمرو : أنا أرويه : « زالَ زوالُها » بالرفع ، وإن كان إقواءً ؛ وعلى هذا يكون دعاءً على المرأة بالهلاك وأن تذهب من الدُّنيا ؛ والأعشى شاعر أفحل من أن يُقويَ .

وقال بعضهم : هو دعاءٌ منه لسميّة لا عليها ، زال ما تهمُّ به من صرمنا في النّهار والليل ، كما زالت هي ، أي : زال عنّا همُّها بذلك .

وقال بعضهم : هو إخبار عن الليل وفيه تقدير قد ، أي : قد زال زوالها ، أي : كأنّ الليل الذي كان لنا منها قد زال ، وهذا كما تقول : مالي مع فلان ليلٌ ولا نهار، وإنما تعني مالي حظّ من الليل ولا النّهار ، ولست تعني أنّ هناك نهاراً ولا ليلاً . انتهى ما أورده حمزة .

وقوله : « وسبيئة ممّا تعتّق بابل الخ » ، « السَّبيئة » : الخمر ، فعيلة بمعنى مفعولة، من سبأت الخمر سبْءاً : إذا اشتريتها لتشربَها ، والاسم السِّباء بالكسر على

(١) عجز بيت للنابغة الجعدي ؛ وتمامه :

* كانتْ فَرِيْضَةُ ما تقُولُ كما *

والبيت في ديوان النابغة الجعدي ص٢٣٥ ؛ ولسان العرب (زنى) . وهو بلا نسبة في أمالي المرتضى ١/٢١٦ ؛ والإنصاف ١/٣٧٣ .

والفريضة هنا : الجزاء . والزنا في (اللسان) : مقصور ، وهو لغة أهل الحجاز ، وممدود ، لغة بني تميم . ويقول شارح ديوانه ص٢٣٥ : " وفي الشطر قلب ! إذ الأصل : كان الرجم فريضة الزنا ، وهذا شائع في لغة العرب " .

فِعال ، والسَّبَّاء : الخمَّار وزناً ومعنى . و« الجِريال » ، بكسر الجيم وبعد الراء مثنّاة تحتيّة .

قال الجواليقيّ في « المعرّبات » : هو صِبغ أحمر ، ويقال : جِريان بالنون ، وقيل هو ماء الذهب ، وذهب الأصمعيّ أنّه روميٍ معرَّب ، ورُوي لي عن الأصمعيّ عن شُعبة عن سِمَاك بن حرب ، عن يونس بن متى راوية الأعشى[١] قال : قلت للأعشى: ما معنى قولك : « سلبتها جريالها » ؟ قال : شربتها ، حمراء وبُلْتها بيضاء فسلبتها لونها . يقول : لما شربتها نقلْتُ لونَها إلى وجهي فصارت حمرتها فيه . وهذا المعنى أراد أبو نواس بقوله[٢] : (البسيط)

* أحْدَثه حُمرتَها في العينِ والخَدِّ *

وربّما سمِّيت الخمر جريالاً . انتهى كلامه .

وقوله : « وغريبةٍ تـأتي الملوكَ حَكيمةٍ » أي : ربَّ قصيدة غريبة في أسلوبها محكمة .

وقوله : « ولقد نزلت الخ » ، قال شارح الديوان ابن حبيب : يجوز ضم التاء بالتكلم وكسرها بخطاب الناقة ، والمراد لقد نزلتُ برحلي فأثبتَ نعلها ، أي : قضى حوائجي . و« تجهَّمت » : بمعنى استثقلت .

وقوله : « والقارِحِ الأحوى الخ » ، هو بالجرّ عطف على المائة الهِجان . و«القارح» : ما جاوز خمس سنين من ذوات الحافر . و« الأحوى » : ما خالطَ لونَه لون آخر إذا كان كميتاً مثل صدأ الحديد ، وقيل حُمرة يخالطها سواد . و«الطِمِرّة» ، بكسرتين وتشديد الراء : المستفز للوثب .

وقوله : « وإذا تجيء كَتيبة الخ » ، « الكَتيبة » : الجيش ، و« الخرساء » : التي لا يُسمع فيها قَعقعةُ سلاح من كثرة الدروع ، و« ملمومة » : مجموعة . و« الجُنّة»،

---

(١) في طبعة بولاق والنسخة الشنقيطية : " رواية " . وهو تصحيف صوابه من الطبعة السلفية ١٩٧/٤ للعلامة الميمني ، وللشنقيطي في نسخته والمعرب للجواليقي ص١٠٣ .

(٢) في طبعة بولاق والنسخة الشنقيطية : " أخذته حمرتها " . ولا يستقيم به الوزن ، ولا هو الرواية الصحيحة ، بل رواية ديوان أبي نواس ص٢٦٥ : " أحدثه " . من الإحداء . وصدر البيت :

* كأساً إذا انحدرت في حلق شاربها *

بالضم الوقاية . يريد أنه يهجُم في الحرب على الأبطال ، غير مكترث بلبس وقاية من السلاح . وهذا غاية في التهوُّر .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الخامس والتسعون بعد المائتين[1] : (البسيط)

٢٩٥- ولَيْسَ حامِلَني إلاَّ ابنُ حَمَّالِ

على أنّه قيل النون في حاملني هو نون التنوين ، وقيل نون وقاية ، وكلاهما شاذّ. وقيل الرواية « يَحملني » لا حاملني .

وهذا عجز ، وصدره :

* ألا فتًى من بني ذُبيانَ يَحملُني *

وهو من أبيات لم أرها إلاَّ في كامل المبرّد ، قال فيه : أنشدنا أبو محلِّم السَّعْديُّ[2]:

لَطَلْحَةُ بنُ حَبيبٍ حينَ تسألُه أنْدَى وأكرَمُ من فِنْدِ بنِ هَطَّالِ
وبَيتُ طَلحَةَ في عِزٍّ ومكْرُمةٍ وبيتُ فِنْدٍ إلى ربْقٍ وأحْمَالِ
ألاَ فتًى من بني ذُبيانَ يَحمِلُني ؟ وليسَ يَحملني إلاَّ ابنُ حَمَّالِ
فقلتُ : طَلحَةُ أَوْلَى مَنْ عَمَدتُ لَهُ وجئْتُ أمشي إليهِ مَشْيَ مُختَالِ
مُستيقناً أنَّ حَبْلي سَوفَ يُعْلِقُه في رأسِ ذَيَّالَةٍ أو رأسِ ذَيَّالِ

قوله : « إلى ربق وأحمال » ، أراد جمع حَمَل على القياس ، كما تقول في جمع باب فَعَل : حَمَل وأَحْمال[3] ، وصَنَم وأصْنَام .

وقوله : « ألا فتًى من بني ذبيان يحملني » ، يعني ذبيانَ بنَ بغيض بن رَيث بن غَطَفَان بن سعد بن قَيسِ بن عَيلان بن مُضَر .

وأنشد بعضهم :

---

(١) البيت لأبي محلم السعدي في الكامل في اللغة ١/٢١٣ . وهو بلا نسبة في الإنصاف ١/١٢٩ .

(٢) الأبيات لأبي محلم السعدي في الكامل في اللغة ١/٢١٣ .

(٣) هي رواية الكامل في اللغة .

* وليسَ حَامِلَني إلاَّ ابنُ حَمَّال *

وهذا لا يجوز في الكلام ، لأنّه إذا نوّن الاسم لم يتّصل به المضمر ، لأنّ المضمر لا يقوم بنفسه ، وإنّما يقع معاقباً للتنوين . تقول : هذا ضاربٌ زيداً غداً ، وهذا ضاربُك غدا ، ولا يقع التنوين هاهنا ، لأنّه لو وقع لانفصل المضمر . وعلى هذا قول الله عزَّ وجلّ[1] : « إنّا مُنَجُّوكَ وأَهْلَكَ » .

وقد رَوَى سيبويه بيتين محمولَين على الضرورة - وكلاهما مصنوع ، وليس أحد من النحويين المتقنين[2] يجيز مثل هذا في الضرورة ، لما ذكرت لك من انفصال الكناية- والبيتان اللذان رواهما سيبويه[3] :(الطويل)

هُمُ القَائِلُونَ الخَيْرَ والآمِرُونَهُ إذا ما خشُوا يَوماً منَ الأَمْرِ مُعْظَمَا

وأنشد[4] : (الطويل)

ولَمْ يَرْتَفِقْ والنَّاسُ مُحْتَضِرُونَهُ جَميعاً وأيدي المعْتَفِينَ رَوَاهِقُه

وإنّما جاز أن تبيِّن الحركة إذا وقفْتَ[5] في نون الاثنين والجمع ، لأنه لا يلتبس بالمضمر ، تقول : هما رَجلانِهْ[6] وهم ضاربونَهْ إذا وقفْتَ ؛ لأنّه لا يلتبس بالمضمر ، إذْ كان لا يقع هذا الموقع ، ولا يجوز أن تقول : ضربتُهْ وأنت تريد ضربتُ والهاء لبيان الحركة ، لأنّ المفعول يقع في هذا الموضع فيكون لَبساً .

فأمَّا قولهم : ارمِهْ واغزُهْ فتُلحق الهاء لبيان الحركة ، فإنّما جاز ذلك لِما حذفتَ من أصل الفعل ، ولا يكون[7] في غير المحذوف .

---

(١) سورة العنكبوت : ٣٣/٢٩ .

(٢) في الكامل في اللغة ٢١٣/١ : " المفتشين " .

(٣) البيت بلا نسبة في أمالي ابن الحاجب ٣٩١/١ ؛ والدرر ٢٣٥/٦ ؛ وشرح المفصل ١٢٥/٢ ؛ والكامل في اللغة والأدب ٢١٤/١ ؛ والكتاب ١٨٨/١ ؛ ولسان العرب (طلع ، حين ، ها) ؛ ومجالس ثعلب ١٥٠/١ ؛ وهمع الهوامع ١٥٧/٢ .

(٤) البيت بلا نسبة في شرح المفصل ١٢٥/٢ ؛ والكتاب ١٨٨/١ ؛والكامل في اللغة ٢١٤/١ ؛والمقرب ١٢٥/١.

(٥) في طبعة بولاق : " وقعت " . وهو تصحيف صوابه من الكامل والنسخة الشنقيطية .

(٦) في طبعة بولاق والنسخة الشنقيطية : " يرحلانه " . وهو تصحيف صوابه من الكامل ٢١٤/١ والنسخة الشنقيطية .

(٧) في طبعة بولاق والنسخة الشنقيطية : " تكون " . وهو تصحيف صوابه من الكامل والشنقيطية .

وقوله : « في رأس ذَيَّالة » ، يعني فرساً أنثى أو حصاناً . و« الذَّيَّال » : الطويل الذنب . وإنَّما يُحمَد منه طولُ شعر الذَنَب وقصَر العسيب ، فأما الطويل العسيب فمذموم. اهـ كلام المبرّد[١] .

قال ابن السيِّد « فيما كتبه على الكامل » : ليس ما أصَّلَ بصحيح ، ولا لازم ، قد قالوا : ضربْتنَّهْ وهَلُمَّهْ ، يريدون : ضربتُنَّ وهَلُمَّ ، والمفعول يقع ها هنا . وما ذكرتُه مذكور في كتاب سيبويه .

وأنشد[٢] :

* يا أيُّها النَّاسُ ألا هَلُمَّهْ *

والمفعول يقع هذا الموقع .

وقوله لطَلحةُ بن حبيب ، اللام للابتداء ، وطلحَة مبتدأ وأندى خبره . والسؤال : استدعاء معرفةٍ أو ما يؤدّي إليها ، واستدعاء مال أو ما يؤدي إليه :

فاستدعاء المعرفة جوابُها باللسان ، وتنوب عنه اليد ، فاليد خليفة عنه بالكتابة[٣] أو الإشارة . ويتعدَّى لاثنين ثانيهما بنفسه تارة ، وبحرف الجرّ أخرى ، وهو عن ، وتنوب عنها الباء .

واستدعاء المال جوابه باليد ، وينوب عنه اللسان بوعدٍ أو ردّ ، ويتعدَّى بنفسه أو بمن ، قال تعالى[٤] : « وإذا سألتُموهُنَّ مَتَاعاً » ، وقال[٥] : « واسْئَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ». كذا في مفردات القرآن للسمين .

و« أنْدى »: أفعل تفضيل من النَّدى ، وهو السَّخاء . و« فِنْد » ، بكسر الفاء وسكون النون : اسم رجل . و« الرِّبْق » ، بكسر الراء وسكون الموحدة : حبل فيه عدّة عُراً يُشَدُّ به البَهْم ، كلّ عُروةٍ رِبْقة بالكسر والفتح ،والجمع كعِنَب . و« البَهْم»،

---

(١) انتهى النقل من الكامل في اللغة .

(٢) الرجز بلا نسبة في الأزهية ص ٢٥٧ ؛ والخصائص ٣٦/٣ ؛ وشرح المفصل ٤٢/٤ ؛ والكتاب ١٦١/٤ .

(٣) في طبعة بولاق والنسخة الشنقيطية : " بالكناية " . وهو تصحيف صوابه ما أثبتناه نقلاً عن الطبعة السلفية ٢٠٠/٤ .

(٤) سورة الأحزاب : ٥٣/٣٣ .

(٥) سورة النساء : ٣٢/٤ .

بفتح الموحدة وسكون الهاء : ولد الضأن والمعز والبقر ، وقيل صغار الإبل . و«الأحمال» : جمع حَمَل ، بفتح الحاء المهملة والميم : الخروف ، وقيل هو الجذع ، أي : الشابُّ من أولاد الضَّأن فما دونه .

جعل بيت طلحَة مظروفاً في العزّ والمكرمة ، وبيتَ فِنْدٍ منتهياً إلى ما ذكر ؛ وأراد أنَّ البيت الأوَّل مملوء بالخيل وبها يكون العزّ ، والبيت الثاني بيت ذلّ وهَوَان ، لأنَّ اقتناء الخرفان عندهم يدلُّ على الفقر والضعف ، وأنَّ بيتهم إنَّما هو مرْبط للبهائم .

وقوله : « ألا فتى من بني ذبيان الخ » ألا هنا للعرض والتحضيض ، و« فتًى » : منصوب بفعل يفسّره يحملني ، أو منصوب بمحذوف ، أي : ألا تُرُونِي فَتى هذه صفته ، كما قال الخليل في قوله[1] :

* ألا رَجلاً جَزَاهُ اللّه خَيْراً *

ولا يجوز أن تكون للتمني ، فيكون فتَى مبنياً معها على الفتح ، لوجود الخبر ، وهو يحملني ؛ فإنَّ التي للتمنّي لا خبر لها لفظاً ولا تقديراً ، والمعنى أيضاً لا يساعد في جعلها للتوبيخ أو للاستفهام عن النفي ، فإنّه بعيد . ولا معنى لجعْلها هنا للتنبيه . و«يحملني » : مِن حمله ، إذا أعطاه دابّةً تحمله . و« حَمَّال » هنا مبالغة حامل ، بالمعنى المذكور . وحاملني ، فيمن رواه ، خبر ليس مقدَّم وما بعد إلاَّ اسمها ؛ وعلى رواية ليس يحملني اسمهَا ضمير الشأن .

وقوله : فقلت ، التاء مضمومة . وعمَدت : قصدت .

وقوله : « مستيقناً أنّ حبلي الخ » ، هو حال من فاعل أمشي . و« يُعْلقه » : مضارع أعلق حبله إذا أمكنه أن يعلق حبله ويربطه به . و« عَسيب الذنَب » : مَنْبته من الجلد والعظم . والمعروف أنّه لا يقال ذيَّال إلاَّ أن يكون مع طول الذنَب طويلاً في نفسه ، فإن كان طويل الذنب فقط فهو ذائل .

ومُحَلِّم السعديّ ، بضم الميم وفتح الحاء المهملة وكسر اللام المشدَّدة .

* * *

(١) هو الشاهد ١٦٣ في الخزانة . انظر الخزانة الجزء الثالث ص٥٠ .

وهو صدر بيت لعمرو بن قعاس وعجزه :

* يدل على محصلة تبيت *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السادس والتسعون بعد المائتين وهو من أبيات **س**[1]: (الطويل)

٢٩٦- هُـمُ الفَاعِلُـونَ الخَيْـرَ والآمِرُونَـهُ
إذا ما خَشَـوا مِنْ مُحْدَثِ الأَمْرِ مُعْظَمـا

على أنَّه قد جمع في قوله « الآمرونه » النون والضمير ضرورة ، وصوابه والآمِرُوه بحذف نون الجمع للإضافة ، فإنَّ حكم الضمير أن يعاقب النون والتنوين ، لأنّه بمنزلتهما في الضعف والاتصال ، فهو معاقب لهما إذْ[2] كان المظهَر مع قوَّته وانفصاله يعاقبهما .

قال أبو جعفر النحَّاس : هذا خطأ عند المبرّد ، لأنَّ المجرور لا يقوم بنفسه ولا يُنطَق به وحده ، فإذا أتى بالتنوين فقد فصلَ مَا لا ينفصل وجمع بين زائدين . وهذا لا يلزم سيبويه منه غلط ، لأنّه قد قال نصًّا : وزعموا أنَّه مصنوع . فهو عنده مصنوع لا يجوز ، فكيف يلزمه منه غَلط . انتهى .

ولا يبعد أن يكون من باب الحذف والإيصال ، والأصل والآمرون به ، فحذفت الباء واتّصل الضمير به ، فإنَّ أمَرَ يتعدَّى إلى المأمور بنفسه ، وإلى المأمور به بالباء ، يقال : أمرته بكذا . والمأمور هنا محذوف ، أي : الآمرون الناس بالخير ، فيكون الضمير منصوباً لا مجروراً .

يقول : هؤلاء يفعلون الخير ويأمرون به ، في وقت خشيتهم الأمرَ العظيمَ من حوادث الدّهر ، فلا يمنعهم خوفُ الضرر عن الأمر بالمعروف .

وقد رواه المبرّد فيما سبق النقل عنه بما يقرب مما هنا .

---

(١) البيت بلا نسبة في أمالي ابن الحاجب ٣٩١/١ ؛ والدرر ٢٣٥/٦ ؛ وشرح المفصل ١٢٥/٢ ؛ والكامل في اللغة ٢١٤/١ ؛ والكتاب ١٨٨/١ ؛ ولسان العرب (طلع ، حين ، ها) ؛ ومجالس ثعلب ١٥٠/١ ؛ وهمع الهوامع ١٥٧/٢ .

وفي اللسان جاءت روايته :

* ..... الأمر مفظعا *

(٢) في طبعة بولاق : " لهما إذا .." . وهو تصحيف صوابه من الطبعة السلفية ٢٠١/٤ نقلاً عن النسخة الشنقيطية.

ورُوي في « المفصَّل » وغيره :

هُـمُ الآمِـرُونَ الخَـيْـرَ والفَاعِلُـونَـه إذا ما خَشُـوا منْ حَادثِ الدَّهرِ مُعْظَمـا

و« المعظَم » : اسم مفعول ، وهو الأمر الذي يعظم دفعُه . وقد روى الجوهـريّ في هاء السكت المصراع الثاني كذا[1] :

* إذا ما خَشُوا من مُعْظَمِ الأمرِ مُفْظِعَا *

وهو اسم فاعل من أفظعَ الأمرُ إفظاعاً ، ومثله من فظُع الأمر فظَاعـة : إذا جـاوز الحدَّ في القبح . و« خشُوا » بضمِّ الشين ، وأصله خشِيُوا بكسرها ، فحذفت الكسرة ونقلت ضمَّة الياء إليها ثم حذفت الياء للساكنين .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع والتسعون بعد المائتين وهو مـن أبيـات **س**[2]: (الطويل)

٢٩٧- ولَـمْ يَرْتَـفِـقْ والنَّـاسُ مُحْتَضِـرُونَـهُ

جَميعـاً وأيـدِي الـمُـعتَفِيـنَ رَوَاهِـقُـه

لما تقدَّم قبله ، وهو أنّه قد جمعَ النون والضمير في قولـه :« محتضرونه » ضرورة.

والكلام فيه كما تقدَّم في الـذي قبلـه ، فمـن جعـلَ الهـاء ضمـيراً جعلهـا ضمـيرَ الممدوح ، ومن جعلها للسكت فإنّه احتاجَ إلى تحريكها .

وفيه أنَّ حضَر واحتضَرَ إن كان معناه ضدّ غاب فهو لازم ؛ وغير هذا مرادٌ هنا . وإن كان بمعنى شهد فهو متعدّ ، وهذا هو المـراد . يقـال : حضَـرتُ القـاضيَ ، أي : شهدته .

وفي القاموس : حضَر كنصَـر وعَلـم حُضـوراً وحَضـارة : ضـدَّ غـاب كـاحتَضَر وتحضَّر ؛ ويتعدّى يقال حضَره وتحضّره . انتهى .

---

(١) هي رواية لسان العرب أيضاً كما قدمنا .

(٢) البيـت بـلا نسبة في شـرح المفصـل ١٢٥/٢ ؛ والكـامل في اللغـة ٢١٤/١ ؛ والكتـاب ١٨٨/١ ؛ والمقـرب ١٢٥/١.

وعلى هذا فالضمير منصوب على المفعوليّة ، لا أنّه مضاف إليه . ومحتضِرون عامل النصب فيه ، لوجود شرط عمل النصب ؛ وهو جمع محتضِر . و« الارتفاق » : الاتكاء على المرفَق ؛ أي : لم يشتغلْ عن قضاء حوائج الناس . ويحتمل أنَّ المعنَى لم يرتفق بماله ، أي : لم يبذله بالرفق بل جارَ عليه بالجود .

و« المعتَفون » : الذين يأتون يطلبون المعروف والإحسان ، يقال عفوته ، أي : أتيته أطلبُ معروفه . و«الرّواهق»: جمع راهقة ، مِن رَهِقه من باب تعب ، إذا غشِيَه وأتاه . ورهقه بمعنى أدركه وقرُب منه أيضاً . والهاء يجوز أن تكون ضميراً وأن تكون للسكت .

وهذا البيت أيضاً مصنوع .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثامن والتسعون بعد المائتين ، وهو من شواهد س[1]: (المنسرح)

٢٩٨- الحَافِظُو عَورَةَ العَشِيرَةِ

على أنّ الضمير بعد الوصف ذي اللام المثّنى والمجموع ، يحتمل عند سيبويه أن يكون مجروراً على الإضافة ، أو منصوباً ، كما ورد الظاهر منصوباً بعده .

قال ابن السرَّاج في « الأصول »[2] : وقد أجازُوا : رأيت الضاربي زيداً ؛ وليس ذلك بحسن ، وإنّما جواز ذلك على أنّك أردت النون فحذفتها لطول الاسم ، كما

---

(١) قطعة من بيت ، وتمامه :

الحافظو عورة العشيرة لا ... يأتيهم من ورائنا نطف

والبيت لعمرو بن امرئ القيس في الدرر ١٤٦/١ ؛ وشرح شواهد الإيضاح ص١٢٧ ؛ ولقيس بن الخطيم في ديوانه ص١١٥ ؛ وملحق ديوانه ص٢٣٨ ؛ ولعمرو بن امرئ القيس أو لقيس بن الخطيم في لسان العرب (وكف) ؛ ولشريح بن عمران ، أو لمالك بن العجلان في شرح أبيات سيبويه ٢٠٥/١ ؛ ولرجل من الأنصار في الكتاب ١٨٦/١ . وهو بلا نسبة في أدب الكاتب ص٣٢٤ ؛ وإصلاح المنطق ص٦٣ ؛ وجواهر الأدب ص١٥٥ ؛ ورصف المباني ص٣٤١ ؛ وسر صناعة الإعراب ٥٣٨/٢ ؛ والكتاب ٢٠٢/١ ؛ والمحتسب ٨٠/٢ ؛ والمقتضب ١٤٥/٤ ؛ والمنصف ٦٧/١ ؛ وهمع الهوامع ٤٩/١ .

(٢) في طبعة بولاق : " الأطول " . وهو تصحيف صوابه من تصحيح الشنقيطي في نسخته .

تقول : الذي ضربتُ زيدٌ فتحذف الهاء من ضربتُه وأنت تريدها . وحذفُ النون من الضَّاربَين والضَّاربِينَ مع الإعمال قبيح ، قال الشاعر :

الحَافِظُو عَوْرَةَ العَشَيرَةِ لا يَأتيهمُ منْ ورَائنَا نَطَفُ

ولو جرُّوا لكان الجيِّدَ الصوابَ اهـ .

وقال ابن خلف : الشاهد فيه أنّه حذف النون من «الحافظون » ، ونصب «عورة العشيرة» بما في الصلة ، فكأنه قال : الذين حفظوا عورةَ العشيرة . ولم يحذفها للإضافة، إنّما حذفها تخفيفاً مع ما فيه الألف واللام .

وقال ابن جنّي : حذفوا النون تشبيهاً لهذه الأسماء المتمكّنة غير الموصولة بالأسماء الموصولة ، لأنّها في معنى الموصولة .

قال أبو عليّ : والأكثر الجرّ ، وقرأ بضعهم[1] : « والمقِيمِي الصَّلاة » بنصب الصَّلاة ، وحكى أبو الحسن عن أبي السماك[2] : «واعْلَمُوا أنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهَ»[3] وليست فيه ألف ولام حتّى يشبّه بالذين .

وقرأ بعضهم أيضاً[4] : « إنَّكُمْ لذَائِقُوا العَذَابَ الأليمَ » بالنصب . وقرأ عُمارة بن عَقيل[5]: « ولا اللَّيلُ سابِقُ النَّهارَ » بنصب النهار . والأشبه في هذا أن يكون حذف التنوين لالتقاء الساكنين .

ورُوي : « الحافِظُو عَورةِ العَشيرَة » بجرّ العَورة على أنّ «الحافظو» مضاف ؛ فيكون سقوط النون للإضافة . وقوله : « الحافظو » صوابه «والحافظو» بالواو ،

(١) سورة الحج : ٣٥/٢٢ .
وهذه قراءة ابن إسحاق ، والحسن ، وأبي عمرو في رواية . تفسير أبي حيان ٣٦٩/٦ .

(٢) كذا في جميع طبعات الخزانة . وفي حاشية طبعة هارون ٢٧٣/٤ : " ... ولعله : أبو السمال ، واسمه قعنب بن هلال . وانظر لسان الميزان ٤: ٤٧٥ وطبقات ابن الجزري ٢: ٢٧ ، وفي القراء أيضاً : ابن السماك ، مصدر بابن وبالكاف في آخره " .

(٣) سورة التوبة : ٢/٩ .

(٤) سورة الصافات : ٣٨/٣٧ .
وهذه قراءة أبي السمال ، وأبان عن ثعلبة بن عاصم . تفسير أبي حيان ٣٥٨/٧ .

(٥) سورة يس : ٤٠/٣٦ .
وهذه قراءة عمارة بن عقيل . تفسير أبي حيان ٣٣٨/٧ .

فإنّه معطوف على خبر مبتدأ في بيت قبله كما سيأتي . وبه يسقط قول ابن خلف : الحافظو مرفوع بالابتداء أو على الخبر ، وهو مدح كأنّه قال : هم الحافظون عورةَ العَشيرة ؛ فحذف المبتدأ ؛ أو الحافظو عورة العشيرة هم فحذف الخبر .

هذا كلامه ؛ ولا ينبغي أن يَكتُب قبل أن يقف على السِّياق والسِّباق . ثم بعد هذا فصلَ أنّ المبتدأ يحذف في خمسة مواضع ، والخبر يحذف في اثني عشر موضعاً ، ثم أخذ في بيان أل الموصولة ، وأل المعرّفة وأنّها سبعة أقسام ، واستوفَى الكلام على الجميع . وهذا كلّه تطويل لا طائل له .

و« العَوْرة » : المكان الذي يُخافُ منه العدوّ . وقال ثعلب : كلُّ مَخُوف عَورة. وقال كراع : عورة الرجل في الحرب ظَهْرُه . و« العَشيرة » : القبيلة ، ولا واحد لها من لفظها ، والجمع عشيرات وعشائر . كذا في المصباح .

ولا يناسبه قول العينيّ هنا : « وعَشيرَة الرَّجل : الذين يعاشرهم ويعاشرونه » . و« النَّطَف » بفتح النون والطاء المهملة ، قال صاحب العباب : قال الفرّاء : النطَف العيب ، وقال الليث: النطف : التلطّخ بالعيب .

وروي بدله « الوَكَف » بفتح لواو والكاف أيضاً ، قال صاحب العباب : هو العيب والإثم . وأنشد هذا البيت .

وهذا المعنى الثاني أورده أبو عُبيد في « الغَريب المصنف » قال : وكِف وكَفا من باب فرح .

وقد ردَّه عليه أبو القاسم عليّ بن حمزة البصريّ في « كتاب التنبيهات على أغلاط الرّواة » بأنّ الوَكَف إنّما هو العيب . وأنشد هذا البيت .

وكذلك قال ابن قتيبة في « أدب الكاتب » وأنشد هذا البيت .

قال ابن السيد في « شرح أبيات الجمل ، وأبيات أدب الكاتب » ، وتبعه ابن هشام اللَّخميّ في « شرح أبيات الجمل » : المعنى نحن نحفظ عورة عشيرتنا فلا يأتيهم من ورائنا شيء يُعابُون به : من تضييع ثَغْرهم ، وقِلّة رعايته . هذا على رواية : « مِنْ ورائنا » .

ومن روى : « مِن ورائهم » أخرج الضمير مُخرَج الغيبة على لفظ الألف واللام، لأنَّ معنى الحافِظُو عورة : نحن الذين يحفظون ، كما تقول أنا الذي قام ،

فتخرج الضمير مخرج الغيبة ، وإن كنت تعني نفسك ، لأن معناه أنا الرجل الذي قام . وقد يقولون أنا الذي قمت . فعلى هذا رواية من روى : « من ورائنا » . انتهى .

وقال ابن خلف : قوله : من ورائنا ، أي : من غيبنا ، فكنى بوراء عن ذلك فامتدح بحفظهم عورةَ قومهم بظهر الغيب ، وأَمْنِهم من ناحيتهم كلّ نقض وعيب . ويجوز أن يعني من وراء حفظنا إياهم وذَبّنا عن حماهم ، فحذف المضاف الذي هو حفظ ، وأقام المضاف إليه مُقامه . ومن روى : « من ورائهم » فالمعنى فيه أوضح ، وحمل الضمير على العشيرة أرجح .

وهذا البيت من قصيدة لعَمرو بن امرئ القيس الخزرجيّ ، وهي هذه[1] :

يا مالِ والسيِّدُ المعَمَّمُ قَدْ ... يَطْرأ في بَعضِ رأيهِ السَّرَفُ[2]

خالفْتَ في الرّأي كُلَّ ذي فَخَرِ ... والحقُّ يا مَالِ غيرُ ما تَصِفُ[3]

يا مالِ والحقُّ إنْ قَنَعْتَ بهِ ... فالحقُّ فيهِ لأمرِنا نَصَفُ

لا تَرفَعِ العَبْدَ فوقَ سنَّتهِ ... والحقُّ نُوفي بهِ ونَعْترفُ

إنَّ بُجيراً مَولًى لقَومكُمُ ... يا مالِ والحقُّ عندَه فقِفُوا

أوتيْتَ فيهِ الوفَاءَ مُعْترِفاً ... بالحقِّ فيهِ فَلا تكُن تَكِفُ

نحنُ بِمَا عندنا وأنتَ بِمَا ... عندكَ رَاضٍ والرَّأيُ مختلِفُ[4]

(١) القصيدة لعمرو بن امرئ القيس في جمهرة أشعار العرب ص٥٣٠-٥٣٣ ؛ والأغاني ٢١/٣ . وفي أبياتها خلاف ؛ وديوان حسان ص٨٦-٨٨ ؛ وديوان قيس بن الخطيم ص١١٥ حاشية . وانظر تحقيق تخريجها في ديوان قيس . وبعضها في اللسان (فجر) . وفي الأغاني تفصيل لمناسبة القصيدة .

(٢) في جمهرة أشعار العرب : " المعمم : كثير الأعمام والعشيرة " .

(٣) في ديوان حسان ، واللسان : ذي فجر - والفجر : الجود الواسع والكرم . والفخر - بفتحتين - : الفخر ، وهو الافتخار .

(٤) هو الإنشاد الواحد والخمسون بعد الثمانمائة في شرح أبيات المغني للبغدادي .

والبيت لقيس بن الخطيم في ملحق ديوانه ص٢٣٩ ؛ وتخليص الشواهد ص٢٠٥ ؛ والدرر ٣١٤/٥ ؛ والكتاب ٧٥/١ ؛ والمقاصد النحوية ٥٥٧/١ ؛ ولعمرو بن امرئ القيس في الدرر ١٤٧/١ ؛ وشرح أبيات سيبويه ٢٧٩/١ ؛ وشرح شواهد الإيضاح ص١٢٨ ؛ ولدرهم بن زيد الأنصاري في الإنصاف ٩٥/١ . وهو بلا نسبة في الأشباه والنظائر ١٠٠/٣ ، ٦٥/٦ ، ١١٦/٧ ؛ وأمالي ابن الحاجب ٧٢٦/٢ ؛ وشرح الأشموني ٤٥٣/١ ؛ وشرح ابن عقيل ص١٢٥ ؛ والصاحبي في فقه اللغة ص٢١٨ ؛ ولسان العرب (قعد) ؛ ومغني اللبيب ٦٢٢/٢ ؛ والمقتضب -

نحنُ المَكِيْثُونَ حيثُ نُحْمَدُ بالـ ـمُكْثِ ونحنُ المَصالتُ الأُنُفُ
والحَافِظُو عورة العَشِيرَةِ لا يَأتيهمُ مِنْ ورائنا وَكَفُ
واللَّهِ لا تَزدَهي كَتيبتَنا أُسْدُ عَرينٍ مَقيلُها الغُرُفُ
إذا مشينَا في الفارسَيْنَ كَما تمشِي جِمَالٌ مَصاعبٌ قُطُفُ[1]
نَمشِي إلى المَوْتِ مِنْ حفَائِظنَا مَشْياً ذَريعاً وحُكْمُنا نَصَفُ
إنَّ سُمَيراً أبَتْ عَشيرتُهُ أنْ يَعرِفُوا فوقَ ما بهِ نَصَفُ
أو تُصْدرُ الخيلُ وهي حافِلَةٌ تحتَ هَواها جَماجِمٌ خُفُفُ
أو تَجْرَعُوا الغَيْظَ ما بَدَا لَكُمُ فهَارشُوا الحربَ حينَ تَنصَرفُ
إنّي لأُنْمَى إذا انتَمَيْتُ إلى عِزٍّ منيعٍ وقومُنَا شُرُفُ
بِيضٌ جِعَادٌ كأنَّ أعينَهُم يَكْحَلُها في المَلاحمِ السَّدَفُ

قوله : « يا مال » ، هو منادى مرخّم مالك بن العَجْلان . والعمامة عند العرب لا يلبسها إلا الأشراف ، والعمائم تيجان العرب . وطرأ الشيء يطرأ طرآناً مهموز ، أي : حصلَ بَغْتَة . و« السَّرَف » ، بفتحتين : اسم الإسراف ، وهو مصدر أسرف إسرافاً إذا جاوز القصد .

و« الفَخَر » ، بفتحتين : لغة في الفَخْر بسكون الخاء ، وهو الافتخار وعَدُّ القديم . و« النَّصَف »: العدل والاستقامة . و« السُّنَّة » : الطريقة . و« بُجَير » بضم الموحدة وفتح الجيم . و« تكِفُ » : مضارعُ وَكِف وكَفاً من باب فرح : إذا جارَ وعدلَ عن الحقّ .

وقوله : « نحن بما عندنا الخ » هذا من شواهد النحاة والمعَانيِّين ، حذف فيه خبر نحن ، أي : راضون ، بدلالة خبر المبتدأ الثاني ، وهو أنت راض بما عندك .

وقوله : « نحْنُ المَكِيثون » جمع مَكِيث فَعيل من المُكْث وهو الانتظار واللّبث[2] ، أراد به هنا الصَّبر والرّزانة ؛ يقال : رَجلٌ مَكيث ، أي : رزين . و« المَكْث » بالفتح المصدر ، وبالضم والكسر الاسم . و« المَصالِت » : جمع مِصْلَت بكسر الميم ، وهو

= ١١٢/٣ ، ٧٣/٤ ؛ وهمع الهوامع ١٠٩/٢ .

(١) في جمهرة أشعار العرب : " والفارسي " . وفسر الفارسي بقوله : " الفارسي : الدرع " .

(٢) في طبعة بولاق : " واللبس " . وهو تصحيف لا يستقيم المعنى به . والتصويب من النسخة الشنقيطية .

الماضي في الأمور لا يهاب شيئاً . و« أُنُفُ » بضمّتين : جمع آنِف كضارب ، مِن الأَنفة وهي الحَمِيّة .

وقوله : « والحافظُو عورة الخ » . هو معطوف على المصالت ، أي : نحن نحفظ عشيرتنا من أن يصيبهم ما يُعابون به .

وقوله : « لا تزدهي كتيبتنا الخ » ، « تزدهي » : تستخفّ . والكتيبة من الجيوش: ما جُمِع فلم ينتشر . وهو مفعول والفاعل أُسْدٌ . و« العَرين » ، بفتح العين وكسر الراء المهملتين : الغابة والأَجَمة ، وهي مسكن الأُسد .

وأضاف الأُسد إليها لأنّها أشدّ ما تكون وهي في الغابة ، ولا يقدر أحد أن يهجُم عليها . و« الغُرُف » بضمتين : جمع غَريف بالغين المعجمة ، وهي الغابة والأجمة أيضاً .

وقوله : « إذا مشينا في الفارسينَ » أي : بينهم . و« المَصاعب » ، بفتح الميم : جمع مُصعَب بضمها وفتح ثالِثه ، هو الفحل الشديد ؛ يقال : أصعبْت الجملَ فهو مُصعَب إذا تركته فلم تركبْه .

و« قُطُف » بضمتين : جمع قَطوف بفتح القاف : البطيء ، يقال : قَطَفت الدابّةُ من باب قتل ، إذا مشَت مع تقارُب الخطْو .

وقوله: « مِن حفائظنا » : جمع حَفيظة ، وهي الحميّة والغَضب . و« الذَّريع » ، بالذال المعجمة : السريع .

وقوله : « أو تصدر الخيل الخ » ، أو هنا بمعنى إلى . و« خُفُفُ » بضمتين : جمع خَفيف .

و« الهِرَاش » : مصدر هارش ، وهو التحريش وتحريك الفتنة .

وقوله : « إنّي لأُنْمَى إذا انتميتُ » الأوّل بالبناء للمجهول يقال : نميت الرجلَ إلى أبيه نَمْياً : إذا نسبته إليه ؛ وانتمى هو : انتسب . و« شُرُف » ، بضمتين ، أي : أشراف.

وقوله : « بيض جعاد الخ » ، « البِيض » ، قال ابن السيد في «شرح سِقط الزَّند» : العرب تمدح السادة بالبياض من اللون ، وإنّما يريدون النقاء من العيوب ؛ وربّما أرادوا به طلاقة الوجه ؛ لأنّ العرب تجعل العُبوس سواداً في الوجه ، قال تعالى :

« وإذا بُشِّرَ أحدُهُمْ بالأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا »[١] .

و« الجعَاد » : جمع جعد بفتح الجيم وسكون العين المهملة ، وهو الكريم من الرجال . و« الملاحم » : جمع مَلحَمَة بالفتح : القِتال . و« السَّدَف » ، بفتح السين والدال ، هي الظُّلمة في لغة نجد، والضوء في لغة غيرهم ؛ يقول : سوادُ أعينهم في الملاحم باقٍ ، لأنّهم أنجادٌ لا تبرق أعيُنهم من الفَزَع فيغيب سوادُها .

و« **عمرو بن امرئ القيس** » خَزْرَجيٌّ جاهليّ ، وهو جدّ عبدِ اللّه بن رَوَاحة.

وكان السبب في القصيدة : أنّه كان لمالك بن العَجْلان مولًى يقال له بُجَير ، جَلس مع نَفر من الأوس من بني عمرو بن عَوف ، فتفاخروا ، فذكر بجيرٌ مالكَ بنَ العَجلان ففضَّله على قومه ، وكان سيِّد الحيَّين في زمانه : الأوس والخزرج ، فغضب جماعةٌ من كلام بُجير وعدا عليه رجلٌ من الأوس يقال له سُمَير بن زيد بن مالك أحد بني عمرو بن عوف فقتله ، فبعث مالكٌ إلى بني عمرو بن عوف : أنِ ابعثوا إليّ بِسُمَير حتى أقتله بمولاي ، وإلاّ جَرَّ ذلك الحربَ بيننا .

فبعثوا إليه : إنّا نعطيك الرضا فخذْ منا عَقْلَه . فقال : لا آخذ إلاّ ديةَ الصّريح – وهي عَشْرٌ من الإبل : ضعف دِيَةِ المولى ، وهي خمس – فقالوا : إنّ هذا منك استذلالٌ لنا وبغيٌ علينا ! فأبى مالكٌ إلاّ أخذَ ديةَ الصَّريح ، فوقعت الحرب بينهم فاقتتلوا قتالاً شديداً ، حتى نال بعضُ القوم من بعض .

ثمّ إنَّ رجلاً من الأوس نادَى: يا مالك ، نَشَدْتُكَ اللّه والرَّحِمَ أن تجعَل بيننا حَكَماً من قومك ! فارعوَى مالكٌ وحكّموا عمرو بنَ امرئ القيس صاحبَ القصيدة التي ذكرناها ، فقضى لمالك بن العَجلان بديَة المولى ، فأبَى مالك وآذَنَ بالحرب ، فخذلته بنو الحارث لردّه قضاء عمرو .

وأنشد يقول[٢] : (المنسرح)

إنَّ سُميراً أَرَى عَشيرَتَهُ ... قَدْ حَدِبُوا دونَه وقَدْ أَنِفُوا[٣]

---

(١) سورة النحل : ٥٨/١٦ .

(٢) الأبيات في الأغاني ٢٠/٣ ؛ وجمهرة أشعار العرب ص٥٠٢-٥٠٦ ؛ وديوان حسان بن ثابت ص٨٥ .

(٣) في جمهرة أشعار العرب : " حدب عليه : إذا عطف . وأنف : إذا غضب " .

إنْ يَكُنِ الظَّنُّ صَادِقِي ببني النَّـ ـجَّارِ لا يطعَمُوا الذي عُلِفُوا[1]
لأيُسْلِمُونا لمعشَرٍ أبداً ما دَامَ منَّا ببطنِها شَرَفُ[2]
لكنْ مواليَّ قَدْ بَدا لَهُمُ رأيٌ سِوَى ما لديَّ أو ضَعُفُوا
بينَ بني جَحْجَبَى وبينَ بني زيدٍ فأنَّى لجَاريَ التَّلَفُ
يمشونَ بالبَيضِ والدُّروعِ كَمَا تَمْشي جِمالٌ مصاعبٌ قُطُف
كَمَا تَمشَّى الأُسُودُ في رَهَجِ الـ ـموتِ إليهِ وكلُّهُم لَهِفُ[3]

وقال بعده عمرو بن امرئ القيس قصيدته التي شرحناها .

وقال درهم بن زيد أخو سُمَير[4] : (المنسرح)

يا قَومِ لا تقتُلُوا سُمَيراً فإنَّ القَتْلَ فيهِ البَوَارُ والأَسَفُ[5]
لا تَقتُلُوهُ تُرِنُّ نسوتُكُم على كَريمٍ ويفزَعُ السَّلَفُ

إلى أن قال :

يا مالِ والحقُّ إنْ قَنَعتَ بهِ فِينَا وفيّ لأمْرِنَا نَصَفُ
إنَّ بُجيراً عبدٌ فخُذْ ثَمناً والحقُّ نُوفِي بهِ ونَعتَرِفُ
ثمَّ اعْلمَنْ إن أردتَ ظُلمَ بني زَيدٍ فإنَّا ومن لَهُ الحلَفُ
لَنُصْبِحَنْ دارَكُمْ بذِي لَجَبٍ يكُونُ لَهُ منْ أمانهِ عزفُ[6]
البَيْضُ حِصْنٌ لَهُم إذا فَزِعوا وسَابِغَاتٌ كأنّها النُّطَفُ[7]

---

(١) يقول : إنْ صدق الظن ببني النجار عجلوا وأسرعوا إلى نصرتنا . ووضح هذا المعنى في البيت الذي بعده . وفي الأغاني : علفوا الضيم : إذا أقروا به ، أي : ظني أنهم لا يقبلون الضيم .

(٢) في جمهرة أشعار العرب : " البطن : أقل من القبيلة " . والشرف : الشريف .

(٣) كذا في الأغاني أيضاً . وهذا البيت وسابقه رويا في بيت واحد في جمهرة أشعار العرب .

(٤) الأبيات في ديوان حسان ص٨٣-٨٤ ؛ والأغاني ٢١/٣ ؛ وسبق تخريج هذه الأبيات آنفاً .

(٥) في طبعة بولاق والنسخة الشنقيطية : " إن القتل " . وهو تصحيف لا يستقيم معه الوزن ، والتصويب من الأغاني وديوان حسان وجمهرة أشعار العرب .

(٦) كذا في طبعة بولاق والنسخة الشنقيطية ، ما عدا كلمة القافية فلقد وردت في طبعة بولاق : " غرف " . وفي الشنقيطية : " عزف " .

(٧) النطف - بضم ففتح - : جمع نطفة ، وهي الماء الصافي قل أو كثر .

والبِيْضُ قَدْ فُلِّلَتْ مَضَارِبُهَا بهَا نُفُوسُ الكُمَاةِ تُخْتَطَفُ
كَأَنَّهَا في الأَكُفِّ إذْ لَمَعَتْ وَمِيضُ بَرْقٍ يَبدو ويَنْكَشِفُ

وقال قيس بن الخطيم من قصيدةٍ يجيبه « ولم يحضر الوقعة ولا كان في عصرها[1]» : (المنسرح)

أبلِغْ بني جَحْجَبَى وقومَهُمُ خَطْمَةَ أنَّا وراءَهُمْ أُنُفُ[2]
وأنَّنا دُونَ ما يَسُومُهُمُ الـ ـأَعْداءُ مِنْ ضَيمِ خُطَّةٍ نُكُفُ
نَفْلي بحَدِّ الصَّفيحِ هامَهُمُ وفَلْيُنا هامَهُمْ بها عُنُفُ[3]

وبعد هذا ستة أبيات . فردَّ عليه حسان بن ثابت شاعر النَّبيّ صلَّى اللَّه عليه وسلَّم ، وهذا من تلك القصيدة[4] : (المنسرح)

دَعْ ذَا وعدِّ القَرِيضَ في نَفَرٍ يَرْجُونَ مَدحِي ، ومَدحِيَ الشَّرفُ
إنْ تدعُ قَومي في المجدِ تلقَهُمُ أهلَ فَعَالٍ يَبدو إذا وُصِفُوا
إنَّ سُميراً عبدٌ طغَى سَفَهاً سَاعَدَهُ أَعْبُدٌ لَهُم نُطَفُ[5]

ثم إنَّهم تهيؤوا للحرب وتقاتلوا قتالاً شديداً ، ومَشَت الحرب بين الأوس والخزرج عشرين سنة في أمر سُمير .

فلما طالت الحربُ وكادت العرب يأكل بعضها بعضاً ، أرسلوا إلى مالكٍ أن يحكّموا بينهم ثابتَ بنَ المنذر أبا حسَّان ، فأجابهم إلى ذلك ، فأتوه وقالوا : قد حكّمناك بيننا . قال : لا حاجة لي في ذلك . قالوا : و لم ؟ قال : أخاف أن تردُّوا حكمي كما رددتم حكم عَمرو بن امرئ القيس .

---

(١) الأبيات في ديوان قيس بن الخطيم ص١١٣-١١٥ ؛ والأغاني ٢٣/٣ ؛ والأصمعيات ص١٩٨ ؛ ومعاهد التنصيص ١٨٩/١-١٩٠ .

(٢) بنو جحجبى وبنو خطمة : بطنان من الأوس . وأنف : جمع أنوف ، وهو الشديد الأنفة .

(٣) فلى رأسه : ضربه وقطعه . والصفيح ؛ أراد به السيوف العريضة . وبها ، أي بالصفيح .

(٤) من أبيات في ديوان حسان ص٣١٦-٣١٧ باختلاف في الرواية وزيادة ونقصان في الأبيات .

(٥) في حاشية الطبعة السلفية ٢١٠/٤ : " النطف هنا بمعنى الإفراط ، الواحد نطفة بالتحريك وكهمزة . وكان العبد فيهم يقرط وكذا ساقي الشراب . ويظهر أن ذلك نحلة فارسية . والأعشى ذكر تقريط الساقي في قوله :
يسعى بها ذو زجاجات له نطف مقلص أسفل السربال معتمل "

فأعطوه عهودهم : أن لا يردّون ما حكَم به[1] ، فحكم أن يُودَى حليفُ مالك دِيَة الصَّريح، ثم تكون السُّنّة فيهم على ما كانت به : الصَّريح على ديته ، والحليف على ديته ؛ وأن يعدُّوا القتلَى التي أصابت بعضُهم من بعض[2] ، فيقابَلَ البعضُ بالبعض، ثم تعطَى الدية لمن كان له فضلٌ في القتلَى من الفريقين . فرضُوا بذلك ففَضَلَت الأوسُ على الخزرج بثلاثة نفر ، فوَدَتْهم الأوس واصطلحوا..

وقيل : الخمسة المكْمِلة لدية الصَّريح أعطاها ثابتٌ من عنده حين أبت عليه الأوس أن تؤدّيَ أكثر من خمس ، وأبى مالك أن يقبل أقلّ من عشر ؛ إطفاءً لنائرتهم[3] ، ولـمًّا لشعثهم .

وقول مالك : « بين بني جَحْجَبَى الخ » بحاء ساكنة بين جيمين مفتوحتين : حيٌّ من الأوس ، وكذلك بنو بدر . والاستفهام للإنكار .

وقول قيس بن الخطيم : « أبلغ بني جَحْجَبَى وقومَهُم » إلى آخره ، خَطْمة بفتح الخاء المعجمة وسكون الطاء وبعدها ميم ، هو عبد الله بن جُشَم بن مالك بن الأوس؛ قيل له لأنّه ضرب رجلاً بسيفه على خَطْمِه ، أي : أنفه ، فسمِّي خَطمة .

وجَحْجَبَى وخَطْمَةُ : حيَّان لقبيلَةِ قيس بن الخَطيم ، لأنّه أوسيّ . و« السَّوم » : التكليف . و«الخُطَّة» بالضم : الشأن والأمر العظيم . و« نُكُف » ، بضمتين : جمع نَاكف ، مِن نَكَفت من كذا ، أي : استنكفته وأنِفت منه .

وعُرِف من إيرادنا لهذه القصائد ما وقع من التخليط بين هذه القصائد كما فعل ابن السيّد واللَّخميّ في « شرح أبيات الجمل » ، وتبعهما العينيُّ والعبَّاسيّ في « شرح أبيات التلخيص » .

فإنّهم جعلوا ما نقلنا من شعر قيس بن الخطيم مطلعَ القصيدة ، ثم أوردُوا فيها البيت الشاهد وهو : « الحافظو عورة العشيرة » والشاهد الثاني وهو : «نحن بما عندنا وأنت بما عندك راضٍ » ، والحال أنّ هذين البيتين من قصيدة عمرو بن امرئ القيس .

---

(١) أن هنا تفسيرية . وفي حاشية الطبعة السلفية ٤/٢١٠ : " ... ونون (يردون) موجودة في الأصلين لكن الشنقيطي حلّها " .

(٢) في الأغاني ٣/٢٦ : " الذين أصاب بعضهم من بعض " .

(٣) جاء في اللسان : " نارت نائرة في الناس ، هاجت هائجة " . وفي القاموس : " نأرت " بالهمز .

ثم اختلف الناسُ في نسبة البيت الشاهد أعني : « الحافظو عورة العشيرة » فنسبه التّبريزيّ في « شرح إصلاح المنطق » ، والجَواليقيّ في « شرح أدب الكاتب » وابن بَرِّيّ في « حواشي صحاح الجوهريّ » إلى عمرو بن امرئ القيس ، كما نسبناه نحن.

ونسبه ابن السيرافيّ في « شرح أبيات الإصلاح » لشُريح بن عمران[1] من بني قُريظة ، قال : ويقال : إنّه لمالك بن العَجْلان الخزرجيّ . ونسبه ابن السيد في « شرح أبيات الجمل ، وفي « شرح أبيات أدب الكاتب » ، وابن هشام اللّخميّ في «شرح أبيات الجمل»، وعلي بن حمزة في « أغلاط الرّواة » ، والعباسيُّ في « شرح أبيات التلخيص» لقيس بن الخطيم .

والعجب من العينيّ أنه نقل عن اللّخميّ أنّه لعمرو بن امرئ القيس . واللّه أعلم.

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التاسع والتسعون بعد المائتين ، وهو من شواهد س[2]: (الوافر)

٢٩٩- أنا ابنُ التّاركِ البَكْريِّ بِشْراً

هذا صدرٌ ، وعجزه :

* عليهِ الطَّيرُ تَرقبُهُ وُقُوعا *

على أنّه عند المبرّد لا يتبع مجرور ذي اللام إلاّ ما يمكن وقوعه موقعَ متبوعه: فبشر

(١) في طبعة بولاق : " ... بن عمرو " . وهو تصحيف . وقد أثبتنا ما في النسخة الشنقيطية .

(٢) البيت للمرار الأسدي في ديوانه ص٣٦٦ ؛ والدرر ٦/٢٧ ؛ وشرح أبيات سيبويه ١/٦ ؛ وشرح التصريح ٢/١٣٣ ؛ وشرح المفصل ٣/٧٢ ، ٧٣ ؛ والكتاب ١/١٨٢ ؛ وفرحة الأديب ص٣٧ ؛ والمقاصد النحوية ٤/١٢١. وهو بلا نسبة في الأشباه والنظائر ٢/٤٤١ ؛ وأوضح المسالك ٣/٣٥١ ؛ وشرح الأشموني ٢/٤١٤ ؛ وشرح شذور الذهب ص٣٢٠ ؛ وشرح ابن عقيل ص٤٩١ ؛ وشرح عمدة الحافظ ص٥٥٤ ، ٥٩٧ ؛ وشرح قطر الندى ص٢٩٩ ؛ والمقرب ١/٢٤٨ ؛ وهمع الهوامع ٢/١٢٢ .

وروايته المشهورة :

* ... البكري بشرٍ *

عنده منصوب لا غير للحمل على محلّ البكريّ .

أنشده سيبويه بجرّ « بشر » على أنّه بدل أو عطف بيان للفظ البكريّ وإن لم يكن في بشر الألف واللام . وجاز ذلك عنده لبعده عن الاسم المضاف ، ولأنّه تابع ، والتابع يجوز فيه ما لا يجوز في المتبوع .

وغلّطه المبرّد وقال : الرواية بنصب بشر . واحتجّ بأنّه إنّما جاز أنا ابن التارك البكْريّ ، تشبيهاً بالضارب الرجل ، فلما جئتَ ببشر وجعلته بدلاً صار مثل أنا الضارب زيداً ، الذي لا يجوز فيه إلاّ النصب .

قال الزّجّاج : الذي ذهب إليه سيبويه أن بشراً عطف البيان الذي يقوم مقام الصفة ، يجوز فيها ما لا يجوز في الموصوف : تقول يا زيد الظريف ؛ ولا يجوز يا الظريف ؛ وكذا أقول الضارب الرجل زيدٍ ولا أقول الضارب زيد .

قال النحاس : وقد قال المبرّد في« الكتاب الذي سمّاه الشرح » : القول في ذلك أن قوله : « أنا ابن التارك البكريّ بشرٍ » عطف بيان ؛ ولا يكون بدلاً ، لأنّ عطف البيان يجري مجرى النعت سواء ؛ ألا ترى بيان ذلك في باب النداء تقول : يا هذا زيدٌ، وإن شئت [زيداً[1]] على عطف البيان فيهما . وإن أردت البدل قلت زيدُ . فهذا واضح جداً ؛ لأنك أزلت هذا وجعلت زيداً مكانه منادى . انتهى . وهذا من المبرد رجوع إلى رواية سيبويه وإن كان خالفه في شيء آخر .

وقد أورده شُرّاح ألفيّة ابن مالك بجرّ بشر على أنّه عطف بيان للبكريّ لا بدل ؛ لأنه في حكم تنحية المبدل منه وحلوله محلّه .

و« التارك » إن كان من التّرك الذي بمعنى الجعل والتصيير فهو متعدٍّ لمفعولين : الأول قد وقع مضافاً إليه ، والثاني هو جملة عليه الطّير من المبتدأ والخبر . وإن كان من الترك الذي بمعنى التخلية فهو متعدٍّ لمفعول واحد وهو المضاف إليه ، فيكون الظرف أعني عليه حالاً من البكري ، والطير فاعل الظرف أو الطير مبتدأ ، وعليه الخبر، والجملة حال منه ، وجملة « ترقبه » حال من الطير .

وأعربه الشارح في عطف البيان فقال : عليه الطير ثاني مفعولي التارك ، إن جعلناه بمعنى المصيّر ، وإلاّ فهو حال .

---

(١) زيادة يقتضيها السياق من النسخة الشنقيطية .

وقوله : « ترقبه » ، حال من الطّير إن كان فاعلاً لعليه ، وإن كان مبتدأ فهو حال من الضمير المستكنّ في عليه . انتهى .

ومعنى « ترقُبه » أي : تنتظر انزهاق روحه ، لأنّ الطّير لا يقع على القتيل وبه رمَق ، ففيه حذف مضاف .

وقوله : « وقوعاً » فيه أعاريب : أجودها أنه مفعول له، أي : تنتظر ازهاق روحه للوقوع عليه .

وقال الأعلم وتبعه ابن خلف إنه حال من الضمير في ترقبه . ولو رفع على الخبر لجاز . وقوعٌ عنده جمع واقع وهو ضدّ الطّائر . وهذه الحاليّة لا تصحّ من جهة المعنى، لأنّه لا معنى للانتظار بعد الوقوع على الميت . ولو جعله حالاً من الطّير كما قاله بعضهم لكان صحيحاً وكان حينئذ فيه بيانٌ لقوله عليه الطير .

وقال ابن يعيش : وقوعاً جمع واقع ، وهو حال إما من الضمير المستكنّ في عليه، وإما من المضمر المرفوع في ترقبه .

وقال ابن المستوفي في « شرح أبيات المفصل » : ويجوز أن يكون مصدراً في موضع الحال . ولم يعيِّنْ صاحبَ الحال . وقال بعض فضلاء العجم في « إعراب أبيات المفصل » : ولا يبعد أن يجعل وقوعاً مصدراً ويكون منصوباً على البدل من الضمير الراجع إلى بِشْر في ترقُبه ؛ لأنّه في معنى وقوعاً عليه ، فيتخصص نوع اختصاص ويكون من باب بدل الاشتمال . هذا كلامه، وهو جيّد إلاّ أنّ فيه حذف الضمير .

وقال العينيّ : قوله : الطير ، مبتدأ والجملة أعني قوله ترقبه خبره ، وقد وقعت حالاً عن البكريّ ، وقوله : عليه يتعلق بقوله وقوعاً . ولا يخفى ما في تعبيره من الاختلال ، وكأنّه لم يبلغه منع تقدّم معمول المصدر مع هذا الفصل الكثير .

وهذا البيت للمَرَّار بن سعيد الفَقْعَسِيّ . وبعده[1] :

عَلاَهُ بضَرْبَةٍ بعثَتْ بلَيْلٍ ... نَوائِحَهُ وأرْخَصَتِ البُضوعَا[2]

وقَادَ الخَيْلَ عَائدةً لِكَلْبٍ ... تَرى لوجيفِهَا رَهَجاً سَرِيْعا

(١) الأبيات في ديوان المرار الفقعسي ص٣٦٦-٣٦٧ .

(٢) البيت بلا نسبة في تاج العروس (بضع) ؛ ولسان العرب (بضع) .

عَجِبْتُ لقَائِلِينَ صَهٍ لقَومٍ عُلاهُمْ يَفْرَعُ الشَّرفَ الرَّفيعَا

« بَعثَتْ » أي : نبّهت من النوم ، يقال : بعثه ، أي : أهبّه ، أي : أيقظه . و«النّوائح» : جمع نائحة ، مِن ناحت المرأة على الميت نَوحاً ، إذا بكت عليه مع صراخ . و« البُضوع » إمّا جمع بَضْعة بفتح الموحدة وسكون الضاد المعجمة ، وهي القطعة من اللحم ؛ وإمّا جمع بُضْع بضمّ فسكون ، يطلق على الفرج والجماع .

وروي بدله : « البَضِيعَا » بفتح فكسر ، وهي اللحم . و« الوَجيف » بالجيم : مصدر وجَف الفرس إذا عدا ؛ وأوجفته إذا أعديته ؛ وهو العنق في السير بفتحتين . و« الرّهَج » : الغبار . و« صهٍ » أي : اسكت سكوتاً ما . و« يَفْرَع » بالفاء والعين المهملة بمعنى يعلو ، يقال : فرعت الجبل إذا صَعِدته .

قال ابن السيرافيّ في « شرح شواهد **س** » : بشر في قوله : أنا ابن التارك البكريّ بشر ، هو بشر بن عمرو بن مَرثَد ؛ وقتله رجلٌ من بني أسد ، ففخرَ المرَّارُ بقتله . وبشر هو من بني بكر بن وائل . وأرخصت البضوعا ، أي : أرخصت الضربةُ اللحم على الطير . و« البُضوع » : جمع بَضْعة ، ويروى « البَضيعا » ، وهو اللحم .

وزعم بعض الرواة أنه يريد بالبضوع بُضوع نسائه ، أي : نِكاحَهنَّ ، يقول : لما قتلوه سبوا نساءَه فنكحوهنّ بلا مهر . والبضوع : النكاح . والتفسير الأوّل أعجب إليّ .

قال أبو محمد الأعرابيّ الأسود في « فُرحة الأديب » وقد تقدَّمت ترجمته في أوّل الكتاب[١] : « ما أكثر ما يرجّح ابن السيرافيّ الرديءَ على الجيِّد [والزائف على الجائز][٢] ؛ وذلك أنّه مال إلى القول بأن البُضوع هنا اللحم ؛ ولعمري أنّها لو كانت لحوم المِعزَى والإبل لجاز أن يقع عليها الرُّخص والغَلاء [وهذه غباوة تامة] .

والصواب لّما قتلوه عَرَضوا نساءه للسِّباء ، لأنه لم يبق لهنّ مَن يَحميهنَّ ويذود عنهنَّ . ثم إنّه لم يذكر قاتل بشر مِن أيِّ قبائل بني أسد [كان] ؟ وإذا لم يعرف حقيقة هذا لم يدر لأيّ شيء افتخر المرَّار بذلك .

---

(١) الخزانة الجزء الأول ص٦٢ . والنقل من كتاب فرحة الأديب ص٣٨ .

(٢) زيادة يقتضيها السياق من فرحة الأديب ص٣٨ .

وقاتله سبع بن الحسحاس الفَقْعسيّ ، ورئيس الجيش جيشِ بني أسد ذلك اليوم خالدُ بنُ نَضْلة الفَقعسيّ ، وهذا جدّ المرَّار بن سعيد بن حبيب بن خالد بن نَضْلة » . انتهى .

ومن العجائب قول العينيّ : أراد ببشر بشر بنَ عمرو وكان قد جُرح و لم يُعلَم جارحُه ، يقول : أنا ابن الذي ترك بشراً بحيث تنتظر الطيور أن تقع عليه إذا مات . هذا كلامه .

وليتَ شعري كيف يفتخر الشاعر بقتيل جُهل قاتله ! فإن قلت : فعلى قول الأسود الأعرابيّ قاتله سبع بن الحسحاس ، كيف افتخر المرَّار به مع أنه ليس بأب من آبائه ولا ممّن ينتسب إليه ؟ قلت : افتخاره بجده خالد بن نَضْلة فإنه كان أميرَ الجيش، وسبعٌ المذكورُ كان من أفراد عسكره ومأموراً له ، والفعل لسبع والاسم لخالد .

قال أبو محمد الأعرابيّ[1] : وكان من حديث هذا اليوم – وهو يوم قُلاَب – : أنّ حيّاً من بني الحارث بن ثعلبة بن دُودان غزَوا وعليهم خالدٌ جدّ المرَّار المذكور فاعترض بشر بن عمرو لآثارهم ، فلما وصل إليهم قال : عليكم القومَ . قال ابنه : إنّ في بني الحارث بن ثعلبة بني فقعس ، وإن تَلْقَهم تلقَ القتال . فقال : اسكتْ ، فإنّ وجهكَ شبيه بوجه أمّك عند البناء[2] !

فلمّا التقوا هُزم جيش بشر فاتّبعه الخيل[3] حتّى توالى في إثره ثلاثةُ فوارس ، فكان أوّلهم سبع بن الحسحاس ، وأوسطهم عُميلة بن المقتبس الواليّ ، وآخرهم خالد بن نَضْلة ، فأدركَتْ نَبْلُ الوالبيّ [الأوسط] فرسَ بشر ابن عمرو برميةٍ عقَرته ، ولحقه سبعٌ فاعتنقه ، وجاء خالد وقال : يا سبع ، لا تقتلْه فإنّا لا نطلبه بدم ، وعنده مال كثير [وهو سيد من هو منه] . وأتتهم الخيل ، فكلّما مرَّ به رجلٌ أمره بقتله فيزجُرُ عنه خالد .

ثمّ إنّ رجلاً هَمَّ أن يوجّه [إليه] السِّنان ، فنَشَزَ خالدٌ على ركبتيه وقال : اجتنِبْ أسيري ! فغضب سبع أن يدَّعيَه خالد ، فدفَع سبعٌ في نَحْر بشر فوقع مستلقياً، فأخذ

---

(١) فرحة الأديب ص٣٨ . والنقل هنا مختصراً .

(٢) أراد البناء عليها ، أي ليلة زفافها .

(٣) في فرحة الأديب : " فاتبعته الخيل " .

برحله ثم أتْبع السيفَ فُرَجَ الدّرع حتّى خاض به كبدَه ، فقال بشر : أجيروا سراويلي فإنّي لم أستَعِنْ[1] . وعمد إلى فرسه فاقتاده . انتهى .

و« المَرّار »[2] بفتح الميم وتشديد الراء المهملة الأولى ، ينسب تارة إلى فقعس وهو أحد آبائه الأقربين ، وتارة إلى أسد بن خُزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر ، وهو جدّه الأعلى .

وهذه نسبته من « المؤتلف والمختلف للآمِديّ[3] » : المرّار بن سعيد بن حبيب ابن خالد بن نَضْلة بن الأشتَر بن جَحْوان « بتقديم الجيم المفتوحة على الحاء المهملة الساكنة » بن فَقْعَس بن طَريف ، الشاعرُ المشهور .

ثمّ ذكر بعد هذا خمسة من الشعراء ، مَنْ يقال لهم المرّار .

والمرّار بن سعيد من شعراء الدولة الأموية ، وقد أدرك الدولة العبّاسيّة .

قال ابن قتيبة في « كتاب الشعراء »[4] : كان المرّار بن سعيد الأسديّ يهاجي المُسَاورَ بنَ هند ، وكان [قصيراً] مُفرِط القِصَر ضئيلاً .

﴿ تتمة ﴾

هذا المعنى أعني تتبُّعَ الطّير للجيش الغازي للأعداء حتّى تتناولَ من القتلَى متداوَلٌ بين الشعراء قديماً وحديثاً ، وأوّل من جاء به الأفوَهُ الأَوْدِيُّ في قوله[5] : (الرمل)

وتَرَى الطَّيْرَ علَى آثَارنا رأيَ عَينٍ ثقَةً أنْ سَتُمَارُ

أي : تأخذ المِيرَة من لحوم القتلى . وأخذه النّابغة الذُّبيانيُّ فقال[6] : (الطويل)

---

(١) في طبعة بولاق : " فإني لم أسق " . وهو تصحيف صوابه من فرحة الأديب ص٣٩ ؛ والنسخة الشنقيطية . وفي اللسان (عين) : " أجر لي سراويلي فإني لم أستعن " . واستعان الرجل : حلق عانته .

(٢) شاعر أموي أسدي ، كان يهاجي المساور بن هند ، كان قصيراً ضئيلاً .

انظر في ترجمته وأخباره الأغاني ٣١٧/١٠ ؛ والشعر والشعراء ص٥٨٨ ؛ والمؤتلف والمختلف ص٢٦٨ ؛ ومعجم الشعراء ص٤٠٨ .

(٣) المؤتلف والمختلف ص٢٦٨ .

(٤) الشعر والشعراء ص٥٨٨ .

(٥) ديوان الأفوه الأودي – الطرائف الأدبية– ص١٣ .

(٦) الأبيات للنابغة الذبياني من مطولة يمدح فيها عمرو بن الحارث الأعرج الغساني ؛وهي في ديوانه ص٤٢–٤٣.

إذا ما غَزَا بالجيشِ حَلَّقَ فوقَهُمْ عصَائِبُ طَيْرٍ تَهتَدي بعصَائبِ[1]

جَوانِحُ قَدْ أيقنَّ أنَّ قبيلَهُ إذا ما التقَى الجيشَانِ أوَّلُ غَالِبِ[2]

لهُنَّ عليهِم عَادةٌ قَدْ عَرَفْنَها إذا عُرِضَ الخَطيُّ فوقَ الكَواثِبِ[3]

والكاثبة من الفرس : حيثُ تقع عليه يدُ الفارس . وأخذه الحطيئة فقال[4] : (الطويل)

تَرَى عَافياتِ الطَّيْرِ قَدْ وثِقَتْ لها بِشِبْعٍ منَ السَّخْلِ العِتَاقِ منازِلُهْ

وأخذه مسلم بن الوليد فقال : (البسيط)

قَدْ عَوَّدَ الطَّيْرَ عاداتٍ وثِقْنَ بِها فهنَّ يَتبَعْنَه في كُلِّ مرتَحَلِ

ثم تبعه أبو نواس وإنْ كان في عصره[5] :

تتأيَّا الطَّيْرُ غَدْوَتَهُ ثِقَةً بالشِّبْعِ من جَزَرِه

ثم أخذه أبو تمام فقال : (الطويل)

وقد ظُلِّلتْ عِقبانُ راياتِهِ ضُحًى بعِقْبانِ طَيْرٍ في الدِّماءِ نَوَاهِلِ

أقَامَتْ معَ الرَّاياتِ حتَّى كأنَّها منَ الجيشِ إلاَّ أنَّها لَمْ تقَاتِلِ

وكلُّهم قصَّر عن النَّابغة ، لأنَّه زاد في المعنى فأحسنَ التركيبَ ، ودلَّ على أنَّ

---

(١) البيت للنابغة الذبياني في الشعر والشعراء ص١٧٥ ؛ ولسان العرب (عصب ، حلق) . وهو بلا نسبة في شرح التصريح ٢٢٧/٢ ؛ وشرح المفصل ٦٨/١ .

(٢) البيت للنابغة الذبياني في أساس البلاغة (جنح) ؛ ومقاييس اللغة ٩٩/٢ .

(٣) في طبعة بولاق : " الخطبي " . وهو تصحيف صوابه من ديوانه . والبيت للنابغة الذبياني في أساس البلاغة (كتب) ؛ وتاج العروس (كتب ، عرض) ؛ ولسان العرب (كتب ، عرض) ؛ ومقاييس اللغة ٢٧٠/٤ ، ١٦٣/٥ . وهو بلا نسبة في جمهرة اللغة ص٢٦١ .

(٤) البيت في ديوان الحطيئة ص٧٩ .

السخل : في الأصل من أولاد المعز ، واستعاره هنا لأولاد الخيل . والعافيات : التي تدنو تطلب ؛ وكل شيء ألم بك فهو عاف .

وفي طبعة بولاق : " قد رتقت لها بسبع " . وهو تصحيف صوابه من ديوانه والنسخة الشنقيطية .

(٥) في طبعة بولاق : " تتأيي يا " . وهو تصحيف صوابه الطبعة السلفية ٢١٧/٤ . وتتأيا : تترقب وتنتظر .

وفي طبعة بولاق : " من حرزه " بالحاء المهملة وهو تصحيف صوابه الطبعة السلفية ٢١٧/٤ .

الطير إنّما أكلَت أعداء الممدوح .

وكلامُهم محتَمِل وإنْ كانَ أبو تمام قد زاد في المعنى. على أنَّ الطَّير إذا شبعت ما تسأل : أيُّ القبيلين الغالب ؟ وقد أحسن المتنبِّي في قوله[١]: (الطويل)

لَـهُ عَسْكَرَا خيـلٍ وطَيْـرٍ إذا رَمَـى ... بِها عَسْكراً لَمْ تبْـقَ إلاَّ جَمَاجِمُـهْ

وقال أبو عامر : (الطويل)

وتَـدري كُمَاةُ الطَّيْرِ أنَّ كُمَاتَـهُ ... إذا لَقِيَتْ صِيْـدَ الكُمَـاةِ سِبَـاعُ

تَطيـرُ جيـاعـاً فَـوقَـهُ وتَردُّهـا ... ظُبَـاهُ إلى الأوكارِ وَهْيَ شِبَـاعُ[٢]

وقد أخذ هذا المعنى مَرْوان بن أبي الجَنوب ، فقال يمدح المعتصم : (البسيط)

لا تَشـبَعُ الطَّيْـرُ إلاَّ في وقَـائعِـهِ ... فأينَمـا سَارَ سَارَتْ خلفَهُ زُمـرَا

عَـوارفـاً أنَّـه في كُـلِّ مُعْتَـرَكٍ ... لا يُغمِدُ السَّيْفَ حتَّى يُكثِرَ الجـزَرَا

فأخذه بكر بن النَّطَّاح فقال : (مجزوء الكامل)

وتَـرَى السِّـباعَ مـنَ الـجَـوا ... رحِ فَـوقَ عَسكرِنَا جَوانِـحْ

ثِـقَـةً بـأنَّـا لا نَـزا ... لُ نُمِيْـرُ سـاغِبَها الـذَّبـائِـحْ

وأخذه ابن جَهْوَر فقال : (البسيط)

تَـرَى جَـوارِحَ طَيـرِ الجوِّ فوقَهُـمُ ... بيـنَ الأسِـنَّـةِ والـرَّايـاتِ تَختفـقُ

وأخذه آخر فقال : (الطويل)

ولسـتَ تَـرَى الطَّيْـرَ الحوائِمَ وُقَّعَـا ... مـن الأرضِ إلاَّ حيثُ كان مُواقعـا

ومنه قول الكُميت بن مَعروف[٣] : (الوافر)

---

(١) البيت من مطولة للمتني يمدح فيها سيف الدولة الحمداني . والبيت في ديوانه ٥٤/٤ .

(٢) في طبعة بولاق : " ظباء " . وهو تصحيف لا يستقيم معه المعنى . والتصويب من الطبعة السلفية ٢١٨/٤ .

(٣) في حاشية الطبعة السلفية ٢١٨/٤ : " لم نر هذا الجمع في المعاجم التي بأيدينا . وفي اللسان : وقيل أهل مكة يسمون الحدا حدواً " .

وفي اللسان (حدا) : " قال أبو حاتم : أهل الحجاز ينحطئون فيقولون لهذا الطائر الحديا . وهو خطأ ، ويجمعونه الحداوى ، وهو خطأ " .

وقَــدْ سَتَـرتْ أسـنَّتـهُ الـمَواضِي　　حُـدَيًّـا الـجوِّ والـرَّخَـمُ السِّغَابُ

ومنه قول ابن قيسِ الرُّقَيَّات[1] : (البسيط)

والطَّير إنْ سارَ سَارَت فوقَ مَوكِبـهُ　　عَـوارفـاً أنَّــهُ يَسْـطُو فيَقْـرِيْهـا

وأخذه عبَّاس الخياط فقال : (السريع)

يا مُطْعِـمَ الطَّيـــرِ لـحـومَ العِـدَا　　فكلُّهـــا تَثْنِـي علـى بـأسِـــهِ

وقال ابن نباتة : (الطويل)

إذا حَوَّمَـتْ فـوقَ الرِّمــاحِ نُسورُهُ　　أطَـارَ إليهــا الضَّـربُ ما تترقَّبُ

وأبدع من هذا كلّه قولُ المتنبِّي[2] : (البسيط)

يُطمِّـعُ الطَّيْـرَ فيهـم طـولُ أكْلِهـمُ　　حتَّـى تكَــادَ علـى أحيائِهـمْ تقَـعُ

وقد جاء امرؤ القيس بهذا المعنى بوجه آخر فقال[3] : (الطويل)

إذا مــا ركبنَـا قــالَ ولِــدانُ أهلنــا　　تعَالَـوا إلى أنْ يأتِنـا الصَّيدُ نَحْطِبِ

يقول : قد وثقوا بصيد هذا الفرس فهم يهيِّؤون لمجيء صيده الحطب .

وأخذه حُميد بن ثور الهلاليّ الصَّحابيّ فقال في صفة الذِّئب[4] : (الطويل)

ينَــامُ بإحـــدَى مُقلَتيــهِ ويتَّقــي　　بأخـرَى الـمَنَايا فهو يَقظانُ هَاجِعُ

إذا مــا غَــدَا يومــاً رأيْـتَ غَيـابَــةً　　منَ الطَّيرِ يَنْظُرْنَ الذي هو صَانِـعُ

---

(١) في طبعة بولاق : " أن يسطو " . وهو تصحيف صوابه من ديوانه والبيت في ديوان عبيد الله بن قيس الرقيات ص١٩٩ . نقلاً عن الخزانة .

(٢) البيت للمتنبي في ديوانه ٢/٣٣٤ .

(٣) هو الإنشاد الثاني والثلاثون في شرح أبيات المغني للبغدادي . والبيت لامرئ القيس في ملحق ديوانه ص٣٨٩ ؛ وسمط اللآلئ ص٦٧ ؛ وشرح أبيات المغني ١/١٢٨ ؛ وشرح شواهد المغني ص٩١ ؛ والمحتسب ٢/٢٩٥ . وهو بلا نسبة في أمالي المرتضى ٢/١٩١ ؛ والجنى الداني ص٢٢٧ ؛ وجواهر الأدب ص١٩٢ ؛ وشرح الأشموني ٣/٥٥٢ ؛ ومغني اللبيب ص٣٠ .

(٤) البيتان لحميد بن ثور في ديوانه ص١٠٥-١٠٦ . والأول في أمالي المرتضى ٢/٢١٣ ؛ والشعر والشعراء ١/٣٩٨ ؛ والمقاصد النحوية ١/٥٦٢ . وهو بلا نسبة في تخليص الشواهد ص٢١٤ ؛ وشرح الأشموني ١/١٠٦ ؛ وشرح ابن عقيل ص١٣٢ . والثاني له في أمالي المرتضى ٢/٢١٣ . وهو بلا نسبة في أساس البلاغة (ظلل) .

وأخذه ابن المعتز بلفظ امرئ القيس فقال[١] : (الرجز)

قَـدْ وَثِـقَ القَـومُ لَـهُ بِمَـا طَلَبْ فهـو إذا جلّى لصيدٍ واضْطَـرب
عَـرَّوا سَكاكِيْنَهُـم مـن القُـرُبْ

* * *

وأنشـد بعـده ، وهـو الشـاهد الموفـى ثلاثمائـة ، وهـو مـن شـواهد سـيبويه[٢] : (الطويل)

٣٠٠- أَقَـامَـتْ على رَبْعَيـهِـما جَارتَـا صَفَـاً
كُمَيتَـا الأَعَالِي جَوْنَتَـا مُصْطَلاهُمَـا

على أنّ الصفة المشبهة قد تضاف إلى ظاهرٍ مضاف إلى ضمير صاحبها .

ينبغي أن تُشرَحَ أولاً ألفاظُه اللغويّة حتى يظهر ما ينبني عليه مـن المسـألة النحويـة فنقول :

هذا البيت للشمّاخ بن ضرار ، وقد تقدّمت ترجمته في الشاهد الحـادي والتسـعين بعد المائة[٣] وقيل هذا بيت .

وهو مطلع القصيدة :

أَمِن دِمْنَتَيـنِ عـرَّسَ الرَّكـبُ فيهمـا بحَقْـلِ الرُّخَـامَى قَدْ أَنَـى لِبلاهُمَـا

وقد أوردهما معاً سيبويه في « كتابه » وبعدهما :

وإرثُ رَمَـادٍ كالحمـامَـةِ مَـاثِـلٍ ونُـؤْيَـان في مَظْلُـومَتَيـنِ كُدَاهمـا
أَقامَـا للَيْـلَـى والـرَّبَـابِ وَزالَتَـا بذاتِ السّلام قَـدْ عفَـا طَلَلاهُمـا
فَفَاضَتْ دُموعِي في الـرِّداءِ كأنّهـا عَزَالِـي شَـعَيْـبَيْ مُخْلِفٍ وكُلاَهمـا

(١) الرجز لابن المعتز في شرح أبيات المغني للبغدادي ١٣٠/١ ؛ وفيه : " ونقله ابن المعتز إلى البازي ، فقال " .

(٢) البيتان – الشاهد والذي يليه – للشماخ في ديوانه ص٣٠٧-٣٠٨ ؛ والدرر ٢٨١/٥ ؛ وشـرح أبيـات سيبويه ٧/١ ؛ وشرح المفصل ٨٣/٦ ، ٨٦ ؛ والصاحبي في فقـه اللغة ص٢١٠ ؛ والكتـاب ١٩٩/١ ؛ والمقـاصد النحويـة ٥٨٧/٣ ؛ وهمع الهوامع ٩٩/٢ . وهما بلا نسبة في شرح الأشموني ٣٥٩/٢ ؛ والمقرب ١٤١/١ .

(٣) الخزانة الجزء الثالث ص١٨٦ .

قوله : « أمِن دمنتين » ، الجار متعلّق بمحذوف تقديره أتحزَن أو أتجزع من دمنتين رأيتَهما فتذكّرتَ من كان يحلُّ بهما . والاستفهام تقريريّ ، والخطاب لنفسه . ذكر في هذه الأبيات أنّه رأى منازل حبائبه ، وأنه لم يبق فيها غير الأثافي والرماد والنؤي .

و« الدِّمنة » بالكسر : الموضع الذي أثّر فيه الناس بنزولهم وإقامَتهم فيه . و«التعريس»: نزول المسافرين في آخر الليل قليلاً للاستراحة ثم يرتحلون .

وروي بدله: « عرَّج الرَّكبُ » والتعريج : أن يَعطِفوا رواحلهم في الموضع ويقفوا فيه . و« الرَّكْب » : ركاب الإبل ، جمع راكب . و« الحَقل » بفتح المهملة وسكون القاف: القَراح الصُّلب ، وهي المزرعة التي ليس عليها بناء ولا شجر .

و« الرُّخامى» بضم الراء بعدها خاء معجمة وآخره ألف مقصورة ، وهو شجر مثل الضال وهو السِّدْر البرّيّ . وبحَقْل الرُّخامى[1] حال من الضمير في فيهما . و«أنَى» بالنون فعل ماض بمعنى حانَ . و« البِلَى » بكسر الموحدة : الفَناء والذّهاب بالمرّة ، واللام زائدة أي : قد حانَ بلاهما .

وقد رَوَى كثيرٌ بدلهما : « قد عفا طللاهما » ، وهذا غير صواب ، لأنه يتكرّر مع ما بعده :

وقوله : « أقامت على ربعيهما الخ » أي : بعد ارتحال أهلهما . و« الرّبع » : الدار والمنزل . وضمير المثنّى للدمنتين ، خلافاً للسيد المرتضى في « أماليه » فإنّه قال : يعني بربعيهما منزلَي الامرأتين اللتين ذكرهما ، مع أنه لم يقدّم ذكرهما بل أخّرهما كما رأيت . و« جارتَا » : فاعل أقامت ، وهو مضاف . و« الصَّفا » بفتح الصاد المهملة والفاء : الصخر الأملس ، واحده صفَاة ، وهو مضاف إليه .

قال السيِّد المرتضى في « أماليه[2] » : « ويعني بجارتَا صَفاً ، الأثفيَّتين ، لأنّهما مقطوعتان من الصَّفا الذي هو الصخر .

ويمكن في قوله : جارتا صفَا ، وجهٌ آخر هو أحسنُ من هذا ، وهو أنّ الأُثْفيَّتَين توضعان قريباً من الجبل لتكون حجارة الجبل ثالثة لهما ، وممسكةً للقِدْر معهما ،

---

(١) في طبعة بولاق والنسخة الشنقيطية : " ويجعل الرخامى " . وبه صحح الشنقيطي بقلمه .

(٢) أمالي المرتضى ٢/٣٠ .

ولهذا تقول العرب[١] : « رماه بثَالثةِ الأثـافي » أي : بالصخرة أو الجبل » انتهى .

وعلى هذا الأخير اقتصر ابن السيرافيّ في « شرح أبيات سيبويه » ، وتبعه الجماعة، قال : الصَّفا هو الجبل في هذا الموضع ، وجارتاه : صخرتان تجعلان تحت القِدْر ، وهما الأثفيَّتان اللتان تقرُبان من الجبل ، فيقومُ الجبل مقام صخرةٍ ثالثة تكون تحت القدر . ومقتضى المعنى أنَّ في كلٍّ من الرّبعين جارتا صفا[٢] لا أنّ في مجموع الربعين جارتا صفا .

وقوله : « كميتا الأعالي .. الخ » هو صفة جارتا صفا ، وهو تركيب إضافيٌّ مثله ، وهو مثّنى كُميت بالتصغير من الكُمْتة ، وهي الحمرة الشديدة المائلة إلى السواد. وأراد بالأعالي أعالي الجارتين ، قال الأعلم : يعني أنَّ الأعاليَ من الأثفيَّتين لم تسود لبعدها عن مباشرة النار ، فهي على لون الجبل .

وكذلك قال السيِّد المرتضَى[٣]: شبّه أعلاهما بلون الكميت ؛ وهو لون الحجر نفسه ، لأن النّار لم تصل إليه فتسوِّده .

وقال ابن السيرافيّ ، وتبعه مَن بعده : يريد أنَّ أعاليَ الأثافي ظهرَ فيها لون الكُمْتة من ارتفاع النّار إليها . وقوله : « جونَتَا مُصْطَلاهُما » نعتٌ ثان لقوله : جارتا صفا ، وهو تركيب إضافيّ أيضاً . و« الجَونة » : السَّوداء ؛ والجَون : الأسود وهو صفة مشبَّهة ، ويأتي بمعنى الأبيض أيضاً ، وليس بمرادٍ هنا .

ومن الغريب قول النحّاس : إنّ الجون هنا هو الأبيض . و« المصطلَى » : اسم مكان الصِّلاء ، أي : الاحتراق بالنّار ، فيكون المصطلَى موضع إحراق النار .

يريد أنَّ أسافل الأثافيّ قد اسودَّت من إيقاد النّار بينها . والضمير المثّنى في مصطلاهما ، عند سيبويه ، لقوله جارتا صفا ؛ وعند المبرّد ، للأعالي كما يأتي بيانهما. وزعم بعض فضلاء العجم في « شواهد المفصَّل » أنَّ الكُمْتة هنا السَّواد . وهذا غير صواب .

---

(١) المثل – قول العرب – في ثمار القلوب ص٥٥٧ ؛ وفصل المقال ص٩٦ ؛ واللسان (أثف ، ثفا ، ثلث) ؛ ومجمع الميداني ٢٨٧/١ .

(٢) كذا في أصول طبعات الخزانة . والوجه : " جارتي صفا " . بالنصب ، ولقد تمت الرواية على سبيل الحكاية.

(٣) أمالي المرتضى ٣٠/٢ .

وقوله : « وإرث رَماد الخ » هو معطوف على فاعل أقامت . وإرثُ كلِّ شيء : أصله ، وهو بالكسر وآخره ثاء مثلثة . والحَمامة هنا : القطَاة . شبّه لون الرَّماد بريش القطَاة . و« ماثلٍ » : منتصب . و« النُّؤْي » ، بالضم : حُفَيرة تُحفَر حول الخِبَاء يجعل تُرابه حاجزاً لئلاّ يدخل المطر .

قال شارح الديوان : والمظلومة : الأرض الغليظة التي يُحفر فيها في غير موضع حفر . و« الكُدْية » بالضم : الأرض الغليظة التي ظُلِمت كداها ، أي : حُفر فيها في غير موضع حفر .

وقوله : « أقاما لِلَيلى الخ » قال شارح الديوان : أي : هذان الطللان أقاما بعد أهلهما . أشار إلى أنّ اللام في « لليلَى » بمعنى بعد . و« ذات السلام » : موضع . و«عفا» : تغيَّر . و« الطَّلل » ، قال الأعلم : هو ما شخص من علامات الدار وأشرفَ كالأثفيَّة والوتِد ونحوهما ؛ وإن لم يكن له شخص كأثر الرماد وملاعب الغِلمان فهو رسم .

وقوله : « كأنّها عزالِي الخ » هو جمع عَزلاء بفتحِ مهملةٍ وسكون معجمة ، وهي فم القِربة ، ومصَبُّ الماء من المزادة . و« الشَّعيبان » : المزَادتان ، قال أبو عُبيد : الشَّعيب والمزادة والراوية والسَّطحية شيءٌ واحد . و« المُخلِف » : المسْتِقي . و«الكُلى» : الرِّقاع التي تكون في المزادة ، واحدها كُلْية .

هذا . وأما محلّ الشاهد قوله : « جَونتا مُصْطلاهُما » فإنّه أضافَ جَونتا إلى مصطلاهما . قال السيرافيّ : جونتا مثنّى وهو بمنزلة حسنتا ، وقد أضيفا إلى مصطلاهما ، ومصطلاهما بمنزلة وجههما ، فكأنّه قال حسنتا وجههما ، والضمير الذي في مصطلاهما يعود إلى جارتا صفا ، ومعنى جارتا صفا الأثافيّ ، والصفا هو الجبل ، وإنما يبنى في أصل الجبل في موضعين ما يوضع عليه القدر ، ويكون الجبل هو الثالث ، فالبناء في موضعين هما جارتا صفا .

وقوله : « كميتا الأعالي » ، يعني أنَّ الأعالي من موضع الأثافيّ ، لم تسودّ لأنَّ الدُّخان لم يصل إليها فهي على لون الجبل . وجعل الأعلى من الجبل أعالي الجارتين . وجونتا مصطلاهما يعني مسودّتا المصطلى يعني الجارتين مسودّتا المصطلى ، وهو موضع الوَقودِ .

وقد أنكَر هذا على سيبويه وخرَّج للبيت ما يُخرّجُ به عن : حسَنُ وجههِ وحسنةُ

وجهِها ، قال : وذلك أنّه لا خلاف بين النّحويين أنَّ قولنا زيد حسنُ وجهِ الأخ جيّد بالغ ، وأنّه يجوز أن يكنَى عن الأخ فنقول زيد حسن وجه الأخ جميلُ وجهه ، فالهاء تعود إلى الأخ لا إلى زيد ، فكأنا قلنا زيد حسنُ وجه الأخ . جميل وجه الأخ .

قال : فعلى هذا قوله كميتا الأعالي جونتا مصطلاهما ، كأنه قال جونتا مصطلى الأعالي ، فالضمير في المصطلى يعود إلى الأعالي لا إلى الجارتين ، فيصير بمنزلة قولك : الهندان حسنتا الوجوهِ مليحتا خدودِهما . فإن أردت بالضمير في خدودهما الوجوهَ كان كلاماً مستقيماً ، كأنّك قلت حسنتا الوجوه مليحتا خدود الوجوه . فإن أردت بالضمير الهندين فالمسألة فاسدة ، فكذلك جونتا مصطلاهما إنْ أردت بالضمير الأعالي فهو صحيح ، وإن أردت بالضمير الجارتين فهو رديء ، لأنّه مثل قولك هند حسنة وجهها .

قال : فإن قال قائل : فإذا كان الضمير في مصطلاهما يعود إلى الأعالي فَلِم يثنّى، والأعالي جمع ؟ قيل له : الأعالي في معنى الأعليين ، فردَّ الضمير إلى الأصل .

ومثله[1] : (الوافر)

مَتَى ما تَلقَنِي فَرديْنِ تَرجُفُ رَوَانِفُ أَليَتَيْكَ وتُستَطَارا

فردَّ تستطار إلى رانفتين ، لأن روانف في معنى رانفتين . وعلى هذا يجوز أن تقول الهندان حسنتا الوجوه جميلتا خدودهنّ ، لأنَّ الوجوه في معنى الوجهين ، فكأنّك قلت: جميلتا خدود الوجهين .

قال أبو بكر بن ناهض القرطبيّ : هذا التأويل حسن في إعادة الضمير الذي في مصطلاهما إلى الأعالي ، لولا ما يدخل البيتين [من[2]] فساد المعنى ، وذلك أنّك إذا قلت : كميتا الأعالي جونتا مصطلاهما ، إنَّ معناه اسودَّت الجارتان واصطلَى أعاليهما ؛ كما أن معنى قولك الهندان حسنتا الوجوه مليحتا خدودهما ، إنّما المعنى

---

(١) البيت لعنترة في ديوانه ص٢٣٤ ؛ والدرر ٩٤/٥ ؛ وشرح التصريح ٩٤/٢ ؛ وشرح شواهد الشافية ص٥٠٥ ؛ وشرح عمدة الحافظ ص٤٦٠ ؛ وشرح المفصل ٥٥/٢ ؛ ولسان العرب (طير ، ألا ، خصا) ؛ والمقاصد النحوية ١٧٤/٣ . وهو بلا نسبة في أسرار العربية ص١٩١ ؛ وأمالي ابن الحاجب ٤٥١/١ ؛ وشرح الأشموني ٥٧٩/٣ ؛ وشرح شافية ابن الحاجب ٣٠١/٣ ؛ وشرح المفصل ١١٦/٤ ، ٨٧/٦ ؛ ولسان العرب (رنف) ؛ وهمع الهوامع ٦٣/٢ .

(٢) زيادة يقتضيها سياق الكلام .

حسنت وجوهُهما ومَلُحت خدودهما ، فكذلك يجب أن يكون مصطلاهما إذا أعيد الضمير إلى الأعالي أن يكون قد اصطلت الأعالي ، وإذا اصطلت الأعالي فقد اسودّت، وهو يخبر أنّهما لم يسودّا لأنّهما لم يصل الدُّخَان إليهما .

والدليل على ذلك أنّه وصف الأعالي بالكُمْته و لم يصفهـا بالسَّواد كما وصف الجارتين ، فلا يشبه هذا قولك الهندان حسنتا الوجه مليحتا خدودهما ؛ لأنّ كلّ واحدٍ من هذين الضميرين قد ارتفع بفعله ، وكذلك يجب أن يرفع ضمير الأعالي بفعله ، فيكون على هذا الأعالي قد اصطلت بالنّار ، وهذا خلاف ما أراد الشاعر ، لأنه ذكر أنه لم يصطل منها غيرُ الجارتين وأنَّ الأعاليَ لم يصل إليها الدخان . فهذا خلاف ما نظره النحويون وقاسوه . فلا بدَّ من [الذهاب في] معنى البيت إلى ما ذهب إليه سيبويه ، من أنّ الضمير في مصطلاهما يعود على الجارتين . انتهى .

وقد رَدَّ ما ذهب إليه المبرّد ابنُ جنّي أيضاً بوجه غير هذا ، قال في باب الحمل على المعنى « من الخصائص » : اعلم أنَّ العرب إذا حملت على المعنى لم تكد تراجع اللفظ ، كقولك شكرت من أحسنوا إليّ على فعله .

ولو قلت شكرت من أحسنَ إلي على فعلهم جاز ، ولهذا ضعف عندنا أن يكون هما من مصطَلاهما[1] في قوله : كميتَا الأعالي جونتا مصطلاهما ، عائداً على الأعالي في المعنى إذا كانا فاعلين اثنين[2] ، لأنه موضع قد ترك فيه لفظ التثنية حملاً على المعنى لأنّه جعل كلّ جهة منهما أعلى ، كقولهم : شابت مفارقه ، وهذا بعيرٌ ذو عَثَانينَ ، ونحو ذلك . أو لأنَّ الأعليَيْن شيئان من شيئين ، فإذا كان قد انصرف عن اللفظ إلى غيره ضعفت مُعاودته إيَّاه ، لأنّه انتكاث وتراجُع فجرى ذلك مجرى إدغام الملحق وتوكيدِ ما حذف . على أنّه قد جاء منه شيءٌ قال : (الطويل)

* رُؤُوسُ كَبِيرَيْهِنَّ يَنْتَطِحَانِ *

وأما قوله[3] : (البسيط)

---

(١) في طبعة بولاق : " من اصطلاهما " . وهو تصحيف صوابه من النسخة الشنقيطية .

(٢) في حاشية طبعة هارون ٤/٢٩٩ : " وكذا في بعض أصول الخصائص ٢: ٤٢١ . والوجه ما في سائر أصول الخصائص : كانا أعليين اثنين " .

(٣) هو الإنشاد الخامس والثلاثون بعد الثلاثمائة في شرح أبيات المغني للبغدادي .

والبيت للفرزدق في ديوانه ٣٤/١ ؛ وأسرار العربية ص٢٨٧ ؛ وتخليص الشواهد ص٦٦ ؛والخصائص ٣/٣١٤ ؛ –

كـلاهُـمـا حيـنَ حدَّ الجريُ بينهما قَدْ أقلعَـا وكِـلا أنفَيهمـا رَابِـي

فليس من هذا الباب وإنْ كان قد عاد من بعد التثنية إلى الإفراد ؛ وذلك أنه لم يقل كلاهما قد أقلعا وأنفه رابٍ فيكون ما أنكرناه ، لكنه قد أعاد كلا أخرى غيرَ الأولى فعامَلَها على لفظها . ولم يقبح ذلك لأنّه قد فرغ من حديث الأولى ثم استأنف من بعدها أخرى ، ولم يجعل الضميرين عائدين إلى كلا واحدةٍ .

وهذا كقولك : من يقومون أكرمُهم ومن يقعدُ أضربه[1] . ولا يحسن « ومِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إلَيْكَ حتّى إذا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ[2] » لما ذكرناه . وهذا واضح فاعرفه . انتهى .

وهذا مأخوذ من كلام أبي عليّ في « المسائل البغداديات » وقد بسط القول على هذا البيت ، فلا بأسٍ بإيراد كلامه قال : فأما قوله : جونتا مصطلاهما ، فقد قدَّره سيبويه تقدير حسنةٌ وجهها وجعل قياسه كقياسه ، وكان حكمه عنده - إن أجراه على الأصل دون الحذفِ - أن يقول : جارتا صفاً جونٌ مصطلاهما فيُجرى جونٌ على الجارتَين فيرتفع بجَرْيه عليهما ، لأنّهما مرفوعتان ، ثم يرتفع المصطلى بجون ويعود ضمير التثنية على الجارتَين ، فيكون كقولك : الهندان حسنٌ ثوبُهما وهند حسنٌ وجهُها .

وإن أجراه على الحذف دون الأصل أن يقول : أقامتْ على ربعيهما جارتا صفاً جونتا المصطليات ، فيمن قال الهندان حسنتا الوجوه ، وفيمن قال صفا رحلَيهما،

- والدرر ١٢٢/١ ؛ وشرح أبيات المغني ٢٦٠/٤ ؛ وشرح التصريح ٤٣/٢ ؛ وشرح شواهد المغني ص٥٥٢ ؛ ونوادر أبي زيد ص١٦٢ ؛ وهو للفرزدق أو لجرير في لسان العرب (سكف) . وهو بلا نسبة في الإنصاف ص٤٤٧ ؛ والخصائص ٤٢١/٢ ؛ وشرح الأشموني ٣٣/١ ؛ وشرح شواهد الإيضاح ص١٧١ ؛ وشرح المفصل ٥٤/١ ؛ ومغني اللبيب ص٢٠٤ ؛ وهمع الهوامع ٤١/١ .

(١) في حاشية طبعة هارون ٢٩٩/٤ : " بعده في الخصائص : فتأتي بمن الثانية فتعاملها على ما تختار مما يجوز مثله".

(٢) سورة محمد : ١٦/٤٧ .

في طبعتي بولاق والسلفية والنسخة الشنقيطية : " ومنهم من يستمعون إليك ..." .

وفي حاشية طبعة هارون ٣٠٠/٤ :" .. وفي النسختين والخصائص كذلك : من يستمعون . وهو تحريف في الكتاب واجب إصلاحه ، وهو مع ما فيه غير صالح للاستشهاد . ومن عجب ألا يتنبه ابن جني ولا البغدادي ولا محقق الخصائص غفر الله لهم . على أنه من أمانة النقل أن أذكر أن في بعض نسخ أصول الخصائص :حتى إذا خرج ." .

جونتا المصطليين ، فيصير كقولك الهندان حسنتا الثوبين . فلم يستعمله على الإتمام والأصل ، ولا على الاختصار والحذف ، ولكن جعله كقولك : هذه امرأة حسنة وجهها ، فثنّى الجونَة وهما وَصْفا الجارتين وأضافه مثنّى إلى المصطلى ، وهو هما في المعنى ، إلاّ أنّه وضع الواحد موضع الجمع فيمن قال : حسان الوجوه ، وموضع التثنية فيمن قال : صفا رحليهما ، وهو المصطلى ، ألا ترى أنَّ لكلّ واحدة من الجارتين مُصطلى .

وإنْ وجَّهته على أنَّ المصطلى يكون جميع ذلك وأحد ، لم يضع واحداً موضع جمع، ثم أضاف مصطلى إلى ضمير الجارتين كما أضاف الوجه في قوله هذه امرأة حسنةُ وجهِها إلى ضمير المرأة بعد إضافة حسن الذي هو الوجه في المعنى إلى الوجه . فعلى هذا وضع سيبويه هذا البيت .

وقد يحتمل غير ما تأوَّله ، وهو ما ذكره بعضهم: من أنّ الشاعر إنّما ردَّ الضمير المثّنى في قوله مصطلاهما إلى الأعالي ، لأنه في الحقيقة اثنان .

وهذا مثل قوله[1] : (الطويل)

رأَتْ جَبلاً فَوقَ الجِبَالِ إذا التَقَتْ رُؤُوسُ كَبيـرَيْهِـنَّ يَنْتَطِحَـانِ

ولستُ أعرفُ مَن قائلُ هذا القول ، إلاّ أنّه ليس بممتنع . ويخرج الكلام به من أن يكون على قولك : هند حسنةُ وجهها ، لأنَّ الضمير المثّنى على هذا في قوله مصطلاهما، ليس يرجع إلى الجارتين ، إنّما يرجع إلى الأعالي ؛ لأنَّ الأعالي وإن كان مجموعاً في اللفظ فهو اثنان في المعنى ، فحمله على ذلك ، فكأنه قال جونتا مصطلاهما الأعالي .

وإذا كان كذلك لم يكن على حسنة وجهها ، لأن الجونة لم تضف إلى اسم يتّصل به ضمير يعود إلى الجارَتين كما يعود مِن الاسم الذي بعد الصفة في قولك هند حسنةُ وجهِها ضميرٌ يعود إلى هند ، لكون الضمير العائد إلى الجارتين محذوفاً ، كما أنَّ الضمير من هند حسنة الوجه ودعد حسنة وجه الأب محذوف ، فلذلك أنّث جونة من قوله جونتا مصطلاهما ، كما أنّث حسنة في قولك هند حسنة الوجه ، لأنه لم يعُدْ فيه إلى هند ضمير .

---

(١) البيت بلا نسبة في الأشباه والنظائر ٢/٢١٦ ؛ والخصائص ٢/٤٢١ ؛ ولسان العرب (رأس) .

وقياس هذا إذا رفع الاسم بالصفة و لم تضف الصفة إلى ما هو فاعلها في المعنى كحسنٌ وجهٌ وحسنٌ الوجهُ ، أن يقال جارتا صفاً جونٌ مصطلاهما أعاليهما أو أعلييهما ، فمصطلاهما في موضع رفع مثل قولك هاتان امرأتان حسنٌ غلام أبويهما . وعَيب هذا القول الذي قاله هذا القائل ، هو أنَّ التثنية حملت على أنّها جمع ، وذلك بعيد ، لأنا وجدناهم يجعلون الاثنين على لفظ الجمع في نحو قوله عزَّ وجلّ[١] : « إذْ تسوّروا المِحراب » و[٢] « قَدْ صَغَتْ قُلُوبُكما » وبابِه ، و لم نرهم يجعلون لفظ التثنية للجمع .

إلاَّ أنه لا يمتنع ذلك في هذا الموضع ، لأنّ المجموع الذي هو قولنا : الأعالي هنا اثنان في الحقيقة ، فحمله على المعنى ، أو استعمل اللغتين اللتين في نحو هذا جميعاً ؛ فحمل الأوّل على قوله[٣] : « فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكما » والثاني على صفا رحلَيهما . وليس ذلك بحسن ، لأنَّ الراجع أن يكون على لفظ المرجوع إليه أحسن ، إلاّ أن ذلك لا يمتنع .

ففي هذا التأويل تخليص للشعر من عَيب وإدخاله في عيب آخر. انتهى كلام أبي عليّ .

ومثله لابن السَّرَّاج في « الأصول » قال : وقد حكَى سيبويه أنّ بعضهم يقول زيد حسنُ وجهِه شبّهوه بحسن الوجه ؛ واحتجّ بقوله جونتا مصطلاهما ، فجعل المصطلى هاهنا في موضع خفض ، والهاء والميم راجعة إلى الاثنتين وهما جارتا صفا . وكان حقّه أن يقول جونتا المصطلين .

وقال غيره : ليس المعنى على هذا والهاء والميم ترجع إلى الأعالي وإن كانت جمعاً، لأن معناهما معنى اثنين ، وإنما جمعت لأنّها من اثنين كما قال[٤] : (الرجز)

* ظَهرَاهما مثلُ ظُهُورِ التُّرْسَين *

---

(١) سورة ص : ٢١/٣٨ .

(٢) سورة التحريم : ٤/٦٦ .

(٣) سورة التحريم : ٤/٦٦ .

(٤) الرجز لخطام المجاشعي في الدرر ١١٦/١ ، ١١٨ ، ١٦٦ ؛ وشرح المفصل ١٥٦/٤ ؛ والكتاب ٤٨/٢ ؛ ولسان العرب (مرت) ؛ وله أو لهميان في الكتاب ٦٢٢/٣ ؛ والتنبيه والإيضاح ١٧٣/١ . وهو بلا نسبة في شرح الأشموني ٤٠٤/٣ ؛ وشرح شافية ابن الحاجب ١٩٤/١ ؛ وهمع الهوامع ٤٠/١ ، ٥١ ؛ والمخصص ٧/٩ .

فكان معنى الشعر مصطلى الأعالي . ونظير هذا : هند فارهة العبد حسنة وجهِه. تريد حسنة وجه العبد . ولو قلت حسنة وجهِها كنتَ قد أضفتَ الشيء إلى نفسه . وسيبويه إنّما ذكر هذا البيت على ضرورة الشاعر والغلط عندي .

ثم قال في « آخر الكتاب ، في ذكر ما جاء كالشاذّ الذي لا يقاس عليه » : وهو سبعة ، منه تغيير وجه الأعراب للقافية تشبيهاً بما يجوز : قال : وممّا يقرب من هذا قوله جَونتا مصطلاهما ، وإنما الكلام المصطَلين ، فردَّه إلى الأصل في المعنى ، لأنّك إذا قلت : مررت برجل حسن الوجه فمعناه حسن وجهه ، فإذا ثنيت قلت مررت برجلين حسنَي الوجه ، فإن رددته إلى أصله قلت برجلين حسن وجوهُهما . فإذا قلت وجوههما لم يكن في حسن ذكرٌ ممّا قبله ، وإذا أتيت بالألف واللام وأضفت الصفة إليها كان في الصفة ذكر الموصوف . فكان حق هذا الشاعر لّما قال مصطلاهما أن يوحِّد الصفة فيقول : جون مصطلاهما . انتهى .

فقد بانَ لك مما نقلنا عنهم ، وهم أرباب النقد في هذا العلم ، أن الرادَّ على سيبويه ليس المبرّد ، لاسيّما أبو عليّ فإنه قال : لا أعرف قائل هذا القول . والشارح المحقق قال هو المبرّد . وفوق كلِّ ذي علم عليم . والله أعلم .

وقد تكلّم على هذا البيت في باب الصفة المشبّهة أيضاً وقال : كلام المبرّد تكلّف، والظاهر مع سيبويه .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الحادي بعد الثلثمائة[1] : (الطويل)

٣٠١- رَحيْبُ قِطَابِ الجَيبِ منها رَقيقَةٌ
بِجَسِّ النَّدامَى بَضَّةُ المُتَجَرَّدِ

على أنّ إضافة « رَحِيب » إلى « قِطَاب » في حكم إضافة جَوْنَتا إلى مصطلاهما، في القبح . قال السيرافيّ : ومما يدخل في هذا النحو قول طرَفَة : «رَحيب قِطابِ الجيب » البيت ، وهذه الإضافة رديئة بمنزلة حسنة وجهِها ، وذلك أنَّ الأصل

(١) البيت لطرفة بن العبد في ديوانه ص٣٠ ؛ وشرح القصائد العشر للتبريزي ص١٢٩ ؛ والمحتسب ١٨٣/١ . وهو بلا نسبة في شرح التصريح ٨٣/٢ .

وهو الإنشاد الصحيح : « رحيبٌ قِطابُ الجيبِ » بتنوين رحيب ، فقطاب يرتفع برحيب وضمير منها يعود إلى الأوّل ، فإذا أضفنا رحيب فقد خلا منه الضمير العائد، فلا معنى لـمنها على ما بيّنا في حسنة الوجه ، وكذلك لا يحسن أن تقول زيد حسن العين منه . انتهى .

وهذا البيت من معلقة طرَفَة بن العَبْد ، وقبله[1] :

نَدَامَايَ بِيضٌ كالنُّجومِ وقَيْنَةٌ ... تَرُوحُ علَينا بينَ بُرْدٍ ومُجْسَدِ

رحيب قطاب الجيب منها . . .. البيت

إذا نحنُ قُلنَا أسمعينا انبرَتْ لَنا ... على رِسْلِها مَطْرُوفةً لم تَشَدَّدِ[2]

إذا رَجَّعَتْ في صَوتِها خِلْتَ صَوتَها ... تَجَاوبَ أظآرٍ على رُبَعٍ رَدِي

وما زالَ تَشْرَابي الخُمُورَ ولَذّتي ... وبَيْعي وإنفَاقي طَريفي ومُتْلَدِي

إلى أنْ تَحامتني العَشيرَةُ كُلُّها ... وأُفْرِدْتُ إفرادَ البَعيرِ المعبَّدِ[3]

رأيتُ بَني غَبْراءَ لا ينكرونَني ... ولا أهْلُ هَذاكَ الطِّرَافِ المُمَدَّدِ[4]

قوله : « نداماي بيضٌ الخ » ، « النَّدامى » : الأصحاب ، يقال : فلانٌ نديمُ فلان إذا شارَبه ، وفلانةُ نديمة فلان . ويقال ذلك أيضاً إذا صاحبه وحدَّثه وإن لم يكونوا على شراب .

قال أبو جعفر[5]: سمِّي النَّديم نديماً لَندامة جذيمةَ الأبرشِ ، حين قَتل مالكاً وعقيلاً

---

(١) الأبيات من معلقته في ديوانه ص٣٠-٣١ ؛ وشرح القصائد العشر للتبريزي ص١٢٧-١٣١ .

(٢) البيت لطرفة بن العبد في تاج العروس (شدد ، سمع ، طرف) ؛ وتهذيب اللغة ٢٦٨/١١ ، ٣١٩/١٣ ؛ وجمهرة اللغة ص٧٥٤ ؛ ولسان العرب (شدد ، طرف) .

(٣) البيت لطرفة في تاج العروس (عبد) ؛ ولسان العرب (عبد) ؛ ومقاييس اللغة ٢٠٦/٤ . وهو بلا نسبة في تهذيب اللغة ٢٣٣/٢ ؛ وكتاب العين ٥٠/٢ .

(٤) البيت لطرفة في تخليص الشواهد ص١٢٥ ؛ وجمهرة اللغة ص٧٥٤ ؛ والجنى الداني ص٣٤٧ ؛ والدرر اللوامع ٣٣٦/١ ؛ ولسان العرب (غبر ، بني) ؛ والمقاصد النحوية ٤١٠/١ . وهو بلا نسبة في الاشتقاق ص٢١٤ ؛ وشرح الأشموني ٦٥/١ ؛ وشرح ابن عقيل ص٧٣ ؛ وهمع الهوامع ٧٦/١ .

(٥) هو أحمد بن عبيد بن ناصح شيخ ابن الأنباري . وانظر في قصة نديمي جذيمة ، شرح المفضليات للأنباري ص٥٣٥ ؛ وشرح اختيارات المفضل ص١١٧٧-١١٧٨ ؛ وشرح القصائد العشر للتبريزي ص١٢٨ ؛ والفاخر ص٥٩-٦٠ ؛ ومجمع الأمثال ١٣٧/٢-١٣٩ . والنقل هنا من شرح القصائد العشر للتبريزي ص١٢٨ .

ابني فارج ، اللذين أتيا[ه] بعمرو ابن أخته ، فسألاه أن يكون في سَمَره ، فوجدَ عليهما فقتلهما وندم ، فسمِّي كل مشارب نديماً . وواحدهم نَدْمَانٌ ونديم ، والمرأة نَدْمانة ونديمة ، ويقال من النّدم نَدمانٌ ونَدْمى .

وقوله : « بيض كالنجوم » ، أي : هم ساداتٌ مشاهيرُ كالنجوم . وقوله : «وقينة» ، معطوف على بيض . و« القَينة » : المغنِّية ، وكلُّ أمَة قَينة ، وإنما قيل لها قينة لأنها تعمل بيديها مع غِنائها . والعرب تقول لكُّل من يصنع بيديه شيئاً قَين . ومعنى تروح علينا تجيئنا عَشيًّاً .

وروى : « تروح إلينا » . و« البُرْد » : ثوبُ وَشْيٍ . و« مُجْسَد » ، هو بضم الميم وسكون الجيم وفتح السين ، قال الأعلم في « شرح المعلّقة » : « المُجْسَد » : المصبوغ بالزعفران المشبَّع . و« الجَساد » ، بالفتح : الزعفران .

وقال ابن السكِّيت في « شرح ديوانه » : المُجْسَد : الثوب الذي يلي الجسد ، وهو الشِّعار .

والمعنى على الأول تأتينا بالعشيّ تارة وعليها بُردٌ ، ومرَّةً وعليها ثوب مصبوغ بالزعفران . والمعنى على الثاني تأتينا وعليها هذان الثوبان .

وقوله : « رحيب قطاب الجَيبِ الخ » روي بإضافة رحيب إلى قطاب وتقدَّم بيان ضعفه ، وروي تنوين رحيب ورفع قطاب وهو الإنشاد الثابت الصحيح ، فيكون رحيب صفة سببيةً لقينة ، فيكون الرحب وصفاً للقينة في اللفظ ووصفاً لقطاب الجيب في المعنى ، لأن المعنى رَحُبَ قِطابُ جيبها ، أي : اتَّسع . وضمير منها للقينة . وقِطاب الجيب ، بالكسر : مجتمعه حيث قُطب ، أي : جمع ، وهو مخرج الرأس من الثوب .

و« الرّحيب » : الواسع ، وإنّما وصَفَ قِطابَ جيبها بالسَّعة لأنَّها كانت توسِّعه ليبدوَ صدرها فينظر إليه ويتلذَّذ به . وليس المعنى أنَّ عنقها واسع فيحتاج إلى أن يكون جَيبها واسعاً – كما توهمه أبو جعفر النحوي والخطيب التّبريزيّ – فإنَّ هذا الوصف ذم .

وقوله : « رفيقة » ، بفاء وقاف من الرفق ، وهو اللين والملاءمة . وروي رَقيقة بقافين من الرقَّة وهو ضدّ الغلظة . و« الجَسُّ » ، بفتح الجيم : اللمس ، أي : لمس أوتار اللهو . أي : استمرت على الجسّ فهي رفيقة به حاذقة . وقيل جسُّ النَّدامى ما

طلبوا من غنائها ، وقيل جسّ النّدامى هو أن يجسُّوا بأيديهم فيلمسوها تلذذاً كما فسّرنا أوّلاً ، كما قال الأعشى[1] : (الطويل)

* لجسِّ النّدامى في يد الدِّرع مَفْتَقُ *

وكانت القينة يُفتَق فتيقٌ[2] في كُمِّها إلى الإبط ، فإذا أراد الرجل أن يلمس منها شيئاً أدخل يده فلمس . و« الدِّرع » : قميص المرأة ، و« يده » : كمّه .

وروى : « لجسِّ النَّدامى » باللام موضع الباء . و« البَضَّة » بفتح الموحدة وتشديد الضاد المعجمة : البيضاء الناعمة البَدَن الرقيقة الجلد . والمتجرَّد ، على صيغة اسم المفعول : ما ستره الثّياب من الجسد . يقول : هي بضَّة الجسم عن التجرُّد من ثيابها والنظر إليها .

وقوله : « إذا نحنُ قُلنا الخ » أسمِعينا أي : غنّينا . و« انبرت » ، اعترضت وأخذت فيما طَلبنا من غنائها . و« رِسْلها » ، بالكسر بمعنى هِينتها ورِفْقها ومَهَلها . و« مَطروفة » ، بالفاء : الفاترة الطَّرْف ، أي : كأنَ عينها طُرفت فهي ساكنة . وقيل إنَّ معناه تُحِدُّ النظرَ بطرفها . وهذا ليس بشيءٍ .

وروي : « مطروقة » بالقاف ، ومعناه مسترخية ليّنة . وهو حال من فاعل انبرت . ولم تَشدَّد ، أصله تتشدَّد بتاءين ، أي : لم تجتهد وإنّما غنّت ما سهُل عليها.

وقوله : « إذا رجَّعت في صوتها » ،« التّرجيع » : ترديد الصوت . و«الأظآر»: جمع ظِئْر وهي التي لها ولد . و« رُبَع » ، بضمِّ الراء وفتح الموحَّدة : ولد الناقة . ورَدِي فعل ماض من الرَّدَى وهو الهلاك .

يقول : إذا طرَّبَتْ في صوتها وردَّدت نغماتِها حَسبتَ صوتَها أصواتَ نُوقٍ تحنُّ لهلاك ولدِها . شبّه صوتَها بصوتهنّ في التحزين .

ويجوز أن يكون الأظآر النساءَ ، والربعُ مستعاراً لِوَلَدِ الإنسان ، فشبّه صوْتَها في

---

(١) صدر بيت للأعشى في ديوانه ص٢٦٩ وتمامه :

* ورادعة بالمسك صفراء عندنا *

والبيت في تاج العروس (ردع) ؛ وتهذيب اللغة ٢/٢٠٦ ؛ وكتاب العين ٢/٣٦ ؛ ولسان العرب (ردع) .

(٢) في شرح القصائد العشر : " ... كان يفتق فتق في كمّها " .

التحزين والترقيق بأصوات النوادب والنّوائح على صبيٍّ هالك . وهذا البيت قلّما يوجد في هذه القصيدة .

وقوله : « وما زال تشرابي الخ » ، « التّشراب » : الشرب ، وهو للتكثير . والطريف والطارف :ما اكتسبه الإنسان من المال . و« المُتْلد » ، بصيغة اسم المفعول، وكذا التالد والتليد : المال القديم الذي ورثه عن آبائه . ومعناه المتولّد والتاء بدل الواو.

وقوله : « إلى أن تحامَتْني الخ » أي : تركتني . و« العشيرة » : أهل بيت الرجل والقبيلة . و« المَعبَّد » ، بزنة اسم المفعول : الأجرب ، وقيل [هو] المهنوء الذي سقط وبره فأُفرِد عن الإبل ، أي : تُركتُ ولذّاتِي .

وقوله : « رأيت بني غبراء » ، « غَبراء » : الأرض ، وبنو غَبراء الفقراء ويدخل فيهم الأضياف . وأهلُ معطوف على الواو في ينكرونَني . و« الطِّراف » ، بالكسر : بناء من أدَم يكون للأغنياء . و« الممدَّد » : المنصوب . يقول : إن هجرني الأقارب وصلَتْني الأباعدُ الفقراء والأغنياء ، فالفقراء لإنعامي عليهم ، والأغنياء لاستطابتهم صحبتي ومنادمتي .

وقد تقدَّم شرح أبيات [من] هذه القصيدة .

وترجمة طرفَة تقدَّمت في الشاهد الثاني والخمسين بعد المائة[1] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثاني بعد الثلثمائة[2] : (الطويل)

٣٠٢- إليْكُمْ ذوِي آلِ النَّبيِّ تَطَلَّعَتْ
نَوَازِعُ مِنْ قَلبي ظِمَاءٌ وألُبُبُ

على أنَّ إضافة «ذوي آل النبي» من إضافة المسمَّى إلى الاسم ، أي : يا أصحاب

(١) ترجمة طرفة في الخزانة في الجزء الثاني ص٣٧٠ .

(٢) البيت للكميت بن زيد الأسدي من هاشمياته ص٥١ ؛ والخصائص ٢٧/٣ ؛ وشرح المفصل ١٢/٣ ؛ ولسان العرب (ظمأ ، لبب ، نسا ، ذو ، ذا) ؛ والمحتسب ٣٤٧/١ ؛ والمقاصد النحوية ١١٢/٣ . وهو بلا نسبة في تخليص الشواهد ص١٣٦ ؛ وشرح عمدة الحافظ ص٥٠٦ .

هذا الاسم . أراد بهذا الردَّ على من زعم أنّ ذا في مثله ، وكذا في الأبيات الآتية زائد.

وهذا كلُّه ملخَّص من كلام ابن جنّي في « الخصائص وغيره » وإن كان موجوداً في « المفصَّل وشروحه » .

وجوّز أبو عليٍّ في « الإيضاح الشعريّ » أن يكون ذو زائداً ، وأن يكون على جعل الاسم المسمّى على الاتساع ، لمصاحبته له وكثرة الملابسة .

قال ابن جنّي في « المحتسب »[1] عند قراءة ابن مسعود من سورة يوسف[2] «وفوقَ كلِّ ذِي عَالِمٍ عَليمٌ » : تحتمل هذه القراءة ثلاثة أوجه :

أحدها : أن تكون من باب إضافة المسمّى إلى الاسم ، أي : فوق كل شخص يسمى عالماً أو يقال له عليم[3] . وقد كثر عنهم إضافة المسمّى إلى اسمه ، منه قول الكميت :

إليكم ذَوي آل النّبيِّ تَطَلّعَتْ نَوازعُ من نفسي ظماءٌ وأَلْبُبُ

أي : إليكم يا آل النبيّ ، أي : يا أصحاب هذا الاسم الذي هو آل النبي . وعليه قول الأعشى[4] : (البسيط)

فكذّبوها بِمَا قالت فصبَّحَهُم ذُو آلِ حَسَّانَ يُزْجِي المَوتَ والشِّرَعا

أي : صبَّحهم الجيشُ الذي يقال له آل حسّان . وَهو بابٌ واسع قد تقصّيناه في « كتاب الخصائص » .

والوجه الثاني : أن يكون عالم مصدراً كالفالج والباطل .

والثالث : أن يكون على مذهب من يعتقد زيادة ذي . انتهى مختصراً .

وقد ذكر ابن جنّي هذه الإضافة في أكثر كتبه ، قال في « إعراب الحماسة » عند

(١) المحتسب ١/٣٤٦-٣٤٨ .

(٢) سورة يوسف : ١٢/٧٦ .

(٣) في المحتسب : " يسمى عالماً عليم " .

(٤) البيت للأعشى ميمون في ديوانه ص١٥٣ ؛ وتاج العروس (أول) ؛ والخصائص ٣/٢٧ ؛ وشرح المفصل ٣/١٣؛ والمحتسب ١/٣٤٧ .

قول طُفَيل الغَنويّ[1] : (الطويل)

ومـا أنـا بالـمستَنْكِرِ البَيـنَ إنّنـي بذِي لَطَفِ الجيـرانِ قِدْماً مُفَجَّـعُ

هذا من باب إضافة المسمَّى إلى اسمه ، أي : إنّني بالشيء المسمّى بلطَف الجيران .
ومثله بيت الشماخ[2] : (الوافر)

* وأدرجَ دَرْجَ ذِي شَطَنٍ *

أي : دَرْج الشيء المسمَّى ذا شَطَن أو بشَطَن .

ومثله بيت الكميت :

* إليكم ذوي آل النبي .. البيت *

أي : يا أصحاب هذا الاسم ، وأصحابه هم آل النبيّ صلّى اللّه عليه وسلم فكأنه قال : إليكم يا آل النّبي ، وأمثاله كثيرة جداً قد ذكرناها في غير موضع . ومـن ذهـب إلى زيادة ذي وذات في هـذا الموضـع ذهـب إلى زيادتهـا في بيـت طُفَيـل هـذا أيضـاً ، ومعناه في التأويلين جميعاً أنّي بلَطَفِ الجيرانِ ، أي : بوصلهم مفجَّع .

وقال أيضاً في « أواخر إعراب الحماسة » عند قول الشاعر[3] : (الطويل)

فلما رآني أُبصِرُ الشَّخْصَ أَشْخُصاً قريبـاً وذا الشَّـخْصِ البَعيـدَ أُقَارِبُـه

قريباً إن شئت ظرف ، أي : من قريب ، وإن شئت حال ، أي : أُبصِره مقارباً أشخُصاً ، معناه أبصره وأنا قريب منه أشخصاً .

وقولـه : « وذا الشّـخص البعيـدَ » مـن بـاب إضافـة المسـمَّى إلى اسمـه ، كقـول الشماخ .. ، وقول الأعشى .. ، وقول الكميت.. ، وأنشد الأبيات الثلاثة ، ثم قال:

---

(١) البيت من مقطوعة له في شرح الحماسة للتبريزي ١٤٦/١ .

(٢) قطعة من بيت للشماخ في ديوانه ص٢٣٣ ؛ وتمامه :

أطـار عقيقـه عنـه نسـالا وأدمـج دمـج ذي شطن بديع

والبيت في ديوان الشماخ ص٢٣٣ ؛ وتاج العروس (بدع ، عقق) ؛ وتهذيب اللغة ٥٦/١ ، ٢٤١/٢ ؛ ولسان العرب (بدع ، عقق) .

(٣) البيت لفُرعان بن الأعرف في شرح الحماسة للأعلم ١٠٢٦/٢ ؛ وشرح الحماسة للتبريزي ١٠/٤ ؛ ونوادر المخطوطات ٣٦١/٢ . والقطعة قالها فرعان في ابنه منازل .

ومعنى أقاربه ، أي : أظنّه قريباً . ولو جرَّ البعيد هنا لم يجز ، لأنَّ الشخص في هذا البيت اسمٌ لا مسمًّى . ولو قلت سمَّيته بزيد الظريف على هذا لم يجز ، لأنّ الظرف لا توصف به الأسماء .

ثم قال : وقد دعَا خَفاءُ هذا الموضِع أقواماً[١] إلى أن ذهبوا إلى زيادة ذي وذا في هذه المواضع ، وإنّما ذلك بعدٌ عن إدراك هذا الموضع . انتهى .

وزاد في « الخصائص » على ما ذكرناه أنَّ أبا علي حدّثه أنَّ أحمد بن إبراهيم أستاذَ ثعلب روى عنهم:هذا ذو زيد ، أي : هذا صاحب هذا الاسم الذي هو زيد.

وقد عقد لهذا باباً في « الخصائص » وهو باب إضافة الاسم إلى المسمَّى والمسمَّى إلى الاسم[٢] ، وأطال الكلام فيه وأطاب ، وقال : هذا موضع كان يعتاده أبو علي ويألفه ، ويرتاح لاستعماله[٣] ، وهو فصلٌ من العربيّة غريب ، وقلّ من يعتاده أو ينظر فيه ، وقد ذكرته لتراه فتتنبَّه على ما هو في معناه إن شاء اللّه تعالى .

ثم قال : وفيه دليل يدلّ على فساد قول من ذهب إلى أنّ الاسم هو المسمَّى ، ولو كان إيَّاه لم تجز إضافة واحدٍ منهما إلى صاحبه ، لأنَّ الشيء لا يضاف إلى نفسه. قيل لأنّ الغرض من الإضافة إنّما هو التعريف والتخصيص والشيء إنّما يعرّفه غيره ؛ لأنّه لو كانت نفسه تعرّفه لما احتاج أبداً إلى أن يعرَّف بغيره ، لأنّ نفسه في حالي تعريفه وتنكيره واحدة ، وموجودة غير مفتقَدة .

ولو كانت نفسه هي المعرِّفة له أيضاً لما احتاج إلى إضافته إليها ، لأنّه ليس فيها إلا ما فيه ، فكان يلزم الاكتفاء به عن إضافته إليها ؛ فلهذا لم يأت عنهم نحو هذا غلامه[٤] ، ومررت بصاحبه ، والمظهر هو المضمر المضاف إليه[٥] ، هذا مع فساده في

(١) في حاشية طبعة هارون ٤/٣١٠ : " لم يرد هذا النص الأخير في إعراب الحماسة نسخة مكتبة أحمد الثالث ٢٠٢ ، لكني وجدته في الخصائص ٣: ٢٩ . وفي النسختين : وقد ادّعى خفاء هذا الموضع أقوام " . وهو تصحيف.

(٢) الخصائص ٣/٢٤ .

(٣) في حاشية طبعة هارون ٤/٣١٠ : " الكلام بعده إلى آخر الفقرة ليس موضعه هنا ، بل موضعه في آخر الباب، فقدمه البغدادي عن موضعه ".

(٤) في طبعة بولاق والنسخة الشنقيطية : " غلمانه " . وهو تصحيف صوابه من الخصائص .

(٥) في طبعة بولاق والنسخة الشنقيطية : " والمظهر والمضمر المضاف إليه ". وهو تصحيف صوابه من الخصائص .

المعنى ، لأنّ الإنسانَ لا يكون أخا نفسه ولا صاحبها .

فإن قلت : فقد تقول مررت بزيدٍ نفسه وهذا نفس الحقِّ ، يعني أنّه هو الحقُّ لا غيره . قيل : ليس الثاني هو ما أضيف إليه من المظهر ، وإنّما النفس هنا بمعنى خالص الشيء وحقيقته ، والعرب تُحلُّ نفسَ الشيء من الشيء محلَّ البعض من الكلّ ، ولهذا حكوا عن أنفسهم مراجعتهم إيَّاها وخطابَها لهم ، وأكثروا من ذكر التردّد بينها وبينهم .

ألا ترى إلى قوله[1] : (البسيط)

أقُولُ للنّفسِ تَأساءً وتَعزيةً ... إحدى يَدَيَّ أصابَتني ولمْ تُرِدِ

وقوله[2] : (الرجز)

قالتْ له النّفسُ تقدَّمْ راشدَا ... إنّك لا تَرْجِعُ إلاّ حَامدَا

وأمثال هذا كثير جداً ، وجميع هذا يدلّ على أنَّ نفس الشيء عندهم غير الشيء.

فإن قلت : فقد تقول هذا أخو غلامه ، وهذه جاريةُ بنتها ، فتعرّف الأول بما أُضيفَ إلى ضميره ، والذي أضيف إلى ضميره إنّما تعرّف بذلك الضمير ، ونفس المضاف الأول متعرِّف بالمضاف إلى ضميره ، وقد ترى على هذا أنّ التعريف الذي استقرّ في جارية من قولك هذه جارية بنتها ، إنّما أتاها من قبَل ضميرها ، وضميرُها هو هي ، فقد آل الأمر إذاً إلى أنّ الشيء قد يعرِّف نفسه ، وهذا خلاف ما ركبتَه وأعطيتَ يدك به .

قيل : كيف تصرَّفت الحالُ فالجارية إنّما تعرّفت بالبنت ، التي هي غيرها ، وهذا شرط التعريف من جهة الإضافة ، فأما ذلك المضاف إليه ، أمضاف هو أم غير مضاف فغير قادح .

---

(١) البيت لأعرابي قتل أخوه ابناً له ، فقدم إليه ليقتاد منه ، فألقى السيف من يده ، وأنشأ يقول . والبيت في شرح الحماسة للأعلم ٦٥٥/١ ؛ وشرح الحماسة للتبريزي ١١٠/١ ؛ والحماسة برواية الجواليقي ص٦٥ .
والتأساء والتأسي : التعزية وهي من الأسوة . وضرب اليد مثلاً لأن الإنسان يعتز بأخيه ويمتنع به كما يبطش بيده ويدفع بها .

(٢) الرجز لأبي النجم العجلي في أساس البلاغة (قول) ؛ وتاج العروس (قول) ؛ ولسان العرب (قول) .

والتعريف الذي أفاده ضمير الأول لم يعرِّف الأول ، وإنما عرّف ما عرّف الأوّل، والذي عرَّف الأوّل غيرُ الأول ، فقد استمرت الصفة وسقطت المعارضة .

ويؤكّد ذلك أيضاً أنَّ الإضافة في الكلام على ضربين :

أحدهما : ضمّ الاسم إلى اسمٍ هو غيره بمعنى اللام ، نحو غلام زيد . والآخر : ضمُّ اسم إلى اسم هو بعضه بمعنى من ، نحو هذا ثوبُ خزّ . وكلاهما ليس الثاني فيه بالأوّل . واستمرار هذا عندهم يدلُّ على أن المضاف ليس بالمضاف إليه البتة . انتهى.

وقول الكميت : « ذوي آلِ النبي » هو منادى حذف منه حرف النداء ، أي : يا أصحاب هذا الاسم .وفيه من التفخيم ما ليس في قولك ياآل النبي ؛ لأنه قد جعلهم أصحاب هذا الاسم ، ومن كان صاحب هذا الاسم فهو ممدوح . و«تطَلَّعَتْ» أي : تشوَّفت ، وبه يتعلّق قوله إليكم . وقدَّمه للحصر ، أي : أنا مشتاق إليكم لا إلى غيركم . و« نوازِع » : جمع نازعة ، مِن نزعت النفسُ إلى الشيء ، أي: اشتاقت إليه؛ ومثله نازَعتْ نُزوعاً ونِزاعاً بالكسر . وهذا كقولهم : جُنَّ جنونه .

و«الظِّماء» : العِطاش ، يقال : ظمئ ظمَأً بالهمز ، كعطش عطشاً وزناً ومعنى ، فهو ظمآن وهي ظمأى ، مثل عطشان وعطشى ، والجمع ظِمَاء كسهام . ووصف النوازع بالظماء للمبالغة في قوّتها وشدّتها . و« ألبُبُ » : جمع لُبّ بضمّ ، وهو العقل، وهو شاذّ والقياس أَلُبٌّ بالإدغام ، وهو معطوف على نوازع .

وهذا البيت من قصيدة طويلة للكميت بن زيد – وقد تقدّمت ترجمته في الشاهد السادس عشر من أوائل الكتاب[1] – مدح بها آل بيت النبي صلّى اللّه عليه وسلم ، وهي إحدى القصائد الهاشميّات ، وهي من جيِّد شعره .

وقد استشهد النّحاة بأبيات من هذه القصيدة ، وهذا مطلعها مع جملة أبيات منها[2]: (الطويل)

طَرِبتُ وما شَوقاً إلى البِيضِ أطْربُ ولا لَعِباً منّي وذو الشَّيبِ يلعَبُ[3]

(١) الخزانة الجزء الأول ص١٥٣ .

(٢) هي الهاشمية الثانية في هاشميات الكميت ص٤٣-٩٩ ؛ والأبيات في الأغاني ١٧/٢٦-٢٨ .

(٣) هو الإنشاد السابع في شرح أبيات المغني للبغدادي .

ولَـمْ تُلهِـنـي دارٌ ولا رَسـمُ منْـزِلِ ولَـمْ يتَطـرَّبْنِي بنَـانٌ مخضَّـبُ[(١)]
ولا أنـا ممَّن يزجـرُ الطَّيْـرَ هَمُّـهُ أصاحَ غـرابٌ أمْ تعـرَّضَ ثعلـبُ
ولا السَّـانحـاتُ البارحَاتُ عشـيَّةً أَمَـرَّ سَليمُ القَرْنِ أم مَـرَّ أعْضَبُ
ولكنْ إلى أهْلِ الفَضـائِلِ والنُّهَـى وخَيـرِ بـني حَوَّاءَ والخيرُ يُطلـبُ
إلى النَّفـرِ البِيْضِ الـذيـنَ بحُبِّهِـمْ إلى اللَّـهِ فيمـا نـابَنِـي أتـقَـرَّبُ
بني هـاشِـمٍ رَهْطِ النَّبـيِّ وإنَّنـي بهِمْ ولهمْ أرضَـى مـراراً وأغْضَـبُ
خفضتُ لهم منِّي جَنَـاحَ مودَّتـي إلى كنـفٍ عِطْفَـاهُ أهـلٌ ومَـرحَـبُ
بـأيِّ كتـابٍ أم بـأيَّـةِ سُـنَّـةٍ تَرَى حُبَّهمْ عـاراً عليَّ وتَحسِـبُ
ومـاليَ إلاَّ آلَ أحمَـدَ شِـيْعـةٌ ومالِيَ إلاَّ مَشْعبَ الحقِّ مَشعبُ[(٢)]
ومَنْ غيرَهُمْ أرضَى لنفـسيَ شيعةً ومَنْ بعدَهُمْ لا مَنْ أجلُّ وأرحَـبُ
إليكـمْ ذوي آلِ النَّبـيِّ تَطلَّعَـتْ نَـوازِعُ من قلبـي ظِمَـاءٌ وألبُـبُ
وَجدنـا لكمْ في آلِ حاميْـمَ آيـةً تـأوَّلـهـا منَّـا تَقِـيٌّ ومُعـرِبُ
فإنِّي علـى الأمرِ الـذي تكرهُـونَـهُ بقولي وفِعلي ما استطعْتُ لأجْنَبُ
يُشيـرونَ بالأيـدي إليَّ وقولُهُـمْ ألا خَابَ هذا والمشيـرونَ خُيَّـبُ
فطـائِفَـةٌ قَدْ أكفـرتْنِي بـحبِّهِـمْ وطائفـةٌ قالوا : مُسيءٌ ومُذْنِـبُ
يَعيبُـونَني مِـنْ غَـيِّهِـمْ وضَـلالهِـمْ على حبِّكمْ بَلْ يَسخرونَ وأعْجَبُ
وقـالُـوا ترابـيٌّ هَـواه ودينُـهُ بذلك أُدعَى فيهِـمُ وأُلقَّـبُ[(٣)]

= البيت للكميت في جواهر الأدب ص٣٩ ؛ والدرر ٨١/٣ ؛ وشرح شواهد المغني ص٣٤ ؛ وشرح أبيات المغني ٢٩/١ ؛ والمحتسب ٥٠/١ ، ٢٠٥/٢ ؛ ومغني اللبيب ص١٤ ؛ والمقاصد النحوية ١١٢/٣ . وهو بلا نسبة في الدرر ١١٢/٥ ؛ وهمع الهوامع ٦٩/٢ .

(١) البيت للكميت في أساس البلاغة (طرب) ؛ وتاج العروس (طرب) ؛ ولسان العرب (طرب) .

(٢) البيت للكميت في الإنصاف ص٢٧٥ ؛ وتخليص الشواهد ص٨٢ ؛ والدرر ١٦١/٣ ؛ وشرح أبيات سيبويه ١٣٥/٢ ؛ وشرح التصريح ٣٥٥/١ ؛ وشرح شذور الذهب ص٣٤١ ؛ وشرح قطر الندى ص٢٤٦ ؛ ولسان العرب (شعب) ؛ واللمع في العربية ص١٥٢ ؛ والمقاصد النحوية ١١١/٣ . وهو بلا نسبة في أوضح المسالك ٢٦٦/٢ ؛ وشرح الأشموني ٢٣٠/١ ؛ وشرح ابن عقيل ص٣٠٨ ؛ ومجالس ثعلب ص٦٢ ؛ والمقتضب ٣٩٨/٤ .

(٣) في طبعة بولاق : " وقالوا ترالي " . وهو تصحيف صوابه من الهاشميات ومن النسخة الشنقيطية .

فلا زلتُ فيهمْ حيثُ يتَّهمونَني ولا زلتُ في أشياعِهِمْ أتقلَّبُ
أَلَمْ تَرنِي في حبِّ آلِ محمَّدٍ أروحُ وأغْدو خائفاً أترقَّبُ
كأنِّيَ جانٍ مُحدِثٌ وكأنَّما بهم يتَّقِي من خشيَة العَرِّ أجرَبُ
على أيِّ جُرْمٍ أم بأيَّةِ سِيرةٍ أُعنَّفُ في تقريظِهِمْ وأُؤنَّبُ
أناسٌ بهم عَزَّتْ قريشٌ فأصبحُوا وفيهمْ خِبَاءُ المَكرُماتِ المطنَّبُ(١)

روى الأصبَهانيُّ في « الأغاني »(٢) بسنده إلى محمد بن علي النوفلي عن أبيه أنه قال: الكميت بن زيد الشاعر كان أوّلَ ما قال القصائدُ الهاشميَّات [فسترها](٣) ، ثم أتى الفرزدَقَ بنَ غالب فقال له : يا أبا فِراس ، إنّكَ شيخُ مُضَر وشاعرُها ، وأنا ابن أخيك الكميتُ بن زيد الأسديّ . قال له : صدقت ، أنت ابنُ أخي فما حاجتك ؟ قال : نُفِث(٤) على لساني فقلتُ شعراً ، فأحببتُ أن أعرضَه عليك ، فإن كان حسناً أمرتَني بإذاعته ، وإن كان قبيحاً أمرتَني بستره ، وكنتَ أَولى من ستره عليَّ . فقال له الفرزدق : أمَّا عقلُك فحسنٌ ، وإنِّي لأرجو أن يكون شعرك على قدر عقلك ، فأنشِدْني ما قلت .

فأنشده :

* طربتُ وما شوقاً إلى البيض أطرب *

قال : فقال لي : فيما تطربُ يا ابن أخي(٥) ؟ فقال :

* ولا لعباً منِّي وذو الشيب يلعبُ *

قال : بلى يا ابن أخي ، فالعَبْ فإنّك في أوان اللعب . فقال :

ولَمْ يُلهِنِي دارٌ ولا رسمُ منزلٍ (البيت)

---

(١) في طبعة بولاق : " وفيهم حباء " . وهو تصحيف صوابه من الهاشميات ومن النسخة الشنقيطية .

(٢) الأغاني ٢٨/١٧ ؛ وشرح أبيات المغني للبغدادي ٣١/١ وما بعدها .

(٣) في الأغاني : " فسترها " . أي : ستر أمرها . وهو الصواب . وفي جميع أصول الخزانة : " فسيرها " . ولا يستقيم المعنى بها .

(٤) نفث على لساني : أوحي إلي بالشعر .

(٥) في شرح أبيات المغني : " فإلى أي شيء طربت ؟" . وفي النسخة الشنقيطية : " فيما تطرب يا ابن أخي " .

قال : فما يطربك يا ابن أخي ؟ فقال :

ولا السَّانحاتُ البارحاتُ عشيَّة (البيت)

فقال : أجل ، لا تتطيَّرْ . فقال :

ولكنْ إلى أهل الفضائل والنُّهى (البيت)

فقال : ومن هؤلاء ويحك ؟ فقال :

إلى النّفر البيضِ الذين بحبِّهم (البيت)

فقال : أرحْني ويحك ، مَنْ هؤلاء ؟ فقال :

بني هاشم رهطِ النَّبيِّ فإنَّني (البيت)

فقال له الفرزدق : أذِعْ أذِعْ يا ابن أخي ، أنتَ واللّهِ أشعرُ منْ مَضى وأشعرُ مَن بَقي .

وعن عِكْرِمة الضَّبِّي عن أبيه قال : أدركت الناس بالكوفة ، من لم يَرو :

* طربت وما شوقاً إلى البيض أطرَبُ *

فليس بشيعِيٍّ . ومن لَم يَرْوِ[1] :

* ذكـرَ القلـبُ إلفَـهُ المهجـورَا *

فليس بأمويّ . ومن لم يَرْوِ[2] :

* هـلاَّ عَرَفـت منازلاً بالأبـرق *

فليس بمهلبيّ .

قوله: « طربتُ وما شوقاً الخ »، استشهد به أبو حيَّان على تقديم المفعول له على عامله،ردًّا على من منع ذلك،فإنّ شوقاً مفعول له مقدَّم على عامله وهو أطرب . واستشهد به ابن هشام أيضاً في « المغني » على أنَّ همزة الاستفهام لكونها أصلاً جاز

---

(١) في الأغاني ١٧/٢١ :

ذكـر القلـب إلفـه المذكـورا وتـلافـى من الشـباب أخيـرا

(٢) الذي في الأغاني ١٦/٢١١ : " هلا سألت منازلاً بالأبرق " . ولم يأت بالعجز .

حذفها سواء كانت مع أم أو لا ، فإنّه أراد : أوَ ذو الشيب يلعب ؟ والاستفهام إنكاريّ .

وقال شارح السبع الهاشميّات : ذو الشيب خبر وليس باستفهام ، والمعنى لم أطرب شوقاً إلى البيض ، ولا طربت لعباً منّي وأنا ذو الشيب ، وقد يلعب ذو الشيب ويطرب وإنْ كان قبيحاً به ، ولكنّ طرَبي إلى أهل الفضائل والنُّهى .

وقوله : « ولم يتطرّبْني الخ » ، استشهد به الجوهريّ على أنّه يقال : أطربه غيره وتطرّبه ، بمعنى أوجد فيه الطرب .

وقوله : « ولا أنا ممّن يزجر الطيرَ الخ » ، همُّه فاعل يزجر والطير مفعوله . قال ابن الأثير في « النهاية » : الزجر للطير هو التّيمن والتشاؤم بها والتفاؤل بطيرانها ، كالسانح والبارح ، وهو نوع من الكِهانة والعِيافة . انتهى .

وقال ابن رشيق في « العمدة[1] » : الغراب أعظم ما يتطيّرون به ، ويتشاءمون بالثور الأعضب وهو المكسور القرن . والسانح ما ولاّك مَيامنه ، والبارح ما ولاّك مياسره ، وأهل نجد تتيمّن بالأوّل وتتشاءم بالثاني ، وأهل العالية على عكس هذا . وأنشد البيتين .

وفي السانحات جوَّز الأخفشُ النصبَ للعطف على الطير .

وقوله : « ترى حبَّهمْ عاراً الخ » استشهد به ابن هشام في « شرح الألفيّة » على جواز حذف مفعولي باب ظنّ للدّليل .

وقوله : « ومالي إلاّ آلَ أحمدَ الخ » استشهد به النّحاة ، منهم صاحب الجُمَل[2] على تقديم المستثنى على المستثنى منه . و« المَشْعَب » : الطريق ، يقول : مالي مذهب إلاّ طريق الحقّ الذي هو حبُّ آل النبيّ وتفضيلهم صلّى اللّه عليه وسلم .

وقوله : « وجدنا لكم » الخ آل حم اسم للسُّوَر السبع التي أولها حم ، ويقال لها أيضاً الحواميم ، وأراد الآية التي في حمعسق[3] : « قُلْ لا أسئَلُكُمْ عليهِ أجراً إلاّ المودَّةَ

(١) العمدة في محاسن الشعر ٢/٢٦٢ باب من الزجر والعيافة وذكر البيت للكميت .

(٢) في حاشية طبعة هارون ٤/٣١٧ : " انظر أيضاً مجالس ثعلب ٦٠ والإنصاف ٢٧٥ وابن يعيش ٢: ٧٩ والشذور ٣٦٣ والعيني ٣: ١١١ والتصريح ١: ٣٥٥ والأشموني ٢: ١٤٩ " .

(٣) سورة الشورى : ٤٢/٢٢ .

في القُربَى » يقول : من تأوّل هذه الآية لم يسعه إلاّ التشيُّع في آل النبيّ صلّى اللّه عليه وسلّم ، وإبداءُ المودَّة لهم على تَقِيَّةٍ كانت أو غير تَقِيَّة .

وقوله : « تقيٌّ ومُعْرِبُ » ، قال الجوهريّ : أعرب بحجّته إذا أفصح بها و لم يتّق أحداً . وأنشد هذا البيتَ ، ثم قال : يعني المفصِحَ بالتّفضيل والساكتَ عنه للتّقيّة . وهذا البيت من شواهد سيبويه[1] ، أورده شاهداً لترك صرف حاميم لكونه وافق بناءَ ما لا ينصرف من الأعجميَّة نحو قابيلَ وهابيل .

قال الأعلم : جعل حاميم اسماً للكلمة، ثم أضاف السوَر إليها كإضافة النسب إلى قرابة ، كما تقولى آل فلان .

وقوله :

* ألم ترني في حبِّ آلِ محمدٍ * الخ

قال السيوطيّ في « شرح أبيات المغني[2] » : أخرج ابن عساكر عن محمد بن سهل قال : قال الكميت : رأيت رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم في المنام وأنا مختفٍ فقال لي :ممَّ خوفُك ؟ فقلت : يا رسول اللّه ، من بني أميَّة .

ثم أنشدته :

* ألم ترني من حبِّ آلِ محمدٍ (البيت)

فقال لي صلّى اللّه عليه وسلّم : « اظْهَرْ فقد أمَّنك اللّهُ في الدّنيا والآخرة » .

وفي الأغاني للأصبَهانيّ بسنده إلى إبراهيم بن سعيد الأسديّ[3] عن أبيه قال : رأيت النّبيّ صلّى اللّه عليه وسلّم في المنام فقال لي : من أيِّ الناس أنت ؟ قلت : من العرب . قال : من أيّ العرب ؟ قلتُ : مِن بني أسد . قال : من أسد بن خزيمة ؟ قلت : نعم . قال : أهِلاليٌّ أنت ؟ قلت : نعم . قال : أتعرف الكميت بنَ زيد ؟ قلت: يا رسولَ اللّه ، عمِّي ومن قبيلتي . قال : أتحفظ من شعره شيئاً ؟ قلت : نعم ، قال : أنشدني :

---

(١) سيبويه الكتاب ٢/٣٠ ؛ واللسان (حمم) .

(٢) شرح شواهد المغني ص١٤ .

(٣) الأغاني ١٧/٢٦ . وفيه : " إبراهيم بن سعد الأسدي " بدل سعيد .

* طربتُ وما شوقاً إلى البيض أطرَبُ *

قال :

فأنشدته حتى بلغت إلى قوله :

فما ليَ إلاَّ آل أحمدَ شِيعَةٌ (البيت)

فقال لي : « إذَا أصبحت فاقرأُ عليه السَّلامَ وقل له : قد غَفَر اللَّهُ لكَ بهذه القصيدة » .

وروى أيضاً بسنده إلى دِعبل بن عليٍّ الخُزاعيّ قال[1] : « رأيت النَّبيّ صلَّى اللَّهُ عليه وسلم في النوم فقال لي : مالك وللكميت بن زيد ؟ فقلت : يا رسول اللَّهِ ، ما بيني وبينه إلاَّ كما بين الشعراء . فقال لي : لا تفعل ، أليس هو القائل :

فَلا زِلْتُ فيهم حَيثُ يَتّهمُونَني ولا زِلْتُ في أشياعهم أَتقلَّبُ

فإنّ اللَّه قد غَفَر له بهذا البيت . فانتهيت عن الكميت بعدها ».

وروى أيضاً بسنده إلى نصر بن مُزَاحم المِنْقَرِيّ[2] أنه رأى النَّبيَّ صلَّى اللَّه عليه وسلَّم في النوم وبين يديه رجلٌ ينشده[3] : (الخفيف)

* مَنْ لقَلبٍ مُتَيَّمٍ مستهامِ *

قال : فسألت عنه فقيل لي : هذا الكميت بن زيد الأسديّ . قال : فجعل النَّبيّ صلَّى اللَّه عليه وسلَّم يقول : « جزاك اللَّه خيراً » . وأثنى عليه[4] .

* * *

(١) الأغاني ٢٦/١٧ .

(٢) هو صاحب كتاب " وقعة صفين " . ولقد طبع الكتاب عدة مرات بتحقيق المرحوم عبد السلام هارون . والرواية عن الأغاني ٢٧/١٧ .

(٣) مطلع الهاشمية الأولى للكميت في الهاشميات ص١١ . وعجزه :

* غير ما صبوة ولا أحلام *

وفي طبعة بولاق والنسخة الشنقيطية : " مشتاق " . وهو تصحيف صوابه من الهاشميات .

(٤) انتهى النقل من الأغاني ٢٧/١٧ .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثالث بعد الثلثمائة[1] : (الوافر)

٣٠٣- ألا قَبَّحَ الإلَـهُ بَنِي زِيادٍ
وَحَيَّ أبيهِمُ قَبْحَ الحِمَارِ

علي أنّ لفظ « حيّ » من حيّ زيدٍ يستعمل في التأكيد ، بمعنى ذاته وعينه وإنْ كان ميتاً ، بعد أن كان بمعنى ضدّ الميّت ، كما شرحه الشارح .

وكأنه فهم أنّ ما بعد حيًّ في البيتين ميّت فبنى كلامه هذا عليه ، وإلاّ فلم يقل به أحدٌ بل صرّح ابن السكّيت في « كتاب المذكّر والمؤنّث » بأن مثل هذا لا يقال إلاّ والمضاف إليه حيٌّ موجود غير معدوم ، وأنشد هذين البيتين بعينهما وجعل لفظ حيٌّ مما يقع على المُذكّر والمؤنّث ، لكن إذا كان المضاف إليه مؤنّثاً فلابدَّ من تأنيث فعله . قال : رأيت العرب قد أفردت مما يقع على المذكر والمؤنث شيئاً لا يكادون يذكرون فعله ، ولفظه لفظ المذكر .

من ذلك قولك : أتيتك وحيٌّ فلانةَ شاهدة ، وحيُّك وحيٌّ زيد قائم . ولم أسمع وحي فلانة شاهدٌ – أي : بتذكير شاهد – وذلك أنهم إنّما قصدوا بالخبر عن فلانة إذا كانت حيّة غير ميتة . انتهى .

ومثله لابن جنّي في « المحتسب » عند إنشاده هذا البيت قال : أي وقبَحَ أباهم الحيّ الذي يقال له أبوهم .

ومنه قول الآخر[2] : (البسيط)

* وحيَّ بكرٍ طعنّا طعنةً بَحرا *

أي : الإنسان الحيّ الذي يسمَّى بقولهم بكر .

وقال في « الخصائص » ، أي : والشخص المسمَّى بكراً طعنا . فحيّ هاهنا مذكر حيّة ، أي : وشخص بكر الحيّ طعنا .

---

(١) البيت ليزيد بن مفرغ في ديوانه ص١٤٣ ؛ وأساس البلاغة (حقق) ؛ وذيل الأمالي ص٥٤ ؛ ومحاضرات الأدباء ٥٤٠/٤ . وهو بلا نسبة في تاج العروس (حيا) ؛ والخصائص ٢٨/٣ ؛ وشرح عمدة الحافظ ص٥٥٠ ؛ وشرح المفصل ١٥/٣ ؛ ولسان العرب (حيا) ؛ والمحتسب ٣٤٧/١ .

(٢) في الخصائص : " طعنة فجرى " . وفي بعض نسخها : " بجرا " . كما هنا .

ومثله قول الآخر[1] : (الكامل)

* يا قُرَّ إنَّ أباكَ حَيَّ خُويلدٍ . . . . . . البيت *

أي : إنّ أباك الشخصَ الحيَّ خويلداً .

وكذلك قول الآخر :

* ألا قَبَحَ الإلَه بني زياد . . . . البيت *

أي : أباهم الشخصَ الحيّ . وقال : وليس الحيّ هنا هو الذي يراد به القبيلة ، كقولك حيّ تميم وقبيلة بكر ، إنّما هو كقولك : هذا رجلٌ حيٌّ وامرأة حيّة .

وجعل ابني جنّي هذه الإضافةَ من إضافة المسمَّى إلى اسمه ، وبيَّنها كما رأيت . وخالفه الشارح المحقّق فجعلها من إضافة العامّ إلى الخاصّ .

ومَن حكم بزيادة حيٍّ « كصاحب اللبّ » جعل الإضافة من قبيل إضافة الملغَى إلى المعتبر ، كما قال ابن عقيل في « شرح التسهيل » .

وممّن ارتضى الزيادةَ الزمخشريُّ في « المفصَّل » فإنه قال : قالوا : إنَّ الاسم مقحمٌ دخولُه وخروجه سواء ، وقد حُكِي عنهم حيٌّ فلانة شاهدٌ ، بدون تأنيث الخبر . وتقدَّم طعنُ ابن السكيت فيه ، لكن يَرِدُ عليه ما أنشده أبو علي في « الإيضاح الشعريّ » من قول الشاعر :

* لو أنَّ حيّ الغَانياتِ وَحْشا *

ومن العجب قول شارحه المظفّري : لفظ حيّ زائد ومعناه الشخص ، فكأنك قلت : هذا الشخص زيد ، فكما أنَّ لفظ شخص زائد فكذلك لفظ حيّ . وقوله بعد هذا : قيل ولا يضاف لفظ حيّ إلاّ بعد موت المضاف إليه ، صوابه إلاّ قبل موت المضاف إليه .

---

(١) صدر بيت لجبار بن سلمى ، وعجزه :

* قد كنتُ خائِفَهُ على الأحماق *

والبيت لجبار في ذيل سمط اللآلئ ص٥٤ ؛ ونوادر أبي زيد ص١٦١ . وهو بلا نسبة في أمالي ابن الحاجب ٤٤٣/١؛ والخصائص ٢٨/٣ ؛ وشرح ديوان الحماسة للمرزوقي ص٤٥٣ ؛ وشرح المفصل ١٣/٣ ؛ والمقرب ٢١٣/١ .

ومما ورد عن العرب من إضافة حيّ إليه ما قاله الشارح قبل هـذا البيت بصفحةٍ «قالهنّ حيُّ رباح » بإقحام حيٍّ .

قال المظفّري : يعني سمع الأخفشُ أعرابيًّا أنشـد أبياتـاً فقيـل لـه : مـن قـال هـذه الأبيات ؟ فقال : قالهنّ حيُّ رباح بزيادة حيّ ، أي : قالهنّ رباح . انتهى .

ورِباح بكسر الراء بعدها باء موحدة[1] . وهو مأخوذ من الإيضاح الشعري لأبي علي ، قال : حكى أبو الحسن الأخفش في أبيات أنه سمع من يقول فيها : قـالهنّ حيُّ رباح .

وأنشد[2] : (الوافر)

أبـو بَحْـرٍ أشـدُّ النَّاسِ مَنّـاً علينـا بعـد حـيِّ أبـي المُغِيـرهْ

وقوله : « ألا قبح الإله الخ » هذا البيت من جملة أبيات ليزيد بن رَبيعة بن مُفرِّغ الحميريّ .

« ألا » هنا كلمة يُستفتح بها الكلام ، ومعناها تنبيه المخاطب لسَـماع مـا يـأتي بعدها ، وجملة « قبح الإله » دعائيَّة ، يقال قبحه اللّـه يقبَحُـه بفتـح الموحـدة فيهمـا ، أي: نحّاه عن الخير .

وفي التنزيل[3] : « هُمْ مِنَ المَقْبُوحِين » أي : المبْعَدين عن الفوز . والمصدر القَبْح بفتح القاف ، والاسم القُبْح بضمِّها يقال : قَبْحاً له وقُبْحاً أيضاً . والإلـه تقـدّم أنـه لا يجمع بين أل وهمزة إله إلاّ على القلّة لكون أل في اللّه بدلاً من همزة إله[4] .

و« **زيـاد** » هو زِياد بن سُمَيَّة ، وهي جَارِيةٌ للحارث بن كَلَدة الطَّبيب الثَّقفـيّ ، كان زوَّجها بعبدٍ له روميّ اسمه عُبيد ، فولدت له زياداً على فراشه . وكان أبو سفيان سافر في الجاهلية إلى الطائف قبل أن يسلم ، فواقعها بواسطة أبي مريم الخمَّار ، فيقـال

---

(١) في حاشية الطبعة السلفية ٢٤٢/٤ : " قال الأستاذ الميمني : هذا الضبط غلط شنيع منه ، فليس في العرب رباح بالباء الموحدة إلا مفتوح الراء ، ولا رياح بالياء المثناة من تحت إلا مكسورها ، وهذا متعالم متعارف . راجع مشتبه النسبة للذهبي ٢١٢ والذين مثلوا هنا ذكروه بالياء . راجع اللسان (حيا) " .

(٢) البيت لأبي الأسود الدؤلي في ديوانه ص١٠٧ ؛ وتاج العروس (حيا) ؛ ولسان العرب (حيا) .

(٣) سورة القصص : ٤٢/٢٨ .

(٤) الخزانة الجزء الثاني ص٢٣٤-٢٣٦ .

إنّها علقت منه بزياد . ثم إنَّ معاوية أحضر من شهد لزيادٍ بالنسب[١] واستلحقه بأبي سفيان ، فقيل زياد بن أبيه ، أي : ابن أبي معاوية . ويقال له أيضاً زياد بن سُمَيَّة ، نسبة إلى أمه .

وهذه أول واقعة خولفت فيها الشريعة المطهَّرة علانية ، لصريح قوله صلّى اللّه عليه وسلّم : « الولد للفراش وللعاهر الحجر » . وأعظمَ الناسُ ذلك وأنكروه ، خصوصاً بني أميَّة لكونه ابنَ عبدٍ روميّ صار من بني أمية . وقيل فيه أشعارٌ، منها قول يزيد صاحب البيت الشاهد[٢] : (الوافر)

ألا أبلِغْ معاويةَ بنَ حَربٍ مُغَلْغَلَةً منَ الرجُلِ اليَماني[٣]
أتغْضَبُ أنْ يقالَ أبوكَ عَفٌّ وترْضَى أن يقالَ أبوكَ زَاني
فأشهَدُ إنَّ رِحْمَكَ من زيادٍ كرحمِ الفِيْلِ من ولدِ الأتَانِ
وأشهَدُ أنَّها ولَدَتْ زياداً وصَخرٌ من سُمَيَّةَ غيرُ دانِي

وقصة الاستلحاق مفصَّلة في التواريخ .

قال أبو عُبيد البكريّ في « شرح أمالي القالي[٤] » : كتاب المثالب لأبي عبيدة أصله لزياد بن أبيه ، فإنّه لمّا ادَّعى أبا سفيان أباً ، علم أنَّ العرب لا تقرُّ له بذلك مع علمهم بنسبه ، فعمل كتاب المثالب وألصق بالعرب كلَّ عيب وعار وباطل وإفك وبَهْت . انتهى .

وبنو زيادٍ المشهورُ منهم : عبَّاد وَلِي سِجَسْتان وما والاها ، ومنهم عبيد اللّه بن زياد الشقيّ الخبيث ، قاتل الحسين بن علي رضي اللّه عنهما .

وقوله : « وحيَّ أبيهم » معطوف على بَني ، أي : وقبح اللّه أباهم زياداً .

---

(١) في طبعة بولاق : " من شهد لمعاوية بالنسب " . وهو تصحيف صوابه من النسخة الشنقيطية .

(٢) الأبيات ليزيد بن مفرغ الحميري في ديوانه ص٢٣٠-٢٣٢ ؛ والأغاني ١٣/٢٦٥ ؛ والاستيعاب ص٢٠٢ ، ٢٠٣ ؛ وتاريخ ابن عساكر ١٣٥/٥٣ ؛ والشعر والشعراء ص٢٧٩-٢٨٠ ؛ والموشح ص٤٢١ .
وفي الأغاني ١٣/٢٦٥ : " والناس ينسبونها إلى ابن مفرغ لكثرة هجائه لزياد ، وذلك غلط " .

(٣) المغلغلة : الرسالة المحمولة من بلد إلى بلد .

(٤) سمط اللآلئ ص٨٠٧ ؛ وفي حاشية طبعة هارون ٣٢٤/٤ : " وهذا إيجاز من البغدادي ، فإن البكري ساق بعد ذلك سلسلة من كتب الشعوبية " .

وقوله: « قَبْح الحمار » هو بفتح القاف مصدر تشبيهيّ ، أي : قَبَحهم اللّه قَبْحاً مثل قبح الحمار . وإنّما ذكر الحمار لأنه مَثَلٌ في المذلّة والاستهانة به ، ولأنَّ صوته أنكر الأصوات وأبشعُها .

و« **يزيد** » شاعر إسلاميّ من شعراء الدولة الأمويّة[١] ، وهو أبو عثمان يَزيد ابن رَبيعة بن مُفَرِّغ بن ذي العشيرة بن الحارث ، وينتهي نسبه إلى زيد بن يَحْصُب الحِميريّ .

وقال ابن قتيبة في « كتاب الشعراء »[٢] : هو يزيد بن رَبيعة بن مفرغ الحميريّ ، حليف لقريش ، ويقال إنّه كان عبداً للضحاك بن يغُوث الهِلاليّ[٣] فأنعم عليه. انتهى.

ومُفَرِّغ بكسر الراء المشدَّدة : لقب جده ، سمِّي به لأنّه راهن على شرب سِقاء لبن ، فشربَه حتّى فرّغه ، فسمّي مفرِّغاً . وقال النوفليّ : كان حدّاداً باليمن فعمل قُفْلاً لامرأةٍ وشرط عليها عند فراغه منه أن تجيئه بكَرِش من لبن ، ففعلت فشرب منه ووضعه ، فقالت : رُدَّ عليّ الكرش ، فقال : ما عندي ما أفرّغه فيه . قالت : لا بدَّ من ذلك . ففرّغَه في جوفه فقالت : إنّك لمفرِّغ . فعرف به .

وكان السبب في هجو زياد وبنيه ، هو ما رواه الأصبَهانيّ في « الأغاني[٤] » أنَّ سعيد بن عثمان بن عفان لما ولي خراسان استصحب ابنَ مفرِّغ فلم يصحبه ، وصحب عبَّاد بن زياد ، فقال له سعيد بن عثمان : أما إذْ أبَيتَ صُحبتي واخترت عبَّاداً عليَّ فاحفظْ ما أوصيك به : إنَّ عباداً رجلٌ لئيم ، فإيّاك والدَّالَّةَ عليه وإن دعاكَ إليها من نفسه ، فإنّها خُدعَةٌ مِنه لك عن نفسك ، وأَقلِلْ زيارته فإنّه [طَرِفٌ][٥] مَلول، ولا تفاخره وإنْ فاخرك ، فإنّه لا يحتمل لك ما كنتُ أحتمله .

---

(١) انظر في ترجمته في الأغاني ٢٥٤/١٨ ؛ وأمالي الزجاجي ص٢٢٩ ؛ والشعر والشعراء ص٢٧٦ ؛ وطبقات فحول الشعراء ص٦٨٦ .

(٢) الشعر والشعراء ص٢٧٦ .

(٣) في الشعر والشعراء ص٢٧٦ : " ... بن عبد عوف الهلالي ..." .

(٤) الأغاني ٢٥٦/١٨ .

(٥) زيادة يقتضيها السياق من الأغاني .

والطرف : الذي لا يثبت على صاحب .

ثم دعا سعيدٌ بمال فدفعه إليه وقال : استعن بهذا على سفرك ، فإن صلَح لك مكانك من عَبَّاد ، وإلاّ فمكانك عندي مُمهَّد . ثم سار سعيد من خراسان ، ولما بلغَ عُبيدَ اللّه بن زياد صحبةُ ابن مفرِّغ أخاه عَباداً شقَّ عليه ، فلما سار عَبّاد إلى سجستان أميراً عليها شيّعه عبيد اللّه ، وشيَّعه الناس ، فلما أراد عبيد اللّه أن يودِّع أخاه دعا ابنَ مفرِّغ فقال له : إنّك سألت أخي عَبّاداً أن تصحبه فأجابك إلى ذلك ، وقد شقّ عليّ!

فقال ابن مفرِّغ : و لم أصلحك اللّه ؟ فقال : لأنَّ الشاعر لا يُقنعه من الناس ما يُقنع بعضهم من بعض ، لأنّه يظُنّ فيجعل الظنَّ يقيناً ، ولا يَعذِر في بعض العذر[1] ؛ وإنّ عبَّاداً يقدَم على أرض حَربٍ فيشتغل بحروبه وخَراجه عنك ، فلا تَعذِرُه فتكسِبُنا عاراً وشرًّا !

فقال : لستُ كما ظنَّ الأمير ، وإنَّ لمعروفه عندي شكراً كثيراً[2] ، وإنَّ عندي إنْ أغفلَ أمري عُذراً ممهَّداً . قال : لا ، ولكن تضمن لي إن أبطأ [عنك] ما تحبّه ألا تعجل عليه حتّى تكتب إليَّ . قال : نعم .

ثم إنَّ عبَّاداً لما قدم سجستان اشتغل بحروبه فاستبطأه ابن مفرِّغ و لم يكتب إلى عبيد اللّه كما ضمن له ، ولكن بسطَ لسانَه وهجاه - وكان عبّادٌ عظيمَ اللحية[3] ، فسار ابن مفرِّغ يوماً مع عبّاد فدخلت الريحُ فيها فنَفشتْها ، فضحك ابن مفرّغ وقال لرجل من لخم كان إلى جانبه[4] : (الوافر)

ألا ليتَ اللِّحَى كانت حَشِيشاً   فنُعْلِفها دَوابَ المُسْلِمينا

فسعى به اللخميّ إلى عبّاد فغضب من ذلك وقال : لا تجمُلُ عقوبته في هذه الساعة مع صحبته لي ، وما أؤخِّرها إلاَّ لأشفِيَ نَفسي منه ، فإنّه كان يقوم ويشتم أبي في عِدَّة مواطن .

وبلغ الخبرُ ابنَ مفرِّغ فقال : إنّي لأجد ريحَ الموت عند عبّاد ! ثم دخل عليه

---

(١) في الأغاني : " في موضع العذر " .

(٢) في الأغاني : " لشكراً كثيراً " .

(٣) في الأغاني بعده : " كأنها جوالق " .

(٤) البيت ليزيد بن مفرغ في ديوانه ص٢٢٥ ؛ والأغاني ٢٥٧/١٨ ؛ والاقتضاب ص٣٩٥ ؛ والشعر والشعراء ص٢٧٦ ؛ ولسان العرب (علس) .

فقال: أيها الأمير ، إني كنتُ مع سعيدِ بن عثمان ، وقد بلغك رأيه فيَّ ، ورأيتَ جميل أثره عليّ ، وإني اخترتك عليه فلم أحْظَ منك بطائل ، وإنّي أُريد أن تأذن لي في الرجوع .

فقال له : إنّي اخترتك كما اخترتني ، واستصحبتُك حين سألتني، فقد أعجلتَني عن بلوغ محبَّتي فيك ، وقد طلبتَ الإذنَ لترجع إلى قومك فتفضحَني عندهم ، وأنت على الإذن قادرٌ بعد أن أقضيَ حقّك . فأقام وبَلغ عبَّاداً أنّه يسبّه وينال من عِرضه . وأجرى عبّادٌ الخيلَ يوماً فجاء سابقاً ، فقال ابن مفرِّغ[1] : (الرجز)

سَبَقَ عبّادٌ وصَلّتْ لحيتُهُ   وكانَ خرّازاً تَجودُ قِرْبَتُهْ

قال المدائنيّ : لما بلغَ عبّاداً هذا الشعر دعا به والمجلس حافل ، فقال له : أنشدني هجاءَ أبيك الذي هُجي به . فقال : أيُّها الأمير ، ما كُلِّف أحدٌ قطُّ مثلَ مما كلّفتني به! فأمرَ غلاماً عَجميًّاً[2] أن يصبَّ على رأسه السوط إن لم يُنْشد ، فأنشده أبياتاً هجى بها أبوه أوّلها[3] : (الكامل)

قَبحَ الإلهُ ولا أقبِّحُ غيرَهُ   وجهَ الحمارِ ربيعةَ بنَ مفرِّغِ

وجعلَ عبّاد يتضاحك به ، فخرج ابن مفرِّغ وهو يقول : واللّه لا يذهب شَتْم شيخي باطلاً[4] .

فطلب عليه العلَل ودسَّ إلى قوم كان لهم عليه ديون أن يقتَضُوا مالَهم عليه ، ففعلوا فحبسه وضربه ، وأمر ببيع سلاحه وخيله وأثاثه ، وقسَّم ثمنها بين غُرَمائه ، ثم بعث إليه أن بعْني الأراكة وبُرْداً ، وكانت الأراكَة قينة لابن المفرِّغ وبُرْدٌ غلامه ، ربَّاهما وكانَ شديد الضنِّ بهما ، فبعث إليه ابنُ مفرِّغ : أيبيع المرء نفسَه أو ولده ؟

(١) الرجز ليزيد في ديوانه ص٨٥ ؛ والأغاني ٢٥٨/١٨ ؛ والشعر والشعراء ص٢٧٧ .

وفي ذيل اللآلئ ص٨٥ : " وقوله : تجود قربته ، أي : لم يكن يتقن خرزها فيتسرب الماء منها " . والبيت في أنساب الخيل ص١٢٨ ؛ منسوب لعبد الملك بن مروان .

(٢) كذا في طبعة بولاق والنسخة الشنقيطية . وفي الأغاني ٢٦٠/١٨ : " ... أعجمياً " .

(٣) البيت وخبره في الأغاني ٢٦٠/١٨ .

(٤) في حاشية الطبعة السلفية ٢٤٦/٤ : " العبارة نثرية ، وهي مقتبسة من قول امرئ القيس :

واللّه لا يذهب شيخي باطلاً   حتى أبير مالكاً وكاهلا " .

وما بعده من الخبر في الأغاني من رواية عمر بن شبة ولقيط بن بكير .

فأضرَّ به عبَّاد حتّى أخذهما منه ، وقيل اشتراهما رجلٌ من أهل خراسان ، فلما دخلا منزله قال له برد – وكان داهية أديباً[١] – : أتدري ما شرَيتَ ؟ قال : نعم ، شريتك وهذه الجارية . قال : لا والله ، ما اشتريتَ إلاّ العارَ والدَّمار وفضيحةَ الأبد ! فجزع الرجل وقال : كيف ذلك ويلَك ؟ قال : نحن ليزيد بن المفرِّغ ، وما أصاره والله إلى هذه الحال إلاّ لسانُه وشرُّه ، أفتراه يهجو عبَّاداً وهو أمير سجستان ، وأخاه عبيد الله وهو أمير العراقيِّين ، وعمّه معاوية وهو الخليفة ، ويمسك لسانَه عنك وقد ابتعتني وأنا مثلُ ولده ، وهذه الجارية وهي نفسُه التي بين جنبيه ؟! فو الله ما أدري أحداً أدْخل بيتَه أشأمَ على نفسه وأهله ممّا أدخلتَه منزلَك !

فقال : أشهد أنّكما له ، إن شئتما امضيا إليه ، وإن شئتما تكونا له عندي . قال[٢] : فاكتب إليه بذلك . فكتب إليه بذلك ، فكتب إليه ابن مفرّغ يشكر فعلَه ويسأله أن يكونا عنده حتّى يفرّج الله عنه.

وفي بيعهما قال – وذكر تركَه سعيدَ بنَ عثمان[٣] – : (مجزوء الكامل)

أصرَمْتَ حَبلَكَ من أمامَهْ ... مِنْ بَعد أيّام برامَهْ[٤]

ورَمَقتَها فوجَدتَها ... كالضِّلعِ ليسَ لها استقَامَهْ[٥]

لهفِي علَى الرَّأي الذي ... كانتْ عواقبُهُ نَدامَهْ[٦]

تركي سعيداً ذا النَّدَى ... والبيتِ ترفعُهُ الدِّعامَهْ[٧]

ليثاً إذا شَهِدَ الوغَى ... تركَ الهوَى ومضَى أمامَهْ[٨]

---

(١) في الأغاني ٢٥٨/١٨ : " .. داهية أريباً " .

(٢) في طبعة بولاق : " قالا " . وهو تصحيف صوابه من الأغاني ٢٥٨/١٨ والنسخة الشنقيطية .

(٣) الأبيات في ديوان يزيد بن مفرغ ص٢٠٧-٢١٥ ؛ والأغاني ٢٦٠/١٨ . وطبقات فحول الشعراء ص٦٨٨-٦٨٩ .

(٤) صرمت : قطعت ، والصريمة : القطيعة . ورامة : موضع في ديار بني تميم ، من طريق البصرة إلى مكة .

(٥) رمقه : لحظه لحظاً خفيفاً . والضلع : العود ، أو الذي فيه عرض واعوجاج ، تشبيهاً بضلع الحيوان ، وفي اللسان : " وشاهد الضلع بالتسكين قول ابن مفرغ ... البيت " .

(٦) اللهف – بفتحتين – واللهف – بسكون الهاء – : الأسى والحزن والغيظ على شيء يفوتك .

(٧) يعني سعيد بن عثمان حين اجتهد به أن يصحبه ، فأبى عليه وصحب عباد بن زياد . والدعامة : خشبة يدعم بها البيت ، وهي عماده الذي يقوم عليه . يعرض بعباد أنه لئيم الأصل خبيث البيت ، لاعماد له .

(٨) ترك الهوى ، أي : ما تهواه النفس من إيثار السلامة والراحة والدعة . وقوله ومضى أمامه : أي إلى الأمام .

فُتِحَتْ سمَرْ قَنْدُ لَهُ فبنَى بعَرصَتِها خِيَامَهْ[١]
وتَبِعْتُ عبدَ بني عِلا جِ تلكَ أشراطُ القِيَامَهْ[٢]
جَاءَت بهِ حَبَشِيَّةٌ سَكَّاءُ تَحسَبُها نَعَامَهْ[٣]
مِنْ نِسوةٍ سُودِ الوجُو هِ ترَى عليهنَّ الدَّمامَهْ
وشَريتُ بُرداً ليتَنِي من بَعدِ بُردٍ كنتُ هَامَهْ[٤]
أو بُومةٍ تَدعُو صدًى بينَ المُشقَّرِ واليَمامَهْ[٥]
فالرِّيحُ تبكِي شَجوَهَا والبرقُ يلمعُ في الغمَامَهْ[٦]
والعَبْدُ يُقرَعُ بالعَصَا والحُرُّ تَكفيهِ المَلاَمَهْ

وقوله : « وشريت برداً » البيت ، استشهد به صاحب الكشّاف عند قوله تعالى[٧] : « الذينَ يَشْرُونَ الحَيَاةَ الدُّنْيا بالآخرة » على أنَّ الشراء يأتي بمعنى البيع ، فهو من الأضداد . و« الهامة » : أنثى الصَّدَى ، وهو ذكرُ البُوم .

وفي مروج الذهب للمسعوديّ : من العرب من يزعم أنّ النَّفْس طائر ينبسط في الجسم ، فإذا مات الإنسان أو قتل لم يزل يُطيف به مستوحشاً يصدح على قبره ،

---

(١) سمر قند : هي قصبة الصغد . والعرصة : كل بقعة بين الدور ليس فيها بناء ، يريد الساحة .

(٢) بنو علاج بن أبي سلمة بن عبد العزى بن غيرة بن عوف بن ثقيف ، منهم الحارث بن كلدة طبيب العرب ، وأراد ببني علاج عباد بن زياد الذي صحبه الشاعر . وأشراط القيامة : علاماتها الدالة على بدء أمرها ، جمع شرط (بفتحتين) ، وهي العلامة .

(٣) زعم في هذا الخبر أن سمية حبشية ، ولعله فعل ذلك لأن ملك اليمن ملكها ، وإلا فإن الخبر في أمرها أنها من زندورد من بلاد فارس ، كانت قرب واسط مما يلي البصرة ، وخربت بعمارة واسط . والسكاء الصغيرة الأذن ، تكاد لا ترى ، والنعام كله سكك ، أي : لا آذان لها . شبهها بها في طول رقبتها ، وصغر أذنيها ، وحموشة ساقيها.

(٤) شرى الشيء : باعه . وشراه أيضاً : اشتراه ، بمعنى الضد . ويقال فلان هامة اليوم أو غد : أي يموت اليوم أو غداً فتصير عظامه أو روحه هامة .

(٥) المشقر : حصن كان بين نجران والبحرين ، يقال إنه من بناء طسم ، كانت تسكنه عبد القيس . واليمامة : من منازل طسم ، معدودة في نجد ، بينها وبين البحرين عشرة أيام . والصدى : ذكر البوم والهام .

(٦) تبكي شجوها : يعني بكاء الريح وحنينها في صوت مرورها . ولمعان البرق في الغمامة : أراد به بكاء السماء على فقده برداً وأراكة ، لهول ما نزل به .

(٧) سورة النساء : ٧٤/٤ .

ويزعمون أنّ هذا الطائر يكون صغيراً ثم يكبر حتّى يكونَ كضَربٍ من البوم ، وهو أبداً مستوحِشٌ ويوجد في الديار المعطّلة ، ومصارعِ القتلى والقبور وأنّها لم تزل عند ولَد الميت ومخلّفِه لتعلم ما يكون بعده فتخبره .

وقال أيضاً في بيعهما[1] : (البسيط)

شَرَيْتُ برداً وقد مُلّكتُ صَفقتَه ... لما تَطَلّبتُ في بيعِي له رَشَدا

يا بُرْدُ ما مسَّنا دَهرٌ أضَرَّ بنا ... من قَبلِ هذا ولا بعْنا له وَلَدا

أمّا أرَاكَةُ كانتْ من مَحَارِمِنا ... عيشاً لَذيذاً وكانت جنّةً رَغَدا

لَوْلا الدَّواعي ولَوْلا ما تعرَّضَ لي ... منَ الحوادثِ ما فارقتُها أبَدَا

ثم إنّ ابن مفرِّغ علم أنه إنْ أقام في الحبس على ذمِّ عبّاد لم يزدد إلاّ شرّاً فجعل يقول للناس إذا سئل عن حبسه : أنا رجلٌ أدَّبه أميره ليُقيم من أودَه . . فلما بلغَ ذلك عبّاداً رقّ له فأطلقه ، فهرب حتّى أتى البَصرة ثم الشام ، وجعل يتنقّل في البلاد ويهجو بني زياد ويتأسّف على تركه صُحبة سعيد ، فمن ذلك قوله[2] : (الخفيف)

إن تَركي نَدى سَعيدِ بنِ عُثما ... نَ فتَى الجودِ ناصِري وعَديدي

واتّبَاعِي أخَا الضَّرَاعةَ واللُّؤ ... مِ لنَقصٌ وفَوتُ شأوٍ بعيدِ

قُلتُ واللّيلُ مُطبِقٌ بعُراهُ ... ليتَنِي مِتُّ قبلَ تَركِ سَعيدِ

ثم إنّه هجَا بني زياد حتّى ملأ منه البلاد ، وتغنّى به أهل البَصرة ، فطلبه عبيدُ اللّه طلباً شديداً وكتب إلى معاوية - وقيل إلى يزيد[3] - « إن ابن مفرِّغٍ هجا زياداً وبنيه بما هتكه في قبره ، وفضح بنيه طول الدهر ، وتعدّى ذلك إلى أبي سفيان ، فقذفه بالزّنى، وسبَّ ولده وهرب إلى البَصرة ، وطلبتُه حتّى لفظته الأرض فلجأ إلى الشام يتمضّغ لحومَنا بها ويهتك أعراضنا ، وقد بعثتُ إليك بما هجانا به لتنتصف لنا منه».

---

(١) الأبيات في ديوانه ص٩٧-٩٨ ؛ والأغاني ٢٥٨/١٨ ؛ والشعر والشعراء ص٢٧٨ .

(٢) الأبيات في ديوانه ص١٠٩-١١٠ ؛ والأغاني ٢٧٣/١٨ ؛ والشعر والشعراء ص٢٧٧ .

والضراعة هي الذل . والشأو : الطلق والغاية والأمد .

(٣) في حاشية الطبعة السلفية ٢٤٩/٤ : " قال المحقق الميمني : لم يكن يزيد ولي الخلافة في حياة زياد ، فإن زياداً توفي سنة ٥٣ هـ ومعاوية سنة ٦٠ هـ " .

فهرب ابن مفرِّغ من الشام إلى البصرة فأجاره المنذرُ بن الجارود ، وكـانت بنت المنذر تحت عُبيد اللّه ، وكان المنذر من أكرم النّاس عليه ، فاغترَّ بذلك ، فبلغَ عُبيدَ اللّه أن المنذِر قد أجاره فبعث عُبيدُ اللّه إلى المنذر ، فلما دخلَ عليه بعث عُبيد اللّه بالشُّـرَط فكبسوا دارَه وأتوه بابن مفرِّغ ، فلما رآه الجارود قام إلى عُبيد اللّه فقال لـه : أذكِّـرُكَ اللّه أيها الأمير لا تُخفرْ جِواري فإني قد أجرتـه ! فقـال عُبيـد اللّـه : يمدحـك ويمدح آباءك ، وقد هجاني وهجَا أبي ثم تجيره عليّ ، واللّـه لا يكـون ذلـك أبـداً ! فغضـب المنذرُ وخرج .

وأقبل عبيدُ اللّه على ابن مفرِّغ فقال : بئسما صحِبت بـه عبَّـاداً! فقـال : بئسـما صحبني عباد ، اخترتُه على سعيد وأنفقت على صحبته جميعَ ما ملكته وظننتُ أنّـه لا يخلو من عقلِ زيادٍ ، وحِلم معاوية ، وسَماحة قريش ، فعدل عن ظنّي كلّه ثم عـاملني بكلِّ قبيح . من حَبس وغُرْم وضرب وشتم ، فكنت كمن شام برقاً خُلّبـاً في سـحاب جَهام ، فأراق ماءً طمعاً فمات عطشاً ، وما هربت من أخيك إلاّ لما خفـت أن يجـري فيَّ ما يندم عليه ، وها أنا بين يديـك فـاصنعْ فيَّ مـا شئت ! فـأمر بحبسـه وكتـب إلى معاوية[1] أن يأذن له في قتله ، فكتب إليـه : « إيّـاك وقتله ، ولكـن تَناولـه بمـا ينكلـه ويشدّ سلطانك عليه ؛ ولا تبلـغْ نفسَـه ، فـإنَّ لـه عشيرة هـم جُنـدِي وبطـانتي ، ولا يرضون بقتله إلاّ بالقوَد منك ، فاحـذَرْ ذلك ، واعلـم أنّ الجد[2] منّي ومنهـم ، وأنّـك مُرْتَهنٌ بنفسه ، ولك في دون تَلفها مندوحةٌ تَشفي من الغيظ .

فلمّا ورد الكتاب أمر بابن مفرِّغ فسُقي نبيـذاً حلـواً مخلوطـاً بالشُّـبرُم والتَرْبُـد[3] فأسهل بطنَه ، وطيف به على بعيرٍ في أزقّة البصرة وأسـواقها ، وقُـرِن بهـرّة وخـنزير ، وجعل يَسْلح والصبيان يتبعونـه ويَصيحـون عليـه ، وألَحّ مـا يخرج منـه حتّـى أضعفـه فسقط ، فقيل لعبيد اللّه : إنّا لا نأمن أن يموت . فأمر به فغُسِـل فلمّـا غُسِّـل قـال[4] : (الخفيف)

(١) في الأغاني : "إلى يزيد بن معاوية " .

(٢) في الأغاني ١٨/٢٦٤ : " أنه الجد " .

(٣) هذه الكلمة ليست في الأغاني . والتربد ، كقنفذ : نبت .

(٤) البيت ليزيد بن مفرغ في ديوانه ص١٨٨ ؛ والأغاني ١٨/٢٦٤ ؛ والشعر والشعراء ص٢٧٨ .
ويقول جامع ديوانه ص١٨٩ : " وهذا البيت مشهور سائر ، ومعناه : إن العذاب الذي أوقعته بي سرعان ما يزول وينسى ، ولكن هجائي لك سيلاحقك حتى القبر وسينفذ كالإبر في عظامك النخرة " .

يَغْسِلُ الماءُ ما فَعلْتَ وقَولي رَاسِخٌ منكَ في العِظَامِ البَوالي

ثم ردَّه إلى الحبس . وقيل لعبيد الله : كيف اخترت له هذه العقوبة ؟ قال : لأنّه سلَح علينا فأحببتُ أن تسلح عليه الخنزيرة والهرّة .

ثم إن عبيد الله أرسله إلى أخيه بسجستان ، ووكّل به رجالاً ، وكان لّما هرب من عبَّاد هجاه وكتب هجاءه على حيطان الخانات ، فأمر عبيدُ الله الموكَّلين به أن يُلزموه بمحو ما كتبه على الحيطان بأظافيره ، فكان يفعل ذلك حتّى ذهبت أظافيره ، فكان يمحو بعظام أصابعه .

وأمرهم أيضاً أن لا يتركوه يصلّي إلاّ إلى قِبلة النّصارى إلى أن يُسلموه إلى عبَّاد ، فحبسه وضيَّق عليه ، فلما طالَ حبسه استأجر رسولاً إلى دمشق وقال له : إذا كان يوم الجمعة فقف على دَرَج جامعِ دمشق ، ثم أنشد هذه الأبياتَ بأرفع ما يمكنك من صوتٍ ، وهي[1] : (البسيط)

أبلِغْ لديْكَ بني قَحطانَ قَاطِبةً عَضَّتْ بأيرِ أبيْها سَادةُ اليَمَنِ[2]

أضْحَى دَعِيٌّ زيادٍ فَقْعَ قَرقَرةٍ يا للعجائبِ يلهُو بابنِ ذي يَزَنِ[3]

والحميريّ طَريحٌ فَوقَ مَزْبَلةٍ هذا لعَمركُمُ غَبْنٌ منَ الغَبَنِ

قُوموا فقولوا : أميرَ المؤمنينَ لنَا حَقٌّ عليكَ ومنٌّ ليسَ كالمَننِ[4]

فاكفُفْ دعِيَّ زيادٍ عن أكارِمنا ماذا تزيْدُ على الأحقَادِ والإِحَنِ[5]

ففعل الرَّسولُ ماأُمِر به ، فحَمِيت اليمانيةُ وغضبوا له ودخلوا إلى معاوية فسألوه فيه ، فدافعهم عنه ، فقاموا غِضاباً والشرُّ يلمع في وجوههم ، فعرف ذلك معاوية منهم فوهبه لهم ، ووجّه رجلاً من بني أسد يقال له حمخام ، بريداً إلى عبّاد ، وكتب له عهداً ، وأمره أن يبدأ بالحبس فيُخرج ابن مفرّغ منه ، ويطلقه قبل أن يعلم عبّاد فيم

(١) الأبيات في ديوان يزيد بن مفرغ ص٢٢٦-٢٢٨ ؛ والأغاني ١٨/٢٧٥ ؛ والوحشيات ص٢٠ .

(٢) يشير إلى أن اليمنيين قصروا في نصرة الشاعر وهو منهم ، فهو يلحاهم ويعنف عليهم لذلك .

(٣) الدعي : المتهم في نسبه ، يريد به عباد بن زياد ؛ وانظر في سبب تسميته : دعي زياد . وفقع قرقرة : الفقع : البيضاء الرخوة من الكمأة ، وهو أردؤها . ويقال للذليل : هو أذل من فقع بقرقرة لأنه لا يمتنع على من احتناه أو لأنه يوطأ بالأرجل . وذو يزن : ملك لحمير ، ويزن : بطن من حمير ، ويريد بابن ذي يزن نفسه .

(٤) المنّ : الصنيعة واليد والمعروف . والمنة : الإحسان . ومنّ عليه بما صنع : ذكره وعدد له ما فعله من الخير .

(٥) الإحن : جمع إحنة ، وهي الحقد والغضب والمعاداة .

قَدِم فيغتاله . ففعل ذلك فلما خرج من الحبس قرِّبت بغلةٌ من بغال البريد فركبها فقال[١]: (الطويل)

عَدَسْ ما لعبَّادٍ عليكِ إمَارةٌ أَمِنتِ وهذا تَحملينَ طَليقُ

وهو من جملة أبيات « تأتي إن شاء اللّٰه تعالى في الموصول عند إنشاد هذا البيت هناك[٢] » فلما دخل على معاوية بكى وقال : رُكِب منّي ما لم يُرْكَبْ من مُسلمٍ قط، على غير حدَثٍ في الإسلام ولا خلع يدٍ من طاعة . فقال له :

ألستَ القائل :

ألا أبلغْ معَاويةَ بنَ حَرب مغَلْغَلةً منَ الرجل اليَمَاني

الأبيات المتقدّمة . فقال : لا ، والذي عظّم حقّك ما قُلتها ، ولقد بلغني أنَّ عبد الرحمن بنَ الحكم قالها ونسبها إليّ[٣] . قال : أفلم تقل كذا وكذا .. وسرد أشعاره ، ثم قال : اذهبْ فقد عفوتُ عن جُرْمك فاسكنْ أيَّ أرض شئت . فاختار الموصل ، ثم ارتاح إلى البصرة فقدمها ، فدخل على عبيد اللّٰه فاعتذر إليه وسأله الصَّفح والأمان فأمّنه ؛ فأقام بها مدَّة ثم دخل عليه فقال : أصلح اللّٰه الأمير إني قد ظننت أنَّ نفسك لا تَطيبُ لي بخيرٍ أبداً ، ولي أعداءٌ ولا آمن سعيَهم عليَّ بالباطل ، وقد رأيت أن أتباعد. فقال له : إلى أين شئت ؟ فقال : كِرْمان .

فكتب له إلى شَريك بن الأعور ، وهو عليها ، بجائزةٍ وقطيعة[٤] ، فشخص إليها وأقام بها إلى أن مات في سنة تسع وستين في طاعون الجارف أيام مُصعَب بن الزّبير .

هذا ما لخّصته من الأغاني ، وهو كشَذْرة من عِقد نَحْر ، أو قطرة من قاموس بحر .

* * *

(١) البيت في ديوان يزيد بن مفرغ ص١٧٠ ؛ والأغاني ٢٧٠/١٨ ؛ والحماسة البصرية ٨٧/١ ؛ والشعر والشعراء ص٢٨٠ ؛ واللسان (حلس ، علس) .

(٢) الخزانة الشاهد رقم ٤٨٢ .

(٣) الخبر في الأغاني ٢٧١/١٨ . وفيه : " قاله ونسبه إليّ " .

(٤) في الأغاني : " بجائزة وقطيفة وكسوة " .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الرابع بعد الثلثمائة ، وهو من شواهد المفصَّل[1] : (الكامل)

٣٠٤- يا قُرَّ إنَّ أباكَ حيَّ خُوَيْلِدٍ
قَدْ كنتُ خائفَةُ على الإحْماقِ

لما تقدَّم قبله . وذهب أبو عليّ في « الإيضاح الشِّعريّ » عند ذكره هذه الشواهد، إلى أنّ لفظ حيّ زائد لا غير ، وتبعه الزمخشريّ في « المفصَّل » والبيضاوي في « اللبّ » ، وتعقّبه شارحه السيّد عبدُ اللّه بأنه غير زائد من حيث المعنى ؛ فإنّه يفيد نوعاً من تحقير ما أُضيف إليه حيّ ، كأنه يقول : هذا شخصٌ ليس سوى أنّه حيّ، وشَبَحٌ ما فيه سوى أنّه حسَّاس . انتهى .

ولا يخفَى أن هذه النّكتة قاصرة على هذا البيت لا تتمشّى له في غيره .

و« قُرَّ » بضم القاف : مرخّم قُرَّة . و« حيّ خويلد » : بدلٌ أو عطف بيان من أباك[2] . وجملة « قد كنتُ خائفه » خبر إنَّ . و« الإحماق » : مصدر أحمق الرجل : إذا وُلد له ولدٌ أحمق ، وكذا أحمقت المرأة ؛ وأمّا حمِق بدون ألف فهو من الحُمْق بالضم وهو فسادٌ في العقل ، وهو من باب تعب ، ووصفه حَمِقٌ بكسر الميم ؛ وأما أحمق ففعله حَمُق بالضمّ والأنثى حمقَى . وعلى متعلقة بخائفه ، يقال : خفته على كذا أي : خفت منه .

والمعنى إنّني كنت أرى من أبيك مخايلَ تدلُّ على أنه يلد ولداً أحمق، وقد تحقّق بولادته إيّاك . ومثل هذا أبلغ من أن يقول له : أنت أحمق ؛ لأنَّ ذلك يُشعر بتحقُّق ذلك فيه ، أي : كان ذلك معروفاً من أبيك قَبلَ أن يلدك . فهذا أبلغ من دعوى الحمق فيه الآن .

وإدراكُ مثلِ هذه المعاني لا يكاد يحصل بالتعبير ، وإنما هو أمرٌ في الغالب يدرَكُ بالقوّة التي جعلها اللّه تعالى في أهل هذا اللسان . كذا في أمالي ابن الحاجب .

---

(١) البيت لجبار بن سلمى في ذيل سمط اللآلئ ص٥٤ ؛ ونوادر أبي زيد ص١٦١ . وهو بلا نسبة في أمالي ابن الحاجب ٤٤٣/١ ؛ والخصائص ٢٨/٣ ؛ وشرح ديوان الحماسة للمرزوقي ص٤٥٣ ؛ وشرح المفصل ١٣/٣ ؛ والمقرب ٢١٣/١ .

(٢) في النوادر ص١٦١ : " قال الرياشي يعني حياة خويلدٍ " .

وهذا البيت نسبه أبو زيد في « نوادره » إلى جَبَّار بن سلمى بن مالك[1] ، قال : وهو جاهليّ .

وأورد بعده[2] :

وكـأنَّ حيَّـاً قبلَكم لـم يَشرَبـوا فيهـا بأقلِبَـةٍ أَجَـنَّ زُعـاقِ

هذا الحيّ بمعنى القبيلة . و« أقلِبة » : جمع قَليب بمعنى البئر ، قال الرياشيّ : هذا يدلّ على تذكير القليب ، لأنّه قال أقلبة ؛ والجمع قُلُب ، ولكن جاء بـه علـى رغيـف وأرغفَة للجمع القليل . انتهى .

والباء بمعنى من . وأجنَّ فعلٌ ماض والنون الأخيرة فاعلـه تعـود علـى أقلبـة ، لما سكن لها لام الفعل أدغمت فيها ، يقال : أَجَنِ الماءُ يأجن بضم الجيـم وكسـرها . إذا تغيَّر . وضمير فيها للمنيّة . وضرب القليبَ مثلاً لها . وقد يكون القليـب القـبر ، قالـه ابن بَرِّيّ في « شرح أبيات إيضاح الفارسـيّ » . و« الزُّعـاق » ، بضـم الـزاي بعدهـا عين مهملة : الماء المرّ الغليظ لا يطاق شربه من أُجُوجته . وإذا كثر ملح الشـيء حتّـى يصير إلى المرارة فأكلته قلتَ : أكلتُه زُعاقاً .

و« جَبَّـار » ، بفتـح الجيـم وتشـديد الموحّـدة وآخـره راء مهملـة . وقـد أورده الآمديّ في « المؤتلف والمختلف »[3] وقال : هو جَبَّار بن سُلمى بـن مـالك مـن بـني عامر بن صعصعة[4] .

وأنشد له المفضّل في المقطّعات[5] : (الوافر)

ومـا للعَيْـنِ لا تبكـي بُجيـراً إذا افـتَـرَّتْ عن الرُّمحِ اليَـدَانِ[6]

(١) في النوادر ص١٦١ : " وقال جبار بن سلمى قال أبو الحسن وقع في كتابي سـلمى وحفظي عـن أبي العبـاس محمد بن يزيد : جبار بن سُلمى ، وفي سُلمى هذا يقول القائل :

وأتيتُ سُليماً فعذت بقبره وأخو الزمانة عائذ بالأمنع "

(٢) البيت في نوادر أبي زيد ص١٦٢ .

(٣) المؤتلف والمختلف ص١٣٨ .

(٤) في المؤتلف : " ... مالك بن عامر بن صعصعة ..." . وفي جمهرة أنساب العرب ص٢٨٦ : " جبار بن سـلمى ابن مالك بن جعفر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة " .

(٥) البيتان لجبار بن سلمى في المؤتلف والمختلف ص١٣٨ .

(٦) في طبعة بولاق : " إذا فترت " . وهو تصحيف صوابه من المؤتلف والمختلف والنسخة الشنقيطية .

وما للعَيْنِ لا تبكِي بُجَيراً ولَوْ أنّي نُعيتُ لَهُ بَكانِي

وذكر ثلاثة من الشعراء يوافقونه في اسمه ، أحدهم : جبَّار بن مالك بن حمار[1] ابن شَمْخ بن فَزارة .

وثانيهم : جبَّار بن عَمْرو الطَّائي قاتل عَنْترة العبسيّ ، وهما جاهليَّان أيضاً .

وثالثهم[2] : جبَّار بن جَزْء بن ضِرَار ، وهو ابن أخي الشَّمَّاخ ، وهذا إسلاميٌّ ابن صحابيّ .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الخامس بعد الثلثمائة[3] : (الطويل)

٣٠٥- إلى الحَوْلِ ثمَّ اسمُ السَّلامِ عَلَيْكُما
ومَنْ يَبْكِ حَوْلاً كَامِلاً فَقَدِ اعتَذَرْ

على أنّ لفظ « اسم » مقحم عند بعض النحاة .

قال ابن جنّي في « الخصائص » : هذا قول أبي عبيدة ، وكذلك قال في بسم اللّه، ونحن نحمل الكلام على أنَّ فيه محذوفاً[4] . قال أبو عليّ : وإنّما هو [على[5]] حدّ حذف المضاف ، أي : ثم اسم معنى السلام عليكما ، واسم معنى السلام هو السلام، وكأنه قال : ثمّ السلام عليكما .

فالمعنى لعمري ما قاله أبو عبيدة ، لكنّه من غير الطريق التي أتاه هو منها ، ألا

(١) في أصول جميع طبعات الخزانة : " .. مالك بن جبار بن شمخ " . وهو تصحيف صوابه من المؤتلف ص١٣٨ . وفي حاشية الطبعة السلفية ٢٥٣/٤ : " الصواب ما في مختار المؤتلف : .... مالك بن حمار بن شمخ إلخ .." .

(٢) المؤتلف والمختلف ص١٣٧ .

(٣) البيت للبيد بن ربيعة في ديوانه ص٢١٤ ؛ والأشباه والنظائر ٩٦/٧ ؛ والأغاني ٤٠/١٣ ؛ وبغية الوعاة ٤٢٩/١ ؛ والخصائص ٢٩/٣ ؛ والدرر ١٥/٥ ؛ وشرح المفصل ١٤/٣ ؛ والعقد الفريد ٧٨/٢ ؛ ولسان العرب (عذر) ؛ والمقاصد النحوية ٣٧٥/٣ ؛ والمنصف ١٣٥/٣ . وهو بلا نسبة في أمالي الزجاجي ص٦٣ ؛ وشرح الأشموني ٣٠٧/٢ ؛ وشرح عمدة الحافظ ص٥٠٧ ؛ والمقرب ٢١٣/١ ؛ وهمع الهوامع ٤٩/٢ ، ١٥٨ .

(٤) ما جاء في الخصائص ٢٩/٣ : " فأبو عبيدة يدعي زيادة ذي واسم " .

(٥) زيادة يقتضيها السياق من الخصائص والنسخة الشنقيطية .

تراه هو اعتقد زيادةَ شيء واعتقدنا نحن نُقصَان شيء . انتهى .

وقال ابن السيد البَطَلْيوسيّ في « تـأليف أَلِفـه في الاسـم » : تقديره ثـمّ مسمَّى السَّلام عليكما ، أي : ثم الشيء المسمَّى سلاماً عليكما ، فالاسـم هـو المسـمَّى بعينه وهما يتواردان على معنى واحد .

وذهب أبو عبيدة إلى أن لفظ اسم هُنا مقحم . وعند أبي عليّ فيه مضاف محذوف تقديره مسمّى اسم السلام . انتهى .

وردّ عليه الإمام السُّهَيليّ في « كتابه المعتبر » فقال : هـذا جـوابٌ لا يقوم على ساق ، ولا يكاد يفهم لما فيه من الاستغلاق[1] . وقد تكلّف في هذا التأليف وتعسَّف، ومن أَلّف فقد استهدف .

والأحسن أن يقال : لم يُرد الشاعر إيقاعَ التسليم عليها لحينه ، وإنّما أراده بعد الحول . فلو قال : ثم السَّلام عليكما ، لكان مسلِّماً في وقته الذي نطَق به في البيت ، فلذا ذكر الاسم الذي هو عبارة عن اللفـظ ، أي : إنما لفظَ بالتسليم بعد الحول ، وذلك السَّلامُ دعاءٌ ، فلا يتقيَّد بالزمان المستقبل ، وإنّما هو لحينـه ، فـلا يقـال : بعدَ الجمعة اللهم ارحم زيداً ، وإنما يقال : اغفر لي بعد المـوت ، وبعد ظرف للمغفرة ، والدعاءُ واقع لحينه .

فإن أردت أن تجعلَ الوقتَ ظرفاً للدّعاء صرّحتَ بلفظ الفعل فقلتَ : بعدَ الجمعة أدعو بكذا ، وِالفِظه ، ونحوه ؛ لأنَّ الظُّروف إنّما تُقيَّد بها الأحـداثُ الواقعة خبراً أو أمراً أو نهياً ، وأما غيرها من المعاني كالعقود والقَسم والدّعـاء والتمـني والاستفهام ، فإنّها واقعة لحين النطق بها .

فإذا قال : بعد الحَول والله لأخرجنّ ، فقـد انعقـد اليمـين حين ينطق بـه ، ولا ينفعه أن يقول : أردت أن لا أوقع اليمين إلاّ بعد الحول ؛ فإنّه لو أراد ذلك قال : بعدَ الحول أحلف أو ألفظ باليمين . فأمَّا الأمر والنهي والخبر ، فإنّما تقيّدت بالظروف لأنَّ الظروف في الحقيقة إنّما يقع فيها الفعلُ المأمور به أو المخبَر بـه ، دون الأمـر والخبر ، فإنّهما واقعان لحين النطق بهما ، فإذا قلت : اضربْ زيداً يوم الجمعة ، فالضرب واقع في اليوم وأنت اليوم آمره .

---

(١) في طبعة بولاق : " مـن الاستقلال " . وفي النسخة الشنقيطية : " من الاستقلاق " . وكلاهما تصحيف صوابه من طبعة هارون ٣٣٨/٤ . والعبارة مسجوعة .

فلو أنَّ لبيداً قال : إلى الحَول ثمَّ السَّلام عليكما ، كان مسلِّماً لحينه ، وقد أراد إنّي لا ألفِظ بالتسليم والوَداع إلاَّ بعد الحول ؛ ولذا ذكر الاسم الذي هو اللفظ ، ليكون بعد الحول ظرفاً . انتهى كلام السهيلي .

والمراد من قوله : « ثمَّ اسمُ السَّلام عليكما » الكناية عن الأمر بترك ما كان أمرَهما به ، وهو سلامُ توديع . وأتَى بثمّ لأنّها للتراخي والمُهْلة . وقد تعسَّف قومٌ لإخراج الاسم عن الزيادة بجعل السلام اسم اللّه تعالى ، ثم اختلفوا فقال بعضهم : عليكما اسم فعل ، أي : الزَما اسمَ اللّه واترُكا ذِكْري . وفيه أنَّ تقديم اسم الفعل لا يجوز إلاَّ عند الكسائيّ ؛ على أنّ الرواية رفع اسمٍ لا نصبُه .

وقال جماعةٌ منهم شارح اللبّ : إنَّ المعنى ثم حِفْظُ اللّه عليكما ، كما يقال للشيء المعجِب : اسمُ اللّهِ علَيك ، تعويذاً له من السوء . ففي ذكر الاسم تفخيمٌ وصيانة للمسمَّى عن الذكر .

وقال الشَّلَوبين في « حاشية المفصَّل » : أجاب بعضهم بأنَّ السَّلام هنا اسمٌ من أسماء اللّه تعالى ، والسَّلام عبارةٌ عن التحية ، وهذا هو الذي أراد ، ولكنّه شرَّفه بأنْ أضافه إلى اللّه تعالى لأنه أبلغُ في التحية ، كأنه يقول : لو وجدتُ سلاماً أشرفَ من هذا لحيّيتكم به ، ولكنّي لا أجده لأنه اسم السلام . هذا كلامه .

وقال بعض فضلاء العجم في « شرح أبيات المفصَّل » : قوله ثم اسمُ السلام عليكما ، أي : حِفْظُ اللّه عليكما ، والاسمُ مقحم ، وثمّ تستعمل في معنى الترك والإعراض . هذا كلامه ، ولا يخفى ما فيه من الخَبْط الظاهر .

وهذا البيت من أبيات للبيد بن ربيعةَ بن عامر الصَّحابيّ ، وقد تقدَّمت ترجمته في الشاهد الثاني والعشرين بعد المائة[1] .

روي أنّه لما حضرته الوفاة قال لابنتيه[2] :

تمنَّى ابنتايَ أنْ يَعيشَ أبوهُما ... وهَلْ أنا إلاَّ منْ ربيعةَ أو مُضَرْ
فقُوما وقُولا بالذي تَعْلَمانِهِ ... ولا تَخْمِشا وجْهاً ولا تَحْلقَا شعَرْ
وقُولا : هو المرءُ الذي لا صديقَه ... أضاعَ ولا خَانَ الخليلَ ولا غَدَرْ

(١) الخزانة الجزء الثاني ص٢١٦ .

(٢) ديوانه ص٢١٣ .

إلى الحولِ ثمَّ اسمُ السَّلامِ عليكمـا . . . . (البيت)

وبعد وفاته كانتا تلبسان ثيابَهما في كـلِّ يوم وتأتيـان مجلسَ جعفـر بـن كـلاب قبيلته، فترْثيانه ، ولا تُعْوِلان ، فأقامتا على ذلك حولاً كاملاً ثم انصرفَتَا .

وقوله : « تمنّى ابنتاي » هو مضارع ، وأصله تتمنّى بتاءين . وزعم بعضهـم أنّـه فعل ماض ، ولو كان كما زعم لقال تمنّت ، ولا موجب لحمله على الضرورة .

وقوله : « وهل أنا الخ » ، أي : جميع آبـائي مـن ربيعـة أو مضـر قـد مـاتوا و لم يَسلم أحدٌ منهم من الموت ، فكذلك أنا لا بدَّ لي من الموت .

وقال بعض فضلاء العجم في « أبيات المفصَّل » معناه : ومـا أنـا إلاّ مـن الكـرام الأشراف ، ومن كان منهم لا يعيش طويلاً ، لأنَّ الكرام قليلة الأعمار ، وهذا كلامه، وليس هذا معنى الشعر ، ويكذّبه أن لبيداً من المعمَّرين كما تقدم في ترجمته.

وقوله : « فقوما » ، الفاء فصيحةٌ ، لأنَّ المعنى إذا ثبـتَ أنـي مـن ربيعـة أمـوت كما ماتوا ، فقوما بعد موتي للعزاء وقولا في الرثاء ما تعلمانـه مـن الصفـات الحميـدة وابكيا إنْ أردتُما ، ولا تخمِشا بأظافيركما ولا تحلقا شعركما .

ويُقدَّر « ابكيا » لقوله ولا تخمشا الخ ، وذلك أنَّ خمش الوجه وحلـق الشـعر لا يكون إلاّ مع البكاء ، والبكاء مباح ما لم يكن فيه خمـش الوجـه وحلـق شـعر ولطـم خـدّ.

وقوله : « لا صديقه » ، مفعول مقـدم لقولـه أضـاع ، ومفعـول غـدر محـذوف وهو ضمير الخليل أو أنَّ غدَر منزَّل منزلةَ اللازم ، أي : لم يحصل منه غدرٌ لأحد .

وقوله : « إلى الحـول » متعلّـق بقولـه : قومـا ، أي : امتثِـلا مـا قلـت لكمـا إلى الحول ، وإنّما قال إلى الحـول لأنَّ الزمـان سـاعاتٌ وأيـامٌ وجُمـعٌ وشـهورٌ وسـنون ، والسِّنون هي النهاية ، فالحول والسنة مدّة هي نهاية الزمان في التقسيم إلى أجزائه .

ويمكن أن يكون ذلك لما روي في بعض الآثـار : أن أرواح الموتـى لا تنقطـع مـن التردّد إلى منازلهم في الدنيا إلى سنة كاملة ، فكأنّه إنّمـا أمرهمـا بمـا ذكـر مـن الذكـر والدُّعاء وغير ذلك ، ليشاهد ذلك منهما ، ولذلك قال : « ومن يَبْكِ حولاً الخ » .

وقال بعضهـم : إنّما وقّت بالحول لأنه مدّة عـزاء الجاهليـة ، وهـذا لا يصـحّ هنـا لأنه قائله صحابيّ . و« اعتذر » بمعنى أعذَرَ ، أي : صار ذا عذر ، كذا في الصحاح.

والخطاب في قوله : عليكما لابنتيه كما تقدّم ، ومنه يعلم غفلة [بعض[١]] شرّاح المفصَّل في قوله : المعنى بكيت عليكما ، أيها الخليلان ثم السلام عليكما ، يعني تركت البكاء فإنَّ من يبكي حولاً فقد قضى حقّ الخليل .

وعجيبٌ من صاحب « الكشف[٢] » في سورة المؤمن قوله : إنّ لبيداً قال ذلك يرثي أخاه لأمّه وهو أرْبدُ وابنَ عمه عامرَ بنَ الطُّفيل ، لما أصابهما ما أصابهما بدعوة من النبي صلّى اللّه عليه وسلّم .

﴿ تتمة ﴾

رأيت في « التّذكرة الحمدونية » أنَّ الحسن بن الحسن بنِ عليّ رضي اللّه عنهم ، لما ماتَ قامت زوجته بنتُ الحسين على قبره سنة ثم رَفعت الفُسطاط وأنشدت :

إلى الحول ثمّ السَّلام عليكما . . . . البيت

فسُمع صوتٌ من جانب القبر : أهلٌ وجدُوا ما طلبوا ، وسمع من الجانب الآخر: بل يئسوا فانقلبوا .

ومثل هذا ما رواه ابن الزّجاجيّ في « أماليه الوسطى »[٣] بسنده عن إسماعيل بن يَسَار قال : مات ابنٌ لأرطاة[٤] بن سُهيَّة المرِّيّ ، فلزم قبره حولاً ، يأتيه بالغداة فيقف عليه فيقول : أي عمرو ، هل أنت رائحٌ معي إن أقمتُ عندك إلى العشيِّ ! ثم يأتيه بالمَساء فيقول مثلَ ذلك ، فلما كان بعدَ الحول أنشأ متمثّلاً : (الطويل)

إلى الحَوْل ثمَّ اسمُ السَّلامِ عليكما . . . . البيت

وأنشد بعد هذا أبياتاً جيّدة في هذا الباب رواها الزجَّاجيّ .

* * *

(١) زيادة يقتضيها السياق .

(٢) في حاشية طبعة هارون ٣٤١/٤ : " الكشف عن مشكلات الكشاف ، لعمرو بن عبد الرحمن الفارسي القزويني المتوفى سنة ٧٤٥ . اقليد الخزانة ٩٣ " .

(٣) الخبر والبيت في أخبار أبي القاسم الزجاجي ص٨١-٨٢ .

والخبر : " .. أخبرنا المبرد ، قال : حدث المدائني عن العجلاني عن إسماعيل بن يسار قال : ..."

(٤) في طبعة بولاق : " ابن أرطاة " . وهو تصحيف صوابه من أخبار أبي القاسم ص٨١ ؛ والنسخة الشنقيطية.

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السادس بعد الثلاثمائة ، وهو من أبيات المفصَّل أيضاً[1] : (الطويل)

٣٠٦- تَدَاعَيْنَ باسمِ الشَّيْبِ في مُتَثَلِّمٍ
جَوَانِبُهُ مِنْ بَصْرَةٍ وسِلامِ

لما تقدَّم قبله : من أنّ اسماً مقحمٌ . قال الشَّلَوبين في « حاشيته على المفصَّل » : ردَّ هذا بعض المتأخرين وقال : لو كان البيت على إقحام الاسم لقال باسم شيب ، والشاعر إنّما قال باسم الشَّيب بالألف واللام ، ولفظهما غير موجود في صوت الإبل، فإنّما أراد تداعين بصوت يُشبِه في اللفظ اسمَ الشيب أعني جمع أشْيَب . انتهى.

أقول : وجود أل لا يضرّ ، فإنّها زيدت في الحكاية لا أنّها من المحكيّ . على أنّ الصّاغانيّ قال في « العباب » : الشِّيب حكايةُ أصوات مشافر الإبل عند الشرب . وأورد هذا البيت .

والنون في « تداعَين » ضمير القُلُص ، أي : النوق الشوابّ . و« المتثلم » : بكسر اللام المشدّدة ، وهو المتهدّم والمتكسّر ، أراد الحوض المتثلِّم . وجملة « جوانبه من بصْرَة » صفة المتثلِّم . و« البَصرة » ، بفتح الموحدة : حجارة رخوة فيها بياض ، وقيل تضرب إلى السواد . و« السِّلام » ، بكسر السين المهملة : جمع سَلِمة بفتحها وكسر اللام ، وهي الحجر ، وقيل الحجر الرقيق . وإنّما ذكرهما لبيان الواقع .

وهذا البيت من قصيدةٍ لذي الرُّمّة تقدّم شرح بعضها مع هذا البيت في الشاهد الثامن في أوائل الكتاب[2] . وقد وصف إبلاً وارداتٍ على حوض متهدِّم فشربن الماء ، فيقول : دعا بعضُ الإبل بعضاً إلى الشربِ بصوت مشافرها عند شرب الماء من ذلك الحوض ، أي : إذا سمع كلٌّ منها صوتَ تجرُّع الماء من الآخر ازداد رغبةً في الشَّرب ، فكانَ ذلك كأنه دعاءٌ إلى الشرب .

* * *

(١) البيت لذي الرمة في ديوانه ص١٠٧٠ ؛ وإصلاح المنطق ص٢٩ ؛ وشرح شواهد الإيضاح ص٣٠٧ ؛ وشرح المفصل ١٤/٣ ، ٨٢/٤ ، ٨٥ ؛ ولسان العرب (شيب ، بصر) . وهو بلا نسبة في الاشتقاق ص٣٥ ؛ وجمهرة اللغة ص٣١٢ ، ٨٥٨ ؛ وشرح الأشموني ٤٩٤/٢ ؛ ولسان العرب (سلم) .

(٢) الخزانة الجزء الأول ص١١٧ .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع بعد الثلثمائة[1] : (البسيط)

٣٠٧- لا يَنْعَشُ الطَّرفَ إلاَّ ما تَخَوَّنَهُ
دَاعٍ يُنَادِيهِ باسمِ المَاءِ مَبغُومُ

على أنّ اسماً مقحم . قال ابن الحاجب في « شرح المفصَّل » : النداء إنّما هو باللفظ ، فلو حمل الاسم على اللفظ لاختلّ المعنى . والذي يجعل الاسم المسمَّى في قوله ثمّ اسم السلام عليكما ، [يجعله[2]] من باب ذات يوم ، ويتأوّل قوله باسم الماء، على أن المراد بمسمًّى هذا اللفظ ، ويجعله دالاًّ على قولك ماء ، وهو حكايةُ بُغام الظّبية .

ويقوّي ذلك استعماله استعمالَ رجل وفرس بإدخال اللام عليه وخفضه وإضافته، ولولا تقديره اسماً لذلك لم يجرِ هذا المجرى . انتهى .

قال ابن جنّي في « الخصائص » : ذهب أبو عبيدة إلى زيادة الاسم في قوله ثم اسم السلام عليكما ، وفي قوله باسم الماء مَبْغُوم ، ونحن نقول إن فيه محذوفاً ، أي : اسم معنى السلام ... إلى آخر ما نقلناه عنه قبل هذا .

وزيادة الاسم هنا لا تتّجه ، لأنّ الدّاعي هنا هو الظبية ، وإنّما دعت ولدها بقولها : ماء ماء ، فلو كان على إقحام الاسم لقالت باسم ماء ماء ، والماء بالألف واللام ليس إلاّ الماء المشروب ، فكيف يريد حكايةَ صوتها ! ولكنّ الشاعر ألغزَ حيث أوقع الاشتراك بين لفظ الماء وصوتها ، كأنه اللفظ المعبَّر به عن الماءُ المشروب . كذا في حاشية المفصَّل للشّلَوبين .

وهذا كلُّه مأخوذ من كلام أبي عليّ في « إيضاح الشعر » قال : فإن قيل إنَّ هذا من قبيل غاق ، يعني الصوت ، فكيف أُلحِق لام التعريف ، وقال آخر :

* ونَادى بِها مَاءٍ إذا ثَارَ ثَورةً *

على القياس ! فالقول فيه أن قوله باسم الماء ، إن شئت قلتَ إنّ تقديره يناديه بالماء ، والاسم دخولُه وخروجهُ سواء ، كقوله : ثمَّ اسم السلام عليكما . وإن شئتَ

---

(١) البيت لذي الرمة في ديوانه ص٣٩٠ ؛ والخصائص ٢٩/٣ ؛ وشرح الأشموني ٢١٢/٣ ؛ وشرح المفصل ١٤/٣؛ ومراتب النحويين ص٣٨ ؛ والمنصف ١٢٦/١ ، ١٤٣/٣ .

(٢) زيادة يقتضيها السياق من الطبعة السلفية ٢٥٩/٤ .

جعلتَ الاسم المسمَّى على الإتباع ، لمصاحبته له وكثرة الملابسة . وإن شئت قلت : إنَّ التقدير يناديه باسم معنى الماء ، فحذف المضاف ، واسمُ معنى الماء هو الماء ، فيكون التقدير باسم ماء ، وتكون أل فيه زائدة لأنّها لم تلحق هذا القبيل ، ألا ترى أنّهم لم يلحقوه غاقِ وصه ونحوَه . انتهى كلامه مختصراً .

والبيت من قصيدة لذي الرُّمَّة تغزَّلَ فيها بمحبوبته خَرْقاء ، ومطلعُها :

أَأَنْ تَوَهَّمتَ من خَرْقاءَ مَنزلةً ... مَاءُ الصَّبابةِ من عينيكَ مَسْجُومُ[1]

ويأتي شرحه إن شاء اللّه تعالى في الحروف المشبَّهة بالفعل[2] .

وقبل البيت الشاهد :

كأنّها أمُّ ساجِي الطَّرْفِ أخْذَلها ... مَسْتَوْدَعٌ خَمَرَ الوَعْسَاء مَرْخُومُ[3]

كأنَّهُ بالضُّحى يُرْمَى الصَّعيدُ بهِ ... دبَّابَةٌ في عظَامِ الرَّأسِ خُرطُومُ[4]

لا يَنْعَشُ الطَّرفَ . . . . البيت

وقوله : « كأنَّها » ، أي : كأنّ خرقاء أمُّ غزال ساجٍ طرفهُ ، و« السَّاجي » : الساكن للحَداثة . و« أخْذَلها » ، أي : خلَّفها عن قطيعها فأقامت عليه فخُذِلتْ هي بالبناء للمفعول ، وهي خاذل وهو خاذل . و« المستودع » فاعلِ أخذلها ، وهو اسم مفعول أراد به الغزال ، يقول: استودعته أمّه خَمرَ الوعساء خوفاً عليه. و«الوعساء»: الأرض الليِّنة لا يبلغ تُربُها أن يكون رملاً . ويقال الوعساء رابيةٌ من رمل .

---

(١) هو الإنشاد الثامن والثلاثون بعد المائتين في شرح أبيات المغني للبغدادي .

البيت لذي الرمة في ديوانه ص٣٦٩ ؛ وجمهرة اللغة ص٧٢٠ ، ٨٨٦ ؛ والجنى الداني ص٢٥٠ ؛ والخصائص ١١/٢ ؛ ورصف المباني ص٢٦ ، ٣٧٠ ؛ وسر صناعة الإعراب ٧٢٢/٢ ؛ وشرح أبيات المغني ٣٠٦/٣ ؛ وشرح شواهد الشافية ص٤٢٧ ؛ وشرح شواهد المغني ٤٣٧/١ ؛ وشرح المفصل ٧٩/٨ ، ١٤٩ ؛ والصاحبي في فقه اللغة ص٥٣ ؛ ولسان العرب (رسم ، عنن ، عين) ؛ ومجالس ثعلب ص١٠١ ؛ ومغني اللبيب ١٤٩/١ . وهو بلانسبة في جواهر الأدب ص٣٥٦ ؛ وشرح شافية ابن الحاجب ٢٠٣/٣ ، ٢٠٨ ؛ وشرح المفصل ١٦/١٠ ؛ والممتع في التصريف ٤١٣/١ .

(٢) في الشاهد رقم ٨٥١ من شواهد الخزانة .

(٣) البيت لذي الرمة في ديوانه ص٣٨٦ ؛ وأساس البلاغة (رخم) ؛ وتاج العروس (ودع ، رخم) ؛ وتهذيب اللغة ٣٨٢/٧ ؛ ولسان العرب (رخم) . وهو بلا نسبة في جمهرة اللغة ص٥٩٢ .

(٤) البيت لذي الرمة في ديوانه ص٣٨٩ ؛ وأساس البلاغة (دبأ) .

و« الخَمَرَ » ، بفتح الخاء المعجمة والميم : الشجر الساتر . و« مرخوم » ، بالخاء المعجمة أي : محبوب ، يقال : ألقى عليه رَخمته ، وإن عليه الرخمة بالتحريك ، أي : محبّة .

وقوله : « كأنّه » ، أي : كأنّ الغزال في وقت الضّحى سكرانُ رماه على الصعيد الخمر . و« الصعيد » : الأرض . و« الدبَّابة » : الخمر لأنّها تدبّ في الرأس والجسم . و« الخُرطوم » : أول ما ينْزَل من الخمر ، وإنما شبّه الغزال في ضعفه وغلبة النعاس عليه وفتور عظامه بالسَّكران الذي غَلبت عليه الخمر .

وقوله : « لا يَنعَشُ الطّرفَ الخ » فاعلُ ينْعشُ ضمير ساجي الطرف ، وهو الغزال ، والطرف مفعوله ، ونَعَش كرفع معنى ووزناً ، ومضارعهما مفتوح العين .

وروي أيضاً : « لا يرفع الطرف » : يَصفه بكثرة النوم ، لأنّه يغلب على الطفل لرُطوبة مِزاجه . يقول : لا يرفع طرفه ولا جَفْنَ عينه ، من شدَّة نُعاسه ، إلاّ أن تأتي إليه أمُّه فيسمعَ حسَّها أو صوتها ، فعند ذلك ينتعش ويقوم . و« التخوُّن » : التعهد، يقال للحمَّى : تتخوَّن فلاناً ، أي : تتعهده ، وأصل التخوُّن التنقّص ، ويقال : تخوَّنني فلانٌ حقّي ، إذا تنقّصك .

قال الجوهريّ : « يقول : الغزال ناعس لا يرفع طرفه إلا أن تجيء أمّه وهي المتعهدة له ، ويقال : إلاّ ما تنقّصَه نَوْمَه دعاءُ أمّه له » . وتخوّنه فعل ماض فاعله داعٍ المرادُ به أمّه .

وأخطأ المظفّريّ في « شرح المفصل» حيث قال : تخوّنه فعل مضارع حذف منه التاء ، وداع بدل من الضمير في تخوَّنه وهي الظّبية . انتهى .

و« ما » مصدريَّة وقبلها وقت محذوف أي : لا يرفع طرفه إلاّ وقت تعهُّدها إيَّاه بهذه اللفظة وهي ماء ماء[1] ، وحكى صوتها ، وفعله من باب ضرب[2] . و« بُغام الناقة » : صوتٌ لا تَفصح به . وبَغمت الرجلَ : إذا لم تفصح له عن معنى ما تحدّثه به . قال الأصمعيّ في شرحه هنا : و«مَبْغوم » : مردودٌ إلى الصوت ، بُغِمَ به فهو مَبغوم ، كما تقول قيل فهو مقول .

---

(١) في النسخة الشنقيطية : " ما ما " . وهما لغتان ، وهناك لغة ثالثة : ماه ماه ، بالهاء الساكنة في آخرها . انظر اللسان (ما) .

(٢) كذا في طبعة بولاق والنسخة الشنقيطية .

أشار بهذا إلى أنّه صفة داعٍ ، بمعنى أنّه يجيبه ولده بماءِ ماء أيضاً . وقيل هو خبر مبتدأ محذوف أي : دعاؤه مبغوم ، فلم يذكره اكتفاءً بما في داعٍ من الدعاء ، ومعناه دعاءُ ذلك الداعي بُغامٌ غير مفهوم . وقيل فاعل يناديه . وهذان القولان تعسّف . ويناديه صفة لداعٍ ، قدم الوصف الجُمْليّ على الوصف المفرد . وقيل يناديه حال من داعٍ ، وفيه نظر لأنّه يلزم الفصل بين الصفة والموصوف .

وقد تقدّمت ترجمة ذي الرُّمَّة في الشاهد الثامن في أوائل الكتاب[1] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثامن بعد الثلثمائة ، وهو من شواهد المفصَّل[2] : (الوافر)

٣٠٨- ذَعَرْتُ بِهِ القَطَا ونَفَيْتُ عنهُ
مَقَامَ الذِّئْبِ كالرَّجُلِ اللَّعِينِ

على أن لفظ « مقام » مقحم ، وإليه ذهب الزمخشريّ في « المفصَّل » والبَيضاويّ في « اللبّ » ، قال شارحه السيد عبد اللّٰه : وفيه نظر ، لأنّه يفيد تأكيد نفي الذئب لأنّه إذا نفى موضع قيامه فقد نفاه قطعاً .

وفي قوله تعالى[3] : « ولِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّه » رعبٌ لا يفيده لو لم يذكر المقام . انتهى .

وهذا هو ما أجاب به الشارح المحقّق ، وإليه ذهب صاحب الكشّاف في حم السجدة[4] عند قوله تعالى[5] : « ونأى بِجانبه » على أنّه يوضع الجانب موضعَ

(١) الخزانة الجزء الأول ص١١٦ .

(٢) البيت للشماخ بن ضرار في ديوانه ص٣٢١ ؛ وجمهرة اللغة ص٩٤٩ ؛ وشرح المفصل ١٣/٣ ؛ ولسان العرب (لعن) ؛ والمراثي ص١٦٥ ؛ والمعاني الكبير ١٩٤/١ ؛ والمنصف ١٠٩/١ . وهو بلا نسبة في مجالس ثعلب ٥٤٣/٢؛ والمحتسب ٣٢٧/١ .

(٣) سورة الرحمن : ٤٦/٥٥ .

(٤) هي سورة فصلت التالية لسورة غافر أو المؤمن . فهي من السور ذوات الاسمين كسابقتها . أما السجدة بدون قيد فهي السورة التالية للقمان .

(٥) سورة فصلت : ٥١/٤١ ؛ وسورة الإسراء : ٨٣/١٧ .

النفس، فإنه يُنزَّلُ جانب الشيء ومكانه وجهته منزلةَ نفسهِ فيقال : حضرة فلان ومجلسه ، وكتبت إلى جانبه وجِهتِه ، والمراد نفسه ، ومنه مقام الذئب ، وهو الذئب نفسه .

وسبقهم إلى هذا ابن قتيبة في « أبيات المعاني » فإنه قال : قوله : مقام الذئب ، أراد الذئب نفسه ، أي : نفيتُ الذئب عن مَقامه .

وهذا البيت من قصيدة عدّتها أربعة وثلاثون بيتاً للشمّاخ بن ضرار ، وقد تقدّمت ترجمته في الشاهد الحادي والتسعين بعد المائة[1] مدح بها عَرابة بن أوس . وليس لذي الرمة كما زعم العلامة الشّيرازيّ في سورة الرحمن ، وتبعه الفاضل اليمني. وهذا بَعْدَ مطلِعها[2] :

وماءٍ قَدْ وَرَدْتُ لوصْلِ أَرْوَى ... عليهِ الطَّيرُ كالوَرَقِ اللَّجيْن[3]

ذَعَرْتُ بهِ القَطَا ونَفَيتُ عنهُ ... مقَامَ الذّئبِ كالرّجل اللَّعينِ[4]

إلى أن قال مخاطباً لناقته :

إذا بلّغتِني وحَملتِ رَحلي ... عَرَابَةَ فاشرَقِي بدَمِ الوَتِينِ

رأيتُ عَرابةَ الأوسِيَّ يسمُو ... إلى الخَيرَاتِ منقَطِعَ القَرينِ

أفَادَ سَماحةً وأفادَ مَجداً ... فليسَ كجامدٍ لَحِزٍ ضَنينِ

إذا ما رَايةٌ رُفِعَتْ لمَجدٍ ... تلقَّاها عَرَابَةُ باليَمينِ[5]

فنِعْمَ المرتَجَى رَكَدَتْ إليهِ ... رحًى حيزُومُها كرَحى الطَّحينِ[6]

---

(١) الخزانة الجزء الثالث ص١٨٦ .

(٢) الأبيات في ديوان الشماخ ص٣٢٠-٣٢٣ .

(٣) البيت للشماخ في أساس البلاغة (لجن) ؛ وتاج العروس (لجن) ؛ وتهذيب اللغة ١١/٨٠ ؛ ولسان العرب (لجن) ؛ والمخصص ١٠/٢٢٤ . وهو بلا نسبة في جمهرة اللغة ص٤٩٢ ؛ وديوان الأدب ١/٤٩٢ ؛ ومجمل اللغة ٤/٢٦٧ ؛ ومقاييس اللغة ٥/٢٣٥ .

(٤) البيت للشماخ في جمهرة اللغة ص٩٤٩ ؛ وشرح المفصل ٣/١٣ ؛ ولسان العرب (لعن) ؛ والمعاني الكبير ١/١٩٤ ؛ والمنصف ١/١٠٩ . وهو بلا نسبة في مجالس ثعلب ٢/٥٤٣ ؛ والمحتسب ١/٣٢٧ .

(٥) البيت للشماخ في تاج العروس (عرب) ؛ وتهذيب اللغة ٨/٢٢١ ، ١٥/٥٢٣ ؛ وجمهرة اللغة ص٣١٩ ، ٩٩٤ ؛ ولسان العرب (عرب ، يمن) ؛ ومقاييس اللغة ٦/١٥٨ .

(٦) البيت للشماخ في لسان العرب (رحا) ؛ والمخصص ٧/٤٨ ، ٥٢ .وهو بلا نسبة في جمهرة اللغة ص٥٥٢ ؛ -

إذا ضُربتْ على العلاَّتِ حطَّتْ ... إليكَ حِطَاطَ هَاديةٍ شَنُونِ
تُوائلُ من مِصَكٍّ أنصَبَتْهُ ... حَوالبُ أسهريَّهِ بالذَّنينِ[1]
متَى ينَلِ القَطاةَ يَرِكْ عليها ... بجِنْوِ الرَّأسِ معتَرِضَ الجَبينِ
شَجٍ بالرِّيقِ إذْ حَرُمتْ عليهِ ... حَصانُ الفَرجِ واسِقةُ الجنينِ
طَوتْ أحشَاءَ مُرْتِجَةٍ لوَقتٍ ... على مَشِجٍ سُلالتُه مَهينِ

إلى أن قال :

إليكَ بعَثتُ رَاحلَتي تَشَكَّى ... هُزالاً بَعْدَ مَقْحِدها السَّمينِ
إذا بَركَتْ على شَرَفٍ وألقَتْ ... عَسيبَ جِرانِها كعَصَا الهَجينِ
إذا الأرْطَى تَوسَّدَ أبرَدَيهِ ... خُدودُ جَوازِئٍ بالرَّملِ عينِ[2]
كأنَّ محَازَ لَحيَيْها حَصاهُ ... جنابا جلدِ أجرَبَ ذي غُضونِ

وهذا المقدار نصف القصيدة ، وإنّما سُقْناه لأن فيه شواهد .

وقوله : « وماء قد وردت الخ » ، الواو واو ربّ وجوابها قوله الآتي : ذَعرت . و« أروى » : اسمُ المرأة . و« اللّجين » ، بفتح اللام وكسر الجيم ، قال شارح ديوانه هنا : اللجين الذي قد رَكِبَ بعضه بعضاً فتلجَّن كما يتلجَّن الخِطْميّ ويتلزّج . ويقال[3] : اللجين : المبلول من الورق وغيره ، تقول لَجَنته ، إذا بَلَلته . انتهى .

وقال أبو عليّ الفارسيّ في « الإيضاح الشعريّ » : أما الطير فيرتفع بالظرف بلا خلاف ، وأما قوله : كالورق اللّجين فإنّه يحتمل ضربين :

أحدهما : أن يكون حالاً من الطير ، والآخر : أن يكون وصفاً للماء تقديره : وماء كالورق اللجين لوصل أروى عليه الطير .

= ومقاييس اللغة ٤٩٩/٢ .

(١) البيت للشماخ في تاج العروس (حلب ، سهر ، وأل ، ذنن) ؛ وتهذيب اللغة ٣٣٤/٢ ، ٩٧/٣ ؛ وجمهرة اللغة ص١١٩ ؛ ولسان العرب (حلب ، سهر ، ذنن) ؛ ومجمل اللغة ٣٣٤/٢ ، ٩٧/٣ ؛ ومقاييس اللغة ٣٤٨/٢ ، ١٠٩/٣ . وهو بلا نسبة في جمهرة اللغة ص٧٢٣ ؛ والمخصص ١٤٦/٢ .

(٢) البيت للشماخ في أساس البلاغة (حزأ) ؛ وتاج العروس (حزأ) ؛ والتنبيه والإيضاح ٩/١ ، ١٠/٢ ؛ ولسان العرب (حزأ ، برد) ؛ والمخصص ٧٤/٩ . وهو بلا نسبة في جمهرة اللغة ص٢٩٥ ؛ ومقاييس اللغة ٢٤٢/١ .

(٣) في طبعة بولاق : " وقال " . وهو تصحيف صوابه من النسخة الشنقيطية .

ومثل قوله : وماء كالورق اللجين في المعنى ، قولُ علقمة[١] : (الطويل)

فأوردتُـه مـاءً جِمامـاً كأنّـهُ ... مـن الأجْـنِ حِنّـاءٌ معاً وصَبيبُ

فكما شبَّه خُثورة الماء لتقادم عهده بالواردة بالحِنّاء ، كذلك شبّه الشمّاخ بالورق اللجين .

وقوله : « عليه الطير » ، على هذا ، قد حذف منه المضاف[٢] . ومثل ذلك قول الهُذَليّ[٣] : (المتقارب)

تُجيـلُ الحُبـابَ بأنفـاسِـهـا ... وتجلـو سَـبيخَ جُفـالِ النُّسَـالِ

« السبيخ » : ما نَسَل من ريش الطير .

وقال الأعشى[٤] : (الخفيف)

وقَليـبٍ أجْـنٍ كـأنّ مِن الـرِّ ... يـشِ بأرجائـهِ سُـقوطَ نِصَـالِ

وإنْ جعلت كالورق اللجين حالاً للطير ، صار فيه ضميره ، ويكـون معنى عليه الطير أنّ الطير اتخذت فيه الأوكـار لخلائه وكثرتها عليه ، وقلة من يَرِدُه ، فالطير لكثرتها عليه وتكابُسِها فيه كالورق اللجين .

ومثل ذلك في المعنى قول الراعي[٥] : (الوافر)

بدَلْـوٍ غيـرِ مُكرَبـةٍ أصابـتْ ... حَمـامـاً في جوانبـه فطَـارا

كأنّه استقى بسُـفْرةٍ فلذلـك لم تكـن مُكْرَبـة ، والطير قـد اتخـذت فيـه الأوكـار للخلاء. فقوله : كالورق اللجين ، مثل قولك صـائداً بـه وصـائد بـه ، بعد قولـك :

(١) البيت لعلقمة بن عبدة في ديوانه ص٤٢ ؛ وتاج العروس (صبب ، أجن) ؛ وتهذيب اللغة ١٢/١٢٢ ؛ وديوان الأدب ٣/٧٣ ؛ وشرح اختيارات المفصل ص١٥٨٥ ؛ وكتاب العين ٧/٩٠ ؛ ولسان العرب (صبب ، أجن) ؛ ومجمل اللغة ٣/٢٢١ ؛ ومقاييس اللغة ٣/٢٨٠ .

(٢) في سمط اللآلئ ص٦٦٣ : " قوله عليه الطير ، أراد ريش الطير ، فحذف المضاف ، وأقام المضاف إليه مقامه".

(٣) البيت لأمية بن أبي عائذ الهذلي في ديوان الهذليين ٢/١٨٢ ؛ وشرح أشعار الهذليين ص٥٠٦ . وهو بلا نسبة في مقاييس اللغة ٥/٤٢١ .

(٤) البيت للأعشى ميمون في ديوانه ص٥٣ .

(٥) البيت للراعي النميري في ديوانه ص١٤٣ .

مررت برجل معه صقر . فجعلتَه مرةً حالاً من الهاء في معه ، وأخرى صفة لرجل . انتهى .

وقال شرّاح أبيات المفصَّل : اللجين : الساقط من ورق الشجر عند الضرب بالعصا . قالوا : المعنى اجتمعت على ذلك[1] الطيرُ شبيهةً بالورق الساقط من الشجر، في اصفراره ، لأنّه في القفر فلا يرِده واردٌ من الناس .

وقوله : « ذعرت به القطا الخ » ، يريد أنّه جاء إلى الماء متنكّراً . و« ذعرت » : خوّفت ونفّرت . و« نَفيت » : طردت وأبعدت . والباء بمعنى في ، وخَصَّ الذئب والقطا لأنّ القطا أهدى الطير ، والذئب أهدى السباع ، وهما السابقان إلى الماء .

قال شارح الديوان : أي ذعرت القطا بذلك الماء ، ونفيت عن ذلك الماء مقامَ الذئب، أي : وردت الماء فوجدت الذئب عليه فنحّيته عنه . أراد مقام الذئب كالرجل اللعين المَنفيّ المُقْصَى . انتهى .

فاللعين على هذا بمعنى الطّريد ، وهو وصف للرجل ،وهو ما ذهب إليه ابن قتيبة في « أبيات المعاني » قال : اللعين المطرود وهو الذي خلعه أهله لكثرة جناياته . وقال بعض فضلاء العجم في « شرح أبيات المفصّل » : اللعين : المطرود الذي يلعنه كلُّ أحد ولا يُؤويه ، أي : هذا الذئب خليعٌ لا مأوى له كالرجل اللعين . وقال صاحب الصحاح : الرجل اللَّعين : شيء يُنْصب في وسط الزَّرع يُسْتطرَد به الوحوش . وأنشد هذا البيت .

وقد أغرب أبو عُبيد البكري في « شرح أمالي القالي » بقوله : كان الرجل في الجاهلية إذا غدر وأخفر الذمة جُعل له مثالٌ من طِين ونُصب ، وقيل : ألاَ إنَّ فلاناً قد غدرَ فالعَنوه ، كما قال الشاعر[2] : (الكامل)

فَلَنقْتُلَـنَّ بخالـدٍ سَـرَوَاتِكُـمْ ... ولَنجْعَلَـنَّ لظالـمٍ تِمثـالا[3]

فالرجل اللعين هو هذا التمثال[4] . هذا كلامه . فليُنظَر على هذا ما معنى البيت.

---

(١) الإشارة إلى الماء .

(٢) في سمط اللآلئ : " كما قال عبد الله بن جعدة " .

(٣) بعده في سمط اللآلئ : " يعني خالد بن جعفر ، وقتل الحارث بن ظالم له " .

(٤) في حاشية الطبعة السلفية ٤/٢٦٥ يقول الميمني : " .. وليس فيه إغراب إلا من جهة أن الذين أخذ عنهم لم يقولوا به . ثم رأيت هذا الكلام بعينه في كتاب الأزمنة ٢: ١٧٠ عن ابن الكلبي " .

وكذلك في قول أبي عبيدة خفاءٌ حيث قال : إنّما يريد مقام الذئب اللعين كالرجل ، نقله عنه ابن قُتيبة : في « أبيات المعاني » ، وأبو عليّ : في « المسائل البصرية » .

وقوله : « إذا بلغتِني وحملتِ رحلي » ، البيت ، قال المبرّد في « الكامل[1] » : «قد أحسن كلَّ الإحسان في هذا البيت ، يقول : لست أحتاج إلى أن أرحل إلى غيره. وقد عاب بعضُ الرواة قولَه : فاشْرَقي بدَم الوَتين ، وقال : كان ينبغي أن ينظر لها مع استغنائه عنها » .

وتقدّم نقل ما اعترض الناس عليه في هذا البيت بسوء مكافأته لناقته في الشاهد الستين بعد المائة[2] .

وقوله : « أفاد سماحة الخ » قال الجوهريّ : أفدت المال : أعطيته غيري ، و«أفدته» : استفدته . و« الجامد » بالجيم ، اليابس ، كناية عن الشُحّ . و« اللَّحِز »، بفتح اللام وكسر الحاء المهملة وآخره زاء معجمة ، هو البخيل الضيّق الخلق . و«الضَّنين» : البخيل .

وقوله : « تلقّاها عَرابةُ باليمين » ، قال شارح الديوان : اليمين القوّة ، قال اللّه تعالى[3] : « لأَخَذنا مِنْهُ بِاليمين » . وقال بعضهم : بيمينه لا بشماله . واليمين عندهم أحمدُ من اليُسرى .

وقال المبرّد في « الكامل »[4] : قال أصحاب المعاني : معناه بالقوة . وقالوا مثلَ ذلك في قوله تعالى[5] : « والسَّموات مَطْوِيَّات بِيَمِينهِ » . قال المبرّد : وكان هذا الشعر سبب ارتفاع عَرَابة بن أوس .

وسبب الشعر أنّ عَرَابة قدِم من سفر[6] ، فجمعه والشمّاخَ الطريقُ فتحادثا ، فقال له عَرابة : ما الذي أقدمك المدينة ؟ قال : قَدِمتُ لأمتارَ مِنها ، فملأ له عَرابةُ

(١) الكامل في اللغة ٧٦/١ . وانظر فيه قصة الأنصارية المأسورة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(٢) الخزانة الجزء الثالث ص٣٢ وما بعدها .

(٣) سورة الحاقة : ٤٥/٦٩ .

(٤) الكامل في اللغة ٧٦/١ .

(٥) سورة الزمر : ٦٧/٣٩ .

(٦) الخبر في الكامل في اللغة ٧٦/١ .

رواحلهُ بُرّاً وتَمْراً وأتْحفَه بغير ذلك ، فقال الشمّاخ هذا الشعر .

وقال معاوية لعَرابة بن أوس[1] : بمَ سُدْتَ قومَك ؟ قال : لستُ بسيِّدهم ولكنّي رجلٌ منهم . فعزَم عليه ، فقال : أَعطيت في نائبتهم ، وحَملت عن سفيههم ، وشددت على يدي حليمهم ؛ فمن فعل منهم مثلَ فعلي فهو مثلي ، ومن قصّر عنه فأنا أفضل منه ، ومن تجاوزني فهو أفضل منّي .

وقوله : « فنعم المرتجى الخ » ، المخصوص بالمدح محذوف ، أي : عَرابة . ورَكَدتْ إليه ، أي : برَكَت عند عَرابة ، ويقال دام سيرُها إليه ، والراكد : القائم . ورَحى حَيزومِها أي : كِركِرتها ، قال الجوهريّ : « والكِركِرةُ بالكسر : رحَى زورِ البعير » . والإبل توصف بصِغر الكِركِرة ، وشبَّه رَحى حَيزومِها برحَى الطّحين في الصّلابة لا في العِظَم ، فإنه عيب .

وقوله : « إذا ضُربت على العِلاَّت الخ » ، يقول : إذا ضُربت على ما كان بها من عِلّة حَطّت إليك ، أي : اعتمدت عليك اعتمادَ هاديةٍ أي : أتان متقدمة . و«الشَّنُونُ » ، بفتح الشين المعجمة وضمّ النون ، بين السمين والمهزول .

وقوله : « تُوائِل مِنْ مِصَكٍّ الخ » ، « تُوائل » تُفَاعِلُ ، من وَأَل بمعنى نجا ، أي : تنجو وتهربُ تلك الأتان من مِصكّ ، أي : حمار شديد ، بكسر الميم وفتح الصاد المهملة ، والكاف مشددة . و« أنصبَته » : من النَّصَب وهو التعب . و« حَوالبُ » فاعل أنصَبته ، وهي ما تَحلَّب وسال من أنفه وذكَره ؛ أي : ذكرهُ يذِنّ بماء ظهره فهُما[2] حوالب أسهريه ، لشدَّة شبَقه .

و« الذَّنين » ، بفتح الذال المعجمة ونُونَين[3] الشيء الذي يسيل ويجري ، وقد ذَنَّ يذِنُّ ذَنيناً ، إذا سال وجرَى .

وقال أبو عبيدة : حَوالب أَسهريه هما عِرقا الذكَر اللذان يظهران إذا أنعَظ . ويقال الأسهران : عرقان في أَصل القفا يجري فيهما الماء حتّى يبلغ الذكر . ويقال : الذنين : الذكر . كذا قال شارح الديوان .

---

(١) الأغاني ١٦٨/٩ .

(٢) في طبعة بولاق والنسخة الشنقيطية : " فهي حوالب " . وهو تصحيف . وقد صححها الشنقيطي في نسخته .

(٣) في طبعة بولاق والنسخة الشنقيطية : " وتذنين الشيء " . وهو تصحيف ؛ وقد صححها الشنقيطي في نسخته.

وقوله : « متى ينل القطاة الخ » ، أي : متى ينل الحمارُ قطاة الأتان ، وهو موضع الرِّدف ، يَرِكْ عليها أي : يتورَّك عليها . و« حِنْوِ الرأس » ، بكسر المهملة : جانب الرأس . وقوله : « معترِضَ الجَبين » ، أي : جَبينه في ناحية من شدَّة نشاطه .

وقوله : « شَجَّ بالرِّيق » ، أي : غصّ ذلك الحمارُ بريقِهِ إذْ حَرُمت عليه ، وذلكَ أنّها حَاملٌ ، وهي محصَنَة الفرج ، يعني الأتان . و« الواسقة » : الحاملة . و«الجَنين»: الولد في بطنها . فليس في الأرض أنثى تحمل فتمكن الفحلَ ما خَلا المرأة .

وقوله : « طوَت أحشاء الخ » ، أي : هذه الأتان ضمَّت أحشاءَ مُرتِجَة ، أراد رَحِمَها ، أي : أغلقتْ رَحِمَها على ماء الفحل . و« المَشِجُ » ، بفتح الميم وكسر الشين: ماء الفحل مع الدم ، وقيل ماء الفحلِ والأتان جميعاً يختلطان . و« سُلالته » أي : ماؤه ، وهو فاعل مَشِج ، ويقال : السلالة الولَد ، وهو الرقيق . و« مَهين » : ضعيف ، وهو صفة مَشِج .

كذا قال شارح الديوان . وهذا البيت أورده صاحب الكشّاف عنه قوله تعالى[1]: « أمْشَاجٍ نَبتَلِيهِ » ، على أنّه يقال : مَشِجٌ كما يقال أمشاج وكلاهما مفرد.

قال شارح شواهد التفسيرين خَضْرٌ الموصليّ : يجوز أن يكون سلالته مبتدأ وخبره مهين ، وإنّما لم تُؤَنَّث إمَّا لأنّه فعيل بمعنى مفعول أو بمعنى فاعل لكنه حمل عليه ، أو لأنَّ المراد شيء مهين . والجملة صفة لمشج . هذا كلامه .

وقد غفل عن القوافي مع أنه أورد القصيدة فإنّها مجرورة ، فمهين مجرور لا مرفوع حتّى يصح أن يقع خبر المبتدأ .

والمعنى أنّ هذه الأتان أطبقت رَحِمَها إلى وقت الولادة على النُّطفَة ، فلا تمكِّنُ الحمار منها ، فهي تهرُب منه بأشدِّ ما يكون ، فناقة الشمّاخ تشبه هذه الأتانَ في الإسراع للتوجُّه إلى هذا الممدوح .

وقوله : « إليك بعثت الخ » ، « المَقْحد »، بفتح الميم وسكون القاف وكسر الحاء المهملة : السَّنام .

وقوله : « إذا بَرَكتْ على شَرَف الخ » ، « الشَّرَف » ، بفتحتين : الموضع العالي. و« العسيب » هنا : عظمُ العُنق ، ويأتي بمعنى عَظْم الذنَب . و« الجِران »

(١) سورة الإنسان : ٢/٧٦ .

بكسر الجيم : باطن العنق ، وَهـو الـذي يمسّ الأرض عند مـدّ عنقـه عليهـا . وشبّه العَسيبَ بعصا الهَجين لخفّته وطوله . وخصَّ الهجـينَ لأنَّ العبيـد كـانوا يرعَـون الإبـلَ ويستجيدون العصا . وجواب إذا هو قوله : كأن مَحاز لحييها البيت الآتي .

وقوله : « إذا الأرْطَى توسَّدَ الخ » ، هذا البيـت مـن أبيـات أدب الكـاتب لابـن قتيبة . و« الأرْطَى » : شجرٌ من أشجار البادية تُدبَغ به الجلـود ، وهـو مفعـول لفعـل محذوف ، أي : إذا توسَّد الأرْطى . وأبردَيه بدل اشتمال من الأرْطى . ومعنـى توسّـد أبرديه اتخذهما كالوِسادة . والأبردان ، الظل والفيء ، سمِّيا بذلك لبردهما . والأبردان أيضاً : الغداة والعَشي . وخدودُ فاعل توسّد .

والجوازئ : الظباء . وبقر الوحش سمِّيت جوازئ ، لأنّهـا احتزأت بـأكل النبت الأخضر عن الماء ، أي : اكتفَت به واستغنت عن شرب الماء . و« العِين » الواسـعات العيون ، جمع عيناء . والمعنى أنَّ الوحوش تتخذ كِناسَين عن جانبي الشجر تستتر فيهما من حَرّ الشَّمس، فترقد قَبلَ زوال الشمس في الكِناس الغربي ، فإذا زالت الشـمس إلى ناحية المغرب وتحـول الظلُّ فصار فَيئاً زالت عن الكِنـاس الغربـيّ ورَقـدت في الكِنـاس الشـرقيّ.

والمعنى أنه قطعَ الفَلاة في الهَاجرَة حينَ تَفِـرّ الوحـوشُ مـن حـرِّ الشـمس . يمـدح نفسَه بذلك ويوجب على الممدوح رعايةَ حقِّه . فقوله : إذا الأرطـى ، ظـرف لقولـه بعثت في البيت السابق ، وليس شرطيَّة حتّى يقدّر لها جزاء ، خلافاً لابن السيد .

وقوله : « كأنّ محازَ لَحيَيها الخ » ، هذا جـواب إذا الأولى . أخـبر أنهـا تطـأطئ رأسَها من الذُّباب فتَلزقه بالحصى فتدفع الحصَى بلحييها . فأخبر أنّ تلـك الأرض الـتي دفعت الحصى عنها ، كأنّها جلدُ أجرَب لم يبقَ عليه من الوبر إلاّ القليل .

يقول : تقع مُعْيِيةً فتمد جرانَها فتَفحص التراب والحصَى ، فكـأنّ ذلـك الفحـص جِناباً « بكسر الجيم » أي : ناحيتا جلدٍ أجرب . وضمير حصاه للرمل .

وقد ذكر أبو الفرج الأصبَهانيّ في الأغاني[1] حكايةً مستظرفة ، لقوله إذا الأرْطى توَسَّدَ أبرديهِ[2] البيت ، فرأيت ذكرها في هذا الموضع .

---

(١) الأغاني ٩/١٧٠ .

(٢) في طبعة بولاق : " أسد أبرديه " . وهو تصحيف صوابه من النسخة الشنقيطية .

عن المدائنيّ أنّ عبد الملك بن مَرْوان نَصب الموائدَ يُطعِم الناس ، فجلس رجلٌ من أهل العراق على بعض الموائد ، فنظر إليه خادمٌ لعبد الملك فأنكره فقال : أعراقيٌّ أنت[1]؟ فقال : نعم ! فقال : بل أنت جاسوس ! قال : لا[2] ، [قال : بلى . قال:] ويحكَ ! دَعْني أتَهنأ طعامَ أميرِ المؤمنين ولا تنغّصه عليَّ[3] . ثمَّ إن عبد الملك أقبل يطوف على الموائد فوقف على تلك المائدة فقال :

من القائل :

* إذا الأَرْطى توسَّد أبردَيه *

وما معناه ؟ ومن أجاب فيه أجزناه . فقال العراقيّ للخادم : أتحبُّ أن أشرح لك ذلك[4] ؟ قال : نعم ! فقال : هذا البيت يقوله عَديُّ بن زَيد في صفة البطّيخ الرمسي. فنهض الخادمُ مسروراً إلى عبد الملك فأخبره ، فضحك عبد الملك حتّى سقط ، فقال له الخادم : أخطأتُ يا مولاي أم أصبت ؟ فقال : بل أخطأت . فقال : هذا العراقيُّ لقّنني إياه[5] . فقال : أيُّ الرجال هو[6] ؟ فأراه إياه .

فقال : أأنت لقنته هذا ؟ فقال : نعم . فقال : صواباً لقّنتَه أم خطأ ؟ فقال : بل خطأً . فقال : ولِمَ ؟ قال : لأني [كنتُ] متحرماً[7] بمائدتك فقال لي كيت وكيت ، وأردت أن أكفّه عنّي وأضحككَ منه . فقال له عبد الملك : فكيف الصواب ؟ فقال : هذا البيت يقوله الشمّاخ بن ضرار في صفة البقر الوحشيّة التي جزأت بالرُّطْب عن الماء ، فقال : صدقت وأمرَ له بجائزة ، ثم قال له : أَلكَ حاجة ؟ قال : نعم ، قال : وما هي قال : تُنحّي هذا عن بابك ، فإنه يَشينُه .

* * *

(١) في النسخة الشنقيطية : " أعرابي أنت " . وهو تصحيف صوابه من الأغاني ٩/١٧٠ .

(٢) زيادة يقتضيها السياق من الأغاني ٩/١٧٠ .

(٣) في الأغاني : " دعني أتهنأ بزاد أمير المؤمنين ولا تنغصني به .." .

(٤) في الأغاني ٩/١٧١ : " أن أشرح لك قائله وفيم قاله ؟ " .

(٥) في الأغاني : " هذا العراقي فعل الله به وفعل لقننيه " .

(٦) في طبعة بولاق والنسخة الشنقيطية : " أي الرجل هو " . وقد أثبتنا رواية الأغاني .

(٧) في طبعة بولاق : " لأني متحرياً " . وفي النسخة الشنقيطية : " لأني متحرم " . مع أثر إصلاح . والزيادة والتصويب من الأغاني .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التاسع بعد الثلثمائة[1] : (الطويل)

٣٠٩- فقُلْتُ انجُوَا عنْها نَجا الجِلْدِ إنَّهُ
سَيُرْضِيكُمَا منْها سَنَامٌ وغارِبُهْ

على أنّ الفرَّاء يجيز إضافة الشيء إلى نفسه إذا اختلف اللفظان ، كما في البيت ، فإن النَّجاء والجِلْد مترادفان ، وقد تضايفا .

وهو معنى قول المراديّ في« شرح الألفيَّة » : نَجا الجلد من إضافة المؤكّد إلى المؤكَّد ، قال صاحب الصحاح : النَّجا مقصورٌ من قولك : نجوتُ جلدَ البعير عنه وأنجيته ، إذا سلخته .

قال الشاعر يخاطب ضَيفَين طَرَقاه :

فقلتُ انجُوَا عنْها نَجَا الجلد إنّه . . . . البيت

قال الفرّاء[2] : أضاف النَّجا إلى الجلد لأنَّ العرب تضيف الشيء إلى نفسه إذا اختلف اللفظان ، كقولك : عَين اليقين ، ولدارُ الآخرة . والجِلد نجاً مقصور أيضاً . انتهى .

وقال القالي في « المقصور والممدود » : والنَّجا ما سلخته عن الشاة والبعير ، يُكتب بالألف ، لأنّه من نجا ينجو[3] . وأنشد هذا البيت عن الفرّاء عن أبي الجرّاح . فيكون أصله نَجَو بالتحريك ، قلبت الواو ألفاً لتحرُّكها وانفتاح ما قبلها .

قال الزَّجاجيّ في « تفسيره » عند قوله تعالى[4] : « لا خَيْرَ في كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ» : معنى النَّجوى في الكلام ما تنفرد به الجماعة أو الاثنان ، سرّاً كان أو ظاهراً . ومعنى نجوت الشيء في اللغة خلَّصته وألقيته ، يقال نجوت الجلد : إذا ألقيتَه عن البعير وغيرِه ، وأنشد هذا البيت .

---

(١) البيت لأبي الجراح في المقاصد النحوية ٣/٣٧٣ . وهو بلا نسبة في إصلاح المنطق ص٩٤ ؛ وجمهرة اللغة ص٤٩٧ ؛ وشرح الأشموني ٢/٣٠٧ ؛ ولسان العرب (نجا) ؛ والمراثي ص١٨٣ .

(٢) اللسان (نجا) .

(٣) في المراثي ص١٨٣ يقول اليزيدي : " وسمعت أبا جعفر يقول : يقال : جلدتُ البعير ونجوته ، إذا سلخته . وأنشد ... البيت " .

(٤) سورة النساء : ٤/١١٤ .

وقال أبو القاسم عليّ بن حمزة البَصريّ في « التنبيهات على أغلاط الرواة » : لا يقال في الإبل سَلَخت ، وإنّما يقال فيها خاصَّة نجوت وجلّدت .

قال أبو زياد : نجوت جلدَ البعير وجلّدت البعير تجليداً ، ولا تقول سلخت إلاَّ لعنقه ، فإنهم يقولون ذلك فيه دون سائر الجسد .

وقال ابن السيرافيّ في « شرح أبيات إصلاح المنطق » : يريد قشّرا عنها لحمها وشحمَها ، كما يقشّر الجلد ، فإنها سمينة . وغاربُها : ما بين السَّنَامِ والعُنُق .

ويؤخذ من هذا التفسير أن النجا هنا اسم مصدر بمعنى النجْو ، منصوبٌ على أنّه مفعول مطلق وليس اسماً للجلد . فلا يكون كما قاله الفرَّاء . فتأمَّلْ .

ورأيتُ في « حاشية الصحاح » لابن بَرِّيّ نسبةَ هذا البيت لعبد الرحمن بن حسَّان بن ثابت رضي اللّه عنه .

ونقل العينيّ عن « العباب للصاغاني » أنّه لأبي الغَمْر الكِلابيّ[1] ، وقد نزل عنده ضَيفانِ فنحر لهما ناقةً ، فقالا : إنّها مهزولة . فقال : معتذراً لهما : « فقلت انجوا الخ» .

قال : وقبلَه بيتان آخران وهما :

وردْتُ وأهلي بينَ قوٍّ وفَرْدةٍ	على مَجزِرٍ تَأْوى إليهِ ثعالبُهْ
فصادَفتُ خيرَى كَاهلٍ فاجآ بها	يَشُفَّانِ لحماً بانَ منه أطَايبُهْ

وقد فتّشت العُباب فلم أظفر فيه بشيء مما قاله ، واللّه أعلم بحقيقة الحال . وقَوٌّ - بفتح القاف وتشديد الواو - هو وادٍ بالعقيق عَقيق بني عُقَيل . وفَردة - بفتح الفاء وسكون الراء بعدها دال - ماءٌ من مياه نجدٍ لجَرم . كذا في معجم البكريّ .

و«مجزِر» بكسر الزاي موضع الجَزْر . و« كاهل » : أبو قبيلة ، وهو كاهل بن أسد بن خزيمة . و« فاجآ » : أي أتَى بَغتة . و« يَشُفَّان » : من شفّه الهمّ يَشُفّه

(١) في حاشية طبعة هارون ٤/٣٦٠ : " وفي العيني ٣: ٣٧٣ نسبة الشعر أيضاً إلى أبي الجراح ، نقلاً عن القالي في المقصور والممدود . وأبو الغمر هذا غير أبي الغمر الجبلي الذي ترجم له البكري في السمط ٤٤٣ وذكر أنه كان كاتباً لأبي دلف العجلي أو لابن عمه . و هو من شعراء الجبل . وهو أيضاً غير أبي الغمر الطمري الذي ترجم له المرزباني في معجمه ٤٨٥ وذكر في الأشباه والنظائر للخالديين ٢: ٥ وصحف بأبي العمر الطبري " .

بالضم أي : هَزَله ، أي : اللحم الذي ظهر منه أطايبُه قالا إنه مهزول .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد العاشر بعد الثلثمائة[١] : (الخفيف)

٣١٠- مَـلِكٌ أَضْلَـعُ البَـرِيَّـةِ لا يُـو
جَـدُ فيْهـا لـما لَـدَيْـهِ كِـفَـاءُ

على أنَّ إضافة أفعل التفضيل عند أبي بكر بن السَّراج ومن تبعه لفظيّة لا تفيد تعريفاً ، بدليل هذا البيت ، فإنَّ أضْلَع البَريَّة وقع نعتاً للملك ، وهو نكرة ، فلو كانت تفيد التعريف لما صحّ وقوعه نعتاً لنكرة .

قال أبو عليّ في « التذكرة القصريّة » : قال أبو بكر ، في أفعل الناس نحو أشرف الناس وأفضل القوم : إنَّ هذه الإضافة في تقدير الانفصال ، لأنَّ ما تضيفه من هذا القبيل ينبغي أن يكون بعضَ ما يضاف إليه ، بدلالة امتناع زيد أفضل الحمير ، فيجب أن يقدّر الانفصال ، وإلاّ لم يَجزْ ، لئلاّ تضيف الشيء إلى نفسه .

فإن قلت : فإنّ ما يقدّر فيه الانفصال نجد فيه معنى الفعل ، نحو ضارب وليس في أفعل معنى الفعل ؛ قيل : هذا وإن قصَّرَ عن فاعل فإن فيه معنى الفعل لنصبه الظرف في بيت أوس : « أحوج ساعةً[٢] » ، ووصولِه تارةً بالحرف وأخرى بنفسه نحو « أعْلَمُ بمن » و« أعلَمُ من » ، وهذا مما يختصّ بالفعل .

فإن قلت : إذا قدَّرت فيه الانفصال اقتصرت به على النكرة كضارب زيد .

---

(١) البيت للحارث بن حلزة اليشكري من معلقته المشهورة وهو في ديوانه ص٢٩ ؛ وشرح القصائد العشر للتبريزي ص٣٩١ ؛ وشرح المعلقات السبع ص٢٢٧ ؛ وشرح المعاقات العشر ص١٢٢ .

ورواية الديوان :

* ملك أضرع البرية .....*

(٢) قطعة من بيت لأوس بن حجر وتمامه (الطويل) :

فإنّا وجدنا العرض أحوج ساعةً إلى الصوت من ريطٍ ملاءٍ مسهَّمِ

والبيت في ديوان أوس ص١٢١ ؛ وشرح شواهد الإيضاح ص١٦٧ ، ٣٥٣ ؛ وشرح المفصل ٦١/٢ ؛ ولسان العرب (سهم ، صون) . وهو بلا نسبة في تذكرة النحاة ص١١٣ ؛ وشرح شذور الذهب ص٥٣١ ؛ وشرح المفصل ١٠٤/٦ .

قال[1] : « فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الخَالِقِين » . فالجواب عندي نعم ، وذلك قوله : «ملك أضْلَع البريَّة البيت » . وأما قوله : أَحْسَنُ الخالقين فيكون مقطوعاً ، أي : هو أحسن الخالقين ، لأنّه موضع ثناء . انتهى .

وهذا البيت من معلّقة الحارث بن حِلِّزة ، وهي سابعة المعلّقات السبعة[2] ، وقد تقدَّم جانب منها مع ترجمته في الشاهد الثامن والأربعين[3] وقطعة في الشاهد الثامن والثلاثين بعد المائتين[4] ونقلنا في الموضعين[5] سبب نظمه لهذه المعلقة ، وفي الشاهد الثامن والثمانين بعد المائة أيضاً[6] .

وقبل البيت الشاهد :

فملَكْنَا بذلكَ النَّاسَ حتَّى ... مَلَكَ المُنْذِرُ بنُ مَاءِ السَّماءِ[7]

وهو الرّبُّ والشَّهيدُ على يو ... مِ الحِيَارَينِ والبَلاءُ بَلاءُ[8]

ملكٌ أضْلَعُ البريَّةِ ... . البيت

(١) سورة المؤمنون : ١٤/٢٣ .

(٢) في طبعة بولاق : " السبع " . وهما وجهان جائزان في العربية ، فالعدد إذا وقع وصفاً جاز فيه المطابقة وعدمها.

(٣) الخزانة الجزء الأول ص٣١٦ .

(٤) الخزانة الجزء الثالث ص٣٨٣ .

(٥) في حاشية الطبعة السلفية ٢٧٣/٤ : " الصواب : (في الموضع الأول) وليس في الثاني ذكر لسبب النظم " .

(٦) الخزانة الجزء الثالث ص١٦٩ وما بعدها .

(٧) البيت للحارث بن حلزة في ديوانه ص٢٩ ؛ وشرح القصائد السبع ص٤٧٤ ؛ وشرح القصائد العشر للتبريزي ص٣٩٠؛ وشرح المعلقات العشر ص١٢٢ ؛ والشعر والشعراء ٢٠٤/١ ؛ ولسان العرب (قوا) ؛ ومعاهد التنصيص ٣٢٠/١.

وفي حاشية شرح القصائد العشر للتبريزي ص٣٩٠ : " وقال ابن الأنباري : " قال أبو محمد التوزي : سمعت الأصمعي يروي هذا البيت ، سنة ثمانين ومائة . قال : وأنا سألته عنه . وقال الأصمعي : أنشدني هذا البيت حَرْدُ ابن المسمعي وقال : لا يضره إقواؤه ... وقال أبو الحسن الأثرم ويعقوب بن السكيت : لا يتمّ معنى : وهو الرب والشهيد ، إلا بهذا البيت الذي أقوى فيه " .

(٨) البيت للحارث بن حلزة في ديوانه ص٢٩ ؛ وتاج العروس (ربب ، حير) ؛ وشرح القصائد السبع ص٤٧٥ ؛ وشرح القصائد العشر ص٣٩٠ ؛ وشرح المعلقات السبع ص٢٣٦ ؛ وشرح المعلقات العشر ص١٢٥ ؛ ولسان العرب (ربب ، حير) ؛ ومعجم البلدان ٣١٥/٢ .

وقوله : « فملكنا بذلك » ، في هذا البيت إقواء ، فإنّه مجرور القافية . وقيل هـذا البيت منحول إليه ، ليس من القصيدة .

وقوله : « بذلك » ، يعني بالعزّ والامتناع وبالحروب التي كـان الغَلَـبُ لنـا فيهـا ذلّلنا الناسَ حتّى ملك المنذر بن ماء السماء .

وقوله : « وهو الربُّ الخ » ، الربُّ عنَى به المنذر بن ماء السماء . و« الربُّ » ، في هذا الموضع : السيد . و« الشهيد » الحاضر . و« الحِيارَان » : بلدٌ ، وهـو بكسـر الحاء المهملة بعدها مثنّاة تحتيّة . يخبر أنَّ المنذر كان شهد يوم الحيارين . فإنَّ المنذر غـزا أهلَ الحيارَينِ ومعه بنو يشكُر ، فأبلَوا بلاءً حسناً ، وكـان البـلاءُ في ذلـك اليـوم بـلاء عظيماً .

وقوله : « ملكٌ أضلعُ الخ »، خبرٌ آخـرُ لقولـه هـو ، فيكـون مشـاركاً لـلرب في الخبريّة ، فإنَّ الأخبار يجوز أن يأتي بعضها بالعطف وبعضها بدونه كما هنا . و«أضلع البريَّة » أي : أشدُّ البرية إضطلاعاً[1] لِمَا يُحَمَّلُ ، أي : هو أحمـل النـاس لمـا يُحْمَـل ، من أمر ونهي وعطاء وغير ذلك .

وقوله : « لايوجد فيها الخ » ، معناه ليس في البرية أحدٌ يكافئه ، ولا يستطيع أن يصنع مثلَ ما يصنع من الخير . و« الكِفاء » ، بالكسر : المِثْل والنظير ، يقـال : فـلان كِفاءٌ لفلان ، أي : كُفء له ونظير .

وروي : « مَلِكٌ أضرَعَ البَريَّة » على أنَّه فعل ماض ، أي : أذلّ البريةَ وقهرَهـا ، فما يوجد فيهم من يُساويه في معاليه ، وحينئذ لا شاهد في البيت .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الحادي عشر بعد الثلاثمائة[2] : (الطويل)

---

(١) في طبعة بولاق : " أضلاعاً " . وهو تصحيف . وصوابه بكسر الهمزة لأنه جاء على وزن " إفعال " . والشرح في شرح القصائد العشر ص٣٩١ . ولقد أثبتنا رواية التبريزي في شرحه للقصـائد العشـر . والإضـلاع والإضطـلاع واحد وهو القوة على تحمل الشيء .

وفي حاشية شرح القصائد العشر للتبريزي ص٣٩١ . يقـول محقـق الكتـاب د. فخـر الديـن قبـاوة : " كـذا أيضـاً ! والصواب " بما " كما في النحاس . إلا إذا ضُمِنَ الاضطلاع معنى الاحتمال " .

(٢) البيت لزيادة – أو زياد – الحارثي في الحماسة برواية الجواليقي ص٧٦ ؛ وشرح الحماسة للأعلم ٢٤٩/١ ؛ –

٣١١- ولَمْ أرَ قوماً مِثْلَنا خَيْرَ قَوْمِهِمْ
أقلَّ بِهِ مِنَّا عَلى قَوْمِهِمْ فَخْرَا

لما تقدَّم قبله ؛ فإنّه وصف النكرة وهي قوماً بخير ، وهو بمعنى التفضيل ، ولو كانت الإضافة معنوية للتعريف لما وقع صفة للنكرة .

قال الشَّلَوبين في « حاشية المفصَّل » : هذا إذا جعلت خيراً للتفضيل ؛ فإن جعلتَ خيراً فيهما من الخير الذي هو ضدّ الشرّ ، لم يكن من هذا الباب .

وجوَّز شُرَّاح الحماسة[1] أن يكون خيرَ قومهم بدلاً أيضاً من قَوما ، لكنْ قال ابن جنّي في « إعراب الحماسة[2] » : في هذا البيت شاهدٌ لجواز : مررت برجل أكرم أصحابه على أصحابه ، على الصّفة ، لأنّها هنا أظهر من البدل ، والهاء في به ضمير الخير الذي دلّ عليه قوله : خير قومهم ، وليس الثاني هو الأوّل ، لأن خيراً الأوّل صفة، والثاني المقدّر مصدر ، كقولك : أنا أوثر الخير وأكره الشر ، فدلّت الصفة على المصدر .

كقول الآخر[3] : (الوافر)

إذا نُهِي السَّفِيهُ جَرَى إليهِ وخالَفَ والسَّفيهُ إلى خِلافِ

انتهى

وقوله : « أقل » ، بالنصب مفعول ثان لقوله : لم أر . وفخراً تمييز . وتقدير البيت: لم أر خير قومٍ مِثلنا أقلَّ بذلك فخراً منّا على قومنا .

والمعنى إنّا لا نبغي على قومنا ولا نتكبَّر عليهم ، بل نعدُّهم أمثالنا ونظراءنا فنباسطهم ونوازنهم قولاً بقول ، وفعلاً بفعل .

وهذا البيت أولُ أبيات ثلاثةٍ مذكورة في «الحماسة» لكن جميع النسخ والشروح

- وشرح الحماسة للتبريزي ١/١٣٠ ؛ وشرح الحماسة للمرزوقي ص٢٤٤ .

(١) انظر في ذلك شرح الحماسة للتبريزي ١/١٣٠ .

(٢) إعراب الحماسة ص٥٢ مخطوطة أحمد الثالث نقلاً عن حاشية طبعة هارون ٤/٣٦٤ .

(٣) البيت لأبي قيس بن الأسلت الأنصاري في إعراب القرآن ص٩٠٢ ؛ والأشباه والنظائر ٥/١٧٩ ؛ وأمالي المرتضى ١/٢٠٣ ؛ والإنصاف ١/١٤٠ ؛ والخصائص ٣/٤٩ ؛ والدرر ١/٢١٦ ؛ وشرح الحماسة للمرزوقي ص٢٤٤ ؛ ومجالس ثعلب ص٧٥ ؛ والمحتسب ١/١٧٠ ، ٢/٣٧٠ ؛ وهمع الهوامع ١/٦٥ .

[تجتمع] على إسقاط الواو من قوله : و لم أر قوماً ، على أنه مخروم[1] . والبيتان اللذان بعدهما[2]:

وما تَزْدَهينا الكِبْرياءُ عليهِمُ … إذا كلَّمونا أنْ نكلِّمَهُمْ نَزْرا

ونحنُ بنُو ماءِ السَّماءِ فَلا نَرَى … لأنفُسِنا منْ دونِ مَملكةٍ قَصْرا

زهاه وأزهاه بمعنى تكبَّر ، و« الزَّهو » : الكبر والفخر . و« نزراً » أي : قليلاً، وهو مفعول مطلق ، أي : كلاماً قليلاً ، والمعنى لا يستخفّنا الكِبْرُ ، إلى أن نتعلّى عليهم ، ونقلّل الكلام معهم ترفّعاً عن مساواتهم ، بل نباسطهم ونكاشرهم في القول والسؤال ، إيناساً لهم وتسكيناً منهم .

و« ماء السماء » ، قال في الصحاح : هو لقب عامر بن حارثة الأزديّ ، وهو أبو عمرو مُزَيقيا الذي خرج من اليمن لما أحسّ بسَيل العَرِم ، فسمِّي بذلك ، لأنّه كان إذا أجدب قومه مانَهُمْ حتّى يأتيهم الخصب ، فقالوا : هو ماء السماء ؛ لأنّه خَلَفٌ منه . وقيل لولده بنو ماء السماء ، وهم ملوك الشام .

قال بعض الأنصار[3] : (الوافر)

أنا ابنُ مُزَيقيا عَمْرٍو وجَدِّي … أبوهُ عَامِرٌ ماءُ السَّماءِ

وماء السماء أيضاً : لقب أمّ المنذر بن امرئ القيس بن عمرو بن عَدِيّ بن رَبيعة ابن نَصْر اللَّخميّ . وهي ابنة عَوف بن جُشَم ، من النَّمر بن قاسِط . وسمِّيت بذلك لجمالها ؛ وقيل لولدها بنو ماء السماء ، وهم ملوك العراق .

وقال زُهير بن جناب : (الوافر)

ولازَمتُ المُلوكَ منَ الِ نصْرٍ … وبَعْدَهُمُ بني ماءِ السَّماءِ

انتهى

(١) الخرم : حذف المتحرك الأول من الوتد المجموع في أول البيت . - وهو حذف فاء فعولن فيبقى عولن . وفي اللسان (خرم) : " قال الزجاج : من علل الطويل الخرم وهو حذف فاء فعولن ..."

(٢) الحماسة برواية الجواليقي ص٧٦ ؛ وشرح الحماسة للأعلم ١/٢٤٩ ؛ وشرح الحماسة للتبريزي ١/١٣٠ ؛ وشرح الحماسة للمرزوقي ص٢٤٤ .

(٣) البيت لأوس بن الصامت في شرح التصريح ١/١٢١ ؛ والمقاصد النحوية ١/٣٩١ . وهو بلا نسبة في أوضح المسالك ١/١٢٧ ؛ وتخليص الشواهد ص١١٨ ؛ وشرح الأشموني ١/١٥٨ ؛ ولسان العرب (مزق ، موه ، قوا) .

فالظاهر أنَّ المراد هنا هو الأوّل ؛ لأنَّ قائلَ الأبيات أنصاري ، وهو زيادة بن زيد الحارثي[١] من بني الحارث بن سعد أخو عذرة .

وقال أبو رياش[٢] : هو زيادة بن زيد ، مِن سَعد هُذَيم[٣] بن ليث بن سُود بن أسلُم بن الحافِ بن قُضاعة . كذا قال التبريزيّ .

و« **زيادة** » شاعر إسلاميٌّ في الدولة الأموية ، قتله ابن عمه هُدبةُ بن خَشْرَم . ويأتي إن شاء اللّه سبب قتله عند ذكر هدبة[٤] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثاني عشر بعد الثلثمائة ، وهو من شواهد **س**[٥] : (الوافر)

٣١٢- فأيِّي ما وأيُّكَ كانَ شَرّاً
فَقِيْدَ إلى المُقَامَةِ لا يَرَاها

على أن هذا ضرورة ، والقياس المستعمل : فأيّنا كان شرّاً من صاحبه . و« ما » زائدة للتوكيد ، و« أيِّي » مبتدأ ، و« أيُّك » معطوف عليه ، واسم كان ضمير ، أي: أيّنا ، و« شرّاً » خبره ، والجملة خبر المبتدأ ، و« قِيدَ » مجهول قاد الأعمى . وجيء بالفاء لأنّه دعاء فهو كالأمر .

---

(١) في طبعة بولاق : " بن زياد الحارثي " . وهو تصحيف صوابه من شرح الحماسة للتبريزي ١٣٠/١ ؛ ومن النسخة الشنقيطية .

(٢) في طبعة بولاق والنسخة الشنقيطية : " ابن رياش " . وهو تصحيف ؛ وإنما هو أبو رياش أحد شراح الحماسة.

(٣) في طبعة بولاق والنسخة الشنقيطية : " بن سعد بن هذيم " . وهو تصحيف صوابه من شرح الحماسة للتبريزي ١٣٠/١ .

وانظر في نسب سعد هذيم الاشتقاق ص٥٤٦ ؛ وجمهرة أنساب العرب ص٤٤٧ ؛ والمعارف ص٤٧ . وفي جمهرة أنساب العرب أن سعد هذيم هو ابن زيد بن ليث بن سود .

(٤) في الخزانة الشاهد رقم ٧٥٠ .

(٥) البيت للعباس بن مرداس السلمي في ديوانه ص١٦٣ ؛ وذيل أمالي القالي ص٦٠ ؛ وشرح أبيات سيبويه ٩٣/٢؛ وشرح ديوان زهير ص١١٣ ؛ وشرح المفصل ١٣١/٢ ؛ والكتاب ٤٠٢/٢ ؛ ولسان العرب (قوم) . وهو بلا نسبة في لسان العرب (أيا) .

و« المُقامة » ، بضم الميم وفتحها : المجلس ، وجملة « لا يراها » حالٌ من ضمير قيد . يدعو على الشرِّ منهما ، أي : من كان منّا شرًّا أعماه اللّه في الدُّنيا فلا يُبصر حتّى يقاد إلى مجلسه .

وقال شارح اللباب : أي : قِيدَ إلى مواضع إقامة الناس وجَمعهم في العَرَصات لا يراها ، أي : قِيد أعمى لا يَرى المُقامة . انتهى .

وحَمْل الدّعاء على الآخرة[1] لا على الدنيا غير جيِّد . وهذا من المعاملة بالإنصاف .

وهذا البيت من جُمْلةِ أبياتٍ للعبَّاس بن مِرْدَاس السُّلَميّ ، قالها لخُفَاف بن نَدْبَة في أمْرٍ شجَرَ بينهما ، وهي[2] :

ألا مَنْ مُبْلِـغٌ عنِّـي خُفافـاً	أُلوكـاً بيـتُ أهْلِكَ مُنْتهاها[3]
أنا الرَّجلُ الذي حُدِّثـتَ عنـهُ	إذا الخَفِـرَاتُ لَـمْ تَسْتُرْ بُراهـا
أشُـدُّ علَى الكَتيبَـةِ لا أُبالـي	أفيهـا كـانَ حتْفِـي أمْ سِواهـا[4]
فـأيِّي مـا وأيُّـكَ كـانَ شَـرًّا	فقيـدَ إلى المُقامَـةِ لا يَـراهـا
ولا ولَـدَتْ لَـهُ أبـداً حَصَـانٌ	وخالَـفَ ما يريـدُ إذا بَغَاهـا
ولـي نَفْـسٌ تـتـوقُ إلى المَعَالـي	سَتَتلفُ أو أُبلِّغهـا مُنَـاهـا

وخُفَاف بضم الخاء المعجمة وتخفيف الفاء كغراب ، واشتهرَ بالإضافة إلى أمه ، وهي نَدْبَة ، بفتح النون وسكون الدال بعدها باء موحَّدة . وهو من أصحاب رسول اللَّه صلَّى اللَّه عليه وسلَّم ، كالعبَّاس بن مِرْدَاس .

---

(١) في أصول طبعات الخزانة : " الدعاء في الآخرة " . وهو تصحيف صوبناه . وقد أشار محققو طبعات الخزانة (السلفية ٤/٢٧٧ ، وهارون ٤/٣٦٧) إلى ذلك .

(٢) الأبيات للعباس بن مرداس السلمي في ديوانه ص١٦٢ ؛ والاستيعاب ٣/١٠٣ ؛ والحماسة البصرية ١/١٣ ؛ والحماسة الشجرية ١/١٣٣ .

(٣) البيت للعباس بن مرداس في تاج العروس (رسل) ؛ وتفسير القرطبي ١٣/٩٤ ؛ ولسان العرب (رسل) ؛ ومجاز القرآن ٢/٨٤ .

(٤) البيت للعباس بن مرداس السلمي في ديوان المعاني ١/١١٤ ؛ وشرح الحماسة للمرزوقي ص١٥٨ ؛ وعيون الأخبار ٢/١٩٤ ؛ والعقد الفريد ٦/١٥٠ ؛ ومعجم الشعراء ص٢٦٢ .

وتقدَّمت ترجمةُ العبَّاس في الشاهد السابع عشر من أوائل الكتاب[١] ، أما ترجمة خُفَاف بن نَدْبة فستأتي إن شاء الله تعالى في « باب اسم الإشارة[٢] ».

و« أَلوك » بفتح الهمزة وضم اللام : الرسالة ؛ ومنها الملائكة . و« حُدِّثْتَ » بالبناء للمفعول والخطاب . و« الخَفِرات » : النساء الحَيِّيات ، بفتح الخاء وكسر الفاء؛ والفعل من باب تعب . و« البُرا » : جمعه بُرَة بضم الباء الموحَّدة فيهما ، وهي كلُّ حَلْقَة من سِوار وقُرط وخلخال ؛ والمراد هنا الأخير . وعدمُ سترِ الخلاخيل للنساء، إنّما يكون عند هُروبهنّ من السَّبْي والنَّهْب[٣] . و« إذا » ظرف ، إمّا لقوله حُدِّثت أو لقوله أشُدُّ على الكتيبة . ومثل هذا يسمى « التجاذب » .

وقوله : « أشد على الكتيبة » ، قيل : لم يقلْ في الشجاعة أبلغُ من هذا البيت . و« الكتيبة » : الجيش . و« الحتْف » : الهلاك . وقوله : « فقيدَ إلى المقامة » ، روي أيضاً : « فسِيقَ إلى المقامة » من السَّوق .

وقوله : « ولا ولدت له الخ » ، هذا دعاءٌ عليه بقطع نسْله . و« الحَصَان » بالفتح : المرأة العفيفة . و« تتوق » ، تاقت نفسُه إلى الشيء اشتاقته ونازعت إليه . وتَلِف الشيءُ من باب فرح إذا هلك .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثالث عشَر بعد الثلثمائة[٤] : (الرجز)

٣١٣- أظْلِمِي وأظْلُمُهْ

على أنّه ضرورة ، والقياس أظلمنا . وهو قطعة من رجز رواه أبو علي في «إيضاح الشعر» عن أحمد بن يحيى الشهير بثعلب ، وهو :

---

(١) الخزانة الجزء الأول ص١٦١ .

(٢) في الخزانة الشاهد رقم ٤١١ .

(٣) في حاشية طبعة هارون ٣٦٨/٤ : " أنكر قوم صحة الهروب . وقد وجدتها في شعر في الطبري ٨: ١٣ وهو :

* وليس بمنجي ابن اللعين هروب *

(٤) الرجز بلا نسبة في الدرر ٣٨/٢ ؛ وشرح التصريح ٢٩٩/١ ؛ وشرح عمدة الحافظ ص٦٥٣ ؛ وهمع الهوامع ١١٠/١ .

يـاربَّ مُوسَـى أظلَمِـي وأظْـلَمُـهْ فاصبُـبْ عليهِ مَلَكـاً لا يَـرْحَمُــهْ

قال : معناه أظلمُنا ، كقوله : أخزى اللّه الكاذبَ منّي ومنـه ، أي : منّـا فـالمعنى أظْلَمُنا فاصبُب عليه . وهــذا يـدلّ على جـواز ارتفـاع زيـد بـالابتداء ، في نحـو زيـد فاضربْه، إنْ جعلت الفاء زائدة على ما يراه أبو الحسن .

فإن قلتَ : أضمِر المبتدأ كما أضمرت في قولك[1] : « خولانُ فانْكَحْ فتـاتهم »، فإن ذلك لا يسهل ؛ لأنّـه للمتكلـم ، فكمـا لا يتّجـه : هـذا أنـا ، على إرادة إشارة المتكلم إلى نفسه من غير أن ينزله منزلة الغائب ، كذلك لا يحسن إضمار هذا هنا .

فإن قلتَ : إن أظلمُنا علـى لفـظ الغيبـة ، فليـس مثـل هـذا أنـا ، فإنـه وإن كـان كذلك فالمراد به بعض المتكلمين ، ولا يمنع ذلك ، ألا ترى أنهم قالوا يا تميـمُ كلّهـم ، فحملوه على الغيبة لما كان اللفظ له وإن كان المراد به المخاطب . وإن جعلت المضمـر في علمك ، كأنك قلت قد أظلمنا في علمك ، كان مستقيماً . انتهى .

ورواه ابن عقيل في « شرح التسهيل » هكذا :

* سـلِّطَ عليهِ ملَكاً لا يَرحَمُه *

و« ربّ » منادى مضـاف إلى موسـى ، وضمـير « أظلمـه » الغـائب راجـع إلى «موسى» هذا ، وهو خصم صاحب هذا الرجز .

وكلام أبي علي مبنيّ على رفع أظلمي وأظلمه بالابتداء والخبر الجملـة الدعائيـة ؛ ويجوز نصبهما على الاشتغال[2] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الرابع عشَر بعد الثلاثمائة[3] : (الطويل)

---

(١) قطعة من الشاهد النحوي رقم ٧٧ في الجزء الأول من الخزانة ص٤٣٣ .

(٢) في حاشية الطبعة السلفية ٢٧٩/٤ : " إن صح نصبهما على الاشتغال لم يجز ، وإلا لـزم الإقـواء . فالبيتـان مـن مشطور الرجز " .

(٣) البيت لأوس بن حجر في ديوانه ص١١١ ؛ وشرح شواهد الشافية ص١١٦ ، ١١٧ ؛ ولسان العرب (نطـس ، حذم ، إلى) ؛ والمستقصى ٢٢٠/١ ؛ ومجمع الميداني ٤٤١/١ . وهو بلا نسبة في جمهرة اللغـة ص٨٣٨ ، ١٣٢٧ ؛ والخصائص ٤٥٣/٢ ؛ وشرح المفصل ٢٥/٣ .

٣١٤- فَهَلْ لَكُمُ فيهـا إليَّ فإنَّني
طَبيبٌ بمَا أعْيَا النِّطاسِيَّ حِذْيَما

على أن فيه حذفَ مضاف ، أي : ابن حذيم ، فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه ، لأنه علم أنه العالم بالطبّ والمشهورُ به ، لا حذيم ، فإنّه ورَدَ في الأمثال[1] : « أطَبُّ من ابن حِذْيم » .

قال الزمخشري في « المستقصى » : هو رجلٌ كان من أطبَّاء العرب . وأنشد هذا البيت وقال : أراد ابن حِذْيم . انتهى .

قال أبو الندى : ابنُ حِذْيَم[2] رجلٌ من تَيم الرّباب ، كان أطبَّ العرب ، وكان أطبَّ من الحارث بن كَلَدة .

وأورد صاحب الكشاف هذا البيت عند قوله تعالى[3] : « شَهرُ رَمضانَ الذي أُنْزِلَ فيهِ القُرآن » على أنّ التسمية واقعةٌ على المضاف والمضاف إليه جميعاً .

وأمّا ما يرد من نحو قوله عليه الصلاة والسلام : « مَنْ صامَ رَمضانَ إيماناً واحتساباً غفرَ له ما تقدّم من ذنبه » فهو من باب الحذف لا من الإلباس ، كما حذف الشاعر ابن من ابن حذيم .

وقد خالف كلامَه هنا في « المفصّل » فإنه قال فيه : إذا أمِنوا الإلباس حذفوا المضاف . وقد جاء اللّبس في الشعر ، قال ذو الرُّمَّة[4] : (الطويل)

عَشيَّةَ فَرَّ الحَارثيُّونَ بَعْدما قَضَى نَحْبَهُ في مُلتَقَى القومِ هَوبَرُ

وقال :

* بِمَا أعيا النِّطاسيَّ حِذيما *

(١) المثل في جمهرة الأمثال ١٤/٢ ؛ والدرة الفاخرة ٢٨٤/١ ؛ والمرصع ص١١٩ ؛ والمستقصى ٢٢٠/١ ؛ ومجمع الأمثال ٤٤١/١ .

(٢) في أمثال الميداني : " قال أبو الندى : هو حذيم ..." .

(٣) سورة البقرة : ١٨٥/٢ .

(٤) البيت لذي الرمة في ديوانه ٦٣٧/٢ ؛ والدرر ٣٧/٥ ؛ وشرح المفصل ٢٣/٣ ؛ ولسان العرب (هبر) . وهو بلانسبة في جمهرة اللغة ص١٣٢٧ ؛ والمقرب ٢١٤/١ ، ٢٠٥/٢ ؛ وهمع الهوامع ٥١/٢ .

أي : ابن هوبر وابن حِذيَم . وهو في قوله هذا تابعٌ لأبي علي في « إيضاح الشعر» فإنه قال : قد جاء في الشعر أبياتٌ فيها حذف مضاف مع أنّه يؤدّي حذفه إلى الإلباس ، ومثّل بما ذكر ، وبقوله[1] : (الكامل)

أرضٌ تَخَيَّرَها لِطِيْبِ مَقيلِها كَعبُ بنُ مَامةَ وابنُ أُمِّ دُوادِ

هو أبو دواد الشاعر ، واسمه جارية ، والتقدير ابن أمِّ أبي دواد ، فحذف الأب . والصواب ما في الكشّاف من أنه لا إلباس فيه ؛ فإنّ الإلباس وعدمَه إنّما يكون بالنسبة إلى المخاطب الذي يلقي المتكلّم كلامَه إليه ، لا بالنسبة إلى أمثالنا ، فإنه وإنْ كان عندنا من قبيل الإلباس ، مفهومٌ واضح عند المخاطب به في ذلك العصر .

ويؤيِّد ما ذكرنا قول ابن جنِّي في « الخصائص » : ألا ترى أنَّ الشاعر لما فُهم عنه ما أراد بقوله ، قال الشاعر[2] يصف إبلاً[3] : (الرجز)

صبَّحنَ من كاظِمةَ الخُصَّ الخَرِبْ يَحْمِلنَ عبَّاسَ بنَ عبدِ المطَّلبْ

وإنّما أرادَ عبدَ اللّه بن عبَّاس . ولو لم يكن على الثقة بفَهمِ ذلك ، لم يجد بدّاً من البيان . وعلى ذلك قول الآخر :

* طبيبٌ بما أعيَا النِّطاسيَّ حِذْيَما *

أراد : ابن حذيم . انتهى .

وحذفَ الصلَتان العَبديُّ أكثرَ من هذا في محاكمته بين جرير والفَرزدق في قوله : (الطويل)

أرَى الخَطَفَى بذَّ الفَرزدقَ شِعرُهُ ولكنَّ خَيراً من كِلابٍ مُجاشِعُ

---

(١) البيت للأسود بن يعفر في التمثيل والمحاضرة ص٥٣ ؛ وحماسة البحتري ص٣٢٦ ؛ والحماسة المغربية ص١٤٠٢؛ والشعر والشعراء ص١٧٦ ؛ ومعجم البلدان ٢٦٦/٣ ؛ والمفضليات ص٢١٧ . وهو بلا نسبة في تاج العروس (موم) ؛ ولسان العرب (موم) .

(٢) كلمة : " الشاعر " . لم ترد في طبعة الخصائص ، وهو من باب الإظهار في موضع الإضمار .

وفي حاشية الطبعة السلفية ٢٨٠/٤ : " الوجه حذف هذا اللفظ " .

(٣) الرجز بلا نسبة في جمهرة اللغة ص١٣٢٨ ؛ والعقد الفريد ٣٥٧/٤ ؛ والكامل في اللغة ١٥١/٢ ؛ ولسان العرب (نطس ، وصى) .

وفي طبعة بولاق والنسخة الشنقيطية : " من كاظمة الخرب " . وهو تصحيف صوابه من المصادر السابقة الذكر .

فإنه أراد : أرى جَرير بن عطيّة بن الخَطَفَى . وجاز هذا لكونه معلوماً عند المخاطَب.

وقد أنكر الخُوارَزميُّ كونَ هذا من باب الحذف ، قال : إنّما هو من باب تعدِّي اللقب من الأب إلى الابن ، كما في قوله[1] : (الطويل)

* كراجي النَّدَى والعُرْفِ عند المُذلّقِ *

أي : ابن المذلّق[2] . هذا وقد قال يعقوب بن السكِّيت في « شرح هذا البيت من ديوان أوس بن حجر » : حِذيَم رجلٌ من تَيم الرّباب ، وكان متطبِّباً عالماً . هذا كلامه ؛ فعنده أنَّ الطبيب هو حذيم لا ابن حذيم . وتبعه على هذا صاحبُ القاموس، فلا حذف فيه ولا شاهد على ما ذكر . و« حِذْيَم » ، بكسر الحاء المهملة وسكون الذال المعجمة بعدها ياء تحتيَّة آخر الحروف .

وهذا البيت من أبياتٍ لأوس بن حَجر قالها لبني الحارث بن سَدوس بن شَيبان ، وهم أهل القَرية باليمامة ، حيث اقتسموا مِعزاه . وقيل اقتسمها بنو حنيفة وبنو سُحيم، وكان أوس بن حَجر أغرى عليهم عمرَو بن المنذِر بن ماء السماء ، ثم جاور فيهم فاقتسموا مِعزاه .

وهذا مطلعها[3] :

فإنْ يأتِكُمْ منّي هِجَاءٌ فإنّما ... حَباكُمْ بهِ منّي جَميلُ بنُ أرْقَما

ثم بعد أربعة أبيات :

فهل لكم فيها إليَّ فإنّني ... . البيت

---

(١) عجز بيت غير منسوب ؛ وصدره :

* فإنك إذ ترجو تميماً ونفعها *

والبيت بلا نسبة في تاج العروس (ذلق) ؛ وجمهرة الأمثال ١٠٧/٢ ؛ والدرة الفاخرة ٣٢٧/١ ، ٣٣٢ ؛ والمرصع ص٢٧٧ ؛ والمستقصى ٢٧٥/١ ؛ ومجمع الأمثال ٨٣/٢ .

(٢) جاء في القاموس (ذلق) : " وابن المذلق : من عبد شمس ، لم يكن يجد بيتةَ ليلةٍ واحدة ولا أبوه ولا أجداده ، فقيل : أفلس من ابن المذلق " .

والمثل في جمهرة الأمثال ١٠٧/٢ ؛ والدرة الفاخرة ٣٢٧/١ ، ٣٣٢ ؛ والمرصع ص٢٧٧ ؛ والمستقصى ٢٧٥/١ ؛ ومجمع الميداني ٨٣/٢ .

(٣) الأبيات في ديوانه ص١١١-١١٢ .

فأُخرجَكُمْ من ثوبِ شَمطاءَ عَارِكٍ ... مشــهَّرةٍ بَلَّــتْ أسافِلُــهُ دَمَــا
ولَوْ كانَ جَارٌ منكُـمُ في عَشيرتـي ... إذاً لــرأوْا للجَـارِ حقّـاً ومَحْـرَما
ولَـوْ كانَ حَولِي من تَميـم عِصابةٌ ... لـما كـان مالـي فيكُـمُ مَتقَسَّـما
ألاَ تتّقُـونَ اللّـــهَ إذْ تعلفُـونَهـا ... رَضيخَ النّوى والعُضَّ حَولاً مجرَّما
وأعجَبَكُـمْ فيهـا أغـرُّ مشــهَّرٌ ... تِــلادٌ إذا نـامَ الرَّبيـضُ تَغمغَمـا

وهـذا آخـر الأبيـات . قولـه : « فإنّمـا حبـاكم الخ » ، « حبـاكم بـه » أي : وصَلَكم بالهجاء .

وقوله : « فهل لكم فيها الخ » ، قـال المفضَّل بـن سَلَمة في « الفـاخر » وابـن الأنباريّ في « الزاهر » : الطِّبُّ : الفطنة والحذق ، ومنه سمِّي الطبيب لعلمه وحذقه . وأنشد هذا البيت .

وروى ابن السكّيت : « فإنّني بصير » بدل طبيب . و« البصـير»: العـالم ، وقـد بصُر بالضم بَصارة ، والتبصُّر : التأمُّل والتعرُّف . وأعياه الشيءُ متعدِّي عَييت بـأمري إذا لم تهتدِ لوجهه .

و« النِّطاسيّ » مفعوله ، و« حذيم » بدل من النطاسي . وفاعل أعيا ضمـير مـا الموصولة الواقعة على الداء . أي : إنّني طبيبٌ حـاذق بـالداء الـذي أعجـز الأطبـاء في مداواته وعلاجه . و« النِّطاسيّ » ، بكسر النون ، قال ابن السكّيت : العـالم الشـديد النظر في الأمور .

قال أبو عبيد : ويُروى : « النَّطاسيّ » بفتـح النـون . قـال الجوهـريّ : التنطُّس المبالغة في التطّهر ، وكلُّ من أدقَّ النظرَ في الأمـور واستقصى علمَهـا فهـو متنطّس . ومنه قيل للمتطبّب نِطِّيس كفِسِّيق ، ونطاسيّ بكسر النون وفتحها .

وقوله : « فهل لكمُ » بضمِّ الميم ، وهـو خـبر مبتـدأ محذوف ، أي : هـل لكـم ميل. وقوله : « فيها » الضمير للمعزى . وفيه حذف مضاف أي : فهل لكم ميـلٌ في ردِّ المعزى إليَّ .

وقوله : « فـأخرجكم مـن ثـوب شمطـاء الخ » ، « الشـمطاء » : المـرأة الـتي في رأسها شَمط - بالتحريك - وهو بياض شعر الرأس يخالطه سـواد ، والرجـل أشمَـط . و« العارك » : الحائض . و« مشهَّرة » : اسم مفعول من شهَّرته تشهيراً ؛ والشُّهرة :

وضوح الأمر . يقول : هل لكم في ردِّ مِعزاي فأُخرِجَكم من سُبَّةٍ شنعاء تلطخ أعراضكم وتدنّسها كما تدنس الحائض ثوبَها بالدم ، فأَغسلها[1] عنكم . وهذا مثلٌ ضربه .

وقد خبطَ جميعُ من تكلّم على هذا الشاهد حيث لم ير السِّياق والسِّباق ، فقال شارح « شواهد التفسيرين » : المعنى هل لكم علمٌ وبصيرةٌ فيما يرجعُ نفعه إليّ ؟ ثم أعرض عن سؤالهم وقال : إنّي أعلم بحالي منكم ، فإنّي بصيرٌ بما أعجزَ الطبيب المشهور .

وقال المظفّري في « شرح المفصَّل » : أي هل لكم طريقٌ في مداواةِ ما بي ، فإنّي أرى من الداء ما أعيا الطبيبَ عن مداواته .

وقد قارب بعضُ فضلاء العجم في « شرح أبيات المفصّل » بقوله : والمعنى هل لكم في هذه الحادثة حاجةٌ إليّ لأشفيكم برأي فيها ، فإنّي طبيبٌ عالم بالذي عَجَز عنه هذا الحاذق العالمُ بالطب و لم يهتد إليه .

وقوله : « ألا تتقون اللّه الخ » ، يقول : لولا أنّك سرقتها لأيّ شيء تَعلفها ؟ يقول : فرُدَّها ولا تَعلفْها . و« الرَّضيخ » ، بالضاد والخاء المعجمتين : المدقوق ، رَضَخت الحصا والنوى كسّرته .

و« العُضّ » ، بضم العين المهملة وتشديد الضاد المعجمة ، قال ابن السكيت : هو القتّ ، وقال الجوهريّ : علف أهل الأمصار مثل الكُسْب والنّوى المرضوخ . و«المجرَّم » ، بالجيم على وزن اسم المفعول : التام والكامل .

وقوله : « وأعجبكم فيها أغرّ الخ » ، قال ابن السكيت ؛ « الأغرّ » : الأبيض . و« التلاد » : القديم من المال . و« الرَّبيض » ها هنا الغنم . وقوله : « تغمغما » ، يعني هذا الأغر ، والغمغمة هِبابه ، أي : لا ينام ، وإنّما يعرّض بهم ويفتري عليهم . انتهى .

﴿ تتمة ﴾

قال ابن الأثير في « المرصَّع » : ابن حِذْيم شاعر في قديم الدهر ، يقال إنّه كان

---

(١) الضمير في قوله : " فأغسله " . عائد على السبة فالوجه تأنيثه .

وفي حاشية طبعة هارون ٣٧٤/٤ : " .. والوجه : فأغسلها ، أي السبة ، أو المراد فأغسل ذاك عنكم " .

طبيباً حاذقاً ، يضرب به المثل في الطبّ فيقال[١] : « أطبُّ بالكيِّ من ابن حِذْيم » ، وسمّاه أوسٌ حذيماً - يعني أنّه حذف لفظ ابن - فقال :

* عَليمٌ بما أعيا النِّطاسيَّ حِذْيَما *

ويقال ابن حَذَام أيضاً ، وإنّه أوّل من بكى من الشعراء في الديار ، وهو الذي سمّاه امرؤ القيس في قوله[٢] : (الكامل)

عُوجَا على الطَّلَلِ المُحِيلِ لعلّنا نَبْكي الدّيارَ كما بَكَى ابنُ حِذامِ

وابن خذام بالخاء المعجمة أشهر ، وقيل هما اثنان . وقال في الخاء المعجمة : ابن خذام هو المذكور في حرف الحاء على اختلاف الروايتين ، فمنهم من جعله إيّاه ومنهم من جعلهما اثنين . ويقال : إن هذا البيت الذي في قصيدة امرئ القيس له ، وهو[٣] : (الطويل)

كأنّي غَداةَ البَينِ حينَ تَحمّلوا لَدَى سَمُراتِ الحيِّ ناقِفُ حَنْظَلِ

ويقال : للخمّار ابن خِذَام . وخِذام من أسماء الخمر . هذا كلامه .

أقول : جميع من ذكر ابن حذام الشاعر ، لم يقل إنه هو ابن حِذيم الطبيب . وقد اختلف في ضبط اسمه فالذي رواه الآمدي[٤] ابن خذام بمعجمتين ، قال : من يقال له ابن خذام ، منهم ابن خذام الذي ذكره امرؤ القيس في شعره ، وهو أحد من بكى الديار قبلَ امرئ القيس ، ودرس شِعْرُه .

قال امرؤ القيس :

عُوجَا على الطَّلَلِ المحيلِ لأنّنا نبكي الدّيار كما بكى ابن خِذامِ

---

(١) المثل في جمهرة الأمثال ١٤/٢ ؛ والدرة الفاخرة ٢٨٤/١ ؛ والمرصع ص١١٩ ؛ والمستقصى ٢٢٠/١ ؛ ومجمع الأمثال ٤٤١/١ .

(٢) البيت لامرئ القيس في ديوانه ص١١٤ ؛ وجمهرة اللغة ص٥٨٠ ؛ والحيوان ١٤٠/٢ ؛ والدرر ١٦٦/٢ ؛ وشرح المفصل ٧٩/٨ ؛ ولسان العرب (خذم) ؛ والمؤتلف والمختلف ص٨ . وهو بلا نسبة في تذكرة النحاة ص١٩؛ ورصف المباني ص١٢٧ ؛ وهمع الهوامع ١٣٤/١ .

(٣) البيت لامرئ القيس في ديوانه ص٩ ؛ والدرر ٦٠/٦ ؛ ولسان العرب (نقف) ؛ والمؤتلف والمختلف ص١٥٥ ؛ والمقاصد النحوية ٢٠١/٤ . وهو بلا نسبة في شرح الأشموني ٤٣٧/٢ .

(٤) المؤتلف والمختلف ص١٥٥ .

قوله : « لأنّنا » ، يريد لعلّنا ، ذكر ذلك أبو عبيدة وقال : قال لنا أبو الوثيق : ممّن ابن خِذام ؟ فقلنا : ما نعرفه . فقال : رجوت أن يكن علمُه بالأمصار . فقلنا : ما سمعنا به ! فقال : بلى قد ذكره امرؤ القيس وبكى على الديار قبله ، فقال :

كأنّي غَداةَ البَينِ يومَ تحمّلوا . . . . البيت !

انتهى

وقال ابن رشيق في « العمدة[1] » : الذي أعرف أن ابن حذَام بذال معجمة وحاء غير معجمة كما روى الجاحظ[2] وغيره . انتهى .

وضبطه بعضهم ابن حُمَام ، بحاء مهملة مضمومة بعدها ميم غير مشدَّدة، واسمه امرؤ القيس .

قال الآمدي[3] – عند ذكر المسمَّين بامرئ القيس – ومنهم امرؤ القيس بن حُمام، ثم ذكر نسبه وقال : والذي أدركه الرواة من شعره قليل جداً . وكان امرؤ القيس هارباً فقال مهلهل[4] : (الكامل)

لمَّا توَغّلَ في الكُراعِ هَجينُهمْ هَلْهَلْتُ أثأرُ جابراً أو صِنْبِلا

في قصّة مذكورة في أخبار زهير بن جناب . وبهذا البيت قيل لمهلهل مهلهل . وبعض الرواة يروي بيت امرئ القيس بن حُجْر[5] :

عُوجا على الطَّللِ المُحيلِ لعلّنا نبكي الدّيارَ كما بكَى ابنُ حُمامِ

يعني امرأ القيس هذا ، ويروى ابن خِذام . انتهى .

ومثله للعسكريّ في « كتاب التصحيف[6] » قال : ومنهم امرؤ القيس بنَ حُمام

---

(١) العمدة في محاسن الشعر ٨٧/١ . – باب تنقل الشعر في القبائل – .

(٢) الحيوان ١٤٠/٢ .

(٣) المؤتلف والمختلف ص٧ .

(٤) البيت لمهلهل ربيعة في ديوانه ص٦٧ ؛ وأمالي القالي ١٢٩/٢ ؛ وتاج العروس (صنبل ، هلل) ؛ وجمهرة اللغة ص٢٣٣ ، ١٠١٣ ، ١١٢٦ ؛ ولسان العرب (هلل ، صنبل) ؛ والمراثي ص٢٤٢ ؛ ومقاييس اللغة ١٧١/٥ ، ١٢/٦ ؛ ولزهير بن جناب في تهذيب اللغة ٣٧٢/٥ .

(٥) هي رواية الحيوان ؛ والمؤتلف والمختلف .

(٦) كتاب التصحيف ص٢١٢ .

ابن عُبيدة بن هُبَل بنُ أخي زهير بن جناب بن هبل . ويزعم بعضهم أنَّهُ الذي عنى امرؤ القيس بقوله :

* نبكي الديار كما بكى ابن خذام *

وكان يغزو مع مهلهل ، وإياه أراد مهلهلٌ بقوله :

لما توغَّل في الكُلاب هجينُهم . . . . البيت

فالهجين هو امرؤ القيس بن حُمام . وجابر وصِنْبل : رجلان من بني تغلب . انتهى .

قال ابن رشيق في « العمدة » : ويروى :

* لَمَّا توقَّلَ في الكُراع شريدُهم *

قال السكريّ : يعني بالهجين امرأ القيس بنَ حمام ، وكان مهلهل تبعه يوم الكُلاب ففاته ابن حمام بعد أن تناوله مهلهلٌ بالرمح ، وكان ابن حمام أغار على بني تغلب مع زُهير بن جناب فقتل جابراً وصنبلاً .

هذا ما اطلعت عليه . وقولُ امرئ القيس بن حُجْر :

* عُوجا على الطَّلل المحيل ، البيت *

هو من قصيدة له ، استشهد به صاحب « الكشّاف » عند قوله تعالى[1] : « ومَا يُشْعِرُكم أنَّها إذا جَاءَتْ لا يُؤْمنُون » بفتح الهمزة في قراءة أهل المدينة بمعنى لعلَّ ، كما أنَّ « لأنّنا » في البيت بمعنى لعلّنا .

قال ابن رشيق في « العمدة[2] » : يروى في البيت « لأنّنا » بمعنى لعلّنا ؛ وهي لغة امرئ القيس فيما زعم بعض المؤلفين ، والذي كنت أعرف : لَعَنّنا بالعين ونونين .

و« المُحِيل » : الذي أتى عليه الحول . وعُوجا أمر من عُجتُ البعيرَ أعُوجه عَوْجاً ومَعَاجاً : إذا عطفتَ رأسَه بالزمام .

(١) سورة الأنعام : ٦/١٠٩ .

(٢) العمدة في محاسن الشعر ١/٨٧ .

و« **أوس بن حَجَـر** » بفتح الحاء المهملة والجيم ، شاعر من شعراء تميم في الجاهلية. وفي أسماء نسبه اختلاف ، فلذا تركنا نسبَه .

قال ابن قتيبة في « كتاب الشعراء[١] » : « كان أوسٌ فحلَ مُضَرَ حتّى نشأ النابغة وزهيرٌ فأخملاه . وقيل لعمرو بن مُعاذٍ ، وكان بصيراً بالشعر : مَن أشعرُ الناس؟ فقال : أوس ؛ قيل : ثم مَن ؟ قال : أبو ذؤيب .

وكان أوسٌ عاقلاً في شعره ، كثيرَ الوصف لمكارم الأخلاق ؛ وهو من أوصفهم للحَمير والسلاح ولا سيّما للقوس ، وسبق إلى دقيق المعاني ، وإلى أمثال كثيرة » . انتهى .

وقال صاحب « الأغاني »[٢] : كان أوس هذا من شعراء الجاهليّة وفحولِها، وذكر أبو عبيدة أنه من الطبقة الثالثة ، وقرنه بالحطيئة والنابغة الجعدي . وتميم تقدم أوساً على سائر شعراء العرب . وقال الأصمعيّ[٣] : أوسٌ أشعر من زهير إلاّ أنّ النابغة طأطأ منه .

وقال أبو عبيدة[٤] : كان أوس غَزِلاً مغرماً بالنساء ، فخرج في سفر ، حتّى إذا كان بأرض بني أسد بين شَرْج وناظرة ، فبينما هو يسير ظلاماً إذْ جالت به ناقته فصرعته ، فاندقّت فخذُه[٥] ، فبات مكانَه ، وما زال يقاسي كلَّ عظيم بالليل ، ويستغيث فلا يغاث ، حتّى إذا أصبح غدا جواري الحيِّ يجتَنين الكمأة وغيرَها من نبات الأرض ، والناسُ في ربيع : فبيناهنَّ كذلك إذ بَصُرن بناقته تجول وقد عَلِق زمامُها بشجرة ، وأبصَرْنه ملقًى ففزعن منه فهرَبن ، فدعا جاريةً منهنَّ فقال لها : مَن أنت ؟ قالت: أنا حليمةُ بنتُ فضالة بن كَلَدةِ .

وكانت أصغرهنّ فأعطاها حجراً وقال: اذهبي إلى أبيك فقولي له : ابنُ هذا يقرئك السلام[٦] ويقول لكَ : أدركْني فإنّي في حالة عظيمة ! فأتت أباها وقصّت عليه

(١) الشعر والشعراء ص١٣١ .

(٢) الأغاني ٧٠/١١ وما بعدها .

(٣) في الأغاني ٧٠/١١ الخبر يرويه الأصمعي عن أبي عمرو .

(٤) الأغاني ٧٢/١١ .

(٥) في الأغاني : " فانلقت فخذه " .

(٦) في طبعة بولاق والنسخة الشنقيطية : " إن هذا يقرئك ..." . وهو تصحيف صوابه من الأغاني .

القصّة وأعطته الحجر ، فقال : يا بنية لقد أتيتِ أباك بمدحٍ طويل أو هجاء طويل . ثمّ احتمل [هُوَ وَ[1]] أهلُه إلى الموضع الذي فيه أوسٌ وسأله عن حاله فأخبره الخبر ، فأتاه بمن جَبَّر كسره ، ولم يزل مقيماً عنده وبنته تخدُمه إلى أن برأ ، فمدحه أوسُ بقصائدَ عديدة ، ورثاه أيضاً بعد موته .

وكان أوسٌ إذا جلس في مجلسٍ قومه قال : ما لأحد عليَّ مِنَّةٌ أعظمَ من منّة أبي دُليجة . وكان أبو دُليجة كنيةَ فضالة بن كَلَدة .

وكَلَدة ، بفتح الكاف واللام ، وهي في اللغة الأرض الغليظة . وذكره ابن قتيبة في باب الأسماء المنقولة من « أدب الكاتب » .

ومن شعر أوس قوله[2] : (الطويل)

يا راكباً إمّا عرضْتَ فبلِّغَنْ ... يزيدَ بنَ عبدِ اللّهِ ما أنا قائلُ

بآيةِ أنّي لم أخُنْكَ وإنّهُ ... سوَى الحقِّ مهما يَنطِقِ النّاسُ بَاطلُ

فقومَكَ لا تَجهلْ عليهمْ ولا تكنْ ... لهمْ هَرِشاً تغتَابُهمْ وتقاتلُ[3]

وما يَنْهضُ البازي بغيرِ جناحِهِ ... ولا يحمِلُ الماشِينَ إلاّ الحواملُ

ولا سابقٌ إلاّ بساقٍ سَليمةٍ ... ولا باطشٌ ما لم تُعِنْهُ الأنَاملُ

إذا أنتَ لم تُعرضْ عنِ الجهلِ والخَنَى ... أصبتَ حليماً أو أصابكَ جاهلُ[4]

« الهِرَاش » : أشدّ القتال ، مثل مهارشة الكلاب . وأراد بالحوامل الأرجل .

* * *

وأنشد بعده :

* وما حُبُّ الدّيارِ شَغَفنَ قَلبي *

(١) زيادة يقتضيها السياق من الأغاني ١١/٧٢ .

(٢) ديوان أوس بن حجر ص٩٩ ؛ والحماسة البصرية ٢/٣٩ .

(٣) الهرش : المائق الجافي .

(٤) في حاشية الطبعة السلفية ٤/٢٨٧ : " قال المحقق الميمني : البيت لأوس في ديوانه . وفي الشعراء ص٦٥ أنه من بيتين لزهير ، ويقال لولده كعب . وفي الوساطة أن البيت أخذه برمته زهير " . وانظر الشعر والشعراء ص٨٦ .

تمامه :

* ولكنْ حُبُّ مَنْ سكنَ الدّيَارَا *

هو لقيسٍ مجنونِ بني عامر . وتقدم الكلام عليه في الشاهد التسعين بعد المائتين.

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الخامس عشر بعد الثلثمائة[1] : (الكامل)

٣١٥- يَسقُونَ من وَرَدَ البَرِيصَ عليهِمُ
بردَى يُصفَّقُ بالرَّحيْقِ السَّلْسَلِ

على أنّه قد يقوم المضاف إليه مقامَ المضاف في التذكير ، لأنّه أراد : ماء بردى . ولو لم يقم مقامَه في التذكير لوجب أن يقال تصفّق بالتاء للتأنيث ، لأنّ بردى من صيغ المؤنّث ، وهو نهر دمشق . قال أبو عبيد البكري : هو من البرْد ، سمِّي بذلك لبَرْد مائه .

وأورده صاحب الكشّاف عند قوله تعالى[2] : « يَجْعلُونَ أصابعَهُم في آذانِهم» على أن الواو في يجعلون ضمير أصحاب الصيّب وإن كان محذوفاً ، لبقاء معناه ، كما أرجع الشاعر ضمير يصفق إلى ماء بردى ، مع أنّه غير مذكور ؛ ولهذا ذكّر يصفّق .

قال ابن المستوفى : لو قال قائل : إنّه أعاد الضمير مذكّراً على المعنى لأنّ بردى نهر لوجد مساغاً .

وروى صاحب الأغاني :

* كأساً تُصفّق بالرَّحيق السَّلْسلِ *

---

(١) البيت لحسان بن ثابت في ديوانه ص١٢٢ ؛ وجمهرة اللغة ص٣١٢ ؛ والدرر ٣٨/٥ ؛ وشرح المفصل ٢٥/٣ ؛ وطبقات فحول الشعراء ص٢١٨ ؛ ولسان العرب (برد ، برص ، صفق) ؛ ومعجم ما استعجم ص٢٤٠ . وهو بلا نسبة في أمالي ابن الحاجب ٤٥١/١ ؛ وشرح الأشموني ٣٢٤/٢ ؛ ولسان العرب (سلسل ، ضحا) ؛ وهمع الهوامع ٥١/٢ .

(٢) سورة البقرة : ١٩/٢ .

وعليه لا شاهد فيه .

و« البَرِيص » قال أبو عبيد البكريّ في « معجم ما استعجم » وتبعه الصاغاني في « العباب » : هو بفتح الموحّدة وآخره صاد مهملة : موضع بأرض دمشق . وزاد الجواليقيّ في « المعرّبات » : وليس بالعربيّ الصحيح ؛ وقد تكلمت به العرب ، وأحسبه روميَّ الأصل . وأنشدَ هذا البيت[1] .

و لم أر من أهل اللغة من ضبطه بالضاد المعجمة .

وقد اختلف شرّاح المفصَّل في ضبطه ومعناه ، فقال ابن يعيش : هو بالصاد المهملة نهر يتشعّب من برَدى ، وهو نهر دمشق ، كالصَّراة من الفرات . ولدمشق أنهار أربعة كلّها من بردى .

وقال المظفّريّ : هو بالضاد المعجمة وادٍ في ديار العرب . والبريص بالصاد المهملة: اسم نهر ، وقيل اسم موضع بدِمشق .

وقال ابن المستوفى : هو بالضاد المهملة . قال المفسّرون : هو مأخوذ من البرَض، أراد الموضع المبيَّض المحصَّص . ويروى بالضاد المعجمة : فعيل من البَرْض وهو الماء القليل. ورواية المهملة أكثر وأجود . وقالوا : هو اسم نهر . وكرَّر البَريصَ في هذه القصيدة فقال[2] :

فعَلَوتُ من أرضِ البَريصِ عليهمُ حتّى نزلتُ بمنزلٍ لَمْ يُوْغَلِ

فدلَّ على أنّه موضع بعينه ، لا ما ذهب إليه من فسَّره قبل . قال ابن دريد : والبريص موضع بدمشق ، وليس بالعربي الصحيح ، وقد تكلّمت به العرب وأنشد هذا البيت . انتهى .

وقال بعضهم[3] : هو موضع فيه أنهارٌ كثيرة ، وهو بالمهملة . وأنشد : (الوافر)

---

(١) في طبعتي بولاق والسلفية والنسخة الشنقيطية : " وأنشدوا هذا البيت " . وهو تصحيف صوابه من طبعة هارون ٣٨٢/٤ .

وفي حاشية طبعة هارون : " في النسختين : وأنشدوا هذا البيت ، وإنما المراد أنشد الجواليقي هذا البيت . انظر المعرب ٥٨-٥٩ وكذلك النص التالي الذي اقتبسه البغدادي بعد الشعر " .

(٢) ديوان حسان بن ثابت ص١٢٣ .

(٣) هو وعلة الجرمي ، كما في الحيوان ٣١٧/٢ .

أهانَ العامَ ما عيَّرتُمونا شواءَ المسمَناتِ مع الخَبيصِ
فَمَا لَحمُ الغرابِ لَنَا بزادٍ ولا سرطانُ أنهارِ البريصِ

وفاعل يَسقون وهو الواو ضَمير عائدٌ على أولاد جفنة في بيت قبله كما يأتي ومن مفعوله .

قال العصام في « حاشية القاضي » : وتعدية الورود بعلى لتضمّنه معنى النزول ، وإلاّ فالورود المتعدّي بعلي بمعنى الوصول لا يعدّى بنفسه . والباء في قوله بالرحيق للمصاحبة ، أي : ممزوجاً بالخمر الصافية السائغة .

ويُصفّق بالبناء للمفعول ، و« التصفيق » : التحويل من إناء إلى إناء ليتصفّى ، وحقيقته التحويل من صَفْق إلى صَفْق ، أي : من ناحية إلى ناحية . والباء في «بالرحيق» متعلق بمحذوف ، أي: يمزج بالرحيق ، وهو الصافي من الخمر .

وقال صاحب « الكشّاف » في المطففين : الرحيق: صفوة الخمر ، ولهذا فسّر بالشراب الخالص الذي لا غشَّ فيه . والسَّلسَل ومثله السلسال : السهل الانحدار السائغ الشراب .

قال ابن الحاجب في « أماليه » : يجوز أن يكون المراد مدحَ ماء بردَى وتفضيلَه على غيره . ومعنى يصفّق يمزج ، يقال صفّقته ، إذا مزجته . و« الرحيق » : الخمر . و« السلسل » : السهل ، أي : كأنه ممزوج بذلك ، فأسقط التشبيه كعادتهم في المبالغة .

ويجوز أن يكون المراد مدحَ هؤلاء القوم بالكرم وأنّهم لا يسقون الماء إلاّ ممزوجاً بالخمر ، لسَعَتهم وكرمهم وتعظيم من يَرد عليهم . انتهى .

والظاهر أنّ المراد هو الثاني لا الأوّل ، للسياق والسّباق . وليس معنى التصفيق ما ذكره ، والصواب ما ذكره بعض فضلاء العجم في « شرح أبيات المفصّل » من أنّه يصفهم بالجود على من يَرد عليهم ، فيسقونه ماء مصفّى ممزوجاً بالخمر الصافية السائغة في الحلق .

وحَملُ هذا الكلام على القلب أظهر ، يريد : يسقون من يَرِد عليهم الرحيقَ السلسل يصفّق ببردى أي : بمائها . انتهى .

وهذا البيت من قصيدةٍ لحسَّانَ بن ثابت الصَّحابيّ ، وقد تقدّمت ترجمته في الشاهد الحادي والثلاثين[1] مدح بها آلَ جفنة ملوكَ الشام . وهذه قطعة منها بعد المطلع بثلاثة أبيات[2] :

لِلّـهِ دَرُّ عِصَابةٍ نَادمتُهمْ ... يَوماً بجلّقَ في الزمانِ الأوَّلِ
أولادُ جَفْنَةَ حولَ قبرِ أبيهِمُ ... قبرِ ابنِ ماريَةَ الكريمِ المُفْضِلِ
يُغشَونَ حتّى ما تَهِرُّ كلابُهُمْ ... لا يَسألون عن السَّوادِ المُقبلِ[3]
يَسقون من ورد . . . . البيت
يُسْقَونَ دِرياقَ الرَّحيقِ ولَمْ تكُنْ ... تُدْعَى ولائدُهُمْ لنَقْفِ الحنظَلِ
بيضُ الوجوهِ كريمةٌ أحسابُهم ... شُمُّ الأنُوفِ من الطِّرازِ الأوَّلِ
فلَبثتُ أزماناً طِوالاً فيهمُ ... ثمَّ ادَّكرتُ كأنَّني لم أفعلِ

إلى أن قال بعد بيتين :

ولقَدْ شَرِبْتُ الخمرَ في حَانوتِها ... صَهبَاءَ صافيةً كطعمِ الفُلفُلِ
يسعَى عليَّ بكأسِها مُتنطِّفٌ ... فيَعُلّني منها وإن لَمْ أنهَلِ[4]
إنَّ التي ناولتَني فردَدتُها ... قُتلَتْ قُتلْتَ فهاتها لَمْ تُقتَلِ
كلتَاهما حَلَبُ العَصيرِ فعَاطِني ... بزُجاجةٍ أرخاهما للمَفصِلِ
بزُجاجةٍ رقصَتْ بما في قَعرها ... رَقَصَ القَلوصِ براكبٍ مستعجِلِ

« العِصابة » : الجماعة من الناس . و« جلِّق » : بكسر الجيم واللام أيضاً ، قال الجواليقي في « المعربات » : يراد به دمشق ، وقيل موضع بقرب دمشق ، وقيل إنه صورة امرأة كان الماء يخرُج من فيها في قرية من قرى دمشق ، وهو أعجميٌّ معرب ، وقد جاء في الشعر الفصيح . وأنشد هذا البيت .

---

(١) الخزانة الجزء الأول ص٢٢٧ .

(٢) ديوان حسان بن ثابت ص١٢٢-١٢٤ .

(٣) هو الإنشاد السادس والتسعون بعد المائة في شرح أبيات المغني .

والبيت لحسان في الدرر ٧٦/٤ ؛ وشرح أبيات سيبويه ٦٩/١ ؛ وشرح أبيات المغني ١٢٤/٣ ؛ وشرح شواهد المغني ٣٧٨/١ ؛ والكتاب ١٩/٣ ؛ ومغني اللبيب ١٢٩/١ ؛ وهمع الهوامع ٩/٢ .

(٤) في طبعة بولاق : " يسقى علي " . وهو تصحيف صوابه من ديوان حسان ص١٢٤ والنسخة الشنقيطية .

وقوله : « أولاد جَفنة الخ » بالجرّ بدل من عصابة ، ويجوز رفعه . و«جَفنة » بفتح الجيم هو أبو ملوك الشام ، وهو جَفنَة بن عمرو مُزيقياء بن عامر بن حارثة بن امرئ القيس بن ثعلَبة بن مازنٍ الغسانيّ .

وابن مارية هو الحارث الأعرج ، وهو الحارث بن بَجيلة بن الحارث بن ثعلبة بن عمرو بن جَفنَة .

وأما جبَلة بن الأيهم فهو ابن مارية ؛ لأنّه ابنُ الأيهم بن جبَلة بن الحارث الأعرج . وأراد بأولاد جفنة أولاد الحارث الأعرج بن مارية ، وهم : النعمان ، والمنذر، والمنيذر ، وجَبَلة ، وأبو شَمِر . وهؤلاء كلّهم ملوك ، وهم أعمام جبلة بن الأيهم . كذا في مختصر أنساب العرب لياقوت الحمويّ .

قال السيّد الجرجانيّ في « شرح المفتاح » : ترك تفضيلهم احترازاً عن تقديم بعضهم على بعض . ثم قوله وعن التصريح بأسامي الإناث الداخلة فيهم ، فيه نظر ؛ فإن ذكر نساء الملوك لا يُعهد عند ذكر الملوك .

وقوله : إنّ مارية هي أمّ جَفنة غير صواب ، وإنّما هي أم الحارث الأعرج . ومارية قال جمهور النسّابين : هي مارية بنت ظالم بن وهب بن الحارث بن معاوية بن ثَور بن مُرتع الكندية .

وقال أبو عبيدة وابن السكيت : هي مارية بنت أرقم بن ثعلبة بن عمرو بن جَفنة؛ فتكون على هذا غسّانية، وهي أخت هند امرأة حُجْر والد امرئ القيس صاحب المعلّقة ، وليست أمه . ومارية هي التي يضرب المثل بقرطيها فيقال[1] : «خذْه ولو بقُرْطَي مارية » ، يضرب للترغيب في الشيء وإيجاب الحرص عليه ، أي : لا يفوتنّك على كلّ حال ، وإن كنت تحتاج في إحرازه إلى بذل النفائس .

قال الزمخشريّ في « أمثاله » : هي أول عربية تقرّطت وسار ذكر قُرطيها في العرب ، وكانا نفيسَي القيمة ، وقيل إنّهما قُوِّما بأربعين ألف دينار ، وقيل كان فيهما درّتان كبيض الحمام لم يُرَ مثلهما ، وقيل هي من اليمن أهدت قرطيها إلى البيت . انتهى .

---

(١) المثل في ثمار القلوب ص٦٢٩ ؛ وزهر الأكم ١/٦٩ ؛ وكتاب الأمثال لمجهول ص٥٩ ؛ ولسان العرب (مرا) ؛ والمستقصى ٢/٧٣ ؛ ومجمع الميداني ١/٢٣١ .

وقال أبو محمد الأعرابيّ : هي ذات القرطين ؛ لدرّتين كأنّهما بيضتا نعامة أو حمامة .

وأراد بقوله : حول قبر أبيهم ، أنّهم ملوك ذوو حاضرةٍ ومستقرّ ، ليسوا أصحابَ رحلة وانتجاع . سُئل الأصمعيّ بأنّه ما أراد حسان به[1] ، وأي مدح لهم في كونهم عند قبر أبيهم ؟ فقال : إنّهم ملوكٌ حُلول في موضع واحد ، وهم أهل مدَر وليسوا بأهل عَمد . وقال غيره : معناه أنّهم آمنون لا يبرحون ولا يخافون كما تخاف العرب ، وهم مخصبون لا ينتجعون .

قال السيّد المرتضى في « أماليه[2] » : هذا من الاختصار الذي ليس فيه حذف . أراد أنّهم أعزَّاء مقيمون بدار مملكتهم ، لا ينتجعون كالأعراب . فاختَصر هذا المبسوطَ في قوله : حول قبر أبيهم .

قال : والاختصار غير الحذف ؛ وقومٌ يظنون أنّهما واحد ، وليس كذلك ، لأنّ الحذفَ يتعلّق بالألفاظ : وهو أن تأتي بلفظٍ يقتضي غيرَه ، ويتعلّق به ، ولا يستقلّ بنفسه ويكون في الموجود دَلالةٌ على المحذوف ، فيُقتصر عليه طلباً للاختصار . والاختصار يرجع إلى المعاني : وهو أن تأتي بلفظٍ مُفيدٍ لمعان كثيرة لو عُبِّر عنها بغيره لاحتيج إلى أكثر من ذلك اللفظ . فلا حذف إلاّ وهو اختصار ، وليس كلُّ اختصار حذفاً . انتهى كلامه .

وأدرَجَ ابنُ رَشيق في « العُمْدة » هذا النوع في باب الإشارة[3] ، قال : والإشارة من غرائب الشعر ومُلَحِه ، وبلاغةٌ عجيبةٌ تدلُّ على بُعد المرمى وفَرْط القُدرة ؛ وليس يأتي بها إلاّ الشاعرُ المبرّز ، والحاذق الماهر ؛ وهي في كلّ نوعٍ من الكلام لمحةٌ دالّةٌ ، واختصار ، وتلويح يعرف مجملاً ومعناه بعيد من ظاهر لفظه .

وقوله : « يُغشَون حتّى ما تهرُّ كلابُهم الخ » ، بالبناء للمفعول أي : يُتردَّد إليهم؛ مِن غشيَه : إذا جاءه . وهرَّ الكلب يَهرّ ، من باب ضرب ، هريراً : إذا صوّت ، وهو دون النُّباح . يعني أنّ منازلهم لا تَخلو من الأضياف والفقراء ، فكلابهم

---

(١) في حاشية طبعة هارون ٣٨٦/٤ : " سئل بكذا ، أي : عن كذا ، من قوله تعالى : " سأل سائل بعذاب واقع".

(٢) أمالي المرتضى ٧٤/٢ .

(٣) العمدة في محاسن الشعر ٣٠٢/١ .

لا تهرّ على من يقصد منازلهم ؛ لاعتيادها بكثرة التّردد إليها من الأضياف وغيرهم . وقوله : « لا يَسألون الخ » ، أي : هم في سَعَة لا يسألون كم نزل بهم من الناس ، ولا يَهولهم الجمعُ الكثير ، وهو السَّواد ، إذا قصدوا نحوهم .

وهذا البيت استَشهد به سيبويه[1] وابنُ هشام في « المغني » على أنّ حتّى فيه ابتدائية ، أي : حرف يُبتدأ بعده الجملة اسميَّةً ، أو فعلية .

وقال أبو عليّ في « التذكرة القصرية » : اعلم أنّ يُغشَون للحال الماضية ، أعني أنّه حكاية لما مضى من الحال ، ولولا تقديرك له بالحال ما صحَّ الرفع ؛ لأنّ الرفع لا يكون إلاّ والفعل واقع . ويُغشَون لا يكون إلاّ للحال أو للآتي ، فلو قدّرته للآتي لم يصحَّ الرفع ؛ إذ لا يكون الرفع إلاّ وما قبله واقع والآتي لا يكون واقعاً ، فثبت أن يغشون للحال إذْ كانت الحال واقعة ، كأنّه قال : من عادتهم أنّهم يغشون حتّى لا تهرّ كلابُهم ، أي : لا يزالون يُغشون . انتهى .

وقوله : « يُسقونَ دِرياق الرَّحيق الخ »، « يُسقَون » بالبناء للمفعول ، قال شارح الديوان السكريّ : « الدِّرياق » : خالص الخمر وجيّده ، شبّهه بالدّرياق الشافي . و« الولائد » : جمع وليدة ، وهي الخادم . و« النَّقف » : استخراج ما في الحنظل . يقول : هم ملوكٌ لا تَجتني ولائدُهم الحنظلَ ولا تَنْتَقِفُه .

وقوله : « من الطِّراز الأول » ، يعني آباءهم الأشراف المتقدّمين الذين لا تشبه خلائقهم وأفعالُهم هذه الأفعالَ المحدَثة .

وقوله : « يسعى[2] علي بكأسها الخ » ، « المتنطِّف » : المقرَّط ؛ و« النُّطَفَة » بفتحات : القُرط . ويروى : « متنطِّق » ، وهو الذي عليه مِنطَقةٌ . و« علّه » : سقاه سَقياً بعد سقي . و« النّهل هنا » : العطش . وقال السكريّ : يقول : يسقينيها على كلِّ حالٍ ، عطِشْت أو لم أعطَشْ .

وقوله : « إنَّ التي ناولتني فرددتها قُتلتْ » ، بالبناء للمفعول ، أي : مزجتْ بالماء، والجملة خبر إنّ . وقوله : « قُتلتَ » ، هذا أيضاً بالبناء للمفعول ، لكنّه مسند إلى ضمير المتكلم ، والجملة اعتراضية .

---

(١) شرح أبيات سيبويه ٦٩/١ ؛ وشرح أبيات المغني ١٢٤/٣ ؛ وشرح شواهد المغني ٣٧٨/١ ؛ ومغني اللبيب ١٢٩/١ .

(٢) في طبعة بولاق : " يسقى " . وهو تصحيف صوابه من ديوان حسان والنسخة الشنقيطية .

وقوله : « كلتاهما الخ » ، أراد كلتا الممزوجة والصرف ، حلبُ العنب ، فناولْني أشدَّهما إرخاء ، وهي الصِّرف التي طلَبها منه في قوله لم تُقتَل . وهاتِها بكسر التاء أمرٌ من هاتَى يُهاتي مهاتاة[1] . و« الحَلَب » بفتحتين بمعنى المحلوب ، كالقَنَص بمعنى المقنوص .

و« أرخاهما » هو أفعل تفضيل من أرخَى المزيد ، وهو سماعيٌّ عند قوم مقيسٌ عند آخرين . و« المِفصل » ، روي بكسر الميم وفتح الصاد ، وهو اللِّسان لأنه آلة يُفصَل به ، وروي بفتح الميم وكسر الصاد ، وهو موضع انفصال العضو .

وقوله : « رَقَص القلوص » ، بفتح القاف : الناقة الشابّة ، قال السكريُّ : يقال رقص رقَصاً وحلَب حَلَباً بفتحتين ، وقد تخفّف ، والوجه الفتح[2] .

قال ابن الشجريّ في « أماليه[3] » : قال أبو الفرج[4] علي بن الحُسَين الأصبهاني صاحب كتاب الأغاني حديثاً رفعه إلى أبي ظَبيان الحِمَّاني قال : اجتمعت جماعةٌ من الحيّ على شرابٍ ، فتغنّى أحدهم بقول حسّان :

إنَّ التي ناولتَني فرددتُها (البيت)

وقوله :

كلتاهما حلَبُ العَصير (البيت)

فقال رجلٌ منهم : كيف ذكر واحدةً بقوله إنّ التي ناولتني فرددتها ثم قال كلتاهما فجعلها اثنتين ؟ قال أبو ظبيان : فلم يقل أحدٌ من الجماعة جواباً ، فحلف رجلٌ منهم بالطّلاق ثلاثاً إن بات ولم يسأل القاضي عُبيد الله بن الحسَنِ[5] عن تفسير

---

(١) في حاشية الطبعة السلفية ٤/٢٩٤ : " كذا . والمشهور أنها اسم فعل أمر بناؤه على الكسر " .

(٢) في حاشية الطبعة السلفية ٤/٢٩٥ : " نص السكري ص٣٥ من شرح الديوان طبع ليدن : " يقال رقص رقصاً، وحلب حلباً ، وحلب حلباً ، وقد يخففن أيضاً ، والوجه الفتح " .

(٣) في حاشية طبعة هارون ٤/٣٨٩ : " لم أعثر على هذا النص في أمالي ابن الشجري المطبوعة ، والمعروف أنها منقوصة الأواخر كما نبه محققها في ٢: ٣٥٦ أنها تنقصها ستة مجالس " .

(٤) الخبر في الأغاني ٩/٢٨٨-٢٨٩ .

(٥) في طبعة بولاق والنسخة الشنقيطية : " الحسين " . وهو تصحيف صوابه من الأغاني ٩/٢٨٩ . وهو عبيد الله بن الحسن بن الحصين العنبري ، قاضي البصرة المشهور والمتوفى سنة ١٦٨ هـ .

هذا الشعر ! قال : فسُقِط في أيدينا ليمينِهِ ، ثم اجتمعنا على قَصد عُبيد اللّه . فحدَّثَنا بعضُ أصحابنا السعديِّين قال : فيمَّمناه تتخطَّى إليه الأحياء ، فصادفناه في مسجدٍ يصلي بين العشاءَين ، فلمَّا سمع حِسَّنا أوجز في صلاته .

ثم أقبل علينا فقال : ما حاجتكم ؟ فبَدَرَ رَجلٌ منا كان أحسننا بَقِيَّةً[1] فقال : نحن ، أعزَّ اللّه القاضيَ ، قومٌ نزعْنا إليك من طريق البصرة[2] في حاجة مهمّة ، فيها بعضُ الشيء ، فإن أذنت لنا قلنا. فقال : قولوا . فذكَرَ يمين الرجل والشّعر . فقال : أمّا قوله : إنَّ التي ناولتني ، فإنّه يعني الخمر . وقوله : قُتلتْ أراد مزجت بالماء .

وقوله : « كلتاهما حَلَب العَصير »، يعني الخمر ومِزاجها ، فالخمر عصير العنب، والماء عصير السحاب ، قال اللّه تعالى[3] : « وأنْزَلْنا مِنَ المعْصِرَاتِ ماءً ثجَّاجا » . انصرفوا إذا شئتم .

وأقول : إنَّ هذا التأويل يمنع منه ثلاثة أشياء :

أحدها : أنّه قال كلتاهما وكلتا موضوعة لمؤنثين ، والماء لمذكر والمذكر أبداً يغلّب على التأنيث ، كتغليب القمر على الشمس في قول الفرزدق[4] :

* لَنَا قَمراها والنّجومُ الطّوالعُ *

أراد : لنا شمسها وقمرها . وليس للماء اسم آخر مؤنث فيحمل على المعنى كما قالوا : « أتته كتابي فاحتقَرها » ؛ لأنّ الكتاب في المعنى صحيفة .

والثاني : أنّه قال : أرخاهما للمفصل ، وأفعل هذا موضوع لمشتركَين في معنى ،

---

(١) في طبعة بولاق والنسخة الشنقيطية : " نفثة " . وهو تصحيف صوابه من الأغاني .
البقية : الفهم وثقوب الذهن ، كما في قوله تعالى : " أولو بقية ينهون عن الفساد " .

(٢) في الأغاني : " من طرف البصرة " .

(٣) سورة النبأ : ١٤/٧٨ .

(٤) عجز بيت للفرزدق ؛ وصدره :

* أخذنا بآفاق السماءِ عليكم *

وهو الإنشاد الثالث والعشرون بعد التسعمائة في شرح أبيات المغني للبغدادي .

والبيت للفرزدق في ديوانه ٤١٩/١ ؛ والأشباه والنظائر ١٠٧/٥ ؛ وشرح أبيات المغني ٨٨/٨ ؛ وشرح شواهد المغني ١٣/١ ، ٩٦٤/٢ ؛ ومغني اللبيب ٦٨٧/٢ . وهو بلا نسبة في لسان العرب (شرق ، قبل) ؛ والمقتضب ٣٢٦/٤ .

وأحدهما يزيد على الآخر في الوصف به ، والماء لا يشارك في إرخاء المفصل .

والثالث : أنّه قال في الحكاية : فالخمر عصير العنب ، وقول حسّان حلب العصير يمنع من هذا ، لأنّه إذا كان العصير الخمر والحلَب هو الخمر فقد أُضيفت الخمر إلى نفسها ، والشيء لا يضاف إلى نفسه .

والقول في هذا عندي : أنه أراد كِلتا الخمرين : الصرف والممزوجة ، حلَبُ العنب ، فناولْني أشدَّهما إرخاء للمفصل .

وفرّق اللغويون بين المِفصل والمَفصِل فقالوا : المِفصل بكسر الميم وفتح الصاد اللسان ، وهو بفتح الميم وكسر الصاد واحد مفاصل العظام ، وهو في بيت حسان يحتمل الوجهين . انتهى كلام ابن الشجري .

وأما حديث حسان بن ثابت مع جبلَة بن الأيهم ، وكيفية إسلام جبلة وارتداده، فقد أورده صاحب الأغاني[1] مفصّلاً وها أنا أورده مجملاً :

روى بسنده إلى يوسف بن الماجُشون عن أبيه قال : قال حسَّان بن ثابت : أتيت جبلَة بن الأيهم الغسَّاني و[قد] مدحته ، فأذن لي ، فجلست بين يديه ، وعن يَمينه رجلٌ له ضفيرتان ، وعن يساره رجلٌ لا أعرفه ، فقال : أتعرف هذين ؟ فقلت : أمَّا هذا فأعرفه – وهو النابغة الذبيانيّ – وأما هذا فلا أعرفه . قال : هو علْقمة بن عَبدَة، فإن شئتَ استنشدتُهما [وسمعتَ منهما] ، ثم إن شئت أن تُنشد بعدهما أنشدتَ ، [وإن شئت أن تسكت سكَتَّ] . قلت : فذاك . فأنشده النابغة[2] : (الطويل)

كِلِيني لِهَمٍّ يا أُمَيمَةَ نَاصبِ ... ولَيْلٍ أُقاسيهِ بطِيْءِ الكَواكِبِ

قال : فذهب نِصفي . ثم قال لعلقمة : أنشدْ . فأنشدَ[3] : (الطويل)

طحا بِكَ قلبٌ في الحِسانِ طَروبُ ... بُعَيدَ الشَّبابِ عَصْرَ حانَ مشِيْبُ

فذهب نصفي الآخر ؛ فقال لي : أنت أعلمُ الآن ، إن شئتَ سكتَّ وإن شئتَ أنشدتَ . فتشدَّدت وأنشدت :

(١) الأغاني ١٥/١٥٧ . وما بين معكوفين زيادات يقتضيها السياق من الأغاني .

(٢) ديوان النابغة الذبياني ص٤٠ .

(٣) ديوان علقمة بن عبدة ص٣٣ .

لِلَّـــهِ دَرُّ عِصابَةٍ نادمتُها ... يوماً بجِلَّقَ في الزَّمان الأوَّلِ
أبنَاءُ جَفنَةَ عندَ قَبرِ أبيهم ... قبر ابن ماريةَ الجوادِ المُفْضِلِ
يَسْقُونَ من وَرَد البَريصَ عليهمُ ... كأساً تُصفَّقُ بالرَّحيقِ السَّلسلِ[1]
يُغْشَونَ حتّى ما تَهِرُّ كلابُهمْ ... لا يَسألونَ عن السَّوادِ المُقبلِ
بيضُ الوجوهِ كَريمةٌ أحسابُهمْ ... شُمُّ الأنوفِ من الطِّرازِ الأوّلِ

فقال لي : ادنُ ادنُ[2] ، لعَمْري ما أنتَ بدُونِهما . ثمَّ أمر لي بثلثمائة دينار وعشرة أقمصة لها جيبٌ واحد ، وقال : هذا لكَ عندنا في كلّ عام .

وذكر أبو عمرو الشَّيبَانيّ هذه القصّة لحسّان مع عمرو بن الحارث الأعرج ، وأتى بالقصّة أتمّ من هذه الرواية ، قال أبو عمرو : قال حسّان بن ثابت :

قدِمت على عمرو بن الحارث فاعتاصَ الوصولُ إليه[3] ، فقلتُ للحاجب بعد مدّة : إن أذنت لي [عليه] وإلاّ هجوتُ اليمنَ كلّها . [ثم انقلبت عنكم] ، فأذن لي فدخلت ، فوجدت عنده النابغة وعلقمةَ بن عَبَدة ، فقال لي : يا ابن الفريعة ، قد عرفتُ نسبَك في غسّان فارجعْ ، فإني باعثٌ إليك بصِلة سنيّة ولا تحتاج[4] إلى الشعر فإني أخافُ عليك هذين السبُعين أن يَفضَحاك ، وفضيحَتُك فَضيحتي ، وأنت والله لا تحسن أن تقول[5] : (الطويل)

رِقاقُ النِّعالِ طيِّبٌ حُجُزاتُهم ... يُحيَّون بالرَّيحانِ يومَ السَّباسِبِ

فأبيتُ وقلتُ : لا بدَّ منه . فقال : ذاك إلى عمَّيك . فقلت لهما : بحقّ الملك إلاّ ما قدّمتماني عليكما ! فقال : قد فعلْنا . فأنشأتُ أقول :

أبنَاءُ جَفنَةَ عندَ قبرِ أبيهمُ ... قبرِ ابنِ ماريةَ الكريمِ المُفضلِ

---

(١) في طبعة بولاق : " بالرحيل السلسل " . وهو تصحيف صوابه من ديوانه والأغاني ١٥/١٥٧ .

(٢) في الأغاني ١٥/١٥٨ : " ادنه ادنه " .

(٣) في الأغاني ١٥/١٥٨ : " فاعتاص الوصول علي إليه " .

(٤) في الأغاني ١٥/١٥٨ : " ولا أحتاج إلى الشعر " .

(٥) البيت للنابغة الذبياني في ديوانه ص٤٧ .

وفي طبعة بولاق : " دقاق النعال " . وهو تصحيف صوابه من ديوانه والأغاني .

وفي شرح ديوانه ص٤٧ : " رقاق النعال ، يريد أنهم ملوك ليسوا بأصحاب مشي ولا تعب ؛ فيطارقوا نعالهم .." .

« الأبيات[١] » فلم يزل عمرو بن الحارث يزحـلُ[٢] عن مجلسه سروراً ، حتى شاطر البيت وهو يقول : هذا وأبيكَ الشعر ، لا ما يعلِّلاني به منذُ اليوم ، [هذه والله البتّارة التي قد بترت المدائح][٣] أحسنتَ يا ابن الفُريعة ، هاتِ له يا غـلامُ ألـف دينـار [مرجوحة[٤]] . فأعطِيتُ ذلك ، ثم قال : لك عليَّ كلَّ سنة مثلُها .

وقال أبو عمرو الشَّيبانيّ[٥] : لمّا أسلمَ جَبَلة بن الأيهَم الغسَّانيّ - وكان من ملوك آل جَفنة - كتبَ إلى عُمر يستأذِنُه في القُدوم عليه ، فأذنَ له فخرج إليـه في خمسمائةٍ من أهل بيته ، من عكٍّ وغسّان ، حتى إذا كان على مرحلتـين كتـب إلى عمـر يُعلمه بقدومه ، فسُرَّ [عمر رضوان الله عليـه] بذلـك وأمـر النـاس باستقباله ، وبعث إليه بأنزالٍ[٦] ، وأمر جبلةُ مائتي رجل من أصحابه فلبسوا الديباج والحرير .

وركبوا الخيل معقودةً أذنابُها ، وألبسوها قلائـدَ الذهـب والفضّـة ، ولبس جبلـةُ تاجَه وفيه قرطا مارِيَة- وهي جدَّته - ودخل المدينةَ فلم يبـقَ بهـا بكـر ولا عـانسٌ إلاّ خرجتْ تنظر إليه وإلى زيِّه ، فلما انتهى إلى عُمَر رحَّب به وألطَفَه وأدنى مجلسـه ، ثـم أراد [عمرُ] الحجَّ فخرجٍ معه جبَلة ، فبينا هو في الطّواف إذ وطئ إزارَه رجلٌ من بني فزَارة ، فانحلّ ، فرفع جبلةُ يده فهشم أنف الفزاريِّ ، فاستعدى عليه عمرَ ، فبعث إلى جبلةَ فأتاه فقال: ما هذا ؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين ، إنه تعمَّـد حـلَّ إزاري ، ولـولا حرمةُ الكعبة لضربتُ عنقه[٧] بالسَّيف ! قال عمر ، قد أقررت إمّـا أن تُرضـيَ الرجـلَ وإمّا أقدتُه .

قال جبلة : تصنع ماذا ؟ قال : آمـرُ بهشْـم أنفِـك ، قـال : وكيـف ذلـك ، هـو سُوقَة وأنا ملـك ؟ قـال : [إنَّ] الإسـلام جَمَعَـك وإيـاه ، فليس تفضُلـه إلاّ بـالتُّقى والعافية ! قال جبَلة : قد ظننتُ أني أكون في الإسلام أعزَّ منّي في الجاهليَّة .

---

(١) الذي في رواية الأغاني بيت واحد فقط ؛ وهو :

أسألتَ رسم الـدارِ أم لم تسـألِ ... بين الحواني فالبضيع فحَوْمَـلِ

(٢) يزحل : يتنحّى ويتباعد .

(٣) زيادة يقتضيها السياق من الأغاني ١٥/١٥٩ .

(٤) بعلها في الأغاني ١٥/١٥٩ : " وهي التي في كل دينار عشرة دنانير " .

(٥) الخبر في الأغاني ١٥/١٦٢ .

(٦) الأنزال : جمع نزل - بضم وبضمتين - وهو ما يهيأ للضيف أن ينزل عليه .

(٧) في الأغاني ١٥/١٦٢ : " لضربت عينيه بالسيف " .

قال عمر : دعْ عنك هذا ، فإنّك إن لم تُرضِ الرجلَ أقدتُه منك ! قال : إذَنْ أتنصَّر ! قال : إنْ تنصَّرتَ ضربتُ عنقَك ، فلما رأى جبلةُ الجِدَّ من عمر قال : أنا ناظر في [هذا] ليلتي هذه .

وقد اجتمع بباب عمر من حيٍّ هذا و[حيٍّ] هذا خَلقٌ [كثيرٌ] حتّى كادت أن تكون فتنة ، فلما أمسَوا أذن له عمرُ بالانصراف ، حتّى إذا نام الناس تحمَّل جبَلةُ مع جماعته إلى الشام ، فأصبحت مكةُ منهم بَلاقع . فلما انتهى إلى الشام تحمَّل في خِمسمائةٍ من قومه حتّى أتى القُسطَنطينيَّة فدخل إلى هرقل ، فتنصّر هو وقومُه ، فسُرَّ هرقلُ بذلك جدًّا ، وظنَّ أنّه فتحٌ من الفتوح ، وأقعده حيث شاء[1]، وجعلَه من محدِّثية وسُمّاره .

ثم إنّ عمر بدا له أن يكتب إلى هرقلَ يدعوه إلى الإسلام ، ووجّه إليه رسولاً [وهو جَثّامة بن مُسَاحق الكِنانيّ] ، فلما انتهى إليه أجابَ إلى كلِ شيء سوى الإسلام ، فلما أراد الرسولُ الانصرافَ قال له هرقل : هل رأيتَ ابنَ عمِّك هذا الذي جاءنا راغباً في ديننا ؟ قلت: لا . قال : فالقَه . قال : فتوجّهت إليه ، فلما انتهيت إلى بابه رأيت من البهجة[2] والحسن والستور[3] ما لم أر مثله بباب هرقل ، فلما أُدخلت عليه إذا هو في بهو عظيم ، وفيه من التصاوير ما لا أُحْسِن وصفَه ، وإذا هو جالس على سريرٍ من قوارير قوائمُه أربعةُ أُسْدٍ من ذهب ، وقد أمَرَ بمجلسِه فاستُقْبِلَ به وجهُ الشمس ، فما بينَ يديه من آنية الذهب والفضة تلوح ، فما رأيت أحسنَ منه ، فلمّا سلّمت عليه ردَّ السلام ورحَّب بي وألطفني ، ولامني على تركي النزولَ عنده ، ثم أقعدني على سريرٍ لم أدر ما هو ، فتبيَّنته فإذا هو كرسيٌّ من ذهب ، فانحدرت عنه فقال : مالك ؟ فقلت : إن رسولَ اللَّه صلَّى اللَّه عليه وسلَّم نهى عن هذا .

فقال جبلة أيضاً مثلَ قولي في النبي صلَّى اللَّه عليه وسلم حين ذكرته ، وصلَّى عليه ، ثم قال: يا هذا ، إنّك إذا طهَّرت قلبَك لم يضرَّك ما لبستَه ولا ما جلستَ عليه. ثم سألني عن الناس ، وألحفَ في السؤال عن عمر ، ثم جعل يفكِّر حتّى عرفت الحزنَ في وجهه ، فقلت له : ما يمنعك من الرجوع إلى قومك والإسلام ؟. فقال : أبعد الذي قد كان ؟ قلت : قد ارتدّ الأشعثُ بنُ قيس عن الإسلام [ومَنَعهم الزّكاةَ]

(١) في الأغاني ١٥/١٦٣ : " وأقطعه حيث شاء ".

(٢) في طبعة بولاق والنسخة الشنقيطية : " البهو " . وهو تصحيف صوابه من الأغاني ١٥/١٦٤ .

(٣) في النسخة الشنقيطية : " والجيش " . وفي الأغاني : " والحسن والسرور " .

وضربهم بالسيف ثم رجعَ إلى الإسلام .

فتحدَّثنا مَلِيًّا ثم أومأ إلى غلام على رأسه ، فولّى يُحضِر ، فما كـان إلاّ هُنَيهـة[1] حتى أقبلت الأخونة فوُضعت ، وجيء بِخِوان مـن ذهـب فوُضـع أمـامي فاستعفيت ، فوُضع أمامي خِوان من خَلَنْج[2] وجاماتُ قوارير[3] ، وأُديرت الخمرُ فاستعفيت منها ، فلما فرغنا دعا بكأس من ذهب فشربَ منه خمساً ، ثم أومأ إلى غلام فولّى يُحضِر فما شعَرت إلاّ بعشر جوارٍ يتكسّرن في الحَلْي والحُلَل ، فقعد خمسٌ عن يمينـه وخمـس عـن شماله ، ثم سمعتُ وسوسةً من ورائي ، فإذا أنا بعشرٍ أفضلَ من الأُوَل ، عليهنَّ الوشـيُ والحَلْي ، فقعد خمسٌ عن يمينه وخمس عن شماله .

ثم أقبلتْ جاريةٌ على رأسها طائر أبيض كأنه لؤلؤة ، مؤدَّب ، وفي يدهـا اليمنـى جام فيه مسك وعنبر قد خلِطا ، وفي اليسرى جام فيه ماء ورد ، فألقت الطائر في ماء الورد فتمعَّك فيه بين جناحيه وظهره وبطنه، ثم أخرجته فألقته في جام المسـك والعنـبر فتمعَّك فيهما حتّى لم يدعْ فيه شيئاً ، ثـم نَفَّرتـه فطـار فسـقط علـى رأس جَبلـة ، ثـم رفرف ونفض ريشَه فما بقي عليه شيء إلاّ سـقط علـى جبلـة ؛ ثـم قـال للجـواري : أَطرِبْنني فخفَقن بعيدانهنّ يغنين :

لِلّـــهِ دَرُّ عصــابــةٍ نادمتهُــم   يومـاً بجِلّـقَ في الـزّمـان الأوَّلِ

« الأبيات » فاستهلَّ واستبشر وطرِب ، ثـم قـال : زدنـي . فـاندفعن يغنّيـن[4] : (الخفيف)

لـمَنْ الـدّارُ أقْـفَـرَتْ بمَعــانِ   بيـنَ شاطي اليرموكِ فالصَّمّانِ

إلى آخر القصيدة .

فقـال : أتعرف هذه المنازل ؟ قلـت : لا . قال : هذه منازلنـا في مِلكنـا بأكنـاف

---

(١) في طبعة بولاق والنسخة الشنقيطية : " هنيئة " . وهو تصحيف صوابه من الأغاني .

(٢) الخلنج : شجر تتخذ من خشبه الأواني ونحوها ، فارسي معرب .

(٣) الجام : إناء من الفضة . والقوارير : الزجاج .

(٤) مطلع قصيدة لحسان بن ثابت يمدح جبلة بن الأيهم هو في ديوانه ص٣٢٢ .

وفي طبعة بولاق : " بمغاني " . وفي النسخة الشـنقيطية : " بمغـان " . والتصويـب مـن ديوانـه ص٣٢٢ ؛ والأغـاني ١٦٦/١٥ .

وفي طبعة بولاق والنسخة الشنقيطية : " بين شاطئ " . بالهمز وهو تصحيف صوابه من ديوانه والأغاني .

دِمَشق ، وهذا شعر ابنِ الفُريعة حسّان بن ثابت شاعر رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم . قلت : أمَا إنّه مضرورُ البصر ، كبير السنِّ ! قال : يا جارية ، هاتي . فأتته بخمسمائة دينار ، وخمسة أثواب ديباج ، فقال : ادفعْ هذه إلى حسّان . ثم راوَدَني على مثلها ، فأبيت فبكى ، ثم قال لجواريه : أبكِينَني . فوضَعن عيدانهنّ ثم أنشأن يَقُلْنَ(١) : (الطويل)

تَنصَّرتِ الأشرافُ من عارِ لطْمَةٍ ... وما كانَ فِيها لو صَبَرتُ لها ضَرَرْ

تكنّفني فيها لجَاجٌ ونَخوةٌ ... وكنتُ كمَن باعَ الصَّحيحةَ بالعوَرْ

فيَا ليتَ أُمِّي لَمْ تَلِدْني وليتَني ... رجعتُ إلى القولِ الذي قالهُ عمر

ويا ليتني أرعَى المَخَاضَ بفقرةٍ ... وكنتُ أسيراً في ربيعةَ أو مُضَرْ

ويا ليتَ لي بالشَّامِ أدنى معيشةٍ ... أجالسُ قومي ذاهبَ السّمعِ والبَصَرْ

ثم بكى وبكيت معه ، حتّى نظرت إلى دموعه تجول على لحيته [كأنها اللؤلؤ] ، ثم سلّمت عليه وانصرفت ، فلما قدمت على عمر سألني عن هرقلَ وعن جبلَة فقصصت عليه القصّة، فقال : أبعده اللّه ، تعجَّلَ فانيةً اشتراها بباقية ، فهل سرَّح معك شيئاً ؟ قلت : سرَّح إلى حسان خمسمائة دينار وخمسةَ أثواب ديباج . فقال : هاتِها .

وبعثَ إلى حسان فأقبل يقوده قائده حتّى دنا فسلّم وقال : يا أمير المؤمنين ، إنّي لأجد أرواحَ آل جَفنة! فقال عمر رضيَ اللّه عنه : قد نزع اللّه تعالى لك منه على رغم أنفه ، [وأتاك بمعونته] . فأخذها وانصرف وهو يقول(٢) : (الكامل)

إنَّ ابنَ جَفنَة من بقيَّةِ مَعشرٍ ... لم يَغذُهُمْ آباؤهُمْ باللُّومِ

لم يَنْسَني بالشَّام إذْ هو رَبُّها ... كلاَّ ولا متنصِّراً بالرُّومِ

يُعطي الجزيلَ ولا يراهُ عنده ... إلاَّ كبعضِ عطيَّةِ المذمومِ

وأتيتُهُ يوماً فقرَّبَ مجلِسي ... وسَقَى فروَّاني من الخُرطُومِ

ثم قال للرسول : ما قال لك جبلة ؟ قال : قال لي : إن وجدتَه حيَّاً فادفعْها إليه، وإنْ وجدته ميتاً فاطرح الثّيابَ على قبره ، وابتعْ بهذه الدنانير بُدْناً فانحرها على قبره .

(١) الأبيات بدون نسبة في الأغاني ١٥/١٦٧ .

(٢) الأبيات في ديوان حسان بن ثابت ص٣٦٣ .

فقال حسَّان : ليتك واللّه وجدتَني ميتاً ففعلتَ ذلك بي ! انتهى كلام الأغاني .

وروى هذه القصة ابن عبد ربه في « العقد »[١] على هذا النمط وزاد فيها عند قوله : « قد ارتدَّ الأشعث بن قيس عن الإسلام ثم رجع وقبل منه[٢] » .

قال جبلة : ذرني من هذا ، إنْ كنتَ تضمن لي أن يزوّجني عمر بنته ، ويولّيني بعده الأمر رجعت إلى الإسلام . قال : فضمنت له التزويج ، ولم أضمن الإِمْرَة .

وقال في آخر القصة[٣] : فلما قدمتُ على عمر أخبرته خبر جبلة وما دعوتُه إليه من الإسلام ، والشرط الذي اشترطه ، فقال لي[٤] عمر : هلاّ ضمنتَ له الإِمْرة أيضاً، فإذا أفاء اللّه به [إلى[٥]] الإسلام قضَى عليه بحكمه عز وجلّ . قال: ثم جهَّزني عمر إلى قيصر ، وأمرني أن أَضمن لجبلة ما اشترط به . فلما قدمتُ القسطنطينيَّة وجدت الناس منصرفين من جنازته ، فعلمت أن الشَّقَاء غلب عليه في أمِّ الكتاب . انتهى .

وروى صاحب الأغاني عن ابن الكلبي : أنَّ الفَزاريّ لما وطئ إزارَ جبلة فلطم الفزاريُّ جبلَة كما لطمه جبلة ، وثب عليه غسّان[٦] فهشّموا أنفه وأتوا به عمر . ثم ذكر باقي الخبر كما ذُكر .

وروى الزُّبير بن بَكّار : أنَّ جبلة قدِم على عمر في ألفٍ من أهل بيته فأسلم وجرى بينه وبين رجل من أهل المدينة كلام ، فسبَّ المدنيَّ فردَّ عليه ، فلطمه جبلة فلطمه المدنيُّ ، فوثب عليه أصحاب جبلة ، فقال : دعوه حتّى أسألَ صاحبَه وأنظر ما عنده . فجاء إلى عمر فأخبره ، فقال : إنّكَ فعلت به فعلاً ففعل بك مثله . قال :

---

(١) العقد الفريد ٢/٥٨ .

(٢) في العقد الفريد ٢/٥٨ : " قد فعل رجل من بني فزارة أكثر مما فعلت ، ارتد عن الإسلام وضرب وجوه المسلمين بالسيف ثم رجع إلى الإسلام وقبل ذلك منه " .

(٣) العقد الفريد ٢/٦١ .

(٤) في طبعة بولاق والنسخة الشنقيطية : " فقال له " . وهو تصحيف ، فالضمير للمتكلم . وفي العقد الفريد : "فقال " .

(٥) زيادة يقتضيها السياق من العقد الفريد .

(٦) في العقد الفريد : " فوثبت غسان " .

أوليس عندك من الأمر إلاّ ما أُرَى ؟ قال : لا ، فما عندك من الأمر يا جبلة ؟ قال : مَن سبّنا ضربناه ، ومن ضربنَا قتلناه ! قال : إنّما أنزل القرآنُ بالقصاص !! فغضب وخرج بمن معه ، ودخل أرض الروم فتنصّر ، ثم ندم فقال :

* تنصَّرتِ الأشرافُ من عار لطمةٍ *

« وذكر الأبيات الماضية » .

ثم روى صاحب الأغاني[1] بسنده عن عبد اللّه بن مسعدة الفزاريّ قال : وجّهني معاويةُ إلى ملك الروم ، فدخلتُ عليه ، وعنده رجل على سرير من ذهب ، فكلّمني بالعربية فقلت : من أنت يا عبد اللّه ؟ قال أنا رجل غلبَ عليه الشقاء ، أنا جَبَلَة بن الأيهم الغسَّاني ، إذا صرتُ إلى منزلي فالقَني .

فلمَّا انصرف أتيتُه فألفيته على شرابه ، وعنده قينتان تغنّيانه بشعر حسَّان بن ثابت[2] ، فلمَّا فرَغَتا من غنائهما أقبل عَليّ فقال: ما فعل حسان بن ثابت ؟ قلت : شيخ كبير قد عَمِي ! فدعا بألف دينار ، فقال : ادفعْها إلى حسان . ثم قال : أترى صاحبَك يَفي لي إن خرجتُ إليه ؟ قلت : قلْ ما شئتَ أَعْرِضهُ عليه . قال : يعطيني [الثنِيَّة[3] فإنّها كانت] منازلَنا ، وعشرين قرية من الغُوطَة [منها داريّا وسكّاء] ، ويَفْرِضُ لجماعتنا ويُحسن جوائزَنا . فقلت : أبلّغهُ . فلمَّا قدمتُ على معاوية أخبرته الخبر ، فقال : وددت أنّك أجبتَه إلى ما سأل . وكتب إليه بعطاء ذلك ، فوجده قد مات .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السادس عشر بعد الثلثمائة ، وهو من أبيات المفصّل وغيره[4] : (الطويل)

---

(١) الأغاني ١٥/١٦٨ .

(٢) في الأغاني : " بشعر حسان بن ثابت :

قد عفا جاسمٌ إلى بيت رأسٍ   فالحواني فجانب الجولان "

(٣) الثنية : ثنية العقاب – بضم العين – وهي ثنية مشرفة على غوطة دمشق .

(٤) هو الإنشاد الثالث والخمسون بعد الثمانمائة في شرح أبيات المغني للبغدادي .

والبيت للكلحبة اليربوعي في تاج العروس (حرم ، بقي) ؛ وشرح أبيات المغني ٣٠٣/٧ ؛ وشرح اختيارات –

٣١٦- وقد جَعَلَتْنِي منْ حَزِيمَةَ إصْبَعَا

على أنّ فيه حذف ثلاث كلمات متضايفات[1] ، أي : ذا مقدار مسافة أصبع . الأَوْلَى تقدير مضافين أي : ذا مسافة إصبع ؛ فإنَّ المسافة معناها البعد .

و« المقدارُ » لا حاجةَ إليه . كذا قدر جماعةٌ منهم أبو عليّ في « الإيضاح الشعري » ، ومنهم ابن هشام في « المغني » .

وهذا عجز ، وصدره :

* فأدركَ إبقاءَ العرادَةِ ظَلْعُها *

وهو من جملة أبياتٍ للكَلْحبة العَرِيني[2] ، تقدّم شرحها وترجمته في الشاهد الحادي والستين .

وأوّل الأبيات[3] :

فإنْ تَنْجُ منها يا حَزِيمَ بنَ طَارقٍ ... فقَدْ تَرَكتْ ما خَلفَ ظَهرِكَ بَلْقَعا

يقول : إنْ تنجُ يا حَزيمة من فرسي ، فلم تفلتْ إلاَّ بنفسك ، وقد استُبيح مالُك وما كنتَ حويتَه وغنِمتَه ، فلم تدَعْ لك هذه الفرسُ شيئاً .

وسبب هذه الأبيات : أنَّ بني تغلب - وكان رئيسُهم حَزيمة بن طارق - أغار على بني مالك بن حنظلة من بني يربوع ، فاستاق حزيمةُ بن طارق إبلَ بني يربوع ، ولما أتى الصّريخُ إلى بني يربوع ، ركبوا في إثره فهزموه ، واستنقذوا منه ما كان أخذه، وأُسِرَ حَزيمة .

- المفضل ص١٤٦ ؛ ولسان العرب (حرم ، بقي) ؛ والمفضليات ص٣٢ ؛ وللأسود بن يعفر في شرح المفصل ٣/٣١ ؛ وللأسود أو للكلحبة في المقاصد النحوية ٣/٤٤٢ ؛ ولرؤبة في مغني اللبيب ٢/٢٦٤ ؛ وليس في ديوانه . وهو بلانسبة في شرح الأشموني ٢/٣٢٥ .

(١) في شرح أبيات المغني ٧/٣٠٣ : " على أن فيه حذف مضافين .." .

(٢) في طبعة بولاق : " العرني " . وهو تصحيف صوابه من شرح أبيات المغني للبغدادي والنسخة الشنقيطية . وفي شرح أبيات المغني : " ... العريني أوردها في المفضليات ..." .

(٣) الأبيات في شرح اختيارات المفضل ص١٤٢-١٤٩ ؛ والمفضليات ص٣١-٣٢ ؛ ونقائض جرير والأخطل ص٩٣-٩٤ ؛ ونوادر أبي زيد ص١٥٣ .

وهذا البيت يشهد بانفلات حَزيمة ، وشعرُ جريرٍ يشهَد بأسره ، وهو قوله(١) :

* قُدْنا حَزيمةَ قد عَلمتم عَنوةً *

ويُجمع بينهما بأنَّ حزيمة بعد أن نجا من الكَلحبةَ أسره غيره . وضمير منها راجع إلى فرس الكلحبة . و« حَزيم » ، بفتح الحاء المهملة وكسر الزاء المعجمة : مرخّم حزيمة كما في البيت الآخر . و« البلقع » : القفر الخالي .

وقوله : « فأدرك إبقاءَ العَرادة » بفتح العين والراء والدال المهملات : اسم فرس الكلحبة . و« الإبقاء » : ما تبقيه الفرسِ من العَدْو ، إذْ مِن عِتاق الخيل ما لا تعطي ما عندها من العَدْو ؛ بل تُبقي منه شيئاً إلى وقت الحاجة ، يقال فرس مُبقية : إذا كانت تأتي بجَري عند انقطاع جريها وقتَ الحاجة(٢) ، [يريد أنها شربت الماء ، فقطعها عن إبقائها ، ففاته حزيمة ، وظلعها : فاعل أدرك ، وإبقاء : مفعوله] . والظّلْع في الإبل بمنزلة العَرج اليسير ، ولا يكون في ذي الحافر إلاّ استعارة .

يقول : تبعتُ حَزيمة في هربه فلما قربتُ منه أصابَ فرسي عرجٌ فتخلّفت عنه ، ولولا عرجُها لما أسره غيري . وجملة « وقد جعلتني » الخ حالية .

وأخطأ المظفريّ في « شرح المفصَّل » حيث لم يقف على منشأ البيت ، فزعم أنّ حَزيمة اسم قبيلة ، وقال في معناه : أدرك الظّلعُ إبقاءَ هذا الفرس أي : بقاءها وثباتها في السير ، يعني كانت ثابتة في السير فعرِجت في حالةٍ لم يبق بيني وبين قبيلتي إلاّ قدر إصبع . هذا كلامه ، وكان السكوت أجملَ به ، لو كان يعقل !

وقال العيني : كانت فرس الكلحبة مجروحة فقصَّرت لما قرب من حزيمة ففاته . وهذا لم يقله أحد ، وإنّما اعتذر الكلحبة لعرج فرسه وانفلات حزيمة بقوله :

ونادَى منادِي الحيّ أنْ قد أُتيتُمُ وقد شربتْ ماءَ المزَادَةِ أجْمعَا

يقول : أتى الصّريخ وقد شربتْ فرسي مِلْءَ الحوض ماء(٣) . وخيل العرب إذا علمت أنه يُغار عليها ، وكانت عطاشاً ، فمنها ما يشرب بعضَ الشرب ، وبعضها لا

(١) صدر بيت في ديوان جرير ص٦٣ ؛ وشرح أبيات المغني ٧/٣٠٤ . وعجزه :

* وشتا الهذيل بمارس الأغلالا *

(٢) سياق الكلام يدل أن هناك نقصاً واضطراباً . لذلك اعتمدنا رواية شرح أبيات المغني فهي تامة وسليمة .

(٣) في طبعة بولاق : " من الحوض ماء .." . وهو تصحيف صوابه من شرح اختيارات المفضل والمفضليات .

يشرب ألبتة ، لما قد جرَّبت من الشدَّة التي تلقى إذا شربت الماء وحُورب عليها . وجملة « وقد شربت » حال ، أي : أتيتم[1] في هذه الحال . كذا قال ابن الأنباريّ في « شرح المفضّليات » .

فعلم من هذا أنّ سبب عرج فرسه من إفراط شرب الماء ، لا من الجُرح . واللّه أعلم .

* * *

وأنشد بعده[2] : (المنسرح)

يا مَنْ رأى عارِضاً أُسَرُّ بهِ ... بينَ ذِراعَي وجَبْهَةِ الأَسَدِ

على أنَّ أصله : بين ذراعي الأسد وجبهة الأسد[3] . فحذف المضاف إليه الأوَّل على نيّة لفظه . ولهذا لم يُبْنَ المضافُ و لم ينوَّن .

و« مَنْ » : منادى ، وقيل المنادى محذوف ومَن استفهامية . والرؤية بَصَريّة . و«العارض » : السَّحاب الذي يعترض الأفق . وجملة « أُسرُّ به » بالبناء للمفعول صفة لعارض .

و« الذراعان » و« الجَبْهة » : من منازل القمر . وعند العرب أن السحاب الذي ينشأ بنَوءٍ من منازل الأسد يكون مطرُه غزيراً ، فلذلك يُسَرُّ به .

قال الأعلم في « شرح شواهد سيبويه » : وصف عارضَ سَحابٍ اعترضَ بين نَوء الذراع ونوء الجبهة ، وهما من أنواء الأسد ، وأنواؤه أحْمَدُ الأنواء . وذكَرَ الذراعين ، والنوءُ إنّما هو للذراع المقبوضة منهما ، لاشتراكهما في أعضاء الأسد.

---

(١) في طبعة بولاق : " أوتيتم " . وهو تصحيف صوابه من شرح المفضليات والنسخة الشنقيطية .

(٢) البيت للفرزدق في ديوانه ٢١٥/١ ؛ وشرح أبيات المغني ١٧٦/٦ ؛ وشرح شواهد المغني ٧٩٩/٢ ؛ وشرح المفصل ٢١/٣ ؛ والكتاب ١٨٠/١ ؛ والمقاصد النحوية ٤٥١/٣ ؛ والمقتضب ٢٢٩/٤ . وهو بلا نسبة في الأشباه والنظائر ١٠٠/١ ، ٢٦٤/٢ ، ٣٩٠ ؛ وتخليص الشواهد ص٨٧ ؛ والخصائص ٤٠٧/٢ ؛ ورصف المباني ص٣٤١؛ وسر صناعة الإعراب ص٢٩٧ ؛ وشرح الأشموني ٣٣٦/٢ ؛ وشرح عمدة الحافظ ص٥٠٢ ؛ ولسان العرب (بعد ، يا) ؛ ومغني اللبيب ٣٨٠/٢ ، ٦٢١ .

(٣) في شرح أبيات المغني : " ..الأسد وجبهته " .

وتقدّم شرح هذا البيت - وهو للفرزدق - بأبسط من هذا في الشاهد السادس والثلاثين بعد المائة[1] .

* * *

وأنشد بعده[2] : (مجزوء الكامل)

إلاّ عُلالَةَ أو بُدا هَةَ سَابحٍ نَهْدِ الجُزَارَهْ

على أنّ الأصل : إلاّ عُلالة سابح أو بُداهة سابح ، كالذي قبله .

قال أبو علي في « التذكرة القصريّة » : ليس من اعترض في قوله : إلاّ علالة أو بداهة قارح[3] بأنّ المضاف إليه محذوف ، يدافع أن يكون بمنزلة ما شبّهه به من قوله[4]:

* للّهِ دَرُّ اليومَ من لامَهـا *

لأنه قد ولي المضاف غير المضاف إليه ، وإذا وليه غيره في اللفظ فقد وقع الفصل به بينهما ، كما وقع الفصل بينهما في اللفظ في قوله : للّه درُّ اليوم . وإذا كان كذلك فقد ساواه في القبح للفصل الواقع بينهما ، وزاد عليه فيه أنَّ المضاف هنا محذوف، وللّه درُّ اليومَ مذكور ، فلا يخلو الأمر من أن يكون أراد المضاف إليه فحذفه لدلالة الثاني عليه ، أو أراد إضافته إلى المذكور في اللفظ وفصل بينهما بالمعطوف . وكيف كانت القصّة فالفصل حاصلٌ بين المضاف والمضاف إليه .

واعترض بأن قال : لو كان على تقدير الإضافة إلى قارح الظاهر ، لكان إلاّ علالة أو بُداهةَ قارحٍ . [و[5]] لا يلزم لأنه يجوز[6] أن يكون : إلاّ علالة قارح أو

(١) الخزانة الجزء الثاني ص٢٨١ .

(٢) البيت لأعشى ميمون في ديوانه ص٢٠٩ ؛ والخصائص ٤٠٧/٢ ؛ وسر صناعة الإعراب ٢٩٨/١ ؛ وشرح أبيات سيبويه ١١٤/١ ؛ وشرح المفصل ٢٢/٣ ؛ والشعر والشعراء ١٦٣/١ ؛ والكتاب ١٧٩/١ ، ١٦٦/٢ ؛ ولسان العرب (جزر ، بده) ؛ والمقاصد النحوية ٤٥٣/٣ . وهو بلا نسبة في أمالي ابن الحاجب ٦٢٦/٢ ؛ ورصف المباني ص٣٥٨ ؛ وشرح ديوان الحماسة للمرزوقي ص١١٨ ؛ والمقتضب ٢٢٨/٤ ؛ والمقرب ١٨٠/١ .

(٣) هذا القول إشارة لرواية ثانية .

(٤) عجز بيت لعمرو بن قميئة ، وهو الشاهد التالي من شواهد الخزانة .

(٥) زيادة يقتضيها السياق من الطبعة السلفية ٣٠٧/٤ .

(٦) في طبعة بولاق : " لأنه يلزم " . وهو تصحيف صوابه من النسخة الشنقيطية .

بُداهة قارح ، فيظهر المضاف إليه موضع الإضمار ، فتحذفه من اللفظ كما جاز عند من خالف سيبويه ، بأن يذكر علالة وهو يريد الإضافة فيحذف المضاف .

وله أن يقول : إنّ تقديري الحذف أسوغ، ولأنّي أحذفه بعد أن قد جرى ذكره، وحذفُ ما جرى ذكرُه أسوغُ لتقدُّم الدلالة عليه . انتهى كلام أبي علي .

وهذا البيت من قصيدة للأعشى ميمون تقدّم شرحه وترجمته في الشاهد الثالث والعشرين[1] .

وقبله[2] :

وهُنَاكَ يَكْذِبُ ظَنُّكم أن لا اجتماعَ ولا زِيَارَهْ

يقول : إذا غزوناكم علمتم أن ظنّكم بأنّنا لا نغزوكم كذب ، وهو زعمكم أننا لا نجتمع ولا نزوركم بالخيل غازين .

وقوله : « إلاّ عُلالة » استثناء منقطع من قوله لا احتماع ، أي : لكن نزوركم بالخيل . و« العُلالة » : بضم المهملة : بقيَّة جري الفرس . و« البُداهة » بضم الموحدة : أول جري الفرس ، و أو للإضراب .

وروي بتقديم « بداهة » على « علالة » فأو ، على هذا لأحد الشيئين . و«السابح » : الفرس الذي يدحو الأرض بيديه في العَدْو . و« النَّهْد » : المرتفع . و«الجُزارة » بضم الجيم : الرأس واليدان والرجلان . يريد أن في عنقه وقوائمه طولاً وارتفاعاً . وهذا مدحٌ في الخيل .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع عشر بعد الثلثمائة ، وهو من شواهد سيبويه[3] : (السريع)

---

(١) الخزانة الجزء الأول ص١٧٩ .

(٢) ديوان الأعشى ميمون ص٢٠٩ .

(٣) البيت لعمرو بن قميئة في ديوانه ص٧٣ ؛ والإنصاف ٤٣٢/٢ ؛ وشرح أبيات سيبويه ٣٦٧/١ ؛ وشرح المفصل ٢٠/٣ ، ٧٧ ؛ والكتاب ١٧٨/١ ؛ ومعجم البلدان (ساتيدما).وهو بلا نسبة في الأشباه والنظائر ٢٣٢/٢؛ والكتاب ص١٩٤ ؛ واللامات ص١٠٧ ؛ ومجالس ثعلب ص١٥٢ ؛ والمقتضب ٣٧٧/٤ . رواية معجم البلدان :

* ... إذ تنكر أعلامها *

٣١٧- لـمَّا رأتْ ســاتِيـدَمَـا اسـتَعْبَرتْ
لِلَّـــهِ درُّ - اليــومَ - مَـنْ لامَهــا

على أنّه قد فصل في ضرورة الشعر بين المتضايفين بـالظرف ، والأصـل : للّـه درُّ من لامها اليوم .

قال أبو علي في « التذكـرة القصرية » قـال سيبويه : تقـول : عجبـت مـن ضربِ اليومِ زيداً ، ولا يكون على هذا : للّه درُّ اليوم من لامها ، فيضيف درّاً إلى اليوم ؛ لأنّ درّاً بمنزلة قولهم للّه بلادُك ، فليسـت تجـري مجـرى المصدر ولا تعمـل عمل الفعل .

قال أبو عثمان : فلو أضفت دَرّاً إلى اليوم ، لبقي قولكَ من لامها لا موضع لـه ، لأنه ليس كالضرب فيكون الثاني في موضع نصب بالمصدر ، فيكون بمنزلة عجبت من إعطاء زيد درهماً . فإذا بقي لا موضعٍ له ، لم تجز الإضافةُ في « دَر » ، وإذا لم تجزِ الإضافة في درّ إلى اليوم ، جعلته فاصلاً بين المضاف والمضـاف إليـه ، وجعلتَـه متّصـلاً باللام ومعمولاً له ، ولا يكون معمولاً للامها ؛ لأن ما في حـيِّز الصلـة لا يعمـل فيمـا قبله . انتهى .

وهذا البيت ثاني أبيات ثلاثة لعَمرو بن قميئة[1] ، وهي :

قَـدْ سَـألَتْني بِنتُ عَمْـرٍو عـنِ الـ	ـأَرضِ التـي تُنكِـــرُ أعْـلامَهـــا
لـمَّا رأتْ سـاتِيـدَمـا اسـتَعْبَـرَتْ	. . . . (البيت)
تَـذكَّـرتْ أرْضـاً بهـا أهلُهـا	أخْــوالَهـا فِيْهـا وأعْمَـامَهـا

قال أبو محمد الأسود الأعرابيّ في « فُرحة الأديب »[2] : قال أبو النَّدَى : سبب بكائها أنَّها لما فارقت بلادَ قومِها ، إلى بلاد الـروم ، [بكـت و] ندمـت علـى ذلـك . وإنَّما أراد عمرو بن قميئة[3] بهـذه الأبيـات نفسَـه لا بنتـه ، فكنّـى عـن نفسـه بهـا . و«ساتيدما»: جبل بين ميَّا فارِقين وسعرت . وكان عمـرو بن قميئة قال هذا لما خرج

(١) الأبيات في ديوان عمرو بن قميئة ص٧٣ ؛ وفرحة الأديب ص٨٦ ؛ ومعجم البلدان (ساتيدما) .

(٢) فرحة الأديب ص٨٧ .

(٣) في طبعة بولاق : " قمئة " . وهو تصحيف صوابه من فرحة الأديب . والنسخة الشنقيطية ومـن سياق الكـلام الآتي للبغدادي نفسه .

مع امرئ القيس إلى ملك الروم . انتهى

و« تُنكر » : تجهَل ؛ أنكرتُه إنكاراً : خلاف عرفْتُه ، ونِكرته مثال تعبت كذلك، غير أنّه لا يتصرف . كذا في المصباح . و« الأعلام » : الجبال ، ويجوز أن يريد بها المنارَ المنصوبة على الطريق ليستدلّ بها من يسلك الطريق . يريد : أنها سألته عن المكان الذي صارت فيه وهي لا تعرفه ، لما أنكرته استخبرته عن اسمه .

و« استعبرت » : بكت من وَحشة الغربة ولبعدها من أراضي أهلها . والعرب تقول : للّه دَرُّ فلان ، إذا دَعوا له ، وقيل : إنّهم يريدون للّه عمله ، أي : جعل اللّه عمله في الأشياء الحسنة التي يرضاها . وإنّما دعا للائمها بالخير نكايةً بها لأنّها فارقت أهلها بحسن اختيارها ، فيكون هذا تسفيهاً لها بتغرُّبها .

وقال الأعلم : وصف امرأةً نظرت إلى ساتيدما - وهو جبلٌ بعيدٌ من ديارها - فتذكرت بلادها فاستعبرت شوقاً إليها ، ثم قال : للّه درُّ من لامها اليوم على استعبارها وشوقها ، إنكاراً على لائمها ، لأنّها استعبَرت بحقٍّ ، فلا ينبغي أن تلام . هذا كلامه . وليس هذا معنى الشعر فتأمَّلْ .

وكذلك لم يصب بعضُ فضلاء العجم في « شرح أبيات المفصَّل » في قوله : قد سألتني هذه المرأة عن الأرَضِينَ التي كان بها أهلها ، إذ أنكرت جبالها أو أعلامَها المنصوبة فيها ، و لم تعرفها لتقادم العهد بها أو لتغيُّرها ، لّما رأت هذا الجبل بكت ، لأنه كان منزلَ أهلها . ثم قال : للّه درّ من لامها على البكاء وقبّحه عندها ، لتمتنع عنه[1] . انتهى كلامه . وهذا كلام من لم يصل إلى العنقود .

وقوله : « تذكّرتْ أرضاً بها أهلها » ، قد استشهد سيبويه بهذا البيت أيضاً[2] على أنّ قوله : أخوالها فيها وأعمامها ، منصوب بفعل مضمر وهو تذكّرتْ . وهذا جائز عندهم بإجماع ، لأنّ الكلام قد تمَّ في قوله : تذكّرَتْ أرضاً بها أهلُها ، ثم حمل ما بعده على معنى التذكّر .

وأجاز بعض فضلاء العجم في « شرح أبيات المفصّل » أن يكون قوله : أخوالَها، بدلاً من أرضاً بدل الاشتمال .

---

(١) في طبعة بولاق والنسخة الشنقيطية : " لتمنع " . وهو تصحيف .

(٢) الكتاب ١٧٨/١ .

وقوله : « بها أهلها » ؛ الظرف لقوله أرضاً ، وأهلها فاعل الظرف ، ويجوز أن يكون مبتدأ والظرف قبله خبره والجملة هي الصفة .

قال ابن خلف : ولو نصبت أهلها بإضمار فعل لجاز على بُعد .

والكلام على ساتيدما قد أجاد فيه ياقوت الحموي في « معجم البلدان » قال : ساتيدما بعد الألف تاء مثناة من فوق مكسورة وياء مثنّاة من تحت ودال مهملة مفتوحة وميم وألف مقصورة ، أصله مهمل في الاستعمال في كلام العرب ، فإمّا أن يكون مرتجلاً عربياً لأنّهم قد أكثروا من ذكره في شعرهم ، وإمّا أن يكون أعجميّاً . قال العِمْرانيّ : هو جبلٌ بالهند لا يعدم ثلجه أبداً .

وأنشدوا[1] : (المتقارب)

أبْـرَدُ مـن ثَلْـجِ سـاتِيدمـا وأكْثـرُ مـاءً مـن العكْـرِشِ

وقال غيره : سمِّي بذلك لأنه ليس من يوم إلاّ ويسفك فيه دم ، كأنّه اسمان جُعِلا واحداً : ساتي ، دما . وسادي وساتي بمعنى ، وهو من سدَى الثّوب ، فكأنّ الدماء تُسدى فيه كما يُسدى الثوب . وقد مدّه البحتريُّ فقال : (الطويل)

ولـمّا استقرَّت في جَلُولَـى ديارَهُمْ فلا الظَّهْرُ من سَاتِيدَمـاءَ ولا اللُّحْـفُ

قال أبو عُبيد البكريّ في « معجم ما استعجم » : رأيتُ البُحتُريَّ قد مدَّه ، فلا أعلم أ ضرورة أم لغة ، والبحتريُّ شديد التوقّي في شعره من اللحن والضّرورة .

ثم قال ياقوت : وقد حذف يزيدُ بن مفرِّغ ميمه فقال[2] : (الوافر)

* فدَيرُ سَوَى فساتِيدَا فبُصرى *

قلت : وهذا يدل عل أن هذا الجبل ليس بالهند ، وإنّما العِمْرانيُّ وهم . وذكر غيره أنَّ ساتيدَما ، هو الجبل المحيط بالأرض ، منه حبل بارمَّا ، وهو الجبل المعروف

(١) كذا في طبعة بولاق والنسخة الشنقيطية : " أبرد " . وعلى رواية البغدادي هذه يكون البيت مخروماً . والخرم حذف أول متحرك من الوتد المجموع . ورواية معجم البلدان : " وأبرد " بلون خرم . وقد زاد الشنقيطي الواو في نسخته تجنباً للخرم .

(٢) صدر بيت ليزيد بن المفرغ في ديوانه ص١٨٣ ؛ وعجزه :

* فحُلوانُ المخَافَة فالجبالُ *

وفي حاشية محقق الديوان شرح وافر عن سبب التسمية وأصل تسمية " ساتيدما " .

بجبل حُمرين وما يتّصل به قرب الموصل والجزيرة وتلك النواحي . وهو أقرب إلى الصحة . والله أعلم .

وقال أبو بكر الصُّوليّ في شرح قول أبي نواس : (المنسرح)

ويومَ ساتيدَما ضَربْنا بني الـ ـأصفَرِ والمَوتُ في كتائِبها

قال : ساتيدما : نهر قرب أرزَن ، وكان كسرى وجّه إياس بن قبيصة الطائي لقتال الروم بساتيدما فهزمهم ، فافتخر بذلك ، وهذا هو الصحيح . وقوله : في بلاد الهند خطأ فاحش .

وقد ذكر الكسرويّ فيما أورد في خبر دجلة عن المرزباني عنه ، فذكر نهراً بين آمِد وميَّا فارقين ، ثم قال : ينصبُّ إليه وادي ساتيدما ، وهو خارج من درب الكلاب[1] ، بعد أن ينصبّ إلى وادي ساتيدما وادي الزور الآخذ من الكلك ، وهو موضع ابن بقراط البطريق من ظاهر أرمينيا . قال : وينصبّ أيضاً من وادي ساتيدما ، نهر ميَّا فارقين ، وهذا كله مخرجه من بلاد الرُّوم ، فأين هو والهند ، ياللعجب ! وقول عمرو بن قميئة :

* لمّا رأت ساتيدَما استعبرَت *

يدل على [ذلك] ؛ لأنه قاله[2] في طريقه إلى ملك الروم ، حيث سار مع امرئ القيس . انتهى كلام ياقوت .

وقال البكريّ في « معجم ما استعجم » : ساتيدما : جبل متّصل من بحر الرُّوم إلى بحر الهند ، وليس يأتي يومٌ من الدهر إلاّ سُفِك عليه دم ، فلذلك سمِّي ساتيدما . وكان قيصر قد غزا كسرى وأتى بلاده على غِرَّة ، فاحتال له حتّى انصرف عنه ، واتبعه كسرى في جنوده فأدركه بساتيدما ، فانهزموا مرعوبين من غير قتال ، فقتلهم قَتْلَ الكلاب ، ونجَا قيصرُ و لم يَكَدْ . وفي شعر أبي النجم ساتيدما : قصر من قصور السواد ، قال أبو النجم يذكر سَكْرَ خالدٍ القسريٍّ لدجلَة[3] : (الرجز)

---

(١) في النسخة الشنقيطية : " ضرب الكلاب " . وهو تصحيف صوابه من طبعة بولاق ومعجم البلدان (ساتيدما).

(٢) في طبعة بولاق والنسخة الشنقيطية : " يدل على أنه " . وهو تصحيف صوابه من معجم البلدان (ساتيدما) .

(٣) في معجم ما استعجم للبكري : " .. المد حتى أحكما " . وهو تصحيف . والصواب ما عند البغدادي في الخزانة .

فلَمْ يجِئْها المرءُ حتّى أحكَمَا سَكْراً لَهَا أعظَمْ منْ سَاتِيدَمَا

انتهى . ولا يخفى أنه ليس في قول أبي النجم ما يعيِّن كونه قصراً ، ولا مانع من أن يحمل على معنى الجبل . وممَّا يرد به على العِمرانيّ في قوله : إنه جبل بالهند لا يعدم ثلجه ، أن الهند بلاد حارَّة لا يوجد فيها الثلج[١] . واللّه أعلم .

و« **عمرو بن قميئة** » على وزن فَعيلة ، مؤنّث قميء على وزن فعيل مهموز اللام من قمُؤ الرجل بضم الميم قَمْأ بسكونها ، وقَماءة بفتحها والمد ، أي : صار قميئا، وهو الصَّغير الذليل .

قال ابن قتيبة في « كتاب الشعراء »[٢] : عمرو بن قميئة من قيس بن ثعلبة بن مالك رهط طرَفة بن العبد ، وهو قديمٌ جاهليّ كان مع حُجْر أبي امرئ القيس ، فلما خرج امرؤ القيس إلى الروم صحبه . وإياه عنى امرؤ القيس بقوله[٣] : (الطويل)

بَكَى صاحِبِي لمَّا رأى الدّربَ دونَه وأيقَنَ أنَّا لاحِقَان بقَيصرَا
فقلتُ لَهُ : لا تَبْكِ عَيْنكَ إنّما نُحاوِلُ مُلْكاً أو نَموتَ فَنُعْذَرا

ثم قال ابن قتيبة : وفي عبد القيس عمرو بن قميئة الضبعي[٤] .

وأورد الآمديّ في « المؤتلف والمختلف »[٥] ثلاثةً من الشعراء يقال لهم ابن قميئة، أوّلهم هذا قال :

هو[٦]عمرو بن قميئة بن ذَريح بن سعد بن مالك بن ضُبيعة بن قيس بن ثعلبة الشاعر

---

(١) في حاشية الطبعة السلفية ٣١٢/٤ : " هذا من أوهام القدامى ، وإلا فالثلج يغطي رؤوس كل الجبال العالية وقمة افرست في جبال هماليا بالهند بحللة دائماً بالثلوج . وإن يكن خط العرض مؤثراً في ارتفاع خط الثلج الدائم ، فإن لوفرة الأبخرة كذلك شأناً في ارتفاعه . وقد نبه على هذا الوهم العلامة الميمي أيضاً " .

(٢) الشعر والشعراء ص٢٩٢ .

(٣) ديوان امرئ القيس ص٦٥-٦٦ ؛ والشعر والشعراء ص٢٩٢ .

(٤) في جميع أصول طبعات الخزانة : " .. بن قميئة الصغير " . وهو تصحيف واضح فالضبي أو الضبعي لا يكونان في عبد القيس (انظر جمهرة أنساب العرب ص٣١٩-٣٢٠) والتصويب من الشعر والشعراء ص٢٩٣ ؛ وجمهرة أنساب العرب .

(٥) المؤتلف والمختلف ص٢٥٤ .

(٦) انظر في ترجمته وأخباره الأغاني ٥٢/١٨؛ والشعر والشعراء ص٢٩٢ ؛ والمؤتلف والمختلف ص٢٥٤ ؛ والمعمرين ص١١٢ .

المشهور ، دخلَ بلاد الروم مع امرئ القيس بن حُجر فهلك ، فقيل له عمرٌو الضائع .

والثاني هو جميل بن عبد الله بن قميئة الشاعر العُذريّ ، أحد بني ظَبيَان بن حُنّ ، وحُنٌّ ابن عذرة ، و لم يكن جميل يعرف إلاّ بابن قميئة .

والثالث ربيعة بن قميئة الصَّعْبي أحد بني صعب بن تيم بن أنمار بن ميسر بن عميرة بن أسد بن ربيعة بن نزار ، شاعر له في كتاب عبد القيس القصيدة التي أولها[1]: (الطويل)

لـمَنْ دِمَـنٌ قَفْـرٌ كـأنَّ رُسُـومَهـا ‏ ‏ ‏ على الحَوْلِ جفنُ الفارسيٍّ المزخرَفُ

وأنشد بعده[2] : (البسيط)

كـأنّ أصـواتَ مِـنْ إيغالـهِنَّ بنَـا ‏ ‏ ‏ أَوَاخِـرِ الـمَيسِ إنقـاضُ الفَرَاريـجِ

على أنّ الظرف قد فصَل بين المتضايفين لضرورة الشعر ، والأصل : كأنّ أصواتَ أواخرِ المَيس . ومن للتعليل .

و« الإيغال » : الإبعاد ، يقال أوغل في الأرض : إذا أبعَد فيها . والضمير للإبل. و« الأواخِر » : جمع آخِرة الرحْل ، بوزن فاعلة ، وهو العُود الذي في آخر الرحْل يستند إليه الراكب . و« المَيْس » : بفتح الميم : شجرٌ يتّخذ منه الرحال والأقتاب . وإضافة الأواخر إليه كإضافة خاتم فضَّة . و« الإنقاض » مصدر أنقضَت الدجاجة : إذا صوّتت ، وهو بالنون والقاف والضاد المعجمة . و« الف اريج » : جمع فَرُّوج ، وهي صِغار الدَّجاج .

يريد أنّ رحالهم جَديدةٌ ، وقد طال سيرهُم فبعض الرحْل يحكّ بعضاً ، فيحصل مثل أصواتِ الفراريج من اضطراب الرِّحال ؛ لشدة السير .

---

(١) في طبعة بولاق والنسخة الشنقيطية : " ..على الجفن .." . وهو تصحيف صوابه من المؤتلف والمختلف ص٢٥٥ .

(٢) البيت لذي الرمة في ديوانه ص٩٩٦ ؛ والإنصاف ص٤٣٣ ؛ والحيوان ٣٤٢/٢ ؛ والخصائص ٤٠٤/٢ ؛ وسر صناعة الإعراب ص١٠ ؛ وشرح أبيات سيبويه ٩٢/١ ؛ والكتاب ١٧٩/١ ، ١٦٦/٢ ، ٢٨٠ ؛ ولسان العرب (نقض) . وهو بلا نسبة في جمهرة اللغة ص٨٦٣ ؛ ورصف المباني ص٦٥ ؛ وشرح ديوان الحماسة للمرزوقي ص١٠٨٣ ؛ وشرح المفصل ١٠٣/١ ، ٧٧/٣ ، ١٣٢/٤ ؛ وكتاب اللامات ص١٠٧ ؛ والمقتضب ٣٧٦/٤ .

وهذا البيت من قصيدةٍ لذي الرمّة تقدم الكلامُ عليه في الشاهد التاسع والستين بعد المائتين[١] .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثامن عشر بعد الثلاثمائة[٢] : (الطويل)

٣١٨- تَمُرُّ على ما تَسْتَمِرُّ وقدْ شَفَتْ
غَلائِلَ عَبْدُ القَيسِ منْهَا صُدورِهَا

على أنّ الفصل بين المتضايفين بغير الظرف نادر ، كما هنا ، والأصل : وقد شفت غلائلَ صُدورِها عبدُ القيس منها ، ففصل بين المضاف والمضاف إليه بالفاعل وبالجارّ والمجرور . والفاعل ، وهو عبد القيس ، في نية التقديم على المفعول وهو غلائلَ صدورها ، لأنّ فيه ضمير الفاعل .

و« عبد القيس » : قبيلة . و« الغلائل » : جمع غليلة[٣] ، وهو الضغن والحقد. و« شفَت » : مجاز من شفى اللّٰه المريض . إذا أذهب عنه ما يشكو . و« تمرُّ » : من المرور . و« تستمرّ » : من الاستمرار .

وهذا البيت مصنوع ، وقائله مجهول ، كذا في « كتاب الإنصاف في مسائل الخلاف » لأبي البركات عبد الرحمن بن محمد الشهير بابن الأنباريّ .

وقال ابن السيد في « أبيات المعاني » : هذا البيت أنشده الأخفش ، وتوجيه إعرابه أنه فصل بين المضاف والمضاف إليه بما ليس بظرف ، وهو أفحش ما جاء في الشعر ودعت إليه ضرورةٌ ، وتقدير الكلام : وقد شَفَت غلائلَ صدورها . و«الغَلائل» : جمع غليلة مثل عظيمة وعظائم ، وكريمة وكرائم .

وقال أبو الحسن الأخفش : إن كان الشعر لم يوثق بعربيَّته فيجوز أن يكون أخرج غلائل غير مضافة وقدَّر فيها التنوين لأنّها لا تنصرف، ثم جاء بالصدور مجرورة

---

(١) الجزء الرابع من الخزانة .

(٢) البيت بلا نسبة في الإنصاف ٢/٤٢٨ .

(٣) في جميع أصول الخزانة : " الغلائل : جمع غليل " . وهو تصحيف كما سيرد في سياق كلام البغدادي بعده.

على نيَّة إعادتها ، كما قال الآخر[١] : (الخفيف)

رَحِمَ اللّهُ أعْظُماً دَفَنُوها بِسِجستَانَ طَلحةَ الطّلَحَاتِ

أي : أعظُمَ طلحة الطّلحات . فكذلك هنا يريد غلائل عبد القيس منها غلائل صدورها ، وقد حذف الثاني احتزاءً بالأوّل . وهذا التأويل حسن ، لأنّه مخرج الكلام[٢] ، وفيه ضعف من حيث إضمار الجار . انتهى .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التاسع عشر بعد الثلثمائة[٣] : (مجزوء الكامل)

٣١٩- فزَجَجْتُها بِمِزَجَّةٍ زَجَّ القَلوصَ أبي مَزادَه

على أنّه فصل بين المضاف وهو « زجَّ » ، وبين المضاف إليه وهو «أبي مزاده»، بالمفعول، وهو « القلوص » .

يقال زَجَجته زَجّاً : إذا طعنته بالزُّجّ ، بضم الزاء ، وهي الحديدة التي في أسفل الرمح . و« زجَّ القلوصَ » مفعول مطلق ، أي : زجّاً مثل زجّ . و« القَلوص » بفتح القاف : الناقة الشابة . و« أبو مزاده » : كنية رجل ، قال صاحب الصحاح « المِزَجُّ بكسر الميم : رمح قصير كالمِزراق » .

قال ابن خلف : « هذا البيت يُروى لبعض المدنيّين المولّدين ، وقيل هو لبعض المؤنّثين ممن لا يحتج بشعره . و« مزجَّة » ، يروى بفتح الميم وهو موضع الزَّجّ ، يعني

(١) البيت لعبيد الله بن قيس الرقيات في ديوانه ص٢٠ ؛ والحيوان ٣٣٢/١ ؛ والدرر ٥٧/٦ ؛ وشرح شواهد الإيضاح ص٢٩٤ ؛ وشرح المفصل ٤٧/١ ؛ ولسان العرب (طلح) . وهو بلا نسبة في الإنصاف ص٤١ ؛ وتخليص الشواهد ص٩٨ ؛ والجنى الداني ص٦٠٥ ؛ ورصف المباني ص٢٩٧ ، ٣٤٨ ؛ ولسان العرب (نضر) ؛ والمقتضب ١٨٨/٢ ، ٧/٤ ؛ وهمع الهوامع ١٢٧/٢ .

(٢) في النسخة الشنقيطية : " يخرج الكلام " . وهو تصحيف .

(٣) البيت بلا نسبة في الإنصاف ٤٢٧/٢ ؛ وتخليص الشواهد ص٨٢ ؛ والخصائص ٤٠٦/٢ ؛ وشرح الأشموني ٣٢٧/٢ ؛ وشرح المفصل ١٨٩/٣ ؛ والكتاب ١٧٦/١ ؛ ومجالس ثعلب ص١٥٢ ؛ والمقاصد النحوية ٤٦٨/٣ ؛ والمقرب ٥٤/١ .

أنّه زجّ راحلته لتسرع كما يفعل أبو مزادة بالقلوص .

ويجوز أن تكون الميم مكسورة ، فيكون المعنى فزججتها يعني الناقة أو غيرها ، أي : رميتها بشيء في طرفه زُجّ كالحربة ، والمزجة ما يُزَجّ به . وأراد كزجّ أبي مزادة بالقَلوص أي : كما يزجّها . انتهى .

وقول العينيّ : « الأظهر أن الضمير في زججتها يرجع إلى المرأة ، لأنّه يخبر أنه زجّ امرأته بالمزجّة كما زجّ أبو مزادة القَلوص » ، كلام يحتاج في تصديقه إلى وحي. وقد انعكس عليه الضبط في مزَجّة فقال : هي بكسر الميم ، والناس يلحنون فيها فيفتحون ميمها . وقد أنشد ثعلب في أماليه الثالثة هذا البيت كذا[1] :

فزججتها متمكّناً زجَّ الصِّعابِ أبو مَزَاده

وأنشد بعضهم :

* زجَّ الصِّعابَ أبي مزاده *

أراد : زجّ أبي مزادة الصِّعابَ ، ثم اعترض بالصِّعاب اهـ .

فلا شاهد في البيت على روايته الأولى . و« الصّعاب » : جمع صعب ، وهو نقيض الذّلول .

وهذا البيت لم يعتمد عليه متقنو كتاب سيبويه ، حتى قال السيرافيّ : لم يثبته أحدٌ من أهل الرواية ، وهو من زيادات أبي الحسن الأخفش في حواشي كتاب سيبويه، فأدخله بعض النُّسّاخ في بعض النسخ ، حتّى شرحه الأعلم وابن خلف في جملة أبياته .

والأخفش هذا هو أبو الحسن سَعيد بن مَسعَدة صاحب سيبويه ، لا الأخفش أبو الخطّاب فإنّه شيخ سيبويه . قال الزمخشريّ في « مفصّله » وما يقع في بعض نسخ الكتاب من قوله : فزججتها بمزجة ، البيت : فسيبويه بريء من عهدته[2] .

---

(١) مجالس ثعلب ص١٥٢ .

(٢) في حاشية الطبعة السلفية ٣١٦/٤ : " قال العلامة الميمني : البيت لا يوجد في طبعة بولاق ١: ٩١ " .

وفي حاشية طبعة هارون ٤١٦/٤ : " البيت لم يرد في مظنه من سيبويه ١: ٩١ و لم أجد الأعلم تعرض له فيما طبع بهامش الكتاب " .

أراد أن سيبويه لم يورد هذا البيت في كتابه ، بل زاده غيره في كتابه . وإنّما برّأ سيبويه من هذا ، لأنّ سيبويه لا يرى الفصل بغير الظرف ؛ وإذا كان هذا مذهبَه ، فكيف يورد بيتاً على خلاف مذهبه . ومنه يظهر لك سقوط قول الجعبَريّ في « شرح الشاطبيّة » فإنه بعد أن زعم أن البيت من أبيات الكتاب قال: فإنْ قلت : فما معنى قول المفصّل : بريء من عهدته ؟ قلتُ : معناه من عهدة هذه الرواية ، لأنّه يرويه :

* زجّ القلوصِ أبو مزاده *

بجرِّ القلوص بالإضافة ، ورفع أبو مزادة فاعل المصدر . هذا كلامه .

ثم قوله : إن هذا البيت أنشده الأخفش والفرّاء ، أقول : نقل الفرّاء لهذا البيت ليس لتأييد قراءة ابن عامر الآتية ، وإنما نقله للطعن فيه بأنه كلامُ مَن لا يوثق به ، كما يظهر لك من كلام الفرّاء الآتي .

قال ابن جنّي في « الخصائص » : قد فصل بالمفعول به مع قدرته أن يقول : زجَّ القلوص أبو مزاده[1] . وفيه عندي دليل على قوّة إضافة المصدر إلى الفاعل عندهم وأنه في نفوسهم أقوى من إضافته إلى المفعول . ألا تراه ارتكب هاهنا الضرورة مع تمكّنه من ترك ارتكابها ، لا لشيء غير الرغبة في إضافة المصدر إلى الفاعل دون المفعول . وهذا في النثر وحال السَّعة صعبٌ جدّاً ، لاسيَّما والمفصول به مفعول لا ظرف اهـ .

وبقوله : « لا لشيء غير الرغبة الخ » ، يُعلَم أنَّ قول العَينيّ : إنّ قائله ليس له عذر في هذا إلاّ مسّ الضرورة لإقامة الوزن ، صادرٌ عن غير رويَّة وفكر .

ونقل جماعة عن ابن جنّي في توجيهه : أنّه يقدّر في الأول مضاف إليه وفي الثاني مضاف ، والتقدير : زجّ أبي مزادة القلوص قلوص أبي مزادة ، على أن يكون قلوص بدلاً من القلوص . وتعسّفه ظاهر . ونقل ابن المستوفى عن الزمخشريّ في « حواشيه » أنّه قال : الوجه أن يجرّ القلوص ويجعل أبي مزادة بعده مجروراً بمضاف محذوف ، تقديره : قلوص أبي مزادة ، كما في[2] : (المتقارب)

---

(١) بعده في الخصائص ٢/٤٠٦ : " كقولك سرني أكل الخبز زيد " .

(٢) عجز بيت لأبي دواد الإيادي ؛ وصدره :

* ونـارٍ تَـوَقَّـدُ باللَّيـل نَـارا * اهـ

وقد نقل الخلاف ابنُ الأنباريّ في هذه المسألة في « كتابه الإنصـاف ، في مسـائل الخلاف » فقال : ذهب الكوفيّون إلى أنّه يجوز الفصل بين المضاف والمضاف إليه بغـير الظرف وحرف الخفض ، لضرورة الشعر ، وذهـب البصريّـون إلى أنّـه لا يجـوز ذلـك بغيرهما . أما الكوفيّون فاحتجوا بأن قالوا : إنّما قلنا ذلـك لأنّ العـرب قـد استعملته كثيراً في أشعارها ، قال الشاعر :

فـزَجَجْـتُـهـا بـمِـزَجَّـة . . . . البيت

وقال الآخر :

تـمرّ على ما تستمرّ وقـد شـفتْ . . . . البيـت[1]

وقال الآخر[2] : (الطويل)

يَطُفْنَ بِحُوزيٍّ المراتـعِ لَـمْ يُـرَعْ بواديـهِ منْ قَـرْعِ القِسيَّ الكنائـنِ

والتقدير من قرع الكنائن القسيَّ . وقال : (المنسرح)

وأصبحَـتْ بعـدَ خَـطٍّ بهجَتِهـا كـأنَّ قفـراً رُسـومَهـا قَـلَمـا

والتقدير بعد بهجتِها ، ففصل بين المضاف الذي هو بعد والمضاف إليه الذي هـو بهجتها ، بالفعل الذي هو خطَّ . وتقدير البيت : فأصبحت قفـراً بعـد بهجتهـا كـأن

= * أكلَّ امرئٍ تحسَبِينَ امرأً *

وهو الإنشاد الثامن والسبعون بعد الأربعمائة في شرح أبيات المغني للبغدادي .

والبيت لأبي دواد في ديوانه ص٣٥٣ ؛ والأصمعيات ص١٩١ ؛ وأمـالي ابن الحاجب ١/١٣٤ ، ٢٩٧ ؛ والدرر ٥/٣٩ ؛ وشرح أبيات المغني ٥/١٩٠ ؛ وشرح التصريح ٢/٥٦ ؛ وشرح شواهد الإيضاح ص٢٩٩ ؛ وشرح شواهد المغني ٢/٧٠٠ ؛ وشرح عمدة الحافظ ص٥٠٠ ؛ وشرح المفصل ٣/٢٦ ؛ والكتاب ١/٦٦ ؛ والمقاصد النحوية ٣/٤٤٥ ؛ ولعدي بن زيد في ملحق ديوانه ص١٩٩ . وهو بلا نسبة في الأشباه والنظائر ٨/٤٩ ؛ والإنصاف ٢/٤٧٣ ؛ وأوضح المسالك ٣/١٦٩ ؛ ورصف المباني ص٣٤٨ ؛ وشرح الأشموني ٢/٣٢٥ ؛ وشرح ابن عقيل ص٣٩٩ ؛ وشرح المفصل ٣/٧٩ ، ١٤٢ ، ٨/٥٢ ، ٩/١٠٥ ؛ والمحتسب ١/٢٨١ ؛ ومغني اللبيب ١/٢٩٠ ؛ والمقرب ١/٢٣٧ ؛ وهمع الهوامع ٢/٥٢ .

(١) هو الشاهد رقم ٣١٨ من شواهد الخزانة .

(٢) البيت للطرماح في ديوانه ص٤٨٦ ؛ وشرح عمدة الحافظ ص٤٩٤ ؛ ولسان العرب (حوز) ؛ والمقاصد النحوية ٣/٤٦٢ . وهو بلا نسبة في الإنصاف ٢/٤٢٩ ؛ والخصائص ٢/٤٠٦ .

قلماً خَطَّ رسومها[١] . وقد حكى الكسائيّ عن العرب : هذا غلامُ واللّه زيدٍ . وحكى أبو عبيدة سماعاً عن العرب : إنَّ الشاةَ لتجترُّ فتسمعُ صوتَ واللّهِ ربِّها . وإذا جاء هذا في الكلام ، ففي الشعر أولى .

وأمّا البصريون فاحتجُّوا بأن قالوا إنّما قلنا لا يجوز ذلك لأنَّ المضاف والمضاف إليه بمنزلة شيء واحد ، فلا يجوز أن يفصل بينهما . وإنّما جاز الفصل بالظرف وحرف الجرّ كما قال ابن قميئة :

* للّهِ دَرُّ اليومَ مَنْ لامها *

وقال أبو حيَّة النُّميريّ[٢] : (الوافر)

كَمَا خُطَّ الكتابُ بِكَفِّ يَوْماً ... يَهُودِيٍّ يُقَارِبُ أو يُزِيلُ

وقال ذو الرمّة[٣] :

* كأن أصواتَ مِن إيغالِهنّ بنا *

لأنّ الظرفَ وحرْف الجر يتّسع فيهما ما لا يُتّسع في غيرهما .

وأمّا الجواب عن كلمات الكوفيّين : أما قوله : فزججته بمزجّة البيت ، فيروى لبض المدنيّين المولّدين ، فلا يكون فيه حجّة . وأما سائر ما أنشدوه ، فهو مع قلّته لا يعرف قائله ، فلا يجوز الاحتجاج به .

وأما ما حكاه الكسائيّ وأبو عبيدة فإنّما جاء في اليمين لأنها تدخل في أخبارهم للتوكيد ، فكأنهم لما جازوا بها موضعَها استدركوا ذلك بوضع اليمين حيث أدركوا من الكلام .

---

(١) في حاشية الطبعة السلفية ٣١٨/٤ : " هذا البيت مثال عجيب في الشعر ولا أحسبه إلا مصنوعاً وجدير أن يطرح للألغاز والتعمية ، وقلما يصيب الممتحن فيه " .

(٢) البيت لأبي حية النميري في الإنصاف ٤٣٢/٢ ؛ والدرر ٤٥/٥ ؛ وشرح التصريح ٥٩/٢ ؛ والكتاب ١٧٩/١ ؛ ولسان العرب (عجم) ؛ والمقاصد النحوية ٤٧٠/٣ . وهو بلا نسبة في أوضح المسالك ١٨٩/٣ ؛ والخصائص ٤٠٥/٢ ؛ ورصف المباني ص٦٥ ؛ وشرح الأشموني ٣٢٨/٢ ؛ وشرح ابن عقيل ص٤٠٣ ؛ وشرح عمدة الحافظ ص٤٩٥ ؛ وشرح المفصل ١٠٣/١ ؛ ولسان العرب (حير) ؛ والمقتضب ٣٧٧/٤ ؛ وهمع الهوامع ٥٢/٢ .

(٣) تقدم الكلام عن هذا البيت في الشاهد رقم ٣١٧ من هذا الجزء .

والذي يدلّ على صحّة هذا أنا أجمعنا وإيّاكم على أنّه لم يجيء الفصل بغير اليمين في اختيار الكلام . وأما قراءة ابن عامر ، فلا يَسُوغ لكم الاحتجاج بها ، لأنّكم لا تقولون بموجبها ، لأنّ الإجماع واقعٌ على امتناع الفصل بالمفعول في غير ضرورة الشعر، والقرآن ليس فيه ضرورة . وإذا وقع الإجماع على امتناع الفصل بينهما في حالة الاختيار ، سقط الاحتجاج بها على حالة الاضطرار .

والبصريون يذهبون إلى أن هذه القراءة وهم من القارئ ، إذْ لو كانت صحيحة لكان من أفصح الكلام ، وفي وقوع الإجماع على خلافه دليلٌ على أنّه وَهَمٌ في القراءة[١] . وإنما دعا ابن عَامر إلى هذه القراءة ، أنّه رأى في مصاحف أهل الشام «شركائهم» مكتوباً بالياء ، ووجه إثبات اليَاء جرّ شركائهم على البدل من أولادهم وجعل الأولاد هم الشركاء ، لأنّ أولاد الناس شركاء آبائهم في أحوالهم وأموالهم . وهذا تخريج خطّ مصحف أهل الشام . فأمّا قراءة ابن عامر فلا وجه لها في القياس ، ومصاحفُ أهل الحجاز والعراق « شُرَكاؤُهُم » بالواو ، فدلّ على صحّة ما ذهبنا إليه، واللّه أعلم . انتهى كلام ابن الأنباريّ .

وفيه أمران : الأول : أنّ نسبة جواز الفصل في الشعر بنحو المفعول إلى الكوفيِّين، لم يعترف به الفرّاء وهو من أجلّ أئمة الكوفيِّين ، قال في « تفسيره المعروف بمعاني القرآن » : في سورة الأنعام[٢] ، عند قراءة ابن عامر ما نصه : وفي بعض مصاحف أهل الشام « شركائهم » ، فإن تكن مثبَتَة عن الأوّلين فينبغي أن يقرأ « زُيِّن » أي : بالبناء للمفعول ويكون الشركاء هم الأولاد ، لأنّهم منهم في النسب والميراث .

فإن كانوا يقرؤون « زَيَّن » أي : بالبناء للفاعل ، فلست أعرف جهتها إلاّ أن يكونوا آخذين بلغة قوم يقولون : أتيتها عِشاياً[٣] ثم يقولون في تثنية الحمراء حمرايان. فهذا وجه أن يكونوا قالوا : زيَّن لكثيرٍ من المشركين قتلَ أولادهم شُركائِهُم . وإنْ شئت جعلتَ زيَّن ، إذا فتحته ، فعلاً لإبليسَ ثم تخفض الشركاء بإتباع الأولاد . وليس قولُ من قال إنّما أرادوا مثل قول الشاعر :

فزججتها متمكّناً زجَّ القلوص أبي مَزَاده

---

(١) في الإنصاف : " دليل على وهي القراءة " .

(٢) معاني الفراء ٣٥٧/١ ؛ في الآية ١٣٧ من سورة الأنعام .

(٣) يريد بمعنى " عشاء " .

بشيء . وهذا مما كان يقوله نحويُّو أهلِ الحجاز ، ولم نجد مثله في العربية . انتهى.

وقال أيضاً في سورة إبراهيم عليه السلام[1] : وليس قول من قال : مخلفَ وعدَه رسلِه بشيء ، ولا : زيِّن لكثير من المشركين قتلُ أولادَهم شركائِهم ، بشيء . قال الفرّاء : هذا باطل ، ونحويُّو أهل المدينة ينشدون قوله :

* زجَّ القلوصَ أبي مزاده *

والصواب :

* زجَّ القلوصِ أبو مزاده *

انتهى

الأمر الثاني : أنَّ ابن خلف في « شرح أبيات الكتاب » ، وأبا شامة في « شرح الشاطبيّة » ، وتبعه في « شرحها » بعده [الجعبريّ[2]] والسمين في « إعراب القرآن» ، نقلوا عن « الإنصاف لابن الأنباريّ » ما يؤيد قراءة ابن عامر .

قال ابن خلف : قد احتجَّ ابن الأنباريّ لهذه القراءة بقول العرب : هو غلامُ إن شاء اللّه أَخِيك . ففصل بإن شاء اللّه .

وقول الشاعر :

* زجَّ القلوصَ أبي مزاده *

وقال الجعبريّ : نقل ابنِ الأنباريّ في « كتاب الإنصاف » عن الكسائيّ عن العرب : هو غلام إنْ شاء اللّه أخيك ، ففصل بالجملة الشرطيّة .

وقال السَّمين : قال ابن الأنباريّ : هذه قراءة صحيحة ، وإذا كانت العرب قد فصلت بيت المتضايفين بالجملة في قولهم : هو غلامُ إن شاء اللّه أخيك ، فأن تفصل بالمفرد أسهل .

هذا كلامهم ، وأنت ترى هذا النقل لا أصل له ، وإنّما نَقْلُ ابنِ الأنباريّ عن

---

(١) معاني الفراء ٨١/٢ في تفسير الآية ٤٧ من سورة إبراهيم .

(٢) زيادة يقتضيها السياق من الطبعة السلفية ٣٢٠/٤ . وانظر في ذلك إقليد الخزانة للعلامة الميمني . وقد أثبت هذه الزيادة الشنقيطي في هامش نسخته .

الكسائيّ عن العرب ، هو قولهم : هذا غلام واللّه زيد . وليس في كلامه أيضاً ما يؤيّد القراءة ، وإنّما هو طاعنٌ فيها تبعاً للزمخشريّ وغيره .

وكنت أظن أنّ صاحب الكشّاف مسبوق بابن الأنباريّ ، فراجعت ترجمتهما فرأيت الأمر بالعكس ، فإنَّ الزمخشريّ توفّي يوم عرفة سنةَ ثمان وثلاثين وخمسمائة ، وابن الأنباريّ مات ليلة الجمعة تاسع شعبان سنة سبع وسبعين وخمسمائة وهو تلميذ الجَواليقي « صاحب المعرّبات » وابنِ الشجريّ « صاحب الأمالي » ، والزمخشريُّ من أقران ابن الشجريّ ، فابن الأنباريّ متأخّر عن الزمخشريّ بأربع طبقات . والزمخشريّ في طعنه على هذه القراءة مسبوقٌ أيضاً بالفرّاء ، فكان ينبغي الردّ على الفرّاء ، فإنّه هو الذي فتح ابتداء باب القدح على قراءة ابن عامر .

قال السّمين : قراءة ابن عامر متواترة صحيحة ، وقد تجرأ كثير من الناس على قارئها بما لا ينبغي ، وهو أعلى القرّاء السبعة سنداً ، وأقدمُهم هجرة ، وإنّما ذكرنا هذا تنبيهاً على خطأ من ردَّ قراءته ، ونسبَه إلى لحن أو اتباع مجرّد المرسوم .

وقال أبو عليّ الفارسيّ : هذا قبيح قليل الاستعمال ، ولو عدل عنها كان أولى ، لأنهم لم يفصلوا بين المتضايفين بالظرف في الكلام مع اتساعهم في الظروف ، وإنما أجازوه في الشعر .

وقال أبو عُبيد : لا أحبُّ قراءة ابن عامر لما فيها من الاستكراه ، والقراءة عندنا هي الأولى لصحتها في العربية مع إجماع أهل المصرين بالعراق عليها . وقال الزمخشريّ - وأساء في عبارته - :

وأما قراءة ابن عامر فشيءٌ لو كان في مكان الضرورة لكان سَمْجاً مردوداً كما سَمُج ورُدَّ :

* زجَّ القَلوصَ أبي مزاده *

فكيف به في الكلام المنثور ، فكيف به في القرآن المعجز بحسن نظمه وجزالته . والذي حمله على ذلك ، أنّه رأى في بعض المصاحف شركائهم مكتوباً بالياء . ولو قرأ بجرّ الأولاد والشركاء لأن الأولاد شركاؤهم في أموالهم ، لوجد في ذلك مندوحة عن هذا الارتكاب . وهذه الأقوال كلّها لا ينبغي أن يلتفت إليها ، لأنّها طعنٌ في المتواتر ، وإن كانت صادرة عن أئمة أكابر . وأيضاً فقد انتصر لها من يقابلهم ، وجاء في الحديث : « هل أنتم تاركُو لِي صاحِبي » .

وقال ابن جنّي في « الخصائص » باب ما يرد عن العربيّ مخالفاً للجمهور[١] : إذا اتفق شيء من ذلك نظر في ذلك العربيّ وفيما جاء به ، فإن كان فصيحاً وكان ما جاء به يقبله القياس فيُحسَن الظن به ، لأنّه يمكن أن يكون قد وقع إليه ذلك من لغة قديمة قد طال عهدها - ورُوي عن عمر بن الخطاب أنه قال[٢] : « كان الشعر علم قوم لم يكن لهم علم أصحُّ منه في الإسلام »[٣] .

فجاء الإسلام فتشاغلت عنه العرب بالجهاد ولَهَت عن الشعر وروايته ، فلما كثر الإسلام ، وجاءت الفتوحُ واطمأنّت العرب [بالأمصار] ، راجعوا رواية الشعر فلم يؤولوا إلى ديوان مدوَّن ، [ولا كتاب مكتوب ، وألفوا ذلك] ، وقد هلك من هلك، فحفظوا أقلّ ذلك ، وذهب عنهم كثيرُهُ . فإذا كان الأمر كذلك لم يُقطَع على الفصيح يسمع منه ما يخالف الجمهور ، بالخطأ إذا كان القياس يَعضُدُه .

وقال ابن ذَكْوان : سألني الكسائيّ عن هذا الحرف وما بلغه من قراءتنا ، فرأيته كأنه أعجبه ونزع بهذا البيت[٤] :

* نفيَ الدّراهيمَ تَنقادِ الصَّياريفِ *

بنصب الدراهيم وجرِّ تنقاد . وأمَّا ما ورد في النظم من الفصل بين المتضايفين بالظرف وبغيره ، فكثير . ثم بعد أن سَرَد غالبَ ما ورد في الشعر قال : وإذا قد عرفتَ هذا ، عرفتَ أنَّ قراءة ابن عامر صحيحةٌ من حيث اللغة ، كما هي صحيحة من حيث النقل ، فلا التفات إلى قول من قال : إنَّه اعتمد على الرسم لأنّه لم يوجد فيه إلاَّ كتابة شركائهم بالياء ، وهذا وإن كان كافياً في الدلالة على جر شركائهم فليس فيه ما يدلُّ على نصب أولادهم ، إذ المصحف مهمل من شكل ونقط ، فلم يبق

---

(١) انظر الخصائص ١/٣٨٥ .

(٢) طبقات فحول الشعراء ص٢٤ .

(٣) إلى هنا ينتهي كلام عمر رضي الله عنه . والكلام الذي يليه ، أي : فجاء الإسلام .... هو من كلام محمد بن سلام صاحب الطبقات . وفي حاشية طبقات فحول الشعراء ص٢٥ يقول العلامة محمود شاكر : " هذا الكلام من كلام ابن سلام ، لا من كلام عمر . وانظر الخصائص لابن جني ١: ٣٨٦ ؛ والاقتراح للسيوطي : ٢٧ والضرائر للألوسي : ٢٤ " .

(٤) قطعة من بيت هو الشاهد التالي من شواهد الخزانة .

له حجَّة في نصب الأولاد إلاَّ النقل المحض .

وقال أبو شامة : ولا بُعدَ فيما استبعده أهل النحو من جهة المعنى ، وذلك أنَّه قد عُهد تقدّم المفعول على الفاعل المرفوع لفظاً ، فاستمرَّت له هذه المرتبة مع الفاعل تقديراً ؛ فإن المصدر لو كان منوّناً لجاز تقديم المفعول على فاعله ، نحو : أعجبني ضرب عمراً زيد ، فكذا في الإضافة .

وقد ثبت جواز الفصل بين حرف الجرِّ ومجروره مع شدة الاتصال بينهما أكثر من شدته بين المتضايفين ، كقوله تعالى[1] : « فَبِمَا نَقْضِهِم مِيثاقهم » ، « فَبِما رَحمةٍ[2] » والمفعول المقدَّم هو في غير موضعه معنى ، فكأنه مؤخَّر لفظاً . ولا التفات إلى قول من زعم أنه لم يأت في الكلام المنثور مثلُه . لأنّه نافٍ ، ومن أسند هذه القراءة مثبتٌ، والإثبات مرجَّح على النفي بإجماع . ولو نقل إلى هذا الزاعم عن بعض العرب أنه استعمله في النثر ، لرجع إليه ، فما باله لا يكتفي بناقل القراءة من التابعين عن الصحابة !

هذا زبدة ما أورده السّمين ، ومثله كلام الجعبريّ في « شرح الشاطبيّة » واللّه أعلم .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد العشرون بعد الثلثمائة ، وهو من أبيات سيبويه[3] : (البسيط)

---

(١) سورة النساء : ١٥٥/٤ . وسورة المائدة : ١٣/٥ .

(٢) سورة آل عمران : ١٥٩/٣ .

(٣) البيت للفرزدق في ديوانه ٥٧٠/٢ ؛ والإنصاف ٢٧/١ ؛ وتاج العروس (درهم) ؛ وسر صناعة الإعراب ٢٥/١ ؛ وشرح التصريح ٣٧١/٢ ؛ والكتاب ٢٨/١ ؛ ولسان العرب (درهم) . والمقاصد النحوية ٥٢١/٣ . وهو بلا نسبة في أسرار العربية ص٤٥ ؛ والأشباه والنظائر ٢٩/٢ ؛ وأوضح المسالك ٣٧٦/٤ ؛ وتخليص الشواهد ص١٦٩ ؛ وجمهرة اللغة ص٧٤١ ؛ ورصف المباني ١٢ ، ٤٤٦ ؛ وسر صناعة الإعراب ٧٦٩/٢ ؛ وشرح الأشموني ٣٣٧/٢ ؛ وشرح ديوان الحماسة للمرزوقي ص١٤٧٧ ؛ وشرح ابن عقيل ص٤١٦ ؛ وشرح قطر الندى ص٢٦٨ ؛ ولسان العرب (قطرب ، سحج ، نقد ، صنع ، درهم ، نفي) ؛ والمقتضب ٢٥٨/٢ ؛ والممتع في التصريف ٢٠٥/١ . ورواية الديوان :

* . . . . نفي الدراهم تنقادَ . .*

٣٢٠ تَنفِي يَدَاهَا الحَصَى في كُلِّ هاجِرةٍ
نَفْيَ الدَّراهيمَ تَنْقَادِ الصَّيارِيفِ

على أنَّ فيه الفصل بالمفعول أيضاً بين المتضايفين ، فإن أصله : نفي تنقادِ الصياريف الدراهيمَ ، ففصل بالمفعول وهو الدراهيم ، بين المتضايفين .

وإضافة نفي إلى تنقاد ، من إضافة المصدر إلى فاعله . وروي أيضاً بإضافة نفي إلى الدراهيم ورفع تنقاد ، فيكون من إضافة المصدر . وعلى هذه الرواية أنشده ابن الناظم وابن عقيل في « شرح الألفيّة » .

قال العينيّ : وفي شرح الكتاب : ويجوز نصب التّنقاد ورفع الدراهيم في العمل ، على القلب ، من حيث أمن اللبس ، يعني أنّه روي بجرّ الدراهيم بإضافة نفي إليه ونصب تنقاد ، فيكون من قبيل إضافة المصدرِ إلى فاعله على تقدير القلب بجعل الفاعل مفعولاً والمفعول فاعلاً .

وأورده سيبويه في « أوائل كتابه ، في باب ما يحتمل الشعرُ » قال : وربَّما مدُّوا فقالوا : مساجيد ومنابير ، شبَّهوه بما جمع على غير واحده في الكلام كما قال الفرزدق :

* نَفي الدنانيرِ تنقادُ الصَّياريف *

وينشد : نفيَ الدارهيمِ . انتهى كلامه .

ومحلُّ الشاهد فيه عند أبي جعفر النحاس ، الدنانير والدراهيم ، قال : من روى الدنانير فلا ضرورة عنده فيه ، لأنّ الأصل في دينار دنّار فلما جمعتَ رددته إلى أصله فقلت دنانير . ومن روى الدراهيم فذكر أبو الحسن بن كيسان أنه قد قيل في بعض اللغات درهام ، قال : فيكون هذا على تصحيح الجمع . قال : أو يكون على أنه زاده للمد .

قال : ويكون على الوجه الذي قال سيبويه أنّه بنى الجمع على غير لفظ الواحد ، كما أنّ قولهم : مذاكير ليس على لفظ ذكر ، إنما هو على لفظ مذكار ، وهو جمع لذكر على غير بناء واحده . قال : ولم ينكر أن يكون الجمع على غير بناء الواحد ، فلذلك زاد الياء في دراهيم . وقال لي علي بن سليمان : واحدُ الصياريف صيرف ، وكان يجب أن يقول صيارف . انتهى كلامه .

وعند الشنتمري الشاهد في الصياريف ، قال : زاد الياء في الصياريف ضرورة تشبيهاً لها بما جمع في الكلام على غير واحد ، نحو ذكر ومذاكير ، وسمح ومساميح . و لم يتعرض للدراهيم والدنانير .

وقد جمع ابن خلف بينهما فقال : الشاهد فيه على زيادة الياء في جمع الدراهم والصيارف .

أقول : الظاهر كلام الأعلم لا غير ، وروي الدراهم بلا ياء ، وجميعهم لم يتعرضوا لإعراب الدراهيم والتنقاد .

و« النفي » بالنون والفاء ، قال صاحب المحكم : كلّ ما رددته فقد نفيته ، ونفيت الدراهم : أثَرتها للانتقاد . وأنشد هذا البيت . و« يداها » : فاعل تنفي ، والضمير لِناقة الفرزدق . و« الحصى » : مفعول . و« الهاجرة » : وقت اشتداد الحرّ في وقت الظهر . و« نفي الدراهيم » : مفعول مطلق تشبيهي ، والأصل تنفي يداها الحصى نفياً كنفي الدراهيم .و« التنقاد » : بالفتح ، من نقد الدراهم ، وهو التمييز بين جيِّدها ورديئها . و« الصَّيارف » : مجرور لفظاً بالإضافة مرفوع محلاً ، لأنّه فاعل تنقاد .

قال الأعلم : وصف الفرزدق ناقتَه بسرعة السَّير في الهواجر فيقول : إن يديها لشدّة وقعِها في الحصى ينفيانه فيقرع بعضُه بعضاً ويُسمَع له صليلٌ كصليل الدنانير إذا انتقدها الصَّيرفيّ فنفى رديئَها عن جيِّدها ، وخصّ الهاجرة لتعذّر السير فيها .

وقال ابن خلف : وصف راحلته بالنشاط وسرعة السَّير في الهواجر ، حين تكلّ المَطيَّة[١] وتضعف القُوى منها ، تكون هي نشيطة قويّة ، إذا أصابت مَناسِمُها الحصى انتفى من تحت مناسمها ، كما تنتفي الدراهم من يد الصيرفيّ إذا نقدها بأصابعه . شبّه خروج الحصى من تحت مناسمها بارتفاع الدراهم عن الأصابع إذا نُقدت .

وترجمة الفرزدق تقدّمت في الشاهد الثلاثين من أوائل الكتاب[٢] .

* * *

(١) في حاشية طبعة هارون ٤٢٨/٤ : " حورها الشنقيطي في نسخته إلى " المطي " ، وهو الوجه " .

(٢) الخزانة الجزء الأول ص٢١٨ .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الحادي والعشرون بعد الثلثمائة[1] : (الرجز)

٣٢١- يا ابنَ الزُّبيرِ طَالمَا عَصَيْكا وطَالمَا عَنَّيتَنا إليكَا
لَنضْرِبَنْ بِسَيْفِنا قَفَيْكا

على أنّه جاء في الشعر قلب الألف ياء مع الإضافة إلى كاف الضمير ، في قولـه : « قفيكا » ، والأصل قفاكا ، فأبدلت الألف ياء . وإنّما كان سبيل هـذا الشعر لأنـه ليس مع ياء المتكلم فإنها تقلب معه ياء ، نثراً ونظماً ، عند هذيل .

وإنّما قيّد بكاف الضمير لأنّ السماع جاء معه .

وظاهر كلام أبي علي في « المسائل العسكريّة »[2] لا يختصّ هـذا بالشعر ، فإنـه قال :

وأمّا إبدال الياء من الألف في قفا ، في الإضافة ، فإنّما أبدل كما أبدلت الألف منها فيمن قال : رأيت هذان ، أي : للتقارض . وقالوا أيضاً : عليك ، وإليك ،وقد اطّرد هذا في بعض اللغات نحو : هَوَيَّ ، ونَوَيَّ ، وقَفيَّ ، فأبدلت الياء من ألف هواي، ونواي ، وقفاي ، كما أبدلت الألف منها في : حاحَيت ، وعاعَيت ، حيث أريد إزالة التضعيف فيه . كما أريد من نظيره من الواو وهو : ضَوضَيت ، وقوقَيت . هذا كلامه .

وأما « عصيكا » فأصله عصيت ، قال ابن جنّي في « سرِّ الصناعة » : أبدل الكاف من التاء لأنها أختها في الهمس ، وكان سُحَيمٌ إذا أُنشد شعراً قال : أحسَنْكَ واللّهِ ، يريد أحسنت . انتهى .

وقد تقدّم الكلام في هذا الكتاب ، في ترجمة سحيم ، أنّه كان حبشيًّا وكان في لسانه لُكنة[3] .

---

(١) الرجز لرجل من حمير في شرح شواهد الشافية ص٤٢٥ ؛ وشرح أبيات المغني ٣/٣٤٩ ؛ وشرح شواهد المغني ص٤٤٦ ؛ ولسان العرب (تا) ؛ والمقاصد النحوية ٤/٥٩١ ؛ ونوادر أبي زيد ص١٠٥ . وهو بلا نسبة في تاج العروس (قفا ، تا) ؛ والجنى الداني ص٤٦٨ ؛ وسر صناعة الإعراب ١/٢٨٠ ؛ وشرح الأشموني ١/١٣٣ ، ٣/٨٢٣ ؛ وشرح شافية ابن الحاجب ٣/٢٠٢ ؛ ولسان العرب (قفا ، تا) ؛ ومغني اللبيب ١/١٥٣ ؛ والمقرب ٢/١٨٣ ؛ والممتع في التصريف ١/٤١٤ ؛ وكتاب العين ٥/٢٢٢ ؛ والمخصص ١٧/١٤٤ .

(٢) هو أيضاً في شرح أبيات المغني ٣/٣٤٩ .

(٣) الخزانة الجزء الثاني ص٨٩ وما بعدها .

وقال أبو علي في « المسائل العسكريّة » : قال أبو الحسن الأخفش : إن شئت قلت أبدل من التاء الكاف لاجتماعها معها في الهمس ، وإن شئت قلت أوقع الكاف موقعها ، وإنْ كان في أكثر الاستعمال للمفعول لا للفاعل ، لإقامة القافية ، ألا تراهم يقولون : رأيتك أنت ، ومررت به هو ، فيجعل علامات الضمير المختصّ بها بعض الأنواع في أكثر الأمر ، موقع الآخر . ومن ثمَّ جاء : لولاك . وإنّما ذلك لأنّ الاسم لا يصاغ معرَباً ، وإنّما يستحق الإعراب بالعامل . انتهى .

قال ابن هشام في « المغني » : ليس هذا من استعارة ضمير النصب مكان ضمير الرفع، كما زعم الأخفش وابن مالك ، وإنّما الكاف بدل من التاء بدلاً تصريفيًّا .

وهذا الشعر من مشطور السريع ، هكذا أورده أبو زيد في « نوادره » ونسبه لراجز من حمير . وتبعه صاحب الصحاح في مادة السين المهملة[1] .

وأمَّا الزجاجيَ فإنّه رواه في « آخر أماليه الكبرى » على خلاف هذه الرواية فقال : باب التاء والكاف في المكنيّ ، يقال : ما فعلت وما فعلك ، قال الراجز :

يا ابنَ الزُّبيرِ طَالمَا عَصَيْكَا وطَالمَا عَنّيكَنا إليكَا

لَنضْربَنْ بِسَيْفِنا قَفَيْكَا

يريد عَصَيتنا وعنّيتنا . فروى : « عنّيْكَنا » بدل التاء كافاً ، مثل « عصيكا » . وعنيتنا إليك ، بمعنى أتعبتنا بالمسير إليك . والنون الخفيفة في قوله : « لَنضْربَنْ » نون التوكيد . وأراد بابن الزُّبير عبدَ الله بنَ الزُّبير حَوَاريَّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلم.

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثاني والعشرون بعد الثلثمائة[2] : (الرجز)

٣٢٢- قالَ لَهَا : هَلْ لَكِ ياتا فِيٍّ

(١) الصحاح مادة (سين) .

(٢) الرجز للأغلب العجلي في ديوانه ص١٦٩ ؛ وحاشية يس ٢/ ٦٠ . وهو بلا نسبة في شرح عمدة الحافظ ص٥١٣ ؛ والمحتسب ٢/ ٤٩ .

على أنَّ كسر ياء المتكلم من نحو « فيّ » لغةُ بني يربوع ، لكنّه عند النحاة ضعيف كقراءة حَمْزة[1] : « ما أنتم بِمُصرِخيٍّ » .

وهذا الشعر من أرجوزة للأغلب العجليّ ، وهو شاعر جاهليٌّ إسلاميٌّ ، أسلم وهاجر ، ثم استشهد في وقعة نهاوَند .

وقد تقدَّمت ترجمته في الشاهد الحادي والعشرين بعد المائة[2] .

وأوَّل هذه الأرجوزة :

أقبَلَ في ثَوبٍ مَعَافِريٍّ بينَ اختلاطِ اللَّيلِ والعَشِيٍّ

إلى أن قال :

ماضٍ إذا ما هَمَّ بالمُضيٍّ قَالَ لها هَلْ لَكِ ياتا فِيٍّ

قالتْ لَهُ ما أنتَ بالمَرْضِيٍّ

قال في الصحاح : « مَعافِر» ؛ بفتح الميم : حيٌّ من هَمْدان ، وإليهم تنسب الثياب المعافريّة ، وهو بالعين المهملة . و« الماضي » : الذي لا يتوانى ولا يكسل في أمرٍ همَّ به .

وقوله : « قال لها الخ » ، الضمير عائد على امرأة تقدَّم ذكرها . و« يا » حرف نداء ، و« تا » بالمثناة الفوقيّة منادى ، وهو اسم إشارة يشار به إلى المؤنث ، و«لكِ» بكسر الكاف ، والجارُّ والمجرور خبر مبتدأ محذوف وهو متعلق قوله « فيٍّ » . يقول : قال لها ذلك الرجلُ الماضي : يا هذه المرأة : هل لكِ رغبةٌ فيَّ ؟ قالت له : لست بالمرضيّ فيكون ليَ رغبةٌ فيك .

واعلم أنّ الفرَّاء والزجَّاج وغيرَهما قد أنكروا هذه القراءة ، والشعر . أمَّا الفرَّاء فقد قال : « في تفسيره[3] » : الياء من مُصْرِخيَّ منصوبةٌ ، لأنَّ الياء من المتكلّم

(١) سورة إبراهيم : ٢٢/١٤ .

وفي حاشية طبعة هارون ٤٣١/٤ : " وكذا ورد الاقتباس من الآية بترك الواو من أولها ، وهو جائز . انظر ما كتبت في حواشي الحيوان ٤: ٥٧ " .

(٢) الخزانة الجزء الثاني ص٢٠٩ .

(٣) معاني الفراء ٧٥/٢ .

تسكّن إذا تحرَّك ما قبلها ، وتنصب إرادةَ الهاءَ كما قرئ[(١)] : « لكم دينكُم وليَ دين » بنصب الياء وجزمها . فإذا سكن ما قبلها ردّت إلى الفتح الذي كان لها ، فالياء من مصرخيَّ ساكنة والياء بعدها من المتكلّم ساكنة ، فحركت إلى حركةٍ قد كانت لها . فهذا مطّرد في الكلام .

وقد خفض الياء من مصرخيَّ الأعمشُ ويحيى بن وثاب جميعاً ، حدثني القاسم ابن معن عن الأعمش عن يحيى أنه خفض الياء ، ولعلها من وهم القرَّاء طبقة يحيى ، فإنّه قلَّ من سلم منهم من الوهم ، ولعلّه ظنَّ الباء من بمصرخيّ خافضة للحرف كلّه ، والياء من المتكلم خارجة من ذلك .

وممَّا نرى أنّهم وهِموا فيه ، قولهم[(٢)] : « نُولِّهْ ما تَولَّى ونُصلهْ جهنَّم » وظنُّوا -واللّه أعلم - أنّ الجزم في الهاء ، والهاءُ في موضع نصب وقد انجزم الفعل بسقوط الياء منه . وممَّا وهموا فيه قوله[(٣)] : « وماتنزَّلتْ به الشياطُون » ، حدثني مَندلُ بن علي العنزيّ[(٤)] عن الأعمش قال : كنت[(٥)] عند إبراهيم ، وطلحةُ بن مُصَرِّف [يقرأ[(٦)]]: « قال لِمَنْ حَوْلَه ألا تَستَمِعون[(٧)] » بنصب اللام من حوله فقال لي إبراهيم : ما تزال تأتينا بحرف أشنع ، إنما هي : لمن حولِه ، بخفض اللام . قال : قلت : لا ، إنّما هي حولَه ، فقال إبراهيم : يا طلحة ، كيف تقول ؟ قال : كما قلت .

قال الأعمش قلتُ: لحنْتما ، لا أجالسكما اليوم . قال الفرّاء : وقد سمعت بعض العرب ينشد :

قال لها : هل لكِ ياتا فيِّ قالتْ له : ما أنتَ بالمَرضيِّ

---

(١) سورة الكافرون : ١٠٩/٦ .

(٢) سورة النساء : ٤/١١٥ .

(٣) سورة الشعراء : ٢٦/٢١٠ .

وهي قراءة الحسن . تفسير أبي حيان ٧/٤٦ .

(٤) في طبعة بولاق : " الغزي " . وهو تصحيف صوابه من النسخة الشنقيطية .

(٥) في طبعة بولاق والنسخة الشنقيطية : " قلت " . وهو تصحيف صوابه من معاني الفراء ٢/٧٦ .

(٦) زيادة يقتضيها السياق من معاني الفراء .

(٧) سورة الشعراء : ٢٦/٢٥ .

فخفض الياء من فيّ : فإن يكُ ذلك صحيحاً فهو مما يلتقي من الساكنين فيُخفض الآخر منهما ، وإن كان له أصل في الفتح . ألا ترى أنهم يقولون : لم أره مُذُ اليوم ومُذْ اليوم ، والرفع في الذال هو الوجه ، لأنه أصل حركة منذ ، والخفض جائز . فكذلك الياء من مصرخيّ ، خفضت ولها أصلٌ في النصب . انتهى كلام الفرَّاء .

وأما الزجَّاج فقد قال في « تفسيره » : قرأ حمزة والأعمش « بمصرخيٍّ » بكسر الياء ، وهذه عند جميع النحويين رديئة مرذولة ، ولا وجه لها إلاَّ وُجَيه ضعيف ذكره بعض النحويِّين ، وذلك أنّ ياء الإضافة إذا لم يكن قبلها ساكن حرّكت إلى الفتح ، ويجوز إسكان الياء لثقل الياء التي قبلها كسرة ، فإذا كان قبل الياء ساكنُ حُرِّكتْ إلى الفتح لا غير .

ومن أجاز بمصرخيٍّ بالكسر ، لزمه أن يقول[1] :«هذه عَصايِ أتوكَّأُ عليها». وأجاز الفرَّاء على وجهٍ ضعيف الكسر ، لأن أصل التقاء الساكنين الكسر ، وأنشد :

* قال لها هل لكِ ياتا فيِّ الخ *

وهذا الشعر ممّا لا يلتفت إليه ، وعمل مثل هذا أسهل ، وليس يعرف قائلُ هذا الشعر من العرب ، ولا هو ممّا يحتج به في كتاب اللّه تعالى . انتهى كلام الزجَّاج .

ونقل أبو شامة في « شرح الشاطبيَّة » عن ابن النحاس : أنَّ الأخفش سعيداً قال: ما سمعت هذا من أحد من العرب ، ولا من أحدٍ من النحويين . قال أبو جعفر : قد صار هذا بإجماع ، لا يجوز ولا ينبغي أن يحمل كتابُ اللّه على الشذوذ .

قال أبو نصر بن القشيريّ في « تفسيره » : ما ثبت بالتواتر عن النبي صلّى اللّه عليه وسلم ، فلا يجوز أن يقال هو خطأ أو قبيح ورديء ، بل في القرآن فصيح وفيه ما هو أفصح ، فلعل هؤلاء أرادوا أنَّ غير هذا الذي قرأ حمزة أفصح .

---

(١) سورة طه : ١٨/٢٠ .

قال أبو شامة : قلت : يُستفاد من كلام أهلِ اللغة ، أنَّ هذه لغة ، وإنْ شذّت وقلّ استعمالها .

قال أبو عليّ : قال الفرَّاء في « كتابه التصريف » : زعم القاسم بن معن أنّه صواب ، قال : وكان ثقة بصيراً ، وزعم أنّه لغة بني يربوع . ثمَّ بعد أن نقل أبو شامة بعضاً من كلام الفرَّاء والزجَّاج قال : والزمخشريّ قال : هي قراءة ضعيفة، واستشهدوا لها ببيت مجهول فذكره .

قلت : ليس بمجهول فقد نسبه غيره إلى الأغلب العجليِّ الراجز ، ورأيته أنا في أوّل ديوانه . وانظر إلى الفرَّاء كيف يتوقف في صحة ما أسنده ؟ وهذه اللغة باقيةٌ في أفواه الناس إلى اليوم ، يقول القائل : ما فيِّ أفعلُ كذا .

وفي شرح الشيخ : قال حسين الجعفيّ : سألت أبا عمرو بن العلاء عن كسر الياء فأجازه . وهذه الحكاية تروى على وجوه ذكرها ابن مجاهد في « كتاب الياءات» من طرق قال : قال خلاد ، حدثنا حسين الجُعفيّ قال : قلت لأبي عمرو بن العلاء :إن أصحاب النحو يلحِّنوننا[1] فيها . فقال : هي جائزة أيضاً ، لا نبالي إلى أسفل حركتها أو إلى فوق . ثم ذكر بقية الطرق .

واعلم أن علماء العربيَّة قد وجَّهوا قراءة حمزة بوجوه :

أحدها : ما ذكره الشارح المحقّق ، وهو أن ياء الإضافة شبِّهت بهاء الضمير التي توصل بواوٍ إذا كانت مضمومة وبياءٍ إذا كانت مكسورة ، وتكسر بعد الكسر والياء الساكنة . ووجه المشابهة : أنَّ الياء ضمير كالهاء ، كلاهما على حرفٍ واحد يشترك في لفظه النصب والجر ، وقد وقع قبل الياء هنا ياء ساكنة ، فكسرت كما تكسر الهاء في عليه . وبنو يربوع يَصلونها بياء كما يصل ابن كثير نحو عليه بياء ، وحمزة كَسر هذه الياء من غير صلة ، لأنَّ الصلة ليست من مذهبه .

وهذا التوجيه هو الذي اعتمد عليه أبو عليّ في « الحجة » قال : وجه ذلك من القياس أن الياء ليست تخلو من أن تكون في موضع نصب أو جر ، فالياء في النصب والجرِّ كالهاء فيهما ، وكالكاف في أكرمتك وهذا لك ، فكما أن الهاء قد لحقتها الزيادة في هذا له وضربه ، ولحق الكاف أيضاً الزيادةُ في قول من قال : أعطيتكاه

(١) في النسخة الشنقيطية وطبعة هارون : " يلحنونها " . وهو تصحيف .

وأعطيتكيه فيما حكاه سيبويه ، وهما أختا الياء ، كذلك ألحقوا الياء الزيادةَ من المدِّ فقالوا : فيٍّ ثم حذفت الياء الزائدة على الياء ، كما حذفت الزيادة من الهاء في قول من قال : « لَهْ أرقانِ » وزعم أبو الحسن أنّها لغة .

قلت : نقل الواحديُّ في « تفسيره الوسيط » عن قطرب أنه زعم أن هذا لغة في بني يربوع ، يزيدون على ياء الإضافة ياء ، نحو : « هل لك ياتا فيّ » وكان الأصل بمصرخيّ ، ثمَّ حذفت الياء الزائدة وأقرَّت الكسرة على ما كانت عليه . انتهى .

وقول أبي علي : « لَهْ أرقانِ » هو قطعة من بيت وهو[1] : (الطويل)

فَبِتُّ لَدَى البيتِ العتيقِ أُريغُهُ ... ومِطْوَايَ مُشتاقَانِ لَهْ أرِقَانِ

ويأتي شرحه إن شاء اللّه تعالى في باب الضمائر[2] .

وقال أبو شامة : ليس التمثيل بقوله : له أرقان ، مطابقاً لمقصوده ، فإنّ الهاء ساكنة حذفت حركتها مع حذف صلتها ، وليس مراده إلاّ حذف الصلة فقط . فالأولى لو كان مثّل بنحو : عليهِ ، وفيهِ .

ثم قال أبو علي : وكما حذفت الزيادة من الكاف ، فقيل أعطيتكه ، كذلك حذفت الياء اللاحقة للياء على هذه اللغة وإن كان غيرها أفشَى منها ، وعضُدُه من القياس ما ذكرنا .

لم يجز لقائل أن يقول إن القراءة بذلك لحنٌ لاستقامة ذلك في السماع والقياس ، وما كان كذلك لا يكون لحناً .

الوجه الثاني أن يكون الكسر في بمصرخيّ ، لأجل التقاء الساكنين ، وهذا هو الوجه الذي نبّه عليه الفرّاء أوّلاً وتبعه فيه الناس . قال الزمخشريّ : كأنه قدّر ياءَ الإضافة ساكنة ، ولكنّه غير صحيح لأن ياء الإضافة لا تكون إلاّ مفتوحة حيث قبلها ألف في عصاي ، فما بالها وقبلها ياء .

---

(١) البيت ليعلى بن الأحول الأزدي في لسان العرب (مطا ، ها) . وهو بلا نسبة في الخصائص ١/١٢٨ ، ٣٧٠ ؛ ورصف المباني ص١٦ ؛ وسر صناعة الإعراب ٢/٧٢٧ ؛ والمحتسب ١/٢٤٤ ؛ والمقتضب ١/٣٩ ، ٢٦٧ ؛ والمنصف ٣/٨٤ .

(٢) هو الشاهد الثالث والثمانون بعد الثلاثمائة ، وقائله هو يعلى بن الأحول الأزدي .

وممّن تبع الفراءَ ابنُ جنّي في « المحتسب » في سورة طه قال : قرأ الحسن وأبو عمرو بخلافٍ عنهما[1] : « هِيَ عَصايِ » بكسر الياء ، وكسرُها في نحو هذا ضعيف، استثقالاً للكسرة فيها وهرباً إلى الفتحة ، كهداي وبشراي ، إلاّ أنّ للكسر وجهاً ما ؛ وذلك أنه قد قرأ حمزة « وما أنتم بمصرخيٍّ » وكسر الياء لالتقاء الساكنين مع أنّ قبلها كسرة وياء ، والفتحةُ والألف في عصاي ، أخفُّ من الكسرة والياء في مصرخيٍّ. وروينا عن قطرُب وجماعةٍ من أصحابنا :

* قال لها هل لكِ ياتا فيٍّ *

أراد : فيَّ ، ثم أشبع الكسرة للإطلاق وأنشأ عنها ياء ، نحو منزلي وحوملي[2] . وروينا عنه أيضاً : (الطويل)

عَلَيٍّ لعَمرٍو نعمةٌ بعْدَ نعمةٍ لوالدِهِ ليستْ بذاتِ عقَاربِ[3]

وروينا عنه أيضاً[4] : (الرجز)

إنّ بنِيٍّ صِبْيَةٌ صَيْفيّونْ أفلَحَ مَن كان له رِبْعيون اهـ

الوجه الثالث : أنّ الكسر في بمصرخيٍّ للإتباع للكسرة التي بعدها ، وهي كسر همزة إني . كما قرأ بعضهم : « الحَمْدِ للّه » بكسر الدال اتباعاً لكسر اللام بعدها .

قال أبو شامة : وهذه الأوجه الثلاثة كلها ضعيفة . واللّه أعلم .

* * *

وأنشد بعده :

---

(١) سورة طه : ٢٠/١٨ .

ولقد وردت الآية في طبعة بولاق والنسخة الشنقيطية محرفة : " هذه عصاي " .

(٢) يعني قول امرئ القيس . وهو :

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل بسقط اللوى بين الدخول فحومل

(٣) هو النابغة الذبياني ؛ والبيت في ديوانه ص٤١ .

(٤) الرجز لسعد بن مالك بن ضبيعة في تاج العروس (ربع) ؛ ولسان العرب (ربع ، صيف) ؛ وللأكثم بن صيفي في تاج العروس (صيف) ؛ ونوادر أبي زيد ص٨٧ . وهو بلا نسبة في تهذيب اللغة ٢/٣٧١ ؛ وجمهرة اللغة ص٣١٧ ؛ ولسان العرب (ربع) ؛ ومقاييس اللغة ٣/٣٢٦ ؛ ومجمل اللغة ٢/٤٥٥ ؛ والمخصص ١/٣٠ .

* خَالَطَ مِنْ سَلْمَى خَيَاشِيمَ وفَا *

تقدّم شرحه في الشاهد الثالث والأربعين بعد المائتين من باب الاستثناء[١] .

وما وجه به الشارح هنا من الوجهين ، هما لأبي عليّ في « الإيضاح الشعريّ » وتقدّم نقلهما عنه هناك بأبسَط ممّا هنا فليرجع إليه .

وقال في « البغداديّات » أجرى الشاعر في فم الإفراد ، مُجرى الإضافة في الضرورة ، وذلك قوله : « خياشيم وفا » ، فحُكمُ ألفِ فا ، أن تكون بدلاً من التنوين ، والمنقلبة من العين سقطت لالتقاء الساكنين ، لأنه الساكن الأوّل ، وبقي الاسم على حرف واحد . وجاز هذا في الشعر للضرورة ، لأنه قد يجوز في الشعر كثيراً ما لا يجوز في الكلام .

قال المبرِّد : وقد لحّن كثيرٌ من الناسِ العجّاجَ في قوله : خياشيم وفا . قال : وليس هو عندي بلاحنٍ ، لأنه حيث اضطر أتى به في قافيةٍ غير مُلْحِقَة معها التنوين . والقول عندي فيه ما قدَّمته : مِن أنّه أجراه في الإفراد مُجراه في الإضافة ، فلا يصلح تلحينه ونحن نجد مساغاً إلى تجويزه ، ونحن نرى في كلامهم نظيرَه من استعمالهم في الشعر ما لا يجوز مع سواه ، كقولهم[٢] :

* ولضفادي جَمّهِ نَقانقُ *

أي : لِضفادع جَمِّهِ ، فكذلك يجوز فيه استعمال الاسم على حرف واحد وإن لم يَسُغ في الكلام .

فأمّا قول المبرّد : ومن كان يرى تنوين القوافي لم ينوّن هذا ، فليس في هذا عنده شيءٌ منع من تنوينه عند من ينوّن . ويُفسد ما ذكره من أنّ مَن نوّن القوافي لم ينوّن هذا ، أنّ[٣] من ينوّن القافية يلزمه تنوين هذا الاسم ، لكونه في موضع النصب ، وقد أجاز المبرّد في غير هذا الموضع أن يكون الاسم المظهر على حرف مفرد. هذا كلامه ومنه تعلم أنّ نقل الشارح المحقّق عن أبي عَليّ خلافُ مذهبه .

* * *

(١) الخزانة الجزء الثالث ص٤٠٩ .

(٢) في حاشية طبعة هارون ٤/٤٣٨ : " لخلف الأحمر . انظر سيبويه ١: ٣٤٤ وشرح شواهد الشافية ٤٤١ " . وفي طبعة بولاق والنسخة الشنقيطية : " جمة " . وهو تصحيف أصلحه الشنقيطي في نسخته .

(٣) في طبعة بولاق : " مع أن " ، وكلمة " مع " مقحمة ليست في النسخة الشنقيطية .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثالث والعشرون بعد الثلثمائة[1] : (الوافر)

٣٢٣- كَفَى بالنَّأيِ مِنْ أَسْماءَ كَافِي

على أنّ الوقف على المنصوب بالسكون لغة ، فإن « كافياً » مفعول مطلق وهو مصدر مؤكّد لقوله كفَى ، وكان القياس أن يقول كافياً بالنصب ، لكنّه حذف تنوينه ووقف عليه بالسكون ، والمنصوبُ حقُّه أن يبدل تنوينه ألفاً .

و« كافِ » من المصادر التي جاءَت على وزن اسمِ الفاعل ، قال المرزوقيّ في «شرح الفصيح » : يريد كفى النأيُ من أسماء كفايةً ، وهو اسم فاعل وُضع موضعَ المصدر كقولهم : قم قائماً ، وعُوفِي عافية ، وفُلج فالجاً . وكان يجب أن يقول كافياً، لكنّه حذف الفتحة كما تحذف الضمّة والكسرة . انتهى .

وكذلك الزمخشريُّ أورده في « المفصَّل » في المصادر التي جاءت على صيغة اسم الفاعل .

و« النأي » : البعد ، وهو فاعل كفى ، والباء زائدة في الفاعل كقوله تعالى[2]: « كَفَى باللّهِ شَهيداً » . و« من أسماءَ » متعلّق بالنأي . و« أسماءُ » : امرأة ، أصله وَسْماء من الوَسَامة ، وهي الحسن .

وهذا صدر وعجزه :

*وليسَ لنَأْيِها إذْ طَالَ شَافِي *

وهذا البيت مطلعُ قصيدةٍ لبشر بن أبي خازم ، مدح بها أوس بن حارثة بن لأم ، لّما خلّى سبيله من الأسر والقتل . و« شاف » : اسم ليس . و« لنأيها » : متعلّق به ، والخبر محذوف أي : عندي أو موجود . وفاعل طال ضمير النأي . و« إذ » تعليليّة متعلّقة بشاف . وجملة « وليس لنأيها » ، الخ معطوفة على ما قبلها ، أي : يكفيني بُعدها بلاءً فلا حاجةَ إلى بلاءٍ آخر ، إذْ هو الغاية ، ولا شفاء لي من مرضٍ بعدها مع

---

(١) صدر بيت لبشر بن أبي خازم الأسدي في ديوانه ص١٤٢ ؛ وشرح ديوان الحماسة للمرزوقي ص٢٩٤ ؛ ومختارات ابن الشجري ص٢٧٩ ؛ ولأبي حية النميري في لسان العرب (قفا) . وهو بلا نسبة في الأشباه والنظائر ٤٨/٨ ، ١١٢ ؛ وتخليص الشواهد ص٢٩٩ ؛ والخصائص ٢٦٨/٢ ؛ وشرح ديوان الحماسة للمرزوقي ص٩٧٠ ؛ وشرح المفصل ١٥/٦ ، ١٠٣/١٠ ؛ والصاحبي في فقه اللغة ص٣٥ ؛ والمقتضب ٢٢/٤ ؛ والمنصف ١١٥/٢ .

(٢) سورة الرعد : ٤٣/١٣ ؛ وسورة الإسراء ٩٦/١٧ .

طوله . ويجوز أن تكون الواو للحال .

وقال مَعْمَر بن المثنّى ، شارح ديوان بشر ، وهو عندي بخطِّهِ ، وهو خطٌّ كوفيٌّ : المعنى لا يصيبني بعد هذا شيءٌ أشدُّ منه ، أي : هو سُقم ومرض . ويروى : « ولَيْسَ لِسُقْمِهِ » أي : السُّقم الناشئ من بُعدها .

ويروى أيضاً : « وليسَ لسقمها » أي : السُّقم الذي حصل لي منها . هذا كلامه ، وليس وَراءَ عَبّادانَ قرية .

وروى شُرَّاح المفصّل المصراع الثاني كذا[1] :

* وليسَ لحبِّها إذْ طالَ شافي *

قال شارح أبياته - وهو بعض فضلاء العجم - : قوله : لحبِّها ، مفعول شافي والخبر محذوف ، أي : عندي أو موجود ، ويجوز أن يكون لحبِّها أي : ليس شافٍ كافياً أو حاصلاً لحبِّها .

ورواه المظفَّريّ في « شرحه » : و« ليس بحبِّها » بالموحَّدة وقال : أي ليس حبّها شافياً إذْ طال ، يعني يحصل الشفاء من وصلها لا بحبِّها .

و« **بشر بن أبي خازم** » بكسر الموحّدة وسكون الشين المعجمة - وخازم بالخاء والزاي المعجمتين .

قال ابن قتيبة في « كتاب الشعراء »[2] : بشر بن أبي خازم هو من بني أسد ، جاهليٌّ قديم ، وشهد حرب أسد وطيِّئ ، وشهد هو وابنه نوفلٌ الحلف بينهما .

قال أبو عمرو بنُ العلاء : فحلان من فحول الجاهليّة كانا يُقْوِيان : بشر بن أبي خازم ، والنابغة الذبيانيّ : فأمّا النابغة فدخل يثربَ فغُنِّيَ بشعره [فَفَطِنَ] فلم يَعُد [للإقْواء[3]] . وأما بشر[4] فقال له أخوه سوادةُ : إنّك لتُقوِي ! قال : وما الإقواء ؟ قال: قولُك[5] : (الوافر)

---

(١) هي رواية ديوانه ص١٤٢ .

(٢) الشعر والشعراء ص١٩٠ .

(٣) زيادة يقتضيها السياق من الشعر والشعراء .

(٤) في شرح المفضليات ص٦٥٨ أن سوادة هو ابن أخي بشر .

(٥) ديوان بشر بن أبي خازم الأسدي ص٢٠٥ ؛ والشعر والشعراء ص١٩٠ ؛ والموشح ص٨٠ .

أَلَمْ تَرَ أَنَّ طُولَ الدَّهرِ يُسْلِي ... ويُنْسِي مِثلَ ما نُسِيَتْ جُذامُ

ثم قلتَ :

وكانُوا قومَنا فَبغَوا علينا ... فسُقناهُمْ إلى البلدِ الشّآمِ

فلم يَعُد للإقواء . اهـ .

وأورده محمَّد بن حبيب في « كتاب أسماء من قُتِل من الشعراء[1] » فقال : ومنهم بشر بن أبي خازم الأسديّ ، وكان أغار في مِقنَبٍ من قومه على الأبناء من بني صعصعة بن معاوية – وكلُّ بني صعصعة[2] ، إلاّ عامر بن صعصعة ، يُدعَون الأبناء ، وهم : واثلة ، ومازن ، وسَلول – فلما جالت الخيلُ مرَّ بشرٌ بغلامٍ من بني وائلة فقال له بشر : استَأْسِرْ .

فقال له الوائلي[3] : لتذهَبَن أو لأرشُقنك بسهمٍ من كنانتي : فأبى بشرٌ إلاّ أسره، فرماه بسهم على ثُندُوَته فاعتنق بشرٌ فرسَه وأخذ الغلامَ فأوثقه ، فلمَّا كان في الليل أطلَقه بشرٌ من وَثاقِه وخلّى سبيلَه وقال : أعلمْ قومَك أنّك قتلت بِشراً . وهو قوله[4]: (الوافر)

وإنَّ الوائليَّ أصابَ قَلبي ... بسَهمٍ لَمْ يكن نِكْساً لُغَابا

في شعر طويل اهـ .

وكان[5] بشر أوّلاً يهجو أوس بن حارثة بن لأم ، وكان أوسٌ نذر لئن ظفر به ليحرّقنه ، فلما تمكّن أطلقه وأحسن إليه فمدحه . وهذه القصيدة الفائيّة أول القصائد التي مدحه بها . ولما لم يكن فيها شيء من الشواهد سوى المطلع اكتفينا به وما زدنا عليه شيئاً . وعدّتها أربعة وعشرون بيتاً[6] .

---

(١) نوادر المخطوطات ص٢١٤ .

(٢) في نوادر المخطوطات ص٢١٤ : " وكان بنو صعصعة " .

(٣) في طبعات الخزانة : " الوائلي " . وهو تصحيف صوابه من ديوانه ص٢٤-٢٥ .

(٤) البيت في ديوانه ص٢٥ .

واللغاب : الريش الرديء ، يكسى به السهم فلا يعتدل ولا يلتئم .

(٥) الخبر في الشعر والشعراء ص١٩١ .

(٦) عدتها في ديوانه المحقق عشرون بيتاً .

وأوسٌ هذا ، ممّن يُضرب به المثلُ في الكرم والجود ، يقال له ابن سُعدى ، قال جرير[1] : (الوافر)

وما كَعْبُ بن مَامةَ وابنُ سُعْدَى بأجودَ منك يا عُمَرَ الجَوَادا

وسبب هجاء بشرٍ لأوس ، هو ما حكاه أبو العباس المبرّد في « الكامل[2] » قال: أوسُ بنُ حارثةَ بن لأمٍ الطائيُّ كان سيداً مقدَّماً ، وفد هو وحاتم بن عبد اللّه الطائي على عمرو بن هندٍ ، وأبوه المنذر بن المنذر بن ماء السماء ، فدعا أوساً فقال : أأنت أفْضلُ أم حاتم ؟ فقال : أبيتَ اللّعنَ ، لو مَلَكَني حاتمٌ وولَدي ولُحمتي لَوهَبَنا في غداةٍ واحدة ! ثم دعا حاتماً فقال : أأنت أفضلُ أم أوس ؟ فقال : أبيتَ اللّعن إنّما ذُكِرتُ بأوس ، ولأحَدُ وَلَدِه أفضل منّي .

وكان النعمان بن المنذر دعا بحُلّةٍ وعنده وفودُ العرب من كلّ حيّ – فقال : احضُرُوا في غدٍ فإني ملبسٌ هذه الحُلّةَ أكرَمكم . فحضر القوم جميعاً إلاّ أوساً فقيل له: لِمَ تتخلّفُ[3] ؟ فقال : إن كان المراد غيري فأجملُ الأشياء ألا أكون حاضراً ، وإنْ كنتُ المرادَ فسأُطْلَب ويُعرف مكاني ؟ فلما جلس النعمان لم ير أوساً ، فقال : اذهبوا إلى أوس فقولوا له : احضُرْ آمناً مما خِفتَ . فحضر فألبسه الحُلّة[4] ؛ فحسده قومٌ من أهله فقالوا للحطيئة : اهجُهُ ولك ثلثمائةِ ناقة . فقال الحطيئة : كَيف أهجو رجلاً لا أرى في بيتي أثاثاً ولا مالاً إلاّ مِن عنده ! ثم قال[5] : (البسيط)

كيفَ الهجَاءُ وما تنفكُّ صَالحةٌ من آلِ لأمٍ بظهرِ الغيبِ تأتيني

فقال لهم بشر بن أبي خازم – أحد بني أسد بن خُزيمة – : أنا أهجوه لكم . فأخذ الإبلَ وفعَل ، فأغار أوس عليها فاكتسحها ، فجعل لا يستجير حيّاً إلاّ قال قد أجرْتُك إلاّ من أوس .

وكان في هجائه قد ذكر أمَّه فأتي به ، فدخل أوسٌ على أمِّه فقال : قد أُتينا ببشرٍ

---

(١) البيت في الكامل ١٣٦/١ .

(٢) الكامل في اللغة ١٣٦/١ .

(٣) في الكامل في اللغة ١٣٧/١ : " لم تخلفت " .

(٤) في الكامل في اللغة : " فألبس الحلة " .

(٥) البيت في ديوان الحطيئة ص١٧٤ .

وفي ديوانه في تقديم الأبيات : " وكان الحطيئة دعي إلى هجاء زيد وأرغبوه في ذلك فأبى وأنشأ يقول " .

الهاجي لكِ ولي [فما ترين فيه ؟][1] ! قالت : أَوَ تطيعني [فيه] ؟ قال : نعم . قالت : أرى أن تردّ عليه مالَه وتَعْفُوَ عنه وتحبُوَه ، وأفعَلَ مثلَ ذلك ، فإنه لا يغسل هجاءه إلاّ مدحُه ! فخرج فقال : إنّ أمِّي سُعْدَى التي كنتَ تهجُوها ، قد أمرت فيك بكذا وكذا ! فقال : لا جرم ، والله لا مدحت حتّى أموتَ أحداً غيرَك . ففيه يقول[2] : (الوافر)

إلى أوسِ بنِ حارثةَ بنِ لأمٍ ليقضِيَ حَاجَتي فيمَنْ قَضَاها
فما وطِئَ الثّرى مثلُ ابنِ سُعْدَى ولا لبِسَ النّعالَ ولا احْتَذاها

هذا ما أورده المبرّد ، ولم يذكر كيف تمكّن منه أوس .

وقد حكاه مَعْمَرُ بن المثنّى في « شرحه » قال : إنّ بشرَ بن أبي خازم غزا طيئاً ثم بني نبهان ، فجُرح فأثقل جراحة ، وهو يومئذ بحِمى أحدِ أصحابه وإنّما كان في بني والبة ، فأسرته بنو نَبْهَان فخبَّؤوه كراهية أن يَبلغ أوساً ، فسمع أوسٌ أنه عندهم فقال: واللّهِ لا يكون بيني وبينهم خير أبداً أو يدفعوه !

ثم أعطاهم مائتي بعير وأخذه منهم ، فجاء به وأوقد له ناراً ليحرِّقه - وقال بعض بني أسد : لم تكن نار ، ولكنّه أدخله في جلد بعير حين سلخه ، ويقال جلد كبش ، ثم تركه حتّى حفّ عليه فصار فيه كأنه العصفور[3] - فبلغ ذلك سعدى بنت حُصين الطائيّة ، وهي سيّدة[4] ، فخرجت إليه فقالت : ما تريد أن تصنَع ؟ فقال : أحرقُ هذا الذي شتمنا . فقالت : قَبَح اللّه قوماً يسوِّدونك أو يقتبسون من رأيك ، واللّه لكأنّما أُخذتَ به ، أما تعلم منزلته في قومه ، خلِّ سبيله وأكرمْه ، فإنه لا يغسل عنك ما صنع غيرُه .

فحبسه عنده وداوى جُرحه ، وكتمه ما يريد أن يصنع به ، وقال : ابعث إلى قومك يفدُونك ، فإني قد اشتريتك بمائتي بعير . فأرسل بشرٌ إلى قومه فهيَّؤوا له الفداء، وبادرهم أوسٌ فأحسن كُسوته وحمله على نجيبِه الذي كان يركبه ، وسار

(١) زيادة يقتضيها السياق من الكامل في اللغة ١/١٣٧ .

(٢) البيتان في ديوان بشر بن أبي خازم ص٢٢٢ . وتاج العروس (لؤم) ؛ والكامل في اللغة ١/١٣٧ . وهو بلا نسبة في لسان العرب (لأم) .

(٣) كذا وردت وأراد بها المبالغة .

(٤) أراد أنها ذات سيادة في عشيرتها .

معه، حتى إذا بلغ أدنى أرضِ غَطَفان ، جعل بشرٌ يمدح أوساً وأهلَ بيته ، بمكان كلٍّ قصيدة هجاهم بها قصيدة ، فهجاهم بخمسٍ ومدحهم بخمس . وقد قيل : إن بني نَبهان لم تأسر بِشْراً قط ، إنّما أسره النعمان بن جبلة بن وائل بن جلاح الكلبي ، وكان عند جبلة بنت عبيد بن لأم ، فولدت منه عوف بن جبلة ، فبعث إليه أوس بن حارثة يتقرّب بهذه القرابة ، فبعث ببشر إليه فكان من أمره ما كان .

هذه حكايته ، وقد نقلتها من خطّه الكوفيّ .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الرابع والعشرون بعد الثلثمائة[1] : (المتقارب)

٣٢٤- وآخُذُ مِنْ كُلِّ حَيٍّ عُصُمْ

هذا عجز ، وصدره :

* إلى المرءِ قيسٍ أُطيلُ السُّرَى *

على أنه وقف على المنصوب المنوّن بالسكون ، ولم يبدل تنوينه ألفاً كالذي قبله.

والاستشهاد بهذا البيت كثيرٌ في مؤلفات أبي عليّ وتلميذه ابن جنّي . وكان القياس أن يقول : عُصَماً ، لأنه مفعول آخُذ ، وهو جمع عِصام ، ككتب جمع كتاب.

قال ابنُ جنّي في « المبهج ، وهو شرح أسماء شعراء الحماسة لأبي تمام[2] » : عِصام القربة : وِكاؤها ، وعصامها أيضاً : عُروتها . وأنشد هذا البيتَ وقال : هو جمع عصام ، يعني عهداً يبلغ به ، ويَعِزُّ به . فقضيته أنّه بضمتين .

واستشهد به ابن هشام صاحب السيرة النبويّة ، على أن عِصَماً فيه بكسرة

(١) البيت للأعشى ميمون في ديوانه ص٨٧ ؛ والخصائص ٩٧/٢ ؛ وسر صناعة الإعراب ٤٧٧/٢ ؛ وشرح شواهد الشافية ص١٩١ . وهو بلا نسبة في رصف المباني ص٣٥ ؛ وسر صناعة الإعراب ٦٧٦/٢ ؛ وشرح شافية ابن الحاجب ٢٧٢/٢ ، ٢٧٥ ، ٢٧٩ ؛ وشرح المفصل ٧٠/٩ ؛ ولسان العرب (رأف) .

(٢) المبهج في تفسير أسماء شعراء الحماسة ١٧٣ .

ففتحة، جمع عصمة ، فإنه قال عند تفسير قوله تعالى[١] : « ولا تَمَسَّكُوا بِعِصَمِ الكَوافر » : واحدة العِصَمِ عِصْمة وهي الحبْل والسبَب . ثم أنشد هذا البيت .

وهو من قصيدة للأعشى ميمونٍ مدح بها قيس بنَ معد يكَرِب ، مطلعُها[٢] :

أَتهجُرُ غَانيةً أم تُلِمْ ... أمِ الحبْلُ واهٍ بها مُنْجذِمْ[٣]
أم الصَّبْرُ أحْجَى فإنَّ أمرأً ... سينفَعُهُ علمُه إنْ عَلِمْ

إلى أن قال :

ويَهماءَ تَعْزِفُ جِنّانُها ... مَناهلُها آجنَاتٌ سُدُمْ
قَطعتُ بِرَسّامةٍ جَسْرَةٍ ... عُذَافِرةٍ كالفنيقِ القَطِمْ[٤]
تُفَرِّجُ للمَرءِ مِنْ هَمِّهِ ... ويُشْفَى عليها الفؤَادُ السَّقِمْ
إلى المرءِ قيسٍ أُطِيلُ السُّرَى ... وآخُذُ من كلِّ حيٍّ عُصَمْ
فكَمْ دونَ بابكَ من مَعْشَرٍ ... خِفافُ الحُلُومِ عُداةٍ غُشُمْ
إذا أنا حيَّيْتُ لَمْ يَرجِعوا ... تحيَّتَهمْ وهُمُ غيرُ صُمْ

إلى أن قال :

ولَمْ يُودِ مَنْ كنتَ تَسْعى لهُ ... كما قيلَ في الحربِ أودَى دَرِمْ[٥]

إلى أنْ قال :

تقولُ ابنتي حِينَ جَدَّ الرَّحيلُ ... أُرانا سَواءً ومَنْ قَدْ يَتِمْ
فيا أبتَا لا تَزَل عِنْدَنا ... فإنّا نخَافُ بأنْ نُخْتَرَمْ
فَلا رِمْتَ يا أبتا عِنْدنا ... فإنّا بخيرٍ إذا لَمْ تَرِمْ[٦]

---

(١) سورة الممتحنة : ١٠/٦٠ .

(٢) الأبيات من مطولة في ديوانه ص٨٥- ٩١ يمدح فيها قيس بن معد يكرب .

(٣) البيت للأعشى في ديوانه ص٨٥ . وهو بلا نسبة في تهذيب اللغة ٤٨٨/٦ ؛ ولسان العرب (وهي) .

(٤) البيت للأعشى في جمهرة اللغة ص٩٢٤ ، ٩٦٧ .

(٥) البيت للأعشى في تاج العروس (درم) ؛ وتهذيب اللغة ١١٦/١٤ ؛ وجمهرة اللغة ٦٣٨ ؛ وكتاب العين ٣٥/٨؛ ولسان العرب (درم) ؛ ومجمل اللغة ٢٦٣/٢ ؛ ومقاييس اللغة ٢٧٠/٢ .

(٦) البيت للأعشى في تاج العروس (ريم) ؛ ولسان العرب (ريم) .

نُرانــا إذا أضمرَتْــكَ البــلا دُ نُجفَى ويُقطَعُ منّا الرَّحِمْ[1]

« الغانية » : الجارية التي استغنت بزوجها ، وقد تكون التي استغنت بحسنها . و« الإلمام » : النزول ، وأراد به هنا الزيارة والمواصلة . و« الحبل » : الوصل . و«وهى الحبل ونحوه » : تشقّق واسترخَى . و« الانجذام » ، بالجيم والذال المعجمة : الانقطاع . و« أحجَى » : أليق ، من الحِجا وهو العقل .

و« اليَهْماء » ، بفتح المثناة التحتيَّة : الفلاة التي لا يُهتَدى إلى الطريق فيها . وتعزف: تصوّت ، وهو بالعَين المهملة والزاي المعجمة . و« الجِنّان » بكسر الجيم : جمع جانّ ، وهو أبو الجنّ . و« المنهل » : المورِد ، وهو عَينٌ ماء ترده الإبل . و«الآجن » : الماء المتغيِّر الطعم واللون . و« السُّدُم » ، بضم السين والدال المهملتين، في الصحاح : رَكيَّة سُدْم وسُدُم ، مثل عُسْر وعُسُر : إذا ادُّفنت .

وقوله : « قطعت » ، جواب ربَّ المقدَّرة في قوله : ويهماء ، وهو العامل في محله . و« الرسَّامة » : الناقة التي تؤثّر في الأرض من شدَّة الوطء . و« الجَسْرة » ، بفتح الجيم : الناقة القوية الشديدة ، ومثلها العُذافِرة ، بضم العين المهملة . و« الفَنِيق» بفتح الفاء وكسر النون : الفحل العظيم الخَلْق .

و« القَطِم » ، بفتح القاف وكسر الطاء : وصفٌ من قَطِم الفحلُ بالكسر ، أي: اهتاج وأراد الضراب ، وهو في هذه الحالة أقوى ما يكون . و« الهَمُّ » : الغمُّ . والفؤاد فاعل يشفى . و« السَّقَم » بفتحتين مفعوله .

وقوله : « إلى المرء قيس الخ » « أل » في المرء لاستغراق خصائص الأفراد ، نحو زيد الرجل ، أي : الكامل في هذه الصِّفة . وقيس بدل من المرء . و« السُّرَى » بالضم : جمع سَرْية ، يقال : سَرَينا سُرية من الليل وسَرية ، بالضم والفتح . قال أبو زيد : ويكون السُّرَى أولَ الليل وأوسطه وآخِرَه .

وهذه طريقة المتقدِّمين في التخلص إلى المديح ، وهو أنهم يصفون الفيافي وقطعَها بسير النوق ، وحكاية ما يعانون في أسفارهم إلى ممدوحهم .

وقوله : « وآخُذُ من كلِّ الخ » ، معطوف على أُطيلُ السرى . وإنما كان يأخذ

---

(١) البيت للأعشى في أساس البلاغة (ضمر) وتاج العروس (ضمر) ؛ وتهذيب اللغة ٣٧/١ ؛ وكتاب العين ٢٢٤/٣ ؛ ولسان العرب (ضمر) .

من كلّ قبيلةٍ عهداً إلى قبيلةٍ أخرى ، لأن له في كلّ حيٍّ أعداءً ممن هجاهم ، أو ممن يكره ممدوحه ، فيخشى القتل أو غيره ، فيأخذ عهداً ليصل بالسّلامة إلى ممدوحه ، فذكر له ما تجشّمه من المشاق في المسير إليه ، ليُجزل له العطايا . وقد ذكر الأعداء بقوله :

* فكَمْ دونَ بابك من مَعْشر . . . الخ *

و« خِفاف » : جمع خفيف ، ككرام جمع كريم . و« الحُلوم » : جمع حِلم بالكسر ، وهو الأناة ، أراد به العقل . و« عُداة » ، بضم العين : جمع عادٍ ، كقضاة جمع قاض من عدا عليه يعدو عُدواناً : إذا ظلمه وتجاوز الحدَّ عليه . و« غُشُم » ، بضمتين : جمع غشوم ، من الغَشْم وهو الظُّلم .

وقوله : « ولم يودِ من كنت الخ » ، أودى فلان أي : هلك فهو مُودٍ . و«دَرِم» بفتح الدال وكسر الراء ، قال في الصحاح : « اسم رجل من بني شيبان ، قُتِل فلم يُدرَك بثأره ، وقال المؤرِّج : فُقِد كما فقد القارظ العَنَزِيّ » .

وفي ديوان الأعشى[١] : إنه دَرِم بن دُبٍّ بن مُرَّة بن ذُهْل بن شيبان ، كان النعمان يطلبه فظفِروا به ، فمات في أيديهم قبل أن يصلوا به إلى النعمان ، فقيل[٢] « أُودى دَرِم » فذهبت مثلاً .

وروي :

* كما قيل في الحيِّ أودى دَرِمْ *

قال العسكريّ في « التصحيف[٣] » : اجتمع رُواة بغداد[٤] على أنّ دَرِمْ مفتوح الدال مكسور الراء إلاّ ابن الروميِّ الشاعر ، فإنه ذكر أن روايته « دِرَم » بكسر الدال وفتح الراء ، وكان يعزوه إلى محمَّد بن حبيب . وإنّما احتاجَ إلى أن يجعله هكذا في

---

(١) كذا في ديوانه ص٨٩ . وفي جمهرة ابن دريد ٢٦/١ : " وفي بني شيبان بطن يقال له : دبّ ، وهو دبّ بن مرة ابن شيبان ، وهم قوم درم الذي يضرب به المثل فيقال : أودى درم " .

(٢) وفي المثل : " أودى درم " . والمثل في جمهرة الأمثال ١٦٧/١ ؛ وجمهرة اللغة ص٦٦ ، ٦٣٨ ؛ ولسان العرب (دبب ، درم) ؛ ومجمع الميداني ٣٦٩/٢ .

(٣) كتاب التصحيف ص٢٨٩ .

(٤) في كتاب التصحيف : " أجمع الرواة رواة البصرة وبغداد " .

شعر له هرباً من التوجيه ، فقد كان ابتداء قصيدته[١] :

* أَفِيضَا دَماً إنَّ الرَّزايا لها قِيَمْ *

فبناها على فتح ما قبل الرويّ ثم قال :

* فطاحَتْ جُباراً مثلَ صاحبها دِرَمْ *

وأنشدها عليٌّ هكذا[٢] ، فأنكر ذلك عليه أبـو العباس ثعلب[٣] . ودَرِمٌ هـذا مشهور عند النسّابين ، وهو دَرِم بن دُبّ بن مُرّة بن ذهل بن شيبان . إنما قالوا : أودى دَرِم ، لأنه قُتِل فلم يـودَ و لم يثأرْ بـه ، وقـال قـائل : أودى درم فضُـرِب مثـلاً.

وقوله : « أرَانا سواءً الخ » ، أي : نـرى أنفسَنا مثـلَ الأيتـام سـواء . وقـد يَتِم بالكسر يَيْتَم[٤] بالفتح يُتماً بالضم والفتح وسـكون التـاء فيهمـا . واخـترمهم الدهـر ، وتخرّمهم : أي اقتطعهم واستأصلهم . ونُخترم ، بضم النون .

وقوله : « فلا رِمْتَ الخ » رام من مكانـه يريـم : إذا بـرح وزال . و« نُرانـا » ، بضم النون من الرؤية بمعنى الظنّ . و« نُجفى » بضم النون من الجَفوة ، أي : نعـامَل بها .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الخامس والعشرون بعد الثلثمائة[٥] : (الرجز)

---

(١) في حاشية طبعة هارون ٤/٤٥٠ : " عجزه كما في التصحيف :

* فليس كثيراً أن تجودا لها بدم * "

(٢) في التصحيف : " وأنشدها على هذا " . وهو تصحيف ويعني علي بن العباس بن جريـج الرومـي المتوفى سنة ٢٨٣ .

(٣) جاء بعده في كتاب التصحيف : " وأقام ابن الرومي على أنه درم بكسر الدال " .

(٤) في طبعة بولاق والنسخة الشنقيطية : " يتم " . وهو تصحيف حوره الشنقيطي في نسخته إلى " ييتم " .

(٥) الرجز لرؤبـة في ديوانه ص١٥٩ ؛ والحيوان ٣/٢٦٥ ؛ والـدرر ١/١١٤ ؛ وشـرح شـواهد المغني ١/٤٦٧ ؛ والمقاصد النحوية ١/١٣٩ . وهو بلا نسبة في شرح الأشمونـي ١/٣١ ؛ وشـرح التصريـح ١/٦٤ ؛ وهمـع الهوامع ١/٤٠ ؛ والمخصص ١/١٣٦ .

٣٢٥- كالحُوتِ لا يُروِيْهِ شيءٌ يَلْقَمُهْ
يُصْبِحُ ظَمآنَ وفي البحرِ فَمُهْ

على أنه قد يقال في غير الأفصح فمي وفمه وفم زيد ، في جميع حالات الإضافة. وهذا ظاهر فإثبات الميم عند الإضافة فصيح ، ويدلّ له الحديث[1] : « لَخُلُوفُ فَم الصّائم » .

ولا التفات إلى قول أبي علي في « البغداديات » : قد اضطُرَّ الشاعر فأبدل من العين الميمَ في الإضافة ، كما أبدلها منها في الإفراد ، فقال : وفي البحر فمُه . وهذا الإبدال في الكلام إنما هو في الإفراد دون الإضافة ، فأجرى الإضافة مُجرى المفرد في الشعر للضرورة . هذا كلامه .

و« يَلقمُه » : مضارع لقِمْت اللُّقمة لَقَماً من باب طَرِب : إذا بلعتها ، وكذلك التقمتها وتلقّمتها : إذا ابتلعتها . وروي بدله : « يَلهَمُه » وهو بمعناه ، يقال : لهِمَه لهماً من باب طرِب[2] أيضاً . إذا ابتلعه .

و« ظَمآن » بالنصب خبر « يصبح » . وجملة : « وفي البحر فمه » حال من الضمير المستتر في ظمآن .

قال حمزة الأصبهاني في « الدرَّة الفاخرة »[3] : « أظمأُ من حوت » مثلٌ يزعمون دعوَى بلا بينةٍ أنه يعطش وفي البحر فمه ، واحتجّوا بقول الشاعر : كالحوت لا يرويه شيء الخ . وينقضون هذا بقولهم[4] : « أروى من حوت » ، فإذا سُئِلوا عن علّة قولهم قالوا : لأنه لا يفارق الماء . انتهى .

و لم يزد الزمخشريُّ في « المستقصى » في شرح هذا المثل على قوله : يزعمون أنه يعطش في البحر ، قال : كالحوت لا يرويه شيء الخ .

---

(١) في حاشية الطبعة السلفية ٣٤٣/٤ : " تمام الحديث : أطيب عند الله من رائحة المسك . والخلوف ، بضم الخاء : تغير رائحة الفم " .

(٢) في طبعة بولاق والنسخة الشنقيطية : " ضرب أيضاً " . وهو تصحيف صوابه من الطبعة السلفية ٣٤٣/٤ .

(٣) المثل في تمثال الأمثال ١٧٤/١ ؛ وجمهرة الأمثال ٣١/٢ ؛ والدرة الفاخرة ٢٩٦/١ ، ٤٤٧/٢ ؛ والمستقصى ٢٣٤/١ ؛ ومجمع الميداني ٤٤٧/١ .

(٤) المثل في تمثال الأمثال ١٧٤/١ ؛ وجمهرة الأمثال ٢٠١/١ ، ٤٩٩ ، ٣١/٢ ؛ والدرة الفاخرة ٧٢/١ ، ٢٠٩ ، ٢٩٦ ؛ والمستقصى ١٤٦/١ ؛ ومجمع الميداني ٨٦/١ ، ٣١٥ .

وقد نقل الكِرمانيّ كلام الدرَّة في « شرح شواهد الخبيصيّ » ثم قال : يمكن تصحيح المَثلين حقيقةً ، وهو أن الحوت لا يشرب ماء البحر ما أمكنه لملوحته ؛ فهو إذنْ ظمآن . ولكثرة صبره على العطش مع وجود الماء كأنه ريّان ، إذ لولا أنه كذلك لشرب الماء . وجاز أن يكون قلّة شربه لخوف غرقه بوصول الماء إلى جوفه متجاوزَ الحدّ .

هذا كلامه ، ولا ينبغي له تسطير مثل هذا . والوجه أن يقال : لوجوده في الماء إنما ضُرب المثل بريّه ، ولعدم طاقته على مفارقة الماء قيل : « أظمأُ مِنْ حُوت » . كأنّ ملازمته للماء إنما هي لشدّة ظمئه .

وقال صاحب حياة الحيوان : هذا البيتُ مثل يضرَب لمن عاش بخيلاً شرهاً[1] .

وهو من رجز طويل لرؤبة بن العجّاج ، عِدّته أربعمائة وخمسة وثلاثون بيتاً ، مدح به أبا العبَّاس السفّاح أول الخلفاء العباسيّة .

وأوله[2] :

* قلتُ لزِيرٍ لم تَصِلْه مَرْيَمُه *

وذكر في أواخره فقرَه وشدّة حاجته إليه . وهذه قطعة منه[3] :

* جَاءكَ عوْدٌ خِنْدِفيٌّ قَشْعمُه *

« العَود » ، بالفتح : المسنّ القديم ، وأصله في الإبل ، عنَى به نفسَه . و« خِندف » : امرأة الياس بن مضر . وأراد بكونه خندفيًّا أنه عَدْنانيٌّ لا قحطاني . و« القَشعَم » : الكبير .

* عليهِ من لِبْدِ الزَّمانِ هِلْدِمُه *

« لِبْد الزّمان » ، بكسر اللام وسكون الموحدة : جفوفه ووَسخه . و« هِلْدِمُه »: ما تراكم بعضُه على بعض ؛ وقال بعضهم : خُلْقانه . وهو بكسر الهاء والدال وسكون اللام بينهما .

---

(١) انظر حياة الحيوان للدميري في رسم (الحوت) .

(٢) الرجز في ديوان رؤبة ص١٤٩-١٥٩ ؛ وشرح أبيات المغني للبغدادي ٣/٣ ، ٩ .

(٣) الرجز لرؤبة في تاج العروس (وحب) ؛ وتهذيب اللغة ٢٢٤/١١ .

* مُوَحَّبٌ عارِي الضّلوع حِرْضِمُه[1] *

« الموحّب » ، بكسر الجيم وروي بفتحها : الذي يأكل في اليوم والليلة مرّةً ، يقال : فلان يأكل وجبةً وقد وجّب نفسَه توجيباً : إذا عوّدها ذلك . أراد : إنني لا أصيب من القوت في اليوم والليلة إلاّ مرّة . و« الحِرضِم » ، بكسر المهملة والضاد المعجمة بينهما راء مهملة : المهزول ، كذا في شرح ديوانه .

* لم يَلقَ للجَشْبِ إداماً يَأدِمهْ *

« الجَشْب » ، بفتح الجيم وسكون الشين المعجمة : ضيق العيش . في الصحاح : طعام جَشِب ومجشوب أي : غليظ ، ويقال هو الذي لا إدام معه .

* ما زالَ يَرجُوكَ لحقٌ يَزعُمُهْ *

* على التّنائي ويَراك حُلُمُهْ *

« التّنائي » : التباعد . و« الحُلُم » بضمتين : ما يراه النائم . والإسناد مجازيّ أي: يراك في حُلُمه .

* قَدْ طالَمَا حَنَّ إليكِ أهْيَمُه *

« أهيمه » : عقله وفؤاده .

* إيّاكَ لَمْ يُخطِئْ بهِ ترسُّمُه *

« الترسُّم » ، بالراء : التفرّس ، من الفراسة .

* كالحُوتِ لا يُروِيه شيءٌ يَلْهَمُهْ *

شبّه نفسَه بالحوت أي : هو كالحوت .

* يُصبح ظمآنَ وفي البحرِ فَمُهْ *

* مِنْ عَطَشٍ لوَّحَهُ مُسَلْهِمُهْ *

---

(١) الرجز لرؤبة في تاج العروس (وحب) ؛ وتهذيب اللغة ٢٢٤/١١ ؛ ولسان العرب (وحب) . وفي طبعة بولاق والنسخة الشنقيطية : " عادي الضلوع " . وهو تصحيف صوابه من ديوانه .

« لوّحه » : غيّره ، من لوّحته أي : غيّرته ، ومن لوّحت الشيء بالنار : أحميته . و« المسَلْهِم » : المغيّر .

* أطالَ ظِمئاً وجِباك مَقْـدَمه *

« الجبا » ، بكسر الجيم بعدها موحدة : المـاء المجمـوع للإبـل ، وهـو بـالقصر . و«مَقْدَمه » : مَورِده .

* وفيضُك الفيضُ الرَّواءُ أطغَمُـهْ *

« الرَّوَاء » ، بالفتح والمـدّ : المـاء العـذب . و« أطغَمُـه » ، أي : أكـثره ؛ وهـو بالغين المعجمة .

* قَدْ كانَ جمَّاً شاؤُه ونَعَمُه *

أخبر عن نفسه بأنّه كان قبل اليوم كثيرَ الغنم والإبل .

* فعَضَّه دَهرٌ مُذِفٌ مَحْطِمُهْ *

* والدَّهرُ أحبَى لا يـزالُ أَلُمه *

« الأحبى » : الشديد الحابي الضلـوع ، أي : المشـرف المنتفـخ الجنبـين مـن الغيظ .

* أفنَى القُرونَ وهو بَاقٍ أزنَمُهْ *

أي : حوادثه ، وهو بالزاء المعجمة والنون .

* بذَاكَ بادت عـادُه وإِرَمُــهْ *

« بادت » : هلكت . و« عاد وإرم » : قبيلتان .

وهذا آخـر الرجـز . وترجمـة رؤبـة قـد تقدّمـت في الشـاهد الخـامس مـن أوائـل الكتاب[1] .

وقد حَظِيَ الأصمعيُّ عند هارونَ الرشيدِ بروايته لهذا الرجز .

---

(١) الخزانة الجزء الأول ص١٠٣ .

روى السيِّد المرتضى في « أماليه : الدّرر والغُرر »[١] بسنده إلى الأصمعيِّ أنه قال: تصرَّفتْ بي الأسبابُ على باب الرشيد مؤمِّلاً للظفر به والوصول إليه ، حتّى إنّي صرتُ لبعض حَرَسه خَديناً[٢] ؛ [فإنّي[٣]] في بعض ليلةٍ قد نثرت السعادةُ والتوفيق فيها الأرَقَ بين أجفان الرشيد ، إذ خرج خادمٌ فقال : أمَا بالحَضرة أحدٌ يحسن الشعر؟ فقلت : اللّه أكبر ! رُبَّ قَيدٍ مُضيَّق قد حلّه التيسير[٤] ! فقال لي الخادم : ادخُل ، فلعلّها أن تكون ليلةً يُغرَس في صباحها الغِنى[٥] إن فزْتَ بالحُظوة عند أمير المؤمنين .

فدخلتُ فواجهتُ الرّشيدَ في مجلِسه ، والفضلُ بن يحيى إلى جانبه ؛ فوقف بي الخادمُ حيث يَسمعُ التسليم ، فسلمت فردَّ عليَّ السلام ثم قال : يا غلامُ أرِحْهُ لِيُفرِخ رُوعه إنْ كان وجَدَ للرَّوعة حِسَّاً ! فدنوت قليلاً ثمَّ قلت : يا أمير المؤمنين ، إضاءة مَجدك وبَهاء كرمك ، مُجيرانِ لمن نظر إليك مِن اعتراضِ أذيَّة ! فقال : ادْنُ . فدَنوت فقال : أشاعرٌ أم راوية ؟ فقلتَ : راوية لكلِّ ذي جدّ وهَزْل ، بعد أن يكون مُحسِناً ! فقال : تا للّه ما رأيتُ ادِّعاءً أعظمَ مِن هذا ! فقلتَ : أنا على المَيدان ، فأطلِقْ مِن عِناني يا أمير المؤمنين ! فقال : « قد أنْصفَ القارَةَ مَنْ رامَاها » ، ثم قال : ما المعنى في هذه الكلمة بَديئاً ؟

فقلت : فيها قولان : القارة هي الحَرَّة من الأرض ؛ وزعمت الرّواة أنَّ القارَة كانت رُمَاةً للتبابعة ، والمِلكُ إذ ذاك أبو حسَّان ، فواقفَ عسكره وعسكر السُّغْد[٦] فخرج فارسٌ من السُّغد قد وضع سهمَه في كَبد قوسه فقال : أين رُمَاة العرب ؟ فقالت العرب[٧] : « قد أنصَفَ القارَةَ مَنْ رَامَاها » . فقال لي الرشيد : أصبت ! .

---

(١) أمالي الشريف المرتضى ٩/٢ .

(٢) في طبعة بولاق والنسخة الشنقيطية : " حرسه حديثاً " . وهو تصحيف صوابه من أمالي المرتضى .

(٣) زيادة يقتضيها السياق من أمالي المرتضى ٩/٢ .

(٤) في أمالي المرتضى : " رب قيد مضيقة حله التيسير " .

(٥) في أمالي المرتضى : " تعرس في صباحها بالغنى " .

(٦) في طبعة بولاق والنسخة الشنقيطية :"فوافق عسكره عسكر السعد".وهو تصحيف صوابه من أمالي المرتضى .

(٧) المثل في أمثال العرب ص١٢٧ ؛ وجمهرة اللغة ص٧٩٥ ؛ والعقد الفريد ٣١١/٥ ؛ والفاخر ص١٤٠ ؛ وكتاب الأمثال لمجهول ص٨١ ؛ ولسان العرب (قور) ؛ والمستقصى ١٨٩/٢ ؛ ومجمع الميداني ١٠٠/٢ ؛ والوسيط في الأمثال ص١٣٥ .

ثم قال : أرتوي لرؤبَة بن العجّاج والعجّاجِ شيئاً ؟ فقلت : هما شاهدان لك بالقوافي وإن غُيِّبا عن بَصرك بالأشخاص . فأخرَج من ثِنْي فرشِه رُقعةً ثم قال : أنشِدني[1] : (الرجز)

* أرَّقَني طارقُ هَمّ أرَّقا *

فمضيت فيها مُضِيّ الجواد في سَنَن مَيْدانه[2] تهْدِرُ بها أشداقي ، فلمّا صرت إلى مديحه لبني أمية ، ثنيتُ لساني إلى امتداحه لأبي العباس[3] في قوله :

* قلتُ لزيرٍ لم تَصِلْه مَرْيَمُهْ *

فلما رآني قد عدلت من أُرْجوزة إلى غيرها قال : أعنْ حَيرةٍ أمْ عنْ عَمد ؟ قلت: عن عمد ، تركتُ كِذْبَه إلى صِدْقه فيما وصف به جَدّك[4] من مَجْده ! فقال الفضل : أحسنتَ ، بارك اللّه فيك ! مثلُك يُؤهَّل لمثل هذا المجلس ! فلما أتيت على آخرها قال لي الرشيد : أتروي كلمة عديٍّ بن الرِّقاع[5] :

* عَرَفَ الدِّيارَ توَهُّماً فاعْتادَها *

قلت : نعم . قال : هاتِ . فمضيتُ فيها حتّى إذا صرتُ إلى وصف الجمل قال لي الفضل : ناشدتك اللّه أن تَقْطع علينا ما أُمْتِعْنا به من السهر في ليلتنا هذه ، بصفةِ جَملٍ أجرب ! فقال له الرشيد : اسكتْ فالإبل هي التي أخرجتك من دارك ، واستلَبتْ تاجَ ملكك ، ثم ماتت وعُمِلت جلودُها سِياطاً ضُرِبْتَ بها أنت وقومك ! فقال الفضل : لقد عوقِبتُ على غير ذنب ، والحمدُ للّه ! فقال الرشيد : أخطأتَ ،

---

(١) الرجز لرؤبة في ديوانه ص١٠٨ ؛ وتاج العروس (أرق) . وهو بلا نسبة في تاج العروس (ركض) ؛ وكتاب العين ٤٥٩/٧ .

(٢) في أمالي المرتضى : " في متن ميدانه " .

(٣) في أمالي المرتضى : " امتداحه للمنصور " . وأبو العباس ، هو الخليفة السفاح .

(٤) في أمالي المرتضى ١١/٢ : " وصف به المنصور " .

(٥) صدر بيت لعدي بن الرقاع ؛ وعجزه :

* من بعد ما درس البلى أبلادها *

والبيت لعدي بن الرقاع العاملي في ديوانه ص٣٣ ؛ والأغاني ٢٩٠/١ ؛ وأمالي المرتضى ١١/٢ ؛ وتاج العروس (بلد) ؛ وتهذيب اللغة ١٢٩/١٤ ؛ والتنبيه والإيضاح ١١/٢ ؛ والطرائف الأدبية ص٨٧ ؛ ولسان العرب (بلد) ؛ ومجمل اللغة ٢٩١/١ ؛ ومقاييس اللغة ٢٩٩/١ .

الحمدُ للّهِ على النّعم ، ولو قلتَ : وأستغفِرُ اللّهَ كنتَ مُصيباً . ثـم قـال لي : امضِ في أمرك . فأنشدته ، حتّى إذا بلغت إلى قوله :

* تُزْجى أغنَّ كأنَّ إبرة رَوقِه *

استوى جالساً ثم قال : أتحفظ في هذا ذِكْراً ؟ قلـتُ : نعـمْ ، ذكـرتِ الـرواةُ أنَّ الفرزدقَ قال : كنتُ في المجلس ، وجريرٌ إلى جـانبي ، فلمـا ابتـدأ عـدِيٌّ في قصيدتـه ، قلتُ لجرير - مُسِرّاً إليه - [هلم] نسخر من هذا الشاميّ[1] . فلما ذقنا كلامَه يَئِسـنا منه ، فلمّا قال :

* تُزْجى أغنَّ كأنَّ إبرةَ رَوقه *

- وعديٌّ كالمستريح - قال جرير : أما تراه يستَلِبُ بها مثلاً ؟ فقـال الفـرزدق : يا لُكع ، إنّه يقول :

* قلم أصابَ من الدّواة مِدادها *

فقال عديٌّ :

* قَلَم أصابَ من الدَّواة مِدادها *

فقال جرير : أكان سمعُك مخبوءاً في صدره ؟ ! فقال له : اسكتْ ، شَغَلني سَـبُّكَ عن جيِّد الكلام ! فلمّا بلغ إلى قوله : (الكامل)

ولَقَـدْ أرادَ اللَّـهُ إذْ وَلاَّكَهـا ... مِنْ أُمَّـةٍ إصلاحَهـا ورشَـادهـا

قال الرشيد : ما تُراه قال حين أنشدهُ هذا البيت ؟ قلت : قال : كذاك أراد اللّه. فقال الرشيد : ما كان في جلالته لِيقول هذا ، أحسـبَه قـال : مـا شـاء اللّه ! قلـت : وكذا جاءت الرواية .

فلما أتيت على آخرها قال : أتروي لذي الرمّة شيئاً ؟ قلت الأكثر . قـال : فمـا أراد بقوله[2] : (الطويل)

مُمَـرٌّ أمَـرَّتْ فتلَـهُ أسَـدِيَّـةٌ ... ذِراعيَّـةٌ حَـلاَّلَـةٌ بالـمصانـعِ

---

(١) زيادة يقتضيها السياق من أمالي المرتضى ٢/١١ .

(٢) ديوان ذي الرمة ص٣٦١ ؛ وأمالي المرتضى ٢/١٢ .

قلت : وصف حمارَ وحش أسمنه بقلُ روضةٍ تواشجتْ أصولهُ وتشابكت فروعُه، مِن مطرِ سحابةٍ[1] كانت بنوءِ الأسد ثم في الذراع من ذلك . فقال الرشيد : أرِحْ ، فقد وجدناك مُمتِعاً وعرفناك محسناً . ثم قال : أجدُ مَلالةً – ونَهض – فأخذ الخادم يُصلح عَقِبَ النّعلِ في رجله – وكانت عربيّة – فقال الرشيد : عقَرتَني يا غلام ! فقال الفضل : قاتلَ اللّه الأعاجم ، أما إنّها لو كانت سِنْديَّةً لما احتجتَ إلى هذه الكلمة[2].

فقال الرشيد : هذه نعلي ونعلُ آبائي ؛ كم تُعارِض فلا تُترَك من جوابٍ ممضّ ! ثم قال : يا غلام ، يؤْمَر صالحٌ الخادم ، بتعجيل ثلاثين ألف درهم على هذا الرجل ، في ليلته هذه ، ولا يحجَب في المستأنف .

فقال الفضل : لولا أنّه مجلسُ أمير المؤمنين ولا يأمر فيه غيرهُ ، لأمرت لكَ بمثلِ ما أمَرَ لك ، وقد أمرتُ لك به إلاّ ألفَ درهم ، فتلقّى الخادمَ صباحاً . قال الأصمعيّ : فما صلّيت من غدٍ إلاّ وفي منزلي تسعةٌ وخمسون ألفَ درهم .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السادس والعشرون بعد الثلثمائة [وهو من شواهد س[3]] : (الطويل)

٣٢٦- هُمَا نَفَثَا في فِيَّ مِنْ فَمَوَيْهِما
على النّابحِ العَاوِي أشدَّ رِجامِ

على أنّه جمع بين البدل والمبدل منه ، وهما الميم والواو .

---

(١) في أمالي المرتضى : " عن مطر سحابة " .

(٢) في أمالي المرتضى : " هذه الكلفة " .

(٣) ما بين معكوفين زيادة من النسخة الشنقيطية . والبيت للفرزدق في ديوانه ٧٧١/٧ ؛ وتذكرة النحاة ص١٤٣؛ وجواهر الأدب ص٩٥ ؛ والدرر ١٥٦/١ ؛ وسر صناعة الإعراب ٤١٧/١ ، ٤٨٥/٢ ؛ وشرح أبيات سيبويه ٢٥٨/٢ ؛ وشرح شواهد الشافية ص١١٥ ؛ والكتاب ٣٦٥/٣ ، ٦٢٢ ؛ ولسان العرب (فمم ، فوه) ؛ والمحتسب ٢٣٨/٢ . وهو بلا نسبة في أسرار العربية ص٢٣٥ ؛ والأشباه والنظائر ٢١٦/١ ؛ والإنصاف ٣٤٥/١ ؛ وجمهرة اللغة ص١٣٠٧ ؛ والخصائص ١٧٠/١ ، ١٤٧/٣ ، ٢١١ ؛ وشرح شافية ابن الحاجب ٢١٥/٣ ؛ والمقتضب ١٥٨/٣ ؛ والمقرب ١٢٩/٢ ؛ وهمع الهوامع ٥١/١ .

وتكلف بعضُهم معتذراً بأنْ قال : الميم بدل من الهاء التي هي اللام ، قُدِّمت على العين .

وتقدير القول الأول « كما في البغداديّات لأبي علي » أنه أضاف الفم مبدِلاً من عينها الميم للضرورة ، كقول الآخر :

* وفي البحرِ فَمُه(١) *

ثم أتى بالواو التي هي عين ، والميم عوض منه ، فيكون جمعاً بين البدل والمبدل منه للضرورة . وقد وجدنا هذا الجمعَ في مذاهبهم ، قال الشاعر :

* أقول يا اللهمَّ يا اللّهمَّا(٢) *

فجمع بين حرف التنبيه وبين الميمين اللتين هما عوضان منه ، فيكون قد اجتمع فيه على هذا الوجه ضرورتان : إحداهما(٣) إضافة فم بالميم وحكمه أن لا يضاف بها، وثانيتهما(٣) جمعه بين البدل والمبدل منه .

أقول : إضافة فم بالميم فصيح ، وليس بضرورة ، وتقدّم الردّ عليه بحديث(٤) : «لَخُلوفُ فمِ الصَّائم » .

وأما القول الثاني فهو يشبه أن يكون مذهب سيبويه ، فإنّه قال في باب النسبة – واسمه عنده باب الإضافة – ما نصّه : « وأما فم فقد ذهب من أصله حرفان ، لأنّه كان أصلَه فَوَه ، فأبدلوا الميم مكان الواو ، فهذه الميم بمنزلة العين نحو ميم دم ثبتت في الاسم ، فمن ترك دم على حاله إذا أضيف ترك فم على حاله ، ومن ردّ إلى دم اللام ردّ إلى فم العينَ فجعلها مكانَ اللام ، كما جعلوا الميم مكان العين في فم .

قال الشاعر :

* هما نَفَثا في فيَّ من فَمَوَيْهِما *

---

(١) انظر الشاهد السابق . وهو قطعة منه .

(٢) انظر الخزانة الجزء الثاني ص٢٥٨ . وهو قطعة من الشاهد رقم /١٣٠/ .

(٣) في طبعة بولاق والنسخة الشنقيطية : " أحدهما ، وثانيهما " . والوجه ما أثبتناه نقلاً عن الطبعة السلفية ٣٥١/٤ .

(٤) مر الحديث عنه في الشاهد السابق .

وقالوا : فموان . فمن قال فمَان فهو بالخيار ، إن شاء قال : فَمَـويٌّ ، وإن شـاء قال : فَمِيٌّ . ومن قال : فَمَوان قال : فَمَويٌّ ، على كل حال » .

هـذا كـلام سيبويه وبـه يظهـر خطـأ الأعلـم في شـرح شـواهده حيـث قـال : [الشاهد[١]] في قوله فمويهما وجمْعه بين الواو والميم التي هي بدل منها في فم . ومثـل هذا لا يُعرف لأنَّ الميم إذا كانت بدلاً من الواو فلا ينبغي أن يُجْمَع بينهما .

وقد غَلِط[٢] الفرزدق في هذا ، وجُعِلَ من قوله إذْ أسنَّ واختلـط عقلُـه . ويحتمـل أن يكون لمّا رأى فما على حرفين توهّمه مما حذفت لامه مـن ذوات الاعتـلال ، كيـد ودم ، فردّ ما توهّمه محذوفاً منه » . انتهى كلامه .

وقوله : « ومثل هذا لا يعرف » ، تقدَم عن أبي عليّ أنه معروف في قولهـم : يـا اللهمّ .

وقوله : « وقد غلط[٢] الفـرزدق في هـذا الخ » ، فيـه أنّـه لا يجـوز أن يتوهّـم في البدويّ أنه يغلط في نطقـه ويلحـن ، فإنـه لا يطاوعـه لسـانه وإنْ تعمّـده كمـا قيـل ، فالعرب معصومون عن لحن اللسان . نعم يجوز أن يغلطوا في المعاني .

وقوله : « ويحتمل أن يكون لمّا رأى فما على حرفـين الخ » ، كأنـه حـين كتـب هذا الكلام لم ينظر إلى كلام سيبويه .

وقد نقل أبو علي في « البغدايّات » وجهاً آخر في توجيه فمويهمـا ، مـع أنـه لم ينقل فيها مذهب سيبويه ، قال :

« وأمّا قول الفرزدق فمويهما ، فإنه قيل إنّه أبدل من العين الذي هو واوٌ الميـمَ ، كما تُبدل منه في الأفراد ، ثم أبدل من الهاء التي هي لامٌ الواوَ . وبدل الواوِ مـن الهـاء غير بعيد ويدل على سَوغ ذلك أنهما يَعْتقبان الكلمةَ الواحدة ، كقولك عِضَة ، فـإنّ لامه قد يُحكم عليها بأنها هـاء لقولهـم عِضـاه ، وقـد يحكـم عليهـا أنهـا واو لقولهـم عِضَوات .

وذهب ابن جنّي في « سرِّ الصناعة » إلى أنّ فمويهما مثنّى فَماً بالقصر ، قـال في قول الشاعر :

(١) زيادة يقتضيها السياق من النسخة الشنقيطية .

(٢) في طبعة بولاق : " خلط " . وهو تصحيف صوابه من النسخة الشنقيطية .

* يا حبَّذَا عينَا سُلَيمَى والفَمَا *

يجوز أن يكون الفما في موضع رفع ، وهو اسمٌ مقصور بمنزلة عصا ، وعليه جاء بيت الفرزدق :

* هما نَفَثَا في فيَّ من فمويهما *

فاعرفْه . انتهى .

وقوله : « هما نفثَا » ضمير التثنية راجعٌ إلى إبليس وابنه ، كما يأتي . و«نفثا»: أي : ألقَيا على لساني ، من نفث اللّه الشيء في القلب : ألقاه . وأصل نفث بمعنى بَزَق، ومنهم من يقول : إذا بزق ولا ريقَ معه . ونفث في العُقدَة عِندَ الرُّقية[1] ، وهو البزاق اليسير . ونفثه نفثاً أيضاً : إذا سحره .

ورُوي أيضاً : « هما تَفَلا » من تفل تفْلاً ، من بابي ضرب وقتل ، من البزاق ؛ يقال : بزق ثم تفَل . و« النابح » : أراد به من يتعرَّض للهجو والسبِّ من الشعراء ، وأصله في الكلب . ومثله «العاوي[2]» بالعين المهملة . و«الرِّجام»: مصدر راجمه بالحجارة أي : رَاماه . وراجم فلانٌ عن قومه : إذا دافع عنهم ، جَعلَ الهجاءَ كالمراجَمة لجعله الهاجي كالكلب النابح . وكأنَّ الأعلم لم يقفْ على ما قبل هذا البيت ، ولهذا ظنّ أنّ ضمير التثنية لشاعرين من قومه، نزع في الشعر إليهما .

وهذا البيتُ آخرُ قصيدةٍ للفرزدق ، قالها آخرَ عمره تائباً إلى اللّه عزَّ وجلّ مّما فرَط منه من مهاجاته الناسَ ، وقذفِ المحصنات ؛ وذمَّ فيها إبليس لاغوائه إيّاه في شبابه. وهذه أبياتٌ منها[3] : (الطويل)

أَم تَرني عاهَدتُ ربِّي وإنَّني   لبَينَ رِتاجٍ قائماً ومَقامِ[4]

---

(١) في طبعة بولاق : " عن الرقية " . وهو تصحيف صوابه من النسخة الشنقيطية .

(٢) في طبعة بولاق : " العادي " . وهو تصحيف صوابه من ديوانه ومن النسخة الشنقيطية .

(٣) القصيدة في ديوانه ٢/٧٦٩-٧٧١ ؛ والنقائض ص١٢٦ . وفي ديوانه في تقديم القصيدة : " ودخل المربد فلقي رجلاً من موالي باهلة يقال له حمام . ومعه نحي من سمن يبيعه فسامه الفرزدق به فقال له حمام : أدفعه إليك وتهب لي أعراض قومي ؟ ففعل - ويهجو فيها إبليس " .

(٤) البيت والذي يليه هما الإنشاد الرابع والأربعون بعد الستمائة في شرح أبيات المغني للبغدادي .

وهما للفرزدق في أمالي المرتضى ١/٦٣ ، ٦٤ ؛ وتذكرة النحاة ص٨٥ ؛ وشرح أبيات المغني للبغدادي ٦/٢٤١ -

على حِلْفةٍ لا أشتُمُ الدَّهرَ مُسْلِماً ولا خارجاً مِنْ فيَّ زورُ كلامِ
وأصبحتُ أسعَى في فِكاكِ قلادَةٍ رَهينةَ أوزارٍ عليَّ عظامِ
ولم أنْتَبهْ حتّى أحاطَتْ خطيئتي ورائي ودقَّتْ للأُمورِ عِظَامي
أطعتُكَ يا إبليسُ سبعينَ حِجَّةً فلمّا انتهى شَيبي وتمّ تمامِي
فزعتُ إلى ربِّي وأيقنتُ أنَّني مُلاقٍ لأيَّامِ المنونِ حِمَامِي
ألا طَالما قَدْ بتُّ يُوضعُ ناقتي أبو الجنِّ إبليسٌ بغيرِ خِطَامِ
يَظلُّ يمنِّيني على الرّحلِ واركاً يكونُ ورائي مرّةً وأمامِي
يبشِّرُني أن لا أموتَ وأنّه سيُخلِدُني في جَنَّةٍ وسَلامِ
فقلتُ لهُ : هلاَّ أُخيَّكَ أخرجَتْ يمينُكَ من خُضْرِ البحورِ طوامِي[1]
فلمَّا تلاقى فوقَهُ الموجُ طامياً نكَصتَ ولَمْ تحتلْ لهُ بمرَامِ
ألم تأتِ أهلَ الحِجْرِ والحِجْرُ أهلُه بأنعمِ عيشٍ في بُيُوتِ رُخَامِ[2]
وآدَمُ قَدْ أخرجتَهُ وهو ساكنٌ وزوْجتَهُ من خيرِ دارِ مُقامِ
وأقسمتَ يا إبليسُ أنّك ناصِحٌ لَهُ ولها إقْسامَ غيرِ أَثَامِ
وكم من قرونٍ قد أطاعوكَ أصبحوا أحاديثَ كانوا في ظِلالِ غَمَامِ[3]
وما أنتَ يا إبليسُ بالمرءِ أبتغِي رضاهُ ولا يقتادنِي بزمامِ
سأجزيكَ مِنْ سَوءَاتِ ما كنتَ سُقتَني إليهِ جُروحاً فيكَ ذاتَ كِلامِ
تُعَيِّرُها في النّارِ والنّارُ تلتقِي عليكَ بزقُّومٍ لها وضِرَامِ[4]

= وشرح أبيات سيبويه ١/١٧٠ ؛ وشرح المفصل ٢/٥٩ ، ٦/٥٠ ؛ والكتاب ١/٣٤٦ ؛ ولسان العرب (خرج) ؛ والمحتسب ١/٥٧ ؛ والمقتضب ٤/٣١٣ . وهو بلا نسبة في شرح شافية ابن الحاجب ١/١٧٧ ؛ ولسان العرب (رتج) ؛ ومغني اللبيب ٢/٤٠٥ ؛ والمقتضب ٣/٢٦٩ .

(١) في طبعة بولاق : " لغيك " وهو تصحيف صوابه من ديوانه .
وفي حاشية الطبعة السلفية ٤/٣٥٣ : " وأراد بالأخ أو اللغى ، إن صح ، فرعون موسى وقد أغرقه موج القلزم وخدعه إبليس والماء " .

(٢) في طبعة بولاق والنسخة الشنقيطية : " في البيوت رخام " . وهو تصحيف صوابه من ديوانه الفرزدق .

(٣) في طبعة بولاق والنسخة الشنقيطية : " ضلال غمام " . وهو تصحيف صوابه من ديوانه .

(٤) في طبعة بولاق والنسخة الشنقيطية : " تعبرها في النار " . وهو تصحيف صوابه من ديوانه .

وإنَّ ابنَ إبليسٍ وإبليسَ ألْبَنَا   لَهمْ بعذابِ النّاسِ كلَّ غُلامِ
هَمَا نفثَا في فِيَّ من فَمَوَيهما . .   . . البيت

وقوله : « ألم ترني عاهدت ربي » ، البيتين ، هما من شواهد الكشاف ومغني اللبيب ، ويأتي إن شاء اللّه شرحهما في محلّه .

وقوله : « وإن ابن إبليس الخ » « ألْبَنَا » : سقَيا اللبن ، يريد أن إبليس وابنه سقَيا كلَّ غلام من الشعراء هجاءً وكلاماً خبيثاً . ثم إنّ الفرزدق سامحه اللّه وغفر ذنبه بعد هذا نقض توبته ورجع إلى الأوّل .

وكان السبب في نقض التوبة هو ما حكاه شارح النقائض : أن الفرزدق لما حجّ عاهد اللّه بين الباب والمقام أن لا يهجو أحداً أبداً ، وأن يقيِّد نفسَه حتى يحفظ القرآن، فلما قدِم البصرة قيَّد نفسه وقال :

ألم ترني عاهدتُ ربِّي وإنّني   لَبَيْنَ رِتاجٍ قائماً ومَقامِ

الأبيات . ثم إن جريراً والبعيث هَجواه[1] ، وبلغ نساءَ بني مجاشع فحشَ جرير بهنّ ، فأتينَ الفرزدق وهو مقيد فقلن : قبحَ اللّه قيدَك ، وقد هتك جريرٌ عَوْرَاتِ نسائك ، فلُحيت شاعرَ قوم ! فأُغضبْنَه ففك قيده وقال ، وهو من قصيدة[2] : (الطويل)

لعَمْرَي لئِنْ قيَّدتُ نفسي لطَالما   سعيتُ وأوضعتُ المطيَّةَ في الجهلِ[3]
ثَلاثينَ عاماً ما أرَى من عَمايةٍ   إذا برقَتْ أن لا أشدَّ لها رَحلي
أتَتني أحاديثُ البَعيثِ ودونَهُ   زَرُودُ فشاماتُ الشَّقيقِ من الرّملِ
فقلتُ أ ظَنَّ ابنُ الخبيثةِ أنّني   شُغِلتُ عن الرّامي الكنانةَ بالنَّبْلِ
فإنْ يكُ قَيْدِي كان نذراً نذرتُه   فما بيَ عن أحسابِ قوميَ من شغلِ
أنا الضَّامنُ الرَّاعي عليهم وإنَّما   يدافعُ عن أحسابِهمْ أنا أو مثلي[4]

(١) في أصول جميع طبعات الخزانة : " هجياه " . وهو تصحيف صوبناه . لأنه من هجا يهجو .

(٢) الأبيات للفرزدق في ديوانه ص٧١١-٧١٢ ؛ والنقائض ص١٢٧ .

(٣) في طبعة بولاق : " لعمري ان " . وهو تصحيف صوابه من ديوانه والنقائض .

(٤) هو الإنشاد التاسع بعد الخمسمائة في شرح أبيات المغني للبغدادي .

والبيت للفرزدق في ديوانه ٧١١/٢ ؛ وتذكرة النحاة ص٨٥ ؛ والجنى الداني ص٣٩٧ ؛ والدرر ١٩٦/١ ؛ =

وقوله : « أوضعْت المطيَّة » ، أي : دفعتها في السير . و« العماية » ، بالفتح : الجهل والصبا .

وقوله : « أظنَّ ابنُ الخبيثة » ، الهمزة للاستفهام ، و« ابن الخبيثة » فاعل ظنّ ، وأراد به جريراً .

يقول : إنما أراد جريرٌ بهجَاء البَعيث غيرَه ، كما صنع رامي الكنانة بصاحبها[1] : وذلك أن رجلاً من بني فَزارة ورجلاً من بني أسد كانا راميين ، فالتقيا ومع الفزاريّ كِنانةٌ جديدة ومع الأسديّ كنانة رثّةٌ ، فقال الأسديُّ للفزاريّ : أنا أرْمَى أو أنت !

فقال الفزاريّ : أنا أرْمَى منك ؟ فقال له الأسديّ : فإنّي أنصِب كنانتي وتنصبُ كنانتك حتّى نرميَ فيهما ، فنصب الأسديُّ كِنانته فجعل الفزاريُّ يرميها فيُقرطِس ، حتّى أنفذ سهامَه كلَّها ، [كلَّ ذلك يصيبُها ولا يخطئها[2]] ، فلما رأى الأسديّ أنَّ سِهام الفزاريّ نَفِذت قال : انصِب لِي كنانتك حتّى أرميَها . فرمى فسدّد السهم نحوَه حتّى قتله . فضربه الفرزدق مثلاً ، يعني أنّ جريراً يهجو البعيث وهو يعرّض بالفرزدق.

وقوله : « أنا الضامن الراعي عليهم الخ » ، هذا البيت من شواهد النحاة والبيانيِّين ، وروي صدره بغير هذا أيضاً[3] .

وترجمة الفرزدق قد تقدّمت في الشاهد الثلاثين[4] .

* * *

= وشرح أبيات المغني ٢٤٨/٥ ؛ وشرح شواهد المغني ٧١٨/٢ ؛ ولسان العرب (قلا) ؛ والمحتسب ١٩٥/٢ ؛ ومعاهد التنصيص ٢٦٠/١ ؛ ومغني اللبيب ٣٠٩/١ ؛ والمقاصد النحوية ٢٧٧/١ ؛ ولأمية بن أبي الصلت في ديوانه ص٤٨ . وهو بلا نسبة في الأشباه والنظائر ١١١/٢ ، ١١٤ ، ٢٤٢/٧ ؛ وأوضح المسالك ٩٥/١ ؛ ولسان العرب (أنن) ؛ وهمع الهوامع ٦٢/١ .

(١) في النقائض : " كما صنع صاحب الكنانة " .

(٢) زيادة يقتضيها السياق من النقائض .

(٣) في المقاصد النحوية ٢٧٧/١ ؛ وشرح شواهد المغني ص٢٤٥ ؛ وشرح أبيات المغني ٢٤٨/٥ :

* أنا الذائد الحامي الذمار وإنما *

(٤) الخزانة الجزء الأول ص٢١٨ .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد السابع والعشرون بعد الثلثمائة ، وهو من شواهد المفصّل وغيره[١] : (الكامل)

٣٢٧- وَأَبِيَّ مالَكَ ذُو المجَازِ بِدَارِ

هذا عجزٌ وصدره :

* قَدَرٌ حَلَّكَ ذَا المَجَازِ وقَدْ أرَى *

على أنَّ « أبِيَّ » عند المبرّد مُفردٌ ردَّ لامُه في الإضافة إلى الياء كما ردَّت في الإضافة إلى غيرها ، فيكون أصله أَبَوي ، قلبت الواو ياء وأدغمت فيها ، عملاً بالقاعدة حيث اجتمعا وكان أوّلهما ساكناً ، وأبدلت الضمّة كسرة لئلاّ تعود الواو .

وكلام المبرّد وإن كان موافقاً للقياس إلاّ أنّه لم يقم عليه دليل قاطع . قال الزمخشريّ في « المفصّل » :

وقد أجاز المبرّد أبِيَّ وأخيَّ ، وأنشد :

* وأبِيّ مَالَكَ ذُو المجازِ بدارِ *

وصِحَّةُ محمَله على الجمع في قوله[٢] :

* وفَدَّيننا بالأبينا *

تدفع ذلك . يريد أن أبيَّ جاء على لفظ الجمع ، ولا قرينةَ مخلِّصة للإفراد فتعارض الاحتمالان ، فحمل على لفظ الجمع وسقط الاحتجاجُ به في محلّ الخلاف فيكون أصله على هذا أَبِينَ ، حذفت النون عند الإضافة ، فأدغمت الياء التي هي ياء الجمع في ياء المتكلّم . فوزن أبي فَعِي لا فَعلِي .

---

(١) هو الإنشاد الحادي عشر بعد السبعمائة في شرح أبيات المغني للبغدادي .

والبيت للمؤرج السلمي في شرح أبيات المغني ٣٠/٧ ؛ ومعجم ما استعجم ص٦٣٥ . وهو بلا نسبة في أمالي ابن الحاجب ٦٠٢/٢ ؛ وإنباه الرواة ٢٦٩/٢ ، ٢٧٠ ؛ وتاج العروس (قدر) ؛ وشرح شواهد المغني ٨٦٢/٢ ؛ وشرح المفصل ٣٦/٣ ؛ ولسان العرب (قدر ، نخل) ؛ ومجالس ثعلب ص٥٤٤ ؛ ومغني اللبيب ٤٦٨/٢ . وروايته :

* قدر أحلك ...*

(٢) قطعة من بيت شعري هو الشاهد التالي لهذا الشاهد .

وعلى هذا حمل ابن جنّي وغيرُه قراءة من قرأ[1] : « نَعْبُدُ إلهَكَ وإلَهَ أبِيكَ إبراهيمَ وإسْمَعِيل وإسْحَقَ » ؛ ليكون في مقابلَة آبائك في القراءة الأخرى .

قال أبو علي في « الإيضاح الشعريّ » :

ومن زعم أن قول الشاعر :

* وأبِيَّ مالَكَ ذُو المجازِ بدَارِ *

إنّما ردَّ الواو التي هي لام الفعل ، في الإضافة ، إلى الياء كما ردَّه مع الكاف والهاء في نحو أبوك وأبوه ، فليس بمصيب ، وذلك أنّ هذا الموضعَ لمّا كان يلزمه الإعلالُ بالقلب ، وقد استمرَّ فيه القلب وأمضِيَ ذلك فيه ، فلم يرد فيه ما كان يلزمه الإعلال ، وإنَّ أبِيَّ مثل عِشْرِيَّ . انتهى .

واحتجّ [ابنُ الشجريّ في أماليه بمثل هذا[2]] .

وقد عزا ثعلب في « أماليه العاشرة[3] » إلى الفرّاء ما عزاه الزمخشريُّ وابن الشَّجريّ إلى المبرّد ، من كون أبي مفرداً رد إليه لام فعله . وهذه عبارة ثعلب : الفراء يقول : من أتمّ الأب ، فقال : هذا أبوك ، فأضاف إلى نفسه ، وقال : هذا أبِيَّ ، خفيفٌ[4] . قال : والقياس قول العرب : هذا أبوك وهذا أبِيَّ فاعلم [ثقيلٌ[5]] ، وهو الاختيار.

وأنشد[6] : (الوافر)

فَلا وأبِيَّ لا آتيكَ حتَّى ... يُنَسَّى الوَالهُ الصَّبُّ الحَنينا

وقال : أنشد الكِسائيّ بِرنبويَهْ[7] - قرية من قرى الجبل - قبل أن يموت :

---

(١) سورة البقرة : ٢/١٣٣ .

(٢) زيادة يقتضيها السياق . وانظر في ذلك أمالي ابن الشجري ٢/٣٧ .

(٣) قصد الجزء العاشر من مجالس ثعلب ص٥٤٤ . والنص بحرفيته في شرح أبيات المغني ٧/٣١ .

(٤) في طبعة بولاق : " خفف " . وهو تصحيف صوابه من شرح أبيات المغني ومجالس ثعلب .

(٥) زيادة يقتضيها السياق من مجالس ثعلب والنسخة الشنقيطية .

(٦) البيت بلا نسبة في شرح أبيات المغني ٧/٣١ .

(٧) في طبعة بولاق : " زنبويه " بالزاي . وهو تصحيف صوابه من شرح أبيات المغني والنسخة الشنقيطية .
وفي وفيات الأعيان ٣/٢٩٦ : أن رنبويه قرية من قرى الري ، وهي مذكورة في ترجمة محمد بن الحسن ، يريد =

قدرٌ أحلَّكَ ذا النُّجَيلِ وقد أرى وأبِيَّ مالَكَ ذُو النُّجَيلِ بدَارِ[1]
إلاَّ كدَارِكُمُ بذِي بقَرِ الحِمى هَيهَاتَ ذُو بَقَرٍ منَ المُزْدَارِ

انتهى .

وقوله : « قدرٌ » مبتدأ ، وجملة « أحلّك » الخ خبره . وهو كقولهم : « شرٌّ أهرَّ ذا ناب » ، أي : ما أحلّك ذا المجاز إلاّ قدر .

وأورده ابن هشام في « مسوِّغات الابتداء بالنكرة من الباب الرابع ، من المغني » على أنّ المسوّغ للابتداء به صفة محذوفة ، كقولهم : « شرٌّ أهرَّ ذا ناب » أي : قدرٌ لايغالَب وشرٌّ أيُّ شر . و« القدر » : قضاء اللّه وحكمه . و« أحَلَّك » بمعنى أنزلك، متعدِّي حلَّ بالمكان حُلولاً : إذا نزل ، وهو متعدٍّ إلى مفعولين أولهما الكاف وثانيهما ذا المجاز ، والهمزة للتصيير أي : صيَّرك حالاً بذي المجاز .

و« ذو المَجاز » بفتح الميم وآخره زاء معجمة : سوقٌ كانت في الجاهليّة للعرب. قال ابن حجر في « شرح البخاريّ » : ذكر الفاكهيّ من طريق ابن إسحاق: أنّ ذا المجاز سوقٌ كانت بناحية عَرَفة إلى جانبها .

وعند الأزرقيّ من طريق هشام بن الكلبيّ ، أنّها كانت لهذيل على فرسخ من عرفة . ووقع في « شرح الكِرمانيّ » أنّها كانت بمنًى . وليس بشيء ، لما رواه الطّبرانيّ عن مجاهد ، أنهم كانوا لا يبيعون ولا يتاعون في الجاهليّة بعرفة ولا بمنى . انتهى .

والكِرْمانيُّ في هذا تابعٌ لصاحب الصحاح ، فإنه قال فيه : ذو المجاز موضع بمنى كان به سوقٌ في الجاهليّة . وتبعه أيضاً بعضُ فضلاء العجم في « شرح أبيات المفصّل» والدّمامينيّ في « الحاشية الهنديّة » .

و« ذو النُّجيل » في رواية ثعلب بضمّ النون وفتح الجيم ، كذا رأيته مضبوطاً في « نسخة صحيحة قديمة من أماليه عليها خطوط الأئمّة » . قال ابن الأثير في «المرصّع» : ذو النُّجيل بضم النون وفتح الجيم : موضع من أعراض المدينة وينبُع اهـ .

- صاحب أبي حنيفة . وفي معجم الأدباء ٢٠١/١٣ في ترجمة الكسائي .

(١) البيتان بلا نسبة في شرح أبيات المغني ٣٢/٧ .

ورُوي أيضاً : « ذو النُّخيل » بضم النون وفتح الخاء المعجمة وهو مُناسبٌ أيضاً، قال ابن الأثير في « المرصّع » : هو عين قرب المدينة ، وأخرى قرب مكّة ، وموضع دُوَين حَضْرَمَوت . وكلا هذين اللفظين غير موجود في معجم ما استعجم للبكريّ[1].

وقوله : « وقد أرى » « قد » للتحقيق و« أرى » بمعنى أعلم معلّق عن العمل بما النافية ، والجملة بعدها سادّة مسدّ المفعولين . وقوله : « وأبيّ » الواو للقسم ، وجملة القسم معترضة بين أرى ومعموله ، أتى بها للتأكيد ، وجوابُ القسم محذوف يدلّ عليه مفعول أرى .

وحرّفه بعضهم فرواه : « ولا أرى » بلا النافية موضع قد ، وزعم أنّ الجملة المنفيّة جواب القسم وأنّ مفعولي أرى محذوفان تقديره : لا أراك أهلاً لذي المجاز . وقيل : لا دعائيّة . هذا كلامه .

و لم يروِ هذه الرواية أحدٌ ، والثابتُ في رواية ثعلب وغيره من شروح المفصّل هو ما قدّمناه وليس المعنى أيضاً على ما أعربَه ، فتأمّل .

وقال بعضهم : « أُرى » بالمبنيّ للمفعول بمعنى أظنّ ، وبكسر الكاف من «أحلَّكِ » و« لكِ » ، وكلاهما لا أصل له.

وقوله : « ما لَكَ ذو المجاز الخ » ، « وذو المجاز » : فاعل لَكَ لاعتماده على النفي ، أو هو مبتدأ و لك خبره ، وعليهما فقوله بدارِ حالٌ صاحبُها ذو المجاز على الأوّل وضميرُه المستترُ في لك على الثاني ، أو قوله بدار خبر المبتدأ ، ولك كان في الأصل صفة لدار فلمّا قدّم صار حالاً . خاطبَ نفسه وقال : قدرُ اللّه وقضاؤُه أحلّك هذا الموضع ، وقد أعلم أنّه ليس لك هذا الموضع بمنزلٍ تقيمُ فيه ، بل ترتحل عنه ، وأُقسم على ذلك بأبي .

وقوله : « إلاّ كداركُم » ، صفة لموصوف محذوف أي : إلاّ دار كداركم ، أو الكاف زائدة .

---

(١) في حاشية الطبعة السلفية ٣٥٨/٤ : " في معجم البكري : النخيل بضم أوله وفتح ثانيه على لفظ تصغير نخل . موضع أسفل ينبع . انظره ص٥٧٤ .

والنخيل هو ذو النخيل كما يفهم من صنيع ياقوت في معجمه وأما النخيل فقد جاء في معجم البكري دون السبق بذو وذلك في رسم (نخل) ص٥٧٦ أيضاً . وراجع ياقوت " .

و« ذو بقر » ، بفتح الموحدة والقاف ، قريةٌ في ديار بني أسد ، وقال أبو حاتم عن الأصمعيّ : هو قاعٌ يَقْرِي الماء ، وقال يعقوب : هو وادٍ فوق الرَّبذة انتهى[١] .

والمراد هو الأخير بدليل إضافته إلى الحمى ، فإنّ الرّبذة كانت حمًى خارج المدينة المنوّرة . قال أبو عبيد[٢] : « الرَّبذة » ، بفتح أوَّله والموحَّدة وبالذال المعجمة، هي التي جعلها عمر حِمًى لإبلِ الصدقة ، وكان حماه الذي أحماه بريداً في بريد ، ثم زادت الولاة في الحمى أضعافاً ، ثم أبيحت الأحماءُ في آيّام المهديّ العباسيّ فلم يحمِها أحدٌ بعد ذلك .

إلى أن قال : ثمّ الجبال التي [تلي القَهْبَ[٣]] عن يمين المصعدِ إلى مكّة جبلٌ أسودُ يدعى أسْوَد البُرَم ، بينه وبين الرَّبذة عشرون ميلاً ، وهو في أرض بني سُليم ، وأقربُ المياه من أسودِ البُرَم حفائرُ حَفرها المهديُّ على ميلين منه ، تدعى ذا بقر ، وقد ذكرها مؤرِّج السُّلَميُّ فقال :

قــدرٌ أحَلَّكَ ذا النُّجَيــل وقـد أرى . . . . البيتين

وأنشدهما على رواية ثعلب في « أماليه[٤] » .

و« المزدار » : اسم فاعل من ازدار : افتعل من الزيارة . وأراد الشاعر به نفسَه ، استبعد أن يزور أرضه .

وروى أبو عبيد في المعجم « الزُّوَّار » جمع زائر .

وقائل هذين البيتين « **مؤرِّج السُّلَميُّ** » كما قال أبو عبيد في « المعجم » ، وهو شاعرٌ إسلاميٌّ من شعراء الدولة الأمويّة : و« مؤرِج » ، بضم الميم وفتح الهمزة وتشديد الراء المكسورة وآخره جيم ، وهو اسم فاعل مِن أرّحت بين القوم تأريجاً : إذا هيَّجت الشرَّ بينهم . و« السُّلَميّ » ، بضمّ السين وفتح اللام ، نسبة إلى سُليم بن منصور ، مصغّراً ، وهو أبو قبيلة .

---

(١) في حاشية الطبعة السلفية ٣٥٩/٤ : " كذا ولم يذكر اسم الكتاب المقتبس منه ولا اسم صاحبه . وقد وجدنا أنه البكري واللفظ له في معجمه ص١٧٦ جوتنجن " . والنص في معجم ما استعجم ٢٦٣-٢٦٤ .

(٢) هو أبو عبيد البكري صاحب كتاب معجم ما استعجم ص٦٣٣ .

(٣) زيادة يقتضيها السياق من معجم ما استعجم ص٦٣٤ .

(٤) الذي جاء في مجالس ثعلب : " النخيل " . بالخاء المعجمة لا بالجيم .

﴿ تتمة ﴾

قال ابن حجر في « شرح البخاريّ » : أسواق العرب في الجاهليّة أربعة : ذو المجاز ، وعُكاظ ، ومجنّة ، وحُباشة .

أما ذو المجاز فقد تقدّم نقله عنه .

وأمّا عُكاظ بضم أوله ، فعن ابن إسحاق : أنّها فيما بين نخلة والطائف إلى بلد يقال لها الفُتُق ، بضمّ الفاء والمثنّاة بعدها قاف . وعن ابن الكلبيّ : كانت بأسفل مكّة على بَريدٍ منها غربيَّ البيضاء ، وكانت لكنانة .

وأما حُباشة بضم الحاء المهملة وتخفيف الموحّدة ، وبعد الألف شين معجمة ، فكانت في ديار بارق نحو قَنُونا ، بفتح القاف وبضمّ النون الخفيفة وبعد النون ألف مقصورة ، من مكّة إلى جهة اليمن على ستّ مراحل . وقد ذُكر في الحديث الثلاث الأوَل ، وإنّما لم تُذكر حُباشة في الحديث لأنّها لم تكن من مواسم الحجّ ، وإنما كانت تقام في شهر رجب .

قال الفاكهيّ : ولم تزل هذه الأسواق قائمة في الإسلام إلى أنْ كان أول ما ترك منها سوق عكاظ في زمن الخوارج ، سنة تسع وعشرين ومائة ، وآخر ما ترك منها سُوق حباشة في زمن داود بن عيسى بن موسى العبّاسيّ ، في سنة سبع وتسعين ومائة.

ثم أسند عن ابن الكلبيّ : أنّ كلّ شريفٍ إنّما كان يحضر سوق بلده إلاّ سوق عكاظ ، فإنّهم كانوا يتوافون بها من كلِّ جهة ، فكانت أعظم تلك الأسواق . وقد ذكرها في أحاديث ، منها حديث ابن عبّاس رضي اللّه عنهما : « انطلق النّبيُّ صلّى اللّه عليه وسلّم في طائفةٍ من أصحابه عامدين إلى سوق عكاظ » الحديث في قصّة الجنّ .

وروى الزّبير بن بكّار في « كتاب النسب » أنها كانت تُقام صبحَ هلالِ ذي القَعدة إلى أن يمضيَ عشرون يوماً . قال : ثم تقوم سوق مجَنّة عشرةَ أيام إلى هلالَ ذي الحجّة ، ثم تقوم سوق ذي المجاز ثمانية أيام ، ثم يتوجّهون إلى مِنى بالحج . وفي حديث جابر : « أنّ النّبيَّ صلّى اللّه عليه وسلّم لبثَ عَشْرَ سنين يتبع الناس في منازلهم في الموسم ، بمَجنّة وعُكَاظ يبلّغ رسالاتِ ربّه » . انتهى ما أورده ابن حجر .

وفيه : أنّ أسواق العرب أكثر من هذا ، جمَعها صاحبُ قبائل العرب[1] قال : «دُومة الجندل » كانت تقوم أوّل يوم من ربيع الأول إلى النصف منه ، وكانت المبايعة فيه إلقاءَ الحجارة على السِّلعة ، فمن أعجبته ألقى حجراً فتُرِكت له .

و«المشقَّر» تقوم من أوّل يوم من جُمادى الآخرة ، وكان بيعهم بالملامسة والإيماء والهمهمة ، خوفَ الحلف والكذب . ثم « صُحار » بضم الصاد المهملة تقوم لعشر يمضين من رجب ، خمسة أيّام .

ثم « الشِّحْر » بالكسر ، يقوم في النصف من شعبان، وكان بيعهم فيه بالحجارة أيضاً . ثم « صنعاء » في النصف من شهر رمضان إلى آخره .

ثم سوق « حَضْرَمَوت » في النصف من ذي القعدة . ثم « عُكاظ » في هذا اليوم بأعلى نجد قريب من عرفات . وعكاظُ من أعظم أسواق العرب ، وكان يأتيها قريشٌ وهوازن وغطفان ، وسُليم والأحابيش وعُقيل والمصطلق ، وطوائف من العرب إلى آخر ذي القعدة ، فإذا أهلَّ ذو الحجّة أتوا « ذا المجاز » - وهو قريب من عكاظ- فتقوم سوقُه إلى التروِيَة ، ثم يصيرون إلى منى ، وتقوم سوق « نَطاة » بخيبر ، وسوق « حَجْر » بفتح المهملة وسكون الجيم يوم عاشوراء إلى آخر المحرم . هذا ما أروده صاحب قبائل العرب .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثامن والعشرون بعد الثلاثمائة ، وهو من شواهد سيبويه[2] : (المتقارب)

٣٢٨- فلمَّا تبَيَّنَّ أصواتَنا بكَيْنَ وفدَّيْنَنا بالأبينَا

---

(١) انظر في ذلك الأزمنة والأمكنة ٢/١٦١-١٧٠ ؛ وصبح الأعشى ١/٤١٠ ؛ وكتاب الأستاذ سعيد الأفغاني " أسواق العرب " .

(٢) البيت لزياد بن واصل السلمي في شرح أبيات سيبويه ٢/٢٨٤ . وهو بلا نسبة في الأشباه والنظائر ٤/٢٨٦ ؛ والخصائص ١/٣٥٦ ؛ وشرح المفصل ٣/٣٧ ؛ والكتاب ٣/٤٠٦ ؛ ولسان العرب (أبى) ؛ والمحتسب ١/١١٢ ؛ والمقتضب ٢/١٧٤ .

على أن الأب يجمع على « الأبِين » على حدّ جمع المذكر السالم ، كما في هذا البيت .

قال سيبويه : وسألته - يعني الخليلَ - عن أب فقال : إنْ ألحقت فيه النون والزيادة التي قبلها قلت أبون ، وكذلك أخ تقول أخون ، لا تغيّر البناء ، إلاّ أن تحدث العرب شيئاً كما يقولون دَمُون[1] ، ولا تغيّر بناء الأبِ[2] عن حال الحرفين لأنّه بني عليه ، إلاّ أن تحدث العرب شيئاً ، كما بَنَوه على غير بناء [الحرفين[3]] . وقال الشاعر :

فلمّا تبيَّنَّ أصواتَنا . . . . البيت

أنشدنَاه مَنْ نثِق به ، وزعم أنه جاهليّ . وإنْ شئت كسَّرت فقلت : آباء وآخاء. انتهى نصّ سيبويه .

وأورد ابن جنّي في « المحتسب » بعد هذا البيت - عند قراءة ابن عبَّاس والحسن: و« إله أبيك » على أنّه أبِينَ ، حذفت النون للإضافة - قولَ أبي طالب نظيراً له : (الطويل)

أَلم تَرَ أنِّي بعدَ همٌّ هَمَمْتُه لِفُرقَةِ حُرٌّ مِنْ أبِينَ كِرَامِ

وقول الآخر[4] :

* فهو يفدَّى بالأبِينَ والخالْ *

قال الأعلم : جمعُ أب جمعَ سلامة غريبٌ ، إذ حقّه للأعلام والصفات الجارية على فعلها ، كمسلمين .

وقوله : « تبيَّنَّ » بمعنى «تعرَّفن» وبه روي أيضاً . أي : لمّا عرفن أصواتنا معرفةً

---

(١) في طبعة بولاق : " دومون " . وهو تصحيف ظاهر صوابه من الطبعة السلفية ٣٦٢/٤ نقلاً عن كتاب سيبويه.

(٢) في طبعة بولاق والنسخة الشنقيطية : " بناء الألف " . وهو تصحيف صوابه من كتاب سيبويه .

(٣) في طبعة بولاق والنسخة الشنقيطية : " كما ثنوه على غير بناء " . وهو تصحيف صوابه من كتاب سيبويه . والزيادة التي اقتضاها السياق أخذت هي الأخرى من كتاب سيبويه .

(٤) لسان العرب (أبي) ؛ والمحتسب ص١١٢ . وفي حاشية الطبعة السلفية ٣٦٣/٤ : " كذا ولعل صواب الإنشاد: وبالخال " .

بيِّنة ، ووزنه تفعَّلن ، أدغمت النون الأصلية في نون جماعة النساء . وقوله : «فدَّيْننا » الخ ، أي قلن : جعل اللّه آباءنا فداءً لكم .

قال ابن السيرافيّ في « شرح أبيات الكتاب » وتبعه مَن بعده من شرّاح الشواهد: البيت لزياد بن واصل . لمّا عَرفْنَ أصواتهم ركبنَ إليهم حتّى يستنقذوهنَّ وفدَّينهنّ بآبائهنّ .

ويروى :

* فلمَّا تبيَّنَّ أشبَاحنَا *

جمع شَبَح .

وقال أبو محمد الأعرابيّ الغندجانيّ في « فُرحة الأديب[1] » : كذَب ابن السيرافيّ [في تفسير هذا البيت[2]] ، ولم يعرف منه قليلاً ولا كثيراً ، كيف رَكِبن[3] إليهم حتّى يستنقذوهنَّ سبايا كما زعم .

وإنّما معنى البيت أنّ زياداً افتخر في أبياتٍ[4] بآباء قومه وبأمهاتهم من بني عامر، وأنّهم قد أبلَوْا في حروبهم ومعاونتهم ، فلما عادوا إلى[5] [حِلَلِهِمْ وعِنْدَ] نسائهم وعرفن أصواتهم فدَّينهم لأجل أنّهم أبلَوْا في الحروب . والأبيات تدلّ على صحّة هذا المعنى . وأولها – وهي لزياد بن واصل السُّلميّ –[6] :

عَزَتْنا نساءُ بَنِي عَامِرٍ ... فسُمنَا الرِّجالَ هَوَاناً مُبِيْنا
ونَحنُ بنُوهُنَّ يَومَ الصِّفَا ... قِ إذْ نُقبِلِ القَومَ وَعْثاً حُزونا
بِضَربٍ كوَلْغِ ذُكُورِ الذِّئَا ... بِ تَسمَعُ لِلهَامِ فيهِ رَنِيْنا

(١) فرحة الأديب ص٢١٢ .

(٢) زيادة يقتضيها السياق من فرحة الأديب .

(٣) في حاشية فرحة الأديب ص٢١٢ يقول محققه : " لم يقل ابن السيرافي (ركبن) وعجيب أن يكون الغندجاني سيئ الظن بابن السيرافي إلى هذا الحد الذي يسببه الناسخ أو التصحيف . وهل هناك عاقل يفسر (بكين) بـ (ركبن) بله أن يكون العالم ابن السيرافي " .

(٤) في فرحة الأديب : " في هذه الأبيات " .

(٥) زيادة يقتضيها السياق من فرحة الأديب ص٢١٢ .

(٦) الأبيات في فرحة الأديب ص٢١٣ .

ورَمْـــيٍ علـى كُـلِّ عـزَّافــةٍ تَـرُدُّ الشِّمالَ وتُعْطِـي اليَمِينـا
وكنّـا معَ الـخَيلِ حتّى اسْـتوَتْ شَبَابُ الرِّجالِ وسَـرُّوا العُيُونـا
ولَـمَّـا تَبيَّـنَّ أصْـواتَـنَـا رَئِمْـنَ وفَـدَّيْنـنـا بـالأَبِينَــا

انتهى ما أورده أبو محمد .

و« رئمن » بمعنى عطفن وحَنَنَّ من الحنين ، ومعناه على رواية « بكين » أنّهنَّ بكين فرحاً بسلامتهم ، وفدَّينهم بآبائهنَّ إشفاقاً عليهم .

وقوله : « عَزَتنا » ، من عزوته إلى أبيه : إذا نسبته إليه . أراد : نُسبت نساء بني عامر إلينا ، وقلن نحن منكم .

وقوله : « فسُمنا الرجال » ، من سامه خسفاً ، أي : أولاه ظلماً ومهانة .

وقوله : « بضرب الخ » هو متعلّق بسُمنا ، يقال : ولغَ في الإناء يَلَغ ولْغاً ووُلوغاً إذا شرب ما فيه بأطراف لسانه . وقوله : « تسمع » ، صفة ضرب ، والهامة الرأس، وضمير فيه للضرب[1] .

وقوله : « ورمْيٍ الخ » ، هو بالجرِّ عطف على ضربٍ . و« العزَّافة » : الشُّجاع الجهير الصوت[2] ، وهو صيغة مبالغة من العَزْف ، بالعين المهملة والزاي المعجمة والفاء، وهو الصَّوت . أي : ورميٍ على كلِّ شجاع صيِّت يردُّ الضرب عن شِماله ويُعطيه عن يمينه .

و« **زياد بن واصل** » من شعراء بني سُليم ، وهو جاهليٌّ كما قال سيبويه[3] . والله أعلم .

* * *

(١) في جميع طبعات الخزانة : " وضمير منها للرحال " . وهو تصحيف يقول فيه صاحب الطبعة السلفية ٤/٣٦٤: " سهو في الرواية تبعه سهو في التفسير . والرواية كما هي هنا وكما في الفرحة " فيه " وضميره عائد إلى الضرب".

(٢) في حاشية طبعة هارون ٤/٤٧٧ :" كذا ، والحق أن العزافة هي القوس ، يقال عزفت عزفاً وعزيفاً :صوتت" . وفي حاشية كتاب فرحة الأديب ص٢١٣ : " العزافة الشجاع الجهير الصوت . أي ورميٍ على كل شجاع يرد بشماله ويضرب بيمينه " .

(٣) سيبويه لم يذكر اسم الشاعر ، بل قال بعد أن روى الشاهد : " أنشدناه من نثق به وزعم أنه جاهلي " . والعجب من البغدادي فسيبويه لم يعرف زياداً هذا و لم يجزم كذلك أن القائل جاهلي .

وأنشد بعده ، وهو الشاهد التاسع والعشرون بعد الثلاثمائة[1] : (الوافر)

٣٢٩- وكنتُ لَهُ كشَرٌ بني الأَخِينا

على أن أخا يجمع على « أخين » جمع مذكر سالم كما يجمع أب على أبين .

وهذا عجز ، وصدره :

* وكانَ لَنا فَزارةُ عَمَّ سَوءٍ *

وهذا البيت أورده أبو زيد مفرداً في نوادره[2] ؛ ونسبه إلى عَقيل بن عُلَّفة المرِّيِّ، وقال : أراد الإخوة .

قال ابن الشجريّ في « أماليه »[3]: وأما قول الآخر ، وهو من أبيات الكتاب[4]: (الوافر)

فقلنَا أسلموا إنَّا أخُوكُمْ فقد بَرِئتْ مِنَ الإحَنِ الصُّدُورُ

فقيل : إنه وضع الواحد موضعَ الجمع ، وقيل : إنّه جمع أخ كجمع أب على أبين ، وحذف النون من أخون للإضافة . ومن قال الأبون والأخون قال في التثنية الأبان والأخان ، فلم يردَّ اللام في التثنية كما لم يردَّها في الجمع . انتهى .

أقول هذا البيت ليس من شواهد الكتاب ، وأورد الجاحظُ في « البيان والتبيين»[5] ما قبل البيت الشاهد قال : وقال الآخر في إنجاب الأمّهات وهو يخاطب

---

(١) البيت لعقيل بن علفة المري في لسان العرب (أخا) ؛ ونوادر أبي زيد ص١١١ ، ١٩١ ؛ وهو بلا نسبة في البيان والتبيين ١٨٦/١ ؛ والمقتضب ١٧٤/٢ .

وروايته في نوادر أبي زيد :

* وكان لنا قرارة عم سوء ...*

(٢) نوادر أبي زيد ص١١١ وص ١٩١ .

(٣) وكذا في أمالي ابن الشجري ٣٨/٢ . وفي حاشية طبعة هارون ٤٧٨/٤ : " والحق أن البيت ليس من أبيات الكتاب ، كما سيأتي في كلام البغدادي ، إلا أن يكون أحد شراح شواهده قد تعرض له " .

(٤) البيت للعباس بن مرداس السلمي في ديوانه ص٧١ ؛ ولسان العرب (أخا) ؛ والمقتضب ١٧٤/٢ . وهو بلا نسبة في الأشباه والنظائر ٢٨٥/٤ ؛ وتذكرة النحاة ص١٤٤ ؛ وجمهرة اللغة ص ١٣٠٧ ؛ والخصائص ٤٢٢/٢ .

(٥) البيان والتبيين ١٨٥/١-١٨٦ .

بني إخوته(١) : (الوافر)

عَفَاريتاً عليَّ وأخْذِ مَالي ... وعَجْزاً عَنْ أُناسٍ آخَرِينا
فَهلاَّ غيرَ عمِّكُمُ ظَلَمْتُمْ ... إذا مَا كُنتُمُ مُتَظلِّمِينَا
ولو كنتمْ لِمُكْيسةٍ أكاسَتْ ... وكَيْسُ الأمِّ كَيسٌ للبَنِينا
ولكنْ أُمُّكمْ حمُقَتْ فَجئتُمْ ... غِثاثاً مَا نَرَى فيكُمْ سَمِينا
وكانَ لَنا فَزَارَةُ عمَّ سَوْءٍ ... وكنتُ لهُ كشَرِّ بَنِي الأَخِينا

وقوله : « متظلّمينا » ، في الصحاح : تظلّمني فلان ، أي : ظلمني مالي . وقوله: « ولو كنتم لمكْيسة الخ » ، هو بضم الميم وسكون الكاف وكسر التحتيّة ، هي المرأة التي تلد أولاداً أكياساً . وأكاست المرأة : ولدت ولداً كيّساً .

قال صاحب الصحاح: « الكَيْس » : خلاف الحمق ؛ والرجل كيِّس مكيّس باسم المفعول ، أي : ظريف ؛ و« الكِيسَى » ، بالكسر : نعت المرأة الكيّسة ، وهو تأنيث الأكيس ، وكذلك الكُوسى بالضم ؛ وقد كاس الولدُ يَكيس كيْساً . وأكْيَسَ الرجلُ وأكاس ، إذا ولد له أولاد أكياس . وأنشد هذا البيت مع ما بعده . وروى المصراع الثاني هكذا :

* فكَيس الأمّ يُعرَف بالبَنينا *

وكذا أنشدهما الصاغانيّ في « العباب » ونسبه إلى رافع بن هُريم . وقد رَجَعتُ إلى ديوان رافع بن هريم ، فلم أجد فيه إلاّ البيتين الأوّلين وهما :

عفاريت عليَّ وأخذِ مالي ... . البيت

والبيت الذي بعده . وليس فيه البيتان اللذان أوردهما صاحبُ الصحاح والعباب منسوبين إليه .

وقوله : « ولكنّ أمّكم حمُقت » ، بضم الميم ، أي : صارت حمقاء . و«الغِثاث» : بكسر المعجمة بعدها مثلّثة : جمع غثيث بمعنى المهزول ، ككرام جمع كريم . و« فَزارة » ، بفتح الفاء والزاي المعجمة : أبو حيّ من غطفان ، وهو فَزارة

(١) الأبيات بلا نسبة في البيان والتبيين ١/١٨٥-١٨٦ ؛ و الأربعة الأول منها في اللسان (كيس) لرافع بن هريم. والبيت الأخير – الشاهد – فقد نسب في لسان العرب (أخا) ؛ ونوادر أبي زيد إلى عقيل بن علفة .

ابن ذُبيان بن بَغيض بن رَيث بن غَطَفان . و« السَّوء » ، بالفتح ، هو المؤذي . في المصباح وغيره : هو رجل سَوء ، بالفتح والإضافة ، وعملُ سَوء ، فإن عرّفت الأول قلت : الرجل السَّوء والعمل السَّوء ، على النعت .

وقوله : « وكنتُ له الخ » في أكثر نسخ الشرح « وكنتُ لهمْ » بضمير الجمع ، وهو خطأ والصواب الإفراد ، وهو بالتكلّم لا بالخطاب . وإنّما قال : « كشَرٍّ » بالكاف لا بدونها ، لأنه أراد مثل أشرٍّ بني إخوةٍ في الدنيا ، و لم يردْ أنّه مثل أشرٍّ بني إخوة فَزارة .

والظاهر أن هذا البيت وحده لعَقيل بن عُلَّفة ، وهو غير مرتبط بالأبيات التي أوردها الجاحظ قبله . وتلك الأبيات البيتان الأوّلان منها ، رأيتهما في ديوان رافع بن هُريم ، من رواية أبي عمرو .

و« **رافع** » هُو رافع بن هريم بن عبد اللّه بن الحارث بن عاصم بن عبيد بن ثعلبة بن يربوع . قال أبو زيد في « نوادره »[(١)] : هو شاعر قديم أدرك الإسلام وأسْلَم. وديوانه صغير ، وهو عندي وعليه خطُّ أبي العبَّاس ثعلب إمام الكوفيين ، وخطُّ الحسن بن الخشّاب البغدادي ، وليس فيه من شواهد هذا الشرح شيء . وهُريم بضم الهاء وفتح الراء المهملة .

وأما « **عَقيل بن عُلَّفة** » فهو شاعر فصيح مُجيد من شعراء الدولة الأمويَّة[(٢)] . وعَقيل بفتح العين وكسر القاف . و« عُلَّفة » ، بضمِّ العين المهملة وتشديد اللام المفتوحة بعدها فاء ، وهو علم منقول من واحد العلّف ، وهو ثمر الطّلح .

وهو عَقيل بن عُلَّفة بن الحارث بن مُعاوية بن ضَباب بن جابر بن يربوع بن غَيظ ابن مُرَّة بن سعد[(٣)] بن ذبيان بن بَغيض بن رَيث بن غَطَفان بن سعد بن قيس عيلان

---

(١) في نوادر أبي زيد ص٢٢ : " رافع بن هريم إسلامي " . وفي النوادر ص٦٩ : " .. رافع بن هريم وأدرك الإسلام " .

(٢) عقيل بن علفة ، وجده الحارث هو أخو النابغة الذبياني - زياد بن معاوية - شاعر من شعراء الدولة الأموية . ذكره ابن سلام في مقدمة شعراء الطبقة الثامنة من الإسلاميين .

انظر في ترجمته الأغاني ٢٥٤/١٢ ؛ وجمهرة أنساب العرب ص٢٥٣ ؛ وطبقات فحول الشعراء ص٧٠٩ ؛ والعقد الفريد ٩٨/٦ .

(٣) في جمهرة أنساب العرب : " غيظ بن مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان ".

ابن مضر . وأمّه عَمْرة بنت الحارث بن عوف المرّيّ[١] . وأمُّها بنت بدر بن حصن بن حذيفة[٢] .

قال صاحب الأغاني[٣] ، كان عَقيلٌ هذا جافياً أهوجَ شديدَ الغَيرة والعجرفيّة وهو في بيت شرفٍ في قومه من كِلا طرفيه . وكان لا يرى أنّ له كفئاً ، وكانت قريش ترغب في مصاهرتهِ وتزوّج إليه من خلفائها[٤] وأشرافها ، وخطب إليه عبد الملك بن مَرْوَان بعض بناته لبعض وَلَده ، فأطرقَ ساعة ثم قال : إنْ كانَ ولا بدَّ فجنّبني هُجناءَك ! فضحك عبد الملك وعَجِب من كِبْر نفسه على ضيقته وشدّة عيشته بالبادية[٥] .

ودخل على عثمان بن حيّان – وهو أمير المدينة – فقال له عثمان : زوِّجني بعضَ بناتِك . فقال : أبكرةً من إبلي تَعني ! فقال له عثمان : أمجنونٌ أنت ؟ قال : أيَّ شيء قلتَ لي ؟ قال : قلت لك : زوِّجني ابنتَك . فقال : إن كنتَ تريد بكرةً من إبلي فنَعَمْ. فأمر به فوُجِئت عنقه ، فخرج وهو يقول[٦] : (الطويل)

لَحَا اللّهُ دهراً ذَعْذَعَ المَالَ كلَّه وسوَّدَ أبناءَ الإماءِ العَوارِكِ

وكان له جار جُهنيّ ، وقيل سَلامانيّ ، فخطب إليه ابنتَه ، فغضبَ عَقيلٌ وأخذه فكتَّفَه ودهَنَ استَه بشحمٍ أو زيت ، وأدناه من قرية النمل[٧] ، فأكل خصيتيه حتى ورم جسده، ثم حلّه وقال : يخطب إليَّ عبدُ الملك فأردُّه ، وتجترئ أنت عليّ فتخطب ابنتي! .

ورَوى[٨] أنَّ عمر بن عبد العزيز عاتبَ رجلاً من قريش أمُّه أختُ عَقيل بن علّفة،

(١) في الأغاني ٢٥٤/١٢ : " وأم عقيل بن علفة العوراء ، وهي عمرة بنت الحارث بن عوف " .

(٢) في الأغاني : " زينب بنت حصن بن حذيفة " .

(٣) الأغاني ٢٥٤/١٢ .

(٤) في طبعة بولاق : " حلفائها " . وهو تصحيف صوابه من الأغاني والنسخة الشنقيطية .

(٥) الخبر أيضاً في طبقات فحول الشعراء ص٧١٠ .

(٦) البيت لعقيل بن عُلّفة في الأغاني ٢٥٥/١٢ ؛ ولعلقمة بن عبدة في ديوانه ص١٣٠ ؛وتاج العروس (ذعذع) ؛ ولسان العرب (ذعذع) .

والعوارك : جمع عارك ، وهي المرأة إذا حاضت .

(٧) قرية النمل : مجتمع ترابها .

(٨) الأغاني ٢٦١/١٢ .

فقال له : قَبَحَكَ اللّه ، لقد أشبهت خالَك في الجفاء ! فبلغت عقيلاً فرَحل من البادية حتّى دخل على عمر فقال له : أما وجدتَ لابن عمِّك شيئاً تعيِّره به إلاَّ خؤولتي ، قبحَ [اللّه] شرَّكما خالا ! فقال عمر : إنك لأعرابيٌّ جافٍ ، أما لو كنتُ تقدَّمت إليك لأدّبتك ، واللّه ما أراك تقرأ شيئاً من كتاب اللّه . فقال : بلى، إني لأقرأ . ثم قرأ[1] : إنا بعثنا نوحاً إلى قومه ! فقال له عمر : ألم أقل إنّك لا تقرأ ؟ فقال : ألم أقرأ ؟ فقال : إن اللّه قال : « إنّا أرْسَلْنا نوحاً » . فقال عقيل[2] : (الطويل)

خُذُوا بَطْنَ هَرْشَى أو قَفَاها فإنّه ... كِلا جانِبَي هَرْشَى لهنَّ طَرِيقُ

فجعل القوم يضحكون من عَجرفته ويعجبون .

وروي أنّه قرأ[3] « إذا زُلزلت الأرض » حتّى بلغ آخرها ، فقدّم « ومن يَعْمل مِثقالَ ذرَّة شراًّ يره » على : « فمن يَعْمَلْ مِثقَال ذرَّة خيراً يره » فقال له عمر : إنَّ اللّه تعالى قدَّم الخير وأنت قدَّمت الشرَّ ! فأنشد البيت .

وأورده صاحب الكشّاف في « إذا زلزلت » لهذه الحكاية .

و« هَرْشَى » بالفتح والقصر : ثنيَّة في طريق مكّة حرسها اللّه ، قريبة من الجُحْفة يُرى منها البحر . وهذا مثلٌ في التخيير . ولهرشى طريقان ، من سَلك أيّهما شاء أصاب . وضمير لهنّ للإبل .

والمعنى يا صاحبيَّ سِيرا في بطن هذه الثنيَّة أو قَفاها ، أي: أمامها أو خلفها ، فإنّ كلا جانبيها طريقٌ للإبل . كأنه ظنّ أن التقديم والتأخير في هذا المقام لا يضرّ ، وهو غفلةٌ عن المزايا القرآنية .

وقَدِم[4] عَقيلٌ المدينة فدخل المسجد ، وعليه خفّان غليظان ، فجعل يضرب برجله ، فضحكوا منه ، فقال : ما يُضحككم ؟ فقال له يحيى بن الحكم – وكانت

---

(١) في الأغاني ٢٦١/١٢ : " فقرأ : إذا زلزلت الأرض زلزالها " .

(٢) البيت لعقيل بن علقمة في الأغاني ٢٦١/١٢ .

وفي النسخة الشنقيطية : " خذا بطن هرشى " بخطاب الاثنين ، وقد حورها الشنقيطي في نسخته إلى " خذا " كما في الأغاني .

(٣) هي رواية الأغاني .

(٤) الأغاني ٢٦٢/١٢ .

ابنة عَقيل عنده ، وكان أميراً على المدينة - إنّهم يضحكون من خُفّيك وضربك برجليك ، وحفائك . فقال : لا ، ولكنّهم يضحكون من إمارتك ، فإنها أعجبُ من خُفّيَّ .

* * *

وأنشد بعده ، وهو الشاهد الثلاثون بعد الثلاثمائة وهو من شواهد س[1] : (السريع)

٣٣٠- رُحْتِ وفي رِجليكِ مَا فِيهما
وقدْ بَدَا هَنْكِ مِنَ المِئْزَرِ

على أن تسكين « هن » في الإضافة للضرورة ، وليس بلغة .

وأورده سيبويه في باب الإشباع في الجرِّ والرفع وغير الإشباع قال : وقد يجوز أن يسكنوا الحرف المجرور والمرفوع في الشعر ، شبّهوا ذلك بكسر فخِذ حيث حذفوا فقالوا فَخْذ ، وبضمّةِ عضُدٍ حيث حذفوا فقالوا : عضْد ، لأنَّ الرفعة ضمة والجرة كسرة . ثم أنشد هذا البيت .

ومثله في الضرورة قول جرير[2] : (البسيط)

سِيرُوا بني العَمِّ فالأهوازُ منزلُكمْ ونهرُ تِيرَى ولا تَعْرِفكمُ العربُ

ومن أبيات الكتاب أيضاً[3] : (السريع)

---

(١) البيت للأقيشر الأسدي في ديوانه ص٤٣ ؛ والدرر ١/١٧٤ ؛ وشرح أبيات سيبويه٢/٣٩١ ؛ والمقاصد النحوية ٤/٥١٦ ؛ وللفرزدق في الشعر والشعراء ١/١٠٦ . وهو بلا نسبة في الأشباه والنظائر ١/٦٥ ، ٢/٣١ ؛ وتخليص الشواهد ص٦٣ ؛ والخصائص ١/٧٤ ، ٣/٩٥ ، ٣١٧ ؛ ورصف المباني ص٣٢٧ ؛ وشرح المفصل ١/٤٨ ؛ والكتاب ٤/٢٠٣ ؛ ولسان العرب (وأل ، هنا) ؛ وهمع الهوامع ١/٥٤ .

(٢) البيت لجرير في ديوانه ص٤٤١ ؛ والأغاني ٣/٢٥٣ ؛ وجمهرة اللغة ص٩٦٢ ؛ والخصائص ١/٧٤ ؛ وسمط اللآلئ ص٥٢٧ ؛ ولسان العرب (شتت ، عبد) ؛ ومعجم البلدان (نهر تيري) ؛ والمعرب ص٣٨ . وهو بلا نسبة في الخصائص ٢/٣١٧ .

(٣) البيت لامرئ القيس في ديوانه ص١٢٢ ؛ وإصلاح المنطق ص٢٤٥ ، ٣٢٢ ؛ والأصمعيات ص١٣٠ ؛ وتاج العروس (وغل) ؛ وجمهرة اللغة ص٩٦٢ ؛ والدرر ١/١٧٥ ؛ ورصف المباني ص٣٢٧ ؛ وشرح التصريح ١/٨٨ -

فاليومَ أشربْ غيرَ مستحقبٍ إثماً من اللّهِ ولا وَاغِلِ

قال ابن جنّي في « المحتسب » : وأما اعتراض أبي العباس المبرد هنا على الكتاب فإنّما هو على العرب لا على صاحب الكتاب ، لأنه حكاه كما سمعه ، ولا يمكن في الوزن أيضاً غيره .

وقول أبي العباس : إنّما الرواية فاليوم فاشربْ ، فكأنه قال لسيبويه: كذبتَ على العرب و لم تسمعْ ما حكيتَه عنهم . وإذا بلغ الأمر هذا الحدَّ من السرف ، فقد سقطت كُلفة القول معه وكذلك إنكاره عليه أيضاً قولَ الشاعر :

* وقد بدَا هَنْكِ من المِئزَر *

فقال : إنّما الرواية :

* وقد بَدَا ذاكِ من المِئزر *

وما أطيبَ العروسَ لولا النّفقة . انتهى .

وهذا البيت ثالث أبياتٍ للأقيشر الأسدي .

قال صاحب الأغاني وغيره : سكِر الأقيشرُ يوماً فسقط ، فبدت عورتُه وامرأته تنظر إليه ، فضحكت منه وأقبلت عليه تلومُه وتقول له : أما تستحي يا شيخ من أن تبلغ بنفسك هذه الحالة ! فرفع رأسه إليها وأنشأ يقول : (السريع)

تَقول : يا شيخُ أما تَسْتَحي مِنْ شُربكَ الخمرَ على المَكْبِرِ
فقلت : لو باكرتِ مَشمولةً صَهْبَا كَلَونِ الفرَس الأشقرِ[1]
رُحتِ وفي رجلَيكِ عُقَّالةٌ وقَدْ بَدَا هَنْكِ منَ المِئْزَرِ

- وشرح ديوان الحماسة للمرزوقي ص٦١٢ ، ١١٧٦ ؛ وشرح شذور الذهب ص٢٧٦ ؛ وشرح شواهد الإيضاح ص٢٥٦ ؛ وشرح المفصل ٤٨/١ ؛ والشعر والشعراء ١٢٢/١ ؛ والكتاب ٢٠٤/٤ ؛ ولسان العرب (حقب ، دلك، وغل) ؛ والمحتسب ٢٥/١ ، ١١٠ . وهو بلا نسبة في الأشباه والنظائر ٦٦/١ ؛ والاشتقاق ص٣٣٧ ؛ والخصائص ٧٤/١ ، ٣١٧/٢ ، ٣٤٠ ، ٩٦/٣ ؛ والمقرب ٢٠٥/٢ ؛ وهمع الهوامع ٥٤/١ .

(١) البيت للأقيشر الأسدي في ديوانه ص٤٣ ؛ والدرر ٢٢١/٦ ؛ وشرح التصريح ٢٩٣/٢ ؛ والمقاصد النحوية ٥١٦/٤ . وهو بلا نسبة في تذكرة النحاة ص٤٤٨ ؛ والحماسة البصرية ٣٦٨/٢ ؛ وشرح الأشموني ٦٥٨/٣ ؛ ومجالس ثعلب ١١٠/١ ؛ وهمع الهوامع ١٥٦/٢ .

انتهى . وقال بعض من كتب على شواهد سيبويه : مرَّ سكرانَ بسكّة بني فَزارة، فجلس يُريق الماء ، ومرّ به نسوةٌ فقالت امرأة منهنّ : هـذا نشوانُ قليلُ الحياء ، أما تستحي يا شيخ من شربك الخمر ؟ فقال ذلك .

وقال ابن الشجري في « أماليه » : مـرّ الفرزدق بـامرأةٍ وهـو سكران يتواقـع ، فسخِرت منه ، فقال هذه الأبيات . انتهى ، والصواب الأول .

وقوله : « أما تستحي » ، هو شاهدٌ على أنّه يقال استحى يستحي كاستبى يستبي .

وقد قرأ يعقوب وابن مُحيصن[1] : « إن اللّه لا يَسْتَحِي أنْ يَضْـرِبَ مثلاً » بياء واحدة ، ورويت عن ابن كثير أيضاً ، وهي لغة تميم .

قال ابن هشام في « شرح بانت سعاد[2] » : والأصل بياءين فنقلت حركة العين إلى الفاء فالتقى ساكنان : فقيل حذفت الـلام فـالوزن يَسْتَفِع ، وقيل حذفت العين فالوزن يَسْتَفِل .

وروي بدل الخمر « الراح » وهي بمعناها . وقوله : « على المَكْبر » ، بفتح الميم وكسر الموحَّدة ، مصدر كبر يكبر من باب علم أي : أسنّ ، والمصدر الكِبَر بكسر ففتح والمَكبِر أيضاً .

قال صاحب الصحاح : يقال علاه المكبر بكسر الباء ، والاسم الكَبْرة بفتح الكاف وسكون الباء أي : السن . و« باكرت » بمعنى سارعت في البُكرة . و« المشمولة » : الخمر الباردة الطعم ، والأصلُ في المشمولة التي ضربتها ريح الشمَال حتّى بَرَدت ، يقال : غدير مشمول ، ونحوه .

ويقال للخمر شَمُول أيضاً، لأنها تشتمل على عقل صاحبها ، وقيل لأنّ لها عصفة كعصفة الريح الشمال . و«الصُّهْبة»: الشُّقْرة ، وسميت الخمر الصَّهباءَ للونها ، وهي ممدودة وقد قصرها للضرورة ، وفيه ردٌّ على الفرّاء إذ زعم أنه لا يقصر للضرورة إلاّ ما مأخذه السماع ، ولا يجوز قصرُ الممدودِ القياسي .

---

(١) سورة البقرة : ٢٦/٢ .

(٢) عند الكلام في قول كعب بن زهير :

شُـجَّتْ بذي شَبَمٍ من ماءِ مَحنيةٍ ... صافٍ بأبْطحَ أضْحى وهو مشمولُ

وقوله : « وفي رحليك ما فيهما » يريد أن فيهما اضطراباً واختلافاً . ورُوي : « وفي رحليكِ عُقّالةٌ » وهو بضمِّ العين وتشديد القاف : ظَلْع يأخذ في القوائم . و«بدا » بمعنى ظهَر .

و« الهَنُ » : كناية عن [كلّ ما يقبُح[1]] ذِكره ، وأراد به هنا الفرج . و«المِئزر» هو الإزار ، كقولهم مِلحف ولحاف .

و« الأقيشر » : مصغّر أقشر ، قال صاحب الصحاح : رجل أقشر بيِّن القَشَر بالتحريك ، أي : شديد الحمرة .

قال صاحب الأغاني[2] : الأقيشر لقبٌ لقّب به[3] ، لأنه كان أحمرَ الوجه أقشر. واسمه المغيرة بن عبد الله بن مُعْرِض بن عمرو بن أسد بن خزيمة[4] ويكنى أبا مُعْرِض بضم الميم وكسر الراء الخفيفة .

وقال ابن قتيبة في « كتاب الشعراء »[5] : اسمه المغيرة بن الأسود بنَ وهب ، أحد بني أسد بن خزيمة .

قال صاحب الأغاني[6] : وعُمِّر الأقيشر عمراً طويلاً . ولد في الجاهليّة[7] ، وكان كوفيّاً خليعاً ، ماجناً ، فاسقاً ، فاجراً مدمنَ الخمر ، قبيحَ المنظر . وهجاهُ رجلٌ من بني تميم فقال[8] : (البسيط)

يا أيّها المبْتَغِي حُشّاً لحَاجتهِ ... وجهُ الأقيشر حُشٌّ غيرُ ممنوعِ

« والحُشُّ ، بضمّ الحاء المهملة وتشديد الشين المعجمة : بيت الخلاء » .

---

(١) زيادة يقتضيها السياق .

(٢) الأغاني ٢٥١/١١ .

(٣) في الأغاني : " غلب عليه " .

(٤) في طبعتي بولاق والسلفية والنسخة الشنقيطية : " .. بن عمرو بن معرض بن أسد بن خزيمة " .
وكلمة " معرض " مقحمة . وهو تصحيف ولقد أثبتنا نسبه نقلاً عن الأغاني ٢٥١/١١ ؛ والمؤتلف والمختلف ص٧١ .

(٥) الشعر والشعراء ص٤٦٣ .

(٦) الأغاني ٢٥١/١١ .

(٧) في الأغاني : " وما أخلقه بأن يكون ولد في الجاهلية ونشأ في أول الإسلام " .

(٨) البيت في الأغاني ٢٥٤/١١ والخبر فيه خلاف عن الخزانة .

قال ابن قتيبة[١] : وكان يغضب إذا قيل له أقيشر . فمرّ يوماً بقوم من بني عبس فقال رجل منهم : يا أقيشر ! فسكت ساعة ثم قال[٢] : (الوافر)

أتدعُوني الأقيشِرَ ! ذاكَ اسمي وأدعوكَ ابنَ مُطْفِئةِ السّراجِ
تنادي خِدنَها باللّيلِ سِرّاً وربُّ النّاسِ يَعْلَمُ ما تُناجي

فسمِّي الرّجلُ ابنَ مطفئة السّراج ، وولده ينسبون إلى ذلك إلى اليوم .

قال صاحب الأغاني : وله حكاياتٌ في شرب الخمر والافتراء على الخمّارين ، ولم يسلَمْ من هجوه أحَد .

وقد أطنب صاحب الأغاني في قبائحه : منها أنه كان له ابن عمٍّ موسر فكان يسأله فيعطيه ، حتّى كثُر ذلك عليه فمنعه فقال : إلى كم أُعطيك وأنت تنفقه في شرب الخمر ! لا والله ، لا أعطيك شيئاً فتركه حتّى اجتمع قومُه في ناديهم - وهو فيهم - ثم جاء فوقف عليهم ثم شكاه إليهم وذمّه ، فوثب إليه ابن عمّه فلطمَه ، فأنشأ يقول: (الطويل)

سريعٌ إلى ابنِ العمِّ يَلطِمُ وجهَهُ وليسَ إلى دَاعي النَّدَى بسريعِ
حَريصٌ على الدّنيا مُضِيعٌ لدِينهِ وليسَ لما في بيتهِ بمُضِيعِ

والبيت الأول أورده صاحب تلخيص المفتاح ، شاهداً لردّ العجز على الصدر .

ومنها أنّه كان عِنّيناً لا يأتي النساء[٣] ، وكان يصف ضدَّ ذلك من نفسه ، فجلس إليه يوماً رجلٌ من قيس فأنشده الأقيشر[٤] : (الكامل)

وَلَقد أروحُ بمُشرفٍ ذي مَيْعَةٍ عَسِرِ المَكرَّةِ ماؤُهُ يتفصَّدُ[٥]
مَرِحٍ يَطيرُ من المِراحِ لُعابُه ويَكادُ جِلْدُ إهابِهِ يتقدَّدُ

ثم قال للرجل : أتعرف الشعر ؟ قال : نعم . قال : ماوصفتُ ؟ قال : فرساً .

---

(١) الشعر والشعراء ص٤٦٣ ؛ والأغاني ٢٥٣/١١ .

(٢) البيتان في الأغاني ٢٥٣/١١ ؛ والشعر والشعراء ص٤٦٣ ؛ ومعاهد التنصيص ٢٤٤/٣ .

(٣) الخبر في الأغاني ٢٥٦/١١ .

(٤) البيتان له في الأغاني ٢٥٦/١١ .

(٥) في طبعة بولاق : " يتنضد " . وفي النسخة الشنقيطية " يتقصد " . صوابه من الأغاني ٢٥٦/١١ .

قال : أفكنتَ لو رأيتَه ركبته ؟ قال : إي واللّه – وأمالَ عطفَه – فكشف الأقيشر عن أيره وقال : هذا وصفتُ فقم واركبْه . فوثبَ الرجلُ عن مجلِسِه وهو يقول : قَبحَك اللّهُ من جَليس !

وذكره ابن حجر في « قسم المخضرَمين من الإصابة » ، وأورد له هذين البيتين .

ومنها : أنَّ عمَّةَ الأقيشر قالت له يوماً : اتق اللّه وقم فصَلِّ ! فقال : لا أصلّي ! فأكثرت عليه فقال : قد أبرمتِني ، فاختاري خَصلَةً من خصْلَتَيْن . إما أن أصلّي ولا أتطهَّر ، أو أتطهَّر ولا أصلّي ! قالت : قبَحك اللّه ، فإن لم يكن غيرُ هذا فصلِّ بلا وضوء . فصلى بلا وضوء .

ومنها أنه أتى إلى قيس بن محمد بن الأشعث[1] – وكان ضَريراً وناسكاً – فسأله فأعطاه ثلثمائة درهم ، فقال : لا أريدها جُملة ، ولكن مر القَهرُمان أن يعطيني في كلِّ يومٍ ثلاثةَ دراهم حتّى تنفَد . فأمر بذلك ، فكان يأخذها ، فجعل درهماً لطعامه ، ودِرهماً لشرابه ، ودِرهماً لدابّة تحمله إلى بيوت الخمّارين ؛ فلما نفِدت الدّراهم ، أتاه الثانيةَ فسأله فأعطاه كالأولى ، وعمل بها مثل ذلك .

ثم أتاه الثالثة فأعطاه وفعلَ مثل ذلك . وأتاه الرابعةَ فسأله فقال قيس : لا أبا لك! كأنّك قد جعلته خراجاً علينا .

فانصرف وهو يقول[2] : (الطويل)

ألم ترَ قيسَ الأكْمَهَ ابنَ محمّدٍ ... يقولُ ولا تلقاهُ للخيرِ يَفْعَلُ
رأيتُكَ أعمَى العينِ والقَلبِ ممسِكاً ... وما خيرُ أعمَى العينِ والقَلْبِ يَبْخلُ
فلو صَمَّ تمّتْ لعنةُ اللّهِ كلُّها ... عليهِ وما فيه من الشَّرِّ أفضَلُ

فقال قيس ، لو نجا أحدٌ من الأقيشِر لنجوت منه !

ومنها : أنّه تزوج بابنة عم له[3] ، يقال لها الرَّباب ، على أربعة آلاف درهم ، فأتى قومَه وسألهم فلم يعطوه شيئاً ، فأتى ابنَ رأسِ البغل – وهو دِهقان الصِّين ،

(١) الخبر في الأغاني ١١/٢٦٤–٢٦٥ .

(٢) الأبيات للأقيشر في الأغاني ١١/٢٦٥ .

(٣) الأغاني ١١/٢٦٦ .

وكان مجوسيًّاً - فسأله فأعطاه الصداق كاملاً ، فقال[1] : (المتقارب)

كفاني المجوسيُّ مَهْرَ الرَّبابِ ... فِدًى للمجوسيِّ خالي وعمْ

شهدتُ عليكَ بطيبِ الأُرُومِ ... فإنَّك بحرٌ جوادٌ خِضَمّْ[2]

وإنَّكَ سيِّدُ أهلِ الجحيمِ ... إذا ما تردَّيتَ فيمَن ظَلَمْ

تجاوِرُ هامانَ في قعرِها ... وفرعونَ والمكتَنِي بالحَكَمْ

فقال المجوسيُّ : ويحك . سألتَ قومك فلم يُعطوك شيئاً وجئتني فأعطيتُك فجزيتَني هذا القول ! فقال : أوَما ترضى أن جعلتُك مع الملوك وفوق أبي جهل !

ومن شعره[3] : (السريع)

يا أيُّها السائلُ عمَّا مضَى ... مِن علم هذا الزَّمنِ الذَّاهبِ

إنْ كنتَ تبغي العلمَ أو أهلَه ... أو شاهداً يُخبِرُ عن غائبِ

فاعتَبِرِ الأرضَ بأسمائها ... واعتبرِ الصَّاحبَ بالصَّاحبِ[4]

ومن قصيدة له[5] : (البسيط)

لا تَشْرَبَنْ أبداً راحاً مُسَارَقَةً ... إلاَّ معَ الغُرِّ أبناءِ البَطاريقِ

أفنَى تِلادِي وما جمَّعْتُ من نَشَبٍ ... قَرْعُ القَواقِيزِ أفواهَ الأباريقِ[6]

---

(١) الأبيات للأقيشر في الأغاني ٢٦٦/١١ ؛ ونهاية الأرب ٥٣/٤ ؛ وهي في الحيوان ١٥٩/٥ منسوبة للحكم بن عبدل أو غيره ؛ وفي عيون الأخبار ١٩٦/٢ منسوبة لبعض الأعراب .

(٢) جاء في القاموس : " والأرومة ، وتضم : الأصل ، جمعه أروم " .

(٣) الأبيات للأقيشر في الأغاني ٢٥٨/١١ . والأبيات مروية عندما سأل عبد الملك بن مروان وفد أسد وقال إنه شاعرهم . وهي في شعر الأعشين ص٢٧٥ منسوبة إلى أعشى حلان . وهي في البيان ٥٤/١ بلا نسبة تمثل بها معاوية .

(٤) في طبعة بولاق : " فاختبر الأرض " . وهو تصحيف صوابه من الأغاني .

(٥) البيتان في الأغاني ٢٧٦/١١ ؛ والشعر والشعراء ص٤٦٥ ؛ والمقاصد النحوية ٥٠٨/٣ .

(٦) هو الإنشاد التاسع والسبعون بعد السبعمائة في شرح أبيات المغني للبغدادي .

والبيت للأقيشر في ديوانه ص٦٠ ؛ والدرر ٢٥٦/٥ ؛ وشرح التصريح ٦٤/٢ ؛ وشرح أبيات المغني ١٥٧/٧ ؛ وشرح شواهد المغني ٨٩١/٢ ؛ ولسان العرب (قفز) ؛ والمؤتلف والمختلف ص٧١ ؛ والمقاصد النحوية ٥٠٨/٣ . وهو بلا نسبة في إصلاح المنطق ص٣٣٨ ؛ والإنصاف ٢٣٣/١ ؛ وأوضح المسالك ٢١٢/٣ ؛ وشرح الأشموني -

وهذا البيت من أبيات مغني اللبيب في الباب الخامس .

ومن هذه القصيدة[١] :

عليكَ كُلَّ فتًى سَمْحٍ خَلائقُه مَحْضِ العرُوقِ كَريمٍ غيرِ ممذوقِ
ولا تصاحِبْ لئيماً فيهِ مَقْرَفةٌ ولا تَزُورَنَّ أصحابَ الدَّوانيقِ

وكان الأقيشر مولعاً بهجاء عبد الله بن إسحاق[٢] ، ومدح أخيه زكريَّا[٣] ، فقال عبد الله لغلمانه : ألا تريحونَا منه ؟ فانطلقوا فجمعوا بَعراً وقصَباً بظهر الكوفة ، وجعلوه في حُفرة ، وأقبل الأقيشر وهو سكرانُ من الحِيرة ، على بغل رجلٍ مُكار ، فأنزله عن البغل وعاد ، فأخذوا الأقيشر فشدّوه ثم وضعوه في تلك الحفرة ، وألهبوا النّار في القصب والبعر ، وجعلت الريح تلفح وجهه وجسمَه بتلك النار ، فأصبح ميِّتاً و لم يُدرَ مَن قتله . وكان ذلك في حدود الثمانين من الهجرة .

﴿ تتمة ﴾

ذكر الآمديّ في « المؤتلف والمختلف »[٤] مَن اسمه الأُقيشر ، ومن اسمه الأقيسِر من الشعراء .

فالأقيشر هو المغيرة بن عبد الله الأسديّ الشاعر المشهور ، وصاحب الشراب .

والأقيسر[٥] هو صاحب لواء بني أسد ، جاهليّ . قال ابن حبيب : اسمه عامر بن طريف بن مالك بن نصر ، وأنهى نسبه إلى دُودان ابن أسد بن خزيمة .

* * *

= ٣٢٧/٢ ؛ وشرح شذور الذهب ص٤٩٣ ؛ واللمع ص٢٧١ ؛ ومغني اللبيب ٥٣٦/٢ ؛ والمقتضب ٢١/١ ؛ والمقرب ١٣٠/١ ؛ وهمع الهوامع ٩٤/٢ .

(١) البيتان في شرح أبيات المغني للبغدادي ١٥٨/٧ .

(٢) هو عبد الله بن إسحاق بن طلحة بن عبيد الله .

(٣) هو زكريا بن إسحاق بن طلحة بن عبيد الله . وقد مدحه في مقطوعة في الأغاني ٢٥٥/١١ مطلعها :

قرّب اللــه بالسلام وحيّا زكريا بن طلحة الفيّاض

(٤) المؤتلف والمختلف ص٧١ .

(٥) الذي في المؤتلف والمختلف ص٧١ : " منهم الأقشر وهو صاحب ..." .

وأنشد بعده ، وهو الشاهدالحادي والثلاثون بعد الثلثمائة[1] : (الرجز)

٣٣١- حَتَّـى إذا مـا خَـرَجَـتْ مـن فُـمِّـهْ

على أنّ تشديد الميم مع ضمّ الفاء وفتحها ضرورة وليس بلغة ابن جنّي .

أقول : قاله ابن جنّي في « سرِّ الصناعة ، في حرف الميم » وهذه عبارته : اعلم أنّ الميم حرف مجهور ، يكون أصلاً ، وبدلاً ، وزائداً .

فالأصل نحو مَرَس وسمر ورسم .

وأما البدل فقد أبدلت من الواو ، والنون ، والباء ، واللام . أما إبدالها من الواو فقولهم فم وأصله فَوْه بوزن سوط ، فحذفت الهاء تخفيفاً ، فلما بقي على حرفين ثانيهما حرف لين ، كرهوا حذفَه للتنوين فيجحفوا به ، فأبدلوا من الواو ميماً للقرب، لأنّهما شفهيّان ، وفي الميم هواء في الفم يضارع امتداد الواو .

ويدلّ أنَّ فم مفتوح الفاء وجودك إياها مفتوحةً في هذا اللفظ ، وهو المشهور . وأمّا ما حكى فيها أبو زيد وغيره ، من كسر الفاء وضمِّها ، فضربٌ من التغيير لحق الكلمةَ لإعلالها بحذف لامها وإبدال عينها .

وأمّا قول الآخر[2] : (الرجز)

يا ليتَهـا قَـدْ خَرجَـتْ مِنْ فُمِّـهْ   حتّى يَعُـودَ المُلكُ في أُسْطُمِّـهِ

يروى بضمِّ الفاء وفتحها ، فالقول في تشديد الميم عندي أنه ليس ذاك بلغة . ألا ترى أنّك لا تجد لهذه المشدَّدة الميم تصرُّفاً . إنّما التصرّف كلّه على : ف و ه ، من ذلك قوله تعالى[3] : « يَقُولونَ بأفواهِهِمْ » .

---

(١) الرجز للعجاج في ملحق ديوانه ٣٢٧/٢ ؛ وإصلاح المنطق ص٥٦ ؛ وأمالي ابن الشجري ٣٥/٢ ؛ والخصائص ٢١١/٣ ؛ وشرح المفصل ٣٣/١٠ ؛ وهمع الهوامع ٣٩/١ .

(٢) الرجز لمحمد بن ذؤيب الفقيمي في تاج العروس (فمم) ؛ ولسان العرب (فمم) ؛ وللعجاج في ملحق ديوانه ٣٢٧/٢ ؛ والدرر ١٠٩/١ ؛ ولجرير في ديوانه ص١٠٣٨ ؛ ولجرير أو لمحمد بن ذؤيب في تاج العروس (طسم) ؛ ولسان العرب (طسم) . وهو بلا نسبة في جواهر الأدب ص٩٢ ؛ وسر صناعة الإعراب ٤١٥/١ ؛ وشرح المفصل ٣٣/١٠ ؛ ولسان العرب (فوه) ؛ والمحتسب ٧٩/١ ؛ والممتع في التصريف ٣٩١/١ ؛ وهمع الهوامع ٣٩/١ .

(٣) سورة آل عمران : ١٦٧/٣ .

وقال الآخر[1] : (الوافر)

فَــلا لَغْــوٌ ولا تـأثيــمَ فيهـــا ومـــا فـاهُــوا بِـــهِ أبــداً مُقِيْـــمُ

وقالوا : رجل مفوَّه : إذ أجادَ القول ، لأنه يخرج من فيه . وقالوا : ما تفوّهت به ، وهو تفعّلت . وقالوا في جمع أفوَه ، وهو الكبير الفم : فُوهٌ . ولم نسمعهم قالوا : أفمام ، ولا تفمّمت ، ولا رجل أَفَمُّ كما قالوا أصم . فدلّ اجتماعهم على تصريف الكلمة بالفاء والواو والهاء على أنّ التشديد لا أصل له ، وإنما هو عارضٌ لحقَ الكلمةَ.

فإن قال قائل : فإذ ثبت بما ذكرتَه أن التشديد ليس من أصل الكلمة ، فمن أين أتاها ؟ وما وجه دخوله إياها ؟ فالجواب : أن أصل ذلك أنهم ثقّلوا الميم في الوقف فقالوا : هذا فمْ كما يقولون هذا خالدْ ، وهو يجعلْ ، ثم إنّهم أجرَوْا الوصل مُجرى الوقف فيما حكاه سيبويه عنهم من قولهم ثَلاثهَرْبَعة ، وكقوله[2]: (الرجز)

* ببَازلٍ وجْنَاءَ أو عَيْهلٍّ *

فهذا وجه تشديدالميم عندي[3] .

---

(١) البيت لأمية بن أبي الصلت في ديوانه ص٥٤ ؛ وتخليص الشواهد ص٤٠٦ ، ٤١١ ؛ والدرر ١٧٨/٦ ؛ وشرح التصريح ٢٤١/١ ؛ ولسان العرب (أثم) ؛ والمقاصد النحوية ٣٤٦/٢ . وهو بلا نسبة في أوضح المسالك ١٩/٢ ؛ وجواهر الأدب ص٩٣ ، ٢٤٥ ؛ وسر صناعة الإعراب ٤١٥/١ ؛ وشرح الأشموني ١٥٢/١ ؛ وشرح شذور الذهب ص١١٥ ؛ وشرح ابن عقيل ص٢٠٣ ؛ ولسان العرب (فوه) ؛ واللمع ص١٢٩ ؛ وهمع الهوامع ١٤٤/٢ .

(٢) الرجز لمنظور بن مرثد في تاج العروس (عهل) ؛ وشرح أبيات سيبويه ٣٧٦/٢ ؛ وشرح شواهد الإيضاح ص٢٧٦ ؛ وشرح شواهد الشافية ص٢٤٦ ؛ ولسان العرب (عهل) ؛ ونوادر أبي زيد ص٥٣ . وهو بلا نسبة في الأشباه والنظائر ٣٨٠/٢ ؛ وجواهر الأدب ص٩٤ ؛ والإنصاف ص٧٨٠ ؛ والخصائص ٣٥٩/٢ ؛ ورصف المباني ص١٦٢ ؛ وسر صناعة الإعراب ص١٦١ ، ٤١٧ ؛ وشرح شافية ابن الحاجب ٣١٨/٢ ؛ وشرح المفصل ٦٨/٩ ؛ والكتاب ١٧٠/٤ ؛ ولسان العرب (جدب ، ملظ ، بدل ، قندل ، فوه ، دمي) ؛ والمحتسب ١٠٢/١ ، ١٣٧ ؛ والممتع في التصريف ١١١/١ ؛ والمنصف ١١/١ ؛ ومقاييس اللغة ١٧٣/٤ ؛ وكتاب الجيم ٣٢٢/٢ .

(٣) في طبعة بولاق والنسخة الشنقيطية : " فهذا حكم تشديد الميم عندي " . وهو تصحيف صوابه من الطبعة السلفية ٣٧٨/٤ .

فإن قلت : إذا كان أصل فم عندك فَوْه ، فما تقول في قول الفرزدق[1] :

* هُما نـفثَا في فِيَّ من فَمَوَيهما *

وإذا كانت الميمُ بدلاً من الواو فكيف جاز له الجمع بينهما ؟

فالجواب : أن أبا عليّ حكى لنا عن أبي بكر وأبي إسحاق ، أنهما ذهبا إلى أنّ الشاعر جمع بين العِوض والمعوَّض منه ؛ لأنّ الكلمة مجهورة منقوصة .

وأجاز أبو عليّ أيضاً فيه وجهاً آخر ، وهو أن تكون الواو في فمويهما لا ما في موضع الهاء من الإفواه ، وتكون الكلمة يعتقب عليها لامان : هاء مرة ، وواو أخرى، فيجرى هذا مجرى سنَة وعِضة .

ألا نراهما في قول من قال سَنَوات ، وأسنتوا ، ومساناة ، وعِضَوات ، واويَّين ، وتجدهما في قول من قال سنة سنْهَاءٌ وبعير عاضه ، هائيَّين . وإذا ثبتَ بما قدّمناه أن عين فم في الأصل واو ، فينبغي أن يُقضى بسكونها ، لأنّ السكون هو الأصل .

فإن قلت : فهلاَّ قضيتَ بحركة العين بجمعك إيّاه على أفواه ، نحو بطل وأبطال ، وقدَم وأقدَام ، ورسَن وأرسان ؟

فالجواب : أن فَعْلاً مما عينُه واوٌ بابُه أيضاً أفعال ، كسوط وأسواط ، وحوض وأحواض ، ففَوْهٌ لأنّ عينه واوٌ بسوطٍ أشبَهُ منه بقدم ورسَن . فاعرف ذلك . انتهى كلام ابن جنّي باختصار قدر النصف .

وقول الشارح : « والجمع أفمام » . يوهم أنه مسموع ، وقد نصّ ابن جنّي وصاحب الصحاح على أنه لايقال ذلك .

والبيت من أرجوزة للعجّاج ، وقد تقدّمت ترجمته في الشاهد الحادي والعشرين من أوائل الكتاب[2] .

ورواية الشارح للبيت غير جيدة ، والصواب :

* يا ليتها قدْ خرَجت من فمِّه *

---

(١) هو الشاهد رقم ٣٢٦ من شواهد الخزانة وهو في الجزء الرابع .

(٢) الخزانة الجزء الأول ص١٧٦ .

كما هو في ديوانه . وكذا رواه ابن السكيت في « إصلاح المنطق » . يقول : يا ليتَها قد خرجَتْ منْ فمّه حتّى يعود الملك إلى أهله . ويجوز أن يكون أراد كلمة يتكلّم بها . وأسطُمُّ الشيء : وسَطه ومعظمه . انتهى .

وقال صاحب الصحاح : يقال فلانٌ في أسطُمَّة قومه ، أي : في وسطهم وأشرافهم . وأسطمَّة الحسب : وسطه ومجتمعه ، والأُطْسُمَّة مثله على القلب . وأنشد بيت العجّاج وقال : أي في أهله وحقّه ، والجمع الأساطم . وتميم تقول : أساتم ، تُعاقِب بين الطاء والتاء فيه ، وأورد البيت في مادة الفاء والميم أيضاً .

* * *

وأنشد بعده :

فَلا أعْني بذلكَ أسفَلِيكُمْ ولَكِنّي أُريد بِهِ الذَّوِينا

على أنّ قوله « الذَّوين » فيه شذوذان : أحدهما قطعُه عن الإضافة ، وثانيهما إدخال اللام عليه .

وهذا البيت للكميت بن زيد ، من قصيدةٍ هجا بها أهلَ اليمن تعصُّباً لمضر . يقول : لا أعنِي بهجوي إيّاكم أرذالَكم ، وإنّما أعني ملوككم ، كذي يزن ، وذي جَدَن ، وذي نواس ، وهم التبابعة . و«الأسفلون » : جمع أسفل ، خلاف الأعلى . وأراد بالذّوين : الأذواء[1] .

وقد تقدّم شرح هذا البيت في الشاهد السادس عشر من أوائل الكتاب[2] .

* * *

تم بعون اللّه تعالى وحسن تيسيره

الجزء الرابع من خزانة الأدب

(١) الخزانة الجزء الثاني ص٢٥٣ .

(٢) الخزانة الجزء الأول ص١٤٩ .

فهرس التراجم

فهرس المحتويات